الشرح الميسر لصحيح البخاري

المسمّى

الدرر واللآلي بشرح صحيح البخاري

شرح سهل ميسر لصحيح الإمام البخاري مع العناية بتوضيح الألفاظ اللغوية والفوائد المستنبطة من الأحاديث النبوية الشريفة، وما حوته من أحكام شرعية وما فيه من نفائس الدرر الثمينة

بقلم

خادم الكتاب والسنة

الشيخ محمد علي الصابوني

إهداء

معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش

مع رجاء خالص الدعوات

من ذخائر
السُّنَّة النَّبويَّة
المشرَّفة

الشَّرح الميسَّر لِصَحِيحِ البُخَارِيّ

المسمّى

الدُّرَر واللآلي بشرح صحيح البخاري

شرح سهل ميسّر لصحيح الإمام البخاري مع العناية بتوضيح الألفاظ اللغويّة والفوائد المستنبطة من الأحاديث النبويّة الشّريفة، وما حوته من أحكام تشريعيّة وما فيه من نفائس الدُّرر الثمينة

بقلم
خادم الكتاب والسُّنّة
محمّد علي الصّابوني

المجلّد الرّابع

الأفق
للطباعة والنشر

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

حازت شرف إصدارها

المكتبة العصرية

لبنان

مع

الأفق للطباعة والنشر

متخصصون في طباعة القرآن الكريم
ومؤلفات خادم الكتاب والسُّنَّة الشيخ / محمد علي الصابوني
تأسست عام ١٤١٨ هـ - الموافق ١٩٩٨ م

بيروت - لبنان هاتف ٠٠٩٦١٣٤٤٤٦٦١ تلفاكس ٠٠٩٦١١٨٢٤٢٠٥ alofoq@hotmail.com
أو
المملكة العربية السعودية - مكة المكرّمة - ص.ب ٧٢٤٢
أو
المكتبة العصرية - بيروت ص.ب ١١/٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١١٦٥٥٠١٥
صيدا ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٠٣١٧
E. Mail
info@alassrya.com alassrya@cyberia.net.lb alassrya@terra.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ

بابُ (خَلْقِ آدمَ وذُرِّيتِهِ)

٣٣٢٦ _ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلائِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ).

[طرفه في: ٦٢٢٧].

شرح المفردات

(سِتُّونَ ذِرَاعاً) المراد بالذِّراع: ذراعُ البشر، لا ذراع آدم عليه السلام، لأنَّ الرسولَ ﷺ يحدِّث الناسَ بما يعرفونه من تخاطبهم.

قال العيني: ولو كانت بذراع آدم، لكانت يده قصيرةً، في جنب طولِ جسمه عليه السلام، كالأصبع، اهـ عمدةُ القاري.

(اسْتَمِعْ ما يُحَيُّونك) من التحية وهي السلام، أي استمعْ إلى ما يردُّون به عليك بعد سلامك عليهم.

(الخَلْقُ يَنْقُص) أي ما زالت ذريةُ آدمَ ينقصُ من طولها، قرناً بعد قرن، حتى انتهت إلى هذا الطول، بين المترِ والنصف، إلى المترين، وقليل من يزيد طوله على المترينِ.

شرح الحديث

أخبر ﷺ أنَّ اللَّه تعالى لمَّا خلق أبانا آدم عليه السلام، خَلَقه طويلَ القامة، كثيرَ

شعر الرأس، حتى كأنه نخلةٌ باسقة، واللَّهُ تعالى يعيد خلْقَ أهلِ الجنة، إلى خلْقِ أصلهم «آدم» عليه السلام، وعلى صفته وطولِهِ الذي خلقه اللَّهُ عليها في الجنة، ولمَّا كانت الجنةُ فسيحةً واسعة، فيها الأشجارُ والأنهار، والظِّلالُ والثمار، ناسبَ أن يكون أهلُ الجنة بطول أبيهم آدم، طوالاً في طول ستين ذراعاً، وبعرض سبعةِ أذرع، ليتناسبَ خلقُهم مع عيشهم، وإكرام اللَّهِ لهم، بذلك النعيم الواسع، وبتلك القصور الفخمة العالية، كما قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١ ـ ٢٣].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ جميع من يدخل الجنة يدخلها على (صورة آدَمَ) في الحُسن، والجمال، والطول.

الثاني: وفيه أنَّ أهل الجنة تختلف صُوَرُهم عن أهل الدنيا، لقوله سبحانه: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١].

الثالث: وفيه أنَّ أول مشروعية السلام التي جاء بها الإسلام، كانت في الجنة، حيثُ علَّم اللَّه تعالى آدمَ، أن يُسلِّم على الملائكة، ويَعْلَم ردَّهم عليه، وقال له: إنها تحيتُك وتحيةُ ذريتك من بعدك.

الرابع: وفيه أنَّ السَّلامَ من شعائر الدين، ومن سُنَنِ الأنبياء والمرسلين.

الخامس: وفيه أنَّ تناقص طول البشر إنما جاء في آخر الزمان، وانتهى إلى آخر الأمة المحمدية، لقوله ﷺ: **(فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن)** أي حتى زمان خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

السادس: وفيه أنَّ الجنة لا تدخلها امرأة عجوز، ولا هَرِم، ولا رجلٌ سقيم، بل يرجع الكلُّ إلى شبابهم، في سِنِّ ثلاثٍ وثلاثين، لقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧] أي متساوياتٍ في السِنِّ، ليس فيهن عجوزٌ، ولا هَرِمة، لأن الجنة دار الكرامة والنعيم.

٣٣٢٧ ـ [طرفه في: ٣٢٤٥]، تقدّم شرحُه.

٣٣٢٨ ـ [طرفه في: ١٣٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (إسْلامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ)

٣٣٢٩ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بَن سَلام مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، وَمِنْ أَيِّ شيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفاً جِبْرِيلُ».

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ.

وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ.

وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَها ماؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ ماؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا».

قَالَ ابْنُ سَلام: قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسأَلَهُمْ، بَهَتُونِي عِنْدَكَ.

فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ (عَبْدُ اللَّهِ) الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلام)». قَالُوا: أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وابنُ أَخْيرِنا!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ»!؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذٰلِكَ!

فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ).

[طرفه في: ٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠].

شرح الألفاظ

(سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ) أي أسألك عن ثلاث مسائلَ، لا يعلمهنَّ إلّا من كان نبيًّا صادقاً في دعوى النبوّة.

(أَشْراطُ السَّاعَةِ) أي علاماتُ الساعة الكبرى، جمعُ شَرْط وهو العلامة.

(يَنْزِعُ إلى أَبِيه) أي يكون له شَبَهٌ بأبيه، أو شَبَهٌ بأخواله.

(زِيادَةُ كَبِدِ حُوتٍ) هي قطعة منفردة متعلقة بالكبد، وهي أهنأ طعامٍ وأمرؤُه، يقدَّم لأهل الجنة، بعد أن ينجوا من شدائد وأهوال يوم القيامة.

(إذا غشيَ المَرْأَةَ) أي إذا جامَعَها فسبَقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة، جاء الولدُ له شَبَهٌ بأبيه، وإذا سبق ماءُ المرأةِ ماءَ الرجل، جاء الولدُ وله شَبَهٌ بأمه وبأخواله.

(قَوْمٌ بُهْتٌ) أي كذَّابون، يتهمون الإنسان باتِّهامات كاذبة، شنيعة، ليست فيه، من البُهتان ـ أي الافتراء ـ وهو اتِّهامُ الإنسانِ بشيءٍ لم يفعلْه، قال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(أيُّ رَجُلٍ فيكُمْ)؟ أي ما مكانةُ (عبد اللّه بن سلام)، وما منزلتُه عندكم؟

(قَالُوا أعْلَمُنا) أي قال اليهود: هو أعلمُ واحدٍ فينا، وهو أفضلُ شخص عندنا، فاضلٌ ابنُ فاضل، وهو رئيسُنا ومرجعُنَا الدينيّ.

(أَفَرَأَيْتُمْ إنْ أَسْلَمَ)؟ أي أخبروني إذا دخل ابنُ سَلَام في الإسلام، فكيف يكون حالكم وموقفكم؟ هل تتبعونه وتدخلون في الإسلام؟

(أَعَاذَهُ اللّهُ) أي أجاره اللّه وعَصَمه من ذلك، ولا نتصوَّر أن يحدث ذلك منه، فهو رئيسُ اليهود وسيِّدها.

(وَقَعُوا فِيه) أي فَلَمَّا خرج (عبدُ اللّه بنُ سلام) إليهم، وهم عند رسول اللّه ﷺ وأخبرهم أنَّ محمداً «خاتمُ النبيِّين»، الذي بشرَّت به التوراةُ، وشهد له بالنبوة والرسالة، كذَّبوه وشتموه، وتكلَّموا عنه كلاماً قبيحاً، في المجلسِ نفسه، فجعلوه شرَّ الناس، وأخبثَ الناس، وأنكروا فضله وعلمه.

شرح الحديث

لَمَّا هاجر رسولُ اللّه ﷺ إلى المدينة المنوَّرة، أسرع الناسُ نحوه، فكان «عبدُ اللّه بنُ سلام» ـ وهو أكبرُ علماء اليهود ـ قد خرج مسرعاً ليرى خاتم النبيِّين ﷺ!!

يقول ابنُ سلام: فلمَّا نظرتُ إلى وجهه، عرفتُ أنَّ وجهه ليس بوجه كذَّاب، فكان أول كلام سمعه من رسول اللّه عليه الصلاة والسلامُ قوله: **(يا أيها الناسُ، أَفْشوا السلام، وأطعموا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليل والناسُ نيام، تدخلوا الجنة بسلام).**

وجاء إلى رسول اللَّه ﷺ يمتحنه، فقال له: يا محمد **إني سائلك عن ثلاثة أمور**، إن أجبتني عنها عرفتُ أنك نبيٌّ، فآمنتُ بك، ودخلتُ في دينك! فقال له ﷺ: **(سلْ عمَّا تريد!)**.

سأله أوَّل سؤال، ما هو أوَّل طعام أهل الجنة؟ فقال له ﷺ: **(زيادةُ كبد حوتِ من حيتان الجنة)**، فقال له: صدقتَ.

وسأله ثانياً عن أوَّلِ أشراط ـ أي علامات ـ الساعة الكبرى، فأجابه ﷺ عنها وأخبره بأنها: نارٌ عظيمة تخرج من المشرق، تسوق الناس أمامها، فقال له: صدقتَ!!

ثم سأله ثالثاً: كيف يجيء الولدُ له شَبَهٌ بأبيه، أو شَبَهٌ بأمه وأخواله، فقال له ﷺ: **(إن سبق ماءُ الرجل ـ أي غلب ماؤُه ماءَ المرأة ـ جاءت بذَكَر، وإن غلب ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ، جاءت بأنثى بإذن اللَّه تعالى!!)**.

أيقن ابنُ سلام: أنَّ محمداً رسولٌ حقًّا، فأعلن إسلامَهُ، ثم قال للرسول ﷺ: إنَّ اليهود قوم سفهاء فُجَّار، يتَّهمون الإنسانَ بتُهَم كاذبة شنيعة، فأرى أن تجمع عندك رؤساء اليهود، ثم تسألهم عني، واختبئُ أنا وراءَ ستارة، ثم أخرج فأشهد لك أمامهم بالرسالة!!

رأى رسولُ اللَّه ﷺ أن يفعل ما أشار عليه ابنُ سلام، فدعا رؤساءَ وأحبارَ اليهود، واختبأ (عبدُ اللَّه بن سَلَام) وراء ستارة، فلمَّا حضروا، سألهم رسولُ اللَّه ﷺ عن مكانة «عبدِ اللَّهِ بن سلام» فيهم، فقالوا جميعاً: هو خيرُنا، وابنُ خيرنا، وسيِّدنا وابنُ سيدنا، وهو أعلم واحدٍ فينا، وأخذوا يكيلون له المديحَ والثناء، فقال لهم ﷺ: **(أخبروني لو أسلمَ كيف يكون موقفكم؟)** فقالوا: أجاره اللَّه وعَصَمه من ذلك، وبينما هم يجادلون رسولَ اللَّه في شأنه، إذْ خرج عليهم «عبدُ اللَّهِ بنُ سلام» فقال لهم: يا معشر اليهود، هذا هو الرسولُ خاتمُ الأنبياء، الذي بشَّرتنا به التوراةُ، وأنا أشهد أنه رسولُ اللَّه حقًّا، فآمِنُوا به وصدِّقوه، وأنا أوَّلُكم (أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّهُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله)!!

ما كاد رضي اللَّه عنه ينطق بالشهادة، حتى انهالوا عليه سبًّا وشتماً، فقالوا: من هذا؟ شرُّنا وابنُ شرِّنا، وأجهلُ واحد فينا، إنه إنسانٌ أحمقُ، لا يُعتدُّ بكلامه، ولا يُقْبَل قولُه! وأخذوا ينالون منه بأبشع الأوصاف، فقال ابنُ سلامٍ عند ذلك لرسول اللَّه ﷺ: هذا الذي كنتُ أخشاه منهم يا رسول اللَّه!

وفيه نزلت الآية الكريمة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

ونزل فيه أيضاً قوله تعال: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

وقد أجمع المفسرون على أنَّ هذه الآيات نزلت في (عبد اللَّه بن سلام)، وكان رسول اللَّه ﷺ يحبُّه ويكرمه، ويقول لأصحابه: **(من أحبَّ منكم أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة في الدنيا، فلْينظر إلى عبد اللَّه بن سلام)** رضي اللَّه عنه وأرضاه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ اليهود يعرفون صفات النبيِّ المبعوثِ في آخر الزمان، الذي بشَّرت به التوراةُ.

الثاني: وفيه أنَّ (عبد اللَّهِ بنَ سَلَام) عرف صدق رسول اللَّه ﷺ من أول نَظْرةٍ نَظَرها إلى رسول اللَّه ﷺ.

الثالث: وفيه اختبارُه للرسول ﷺ بأسئلةٍ لا يعرفها إلَّا نبيٌّ يُوحى إليه من السماء.

الرابع: وفيه إعلانُ إسلام «عبد اللَّه بن سلام» رئيسِ أحبار اليهود، بعد تيقُّنه من نبوة محمد ﷺ.

الخامس: وفيه بيانُ خبثِ اليهودِ ومكرِهم، حيث غيَّروا شهادَتَهم في مجلسٍ واحد، فقد شتموا ابنَ سلام بعد ثنائهم عليه.

السادس: وفيه ثناءُ اللَّه على «عبد اللَّهِ بنِ سلام» حيث نزلت فيه آيتان كريمتان في القرآن العظيم، تنويهاً بفضله لإسلامه.

السابع: وفيه أنَّ أول علامات الساعة الكبرى نارٌ تخرج من المشرق، يهرب الناسُ منها جهة المغرب.

الثامن: وفيه بيانُ شدةِ بغض اليهود لدين الإسلام، وإنكارهم لرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁

بابُ (فَسَادِ اللُّحُومِ ونَتْنِهَا)

٣٣٣٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنّه قال: (لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ، لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ، وَلَوْلَا حَوَّاءُ، لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا).
[طرفه في: ٣٣٩٩].

شرحُ الألفاظ

(لَمْ يَخْنَز اللَّحْمُ) أي لم يفسُدْ اللحمُ، ولم يُنْتِن.

توضيح معنى الحديث

أخبر الرسولُ ﷺ أنَّ الأطعمة واللحوم لم تكن لتفسد لولا أنَّ بني إسرائيل، خالفوا أمرَ اللّه تعالى، فخبئوها وادَّخروها، فقد رُوي (أنَّ بني إسرائيل، لمَّا طلبوا المائدةَ من السماء، (**أُمِرُوا أن يأكلوا من المائدة، ولا يخونوا، ولا يدَّخروا منها شيئاً، فلما أُنزلت المائدةُ، كانت خبزاً ولحماً، فلم يوفُوا بالوعد، فخانوا وادَّخروا، فمسخهم اللّهُ قردةً وخنازير**) رواه الترمذي.

وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]. فكان فسادُ اللحم، عقوبةً من اللّه لهم، على مخالفتهم أمرَ اللّه، ولو لم يفعلوا ذلك، لبقي اللحم كسائر الأطعمة، لا يتسارعُ إليه الفساد. كما أخبر ﷺ أنه لولا «حوَّاء» عليها السلام، التي دعت «آدمَ» عليه السلام، للأكل من الشجرة، لَمَا خانت امرأةٌ زوجها.

قال ابنُ حجر: معنى (لَمْ تَخُن امرأةٌ زَوْجَها) ليس المراد بالخيانة هنا: ارتكابَ الفواحش، حاشا وكَلَّا، ولكنْ لمَّا مالتْ إلى شهوة النَّفس، وحَسَّنتْ ذلك لآدمَ، عُدَّ ذلك خيانةً له، وقريبٌ من هذا، قوله ﷺ: (**جَحَد آدمُ فجَحَدَتْ ذريتُه**) وفيه تسليةٌ للرجال، فيما يقع لهم من نسائهم، بما وقع من أمهنَّ الكبرى، وأنَّ ذلك من طبعهنَّ، فإنهنَّ يغلبْن كريماً، ويغلبهنَّ لئيمٌ .اهـ فتح الباري ٦/ ٣٦٨.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ خيانة بني إسرائيل وادِّخَارَهم من المائدة، كان سبباً لنتْنِ اللَّحْمِ وفسادِه.

الثاني: وفيه أنَّ فساد اللحم كان عقوبةً من اللَّه لليهود، لمخالفتهم لأمر اللَّه تعالى.

الثالث: وفيه بيانُ ضعف النساء أمام شهوات الحياة، وأنَّ أكل «حواء» من الشجرة، تعدَّاها إلى نساء الدنيا، فهنَّ يغلبن الرجالَ، حتى ينزلوا عند رغبتهنَّ، كما قال ﷺ: **(وما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودين، أغلبَ للُبِّ الرجلِ الحازم منكنَّ)** رواه البخاري.

٣٣٣١ ـ [طرفه في: ٥١٨٤، ٥١٨٦]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٥١٨٥.

٣٣٣٢ ـ [طرفه في: ٣٢٠٨]، تقدّم شرحُه.

٣٣٣٣ ـ [طرفه في: ٣١٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً)

٣٣٣٤ ـ عَنْ أَنَسٍ بن مالك رَضِيَ اللَّه عنهُ يَرْفَعُهُ: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ).

[طرفه في: ٦٥٣٨، ٦٥٥٧].

شرحُ الحديث

أعظم الذنوب عند اللَّه: الكفرُ والإشراكُ باللَّه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

ما أشدَّ عذابَ الكافر يوم القيامة!؟ وما أعظمَ حسرته وندامته!؟ فإن اللّه عزَّ وجل يقول لأيسر أهلِ النار عذاباً يوم القيامة: لو كان لك ملكُ الدنيا بأجمعها، بما فيها من ذهب وكنوز، هل كنت تدفعه فديةً لخلاصك من هذا العذاب؟ فيقول الكافر: نعم يا ربّ!! فيقول اللّه له: لقد طلبتُ منك شيئاً أهونَ من كلِّ هذا!!؟ طلبتُ منك أن لا تشركُ بي، فامتنعتَ عن قبوله، وأبيتَ إلَّا الكفرَ والإشراكَ بربك، فاليوم لا خلاصَ ولا منجى لك من العذاب، ولن تنفعك اليومَ شفاعةُ الشافعين! نسأل اللّهَ تعالى الحفظَ والسلامة من الشركِ والكفر باللّه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ عذاب الكفار يتفاوت تفاوتاً كبيراً، فمنهم من يكون في ضحضاح من النار، ومنهم من يكون في الدرك الأسفل من النار.

الثاني: وفيه أنَّ أهل النَّارِ لا يُقبل منهم فدية، ولا تنفعهم شفاعة كما قال سبحانه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

الثالث: وفيه أنَّ الحساب يوم القيامة يكون للمؤمن والكافر، والبرِّ والفاجر ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

الرابع: وفيه أنَّ اللّه يتركه في العذاب، ويقول له: (فاليومَ أنساكَ كما نسيتني) كما ورد في الصحيح، أي فاليومَ أتركك في العذاب، كما تركتَ في الدنيا، طاعتي وأوامري.

بابُ (أَوَّلِ مَنْ سَنَّ القَتْلَ)

٣٣٣٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بن مسعود رَضِيَ اللّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قال: (لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ).

[طرفه في: ٦٨٦٧، ٧٣٢١].

شرح الألفاظ

(ابنُ آدمَ الأوَّل) هو «قابيل» الذي قَتَلَ أخاه «هابيل» بسبب اختلافهما في أمر الزواج.

(كِفْلٌ مِنْها) الكفْلُ: النصيبُ من الإثم، ويغلب في الشرِّ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] أي نصيبٌ وحظٌّ من الإثم والعقاب.

شرح الحديث

في الحديث الشريف بيانٌ بأنَّ كلَّ من استنَّ سنَّةً سيئةً، فعليه وزرُها ووزرُ من عمل بها، كما أنَّ من استنَّ سُنَّةً حسنة، فله أجرُها وأجرُ من عمل بها. إلى يوم القيامة.

هذا «قابيل» ابنُ آدم، أقدم على قتل أخيه «هابيل»، فكان أوَّلَ من سَفَكَ الدَّمَ الحرام، وأقدمَ على فعل هذه الجريمة الشنيعة، لذلك كلُّ من يُقْتَلُ ظلماً، فإنَّ «قابيل» يتحمَّلُ قسطاً من هذه الجريمة، لأنه أولُ من شرع هذه السُّنَّة السيئة، فكان مشاركاً لمن قتَلَ غيرَه، ظلماً وعدواناً.

سبب ورود الحديث

كانت «حوَّاءُ» عليها السلام تلد في كلِّ بطنٍ توأماً ـ ذكراً وأنثى ـ وقد أمرَ اللَّهُ تعالى «آدم» بأن يزوِّج كلَّ بطنٍ من البطن الآخر، فولدت «قابيلَ» ومعه أخته، وكانت أحسنَ من أخت «هابيل» حيث كانت أجملَ وأوضأ، فلم يَرْضَ قابيل بذلك، وقال: أنا أحقُّ بأختي من هابيل، فأمرهما آدمُ عليه السلام أن يُقَرِّبا قرباناً، فمن تقبَّل اللَّه قربانَه، تزوَّج بها.

فقرَّب «قابيلُ» ـ وكان صاحب زرع ـ حزمةً من زرع، من أردئ ما عنده، وقرَّب «هابيلُ» كبشاً ثميناً من خيارِ غنمه ـ وكان صاحب مواش ـ فنزلت نار من السماء، فأكلت قربان «هابيل» ولم تأكل قربانَ «قابيل» فحَسَده أخوه، وأضمر في نفسه الشرَّ له، ثم أقدم على قتله، وكانت هذه أوَّلَ جريمة تحدث في الأرض، وأوَّلَ دم يُسفح ظلماً وعدواناً، ولهذا ذكر ﷺ هذا الحديث.

وهذه خلاصة القصة كما وردت عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ قتل «قابيل» لأخيه «هابيل» كان سببُه الحسدُ، وهو كبيرةٌ من الكبائر.

الثاني: وفيه أنَّ الإنسانَ ينالُه الوزرُ العظيم، إذا أقدم على منكرٍ، واقتدى به غيرُه، فيلحقه إثمُه، كما يلحقُه ثوابُ الطاعة، لمن دعا إلى الخير، لحديث (من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجرُ من عمل بها..) الحديث.

الثالث: وفيه التخويفُ والتحذيرُ من كلِّ ذنبٍ يرتكبه إنسان، لئلَّا يتحمَّل عقوبة غيره بفعل ذلك القبيح.

تنبيه هام

لا ينافي هذا الحديثُ قولَ اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] لأن ذلك ثمرةُ بدعته، اقتدى بها أهلُ الفجور والضلالة، فهو الذي حسَّن القبيح لغيره، فنال العقاب لمن أضلَّه وأغواه.

توضيحٌ وتذكير

✵ ذكر تعالى لنا قصةَ أبناءِ آدم عليه السلام في كتابه العزيز بقوله سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] للتذكير بضخامة وشناعة «جريمة القتل» وفظاعة شؤم الحسد.

والحكمةُ من ذكرها: أن الحَسَدَ كان هو الدافعَ لحدوث هذه الجريمة الشنيعة «جريمة القتل»، أمَّا هذا الداءُ الوبيلُ «داءُ الحسد» فإنه صفةُ اليهود اللعناء، فقد كانوا ينتظرون بعثةَ خاتم المرسلين ﷺ، بفارغ الصبر، فلمَّا بُعث من العرب، ولم يكن من بني إسرائيل، حسدوا رسولَ اللَّه ﷺ وعزموا على قتله مرَّاتٍ ومرَّات، فذكر تعالى القصَّة للعظَةِ والاعتبار، وهي قصةٌ ترمز إلى الصِّراع الدائم بين الخير والشر، وبين الكفر والإيمان، ونوازع الرحمة ونوازعِ الإجرام.

بابُ قول النبي ﷺ: «الأرواحُ جُنود مجنَّدة»

٣٣٣٦ - عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي اللَّه عنها أنها قالت: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا ٱخْتَلَفَ**». **وَقَالَ يَحْيى بْنُ أَيُوبَ: حَدَّثَنِي** يَحْيَى بنُ سَعِيدٍ: بِهَذَا.

شرح الألفاظ

(**الأَرْوَاحُ جُنودٌ مُجنَّدة**) جمع رُوح وهو ما يسري في البدن من الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] أي قل لهم: إنّ الروح أمرٌ عجيب، لا يعرف أحدٌ من البشر حقيقتَها، كيف تتولَّد في الجسم؟ وما حقيقتُها؟ وما هي هذه الروحُ العجيبة؟ والمراد بالحديث: أنها أجناسٌ مجنَّسة، وجموعٌ شتَّى مختلفة، كلُّ جنسٍ يتبعُ جنسَه، فالمؤمنُ يألف المؤمن، والمنافقُ يألفُ المنافقَ، والتقيُّ يأنسُ للتقيِّ، والفاجرُ يأنس للفاجر كما قيل: (إنَّ الطيورَ على أشكالِها تقع)!.

(**فَمَا تَعارَفَ مِنها ائْتَلَفْ**) أي إذَا التقى شخصان، كلٌّ له طريقُه وسلوكُه، فمتى تعارفت القلوبُ، التقتْ على ذلك الأجسامُ، وكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي، ففيه الدعوةُ إلى سلوك طريق أهل الدين والصلاح، كما قال سبحانه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

(**وما تَناكَرَ مِنها اخْتَلَفْ**) أي إذا اختلفت القلوبُ والمشارب، تنافرت الأبدانُ والأجسام، حتى يذهب كلُّ واحدٍ، إلى ما يناسبه ويماثله، فالنفس البشرية تألف نوعَها، وتنفر ممن يخالفها.

شرح الحديث

هذا الحديث بيانٌ واضح، وبرهان ساطع، على تآلف القلوب وتنافرها، فالإنسانُ بطبعه يميل إلى من يشابهه ويماثله، الصغيرُ يميل إلى صُحبة الصغير، والعالِم يميل إلى العالِم، والجاهل يميل إلى الجاهل، والصالح يميل إلى مثله من أهل

الصلاح، والفاجرُ الفاسقُ يميل إلى أهل الفسوق والفجور، وهكذا جُبِل الإنسان على الميل إلى من يشابهه ويجانُسه، ولهذا أمر اللّه سبحانه، بمجالسة أهل الفضل والصلاح، ليكتسب منهم ما يزيده إلى التأسِّي بهم من الفضائل والخيرات، وقد رُوي أن امرأةً مغنِّية بمكة، جاءت إلى المدينة، فنزلت عند امرأةٍ مغنِّية مثلها، فقالت عائشة رضي اللّه عنها: صَدَق حِبيِّ، أي: حبيبي رسولُ اللّه ﷺ حين قال: «**الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدة**...» وذكرت الحديث الشريف.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه الترغيبُ بمجالسة أهلِ العلم والفضل، ليستفيد منهم، ويتأسَّى بسيرتهم العطرة.

الثاني: وفيه أنَّ الإنسانَ، إذا وجد نُفرةً، ممن له فضيلةٌ أو صلاح، فينبغي أن يداوي نفسه لمعرفة سبب النفور.

الثالث: وفيه التشاكل في الخير والشرِّ، فالخيِّرُ من الناس، يحنُّ إلى شكله، والشرِّيرُ يميل إلى الشرِّير، والأمثلةُ على ذلك كثيرة وشهيرة.

تنبيه

قال العلماء: قولُه (ائتلَفَ... واخْتَلَفَ) فيه إشارة لطيفة، إلى أنَّ النفسَ إذا كانت صافيةً نقية، أحبَّتْ أهلَ الفضل والصلاح، وإذا كانت فاسقة شرِّيرة، كرهتْ أهلَ الصلاح، وأحبَّتْ أهلَ الفسوق والفجور، وهذا تمثيلٌ لصفات الناس، في تقاربهم أو تباعدهم، **كما قيل**: (والجنسُ يألفُه الجنسُ)!!

٣٣٣٧ _ [طرفه في: ٣٠٥٧]، تقدّم شرحُه.

٣٣٣٨ _ انظر شرح الحديث رقم ٣٠٥٧.

٣٣٣٩ _ [طرفه في: ٤٤٨٧، ٧٣٤٩]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٤٨٧.

٣٣٤٠ _ [طرفه في: ٣٣٦١، ٤٧١٢]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٧١٢.

٣٣٤١ _ [طرفه في: ٣٣٤٥، ٣٣٧٦، ٤٨٦٩، ٤٨٧٠، ٤٨٧٢، ٤٨٧٣، ٤٨٧٤].

٣٣٤٢ _ [طرفه في: ٣٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٣٤٣ _ [طرفه في: ١٠٣٥]، تقدّم شرحُه.

٣٣٤٤ ـ [طرفه في: ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٥ز٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٣٥١.

٣٣٤٥ ـ [طرفه في: ٣٣٤١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (هَلَاكِ العَرَبِ بالفِسْقِ والفُجُورِ)

٣٣٤٦ ـ عَنْ زَيْنَبَ بنت جَحْشٍ رَضِيَ اللَّه عَنْها: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْها فَزِعاً يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ». وحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهامِ والَّتِي تَلِيها، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وفِينا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»).

[طرفه في: ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥].

شرح الألفاظ

(دخل فَزِعا) أي دخل عليها الرسولُ ﷺ متغيِّر الوجه، حزيناً مذعوراً.

(رَدْم يَأْجُوج) الرَّدْمُ: السدُّ العظيمُ، وهو أكبر من السدِّ وأمتنُ، قال تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] أي سداً منيعاً حاجزاً.

(كَثُر الخبثُ) أي إذا كثرت المعاصي والآثام، وارتُكبت المنكراتُ والفواحش، وأصلُ الخَبَثِ: الشيءُ المستقبَحُ النَّجِسُ، الذي ينفر منه الإنسانُ، ويُطلق على كل منكر قبيح، من القول، أو العمل، قال تعالى عن (لوطٍ) عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

شرح الحديث

في هذا الحديث الشريف علامةٌ من علامات النبوة، ممَّا يدعو إلى اليقين الكامل، بصدق خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، فقد نبَّه ﷺ إلى ما يحصل في آخر

الزمان، للعرب الذين هم أصلُ الإسلام وعمادُه، حيث كثُرت الفتنُ والكوارثُ على الأمة الإسلامية، وحلَّتْ بهم النوائبُ والمصائبُ، بطريقٍ مذهلٍ عجيب، يكاد لا يُتصوَّر!

ولكنْ ينبغي أن نعرف ما هو السبب في حدوث هذا البلاء، إنه بلا شكّ الانحرافُ عن هداية اللَّه، وانتشارُ المعاصي والمنكرات، وهجرُ القوانين الإسلامية، واستبدالُها بالقوانين الأجنبيّة، التي تُناوئ الأحكامَ الشرعية، وبسبب ذلك حلَّ هذا البلاءُ!

وهذه بوادرُ المعجزة النبوية، التي أخبر عنها الصَّادقُ المصدوق ﷺ، وهي الإخبار الغيبيُّ عمَّا سيحدث للعرب والمسلمين، من قتال، وخراب، ودمار، ظهر في عصرنا الحاضر، في العراق، وفلسطين، والجزائر، والشيشان، والسودان، وغيرها من البلاد العربية والإسلامية، وهنا تظهر النبوةُ حين سألت أمُّ المؤمنين زينبُ رضي اللَّه عنها وقالت: (أنهلك وفينا الصالحون)؟ يُجيبها سيدُّ الخلق ﷺ: **(نعم إذا كَثُرَ الخَبثُ)** أي كثرت الفواحشُ والمنكرات، ولم يعد من يقوم بالأمر بالمعروف، والنَّهيِ عن المنكر!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف أنَّ كثرة الفواحش والمنكرات سببٌ لهلاك الشعوب والأمم.

الثاني: وفيه أنَّ البلايا والفتن التي تحيق بالأمة، سببها الإعراضُ عن هداية السماء كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

الثالث: وفيه أنَّ الهلاك يعمُّ الأممَ، إذا كثر فيها الفسوق والفجور، حتى يعمَّ الصالحَ والطالحَ، كما قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

٣٣٤٧ ـ [طرفه في: ٧١٣٦]، تقدم شرحه في الحديث رقم ٣٣٤٦.

❁ ❁ ❁

بابُ (نِداءِ اللَّهِ لآدمَ يوْمَ القِيامَة)

٣٣٤٨ ـ عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعالى: يَا آدَمُ، فَيقُولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والْخَيْرُ في يَدَيْكَ، فيَقولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وما بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وتِسْعَةً وتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وتَضَعُ كلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَملَها ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وأَيُّنا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ أَلْفاً. ثمَّ قَالَ ﷺ: والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ». فَكبَّرْنا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ». فَكَبَّرْنا، فقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ». فَكَبَّرْنا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ في النَّاسِ إِلّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْداءِ، في جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ بَيْضاءَ، في جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»).

[طرفه في: ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣].

شرح الألفاظ

(لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ) جملة تدلُّ على سرعة الاستجابة، والطاعة لمن ينادي غيره، ومعناها: أجيبُك إجابةً سريعةً بعد إجابة مع الطاعة، وأسعَدُ بندائك سعادةً بعد سعادة.

(والخَيْرُ في يَدَيْكَ) أي وجميعُ الخير، مبدؤه منك وإليك، لا يشاركك فيه أحد.

(بَعْثَ النَّارِ) أي أعدادَ النار من ذريتك، والمراد بهم الأشقياءُ والكفّارُ ممن يستحقون دخول نار الجحيم.

(يَشِيبُ الصَّغِيرُ) تمثيل لشدة الهَوْل والفزع، وهو من باب (الاستعارة) لتفخيم أمر الهول والشدة، كأنه من شدة الهول، شابَ لِهَوْلها الصغيرُ، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

(وتَضَعُ حَمْلَهَا) تمثيلٌ آخرُ للهول والشدة، كما تقول العربُ: أصابنا أمر عظيم، يشيب له الولدانُ، وتُسقط له الحاملُ حملها، أي من هول الموقف.

(شَطْرُ أَهْلِ الجَنَّةِ) أي نصفُ من يدخل الجنة، من عامَّة الخلائق، وَوَرَدَ في رواية أخرى، بلفظ (نصفُ أهل الجنة).

(فَكَبَّرنَا) أي فرحاً وابتهاجاً حين ذلك، فقالوا: اللَّهُ أكبرُ، اللَّهُ أكبر.

(كَالشَّعرَةِ السَّوْدَاءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ) أي ما أنتم بالنسبة لسائر الأمم، إلّا كشعرة سوداء، في جسم ثور، كلُّ جسده أبيضُ، وفيه إشارةٌ إلى كثرة الكفار من أهلِ النارِ، بالنسبة لأمة محمد ﷺ.

شرحُ الحديث

هذا تمثيلٌ لِهَوْل يوم الحشر، وما يكون فيه من الشدائد والأهوال، حيث ينادي ربُّ العزة والجلال أبا البشر (آدم) عليه السلام، فيقول له: افْصِلْ أهلَ النار من ذريتك، عن أهل الجنة، فيقول: يا ربّ، وكم عددُ أهل النار؟ فيقول اللَّه له: من كل ألفٍ تسعمائةٌ وتسعةٌ وتسعون إلى النار، وواحدٌ من الألف إلى الجنة!!

فلذلك فزع الصحابة رُضوان اللَّه عليهم وقالوا: من الذي ينجو إذاً منا؟! فقال لهم ﷺ: **(أبشروا فأنتم نصفُ أهل الجنة)**، فسرُّوا واستبشروا بهذه البشارة العظيمة، وكبَّروا ربَّهم، على هذه النعمة الجليلة، فأمةُ محمد ﷺ أكثرُ أهل الجنة، بل ورد أنهم «ثلثا» أهل الجنة، والبقيةُ وهي الثلث، من سائر الأمم.

وأمَّا أهلُ النار، فهم من «يأجوج ومأجوج» وهم لكثرتهم مثلُ النمل، لا يُحْصَون عدداً، والتشبيهُ بالثور الأبيض، وفي جسده شعرةٌ سوداء، للتنبيه على أنه لا نسبة بين أهل الجنة، وأهل النار، من المؤمنين والكفار، وفيه تصوير رائع بديع، للإشارة إلى الفارق الكبير بين أهل الجنة وأهل الجحيم، أجارنا اللَّه بفضله وكرمه من النار وأهلها.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ أهوالِ الموقف يوم القيامة، وشدَّةِ ما فيها من الأفزاع والأهوال.

الثاني: وفيه بيانُ كثرةِ أهلِ النار، وقلَّةُ أهل الجنة، بالنسبة للكفار الفجار.

الثالث: وفيه فضلُ أمة محمد ﷺ، فهم آخر الأمم وجوداً، وأكثرهم كرامةً وعدداً في الجنة.

الرابع: وفيه التمثيلُ البديعُ للأهوال، بمشيب الصغار، وإسقاط الحامل لجنينها.

الخامس: وفيه وجودُ أمة مفسدة كافرة، تسمى «يأجوج ومأجوج» وقد ذُكرت في القرآن الكريم، في معرض الكثرة والذمِّ، بسبب كفرها وفسادها، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۞ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

باب (كَيْفَ يُحشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ)؟

٣٣٤٩ - عَنْ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حفاةً عُراةً غُرْلاً، ثمَّ قَرَأَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيامَةِ (إِبْراهيم)، وإِنَّ أُناساً مِنْ أَصْحابي، يُؤْخذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَال، فأَقُولُ: أَصْحَابي، أَصْحَابي! فَيقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزالُوا مُرْتَدِّينَ على أَعْقَابِهِمْ، مُنْذُ فارَقْتَهُمْ، فأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾» [الأنبياء: ١١٧، ١١٨]).

[طرفه في: ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦].

شرح الألفاظ

(مَحْشورُون) من الحشر بمعنى الجمع، أي تُخْرجون من قبوركم، وتُجْمعون للحساب والجزاء، يوم القيامة.

(حُفَاةُ) جَمعُ حافٍ، وهو من ليس في رجليه نعلٌ، يمشي حافيَ القدم.

(عُراة) جَمعُ عارٍ، وهو الذي ليس على بدنه شيءٌ من الثياب.

(غُرْلاً) جَمْعُ أغْرل، وهو الذي لم يُخْتنَ، وهي الجِلْدةُ التي تُقطع في الختان من الذَّكر.

قال البدرُ العينيُ: والحكمةُ من عودة الجلدة إليه، هي أنهم يُحشرون كما خُلقوا، لا شيءَ معهم، ولا يُفقد منهم شيء، حتى الغُلفَة، قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

(ذات الشِّمال) أي يُؤخذ بهم إلى (نار جهنم)، كنَّى بذات الشمال عن نار الجحيم.

(فأقول أصحابي) أي أقول هؤلاء يا ربّ، من أمتي وأتباعي.

(مُرْتَدِّين على أعْقابهِمْ) أي رجعوا إلى ضلالهم وكفرهم، وهؤلاء هم المنافقون والخوارجُ، أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، ثم عادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال.

(العَبْدُ الصَّالِحُ) المراد به (عيسى ابنُ مريم) عليه السلام، لقوله تعالى عنه: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨].

شرحُ الحديث

هذا الحديث الشريف جزءٌ من خُطبةٍ خَطَبها رسولُ اللَّه ﷺ في أصحابه، كما في رواية الصحيح عن ابن عباس رضي اللَّه عنه، أنه قال: (سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يخطبُ على المنبر، يقول: (**أيها الناسُ إنكم ملاقوا اللَّهِ حُفاةً، عُراةً، غُرْلاً**) وذكر الحديث، فالناسُ يُحْشرون يوم القيامة، كما خُلقوا أولاً، حُفاةً ليس في أقدامهم شيء من النعال، عُراةً ليس على أجسادهم شيءٌ من الثياب، حتى جلدةُ الختان التي تُقطع من الذَّكَر، تعود إليهم، كما بدأهم اللَّه أول مرة يعودون، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وأولَ من يُكسى يوم القيامة سيدنا (إبراهيم) عليه السلام، لأنه أُحرق في النَّار من أجل اللَّه، فيكسوه اللَّه يوم القيامة حُلَّةً من الجنَّة، ثم يُكسى محمد ﷺ وسائرُ الأنبياء والمرسلين.

ولمَّا سمعت أمُ المؤمنين عائشةُ رضي اللَّه عنها، من رسول اللَّه ﷺ، أنَّ النَّاسَ يحشرون يوم القيامة عُراةً، قالت: (يا رسول اللَّه الرجالُ والنساءُ، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: نعم، قالت: واسَوْءتاه! فقال لها ﷺ: (**الأمرُ أشدُّ وأعظمُ من أن ينظر بعضُهم إلى بعض لقوله سبحانه:** ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]).

أمَّا الذين يُؤخذ بهم إلى جهنم، فهم المنافقون، والفُجَّار المرتدُّون عن دين الإسلام، ولا يراد بهم أصحابُه الكرام، وإنما هم من أمته، المحسوبون أنهم من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، لكنهم ارتدوا عن الإسلام لشيء من حُطَام الدنيا، ولذلك يتبرَّأ منهم ﷺ يوم القيامة، ويقول: (**سُحْقاً لهم سُحْقاً**).

ما يُستفاد من الحديث

أولاً: فيه بيانُ أهوالِ وشدائدِ يومِ القيامة، وما سيحدث للبشر، يوم الحشر والنشر، من أفزاعٍ وأهوال، تطيش لها العَقولُ.

ثانيا: وفيه منقبة ظاهرة وفضيلةٌ عظيمة لأبي الأنبياء (إبراهيم) عليه السلام، حيث يكون أوَّلَ من يُكسى يوم القيامة، لأنه أُحرق في الدنيا بالنار، فيكون أوَّل من يُكسى.

ثالثاً: وفيه أنَّ أهل النفاق والضلال، ممن ينتسب إلى الإسلام، يُساقون إلى نار الجحيم، وإن كانوا في الدنيا يُحسبون من المسلمين.

رابعاً: وفيه أنَّ الرسولَ ﷺ يتبرَّأ ممن زاغَ وانحرف عن الدِّين، ويقول: **(سُحقاً، سُحقاً)!** ولا يملك الرسولُ ﷺ، أن يشفع لهم يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

بابُ (ما يَلْقَى بِهِ إبْراهِيمُ أباه آزَرَ)

٣٣٥٠ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (يَلْقَى إبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وعَلى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِني؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إنَّكَ وَعَدْتَني أَنْ لَا تُخْزِيَني يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فأَيُّ خِزْيٍ أَخْزى مِنْ أَبي الأبْعَدِ؟ **فَيَقُولُ اللَّهُ تَعالى**: إنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إبْرَاهِيمُ، مَا مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فإذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيُلْقَى في النَّارِ).

[طرفه في: ٤٧٦٨، ٤٧٦٩].

شرح الألفاظ

(قَترةٌ وغَبَرةٌ) القَتَرةُ: الظُّلمةُ وسوادُ الدخان، والغَبَرةُ: الغُبارُ القاتم، قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠، ٤١] أي عليها غبارٌ ودخان كثيف، من نار جهنم.

(خِزْيٌ) أيْ هوانٌ وذلٌّ، يفتضح به الإنسانُ على رؤوس الأشهاد.

(ذِيخ) بكسر الذال: الذَّكَرُ من الضِّباع، الكثيرُ الشَّعر، ويُقال للذنئب أيضاً: ذِيخٌ.

شرحُ الحديث

يرى الخليلُ سيدنا (إبراهيمُ) عليه السلام أباه «آزر» يوم القيامة، وعلى وجه أبيه الظلمةُ والغبارُ الكثيف، فينكسر قلبُ إبراهيمَ لهذا المنظر المُفْجع، ويطلب من ربه أن يُنجي أباه، ويغفر له ذنبه، فيقول اللّه عز وجل لإبراهيم: إني قد حرَّمتُ الجَنَّة على الكافرين، وأبوك آزر كافر، ثم يقول تعالى له: انظر إلى ما تحت قدميك؟ فيرى أباه في صورةٍ فظيعةٍ شنيعة، صورةِ (ضَبْع) من الضِّباع المتوحِّشة، ملطَّخ بالدِّماء والنجاسة - صورة تمثيلية لعمله القبيح - فيفزَع إبراهيمُ من هذه الصورة القَبيحة، ويتبرأ منها ومن صاحبها، ثم يُؤمر بطرحها في نار الجحيم.

تنبيهٌ لطيفٌ هامٌ

يظهر من مجموع الروايات، أنَّ اللّه تعالى سيغيِّر صورة (آزَر) والد إبراهيم، إلى غير صورته الحقيقية، التي كان عليها في الدنيا، حتى لا يكون في دخوله النارَ، خزيٌ لإبراهيمَ، لأن اللّه وعده أن لا يُخزيه، فإذا مُسخ بصورة ضَبْع، متلطِّخ بالدماء، وألقي في النار، لا يبقى لإبراهيم نظرة حسرة وتفجع على أبيه. وانظر فتح الباري ٨/ ٣٥٨.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ آزر والد إبراهيم لم يؤمن باللّه ومات على الكفر، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] وهذا هو الصحيحُ من الأقوال، كما قال المفسرون.

الثاني: وفيه أنَّ الحَسَبَ والنَّسب لا ينفع يوم القيامة، إذا لم يؤمن الإنسانُ باللّه، فلذلك لم يستطع (إبراهيمُ) عليه السلام الشفاعةَ لأبيه، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثر: ٤٨].

الثالث: وفيه أنَّ عملَ الإنسان يتمثَّل له يوم القيامة بصورةٍ حسنة، أو قبيحة، حسب عمَلِهِ في الدنيا.

الرابع: وفيه أنَّ الكفر لا يضرُّ إلا صاحبَه، فلم يؤثِّر كفرُ (آزر) على أبيه إبراهيم، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثر: ٣٨].

٣٣٥١ - [طرفه في: ٣٩٨]، تقدّم شرحُه.

٣٣٥٢ - [طرفه في: ٣٩٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (خِيَارِ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى)

٣٣٥٣ - عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ». فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ؟ قَالَ: (فَيُوسُفُ نبيُّ اللَّهِ)، ابْنُ نَبيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَليلِ اللَّهِ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ، خِيارُهُمْ في الإِسْلَامِ، إِذَا فَقُهُوا»).

[طرفه في: ٣٣٧٤، ٣٣٨٣، ٣٤٩٠، ٤٦٨٩].

اللغة

(مَعادنَ النَاسِ) أي أصولُهم التي ينتسبون إليها. (فَقُهوا) أي تفقَّهوا وتعلَّموا أمور دينهم.

شرح الحديث

سأل بعضُ الصحابة رسولَ اللَّه ﷺ عن أفضل الناس عند اللَّه تعالى؟ فقال لهم: **(أتقاهم عند اللَّه)** لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فقالوا: يا رسولَ اللَّه، لا نسألك عن هذا؟ فقال لهم ﷺ: (أكرمُهم «يوسفُ»

نبيُّ اللَّه، ابنُ نبيُّ اللَّه، ابنُ نبيِّ اللَّه، ابنُ خليل اللَّه (إبراهيم) عليه السلام)، فكرَّروا عليه السؤال، فقال لهم ﷺ: (أتسألون عن أصولِ العرب؟ إنَّ أفضلَهُم عند اللَّه، من كان من أشرافهم في الجاهلية، ثم شرح اللَّهُ صدره للإسلام، وتفقَّه في دين اللَّه، فهذا من خيرِ النَّاسِ عند اللَّه).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ الفضلَ عند اللَّه ليس بالأحساب والأنساب، إنما بالإيمانِ والتقوى والعملِ الصالح.

الثاني: وفيه فضيلةُ التفقُّه في الدين، فإنه سببُ سعادة الإنسان، لقوله ﷺ: **(مَنْ يُرِدْ اللَّه بِهِ خيراً يفقهه في الدين)** رواه البخاري.

الثالث: وفيه بيانُ فضل (يوسفَ بنِ يعقوب) عليه السلام، فإنه كما قال ﷺ: **(إنَّ الكريمَ ابنَ الكريم، ابنِ الكريمِ، ابنِ الكريم، يوسفُ بنُ يعقوب، ابنُ إسحاقَ، ابنُ إبراهيم)**.

الرابع: وفيه فضلُ من كان في الجاهلية من أشراف الناس، ثم ازدادَ شرفاً في دخوله بالإسلام، فجَمع بين الشرفَيْن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [القصص: ٥٤].

باب (رُؤْيَةِ الرَّسُولِ ﷺ لإبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

٣٣٥٤ ـ عَنْ سَمُرَةَ بن جُنْدب رِضِيَ اللَّه عنهُ، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: (أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيانِ، فأَتَيْنا على رجُلٍ طَوِيلٍ، لَا أَكَادُ أَرَى رأْسَهُ طُولاً، وإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ).

[طرفه في: ٨٤٥].

شرحُ الحديث

هذا طَرَفٌ من حديث طويل، أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز)، وهي رؤيا

منامية رآها رسول اللَّه ﷺ، فقد جاءه مَلَكان، بصورة رجلين، ولفظُه: (**رأيتُ الليلة رجلين أتياني، فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فانطلقنا حتى انتهينا إلى (روضةٍ خضراءَ)، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخٌ وصِبيانٌ، وإذا رجلٌ قريبٌ من الشجرة، بين يديه نارٌ يوقدها، فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني في دارٍ لم أر قطُّ أحسنَ منها، فيها رجالٌ، شيوخٌ، وشباب، ونساءٌ وصبيان، ثم أخرجاني منها، فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني داراً، هي أحسنُ وأفضل، فيها شيوخٌ وشباب**.

قلتُ: طوَّفتماني الليلةَ فأخبراني عما رأيتُ!

قالا: أمَّا الشيخُ الذي رأيتَ في أصل الشجرة، فهو (إبراهيمُ) عليه السلام. والصِّبيانُ حوله أولادُ النَّاس.

والدارُ الأولى التي دخلتَ، دارُ (عامة المؤمنين)، وأمَّا هذه الدار (دارُ الشهداء)، وأنا جبريلُ، وهذا ميكائيلُ.

وارفعْ رأسَك فرفعتُ رأسي، فإذا فوقي مثلُ السحاب، قالا: ذاكَ منزلك!! قلتُ: دعاني أدخلُ منزلي، قالا: إنه بقي لك عُمْرٌ، لم تستكمله، فلو استكملتَه أتيتَ منزلك) اهـ.

ما يُستفاد من الحديث

الاول: في الحديث جوازُ قصِّ الرؤيا المنامية على غيره، لتعبيرها له، كما كان ﷺ يفعل مع الصحابة.

الثاني: وفيه أنَّ رؤيا الأنبياء حقٌّ، لأنَّ الشيطان لا يتمثَّل بهم، وما رآهُ رسولُ اللَّه في منامه عن «إبراهيم» و«موسى» رؤيا صادقة، وعليه يدلُّ الحديث الآتي ذكره:

بابٌ (أَشْبهُ النَاسِ بِإِبْرَاهِيم مُحمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)

٣٣٥٥ ـ عَنْ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنهُ قَالَ: (قال رسول اللَّه ﷺ: «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ، فَانْظُرُوا إِلى صاحِبِكُمْ، وأَمَّا مُوسَى فَجَعْدٌ آدَمُ، عَلى جَمَلٍ أَحْمَرَ، مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ، كأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ انْحَدَرَ في الْوَادِي»).

[طرفه في: ١٥٥٥].

شرحُ الحديث

هذا الحديث يؤيِّد ما ذكرناه، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ رأى إبراهيمَ وموسى عليهما السلام بصورتهما الحقيقية، ولذلك قال: **(أمَّا إبراهيمُ فانظروا إلى صاحبكم)** يشير النبيُّ ﷺ إلى نفسِهِ، لأنه ﷺ كان أشبَهَ الناس بإبراهيم عليه السلامُ.

وأمَّا نبيُّ اللَّه موسى عليه السلام، فقد رآه ﷺ جَعْد شعر الرأس ـ أي غير مسترسل ـ أسمَرَ اللون، يركب على جملٍ أحمرَ، يسوقه بحبلٍ من ليفٍ، منحدرٍ في الوادي. هكذا رأى رسولُ اللَّه ﷺ في منامه (إبراهيم، وموسى عليهما السلام)، وقصَّ هذه الرؤيا على أصحابه، وهذه الرؤيا تنطبق تماماً على حقيقة صورتهما، فهي رؤيا حقّ، رآها رسولُ اللَّه ﷺ في منامه، وأخبر بها أصحابَه.

ولهذا الحديث ـ كما في البخاري ـ بدايةٌ، وهي عن مجاهد (أنه سمع ابنَ عباس ـ وذكروا له الدجَّالَ ـ بين عينيه مكتوبٌ كافر أو (كَ فَ رَ)، فقال ابنُ عباس: لم أسمعه، ولكنه قال: أمَّا إبراهيمُ، فانظروا إلى صاحبكم..) وذكر الحديث.

بابُ (قِصَّة اخْتِتَانِ إِبْرَاهِيمَ عليهِ السَّلَامُ)

٣٣٥٦ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: (اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً، بالْقَدُومِ).

[طرفه في: ٦٢٩٨].

شرحُ الحديث

إبراهيمُ عليه السلام أبو الأنبياء خليلُ الرحمن، جعل اللَّه في ذريته النبوَّة، وأمر بالتأسِّي به في أعماله وأخلاقه، وقد أخبرَ ﷺ أنه اختتن وعمرُه (ثمانون سنة) بالقَدُوم ـ وهي الآلة التي يستعملها النجَّارُ ـ وذلك حين عَرَف بطريق الوحي الإلٰهي، أنَّ

الاختتانَ للرجال، من سُنَن الفطرة، فأقدم على ذلك، وهو في عُمُر كبير، لتقتدي به ذريته، فصار الخِتانُ سُنَّة معمولاً بها مدى الحياة.

قال الحافظ ابنُ حجر: (القَدُومُ بالتخفيف: آلةُ النجَّار، وقد اختتن به إبراهيمُ وهو ابنُ (ثمانين سنة)، وحين اختتن اشتدَّ عليه الأمر - أي صَعُب عليه أمرُ الخِتَان - فأوحى اللَّه إليه، أن قد عَجِلتَ، قبل أن نأمرك بآلته، فقال: يا ربِّ كرهتُ أن أؤخِّر أمرَك) اهـ. فتح الباري ٦/ ٣٩٠.

ما يُستفاد من الحديث

فيه أنَّ الخِتانَ سُنَّةٌ موروثةٌ عن أبي الأنبياء، وهو ممَّا أقرَّته التوراةُ، وجاء به الإسلامُ، ولم يزل الخِتانُ مشروعاً إلى زمن عيسى عليه السلام، فغيَّر النصارى ما جاء في التوراة من ذلك، عداءً لليهود، وغيَّروا ما جاء في حكم التوراة، فتركوا المشروعَ من الخِتَان، فهم لا يختتنون، مع أنه شريعةٌ في جميع الأديان السماوية!

٣٣٥٧ - [طرفه في: ٢٢١٧]، تقدّم شرحُه.

باب (إبْرَاهيمُ عَلَيهِ السَّلامُ والكَذِبَاتُ الثَّلاثُ)

٣٣٥٨ - عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن رسول اللَّه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السلامُ إِلّا ثَلَاثَ كَذِباتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ في ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ. قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]. وقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وقَالَ: «بَيْنا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ و(سارةُ)، إِذْ أَتَى عَلى جَبَّارٍ مِنَ الجَبابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هاهُنَا رجُلاً مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسأَلَهُ عَنْها، فَقالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتي، فأَتَى سارَةَ فَقَالَ: يَا سارَةُ لَيسَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وغَيْرُكِ، وإِنَّ هَذا سأَلَني فأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتي، فَلا تُكَذِّبيني!!

فأَرْسَلَ إِلَيْها، فلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَناوَلُها بِيَدِهِ فأُخِذَ، فَقالَ: ادْعِي اللَّهِ لِي ولَا أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللَّهَ فأُطْلِقَ. ثُمَّ تَناولَها الثَّانِيَةَ فأُخِذَ مِثْلَها أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ:

ادْعِي اللَّهَ لِي ولَا أَضُرُّكِ، فَدَعَتْ فأُطْلِقَ، فَدَعا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تأْتُونِي بإِنْسانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمونِي بِشَيْطانٍ، فأَخْدَمَها (هاجَرَ)، فأَتَتْهُ وهْوَ قَائِمٌ يُصلِّي، فأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَمْ، قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكافِرِ ـ أَوِ الفاجِرِ ـ في نَحْرِهِ، وأَخْدَمَ هاجَرَ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تِلْكَ أُمُّكمُ، يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ).

[طرفه في: ٢٢١٧]

شرحُ الحديث

أخبر ﷺ أنَّ إبراهيم عليه السلام لم يكذب في حياته قطُّ، إلَّا **(ثَلَاث كَذَبَاتٍ)** وتسميةُ ما صدر من سيدنا إبراهيم عليه السلام كذبات، إنما هو بالنسبة إلى الظاهر، أمَّا في الحقيقة، فإنه غير كذب، لأنه ورد بطريق «التورية».

فقولُ إبراهيم عن «الكوكب» و«القمر» و«الشمس» ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] إنما جاء بطريق الاستدراج لقومه، ليعرِّفهم خطأهم وجهلهم، وأراد بقوله (هذا ربي) السخريةَ والاستهزاء، أي هذا ربي على زعمكم السخيف، وكلامُه إنما كان في «مقام المناظرة» لا في مقام «الاستدلال والنظر» وحاشا الخليل أن يشكَّ في معرفة الربُ الجليل، ولهذا ختم اللَّه القصة بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣] فهو استدراجٌ لهم، حتى يقيمَ الحُجَّةَ عليهم.

وقولُه في قصة تحطيم الأصنام: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩].

لم يُرد به مَرَضَ الجَسَد، وإنما أراد مَرَض القلب، من عبادتهم للأصنام، وليس هذا من الكذب، وإنما هو من «المعاريض» الجائزة لغرضٍ شرعيٍّ، كما جاء في الحديث الصحيح: **(إنَّ في المعارِيض لمندوحةً عن الكذب)** أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وليس هذا من الكذب، وإنما هو من البيان البديع، لصرف السامع عن مراد الإنسان، بالطَّريق الحكيم.

وقولُه أيضاً عن زوجته: (إنها أختي) أراد بها أختَه في الدِّين والعقيدة، أي «أختي في الإسلام» لأن الطاغية الجبَّارَ، كان من عادتِهِ أن لا يتعرَّض إلَّا إلى ذات الأزواج، ولا يرضى أن يكون عند أحدٍ، زوجةٌ أجملُ من زوجته، فكان يقهر زوجها ويسلبها منه، ولهذا قال سيدنا إبراهيم: إذا سألكِ فقولي له: (إنَّكِ أختي) فليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرُك.

(ثِنْتَيْنِ في ذَاتِ اللّٰهِ) أي هما من أجلِ اللّٰه، دفاعاً عن الحقِّ، الذي ارتضاه اللّٰه عزَّ وجل.

(يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ) أي أراد الظالمُ الفاجر أن يمسكها ليأخذها غصباً.

(فأُخِذَ) أي قُبِضَت يدُه، واختنق حتى كاد يهلك.

(مَهْيَم)؟ أي ما شأنكِ وما الخبر؟

(وأَخْدَمَ هَاجَرَ) أي أهدى الطاغيةُ الجبَّار (هاجَرَ) لسارة عليها السلامُ.

شرحُ الحديث

رسولُ اللّٰه ﷺ يثني على إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام، ويخبر أنه كان أمةً وحده، جَمَع اللّٰهُ فيه صفاتِ الوفاء، والكمالِ الخُلقي، فقد كان تقيًا وفيًا ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] وقد اعتذر عنه رسولُ اللّٰه ﷺ، بأنه قد صَدَر عنه بعضُ أقوال، يوهم ظاهرُها عدمَ الصدق، ولكنها في الحقيقة عباراتٌ صادقة، عرَّض بها على قومه، بطريق «التورية» عمَّا يريد منها، مثلُ قوله (إني سقيم) أي سقيمُ القلب من عبادتكم للأصنام، ومثلُ ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ أراد به السخريةَ والاستهزاء بهم، وبآلهتهم المزعومة، فإنَّ من المعلوم، أنَّ أصناماً من حجارة، لا تستطيع أن تفعل شيئاً، ولذلك قال لهم: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]! وهذا غاية في السخرية والتهكم.

وقوله عن زوجته: إنها أختي. قصد بها (أخوَّةَ الإسلام) ومثلُ هذا لا يُسمى كذباً، لأنه من معاريض الكلام (وإنَّ في المعاريض، لمَنْدوحةً عن الكذب) كما جاء به الحديث الشريف.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: مشروعيةُ جواز أن يقول الإنسان: هذا أخي، ويقصد به (الأخوَّة الإيمانية) دون أخوَّة النسب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات].

الثاني: وفيه قبولُ هديَّةِ المشرك، وهديَّةُ الملِكِ الظالم، فقد أهدى الكافرُ الظالمُ السيدة «هَاجَرَ» إلى زوجة إبراهيم.

الثالث: وفيه إجابةُ الدعاء لمن أخلصَ النيَّةَ للّٰه، فكفاه اللّٰه شرَّ الأشرار.

الرابع: وفيه أنَّ من نابَه كربٌ أو شدة، أن يفزع إلى الصلاة، كما فعل إبراهيم عليه السلام.

الخامس: وفيه كرامةٌ عظيمة للسيدة (سارة) عليها السلام، حيث أخذ اللّه الظالم، فشَلَّت يَدُه وكاد يموت.

السادس: وفيه أنَّ الإشارة باليد في الصلاة، دون الكلام لا يَضُرُّ، لقوله: (فأومأ بيده).

السابع: وفيه أنَّ إسماعيل عليه السلام وُلد من «هاجر»، ولهذا قال أبو هريرة: (فَتِلْكَ أُمّكُمْ يا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ)، فإسماعيلُ عليه السلام رُبِّي من (ماء زمزم) مع أمه، والماءُ نزل من السماء، فأُضيفَ إلى ماء السماء وهي ملاطفةٌ بديعة.

باب (أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَتْلِ الوَزَغِ)

٣٣٥٩ ـ عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللّه عَنْها: (أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ، وقَالَ: «كَانَ يَنْفُخُ عَلى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»).

[طرفه في: ٣٣٠٧].

اللغة

(الوَزَغُ): دويبةٌ صغيرة تدخل البيوتَ، وتسير على بطنها على الجدران، وهي مؤذيةٌ ويقال لكبارها: «سَامُ أَبْرَصَ» ولهذا أمر الرسولُ ﷺ بقتلها، لما فيها من الأذى والضرر.

تنبيه لطيفٌ

في هذا الحديث إشارةٌ إلى قصة رمزية لطيفة، وهي أنَّ إبراهيم عليه السلام لمَّا أرادوا إحراقَه بالنار، جاءت الضِّفْدعُ بشيءٍ من الماء في فمها، تريد أن تُطفئ النَّار على إبراهيم، وجاء الوَزَغُ ينفخُ على النار لإشعالها، فلم تُطفأ النارُ بماء الضفدع، ولم يشتعل لهبُها بنفخ الوَزَغ فيها، وإنَّما رَمَز كلٌّ منهما إلى ما فيه نفسه، من الحبِّ أو العداوة، ولهذا وردت الإشارة إلى هذا بقوله ﷺ: **(وكان ينفخ على إبراهيمَ عليه السلام)**.

٣٣٦٠ - [طرفه في: ٣٢]، تقدّم شرحُه.
٣٣٦١ - [طرفه في: ٣٣٤٠]، تقدّم شرحُه.
٣٣٦٢ - [طرفه في: ٢٣٦٨]، تقدّم شرحُه.
٣٣٦٣ - [طرفه في: ٢٣٦٨]، تقدّم شرحُه.

باب (قِصَّةِ ماءِ زَمْزَمَ وَهاجَرَ أمِّ إسْماعِيلَ علَيْهِما السَّلامُ)

٣٣٦٤ - عَنْ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ أنَّه قال: (أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّساءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ (أمِّ إسْمَاعيلَ)، اتَّخذَتْ مِنْطَقاً لِتُعفِّيَ أثَرَها عَلى سارةَ، ثُمَّ جاءَ بها إبْرَاهيمُ وبابْنِها إسْمَاعيلَ - وهْيَ تُرْضِعُهُ - حتَّى وضَعَهُمَا عندَ البَيْتِ، عنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ، في أَعْلَى المَسْجدِ، ولَيْسَ بِمكَّةَ يوْمَئِذٍ أَحَدٌ، ولَيْسَ بِها مَاءٌ، فَوضعَهُمَا هُنالِكَ، ووضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَاباً فيهِ تَمْرٌ، وسِقَاءً فيهِ مَاءٌ.

ثمَّ قَفَّى إبْراهِيمُ مُنْطلِقاً، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسْمَاعيلَ، فقَالَتْ: يا إبْراهيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وتَترُكُنا بهٰذَا الْوَادِي، الّذِي لَيسَ فيهِ إنْسٌ ولا شَيْءٌ؟ فقَالَتْ لهُ ذلِكَ مِراراً، وجعَلَ لا يَلْتفِتُ إِلَيْها، فقَالَتْ لهُ: آللَّهُ الّذِي أمَركَ بهٰذَا؟ قَالَ: نعَمْ، قَالَتْ: إذَنْ لا يُضَيِّعَنا. ثمَّ رَجَعَتْ.

فَانْطلَقَ إبْراهيمُ حتَّى إذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لا يَروْنَهُ، اسْتَقْبلَ بوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعا بِهؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ، ورَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ - حتَّى بلَغَ - ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وجَعلَتْ أُمُّ إسْمَاعيلَ تُرْضِعُ إسْمَاعيلَ وتَشْرَبُ منْ ذَلِكَ المَاءِ، حتَّى إذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وعَطِشَ ابْنُها، وجَعلَتْ تَنْظُرُ إلَيْهِ يَتلَوَّى - أَوْ قَالَ يَتلَبَّطُ - فانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفا أَقْرَبَ جبَلٍ في الأرْضِ يَلِيها، فقَامَتْ علَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحداً فَلَمْ تَرَ أَحَداً.

فَهَبَطَتْ منَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِها، ثمَّ سَعَتْ

سَعْيَ الإِنْسانِ المَجْهُودِ حتَّى جاوزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فقَامَتْ عَلَيْها، ونَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحداً، فَلَمْ تَرَ أَحداً، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا». فَلمَّا أَشْرَفَتْ عَلى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتاً، فقَالَتْ صَه - تُرِيدُ نَفْسَها - أي اسكتي ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضاً، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غُوَاثٌ، فإِذَا هِيَ بالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ - أَوْ قَالَ: بِجَناحِهِ - حتَّى ظَهرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ، وتَقولُ بِيَدِها هكَذَا، وجَعَلتْ تَغرِفُ مِنَ المَاءِ في سِقَائِها وهْوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تغرِفْ منَ المَاء - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعيناً». قَالَ: فشَرِبَتْ وأَرْضَعَتْ ولدَها، فَقَالَ لَها المَلَكُ: لَا تَخافُوا الضَّيْعَةَ، فإِنَّ هاهُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هٰذَا الغُلَامُ وأَبُوهُ، وإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهلَهُ.

وكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعاً مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تأْتِيهِ السُّيُولُ، فتأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ - أَوْ أَهْلُ بَيْت مِنْ جُرْهُمَ - مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنزلُوا في أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طائِراً عائِفاً، فقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلى مَاءٍ، لَعَهْدُنا بهَذَا الوَادِي ومَا فِيه مَاءٌ، فأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فإِذَا هُمْ بالمَاءِ، فَرَجَعُوا فأَخْبَرُوهُمْ بالمَاءِ فأَقْبَلُوا - قَالَ: وأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتأْذَنِينَ لَنا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فقَالَتْ: نَعَمْ، ولَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ في المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فأَلْفَى ذَلِكَ أُم إِسْمَاعِيلَ وهْيَ تُحبُّ الأُنْسَ». فَنَزَلُوا وأَرْسَلُوا إِلى أَهْلِيهِمْ فَنزَلُوا مَعَهُمْ، حتَّى إِذَا كَانَ بِها أَهْلُ أَبْياتٍ مِنْهُمْ، وشَبَّ الغُلَامُ، وتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وأَنفَسَهُمْ وأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ.

ومَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْراهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسأَلَ امْرأَتَهُ عَنْهُ فقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنا، ثُمَّ سأَلَها عَنْ عَيْشِهِمْ وَهيئَتِهِمْ، فقَالَتْ: نَحنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ في ضِيقٍ وشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ. قَالَ: فإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فاقْرَئِي عَلَيهِ السَّلَامَ، وقُولي لَهُ يُغيِّرْ عتَبَةَ بابِهِ.

فلمَّا جاءَ إِسْمَاعِيلُ كأنَّهُ آنَسَ شيْئاً، فقَالَ: هَلْ جاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جاءَنا شَيْخٌ، كَذَا وكَذَا، فسألَنا عَنْكَ فأَخْبَرْتُهُ، وسألَني كيْفَ عَيْشُنا، فأَخْبَرْتُهُ أنَّا في جَهْدٍ وشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السّلامَ، ويَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبي، وَقدْ أَمَرَني أَنْ أُفارِقَكِ، الْحَقِي بأَهْلِكِ، فطلَّقَها.

وتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ على امْرَأَتِهِ فَسألَها عنْهُ، فقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وسألَها عَنْ عَيْشِهِمْ وهَيْئَتِهِمْ، فقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسعةٍ، وأَثْنَتْ على اللَّهِ. فَقَالَ: مَا طَعامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ. قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بارِكْ لَهُمْ في اللَّحْمِ والمَاءِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، ولَوْ كَانَ لَهُمْ دَعا لَهُمْ فِيهِ». قَالَ: فَهُمَا لا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكّةَ إِلّا لَمْ يُوَافِقَاهُ. قَالَ: فإِذَا جاءَ زَوْجُكِ فاقْرَئِي علَيْهِ السّلامَ، ومُرِيهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بابِهِ، فَلمَّا جاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتاكُمْ مِنْ أَحدٍ؟ قَالَتْ: نعمْ، أَتانا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وأَثْنَتْ عليْهِ، فَسأَلَنِي عَنْكَ فأَخْبَرْتُهُ، فسأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنا فأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخيرٍ، قَالَ: فأَوصاكِ بِشَيءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عليْكَ السّلامَ، ويأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبي وأَنتِ الْعَتبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمسِكَكِ.

ثُمَّ لَبثَ عنْهُمْ مَا شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي لَهُ نَبْلاً، تحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيباً مِنْ زَمْزَمَ، فَلمَّا رَآهُ قامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعا كَمَا يَصنعُ الوَالِدُ بالْوَلَدِ، والْوَلَدُ بالْوَالِدِ.

ثُمَّ قَالَ: يا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَني بأَمْرٍ، قَالَ: فاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وتُعِينُنِي؟ قَالَ: وأُعِينُكَ، قَالَ: فإِنَّ اللَّهَ أَمَرَني أَنْ أَبْنيَ هاهُنا بَيْتاً - وأَشارَ إِلى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ على مَا حَوْلَها - قَالَ: فَعِنْدَ ذٰلِكَ رَفعا الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعلَ إِسْمَاعيلُ يأْتي بالحِجارَةِ، وإِبْرَاهِيمُ يَبْني، حتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جاءَ بِهٰذا الحَجرِ فَوضعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وهُوَ يَبْنِي، وإِسْمَاعِيلُ يُناوِلهُ الحِجَارَةَ، وهُمَا يَقُولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. قَالَ: فَجَعَلا يَبْنِيانِ حتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ، وهُمَا يَقُولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾).

[طرفه في: ٢٣٦٨].

شرح الألفاظ

(المَنْطِقُ): الحزامُ الذي يُشدُّ به الوَسَطُ، أي تَزَيَّتْ (هاجَرُ) بزيِّ الخَدَم، إشعاراً بأنها خادمةٌ لسارة.

(تُعَفِّي أَثَرَهَا) أي لتخفي أثَرَها على (سارة)، حيث غارت من «هاجر» غيْرة شديدة.

(عِنْدَ دَوْحَةٍ) أي وضعها عند شجرة عظيمة، في المكان الذي ظهر فيه ووَبَع ماءُ زمزم.

(ثُمَّ قَفَّى) أى ولَّى إبراهيم راجعاً إلى أرض فلسطين.

(جِرَاباً) الجرابُ: وعاءٌ من جلد يوضع فيه التمر، والسِّقاءُ: القِرْبَةُ التي يوضع فيها الماء.

(كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ) أي كان إبراهيم عند الطريق العالي، المشرف على صَحْن الحرم، دعا ربَّه لأهله وولده، وهذه الدعوة ذكرها القرآن بقوله سبحانه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

(يَتَلوَّى) أي يتقلَّب يميناً وشمالاً من شدة العطش يكاد يهلك.

(أو يَتَلَبَّطُ) أي يتمرَّغ ويضرب بنفسه الأرض، ومعناهما قريب.

(تَسَمَّعَتْ) أي تكلَّفت في السَّماع واجتهدتْ فيه لتسمع من يُنقذها ووليدها.

(غُوَاثٌ) أي إغاثة وإنقاذ، فأغثْنَا فقد كدنا نهلك من العطش.

(لا تَخَافِي الضَّيْعَةَ) أي لا تخافي الهلاكَ.

(فَبَحَثَ بِعَقِبِه) أي ضرب الأرضَ بقدمه، فتفجَّر ماءُ زمزم.

(عَيْناً مَعِيناً) أي عيناً متدفِّقَةً تجري على وجه الأرض.

(مِنْ كَدَاءَ) أي من جهة كَدَاء أعلى مكة.

(عَائِفاً) هو الذي يتردَّدُ على الماءِ، ويحوم حوله ولا يمضي عنه.

(فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا) أي أرسلوا رسولاً من طرفهم، يبحث عن الماء، وسُمِّي (جَرِيًّا) لأنه يجري مسرعاً في حاجة القوم.

(فَأَلْفَى ذَلِكَ أَمَّ إِسْمَاعِيلَ) أي فوجد الشخصُ المُرْسَلُ (أَمَّ إسماعيل) وهي تحبُّ من يساكنها ويؤانسها.

(وأنْفَسَهُمْ) من النَّفاسة، وهي (أفعلُ تفضيل) أي كثرت رغبتهم فيه، لذكاء

(إسماعيل) عليه السلام وفطنته، فزوَّجوه امرأةً منهم، بعد أن شبَّ وصار بالغاً.

(وَمَاتَتْ أمُّ إِسْمَاعِيلَ) قال البدرُ العيني: أي ماتت (هاجَرُ) عليها السلامُ، وكان عمرها تسعين سنة، فدفنها إسماعيلُ في الحِجْر اهـ عُمدةُ القاري.

(يُطَالِعُ تَرِكَتَه) أي رجع إبراهيمُ عليه السلام، يتفقَّد أهلَه وولده، اللَّذين تركهما بمكة، فلم يجد ولده (إسماعيل)، فسأل زوجته عنه، فقالت له: خرج يبتغي لنا الرزق والصَّيْدَ.

(نَحْنُ بِشَرٍّ) لمَّا سألها عن عيشِهِم وحالهم، قالت له: نحنُ بضيقٍ وشدة، وأخذت تشكو من الفقر، والحاجة.

(يُغَيِّرُ عَتَبَةَ البَابِ) هذه كنايةٌ لطيفة عن المرأة، كنى بذلك الطَّلاقَ، ولم تفهم زوجةُ إسماعيل ذلك، فلمَّا رجع زوجُها سألها: هل جاءنا أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كبير، وقال لي: سلِّمي على زوجِك، وقولي له: يغيِّرُ عتبةَ الدار، فقال لها: ذاك أبي، وأنتِ عتبةُ الدار، وقد أمرني بطلاقك، فطلَّقها لعدم صبرها.

(أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ) أي أشار إلى رابيةٍ وتلٍّ مرتفع عن الأرض، وهو مكان بناء البيت العتيق، فبنى مكانه الكعبةَ المشرَّفة ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في هذا الحديث: بيانُ الحكمة من مجيء إبراهيم مع «هاجر» وولده «إسماعيل» وهي أن يعمر اللّه هذه الأرضَ الطاهرة، ببناء (البيت العتيق) فيه ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] أي أرشدناه إلى مكان البيت.

الثاني: وفيه أنَّ السيدة «هاجر» أمُّ إسماعيل، أولُ من سَكَن أرض مكة، مع ولدها الصغير، حيث لم يكن بمكةَ ساكنٌ ولا أنيس.

الثالث: وفيه أنَّ الغَيْرةَ تحصل بين النساء، فقد غارت السيدة «سارة» من السيدة «هاجر» فأبعدها سيدنا إبراهيمُ عليه السلام عنها، وقدم بها مع وليدها إلى بطحاء مكة، بإلهامٍ من اللّه وتوجيه.

الرابع: وفيه بيانُ قوَّة يقين إبراهيم عليه السلام بربه، حيث ترك زوجَه وولده الصغير، بذلك المكان القفر، ثقةً منه بحفظ اللّه لهما.

الخامس: وفيه بيانٌ لقوة إيمانِ «هاجر» حيث قالت لزوجها إبراهيم: بعد أن

تركها في ذلك الوادي: هل اللَّهُ أمرك بهذا؟ قال لها: نعم، فقالت: إذاً لن يضيِّعنا اللَّهُ، وذلك دليلُ قوة الإيمان.

السادس: وفيه بيانُ كرامة اللَّه عزَّ وجل لهذه الأسرة المؤمنة، حيث أنبع لهم ماءَ زمزم، فكانت عيناً معينا.

السابع: وفيه أنَّ من وَثِق باللَّه كفاه اللَّه كلَّ ما يهمُّه، وأكرمه بكلِّ فضلٍ ونعمة.

الثامن: وفيه بيانٌ لحكمة مشروعية (السعي بين الصَّفا والمروة)، إذ فيه إحياء لذكرى قصة هاجر، حين تردَّدت بين الصفا والمروة مرات، وهي تبحث عن الماء حتى ظهر لها المَلَك، ولهذا قال ﷺ: **(فذلكَ سَعْيُ الناس بينهما)**.

التاسع: وفيه جوازُ تكليم المَلَك لغير الأنبياء، فقد قال المَلَكُ للسيدة هاجر: (إن ههنا بيتاً يبنيه هذا الغلامُ وأبوه، وإنَّ اللَّهَ لا يضيِّع أهلَه) ولم تكن هاجر نبيَّةً باتفاق.

العاشر: فيه جوازُ استعمالِ الكناية في الطلاق، ويقع الطلاق إذا نواه، لقوله: (قولي له يغيّر عتبة بابه) فلذلك طلَّقها إسماعيل عليه السلام.

الحادي عشر: وفيه أنَّ إسماعيل عليه السلام أولُ من تكَلَّم اللغة العربية تعلَّمها من قبيلة «جُرهم» ثم انتشرت بين القبائل العربية.

وفيه فوائد كثيرة يضيق المجال عن ذكرها، واللَّه الموفق للخير والهادي إلى سواء السبيل.

٣٣٦٥ ـ [طرفه في: ٢٣٦٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (أَوَّلِ المَسَاجِدِ الَّتِي بُنِيَتْ فِي الأَرْضِ)

٣٣٦٦ ـ عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «الـمَسْجِدُ الحَرَامُ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الـمَسْجِدُ الأَقْصَى». قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فإِنَّ الْفَضْلَ فيهِ»).

[طرفه في: ٣٤٢٥]

شرح الألفاظ

(المَسْجِدُ الأَقْصَى): إنما سُمِّي بالأقصى، لبُعد المسافةِ بينه وبين المسجد الحرام.

(كَمْ بَيْنَهُمَا)؟ أي كم كان بين بناءِ المسجد الحرام وبناءِ المسجد الأقصى من عامٍ؟ قال: أربعون سنة.

(فَصَلِّهْ) الهاءُ هنا تُسمى هاءَ السَّكْت، أي أينما أدركتك الصلاةُ فصلِّ في أيِّ مكانٍ كنتَ فيه، إذا دخلَ وقتُها.

(فإنَّ الفَضْلَ فِيهِ) أي فإنَّ الأجرَ والثوابَ هو أداءُ الصلاة في وقتها، سواءً صُلِّيتْ في المسجد أو في الطريق، أو في أيّ مكان، لقوله ﷺ حين سُئل عن أفضل الأعمال؟ فقال: (**الصَّلاةُ لأولِ وقتها**).

شرح الحديث

سأل أبو ذرّ الغفاريُّ رسولَ اللّه ﷺ عن أوَّلِ المساجدِ التي بُنِيت في الأرض؟ فأخبره ﷺ بأنه (المسجدُ الحرام)، بناه أبو الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام، ويؤيّده قولُ اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] ثم بُني (المسجدُ الأقصى) بعده بأربعين سنة، وهو ببيت المقدس، بناه «سليمانُ» عليه السلام، وكلٌّ منهما له شأن عظيم، وفضلٌ لا يكادُ يتصوَّر، فالمسجدُ الأقصى قبلةُ المسلمين الأولى، وإليه أُسرِيَ بخاتم الأنبياء (محمد) عليه الصلاةُ والسلام، و(المسجدُ الحرامُ) فيه الكعبةُ المشرَّفة، التي يحجُّ إليها المسلمون، من أقطار العالم كلَّ عام، وقد بناه أبو الأنبياء (إبراهيم) عليه السلام، وفَرَضَ اللّه حجَّه على كل مستطيع من المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

تنبيه هام

قال ابنُ الجوزي: في هذا الحديث إشكالٌ، لأن «إبراهيم» بنى الكعبةَ، و«سليمانُ» بنى بيتَ المقدس، وبينهما أكثرُ من ألف سنة!؟ فكيف يكون بينهما أربعون سنة؟

والجواب عنه ما قاله القرطبي: أنهما جدَّدا بناءَه، ولم يبتدءا البناءَ.

أقول: يحتمل كما قال ابنُ كثير: أن يكون الذي ابتدأ بناءَ الأقصى هو نبيُّ اللَّه (يعقوبُ) عليه السلام، وجاء (سليمانُ) بعد ذلك فجدَّد البناء، فإنَّ بين إبراهيم ويعقوب مدة قصيرة، لأن يعقوبَ ابنَ إسحاق ابنُ إبراهيم، وبهذا يندفع الإشكالُ، فسليمانُ عليه السلام جدَّد بناءَ المسجد الأقصى، ولم يقم ببنائه تأسيساً لأول مرة، واللَّه أعلم.

٣٣٦٧ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٣٣٦٨ ـ [طرفه في: ١٢٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

٣٣٦٩ ـ عَنْ أَبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صلَّيْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بارَكْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

[طرفه في: ٦٣٦٠].

شرحُ الحديث

لمَّا أمَرَ اللَّهُ عزَّ وجل المؤمنين بالصَّلاة على رسول اللَّه ﷺ، سأله بعضُ أصحابه، فقالوا: يا رسولَ اللَّه: إنَّ اللَّه أمرنا بالصلاة عليك، فكيف نصلِّي عليك؟ فقال لهم ﷺ قولوا: (**اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صلَّيتَ على إبراهيم. . .**) وذَكَر الحديث.

وفي روايةٍ أخرى عند البخاري، من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال: (لقيني كعبُ بنُ عجرةَ، فقال لي: أَلَا أُهدي للَّه هديةً سمعتها من النبيِّ ﷺ؟ فقلتُ: بلى فاهدها لي. فقال: سألنا رسولَ اللَّه ﷺ، فقلنا يا رسول اللَّه: (قد عرفنا كيف نسلِّم عليك يا رسولَ اللَّه، فكيف الصلاةُ عليكم أهلَ البيتِ!؟ فقال لهم ﷺ قولوا:

(اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) صحيح البخاري.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: تعليمُ النبيِّ ﷺ لأصحابه، الصيغةَ الشرعية التي يصلُّون فيها عليه، وعلى آل بيته عليه السلام.

الثاني: وفيه بيانُ أدبِ الصحابة رضوانُ اللَّه عليهم، حيث تلَّطفوا معه، فسألوه كيف نُصَلِّي عليك؟

الثالث: وفيه أنَّ أزواج النبيِّ الطاهرات، رضوان اللَّهِ عليهن، داخلاتٍ في الصلاة عليه، لقوله ﷺ قولوا: **(اللهمَّ صلِّ على محمد وأزواجه وذريته)**.

الرابع: وفيه أنَّ أمهات المؤمنين داخلاتٌ دخولاً أوَّليًا في آل بيت النبي ﷺ، لقول الحقِّ جلَّ وعلا: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۞ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣] فالحديثُ عن نساء النبيِّ ﷺ من أولها لآخرها، فمن زعم من الرافضة أن أزواجه الطاهرات غير داخلات في (آل البيت) فقد ضلَّ طريق الهدى، وخالف النَّص القاطع، وكشف عن ظلمة قلبه!

لطيفة بديعة

فإن قيل: إذا كان ربُّ العزة والجلال قد صلَّى على رسوله، مع الملائكة الأبرار الأطهار، فما فائدةُ صلاةِ المسلمين عليه بعد أن أكرمه اللَّه بهذا الشرف العظيم، بصلاته، وصلاةِ الملائكة عليه؟

والجوابُ: أنَّ اللَّه تعالى أحبَّ أن يرفع قدْرَ (أمة محمد)، كما رَفَع قدره الشريفَ، فأمر المؤمنينَ بالصلاة عليه، ليزدادوا من اللَّه رضىً وقُرباً، ولينالوا مضاعفةَ الأجر والثواب، لقوله ﷺ: **(مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً، صلَّى اللَّه عليه بها عشراً)** رواه مسلم.

فصلاتُنا على خاتم المرسلين ليس لرفع قدره فقط، وإنما هو تشريفٌ لنا، ورفعٌ

لقدرنا ودرجاتنا، عند اللّه تعالى، فما أن نصلّي عليه ﷺ مرَّةً واحدةً، حتى يُكَافأنا اللّه عليها بها عشراً. اللهمَّ اجزه عنا خير الجزاء، بما أسدَى لنا هذا الفضل العظيم.

لطيفةٌ سارةٌ

رُوي أنَّ الرسول ﷺ جاء ذات يوم فدخل على أصحابه، والسرورُ يُرى في وجهه، فقالوا: يا رسول اللّه إنّا لنرى السرور في وجهك! فقال لهم: (أتاني المَلَكُ «جبريل» فقال: يا محمد أَمَا يُرضيك أنَّ ربَّك عزَّ وجلَّ، يقول: إنه لا يصلّي عليك أحدٌ من أمتك، إلّا صلَّيتُ عليه عشراً، ولا يُسلّم عليك أحدٌ من أمتك، إلّا سلَّمتُ عليه عشراً!! قلت: بلى رضيتُ). رواه أحمد في المسند.

٣٣٧٠ ـ [طرفه في: ٤٧٩٧، ٦٣٥٧]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٧٩٧.

٦٧ باب (تَعْوِيذِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَسَنِ وَالحُسَيْنِ)

٣٣٧١ ـ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، أنَّه قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ، ويَقُولُ: «إنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِها إِسْمَاعِيلَ، وإِسْحاق: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كلِّ شَيْطانٍ وهامَّةٍ، ومِنْ كلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ).

شرح الألفاظ

(يَعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ) من التعويذ، وهي الحمايةُ والالتجاءُ إلى اللّه تعالى، ومعنى أعوذُ: ألجأُ، والتعوُّذُ، والاستعاذةُ، والتعويذُ، كلُّها بمعنى واحد، أي كان ﷺ يقول للحسن والحسين: **(أُعيذُكما بكلماتِ اللّه التامة، من كل شرٍّ وأذى)**.

(التَّامةُ) أي الكاملةُ، الشافيةُ، النافعة، التي تمَّ نفعُها وبركتُها.

(مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّة) الهامَّةُ: جمعُ هَوَامّ، وهي: الأفاعي، والحيَّاتُ ذواتُ السُّمِّ القاتل.

(مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ) أي من كلِّ عين حاسد، تُصيب الإنسانَ بالضَّرر، وهي العينُ

العائنة، قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] أي يصرعونك بأعينهم، بنظراتهم القاتلة المسمومة، من شدة البُغض لك، والكيدِ، والحسد.

(إِنَّ أَبَاكُمْ) أي أبا الأنبياء (إبراهيمُ) عليه السلام أضافهما إليه، لأنهما من نسله، أي إنَّ إبراهيم عليه السلامُ كان يقرأ هذه الدعوات على ولديه «إسماعيل» و«إسحاق» يُعوِّذهما بها.

معنى الحديث

أي ألتجئُ وأعوذ باللَّه من كل داء وآفة، تَلُمُّ بالإنسان، كالجنون، والخَبَل، وكلِّ ما يؤذي ويضرُّ الأنسانَ في جسمه، وعقله، وبصره.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه مشروعيةُ تَعْويذِ الأولاد من عين الحُسَّاد، ومن كل ما يصيب المولودَ من أذى وضرر.

الثاني: وفيه أنَّ التعويذَ من سنن الأنبياء والمرسلين، لأنَّ الالتجاء إلى اللَّه تعالى يحمي الإنسان من الشر والبلاء.

الثالث: وفيه أنَّ الحسنَ والحسينَ أبناءَ (فاطمة الزهراء) كان الرسولُ ﷺ يخصُّهما بدعواته المباركات، لأنهما ريحانتا رسولِ اللَّه ﷺ، كما وردَ في الحديث الصحيح، حيث كان ﷺ يقول: (هما ريحانتاي من الدنيا) فرسولُ اللَّه جدُّهما لأمهما (فاطمة الزهراء) بنت رسول اللَّه ﷺ.

باب (تَبْرِئَةِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ مِنَ الشَّكِ)

٣٣٧٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]. ويَرْحَمُ اللَّهُ لُوطاً، لَقدْ كَانَ يَأْوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ، ولَوْ لَبِثْتُ في السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِث يُوسُفُ، لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ).

[طرفه في: ٣٣٧٥، ٣٣٨٧، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢].

شرح الحديث

هذا أسلوبٌ في غاية الروعة والجمال، لتبرئةِ أبي الأنبياءِ (إبراهيمَ) عليه الصلاة والسلام، فإنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لم يشكَّ في قدرة اللَّه عزَّ وجلَّ على إحياء الموتى، فنزَّل نفسَه ﷺ منزلة الخليل إبراهيمُ، فقال: (**لو شكَّ إبراهيم، لكنَّا نحنُ أحقُّ بالشكِّ منه، ولكنْ نحنُ لم نشكِّ، فإبراهيمُ عليه السلام، حصنُ التوحيد والإيمان، أحقُّ وأحرى بأن لا يشكَّ**).

وهذا في غاية التبرئة للخليل عليه السلام، إذ لو كانَ الشكُّ متطرقاً لساحة الأنبياء، لكانَ النبيُّ ﷺ أحقَّ به منه، ولكنَّ نبيَّنا لم يشكَّ، فإبراهيمُ لم يشكَّ أصلاً.

ومعنى الآية الكريمة، وهي قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي اذكر يا أيها الرسول، حين طلب إبراهيمُ من ربه، أن يُريه كيفية إحياءِ اللَّه للموتى!! قال له ربُّه: أولا تُصدِّق يا إبراهيمُ على قدرتي على الإحياء؟ قال إبراهيم: بلى يا ربِّ، أنا مؤمنٌ ومصدِّقٌ بقدرتك، ولكنْ أردتُ أن أزداد بصيرةً بمشاهدة ذلك. سأل ربَّه عن الكيفية، ولم يكن سؤالُه عن شكٍّ في قدرة اللَّه، فلم يقل مَثَلاً: هل تقدرُ على إحياء الموتى؟ وإنما قال: ﴿كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] فهو سؤالُ مؤمنٍ مصدِّق، يريد أن يرى الكيفية. وانظر التفسير الواضح الميسر ص (٩٩).

وقولُ الرسول ﷺ عن نبيِّ اللَّه «لوط» عليه السلام: (**رحمَ اللَّهُ أخي لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد**) أراد به جانبَ (اللَّه) عزَّ وجلَّ، الذي يقهر كلَّ جبَّار وطاغية، وينصر كلَّ ضعيف، لا سَنَد له، إذا لجأ إليه، لأنه سبحانه الكبير القهار، الذي لا يعجزه شيء، وفيه عتبٌ لطيف، على نسيان لوط لقوة اللَّه العزيز الجبَّار.

وقولُه ﷺ عن يوسف الصدِّيق: (لو لبثتُ في السجن طولَ ما لبث يوسف لأجبتُ الداعي) فيه ثناء على صبر يوسف، هذه المدَّة الطويلة في السجن، وإبائه أن يخرج من السجن، قبل أن تُبرَّأ ساحتُه من تلك التهمة الشنيعة، التي نُسبت إليه ظلماً وعدواناً.

وهذا القولُ منه ﷺ والإشادةُ بصبره من تواضعه ﷺ، وإلَّا فمقامُه ﷺ أعلى وأسمى، وأرفعُ وأعظم، ولكنه خُلُقُ الأنبياء: التواضعُ، وخفضُ الجانب، والاعترافُ بالفضل لأهل الفضل.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه الثناءُ العاطرُ على أبِي الأنبياء (إبراهيم) عليه السلام، في إيمانه ويقينه، ودفعِ ما فيه لَبْسٌ عنه، بأسلوبٍ في غاية البيان والإبداع.

الثاني: وفيه نزاهةُ يوسف عن مقارفة الفاحشة، ولتفضيلِه السجنَ على الإغراء من جهة النساء، وصبرِهِ على هذه المحنة، التي امتدَّت به سنينَ عديدة.

الثالث: وفيه التذكيرُ برعاية اللَّه وحفظه، لمن اعتمد على اللَّه عزَّ وجلَّ، في أموره.

الرابع: وفيه أنَّ الأنبياء معصومون من الذنوب والآثام، لأن اللَّه تعالى جعلهم أُسوة للخلق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

بابُ (التَّحْرِيضِ عَلَى الرَّمْيِ)

٣٣٧٣ - عَنْ سلَمَةَ بْنِ الأكْوَعِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (مَرَّ النَّبيُّ ﷺ عَلى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْمُوا بَني إِسْمَاعِيلَ، فإِنَّ أَباكُم كَانَ رَامِياً، وأَنا مَعَ بَني فُلَانٍ». قَالَ: فأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لا تَرْمُونَ»؟ فقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْمِي، وأَنْتَ مَعَهُمْ، قَالَ: «ارْمُوا وأَنَا مَعَكُمْ كلِّكُمْ»).

[طرفه في: ٢٨٩٩].

شرح الألفاظ

(يَنْتَضِلُونَ) أي يترامَوْن، والتناضلُ: الترامي بالسهام لمعرفة الغالب.

(أَبُوكُمْ كَانَ رَامِياً) المراد بأبيهم: سيدنا (إسماعيل) عليه السلام، فقد كان يتقن الرمايةَ، والصَّيْدَ، ونُسبوا إلى إسماعيل، لأنه أبو العرب، الذين بُعث منهم خاتمَ النبيّين ﷺ.

شرح الحديث

رغَّب الإسلامَ في إعداد القوة، لهزيمة الأعداء، بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولـمَّا كان الرميُ بالسهام في وجوه الأعداء هو أعظمُ أنواع القوة في ذلك العصر، فلذلك رغَّب ﷺ في تعلُّمه، وشجَّع أصحابَه على الرمي، وقال لهم: **(ألَا إنَّ القوَّةَ الرميُ)** وحين مرَّ ﷺ بقبيلة «بني أسْلَم» ورآهم يتسابقون في الرماية، هيَّجهم ونفَخَ فيهم روحَ البطولة، للتسابق والتنافس، وقال لهم: **(إنَّ أباكم «إسماعيل» عليه السلام كان من أشجع الرُّماة الأبطال، فارموا وأنا مع الفريق الفلاني)**. ولـمَّا رأى توقُّفهم عن الرمي، حياءً وتأدباً من أن يغلبوا الفريقَ الذي فيه رسولُ اللَّه ﷺ، واساهم ﷺ بقوله: **(ارموا فأنا معكم كلِّكم)** أي أنا مع الجميع، وغرضُهُ ﷺ مواساتهم، ليستمروا في إتقان الرماية، وهي تختلف من عصرٍ إلى عصر، ففي زماننا إتقانُ الرمي يكون بالمسدس، والبندقيَّة والرشاش، وسائر الأسلحة الحربية.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: الترغيبُ في تعلُّم الرماية، لأنها من أعظم آلات الجهاد.

الثاني: وفيه أنَّ قبيلة «بني أسلم» التي مرَّ عليها النبيَّ ﷺ كانت من أهل اليمن.

الثالث: وفيه أنَّ الجدَّ الأعلى يُسمَّى (أباً)، لقوله: **(فإن أباكم)** يريد به جدهم الأكبر إسماعيل عليه السلام.

الرابع: وفيه حسنُ خُلُق النبيِّ ﷺ، ومعرفتُه بأمور الحرب، ولذلك شجَّعهم على الرماية.

الخامس: وفيه الندبُ إلى اتِّباع خصال الآباء، والتأسِّي بهم في مناقبهم وفضائلهم.

السادس: وفيه حُسْنُ أدبِ الصحابة مع النبي ﷺ، حيث أمسكوا عن الرمي، لكونِ النبيِّ ﷺ مع الفريق الآخر، حتى طيَّب ﷺ خاطرَهم بقوله: **(أنا معكم جَميعِكُم)**.

٣٣٧٤ ـ [طرفه في: ٣٣٥٣]، تقدّم شرحُه.

٣٣٧٥ ـ [طرفه في: ٣٣٧٢]، تقدّم شرحُه.

٣٣٧٦ - [طرفه في: ٣٣٤١]، تقدّم شرحُه.

٣٣٧٧ - [طرفه في: ٤٩٤٢، ٥٢٠٤، ٦٠٤٢]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٩٤٢.

باب (نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ مَاءِ ثَمُودَ)

٣٣٧٨ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ، في غزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِها، ولا يَسْتَقُوا مِنْها، فَقَالُوا قَدْ عَجَنَّا مِنْها، واسْتَقَيْنا، فأَمَرَهُمْ ﷺ أَنْ يَطْرَحُوا ذٰلِكَ الْعَجِينَ، ويُهَرِيقُوا ذٰلِكَ المَاءَ).

ويُرْوَى عَنْ (سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ) وأَبي الشَّمُوسِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِإِلْقَاءِ الطَّعام.

وقَالَ أَبُو ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (مَنِ اعْتَجَنَ بِمَائِهِ).

[طرفه في: ٣٣٧٩].

شرح الحديث

لمَّا خرج رسولُ اللَّه ﷺ إلى (غزوة تبوك)، مرَّ في طريقه على ديار قوم ثمود، وهم الذين أهلكهم اللَّه بصيحةٍ مدمِّرة، لأنهم كذَّبوا رسولهم «صالحاً» عليه السلام، وعقروا الناقةَ التي أخرجها اللَّه كمعجزة باهرة، من صخرٍ أصمَّ، لتكون برهاناً على صدق نبوة (صالح) عليه السلام، ولكنهم كذَّبوه فأهلكهم اللَّه، ودمَّرهم عن بَكْرة أبيهم.

ولمَّا مرَّ الصحابة على ديارهم، أمرهم ﷺ أن لا يشربوا من آبارها، ولا يطبخوا شيئاً بمائها، لأن أهلَها مغضوبٌ عليهم، حيث أنزل اللَّه عليهم ذلك البلاءَ، فأصبحت ديارُهم موبوءةً كأشخاصهم، ولمَّا أخبروا الرسولَ ﷺ أنهم عَجَنُوا من مائها، وطبخوا بعض الطعام، أمرهم أن يُهريقوا الماءَ، ويطرحوا العجين، ويرموا بالطعام، لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك الظالمين، ثم غطَّى الرسولُ ﷺ رأسَه، وأسرعَ بالرحيل من

ديار المغضوب عليهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٤، ١٥].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ غضبَ اللَّهِ إذا حلَّ بأمة أصاب الديارَ، والمياهَ، والزروعَ، والأشجارَ، والثِّمار، ولذلك أمرهم ﷺ، برمي العجين، والطبيخِ من الطعام.

الثاني: وفيه أنَّه يجب على من مرَّ بديار الظالمين أن يتجاوَزَها، ويعتبر بما أصاب أهلَها من العذاب والبلاء، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الصافات؛ ١٣٨].

الثالث: وفيه نهيُ الرسولِ ﷺ عن دخول ديار المغضوب عليهم، إلَّا وهم باكين، خشيةَ أن يصيبهم، ما أصابَ أهلَها من العذاب.

وفي رواية أخرى عند البخاري: (لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا، إلَّا أن تكونوا باكينَ، أنْ يصيبَكم ما أصابهم) وهو تحذير من السكنى في ديار الكفار الفُجّار.

٣٣٧٩ _ [طرفه في: ٣٣٧٨]، تقدّم شرحُه.

٣٣٨٠ _ [طرفه في: ٤٣٣]، تقدّم شرحُه.

٣٣٨١ _ [طرفه في: ٤٣٣]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ثَنَاءِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ بنِ يَعْقُوبَ)

٣٣٨٢ _ عَنْ عبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (الْكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

[طرفه في: ٣٣٩٠، ٤٦٨٨].

شرح الحديث

هذا الحديثُ الشريف قاله ﷺ حين سُئل: (من أكرمُ النَّاسِ يا رسول اللَّه؟) فقال لهم ﷺ: **(أكرمُ النَّاسِ يوسفُ نبيُّ اللَّهِ، ابنُ نبيِّ اللَّه، ابنِ نبيِّ اللَّهِ، ابنِ خليل اللَّه)** كما في رواية أخرى عند البخاري، فيوسفُ الصدِّيق نبيٌّ كريم، من سلسلةِ أنبياءَ كرام، فوالده «يعقوبُ» نبيٌّ من أعاظم أنبياء بني إسرائيل، وجدُّه «إسحاق» كذلك نبيٌّ عظيم، من كبار الأنبياء من بني إسرائيل، وهو ولدُ خليل الرحمٰن (إبراهيمَ) صلاةُ اللَّهِ وسلامُه عليهم أجمعين.

تنبيهٌ هام

ما قاله ﷺ في حقِّ يوسف عليه السلام، إنما قاله تواضعاً منه ﷺ، وهو خُلُق الأنبياء الكرام، مع أنه ﷺ سيِّدُ الأنبياءِ والمرسلين، وأكرمُ الأولين والآخرين على اللَّه تعالى، حيث أخذ اللَّهُ العهدَ والميثاق على جميع الأنبياء، أنْ لو أدركوا بعثته ﷺ لوجب عليهم أن يؤمنوا به، ويَنْضَوُوا تحت لوائه، كما تشير إليه الآيةُ الكريمة:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

أقول: ما أعظمَ شخصِيَّةَ هذا الرسول الكريم؟ وما أشدَّ خُلُقه وتواضعه؟ فهو مع سيادته لجميع الأنبياء والمرسلين، يتواضع ويُمثِّل لنفسه، بحَجَرٍ في قصرٍ، فخم مشيد، بناه الرسلَ الكرام، وتركوا الحَجَر الذي اكتمل به القصرُ: **فيقول ﷺ:** (مَثَلي، ومَثَلُ الأنبياء من قبلي، كمثَلَ رجل بنى بُنياناً، فأَحسنه وأجمَلُه، إلَّا موضعَ لَبِنة من زاويةٍ من زواياه، فجعل الناسُ يطوفون به، ويعجبون له ـ أي لِحُسْنهِ ـ ويقولون: هلَّا وُضعت هذه اللَّبنة؟ قال: فأنا اللَّبِنةُ، وأنا خاتم النبيِّين) رواه البخاري ومسلم.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الثناءُ العظيمُ على (يوسف الصِّدِّيق)، وآبائه الأنبياء والمرسلين، صلوات اللَّه عليهم أجمعين.

الثاني: وفيه التواضعُ الكبيرُ الذي كان يتحلَّى به خُلُقُ النبيِّ الكريم، محمد ﷺ.

الثالث: وفيه أنَّ أكرَم النَّاس عند اللَّه تعالى، من كان متَّقياً للَّه عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣٣٨٣ ـ [طرفه في: ٣٣٥٣]، تقدّم شرحُه.

٣٣٨٤ ـ [طرفه في: ١٩٨]، تقدّم شرحُه.

٣٣٨٥ ـ [طرفه في: ٦٧٨]، تقدّم شرحُه.

٣٣٨٦ ـ [طرفه في: ٧٩٧]، تقدّم شرحُه.

٣٣٨٧ ـ [طرفه في: ٣٣٧٢]، تقدّم شرحُه.

٣٣٨٨ ـ [طرفه في: ٤١٤٣، ٤٦٩١، ٤٧٥١]، انظر شرح الحديث من خلال النص.

٣٣٨٩ ـ [طرفه في: ٤٥٢٥، ٤٦٩٥، ٤٦٩٦]، انظر شرح الحديث السابق رقم ٣٣٨٢.

٣٣٩٠ ـ [طرفه في: ٣٣٨٢]، تقدّم شرحُه.

٣٣٩١ ـ [طرفه في: ٢٧٩]، تقدّم شرحُه.

٣٣٩٢ ـ [طرفه في: ٣]، تقدّم شرحُه.

٣٣٩٣ ـ [طرفه في: ٣٢٠٧]، تقدّم شرحُه.

٣٣٩٤ ـ [طرفه في: ٣٤٣٧، ٤٧٠٩، ٥٥٧٦، ٥٦٠٣]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٣٤٣٧.

٣٣٩٥ ـ [طرفه في: ٣٤١٣، ٤٦٣٠، ٧٥٣٩]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٣٤١٣.

٣٣٩٦ ـ [طرفه في: ٣٢٣٩]، تقدّم شرحُه.

٣٣٩٧ ـ [طرفه في: ٢٠٠٤]، تقدّم شرحُه.

٣٣٩٨ ـ [طرفه في: ٢٤١٢]، تقدّم شرحُه.

٣٣٩٩ ـ [طرفه في: ٣٣٣٠]، تقدّم شرحُه.

٣٤٠٠ ـ [طرفه في: ٧٤]، تقدّم شرحُه.

٣٤٠١ ـ [طرفه في: ٧٤]، تقدّم شرحُه.

باب (حَدِيثِ الخَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)

٣٤٠٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنّه قَالَ: (إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ، أَنَّهُ جَلَسَ عَلى فَرْوَةٍ بَيْضاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خضْرَاءَ).

شرح الألفاظ

(فَرْوَةٌ بَيْضَاءُ) قال ابن الأعرابي: الفروةُ: أرضٌ بيضاء ليس فيها نباتٌ، والمراد أنه كان يجلس على أرضٍ بيضاءَ مُجْدِبة، فتهتزُّ من تحته خضراء، وكان إذا صلَّى في أرضٍ اخضرَّ ما حولها، وهذه إحدى كرامات الخضر عليه السلام.

شرح الحديث

الخضرُ عليه السلام عبدٌ من عباد اللَّه الصالحين، ووليٌّ من أوليائه المقرَّبين، وذهبَ بعضهم إلى أنه نبيٌّ، وأنه حيٌّ إلى عصرنا هذا، وهذا القول مرجوح، بل هو ضعيف غير صحيح، لأن اللَّه تعالى، لم يذكره في جملة الأنبياء، في كتابه العزيز، بل قال عنه سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] فسمَّاه تعالى «عبداً» ولم يقل: وجَدَا نبيًا.

سببُ ذكر قصة موسى مع الخضر

روى البخاريُّ في صحيحه (أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيلَ، فسُئل: أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتَبَ اللَّه عليه، إذ لم يردَّ العلمَ إليه، فقال له: بَلَى، إنَّ لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك! فقال موسى: أي ربِّ وكيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مِكْتل. . .) الحديث، فهو إذاً عبدٌ من أولياء الصالحين، وليس بنبيٍّ كما زعم البعضُ!

ثم إنَّ دعوى أنه حيٌّ إلى زماننا، يردُّه حديث صحيح، وهو قوله ﷺ: **(ما منكم اليومَ من نفسٍ منفوسة، يأتي عليها مائةُ سنة، وهي يومئذٍ حيَّة)** أخرجه أحمد في المسند، وهو صريح في موته عليه السلام.

قال ابن عمر: أراد ﷺ انخرامَ قرنه، أي لا يبقى في عصره بعد مائة سنة، أحدٌ على وجه الأرض، فلو كان حيًا إلى هذا العصر، لم يصحَّ الإخبارُ بذلك، وكان كلامُ الرسولِ ﷺ غير سليم، وحاشاه!!

وإنما ذكر اللّه قصة موسى مع الخضر، لتكون درساً للناس جميعاً، على أن لا يقطعوا ويجزموا، بأن هناك من هو أعلمُ منهم، كما جاء في عتاب اللّه لموسى عليه السلام، فلذلك أخبره تعالى، بأنَّ من عباد اللّه، من هو أعلم منه، وذكر له، قصةَ العبد الصالح «الخضر» عليه السلام، فقد كان عنده من العلم الغيبيِّ، ما لم يعلمه موسى عليه السلام، فعِلْمُ موسى (علمٌ ظاهريٌّ)، وعلمُ الخضر (علمٌ غيبيٌّ). وللّه تعالى في عباده شؤون وشؤون!

٣٤٠٣ ـ [طرفه في: ٤٤٧٩، ٤٦٤١]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٤٧٩.

٣٤٠٤ ـ [طرفه في: ٢٧٨]، تقدّم شرحُه.

٣٤٠٥ ـ [طرفه في: ٣١٥٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (رَعْيِ الأَنْبِياءِ لِلْغَنَمِ)

٣٤٠٦ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قال: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَجْنِي الْكُبَاثَ، وإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بالأَسْوَدِ مِنْهُ، فإِنَّهُ أَطْيَبُهُ». قَالُوا: أَكُنْتَ يا رسول اللَّه تَرْعَى الْغَنَمَ؟ قَالَ: «وهَلْ مِنْ نَبيٍّ إِلّا وقَدْ رعاها)؟.

[طرفه في: ٥٤٥٣].

شرح الألفاظ

(نَجْني الكُبَاثَ) أي كنّا نقطف ثَمَر الأَرَاكِ، والكُبَاثُ: هو ما نَضِج من حبِّ الأَرَاك، فأصبح صالحاً للأكل، وأفضلُه النوعُ الأسود، ولذلك قال لهم ﷺ: (عليكم بالأسود منه).

(أَكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ)؟ أي هل كنتَ يا رسول اللّه، في بداية شبابك راعياً للغنم؟ قال: **(نعم)** وما من نبيٍّ إلّا ورعى الغَنَمَ.

شرح الحديث

رسولُ اللَّه ﷺ كان قبل النبوة في مستقبل شبابه يرعى الغَنَم، ولمَّا كان بعضُ الصحابة يقطفون ثَمَرَ الأراك، قال لهم ﷺ: **(عليكم بالأسود منه، فإنه ألذُّ وأطيبُ، ومِثْلُ هذا لا يعرفه إلَّا (رُعَاةُ الأغنام)**، فسأله بعضُ أصحابه: هل كنتَ راعياً للغنم يا رسول اللَّه؟ قال: **(نعم كنت أرعى الغنم، وما من نبيّ من الأنبياء قبلي، إلَّا ورعى الغنم)**.

قال الإِمامُ الخطابي: إنَّ اللَّه تعالى لم يضع النبوَّة في أبناء الدنيا، والمترفين منهم، وإنما جعلها في رُعاة الغنم، وأهلِ التواضع من أصحاب الحِرَف، فأيوبُ عليه السلام كان «خياطاً»، وزكريا كان «نجاراً»، وداود كان «حدَّاداً» وما من نبيٍّ إلَّا رعى الغنم.

قال الحافظَ ابنُ حَجَر: والحكمةُ في رعاية الأنبياء للغنم: ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبُهم بالخلوة، ويترقَّوْا من سياسةِ رعايةِ الغنم، إلى سياسةِ قيادةِ الأمم، وهو توجيهٌ من اللَّه حميد ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] اهـ فتح الباري ٦/ ٤٣٩.

٣٤٠٧ ـ [طرفه في: ١٣٣٩]، تقدّم شرحُه.

٣٤٠٨ ـ [طرفه في: ٢٤١١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (وَفَاةِ مُوسَى عليهِ السَّلَامُ)

٣٤٠٩ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: **«احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» مَرَّتَيْنِ**.

[أطرافه: ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥]

شرح اللفظ

(احْتَجَّ آدمُ وموسى) أي تحاجَّا، كلُّ نبيّ يريد إقامة الحجة على غيره، آدم وموسى عليهما الصلاةُ والسلام.

(اصْطَفَاكَ اللَّهُ) أي اختارك بالنبوة، والرسالة، والكلام، وفيه إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

(فَحَجَّ آدمُ موسى) أي أقام عليه الحجةَ، وغَلَبه في المناظرة، وقولُه: مرتين، أي أعادها ﷺ مرتين.

شرح الحديث

طلب موسى عليه السلام من ربه، أن يُريه أباه آدم عليه السلام، فالتقى به في عالم البرزخ، فقال له موسى: يا آدمُ أنت أبو البشر، خلقك اللَّه بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، لماذا أكلتَ من الشجرة، حتى أخرجتنا وذريتك من الجنة؟ فأجابه آدم: أنت يا موسى، اصطفاك اللَّه بالنبوة والرسالة، وكلَّمك دون غيرك من الأنبياء، مشافهةً من وراء حجاب، كيف تعاقبني على أمرٍ، سبق في علم اللَّه، وقدَّره عليَّ قبل أن يخلق السموات والأرض؟ أَمَا وجدتَ يا موسى في التوراة، أني سآكل من الشجرة، وأن اللَّه تعالى حكم عليَّ بذلك، لتكون أنتَ وسائر ذريتي، تعيشون في الأرض، وفيها تتناسلون وتتوالدون؟ فكيف تعَيبُني على أمرٍ كُتب عليَّ قبل أن أخلق؟ قال ﷺ: **«فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى»** أي غَلَبه في المناظرة، وأقام عليه الحجة!.

قال العلماء: إنما أقام آدمُ الحُجَّةَ على موسى، لأن لومَه له، كان بعد نزول آدم من الجنة إلى الأرض، وقد غفل موسى عليه السلام، عن الحكمة من أكل آدمَ من الشجرة، فلو بقي آدم في الجنة، لمَا كان له نسلٌ ولا ذرية، لأن الجنة ليس فيها ولادةٌ ولا تناسلٌ، وحين أراد اللَّه خَلْقَ آدمَ، قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠] ولم يقل: جاعلٌ في الجنة خليفة، ونسي موسى أيضاً قولَه تعالى لآدم: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة: ٣٦]، فلمَّا عاتبه على أمرٍ، جرى به حكمُ القضاءِ والقدر، غَلَبه بهذا، ولهذا قال ﷺ: **«فحجَّ آدم موسى. . . !!»**.

ثم إنه عاتبه ولامَه، بعد أن تاب آدم، وغفر اللَّه له زلَّته، والتائبُ من الذنب، كمن ليس له ذنبٌ، فمن لامَ إنساناً بعد توبته، فقد خالف الشرع، لقوله سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أن هذه المحاجَّة والمناظرة، لم تكن في عالَم الدنيا، وإنما كانت في عالم البرزخ، حين التقى موسى بأبيه آدم عليهما السلام.

الثاني: وفيه أنَّ من عرف سرَّ القضاء والقدر، لم يكن له سبيلٌ ولا حُجَّة، على من فَعَل ذلك عن خطأٍ أو نسيان.

الثالث: وفيه أنه من وقع في الخطيئة والذنب، ثم تاب من ذنبه، لا يصحُّ لأحدٍ أن يعيِّره بذنبه، لأنه قد غُفر له ما وقع منه بالتوبة، فلم يعدُ في زَجْره فائدة عمَّا حصل منه، إلَّا الملامة والتخجيل.

قال النووي رحمه اللّه: معنى قولِ آدم لموسى: (كيف تلومني على أمرٍ قُدِّر عليَّ) أي إنك تعلم أنَّ هذا الأمرَ، مقدَّرٌ عليَّ، فلا تلُمْني على ذلك، فإن اللَّوم أمرٌ شرعيٌّ لا عقليٌّ، فإنَّ من تاب اللّه عليه، وغفَرَ له، زال عنه اللَّومُ، فمن لامَه كان محجوجاً بالشرع، اهـ نووي.

أقول: كأنه يقول له: ألم تقرأ قولَه تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، ومعنى الآية: أن اللّه تعالى، اختار آدمَ للنبوة والرسالة، وجعله من المقرَّبين عنده، وتاب عليه من الزلة، بعد الندم على ما حصل منه، من الخطأ والنسيان لقوله سبحانه: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

أي كان أكله من الشجرة، عن غفلةٍ ونسيان، قال الحسن البصري: واللّه ما عصى آدم عن قصد وعمد، وإنما كان عن غفلةٍ ونسيان. اهـ.

٣٤١٠ ـ [طرفه في: ٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٦٥٤١]، سيأتي شرحُه في الحديث رقم ٥٧٠٥.

باب (فَضْلِ عَائِشة أمِّ المُؤمِنينَ)

٣٤١١ ـ عَنْ أَبِي موسَى الأشعريّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، عن رَسُول اللّهِ ﷺ أنّه قال: (كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ، إلَّا: آسِيَةُ امرَأَةُ فِرْعَون،

وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ).

[طرفه في: ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨].

شرح الحديث

هذا بيانُ من سيِّد الخلق ﷺ على فَضْلِ بعض النساء، فقد أخبر ﷺ أنَّ الكمالَ في الرجال كثير، فالأنبياءُ صلوات اللّه عليهم كلُّهم في مرتبة الكمال، والمراد بالكمال: التَّناهي في اكتساب جميعِ الفضائل، ولهذا اختصَّهم اللّه بالنبوَّة، وفضلَّهم على سائر الخلق.

أما النِّساءُ فالكَمَالُ فيهن قليل، ولم يكمل منهنَّ ـ أي تصل إلى درجة الكمال ـ إلَّا بضعةُ نساء، ذكرَ ﷺ منهن (آسيةُ امرأةُ فرعون) و(مريمُ بنتَ عمران) أمُّ السيد المسيح عليه السلام، ثم هناك من النساء الفُضْليات، السيدة (خديجةَ)، والسيدة (فاطمة الزهراء)، والسيدة (عائشة) أمّ المؤمنين، رضوانُ اللّه عليهن جميعاً.

وقد ورد عن ابن عباس مرفوعاً: (**أفضلُ نساء أهل الجنة: خديجةُ بنتُ خُويلد، وفاطمةُ بنتُ محمد، ومريمُ ابنةُ عمرانَ، وآسيةُ امرأةَ فرعون**) رواه أحمد وأبو داود.

وقد أشاد ﷺ بفضل السيدة (عائشةَ بنتِ الصدِّيق)، على وجه خاصٍّ في هذا الحديث، فقال: (**وإنَّ فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام**) ولا شك أنَّ الثريدَ أفضلُ الطعام عند العرب، لأنه يجمع بين اللحمِ، والخبز المثرود ـ أي المطبوخ فيه ـ وقديماً قال القائل:

إِذَا مَا الخُبْزُ تَأْدُمُهُ بِلَحْمٍ فَذَاكَ أَمَانَةِ اللَّهِ الثَّرِيدُ

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ الكمال في الرجال، أكثرُ بكثير من الكمال في النساء، لذلك خصَّ اللّه النبوَّةَ بالرجال دون النساء كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [يوسف: ١٠٩].

الثاني: وفيه أنَّ النقص في النساء لغلبة العاطفة عليهن، فعاطفتُهن تتغلَّب على عقولهنَّ.

الثالث: وفيه بيانُ فضلِ السيدة (عائشة) رضي اللَّه عنها بنتِ أبي بكر الصدّيق، حيث شبَّهها ﷺ بالثريد الذي هو أفضل الطعام عند العرب.

٣٤١٢ ـ [طرفه في: ٤٦٠٣، ٤٨٠٤]، سيأتي شرحه في الحديث القادم رقم (٣٤١٣).

باب (قَوْلِ اللَّه تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩])

٣٤١٣ ـ عَنْ عبد اللَّه بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ابْنِ مَتَّى). وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

[طرفه في: ٣٣٩٥].

شرح الحديث

رسولُ اللَّه ﷺ يرفع من قدر أخيه نبيِّ اللَّهِ (يونسَ بنِ متَّى)، فإنه أحدُ رسل اللَّه الكرام الذين أرسلهم اللَّه لهداية البشر، وقد كان قومه يعبدون صنماً اسمه «بعل»، وفيهم يقول سبحانه ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥] ولا تزال آثار مدينة «بعلَبَّك» المنسوبة إلى (بعل) شاهدةً على آثار هذه العبادة الوثنيّة.

وإنما قال ﷺ عن يونس ذلك، لأنه خشي على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيصٌ لمقام (يونسَ) عليه السلام، فذكر ﷺ الحديثَ، سدًّا لتلك الذريعة، فإنَّ (يونس) عليه السلام لمَّا دعا قومَه إلى الإيمان، ولم يقبلوا، تركهم وخرج من بين أظهرهم، ساخطاً عليهم، قبل أن يستأذن ربَّه في الخروج، لذلك عاتبه اللَّه على فعله، لأنه لم يصبر على معاناة الدعوة إلى اللَّه، فحين ركب في البحر، واضطربت بهم السفينة، وكاد الركابُ أن يغرقوا، ألقوه في البحر، فالتقمه الحوتُ، ولهذا نُسب إليه، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۞ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۞ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨ ـ ٥٠] وانظر قصته في كتابنا التفسير الواضح ص ١٤٥٥ فمن أجل سدِّ الذريعة، في الانتقاص من قدر (يونس) عليه السلام، قال ﷺ هذا الحديثَ الشريف، واللَّه أعلم.

٣٤١٤ ـ [طرفه في: ٤٢١١]، انظر شرح الحديث رقم ٢٤١١.

٣٤١٥ ـ [طرفه في: ٣٤١٦، ٤٦٠٤، ٤٦٣١، ٤٨٠٥]، انظر شرح الحديث السابق رقم ٣٤١٣.

٣٤١٦ ـ [طرفه في: ٣٤١٥]، تقدّم شرحُه في الحديث رقم ٣٤١٣.

بابُ (قولِهِ تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣])

٣٤١٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (خُفِّفَ عَلَى دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ).
[طرفه في: ٢٠٧٣].

اللغة

(تُسْرجُ) أي يوضع على الخيل السَّرجُ على ظهورها.

(القرآن): الزبور الذي أُنزل على (داود)، عليه السلام، لأنَّ قرآنَ كلِّ نبيّ، يُطلق على كتابه، الذي أوحى اللَّه به إليه.

ما يُستفاد من الحديث

في الحديث الدلالةُ على أن اللَّهَ يطوي الزمان لمن يشاء من عباده، فداود عليه السلام سهَّل اللَّه له تلاوة الزبور في زمنٍ قصير، وهذه إحدى المعجزات التي منحها اللَّه لرسوله (داود) عليه السلام، كما أيَّده اللَّه بإلانة الحديد، حتى كان يصنع منها السيوف والدروع، فكانت بين يديه كالعجين بين يدي الخبَّاز، وهذه معجزة أخرى، كما قال سبحانه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ * أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠، ١١] وممَّا أكرمه اللَّه به (الصَّوْتُ الحَسَن) ولذلك يضرب به المثل، فيقولون: (أُعطي مزماراً من مزامير آل داود) كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري.

٣٤١٨ - [طرفه في: ١١٣١]، تقدّم شرحُه.

٣٤١٩ - [طرفه في: ١١٣١]، تقدّم شرحُه.

٣٤٢٠ - [طرفه في: ١١٣١]، تقدّم شرحُه.

٣٤٢١ - [طرفه في: ٤٦٣٢، ٤٨٠٦، ٤٨٠٧]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٦٣٢.

٣٤٢٢ - [طرفه في: ١٠٦٩]، تقدّم شرحُه.

٣٤٢٣ - [طرفه في: ٤٦١]، تقدّم شرحُه.

٣٤٢٤ - [طرفه في: ٢٨١٩]، تقدّم شرحُه.

٣٤٢٥ - [طرفه في: ٣٣٦٦]، تقدّم شرحُه.

بابٌ (فِي قَضاءِ دَاودَ وَولَدِهِ سُلَيْمانَ عليهِمَا السَّلَام)

٣٤٢٦ - عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَثَلِي وَمثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ ناراً، فَجَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ تَقَعُ في النَّارِ).

٣٤٢٧ - وقال ﷺ: (كَانَتْ امرأتانِ معهما ابْنَاهُمَا، فجَاءَ الذِّئبُ فَذَهَبَ بابنِ إحْدَاهُمَا، فقَالَتْ صاحِبَتُها إنَّما ذَهَبَ بِابْنِكِ، وقالت الأُخْرى: إنما ذَهَبَ بابْنِكِ، فتحاكَمْتا إلى داوُدَ، فَقَضَى بهِ للكبْرَى، فَخَرَجْنَا على سُلَيْمانَ بن دَاوُد فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُوني بالسِّكِّين، أَشُقّهُ بَيْنَهُما، فقالَت الصُّغرى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هو ابْنُهَا، فَقَضَى به للصُّغرى).

[طرفه في: ٦٤٨٣].

شرح المفردات

(مَثَلي ومَثَلُ النَّاس): أي شأني في دعاء الناس إلى الإسلام، المنقذ لهم من النَّار، ومَثَلُ وشأنُ ما تُزيِّن لهم أنفسُهم، من الإعراض عن الإيمان والطاعة، والتمادي على الباطل، كمثَلِ رجل أوقد ناراً.

(الفَرَاشُ والدَّوَاب) أي جعلت الفَراشات والحشراتُ الطائرة، كالبعوض، والبرغش والجراد، تتهافت على الوقوع في النار، وصاحبُ النار يطردهنَّ عنها، وهي تتسابق إلى اقتحام النار، وهو تمثيل بديع رائع.

قال القاضي ابن العربي: هذا مَثَلٌ كثيرُ المعاني، بديعُ التمثيل، والمقصود منه أنَّ الناس لا يأتون ما يجرُّهم إلى النار، على قصد الهَلَكة والتَّلف، وإنما يأتونه على طريق الشهوة والمنفعة، كما أنَّ الجراد والفراش، لا يقتحم النارَ للهلاك، بل لما يعجبُه منها من الضياء والنور .اهـ فتح الباري ٦/ ٤٦٤.

شرح الحديث

هذان حديثان متداخلان، أوردهما البخاريُّ كحديثٍ واحد في صحيحه، وقد روى مسلم الحديث الأول تاماً، ونصُّه (**مَثَلي ومَثَلُكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادبُ ـ أي الجرادُ ـ والفراشُ يقعْنَ فيها، وهو يَذُبُّهُنَّ ـ أي يطردهنَّ ـ عنها، وأنا آخِذٌ بحُجَزِكُمْ عن النَّارِ، وأنتُمْ تفلَّتونَ من يَدِي**).

وهو تشبيه بديع لاقتحام الناس النَّارَ، بالمعاصي والمنكرات، والرسولُ ﷺ ممسكٌ لهم من أوساطهم، يدفعهم عن الوقوع في نار الجحيم، وهم يتفلتون من يده ﷺ.

أمَّا الحديث الثاني: فهو حديث رواه أبو هريرة عن رسول اللَّه ﷺ مرفوعاً، وهي قصة عجيبة وغريبة، ظهر فيها الحقُّ بطريق حيلةٍ لطيفة، من نبيِّ اللَّه (سليمان) عليه السلام.

وخلاصة القصة

أنَّ امرأتين خرجتا في نزهة، ومع كل واحدة منهما ولدٌ تحمله، ثم وضعتا الأبناء على الأرض، وأخذتا تتمشَّيان، فجاء ذئبٌ فاختطف أحدَهُما وافترسه، فلمَّا

رجعتا لم تَرَيا إلَّا طفلاً واحداً، فطار صوابُهُما، وادَّعتْ كلُّ واحدة منهما أنَّ الولد الباقي هو ابنُها، وكانت إحداهُمَا أكبرَ من الأخرى، فتخاصَمَتا إلى نبيِّ اللَّهِ «داود» عليه السلام، وكانت الكبرى محتضنةً للولد، تدّعي أنه ابنُها، ولم تكن هناك بيِّنةٌ مع واحدة منهما، فترجَّح عند «داود» أنَّ الولد للكبرى، لأنها ممسكةٌ بالولد تحمله، فحكم به لها، ولأن الكبرى يمكن أن تحمل وتلد، بخلاف الصغرى، فالحملُ فيها قليل.

خرجتا من عند داود، ومرَّتا على «سليمان» عليهِ السلام ـ وهو ابن داود ـ فقصَّتا عليه القصة، فاحتال بحيلةٍ لطيفة، تُظهر الحقيقةَ وتكشفُ عن الولد، من هي أمُّه؟ فقال لأحد الجالسين: ائتني بسكِّين، أقطع الولدَ بينهما نصفين، كلُّ واحدة منهما تأخذ نصفه، فصرخت الصُغْرى: لا تفعل ذلك يرحمك اللَّهُ، هو ولدُها وليس ولدي، ظنًّا منها أنه سيقطعه نصفين، كما سمعتْ حين قال: ائتني بالسكِّين أقسمه بينهما.

بينما الثانيةُ سكَتَتْ، فعرف أنَّ الولد (للصغرى)، فقضى به لها، وظهر له طريقُ الحقِّ، من قرينة شفقة الصغرى على الولد، بينما الكبرى لم يظهر منها الخوفُ عليه، فعرف أنها ليست أمَّه. ودلَّت هذه القصة على أنَّ الفطنة والفهم، موهبةٌ من اللَّه تعالى، لا تتعلَّق بكِبَر سنٍّ ولا صغره.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ الحقَّ يمكن أن يُعرف بطريق الحيلة، وأنه يجوز للحاكم أن يستعمل الحيلة للوصول للصواب.

الثاني: وفيه أنَّ الأنبياء عليهم السلامُ يسوغ لهم الحكم بالاجتهاد، إذا لم يوجد نصٌّ من الوحي.

الثالث: وفيه أنَّه تبيَّن لداود عليه السلام وجهُ الحقِّ في حُكم ولده (سليمان) فأمضاه، مع أنَّ كلاً منهما كان على جانب عظيم من العلم والفهم، كما قال سبحانه: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وذلك في قصة الزرع الذي نَفَشَتْ فيه الغنم، وذكرها القرآنُ الكريم، وانظر شرح القصة في التفسير الواضح الميسَّر ص ٨٠٤.

٣٤٢٨ ـ [طرفه في: ٣٢]، تقدّم شرحُه.

٣٤٢٩ ـ [طرفه في: ٣٢]، تقدّم شرحُه.

٣٤٣٠ ـ [طرفه في: ٣٢٠٧]، تقدّم شرحُه.

٣٤٣١ ـ [طرفه في: ٣٢٨٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (خَيْرِ نِسَاءِ الدُّنْيَا وَخَيْرِ نِسَاءِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة)

٣٤٣٢ ـ عَنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قال: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِها، مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ»).

[طرفه في: ٣٨١٥].

شرح الحديث

هذا الحديث الشريفُ قاله ﷺ حينما سُئل عن خير نساء الدنيا؟ فأخبر ﷺ أنَّ خير نساء بني إسرائيل (مريمُ ابنةُ عمران) أمُّ عيسى عليه السلام، وخيرُ نساء هذه الأمة المحمَدية أمُّ المؤمنين (خديجةُ بنتُ خُويلد) رضي اللَّه عنها، زوجُ رسول اللَّه ﷺ.

ودلَّ هذا على أنه يوجد في النساء فُضْلَياتٌ، ونساءٌ كريمات، كما يوجد في الرجال أفاضلُ وأكارم، وقد مرَّت معنا أحاديثُ تُشيد بفضل (فاطمةَ الزهراء) و(عائشة أمِّ المؤمنين، فليست الأفضليَّةُ قاصرةً على ما ذُكر هنا في الحديث، فقد ورد في حديث آخر، أخرجه النسائي وهو قوله ﷺ: **(أفضلُ نساءِ أهل الجنة: خديجةُ بنت خُويلد، وفاطمةُ بنتُ محمد، ومريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ بنت مزاحم امرأةُ فرعون)** فالمراد بقوله ﷺ: **(خيرُ نسائها مريم)** أي خيرُ نساء الأرض في عصرها وزمانها، ولا يدلُّ ذلك على أنها أفضلُ من (فاطمةَ وخديجة)، كما أنَّ قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] أي عالَمي زمانهم وعصرهم، فأمةُ محمد ﷺ أفضلُ الأمم، بالنصِّ القاطع ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١١٠].

قال أبو هريرة: أنتم يا أمة محمد خيرُ الأمم، وخيرُ الناسِ، تأتون بهم السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام.

٣٤٣٣ ـ [طرفه في: ٣٤١١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (نُساءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ منْ رَكِبَ الإِبِلَ)

٣٤٣٤ - عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: (نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ، أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ، فِي ذَاتِ يَدِهِ).

[طرفه في: ٥٠٨٢، ٥٣٦٥].

شرح الألفاظ

(أَحْنَاهُ) أي أشفَقه، من الحَنَان بمعنى الشفقة والرحمة، والحانيةُ: المرأةُ تقوم برعاية ولدها، بعد موت زوجها، فإذا تزوجتْ فليست بحانية.

(وَأَرْعَاه) أي أعطفه من الرعاية بمعنى الحفظ والحماية.

(ذاتِ يده) أي حفظ مال الزوج، وعدم تضييعه.

شرح الحديث

في هذا الحديث الشريف إشادةٌ بنساء العرب، فقد اشتهرن بركوب الإبل، أمَّا نساءُ الفرس فيركبن الخيل، وقد ورد ذَمُّهنَّ، (فبئسَ الفَرْجُ على السَّرج)، وقد اشتهرت نساء العرب بالعطف والحنان على أولادهم، وبالشفقة عليهم، وحسن مراعاتهم، وبمراعاة حقِّ الزوج في ماله، وحفظ عِرْضه، ولهذا قال ﷺ: **(أحْناه على طفلٍ، وأرعَاهُ على زوجٍ، في ذات يده)** أي بالأمانة على ماله، وفيه ترغيبٌ في الزواج من الحرائر، العفيفات، ذوات الدِّين، والخُلُق المتين.

وجاء في البخاري بعد ذكر هذا الحديث، قولُ أبي هريرة: (ولم تركَبْ مريمُ بنتُ عمران بعيراً قطُّ) ومرادهُ أنَّ الحديث إنما ورد في نساء العرب، أمَّا مريمُ فلها فضل آخر عظيم، حيث اصطفاها اللَّه على نساء العالمين، بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

بابٌ (المُؤْمِنُ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ عِيسَى رَسُولُ اللَّهِ)

٣٤٣٥ ـ عَنْ عُبادَةَ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ، عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ).

شرح الألفاظ

(وَرُوحٌ مِنْهُ) أي روحٌ مبتدأةٌ من خَلْقِ اللَّه، دون وساطة أب، أضيفت الروح إلى اللَّه، على سبيل التكريم والتشريف، لأنَّ عيسى خُلق من (أمٍّ بلا أب)، فاستحقَّ هذا الشرف العظيم.

(عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ) أي سواءً كان عملُه حسناً أو غيرَ ذلك، لأنَّ الإنسان إذا مات على الإيمان، لا بدَّ أن يدخل الجنة، بمغفرة اللَّه له، أو بشفاعة سيِّد المرسلين ﷺ، ولا تُخرجه الكبائرُ من الذنوب عن الإيمان.

شرح الحديث

وضَّح لنا الر سولُ ﷺ المقصودَ من هذا الحديث الشريف، وهو التنبيهُ على ما حصل من النصارى، من التخبُّط والضلال، في أمر (عيسى وأمه)، فإنَّ النصارى لمَّا رأوا أنَّ عيسى وُلد من أم، بغير أب، نسبوه إلى اللَّه، فقالوا: عيسى (ابنُ اللَّه)، وحينَ رأوا المعجزات؛ التي أظهرها اللَّه على يديه، من إبراءِ الأعمى، وشفاءِ الأبرصِ، وإحياءِ الميِّت، زعموا أنه هو (اللَّهُ) تجسَّد بصورة بشر، فعبدوه من دون اللَّه، وقد حكى القرآنُ الكريم عنهم، هذه القبائحَ والضلالات، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] **وحكَم بكفرهم وخلودهم في نار الجحيم، فقال عنهم:** ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

من أجل ذلك بيَّن لنا رسولُ اللَّه ﷺ أن من أراد أن يدخل في الإسلام من النصارى، لا يكفي أن ينطق بكلمة التوحيد (لا إلٰه إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّه) بل لا بدَّ أن يعتقد بنبوَّة عيسى، دون ألوهيته، حتَّى يصحَّ إيمانُه، لذلك خصَّ (عيسى) بالذكر في هذا الحديث فقال: (وأنَّ عيسى عبدُ اللَّه ورسولُه..).

قال القرطبي: المقصودُ من هذا الحديث، التنبيهُ على ما وقع من النصارى، من الضلال والفساد، في (عيسى) وأمِّه (مريم) فذكر أمر عيسى وأمِّه عليهما الصلاةُ والسلام، ويستفاد منه ما يُلقّنه النصرانيُّ إذا أسلمَ، بأن يعتقد أنَّ عيسى عبدٌ للَّهِ، وليس بإلٰه، ولذلك خُصِّص ذكرُ عيسى ابن مريم في هذا الحديث. اهـ عمدة القاري ١٦/ ٢٧.

بابُ (لَمْ يتكلَّمْ فِي المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ)

٣٤٣٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّه عنهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ:

(لَمْ يَتَكلَّمْ فِي المَهْد إلَّا ثَلَاثَةٌ: (عِيسَى ابنَ مريمَ) عليه السلام.

وَكَانَ فِي بَنِي إسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ (جُرَيْجٌ)، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُها أَوْ أُصَلِّي! فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، وَكَانَ (جُرَيْجٌ) فِي صَوْمَعتِهِ، فَتعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبى، فَأَتَتْ رَاعِياً فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَاماً، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ، فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، إلَّا مِنْ طِينٍ.

وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْناً لَهَا مِنْ بنِي إسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ، فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ اجْعَل ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَها وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ ـ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النَّبِيِّ ﷺ يَمصُّ إصْبَعَهُ ـ ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ، فقَالَتِ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَها، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَها، فقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ»).

[طرفه في: ١٢٠٦].

شرح الألفاظ

(مُومِسٌ) أي زانية، جمعُها مومسات، وهنَّ الزواني من النساء، المرتكبات للفاحشة.

(جُرَيْج) عابدٌ راهب، زاهد، من بني إسرائيل، اشتهر بصلاحه ودينه.

(فَأَمْكَنَتْه مِنْ نَفْسِهَا) أي قدَّمت نفسها له، حتى زنى بها، فحملت منه.

(كَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ) أي حطَّموا له القُبَّة التي كان يعبد ربه فيها.

(ذُو شَارَةٍ) أي صاحبُ هيئة، ومنظر حسن، يتعجَّبُ الناس منه، ويُشار إليه لحسنه وجماله.

(مُرَّ بأَمةٍ) أي مرُّوا على جاريةٍ مملوكة، تُضرب، ويُقال لها: سرقتِ، زنيتِ، ولم يقع منها شيء من ذلك.

شرح الحديث

في هذا الحديث الشريف ثلاثةُ أخبارٍ عجيبة، فيها إخبارٌ عن الثلاثة من الذين تكلَّموا في المهد أي في السرير وهم رُضَّع، وكلامُ الطفل الرضيع، لا شكَّ أعجوبة من العجائب.

أمَّا الطفل الأول: فهو «عيسى ابنُ مريم» عليه السلام، فإنه حين ولدت أمُّه به، اتهموها بالزنى، لأنها ليس لها زوج، وجاءت بغلام، وقد أخبر القرآن الكريم عن قصته فقال سبحانه: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۞ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٣٠] أي لمَّا سألوها حين ولدتْ بغلام، وهي عزباء غير متزوجة، كيف جئتِ بهذا الطفل؟ لم تجبْهم، وأشارت إلى (عيسى)، أن كلِّموه، ولا تكلِّموني!؟ فقالوا مستغربين متعجِّبين: كيف نكلِّم طفلاً رضيعاً، لا يستطيع الكلام؟ فأنطقَه اللَّهُ بكلام صريح فَصِيح ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] وكان ذلك معجزةً لعيسى عليه الصلاة والسلام، تدلُّ على براءة أمه، وطهارتها من مقارفة الفاحشة.

ولا نجد في الأناجيل ذكرَ هذه المعجزة الباهرة، وهي قوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] لأنها تُبطل مزاعم النصارى في ألوهية المسيح، ولهذا حذفوها من الأناجيل، مع أنها من سواطع البراهين والمعجزات!

أمَّا الطفل الثاني الذي تكلم في المهد: فهو في قصة (جُريج الراهب) وهو رجلٌ عابدٌ زاهد من بني إسرائيل، كان يتعبَّد ربَّه في صومعته، بمكانٍ مرتفع بعيد عن الناس. ! وكانت أمُّه تأتيه فتناديه، فيشرف عليها من صومعته فيكلِّمها، فأتته يوماً وهو في صلاته فنادته، فقال في نفسه: «اللهمَّ أمِّي وصلاتي»! يُحدِّث نِفْسَه: هل أقطع صلاتي، لأجيب أمِّي، أم أبقى في الصلاة؟ فلم يجبها وبقي في الصلاة، فرجعتْ إلى بيتها.

فعلتْ ذلك ثلاثة أيام، كلَّما جاءته رأته في الصلاة، فنادته ثلاثاً فلم يُجبها، فغضبت لذلك، ودعت عليه، فقالت: (اللهمَّ لا تُمِتْه حتى تريَه وجوهَ الزانيات)!

وكان من قصته، أنه اشتهر أمرُه بين الناسُ بالصلاح والعبادة، وأصبح الناس يُثنون عليه، وعلى استقامته وعبادته، فسمعتْ بذلك امرأةٌ فاجرة، فقالت: إن شئتم أن أفتنه لكم؟ قالوا: لا قدرةَ لكِ عليه، فإنه منقطع عن الخلق، مستغرقٌ في عبادة ربه!!

دخلتْ عليه وهو في صومعته ذات يوم، وأخذت تتفنَّن في زينتها، وتغريه بنفسها، تحاول أن توقعه في شِبَاكها، فعجزت عن ذلك، لصلَابة دينه، فخرجت فمكَّنتْ رجلاً راعياً من نفسها، فلمَّا وقع عليها، حملت منه، فلمَّا وضعته، ذهبت بالغلام إلى الملِكِ، وقالت له: هذا ابنُ (جريج الراهب) فَجَر - أي زنى - بي، فحملتُ بغلام منه، فأمر الملِكُ أن يذهبوا فيهدموا صومعتَه، ويأتوا به إليه ليقتله، فلمَّا جاءوا به إليه، قال: وَيْحَكَ يا جريجُ! كنَّا نراك رجلاً صالحاً، أحْبَلتَ هذه! اذهبوا به فاصلبُوه، فأخذوا يضربونه، ويقولون له: منافقٌ، مخادع، تخدع الناس بصلاتك وعبادتك!

ولمَّا أرادوا قتله، قال لهم: دَعُوني حتى أصلِّي ركعتين، فتركوه فتوضأ وصلَّى، ثم أقبل نحو الغلام، فقال له: من أبوك يا غلام؟ فأنطق اللَّهُ الرضيعَ، فقال: أبي فلانٌ الراعي! فكبَّر الناسُ، وأقبلوا نحوه يعانقونه ويتمسَّحون به، ورجعوا به إلى الملِكِ، فأخبروه بأمره، فقال لهم: اذهبوا فابنوا له صومعتَه من ذهب. فقال لهم: لا أريد ذلك، بل أعيدوها كما كانت من حجارة.

أمَّا الطفلُ الثالث الذي تكلَّم في المهد: فكان في قصة امرأة من (بني إسرائيل)، كانت جالسة تُرضِع وليداً لها، فمرَّ عليها رجلٌ شريف، يركب على فرس، له منزلةٌ وشأنٌ بين الناس، فأخذت تدعو لرضيعها، وتقول: (اللهمَّ اجعلْ ابني مثله، ذا شرف ومنزلة! فقَطَع الطفلُ ثدْيَ أمِّه، وتكلَّم فقال: اللهمَّ لا تجعلني مثله، فإنه شقيٌّ جبار، ثم رجع إلى ثدي أمِّه يمَصُّه، فتعجبتْ أمُّه، وتعجَّب الناس لكلامه! ثم مَرَّ الناسُ بأَمَةٍ

مملوكةٍ، يضربونها ويشتمونها، ويقولون لها: سرقتِ، وزنيتِ! فقالت أمُّ الطفل الرضيع: اللهمَّ لا تجعل ابني مثلَها، فترك الطفلُ ثَدْيَ أمه، ثم قال: اللهمَّ اجعلني مثلَها!

فتكلمت أمُه وسألته: لماذا قلت هذا الكلام؟ فقال لها: إنَّ الرجلَ الراكبَ، جبَّار من الجبابرة، شقيٌّ فاجر، والناسُ يُعْجَبون به ويُعظِّمونه، فقلت: اللهمَّ لا تجعلني مثله.

وأمَّا هذه الجاريةُ المملوكةُ، فهي عفيفةٌ شريفة، يتهمها الناس بالسرقة والزنى، وهي برئيةٌ من ذلك، فقلتُ: اللهم اجعلني مثلها.

هؤلاء الثلاثة هم الذين تكلَّموا صغاراً، وهم في المهد، كما أخبر الصادقُ المصدوق ﷺ.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في هذا الحديث: ضرورةُ إيثار إجابةِ الأم على (صلاةِ التطوع)، لأنها نافلةٌ، وإجابةُ الأمِّ وبِرُّها واجبٌ، كما جاء في الحديث (الجنةُ عند أقدام الأمهات).

الثاني: وفيه بيانُ عِظَم حقِّ الوالدين، وإجابة دعائهما، لأنه من البِرِّ الذي أمر اللّه به بقوله سبحانه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

الثالث: وفيه قوَّةُ يقين جريج، وثقتُه بربه، فإنه كان واثقاً بنصرةِ اللّه له، لذلك استنطق الطفلَ، مع أنَّ العادة أنَّ الصغير لا يتكلَّم، فأنطقه اللّه، كرامةً له، لينجيه اللّهُ من الصَّلبِ والقتل.

الرابع: وفيه أنَّ صاحبَ الصِّدقِ مع اللّه، لا تضرُّه الفتنُ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

الخامس: وفيه أنَّ من أصابته نائبةٌ أو كُرْبةٌ، ينبغي أن يفزع إلى اللّه، بالصلاة والدعاء، لتفريج الكربة عنه.

السادس: وفيه إثباتُ (كرامات الأولياء)، وهذه ثابتةٌ بالقرآن والسنة، ولها نصوص كثيرة، ولا ينكر كرامات الأولياء إلَّا جاهلٌ بالدِّين، كما يقول الحافظ ابن كثير رحمه اللّه تعالى.

تنبيه لطيفٌ هام

قال الإمام النووي رحمه اللّه: لو كان جريج فقيهاً، لعلمَ أن إجابة أمه أولى من

عبادة ربه، وكان بإمكانه أن يخفِّف صلاته ويجيبها، ولكنه كان عابداً، وهذا الفرقُ بين العابد والفقيه. اهـ.

أقول: وفي الحديث (ما عُبدَ اللَّه بشيءٍ أفضلَ من فقهٍ في دينٍ، ولفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألف عابد) أخرجه البيهقيُّ والدارقطني.

بابُ (رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ لعِيسَى، ومُوسَى، وإِبْرَاهِيمَ)

٣٤٣٧ ـ قال ﷺ: (ورأيتُ (إبراهيمَ) وأنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ به، وأُتِيتُ بإِنَاءَيْنِ: أَحَدَهُما لَبَنٌ، والآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: أَيُّهُمَا شِئْتَ؟ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الفِطْرَةَ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ).

[طرفه في: ٣٣٩٤].

٣٤٣٨ ـ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «رَأَيْتُ عِيسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا (عِيسَى) فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا (مُوسَى) فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ».

شرح الألفاظ

(سَبْط الشَّعْرِ): أي مسترسلُ الشعر، غير متجعِّد.

(رِجَالِ الزُّطّ): أي من رجال السُّودان فإنهم طوال الأجسام.

شرحُ الحديث

هذه رؤيا منامية، رآها رسولُ اللَّه ﷺ في نومه، رأى إبراهيمَ أبا الأنبياء عليه السلام، ورأىٰ موسى عليه السلام، كما رأى عيسى ابنَ مريم، وذكر شيئاً من

أوصافهم، فذكر أنَّ (عيسى) يميل إلى الحُمْرة مع البياض، مسترسلَ شَعْرِ الرأس، عريضَ الصدر، وأمَّا (موسى) فذكَرَ أنه أسمرُ اللَّون، طويلُ القامة، كأنه من رجالِ السودان، ورأى إبراهيمَ عليه السلام، ورسولُ اللَّه أشبهُ الناس به، ورؤيا الأنبياء حقٌّ، فهذه أوصافهم التي رآهم ﷺ بها، ويؤيِّد ذلك، أنها رؤية منامية، الحديث الآتي ذكرُه، رقم (٣٤٤٠).

٣٤٣٩ ـ [طرفه في: ٣٠٥٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ لِلمَسِيحِ ابنِ مَرْيَمَ والمَسِيحِ الدَّجَّالِ)

٣٤٤٠ ـ عَنْ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: (وَأَرَانِي اللَّيْلَة عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ، يَقْطُرُ رأْسُهُ مَاءً، وَاضعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهْوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلاً وراءَهُ جَعْداً قَطِطاً، أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنى، كأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابنِ قَطَنٍ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنكِبَيْ رَجُلٍ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَوا: الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ). تَابَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ.

[طرفه في: ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨].

شرح الألفاظ

(أَراني اللَّيْلَةَ) أي أرى نفسي هذه الليلةَ في النوم، عند الكعبة المشرَّفة.

(تَضْرِبُ لِمَّتُه) أي يضرب شعرُه الذي جاوز الأذنين إلى منكبيه، قريباً من العاتق.

(رَجِلُ الشَّعَرِ) أي مسرَّحُ الشعر، والترجيلُ: تسريحُ شَعْر الرأس.

(يَقْطُرَ رَأسُهُ مَاءً) أي يتساقط الماءُ من رأسه، لأنه كان جميلَ الصورة، فيه نضارةٌ وجمال.

(مَنْكِبَيْ رَجُلَيْن) أي يسير بين رجلين، قد وضع يديه على كتفيهما، وهو يطوف بالبيت أي بالكعبة المشرَّفة.

(جَعْداً قَطِطاً) أي شديد جعودة الشعر، وهذه صفةُ الدجَّال، فإنه أعورُ العَيْنِ، شديدُ الجعودة في شعر رأسه.

(ابنُ قَطَن) رجل من خُزاعة، اسمُه (عبد العُزَّى بنُ قَطَن) هلك في الجاهلية، رأى الرسولُ ﷺ الدجَّالَ، بصورة هذا الرجل ابن قَطَن.

شرح الحديث

رأى رسولُ اللَّه ﷺ في منامه أنه قائمٌ بجوار الكعبة المشرَّفة، يريد الطواف فيه، فإذا به يرى رجلاً جسِيماً، كأجمل ما خَلَق اللَّهُ، في نضارته وحُسنه، يتدلَّى شعرُ جُمَّته إلى منكبيه، يطوف حول بيت اللَّه العتيق، يقطر من رأسه الماءُ، فسأل ﷺ عنه، فأخبروه أنه المسيح (عيسى ابنُ مريم) عليه الصلاة والسلام.

ثم رأى رجلاً خلفه يتبعه، شديدُ جعودة الشعر، أعورُ العين اليمنى، يشبه (ابنَ قَطَن) في صورته وشكله، يعتمد بيديه على منكب رجل، يطوف بالبيت، فسأل من هذا؟ فقالوا له: إنَّه الدجال.

هذه الرؤيا المنامية تكشف عن حقيقة واقعية، ستقع في آخر الزمان، وهي أن الدجَّال يخرج على الناس، يدَّعي الربوبيةَ، ويتبعه كثير من الخلق يؤمنون به، ويكون هلاكُه على يد السيد المسيح (عيسى ابن مريم)، فهذا هو وجهُ هذا الخبر، والتقائِهما في تلك الرؤيا، فالدجال مفسدٌ في الأرض، وعيسى ابن مريم مصلح، يخلِّص الناسَ من شره، ويؤكد ذلك الروايةُ الثانية، التي أوردها البخاري في صحيحه، ولفظهُ:

(بينما أنا نائم أطوفُ بالكعبة، فإذا رجلٌ آدمَ - أي فيه سُمرة - سَبْطُ الشعر - أي مسترسل الشعر - يُهادَىٰ بين رجلين، ينطفُ رأسه ماءً، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: ابنُ مريم، فذهبتُ ألتفتُ، فإذا رجلٌ أحمرُ جسيمٌ، جعدُ الرأس، أعورُ عينهِ اليمنى، كأن عينَه عِنَبةٌ طافية - أي مارقة من مكانها - قلتُ: من هذا؟ قالوا: هذا الدجَّالُ، وأقربُ الناس به شَبَهاً ابنُ قَطَن).

٣٤٤١ - [طرفه في: ٣٤٤٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (أَحَقُّ النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)

٣٤٤٢ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه أنَّه قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»).

[طرفه في: ٣٤٤٣].

شرح الألفاظ

(أَوْلَى النَّاسِ) أي أنا أحقُّ الناس، وأخصُّهم وأقربُهم، إلى (عيسى ابن مريم)، لأنه بشَّر بي، بأني سآتي بعده في آخر الزمان ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

(أَوْلَادُ عَلَّات): هم الإخوةُ لأب، من أمهات شتَّى، فالأنبياءُ أصولُهم واحدة، وشرائِعُهم مختلفة، شبَّه ﷺ الأنبياءَ بالإخوة من الأب، أبوهم واحدٌ، وأمهاتهم شتَّى.

شرح الحديث

لمَّا كان رسولُ اللَّه ﷺ خاتمَ الأنبياء والمرسلين، ولم يكن بينه وبين عيسى عليه السلام نبيٌّ، وقد بشَّر ببعثته السيِّد المسيح، لذلك كان رسولُ اللَّه ﷺ، أخصَّ النَّاس بعيسى عليه السلام، وأحقَّهم به من جميع الأنبياء الكرام.

ومن جهة أخرى، فإنَّ الرُّسلَ بينهم قرابةٌ، تشبه قرابةَ النَّسَب، فإنَّ اللَّه بعثهم بدينٍ واحدٍ، فكأنهم إخوةٌ من الأب، يجمعهم أصلٌ واحد، هو (الإسلامُ)، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وإن كانت شرائِعُهم مختلفة، لكنَّ الأصلَ يظلُّ واحداً بالرابطة المتينة، التي تجمع بين الأنبياء والمرسلين، ولذلك شبَّههم ﷺ (بالإخوة من الأب) أصلُهم واحدٌ، وأمهاتُهم شتَّى، وصدق اللَّه العظيم حيث يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

تنبيه لطيف هام

ينبغي لنا أن نعلم أنَّ الأديانَ السماوية مشتركةٌ في أصول واحدة، مثلُ «أركان الإيمان» و«أركان الإسلام»، ومثلُ الدعوة إلى الفضائل، ومكارم الأخلاق، والبعدِ عن الرذائل والخبائث، لأن مصدَرَها واحد، وهو الدِّينُ الحقُّ، دينُ الإسلام، الذي جاء به جميعُ الأنبياء والمرسلين، كما قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

أمَّا الأمور الفقهية الشرعية، المتعلِّقة بالجزئيات والفرعيات، فإنها هي المختلفة تَبعاً لكل أمة، وكلِّ عصرٍ وزمان، وحسبَ مصالح الشعوب، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فافهم هذا رعاك اللّهُ. وإليه يشير حديث الباب:

(أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بعيسى ابن مريم، في الدنيا والآخرة، والأنبياءُ إِخْوةٌ لِعَلَّات، أمهاتُهُم شتَّى، ودينُهم واحدٌ) أخرجه البخاري.

ففي هذا الحديث تمثيلٌ رائع بديع، للأخوَّة الدينية التي تجمع بين جميع المرسلين، حيث شبَّههم بإخوةٍ من الأب، أبوهم واحد، وأمهاتُهم مختلفة، ويا له من تمثيلٍ بالغ الحُسْن والجمال!

٣٤٤٣ ـ [طرفه في: ٣٤٤٢]، تقدّم شرحُه.

باب (مَنْ حَلفَ أَنَّهُ لَمْ يَسْرِق، وَصَدَّقَهُ مَنْ رَآه)

٣٤٤٤ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي).

شرحُ الحديث

هذه قصة عجيبة، فيها مغزى لطيف، فقد رأى عيسى عليه السلام رجلاً يسرق،

من حِرْزٍ خُفْيَةً، فقال له: أتسرق مال أخيك المسلم؟ فقال له: لا واللَّهِ ما سرقتُ، ولستُ بسارق!! فلمَّا حلفَ له باللَّهِ أنه لم يسرق، قال له عيسى عليه السلام: صدَّقتُ باللَّه الذي أقسمتَ لي به، وكذَّبتُ بصري!! قاله مبالغةً في تعظيم أمر الحلف باللَّه.!

قال ابنُ القيِّم رحمه اللَّه: كانَ اللَّهُ جلَّ وعلا في قلبِ عيسى أجلَّ من أن يحلف به أحدٌ كاذباً، ودارَ الأمرُ بين اتِّهام الحالفِ، واتِّهام بصرِه، فردَّ التُّهمة إلى بصره، وقال له: آمنتُ باللَّهِ، وكذَّبتُ بصري، كما ظنَّ آدمُ صَدقَ إبليس، لمَّا حلف له باللَّه، أنه له ناصحٌ أمين ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٢]. فتح الباري ٦/ ٤٩٠.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: دليلٌ على درْء الحدِّ بالشبهات، ولذلك لم يعاقبه (عيسى) عليه السلام.

الثاني: وفيه منعُ القضاء بعلم القاضي دون الشهود، وهو رأيُ الجمهور.

الثالث: وفيه المبالغةُ بتصديقِ الحالف حسب الظاهر، لا حسب الباطن.

الرابع: وفيه تعظيمُ أمر الحلفِ باللَّه، محقًّا كان أو مبطلاً!!

بابُ (النَّهْيِ عَنِ الإِطْرَاءِ فِي المَدِيحِ والثَّنَاءِ)

٣٤٤٥ ـ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنْه، عن النبي ﷺ أنه قال: (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ).

[طرفه في: ٢٤٦٢].

شرح الألفاظ

(لا تُطروني) الإطراءُ: هو الإفراطُ في المديح والثناء، وليس مجرد المديح،

بدليل قوله ﷺ: **(إنَّ المؤمنَ إذا مُدح في وجهه، ربا الإيمانُ في قلبِه)** أي ازداد تواضعاً، فزاد إيمانُه. والإطراءُ: مجاوزةُ الحدِّ في المدح، والكذبُ فيه، كمن يقول للبخيل: أنت أكرمُ الناس، وللجبان: أنت أشجعُ الشجعان!! **قال الحافظُ ابن حجر**: والإطراءُ: المدحُ بالباطل، تقول: أطريتُ فلاناً، إذا مدحتَه فأفرطت في مدحه. اهـ فتح الباري.

(أنا عَبدُه) أي أنا عبدٌ للّه، فقولوا: عبدُ اللّه ورسولُه، وهذا من هَضْمِه ﷺ لنفسه، وإظهارِهِ التواضعَ للّهِ عزَّ وجَلَّ، مع أنه سيِّد ولدِ آدم.

شرح الحديث

هذا الحديثُ ليس نهياً عن المديح، بل هو تحذيرٌ من المدح بالباطل، كما ادَّعَى النصارى «الألوهية» في السيد المسيح (عيسى ابن مريم)، ولهذا قال: (كما أَطْرتِ النَّصارى) فوجهُ التشبيه واضحٌ في الدلالة على الممنوع، وهو المغالاةُ في المديح حتى يصل به إلى درجة الحرام، كما يفعل الرافضةُ اليوم في (عليٍّ) رضي اللّه عنه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: النهيُ عن الإطراء في المديح، ومن الكذب في المديح بالباطل.

الثاني: وفيه بيانُ خُلُق الرسولِ الكريم ﷺ، وتواضُعه في نفسه، تعليماً للأمة، لقوله ﷺ: **(قولوا عنّي عبدُ اللّه ورسولهُ)**.

الثالث: وفيه ذمُّ النصارى، حيث زعموا الألوهيَّةَ في (عيسى ابنِ مريم) فعبدوه من دون اللّه ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

٣٤٤٦ ـ [طرفه في: ٩٧]، تقدّم شرحُه.

٣٤٤٧ ـ [طرفه في: ٣٣٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٤٤٨ ـ [طرفه في: ٢٢٢٢]، تقدّم شرحُه.

❁ ❁ ❁

باب (نُزُولِ عِيسَى ابن مَرْيَمَ آخِرَ الزَّمَان)

٣٤٤٩ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ)!؟

تَابَعَهُ عُقَيْلٌ وَالأَوْزَاعِيُّ.

[طرفه في: ٢٢٢٢].

شرح الحديث

هذا طرفٌ من حديث طويل، أخرجه البخاري، ونصُه: (والذي نفسي بيده ليوشكَّن أن ينزل فيكم ابنُ مريم، حَكَماً مُقْسطاً ـ أي حاكماً بشريعة الإسلام بالعدل ـ فيكسرَ الصليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ، ويضعَ الجزيَةَ ـ أي لا يقبل الجزية من أحد، فإنه لا يرضى بغير الإسلام ـ ويفيضُ المالُ، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدةُ الواحدةُ، خيراً من الدنيا وما فيها. . .) الحديث. صحيح البخاري ٦/ ٤٩٣ من فتح الباري.

وأمَّا معنى قوله ﷺ: (وإمامُكم منكم) أي الإمامُ للصلاة، يكون من هذه الأمة، تعظيماً وتشريفاً لها، لأنه لا يأتي بدينٍ جديد.

وفي صحيح مسلم: (فَيُقال: صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضَكم على بعضٍ أمراءُ).

وعن أحمد من حديث جابر: (فيقال تقدَّمْ يا روحَ اللَّه فصلِّ بنا، فيقول: ليتقدمْ إمامُكم فَلْيصلِّ بكم).

تنبيه لطيفٌ هام

قال العلماء: الحكمةُ في نزول عيسى عليه السلام، دون غيره من الأنبياء، للردِّ على اليهود، في زعمهم أنهم قتلوه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] فبيَّن اللَّه جلَّ وعلا كذبَهم بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾

[النساء: ١٥٧] ولا يتركهم عيسى على دينهم الباطل، وهو الذي يقتل الدجَّالَ، ولا يقبل من أحدٍ الجزيةَ، إنما يأمر الجميع بالدخول في دين الإسلام، وللردِّ على النصارى، وهم الذين زعموا أنه إلهٌ، تجسَّد بصورة بشر ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] فينزل عليه السلام، ليبطل دعواهم، فيكسر الصليب، يحكم بشريعة الإسلام.

وقيل: إنَّ نزوله إلى الأرض، لدنوِّ أجَلِه، ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب، أن يموت في غير الأرضِ، لقوله سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

وقيل: إن عيسى دعا اللّهَ، حينَ رأى صفةَ محمد وأمَّته، أن يجعله منهم، فاستجاب اللّه دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخرَ الزمان، مجدِّداً لأمر الإسلام، فيوافقَ خروجُه، خروجَ الدجال فيقتله .اهـ فتح الباري ٦/ ٤٩٣.

لطيفة

اختلف العلماءُ في المدة التي يمكث فيها (عيسى عليه السلام) في الأرض، بعد نزوله من السماء.

فقيل: (سبعَ سنوات) وهو مرويٌّ عن (عبد اللّه بنِ عمرَ) رضي اللّه عنه.

والصحيحُ الراجحُ، أنه (أربعون سنة)، وهي رواية أبي هريرة أنه قال: (يقيم في الأرض أربعين سنة) وهي مرفوعةٌ إلى النبيِّ ﷺ، رواها أحمد، وأبو داود بإسناد صحيح.

وفي هذه الرواية أنَّ عيسى عليه السلام (ينزلُ وعليه ثوبان ممصَّرَانِ ـ أي فيهما صُفرةٌ ـ فيدُقُّ الصليبَ ـ أي يكسره ـ ويقتلُ الخنزيرَ، ويضع الجزية ـ أي لا يقبلها ـ ويدعو الناسَ إلى الإسلام، ويُهلك اللّهُ في زمانه المِلَلَ ـ أي الأديانَ ـ كلَّها إلَّا الإسلام، وتقعِ الأمَنَةُ في الأرض، حتى تَرتَع الأسودُ مع الإبل، ثم يُتوفى عيسى عليه السلام، ويصلِّي عليه المسلمون، ويُدفن في المدينة المنورة، مع النبيِّ ﷺ وبجواره، وجوارِ صاحبيه) اهـ، وانظر فتح الباري ٦/ ٤٦٣.

وفي صلاة عيسى خلف رجلٍ من أمة محمد ﷺ، دلالةٌ على أنَّ الأرض لا تخلو عن قائم للّه بحجة، انظر عمدة القاري ١٦/ ٤٠.

بابُ (حَدِيثُ الدَّجَّالِ وَمَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

٣٤٥٠ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّه عنهُ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: (إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَاراً، فَأَمَّا الَّذِي يَرى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ، فَمَاءٌ بَارِدٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، فَنَارٌ تُحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ).

[طرفه في: ٧١٣٠].

شرح الحديث

خروجُ الدجَّال من أشراط الساعة الكبرى، وقد حذَّر النبيُّ ﷺ أُمَّتَه من هذه الفتنة العظيمة، التي يتعرض الناسُ إليها في آخر الزمان، فإنَّ الدجال يخرج ومعه من الخوارق، والأمورِ المستغربة، ما يُفتن له البَشَرُ.

تكون السماءُ صاحيةً، فيأمرها بإنزال المطر، فيتنزَّل منها المطرُ حالاً، وتكون الأرضُ مجدبةً، فيأمرها بإخراج الزرع والثمر، فيخرج الزرعُ!

ويقتُلُ إنساناً ثم يقول له: قُمْ حيًّا، فيحيا أمامَ أنظار البشر، ومن ضمن الخوارق، أنَّ معه ماءً وناراً، فأمَّا النَّارُ التي يراها الناس ناراً، فهي ماءٌ بارد، يُطفئ ظمأَ العطشان، وأمَّا الماءُ فهو نار تحرقُ الإنسانَ، ولهذا أمرَ ﷺ أن يُلقي الإنسانُ نفسه، في النَّار التي مع الدجال، ولا يقتحم الماءَ، فإنه نار محرقة، وهذا من جملة فتنة المسيح الكذَّاب الدجال، يمتحن اللَّه بها عبادَهُ، فيُحِقُّ الحقَّ، ويُبطل الباطل، ثم يفضحه اللَّهُ، ويُظهر للناس كذبَه وفجورَه، ولهذا كان الرسولُ ﷺ يستعيذ في كل صلاة، من فتنةِ المسيح الدجَّال.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ فتنة الدجال من أعظم الفتن التي تكون آخر الزمان.

الثاني: وفيه أنَّه يموِّه على الناس الحقائقَ، فنارُه ماءٌ، وماؤُه نارٌ.

الثالث: وفيه وصيةُ الرسول ﷺ بأنَّ من أدركه فعليه ألَّا يُخدع بما يشاهده منه من أمورٍ خطيرة، يزعم بها أنه إلٰهٌ، يدعو الناس إلى الإيمان به، كقتل الإنسان ثم إحيائه، وكإنزال المطر، وإخراج الزرع والثمر.

٣٤٥١ ـ [طرفه في: ٢٠٧٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قِصَّةِ الَّذِي أَوْصَى أَوْلَادَهُ بِإِحْرَاقِهِ)

٣٤٥٢ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ رِضِيَ اللَّه عنهُ، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: (إنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ المَوْتُ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَباً كَثِيراً، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَاراً، حَتَّى إِذَا أَكَلتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلى عَظْمِي فَامْتَحَشَتْ، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْماً رَاحاً، فَاذْرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّه، فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّه لَهُ).

[طرفه في: ٣٤٧٩، ٦٤٨٠].

شرح الألفاظ

(امْتَحَشَتْ) أي احترقتْ لحومي وعظامي، وأصبحت كالفحم، فخذوها فاسحقوها.

(يَوْماً رَاحاً) أي انتظروا يوماً شديد الرياح والعواصف.

(اذْرُوه في اليَمِّ) أي اطرحوا ما تجمَّع من الرُّفات بعد الحرق، فاطرحوا نصفها في البحر، ونصفها الآخر في البرّ.

شرح الحديث

قصةٌ عجيبةٌ غريبة، أخبر عنها الرسولُ ﷺ، وهي قصة حقيقية، وقعت لرجل من الأمم السابقة، **وخلاصتها**:

(أنَّ رجلاً قبلكم، كان قد أسرف على نفسه، في ارتكاب الفواحش والمنكرات، فلمَّا حضرته الوفاةُ، جمع أبناءه فقال لهم: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ أي كيف كان إحساني ورعايتي لكم؟ فأثنوا عليه خيراً، وقالوا: لقد أحسنتَ إلينا وأكرمتنا، ونحن عاجزون عن ردِّ الإحسان والجميل إليك!

فقال لهم: يا أبنائي إني لم أدَّخر عندي اللَّه عملاً صالحاً، ذنوبي كثيرة، وأخشى بعد الموت، أن يعذِّبني اللَّه عذاباً شديداً، لا يعذِّبه أحداً من العالمين، فإذا أنا مِتُّ، فخذوا جُثَّتي فاحرقوها، حتى تصبح كالفحم، ثم اسحقوها سحقاً دقيقاً، حتى تكون كالتراب الناعم، ثم اقسموها نصفين، نصفٌ اطرحوه في البحر، والنصفُ الآخرُ، انتظروا إلى يوم، شديدِ الرياح والعواصف، فاطرحوه في البرّ، حتى تتطاير الذرَّاتُ مع العواصف الشديدة، لعلِّي أتخلَّص من عذاب اللَّه!

فما لبث أن مات الوالد، ففعل أبناؤه ما أوصاهم به أبوهم، أحرقوا جسده، ثم سحقوه سحقاً دقيقاً، حتى أصبح ذراتٍ، كذرات التراب الناعم، ثم رمَوْا نصفَ الكميَّة في البحر، وانتظروا يوماً شديد الريح والعواصف، فقذفوا بالنصف الآخر في البرِّ، فتطايرت الذرَّاتُ، حتى لم يبق لها أثرٌ. !

أخبرنا ﷺ عمَّا حدث لذلك العبد، فإن اللَّه تعالى أمرَ البحرَ، أن يَجمع ما فيه من ذرَّات ذلك الإنسان، وأمرَ البرَّ أن يجمع ما فيه، من تلك الذرَّات، وقال له: كنْ عبداً. فإذا هو عبدٌ واقفٌ بين يدي ربِّ العالمين، بلمح البصر، فقال اللَّه له: ما الذي حملَكَ على ذلك؟ فقال: يا ربِّ خشيةً من عذابك!! فَتَداركتْه رحمةُ اللَّه تعالى، فغفر له ما سلفَ من الذنوب، وأدخله الجنة، بواسع رحمته.

هذه القصة تكرَّر ذكرها في صحيح البخاري، لينبِّه ﷺ على سَعَة رحمة اللَّه لمن آمن بربِّه، ومات على الإيمان، مع كثرة الذنوب والعصيان، فهذا الرجل كان مؤمناً، يعتقد بالبعث بعد الموت، ولكنه لكثرة ذنوبه، خاف أن لا يغفر اللَّه له، فأوصى أبناءه بتلك الوصية، لغلبة خوفه من اللَّه، ولو كان منكراً للبعثِ، جاحداً لوجود اللَّه ووحدانيته، لاستحقَّ الخلودَ في نار الجحيم، لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

قال الإمام الخَطَّابي: قد يُستشكلُ هذا، فيقال: كيف يغفر اللَّه له، وهو منكرٌ للبعث؟ ولقدرة اللَّه على إحياء الموتى؟

والجواب: أنه لم ينكر البعث، وإنما جَهِلَ، فظنَّ أنه إن فعل ذلك، قد يتخلَّص من العذاب، وقد ظهر إيمانُه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية اللَّه تعالى، فقاله في

حال دهشته، وغلبةِ الخوف عليه، حتى ذهب عقلُه، اهـ من فتح الباري ٦/ ٥٢٣.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: بيانُ سعةِ فضلِ اللّه عزَّ وجل، لمن مات على الإيمان.

الثاني: وفيه أنَّ الإنسان لا ينبغي أن يقنط من رحمة اللّه، مهما كثرت ذنوبُه لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

الثالث: وفيه أنَّ اللّه لا يؤاخذ الإنسانَ إذا أصابه خللٌ في عقله، كما في أمر هذا الرجل.

الرابع: وفيه بيانُ قدرة اللّه عزَّ وجل، على جَمْع أجزاء الميِّت، مهما تناثرت ذراته، وتبعثرتْ أشلاؤه، بقوله: (كنْ)، فكان وجوده كأسرع من طرفة العين.

٣٤٥٣ ـ [طرفه في: ٤٣٥]، تقدّم شرحُه.

٣٤٥٤ ـ [طرفه في: ٤٣٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (الوَفَاءِ بالبَيْعَةِ للأَوَّلِ فَالأَوَّلِ)

٣٤٥٥ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رِضِيَ اللّه عنهُ، عن النبي ﷺ أنّه قَالَ: (كَانَتْ بَنُو إِسْرائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأنْبياءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ. قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ، فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللّه سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعاهُمْ»).

شرح الألفاظ

(تَسُوسُهُمْ) أي ترعاهم وتتولى أمورَهم، كما يفعل الأمراءُ بالرعية، والسياسةُ: القيامُ على الشيء بما يُصْلِحه.

(خَلفَهُ نبيٌّ) أي قام مقامَه نبيٌّ آخرَ، يُصلح أمرَ الناس.

(فُوا بَيْعَةَ الأوّلِ) أي أوفوا بيعةَ الخليفة الأول، فإذا بُويع لخليفةٍ ثان، فالبيعةُ باطلةٌ، والأولى صحيحة.

(أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ) أي أطيعوهم وأدُّوا لهم حقَّهم من السمع والطاعة، فإنَّ اللَّه يسألهم ويحاسبهم عن حال الرعية يوم القيامة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ الأنبياءَ في بني إسرائيل كانت كثرةً وفيرةً، لا يخلو زمنٌ من نبيٍّ من الأنبياء، كما قال سبحانه ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢].

الثاني: وفيه أنَّ نبيَّنا محمداً ﷺ آخر الأنبياء، لا نبيَّ بعده، قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب].

الثالث: وفيه أنَّ البيعةَ للخليفة الأول شرعيةٌ، والبيعةُ لآخر باطلة.

الرابع: وفيه أنَّ الواجب على الناس طاعةُ الخليفة والحاكم، واللَّهُ يحاسبهم على ما فعلوا من خيرٍ أو شر.

بابُ (اتِّبَاعِ طَرائِقِ اليَهُودِ والنَّصارَى)

٣٤٥٦ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ، شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِراعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُول اللَّهِ: الْيَهُودَ وَالنَّصارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»).

[طرفه في: ٧٣٢٠].

شرح الألفاظ

(سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ) السَّنَنُ بفتح السِّين: السبيلُ والمنهاجُ، أي تسلكون طرائِقَهم، وتقتدون بهم، في أمورهم وعاداتهم.

(شِبْراً بِشِبْرٍ) أي خُطوةً بخطْوة وذراعاً بذراع، وهذه كناية لطيفة، عن شدة الموافقة لهم، في المعاصي والآثام.

(جُحْر ضَبٍّ) أي لو دخلُوا في أضيق الأماكن وأردئها، لاقتفيتُم آثارَهم، حتى ولو في ثُقبِ ضبٍّ ضيِّق.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: إخبارٌ غيبيٌّ عمَّا يحصل من المسلمين، من تقليدٍ أعمى، لأهل الكتاب في آخر الزمان، وقد حدث كما أخبر عنه ﷺ.

الثاني: وفيه التحذيرُ الشديد من اقتفاء آثارِ اليهود والنصارى، واتِّباعِ طرائقهم، ومناهجهم الضالة.

الثالث: وفيه التمثيلُ البديعُ لسلوك طرائقِ أهلِ الكتاب، ولو في أضيق المداخل والمسالك، بتشبيهه بجُحْر الضبِّ.

الرابع: وفيه بيانُ أنَّ أهل الكتاب قد انحرفوا عن دينهم، والاقتداءُ بهم مهلكةٌ في الدِّين، ولذلك حذَّر ﷺ من سلوك طريقهم.

٣٤٥٧ ـ [طرفه في: ٦٠٣]، تقدّم شرحُه.

٣٤٥٨ ـ انظر شرح الحديث رقم ٣٤٦٢.

٣٤٥٩ ـ [طرفه في: ٥٥٧]، تقدّم شرحُه.

٣٤٦٠ ـ [طرفه في: ٢٢٢٣]، تقدّم شرحُه.

بابُ (إثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ مُتعَمِّداً)

٣٤٦١ ـ عَنْ عبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رضِيَ اللَّه عنهُ، عنَ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: (بلِّغُوا عَنِّي ولَوْ آيَةً، وحدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ ولَا حَرَجَ، ومَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»).

شرح الألفاظ

(بَلِّغُوا عَنِّي) أي علِّموا النَّاسَ القرآنَ، ولو بتعليم أحدهم آيةً واحدة، والمراد به نشر الرسالة الإسلامية، وهداية البشر.

(وَلَا حَرَجَ) أي لا إثم على من تحدَّث عن أخبار بني إسرائيلَ، لأن فيها بعضَ الأخبار والعِبَر، كقصة البقرة، وإحياء الميت، وقصة الذين اصطادوا يوم السبت، وقصة الذين خرجوا هرباً من الطاعون، وأمثالِها.

(فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ) أي ليتَّخذْ له منزلاً، وسكناً في نار جهنم، وهو أسلوبُ وعيدٍ وتهديد.

ما يُستفاد من الحديث

في هذا الحديثِ الشريف أمرٌ بتبليغ القرآنِ الكريم للناس، ولو بأقلِّ قَدْرٍ ممكن، كآيةٍ من كتاب اللَّه.

وفيه جوازُ التحديث عن أخبار بني إسرائيل.

وفيه التحذيرُ من الكذب على رسول اللَّه ﷺ، لأنه مبلِّغٌ عن اللَّه شريعته، فمن كَذَبَ عليه، فقد كَذَبَ على اللَّه.

كما فيه الوعيدُ والتهديد للكاذب بنار الجحيم.

تنبيه لطيفٌ هام

قال البدرُ العيني: إنما أُذِنَ بالحديث عن بني إسرائيل، لما وقع لهم من الأمور العجيبة والغريبة، وإنما قال ﷺ: **(وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج)** لأنه كان قد تقدَّم منه ﷺ الزجرُ عن الأخذ عنهم، والنظرُ في كتبهم، ثم حصل التوسُّع في ذلك، وكان النهيُ قبل استقرار الأحكام الشرعية، خشيةَ الفتنة، ثم لمَّا زال المحذورُ، وقع الإذنُ بذلك، لِمَا فيه من الاعتبار، عند سماع الأخبار، التي وقعت في زمانهم، وما فيها من الغرائب والأعاجيب .اهـ عمدة القاري ١٦/ ٤٤.

❁ ❁ ❁

بابُ (صَبْغِ الشَّيْبِ بِغَيْرِ السَّوَادِ)

٣٤٦٢ - عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهُ، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قَالَ: (إنَّ الْيهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ).

[طرفه في: ٥٨٩٩].

شرحُ الحديث

المرادُ بالصّبغ صبغَ شيبِ الرأس واللحية، وهو جائز بالحِنَّاء والكَتَم، وهو مقيَّد بغير السواد، لحديث (**غيِّروه وجنِّبوه السَّوادَ**) رواه مسلم.

وقد كان الرسولُ ﷺ يحبُّ مخالفةَ أهل الكتاب، ولهذا قال ﷺ: (**فخالفوهم**) والأمرُ هنا للإباحة أو الندب، وليس للوجوب، فقد ثبت أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لم يصبغ.

قال النووي: إنَّ الصبغ بالسَّواد، يُكره كراهةَ تحريم، والكراهةُ خاصةٌ بالرجال، دون النساء، فيجوز للمرأة الصبغُ بالسَّواد، لأجل زوجها .اهـ عمدة القاري ١٦/ ٤٦.

بابُ (تَحْرِيمِ الجَنَّةِ عَلَى قَاتِلِ نَفْسِهِ)

٣٤٦٣ - عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضِيَ اللَّه عنهُ، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قَالَ: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ فَأَخَذَ سِكِّيناً فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»).

[طرفه في: ١٣٦٤].

شرح الألفاظ

(جُرْحٌ) أي كانت به جِراحةٌ في بدنه.

وفي رواية: (خرجتْ به قَرْحَةٌ): وهي حبةٌ تخرج في البدن، تُؤلم الإنسانَ وتزعجه.

(فَجَزِعَ) أي لم يصبر على الألم، فقطع يده بسكينٍ حادٍ، فسالَ الدمُ.

(فَمَا رَقَأَ) أي لم ينقطع الدمُ فمات الرجل بسبب ذلك الفعل.

(بَادَرَني عَبْدِي) أي استعجلَ الموتَ، وهي كنايةٌ لطيفةٌ عن تعجُلِه الموتَ، بقتل نفسه.

شرح الحديث

أخبر الرسولُ ﷺ عن رجل اختار قتلَ نفسه، بطريقةٍ من طُرق الخلاص من الحياة، حيث كانت به جراحةٌ فلم يعالجها، بل أقدم على الخلاص منها بقتل نفسه، حيث سال دمهُ ومات.

هذا الحديثُ محمولٌ على التغليظ، أو هو فيمن استحلَّ قتل نفسه، لأن كلَّ من استحلَّ المحرَّم، ارتدَّ عن دين اللَّه، فصار كافراً، يُخلَّد في نار جهنم، أمَّا إذا قَتَلَ نفسه دون استحلال، فهو عاصٍ فاسق، وحكمُه حكمُ من ارتكب منكراً من المنكرات، أمرُه إلى اللَّه، إن شاء غفر اللَّه له، وإن شاء عذَّبه، على جريمته المنكرة.

ولهذا قال العلماءُ: الحديثُ واردٌ موردَ التغليظ، كقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

أو هو محمولٌ على من استحلَّ ذلك، فيكفر بالاستحلال.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ قتل النفس كبيرةٌ من الكبائر، لا يجوز لمسلم أن يقدم عليها.

الثاني: وفيه التحذيرُ من الإقدام على قتل النفس، لأنها مِلْكٌ للَّهِ عزَّ وجل، فلا يحلُّ الاعتداء عليها، لأنَّ اللَّه تعالة هو الذي خَلَقها.

الثالث: وفيه الوقوفُ عند حدود اللَّه تعالى، وفضيلةُ الصبر على البلاء، مهما اشتدَّ ذلك عليه.

بابُ (قِصَّةِ الأَقْرَعِ، والأَعْمَى، والأَبْرَصِ)

٣٤٦٤ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ: (إِنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيل: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الأَبْرص فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً، وَجِلْداً حَسَناً، فقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: الإبلُ ـ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ ـ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الأَبْرَصَ وَالأَقْرَعَ: قَالَ أَحَدُهمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ الْبَقَرُ ـ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فقَالَ: يُبارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعراً حَسَناً، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِداً.

فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا واد مِنَ الغَنَم.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ ـ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ ـ بَعِيراً أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي.

فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ، يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الأَعْمى فِي

صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ، إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟, فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّه بَصَرِي، وَفَقِيراً فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيءٍ أَخَذْتَهُ للَّه، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فقَدْ رَضِيَ اللَّه عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ).

[طرفه في: ٦٦٥٣].

شرح الألفاظ

(بَدَا للَّهِ) أي سَبَقَ في علم اللَّهِ، وقَضَى أن يختبرهم، وليس المراد به: أنه ظهر له بعد أن كان خافياً، لأنَّ ذلك محالٌ في حقِّ اللَّه تعالى.

وفي رواية مسلم: (أراد اللَّهُ أن يبتليهم) أي يختبرهم.

(قَذِرَنِي النَّاسُ) أي كرهوا مجالستي، وابتعدوا عني خشية العدوى.

(نَاقَةٌ عُشَرَاءَ) النَّاقةُ: أنثى الجمل، أي وهَبَه ناقةً حاملاً، مضى على حملها عشرةُ أشهر، ودعا له بالبركة. !

(شَاةً وَالِداً) أي شاةً حاملاً، تحمل في بطنها جنيناً.

(فَأَنْتَجَ هَذَانِ) أي وُلِدَ لهما موالدُ من أنعامهما، يُقال: نَتَجَ وأنتج أي وَلَد له.

(وَوَلَّدَ هَذَا) أي وَلَد لصاحب الغنم أيضاً أغنامٌ من تلك الشاة، ودعا له بالبركة.

(تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ) أي انقطعتُ في سفري، وهي (كناية لطيفة) عن فقد آلات السفر، من مركب، ومتاع، وزاد، ومرادُه أن يُعينه بما يوصله إلى وطنه.

(فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ) أي في الصورة التي أتاه عليها المَلَكُ، وهي صورةُ رجل ضعيف، حين كان أبرصَ.

(كَابِراً عَنْ كَابِرٍ) أي ورثتُ هذا المالَ، عن آبائي وأجدادي، كبيراً عن كبير في العزِّ والشرف.

(صَيَّرَكَ اللَّه إِلَى مَا كُنْتَ) أي أعادَك اللَّه إلى ما كنتَ عليه، من البَرَص، والفقر والحاجة، ثم غاب عنه.

(لا أَجْهَدُك بِشَيْءٍ أَخَذْتَه) أي لا أشقُّ عليك، في شيءٍ تطلبُه لوجه اللَّه، فخذ ما شئتَ من مالي، ودَعْ ما شِئتَ.

(أَمْسِك عَلَيْكَ مَالَكَ) أي احتفظْ بمالك لنفسك، فلا أريد منه شيئاً، فإنَّما طلبي هذا، امتحانٌ وابتلاءٌ لكم من اللَّه، فقد امتُحنتم أيها الثلاثة، فرضي اللَّه عنك، وسخط على صاحبَيْك.

شرح الحديث

هذه قصة عجيبة، قصَّها سيِّدنا رسولُ اللَّه ﷺ على أصحابه، ليتميَّز أهلُ الشكر والعرفان، عن أهل الجحود والنكران، فهؤلاء ثلاثة أشخاص، ابتلوا بأمراضٍ جسدية، مستعصية الشفاء، ومع البلاء بالجسد، كان البَلاءُ بالفقر، والحاجة، فأرسل اللَّه لهم مَلَكاً، في صورة رجلٍ، جميل الهيئة، لطيفِ المنطق والكلام، أراد اللَّهُ عزَّ وجلَّ امتحانهم، عن طريقه.

جاءهم في صورةٍ بشرية، فجلس بجوار الرجل الأبرص، فسأله ما هو أحبُّ شيء لك في الدنيا؟ قال: أن يشفيني اللَّهُ من هذا المرض والبلاء ـ البرص ـ الذي كرهني الناسُ من أجله، وأن يعطيني اللونَ الحسنَ، والجلدَ الحسن! فمَسَحه بيده، فزال عنه ذلك المرضُ.

وسأله أيُّ نوعٍ من المال أحبُّ إليك؟ فقال: الإبلُ، فأعطاه ناقةً حاملاً، ودعا اللَّهَ أن يُبارك له في ماله، وبعد سنين صار عنده وادٍ من الإبل!!

ثم جاء إلى الأقرع فسأله عن أحبِّ شيء يرغبه من الدنيا؟ فقال له: أن يعطيني اللَّهُ الشعر الحسنَ، ويُذهب عني هذا المرض ـ القَرْعة ـ فمسحه بيده، فأذهب اللَّه عنه البلاء.

وسأله عن أحبِّ المال عنده، فقال: البقرُ، فأعطاه بقرةً حاملاً، ودعا له بالبركة فيها، فصار عنده بعد سنين وادٍ من البقر.

ثم أتى الأعمى، فسأله أيُّ شيء أحبُّ إليك من الدنيا؟ فقال: أن يردَّ اللَّه إليَّ بصري، فأستمتع برؤية الناس، وأسلك طريقي دون أن أقع أو أتعثَّر، فمسحه بيده فردَّ اللَّهُ إليه بَصَره.

وسأله أيُّ المال أحبُّ عندك؟ قال: الغنمُ، فأعطاه شاةً حاملاً، ودعا له فيها بالبركة، فصار عنده وادٍ من الغنم!.

ثم إن المَلَك جاء إليهم، بصورة إنسان مسكين مُعْدَم، فاستغاث بالأول أن يعطيه بعيراً يركبه، ليصل إلى بلده، وأخبره أنه رجل ضعيف، انقطع به الطريقُ، ولا نجاة له إلَّا بعونٍ منه، أن يهبه من الإبل الكثيرة بعيراً ليوصله إلى وطنه، فقال له جاحداً نعمة اللَّه: الحقوقُ كثيرة، والفقراءُ كثيرون، وليس عندي ما يكفي الجميعَ، ورفَضَ أن يُعطيَه شيئاً ممَّا طلبه منه!!

فقال له: ألم تكن أبرصَ فشفاكَ اللَّه؟ ألم تكن فقيراً فأغناك اللَّه؟ فأجابه: لا، هذا غيرُ صحيح، فإني ورثتُ هذا المالَ عن آبائي، كبيراً عن كبير، فقال له: إن كنت كاذباً، فردَّكَ اللَّه إلى ما كنت عليه!! ثم ذهب عنه حتى غاب، فأذهب اللَّه ثروته، وردَّه إلى ما كان عليه، من البَرَصِ والبلاء.

وفعل مِثْلَه بالأقرع، طلَبَ منه أن يهبه بقرةً، ليتبلَّغ بها إلى وطنه، فرفض وزعم أنه ورث هذا المال عن آبائه وأجداده، فدعا عليه، كما دعا على الأول، فأذهب اللَّهُ ماله، وردَّ عليه المرضَ.

ثم جاء إلى الأعمى، فذكَّره بنعمة اللَّه عليه، وعرَّفه أنه فقير ومحتاج، وطلب منه شاةً، فقال له: لقد كنتُ أعمى، فردَّ اللَّهُ عليَّ بصري، وكنت فقيراً فأغناني اللَّه من فضله، فاذهبْ وخذْ ما شئتَ من هذه الأغنام، ودَعْ ما شئتَ، **فواللَّهِ لا أمنعك شيئاً طلبته من أجل اللَّه!!**

فقال له: باركَ اللَّهُ لك في مالك وبدنك، وأخبره بالخبر أنه امتحانٌ من اللَّه لهم، وليس له حاجة بشيء من المال، فقد رضي اللَّه عن الأعمى، وسخط على صاحبيه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ اللَّه عزَّ وجل يختبر عبادَه ويبتليهم بما يشاء، ليظهر الشاكرُ من الجاحد الفاجر.

الثاني: وفيه أنَّ المَلَك يتصوَّر بصورة رجلٍ، وله القدرةُ على التَّصَوُّر بما شاء من الصور.

الثالث: وفيه أنَّ الشاكر لنعمة اللَّه يزيده اللَّه من فضله ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والفاجرُ يسلب اللَّهُ منه النعمة.

الرابع: وفيه أنَّ دعاء المَلَك مستجابٌ عند اللَّه، فقد استجاب اللَّه دعاءه في الأشخاص الثلاثة.

الخامس: وفيه ذكرُ الرسولِ ﷺ لقَصَص وأخبار السابقين، للعظة والاعتبار، كما في القصة التالية حديث رقم (٣٤٧٠).

٣٤٦٥ ـ [طرفه في: ٢٢١٥]، تقدّم شرحُه.

٣٤٦٦ ـ [طرفه في: ١٢٠٦]، تقدّم شرحُه.

٣٤٦٧ ـ [طرفه في: ٣٣٢١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (التَّحْذيرِ مِنْ تَرْكِ إنكارِ المُنْكَر)

٣٤٦٨ ـ عن معاوية بنَ أبي سفيان رضي اللّه عنه عَامَ حَجَّ ـ عَلَى المِنْبَرِ، فَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ ـ وَكَانَتْ فِي يَدَيْ حَرَسِيّ ـ فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَماؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَنْهى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيقُولُ: «إِنَّما هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ».

[أطرافه: ٣٤٨٨، ٥٩٣٢، ٥٩٣٨]

شرح الألفاظ

(**تَناوَلَ قُصَّةً**) أي تناول قُطعةً من شعر الرأس، من جهة الناصية مقدَّم شعر الرأس.

(**يَدِحَرَسِيٍّ**) أي من يد أحد الحَرَس، الذين يحرسون السلطان.

شرح الحديث

لـمَّا حجَّ الخليفةُ (مُعَاوِيةُ بنُ أبي سفيان) سنة إحدى وخمسين، من الهجرة النبوية، وهي آخرُ حجةٍ حَجتها في خلافته.

خطبَ على منبر رسول اللّه ﷺ، فقال مخاطباً لأهل المدينة: «**أين علماؤكم الذين يُنكرون المنكر؟ ألَا تعلمون أن رسول اللّه ﷺ نهى وحذَّر**»، أن تصلَ المرأةُ شَعْرها

بشَعْر امرأةٍ أخرى، وقال: «**لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ والمَستوصِلَة**»! فلماذا لا يُنكر علماؤكم هذا المنكر؟ وقد أهلك اللَّهُ بنِي إسرائيل، حين فعل نساؤهم هذا المنكر الشنيع، !! يذكِّرهم وينبّهُهُم إلى خطر السكوت عن أمرِ منكر، لا ينكره الناسُ، خشية أن يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل، فتهلك الأمةُ كما هلك بنو إسرائيل!!

ما يُستفاد من الحديث

أولاً: فيه واجبُ العلماء والدُّعاة، إلى إنكار المنكر ـ مهما كان صغيراً ـ لأنه طريق إلى انتشار المنكر القبيح.

ثانياً: وفيه معاقبةُ عامة الناس بظهور المنكر، لقوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿**كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٩].

قال الإمام العيني: كان قصدُ الخليفة الإنكار عليهم بإهمالهم مثل هذا المنكر، وغفلتهم عن تغييره، وفي هذا اعتناء الولاة بإزالة المنكرات، وتوبيخ منْ أهملَها. هـ عُمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٦/ ٥٥.

٣٤٦٩ ـ [طرفه في: ٣٦٨٩]، سيأتي شرحه.

بابُ (الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ شَخْصاً)

٣٤٧٠ ـ عَنْ أَبِي سَعيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَة وَتِسْعِينَ إِنْسَاناً، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتى رَاهِباً فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُل: ائتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّه إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبُ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ).

شرح الألفاظ

(أَتَى رَاهِباً) الراهبُ: العابدُ، الذي يتعبَّد ربَّه في صومعة أو رأسِ جبلٍ، وهو غير العالِم، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

(هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ)؟ أي سأله هل لي من توبة؟ فقال: لا، فقتَلَه، فأكمل به المائة نفسٍ.

(فَنَاءَ بِصَدْرِ) أي مالَ بصدره إلى جهة تلك القرية، التي خرج إليها يريد التوبة.

شرح الحديث

هذه القصة عجيبة، وقد حدثت في بني إسرائيل، فقد حَدَث أنَّ رجلاً منهم أسرف على نفسه في القتل، فقتل تسعةً وتسعين نفساً، ثم أراد أن يتوب، فذهب إلى (رجل عابدٍ) مترهِّب، فسأله هل لي من توبة؟ فأجابه قتلتَ تسعةً وتسعين شخصاً وتريد أن تتوب) ليس لك عند اللَّه توبة!!

فتغيَّظ من جوابه وقَتَله، فأكمل به العدد، فقتَلَ مائةَ نفس.

ثم إنَّ الرجلَ ندم ندماً شديداً، لقتله للرجل الراهب، فسأل عن رجلٍ، يتوب على يديه، فدلُّوه على (رجل عَالِم)، يفقه أمور الدين، فسأله هل لي من توبة؟ فقال له: من يحولُ بينك وبين اللَّه إذا أردت أن تتوب؟ ولكنَّ هذه البلدةَ التي تسكنها، بلدة سوء، فيها أناسٌ أشقياء، فاذهبْ إلى البلدة الفلانية، فإنَّ فيها قوماً صالحين، يعبدون اللَّهُ، فاعبدْه معهم.

فخرج متوجهاً إلى بلدة الصالحين، وبينما هو في طريقه حضره الموتُ، فاختلفت فيه (ملائكةُ الرحمة) مع (ملائكة العذاب)، جماعةٌ يقولون إنه جاء تائباً، فنحن أحقُّ به، وملائكةُ العذاب تقول: إنه قَتَلَ مأئةَ نفسٍ، فنحن أحقُّ به، ثم احتكموا إلى عبدٍ من عباد اللَّه، فقال لهم: قيسُوا ما بين البلدين، فإلى أيهما يكون أقربَ تأخذَه ملائكتُه، فكان أقربَ إلى البلدة، التي خرج يقصدها، فأخذته ملائكةُ الرحمة، فغفر اللَّه له، وعفا عنه، مع عظيم جُرمه، فاللَّهُ عزَّ وجلَّ غفَّارُ الذنوبِ، يتوب على من يتوب، كما قال سبحانه ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث مشروعيةُ التوبة من جميع الذنوب والكبائر، حتى من قتل النفس.

الثاني: وفيه فضلُ الرجل (العالم) على (العابد)، لأنَّ الراهب استعظم أمرَه، فأفتاه خطأً بعدم التوبة، بينما العالمُ أفتاه بالصواب، وأرشده إلى طريق التوبة النَّصوح، التي تكفّر الذنبَ مهما كان كبيراً.

الثالث: وفيه حجةٌ لمن أجاز التحكيمَ بين الناس، فإن رضِيَا بذلكَ، جاز عليهما الحكمُ، وأصبح لازماً.

الرابع: وفيه بيانُ سعة رحمة وفضله، فقد تاب اللّه على القاتل، مع عظيم جرمه، فإن اللّه تعالى يغفر جميع الذنوب، إلّا الإشراكَ باللّه تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

تنبيه لطيفٌ هام

مذهبُ أهلِ السنة أنَّ التوبة تكفِّر جميع الذنوب والكبائر، وما ورد من نصوص تدلُّ على خلود قاتل النفس عمداً، مثلُ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فإنه محمولٌ على الشدَّة والتغليظ لأمر القتل، مع العذاب الشديد الذي ينتظره، فهو من باب (الترهيبِ والزجر)، لئلا يجترئ الناس على الدماء، أو هو محمولٌ على من استحلَّ دمَ المسلم بغير حقٍ، فهو كافر يُخلَّد في النَّار، لاستحلاله ما حرَّم اللّه، وهذا بالإجماع.

فإن قيل: إنَّ حقوق الآدميّين لا تسقط بالتوبة، بل لا بدَّ من الاسترضاء!

فالجواب: أنَّ اللّهَ إذا قبل توبة العبد التائب، يُرْضي عنه خصومَه يوم القيامة، كما جاء به الحديث الصحيح.

٣٤٧١ ـ [طرفه في: ٢٣٢٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (الرَّجُلِ الَّذِي اشْتَرَى عَقَاراً وَوَجَدَ فِيهِ الذَّهَبَ)

٣٤٧٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: (اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رجُلٍ عَقَاراً لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ، جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ.

فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّما اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ!

وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَما إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ، وَتَصَدَّقَا).

شرحُ الحديث

هذه القصة إحدى الغرائب والعجائب، إنسانٌ يشتري أرضاً ليحرثها أو يبنيها، وأثناء حفر الأرض، يجد جرةً مملوءةً بالذهب، فيسارع نحو البائع، ويخبره أنه وجد في الأرض جرَّةَ ذهب، ويطلب منه أن يستلمها، لأنه اشترى منه الأرض، ولم يشتر منه الذهب، وهذا من شدة دينه، وخشيته من اللَّه، أن يأخذ ما ليس له به حق.

فيقابله البائع بأمرٍ مدهش، فيه غايةُ الدِّين والورع، ويقول له: أنا بعتك الأرضَ وما فيها، فهذه صارت ملكك، ولا حقَّ لي بها، وأخشى من اللَّه أن أرجعَ في بيعي، فأكون عاصياً للَّه.

ولا ينفضُّ الخصامُ بينهما، حتى يحكِّما بينهما رجلاً، من هو الأحقُّ بهذه (الجرَّة من الذهب)؟ فيسألهما الرجُل الذي تحاكما إليه، فيقول لأحدهما: هل لك غلام؟ فيقول: نعم، ويقول للآخر: هل عندك جارية ـ أي بنت ـ فيقول: نعم، فيقول لهما: زوِّجا الغلامَ والجاريةَ، وأنفقا عليهما من ذلك الذهب، وتصدَّقا ببعض الذهب.

وينتهي الصلح بينها، بهذه المحاكمة البديعة الرشيدة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث إشارةٌ إلى جواز التحكيم، لأنه من (باب الصلح)، وهو جائز، لقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

الثاني: وفيه أنَّ ما يوجد في الأرض مدفوناً، فهو ملكٌ للبائع، إن كان من دفائن أهل الجاهلية.

الثالث: وفيه بيانُ ما كان عليه الناسُ، من الوَرَع والدين، والخوف من المال الحرام.

تنبيه لطيف

قال الإمام القرطبي: هذا الرجلُ الذي تحاكما إليه، لم يصدُرْ منه حُكمٌ على أحدٍ منهما، وإنما أَصلح بينهما بطريقة رشيدة، لِما ظهر له من وَرَعهما، وحسنِ حالهما، ولِمَا ارتجاه من طيب نسلهما، وصلاح ذريتهما، كما حفظَ اللّهُ كنز اليتيمَيْن لصلاح أبيهما ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] اهـ عمدة القاري ١٦/ ٥٨.

بابُ (الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)

٣٤٧٣ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ أنه قيل له: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ؟ فَقَالَ أُسامَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْسٌ، أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ـ أَوْ: عَلَى مَنْ كَان قَبْلَكُمْ ـ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ»).

قَالَ أَبُو النَّضْرِ: (لَا يُخْرِجُكُمْ إِلَّا فِرَاراً مِنْهُ).

[طرفه في: ٥٧٢٨، ٦٩٧٤].

شرح الحديث

في هذا الحديث الشريف، تحذيرٌ من دخول بلدٍ، وقع فيه الطاعون، خشية عموم البلاء لأهل البلد، وهذا الوباءُ الوبيل «الطاعون» أصلُه من العذاب الذي نزل على بني إسرائيل، بسبب كثرة جرائمهم، وانتهاكهم لمحارم اللّه، وقد نبّه الرسولُ ﷺ على أمر عظيم هام، أَلَا وهي الوقاية من هذا الوباء، فقال: **(إذا وقع في بلدٍ، فلا تدخلوا ذلك البلد، وإذا وقع بأرضٍ، وأنتم فيها فلا تخرجوا من ذلك البلد)** وهذا ما يُعرف بزماننا (بالحَجْر الصِحّي) لئلا ينتقل الطاعونُ، من المريضِ

إلى الصحيح، ولا يتعرَّض الصحيحُ بدخوله على المصابين بالطاعون.

فصلواتُ ربي وسلامُه على طبيب القلوب والأجساد، الذي علَّم أمَّته طرقَ الوقاية من الوباء.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف إرشادٌ إلى أنَّ وبَاءَ الطَّاعون عقوبةٌ من اللَّه على بني إسرائيل، بسبب فجورهم وطغيانهم.

الثاني: وفيه التحذيرُ من ارتكاب الفواحش والمنكرات، لأنها سببٌ لحلول الأسقام والأمراض، كما قال ﷺ: (ما ظهرت الفاحشةُ في قوم قطُّ، إلَّا ظهرتْ فيهم الأسقامُ والأمراضُ، التي لم تكن في أسلافهم).

الثالث: وفيه الوصيةُ بعدم الدخول لبلدٍ ظهر فيه الوباءُ، وعدم خروج أهل البلد منه، خشية نقلِ العدوى.

تنبيه لطيف هام

حين خرج الخليفة (عمرُ بنُ الخطاب) رضي اللَّه عنه إلى الشام، جاءه الخبرُ بأنَّ الطاعون قد فشا في أرض الشام، فأمر الجنودَ بالعودة إلى المدينة المنوَّرة، وكان معه (أبو عُبيدةَ بنُ الجراح) رضي اللَّه عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، أفراراً من قَدَر اللَّه؟ فأجابه عمر بقوله: لو غيرُك قالها يا أبا عُبيدة!! نعم نفرُّ من قَدَر اللَّه، إلى قَدَر اللَّه، أرأيتَ لو كان لك إبلٌ، فرعيتَها في أرضٍ مُجْدِبة، ثم رأيت أرضاً مُخْصِبة، فنقلتَها إليها، أليس فعلتَ ذلك بقضاء اللَّه!؟ فكان عمرُ أفقهَ من (أبي عُبيدة) رضي اللَّه عنهما وللَّهِ درُّه.! ويؤيده الحديث التالي ذكره:

بابٌ (الطَّاعونُ عذابٌ لِلْكَافِرِ ورَحمَةٌ لِلْمُؤْمِن)

٣٤٧٤ - عَنْ عَائشَةَ رَضِيَ اللَّه عُنها زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ أنها قَالَتْ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ! فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ: «عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّه عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ

اللَّه جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِراً مُحْتَسِباً، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ، إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّه لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ»).

[طرفه في: ٥٧٣٤، ٦٦١٩].

شرح الحديث

أكّد هذا الحديثُ الشريف سابقَه، أنَّ وباء الطاعون عذابٌ، يبعثه اللّه على من يشاء من عباده، وقد يعمُّ المؤمنَ والكافر، والبرَّ والفاجر، ولكنَّه سبحانه يجعله رحمةً للمؤمن، لأنه إذا مات بسببه، فإنَّ اللّه سبحانه يكتب له أجرَ الشهيد، إذا صبر على قضاء اللّه، وبقي في بلده، صابراً محتسباً أجره عند اللّه تعالى، وأمَّا الكافر فيكون عقوبةً له ونقمة.

ما يُستفاد من الحديث

فيه بيانُ عناية اللّه بالأمة المحمدية، حيث جعل اللّهُ العذاب الذي ينزل بالكفار، رحمةً للأمة الإسلامية، تكريماً لنبيِّها (محمد) خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، لأن اللّه بعثه رحمة للعالمين.

٣٤٧٥ ـ [طرفه في: ٢٦٤٨]، تقدّم شرحُه.

٣٤٧٦ ـ [طرفه في: ٢٤١٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَا نَالَ الأَنْبِياءَ مِنْ أَذى الكُفَّارِ)

٣٤٧٧ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّه عنهُ أنه قال: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًا مِنَ الأَنبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهْوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»).

[طرفه في: ٦٩٢٩].

شرح الحديث

أرسلَ اللَّهُ الرسلَ الكرامَ لهداية البشر، وقد نالهم من أقوامهم أنواع الأذى والبلاء، فمنهم من ضُرب حتى سال دمُه، ومنهم من هُدِّد بالرجم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] ومنهم من أقدم قومُه على قتله، فقتلوه، ونبيُّنا محمد ﷺ ناله كثيرٌ من البلاء، فقد أُلقي على ظهره الشريف، فرْثُ الجَمَل وهو يُصَلِّي، وفي غزوة أُحد شُجَّ وجهُه، وكُسرت رباعيتُه، ولمَّا حدث له ذلك، وحزن أصحابُه على ما جرى له ﷺ، أخبرهم رسولُ اللَّه ﷺ، عمَّا جرى لِمَنْ سبقه من الأنبياء، واستحضر في تلك الموقعة، حالةَ ذلك النبيِّ، الذي ضربه قومُه حتى أَدْمَوه، تطييباً لقلوبهم، وتخفيفاً لما نالهم من القتل والجراحات، فحكى لهم ما نال الأنبياءَ من أنواع البلاء، ليذكِّرهم بواجب الصبر، والاقتداء بسيرة الرسل الكرام، ولهذا روى ابن مسعود هذا الحديثَ، وحكى لنا صورة الرسول ﷺ، وهو يحدثهم عن نبيٍّ من الأنبياء، ضربه قومُه حتى سال منه الدم، وهو يمسح الدمَ عن وجهه ويقول: **(اللهمَّ اهد قومي فإنهم لا يعلمون)** فَمَا أحلمَ الأنبياءَ؟ وما أصبرهم على أذى أقوامهم! جزاهم اللَّهُ عن المسلمين خير الجزاء.

قال الحافظُ ابنُ حجر: لم أقف على اسم هذا النبي صريحاً، فيحتمل أن يكون هو «نوح» عليه السلام، فقد ذُكر أنَّ قوم نوح كانوا يبطشون به، ويخنقونه حتى يُغْشَى عليه، فإذا أفاق قال: **(اللهمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)**، وقيل: إن المراد بالنبيِّ هو نبيُّنا (محمدٌ) ﷺ نفسُه، هو الحاكي عن نفسِه، وذلك لما وقع له يوم أحد، لمَّا شُجَّ وجهُه وجرى منه الدَّمُ.

وأمَّا النووي فقال: هذا النبيُّ الذي جرى له ما حكاه النبيُّ ﷺ، إنما كان من المتقدِّمين، وهو الصحيح .اهـ فتح الباري ٦/ ٥٢١.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ ما نالَ الأنبياءَ من الأهوال والشدائد.

الثاني: وفيه واجبُ التأسِّي برسل اللَّه الكرام في الصبر على ما يصيب المؤمنين ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] كما قال سبحانه ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الثالث: وفيه أنَّ في قصص الأنبياء وأخبار الصالحين عبرة للمعتبرين ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

بابُ (قصة الذي أوصى بإحراقه بعد موته ليتخلَّص من العذاب)

٣٤٧٨ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «**أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**».

[أطرافه: ٦٤٨١، ٧٥٠٨]

شرح الألفاظ

(رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً) أي رزقه اللَّه مالاً كثيراً، وبارك له في ماله، حتى زاد ونما، مأخوذٌ من الرَّغَسِ وهو البَرَكةُ، والنَّماءُ، والخيرُ، كأنه أغناه وبارك له في ماله.

(لمَّا حُضِرَ) أي قال لأبنائه لمَّا حَضَره الموتُ، وقاربَ انتهاءُ أجله.

(في يوم عاصف) أي شديد الريح والعواصف.

(مَا حَمَلَك)؟ أي ما هو الذي حَمَلَك على هذه الوصية؟

(مَخافَتُكَ يا رَبِّ) أي خوفاً منك يا ربِّ أن تعذِّبني!!

(فَتلقَّاه برَحْمَته) أي استقبله برحمته، وعفا عنه، وأدخله الجنة بمحضِ فضله وكرمه.

شرح الحديث

هذا حديث عجيبٌ وغريب، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، يدلُّ على سعة كرم اللَّه، وفضلِه على عبده المؤمن، إذا مات على الإيمان، فقد أخبرنا الرسولُ ﷺ بهذه القصة البديعة، وهي أن رجلاً من الأمم السابقة، كان كثير المال، وسَّع اللَّه عليه الرزقَ، وأكثر له الذريةَ والبَنِينَ، هذا الرجلُ كان قد أغرق في الذنوب

والمعاصي، ولمَّا دنتْ وفاتُه، جمع أبناءه السبعة، فلما حضروا، سألهم كيف كنت لكم؟ ألم أحسن معاملتكم؟ ألم أنفق عليكم وأرعاكم؟ قالوا: بلى، كنت لنا خير أبٍ وخير معين!!

فقال لهم يا أبنائي: إنه قد دنت وفاتي، وأنا خائف من عذاب اللّه، فإذا أنَا متُّ، فوصيَّتي إليكم، أن تأخذوا جُثَّتي فتحرقوها، حتى تكون مثل الفحم، ثم خذوها فاستحقوها سحقاً دقيقاً، حتى تصبح مثل ذرَّات الرَّمل الناعم، ثم انتظروا يوماً شديدَ الرياح والعواصف، فخذوا نصف الكمية فارموها في البرِّ، حتى تتطاير الذراتُ مع العواصف، وخذوا الباقي فارموا به في البحر، حتى يختلط بمياهه، ولا يبقى لوجود هذه الذرَّات أثر، وإن لم تفعلوا فوسف يعذبني اللّه عذاباً شديداً، لا يعذِّبه أحداً من العالمين، فذنوبي كثيرة لا يخلِّصُني منها، إلا أن تفعلوا ما أوصيتكم به!

يقول ﷺ: لم يلبث إلَّا أن مات الرجلُ، ففعل به أبناؤه ما أوصاهم به أبوهم، أحرقوا جثَّته، ثُمَّ سحقوها سحقاً ناعماً، ثم قسموها نصفين، نصفٌ رموا به في البحر، ونصفٌ آخر، انتظروا يوماً عاصفاً شديدَ الرياحِ والعواصف، فنثروه في البرِّ، حتى لم يبق له أثر.

فإذا كان يوم القيامة، قبل أن يُحاسب اللّه الخلائقَ، يأمر اللّه البحرَ، فيجمع ما فيه من الذرات، ويأمر البرَّ فيجمع ما فيه، ثم يقول له: كنْ عبداً!! فإذا هو عبدٌ واقف بين يديّ ربِّ العزة والجلال، فيقول له ما الذي دعاك وحَمَلَك على هذه الوصية لأبنائك؟ أتظنُّ أن تتخلَّص مني بهذا العمل؟ فيقول يا ربِّ، واللّهِ ما دفعني إلى ذلك، إلَّا خَشْيتُك، والخوفُ من عذابك!! فيتداركه اللّه برحمته، وواسعِ مغفرته ورضوانه، فيعفو عنه ويدخله الجنة!.

قال العلماء: هذا الرجل كان مؤمناً، كثيرَ الخوفِ من اللّه، ولكنه كان مغرقاً في الذنوب والمعاصي، فظنَّ أنه بهذه الطريقة، يمكنه التخلص من عذاب اللّه، فأوصى أبناءه بهذه الوصية، ومما يدلُّ على إيمانه، أنه قال (ما دفعني إلى ذلك، إلَّا خوفي منك، أن تُعذِّبنِي بنار الجحيم؟!! ولو كان كافراً لَمَا غفر اللّه له.

قال الخطَّابي: قد يُشكل فهمُ هذا الحديث، على بعض الناس، فيقول: كيف يغفر اللّهُ له، وهو منكرٌ للبعث، والقدرةِ على إحياء الموتى؟

والجواب عن ذلك: أنه لم يُنكر البعثَ، وإنما غَفَل وجهلَ، فظنَّ أنه إن فعل ذلك، لا يعيده اللّه إلى الحياة فيعذِّبُ، وقد ظهر إيمانُه باعترافه، بأنه إنما فَعَلَ ذلك من خشية اللّه عزَّ وجل، ولعلَّ ذلك الرجل قال ذلك، من شدة جَزَعه وخوفه من اللّه،

كما أخطأ الذي أراد أن يُثني على اللَّه، فقال: (اللَّهمَّ أنتَ عبدي وأنا ربُّك) أخطأ من شدة الفرح، اهـ فتح الباري لابن حَجَر ٦/ ٥٢٢.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ سَعَة رحمة اللَّه، وعفوه عن عباده، فاللَّه تعالى عفا عنه لإيمانه، وخوفه من ربِّه، والخوفُ من اللَّه، علامةُ الإيمان، كما دلَّ على ذلك قول اللَّه تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

الثاني: وفيه إثباتُ عقيدة أهل السنة، أنَّ المؤمن لا يُخلَّد في النار مهما تعاظمت ذنوبه، لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ . . .﴾ [النساء: ٤٨].

الثالث: فيه أن اللَّه لا يُعجزه شيء، فقد جمع ذرات هذا الإنسان، وأعاده إلى الحياة، بعد تَناثُر ذرات جسده في البر والبحر.

٣٤٧٩ ـ [طرفه في: ٣٤٥٢]، تقدّم شرحُه.

٣٤٨٠ ـ [طرفه في: ٢٠٧٨]، تقدّم شرحُه.

٣٤٨١ ـ [طرفه في: ٧٥٠٦]، تقدَّم شرحه.

٣٤٨٢ ـ [طرفه في: ٢٣٦٥]، تقدّم شرحُه انظر شرح معناه في الحديث رقم ٢٣٦٣.

٣٤٨٣ ـ [طرفه في: ٣٤٨٤، ٦١٢٠] وانظر شرح الحديث (٦١٢٠).

٣٤٨٤ ـ [طرفه في: ٣٤٨٣] انظر شرحه في الحديث رقم ٦١٢٠.

بابُ (تَحْرِيمِ جَرِّ الإِزَارِ مُفَاخَرَةً)

٣٤٨٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلَاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهْوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

[طرفه في: ٥٧٩٠].

شرح الألفاظ

(خُسِف بِهِ) أي خسفَ اللَّهُ به الأرضَ، كما خسَفَ بقارونَ المتكبر الجبَّار.

(يتجَلْجلُ) أي ينزل في الأرض مضطرباً متهاوياً فيها.

قال ابن فارس: هو أن يسيخ في الأرض، مع اضطراب شديد، وتدافعٍ من شِقّ إلى شِقّ، والجَلْجَلةُ: الحركةُ مع الصوت.

شرح الحديث

يذكر رسولُ اللَّه ﷺ أنَّ رجلاً من الأمم السابقة، كان يجرُّ ثوبه متكبّراً متبختراً، مع الإعجاب بما هو فيه، إذْ خَسَفَ اللَّه به الأرضَ، فهو يتردَّى فيها ويهبط، ويستمرُّ عليه العذابُ إلى يوم القيامة، وهذا من بابِ (الجزاءُ من جنس العمل) فلمَّا تبختر وتكبَّر، أذلَّه اللَّه، فخسف به الأرضَ، ذليلاً مهيناً، بعد أن كان عزيزاً، شامخاً بنفسه نحو العلياء. ويؤخذ منه تحريم جرِّ الإزار كِبْراً وخيلاء.

٣٤٨٦ ـ [طرفه في: ٢٣٨]، تقدّم شرحُه.

٣٤٨٧ ـ [طرفه في: ٨٩٧]، تقدّم شرحُه.

٣٤٨٨ ـ [طرفه في: ٣٤٦٨]، تقدّم شرحُه في الحديث (٢٠٨٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

كِتَابُ المَنَاقِبِ

بابُ (النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الأَرْضِ)

٣٤٨٩ ـ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]، قال: الشعوب: القبائل العظام، والقبائل: البطون.

٣٤٩٠ ـ [طرفه في: ٣٣٥٣]، تقدّم شرحُه.

٣٤٩١ ـ [طرفه في: ٣٤٩٢]، فيه إشارة إلى نسب النبي ﷺ وأنه من مضر، من بني النضر بن كنانة.

٣٤٩٢ ـ [طرفه في: ٣٤٩١]، تقدّم شرحُه.

٣٤٩٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قَالَ: (تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، إِذَا فَقُهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً).

[طرفه في: ٣٤٩٦، ٣٥٨٨].

٣٤٩٤ ـ «وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه».

[طرفه في: ٦٠٥٨، ٧١٧٩]

شرح الألفاظ

(مَعَادِنُ) جمعُ مَعْدن، وهو ما يكون في باطن الأرض، كالذهب، والنحاس، والحديد، فيها الخسيسُ والنفيسُ، وكذلك الناسُ، فيهم الصَّالحُ والطَّالحُ، والطيبُ والخبيثُ.

(إِذَا فَقُهُوا) أي تفقَّهوا في أمور دينهم، فعرفوا الحلالَ والحرام، والمعروفَ والمنكر.

(ذُو الوَجْهَيْنِ) الخبيثُ الذي يتلوَّن، يأتي قوماً بوجهٍ، وقوماً بوجهٍ آخر، وهو المنافقُ المتذبذب، الذي يمشي بين الناس بوجهين، قال الشاعر:

يُعْطِيكَ مِنْ طَرفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوغُ فِيكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ

(فِي هَذا الشَّأْنِ) المرادُ بالشأن: أمرُ الدِّينِ والإسلام، أو أمرُ الخلافة والإمارة.

شرح الحديث

في هذا الحديث الشريف تشبيهٌ بليغ وبديع، ممن وهَبه اللَّهُ ورزَقه الفصاحةَ وبديعَ البيان، فقد شبَّه ﷺ النَّاسَ بالمعادن، التي يحويها باطنُ الأرض، فيها النفيسُ والخسيسُ، والجيِّدُ والرَّديء، وفيها الذهبُ والفضةُ، والزِّفتُ وحجارةُ الكبريت، كذلك البشرُ، فيهم المؤمنُ والكافر، والبَرُّ والفاجر، والتقيُّ والشقيُّ، وفيهم العالمُ والجاهل.

وقد وضَّح ﷺ أنَّ أفضلَ الخلق، مَنْ حَوَى الفَضْلَ والكمال، في الجاهلية والإسلام، فكان في الجاهلية شريفاً كريماً، ودخل في الإسلام، فلم يَزِدْه الإسلامُ إلَّا سُمُوًّا وشرفاً، ورفعةَ قدرٍ ومنزلة، لا سيما إذا تفقَّه في الدين، وجمع الأدبَ، والعلم، والفهم، وصار منارةً يُهتدى بها في ظلمات الحياة، كخواصِّ أصحابِ رسول اللَّه ﷺ، «أبي بكر، وعمر، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص»، وسائر الخلفاء الراشدين، المبشَّرين بالجنة، الذين بذلوا أموالهم، وأرواحهم نصرةً لدين اللَّه.

وكذلك من أفضل الناس عند اللَّه، الذين لا يتسابقون على المناصب، من الإمارة، والخلافة، وسائر إدارات الدولة، لِمَا يعلمون فيها من المخاطر، والمسؤولية الجسيمة، الملقاة على الأعناق، فإن أُسندت إليهم أُعينوا عليها، وإن طلبوها وحرصوا عليها، وُكِلُوا إلى أنفسهم، كما قال ﷺ لأبي ذر، حين طلب أن يُوَلِّيه على بعض المدن، قال له: (**يا أبا ذرّ إنك رجل ضعيف، وإنها أمانةٌ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلَّا من أخذها بحقِّها، وأدَّى الذي عليه فيها**) أخرجه مسلم.

كما بيَّن ﷺ أنَّ شرَّ الناس عند اللَّه يوم القيامة «ذو الوجهين» أي المنافق الذي يمشي بين الطائفتين بوجهين، يأتي إحداهما بوجه، ويأتي الأخرى بوجه آخر، فهو مذبذبٌ، لا يستقرُّ على حال.

قال البدرُ العينيُّ: وجه التشبيه في الحديث: (**النَّاسُ معادنُ كمعادن الذهب**

والفضة) هو اشتمالُ المعادن على جواهرَ مختلفة، من نفيسٍ وخسيس، كذلك الناسُ من كان شريفاً في الجاهلية، لم يزده الإسلامُ إلّا شرفاً، فإنْ تفقَّه في الدِّينِ، وصلَ إلى غاية الشرف وأعلى المراتب، وعكسُه المنافقُ ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجهه، فقد مثَّل له ﷺ في حديث آخر بقوله: **(مثلُ المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ـ أي تميل ـ إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيتهما تتبع)** اهـ. عمدة القاري ١٦/ ٦٩.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: الإشادةُ بفضل التفقُّه في الدين، كما في الحديث الشريف: (من يرد اللّه به خيراً يفقّهه في الدين) أخرجه البخاري.

الثاني: وفيه التشبيهُ البديع بمعادن الذهب والفضة، وبيان خير الناس عند اللّه.

الثالث: وفيه التحذيرُ من النِّفاق، وطلبِ المناصب الدنيوية الرفيعة، لفَدَاحةِ أمر المسؤولية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

٣٤٩٥ ـ انظر شرح الحديث رقم ٣٥٠٠.

٣٤٩٦ ـ [طرفه في: ٣٤٩٣]، تقدّم شرحُه.

٣٤٩٧ ـ [طرفه في: ٤٨١٨]، تقدّم شرحُه.

٣٤٩٨ ـ [طرفه في: ٣٣٠٢]، تقدّم شرحُه.

٣٤٩٩ ـ [طرفه في: ٣٣٠١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ)

٣٥٠٠ ـ عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، وقد بلغه (أَنَّ عبدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ، لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُولٰئِكَ جُهَّالُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

((إنَّ هٰذَا الأمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إلَّا كَبَّهُ اللَّه عَلى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ))!

[طرفه في: ٧١٣٩].

شرح الألفاظ

(بَنُو قَحْطَانَ) العربُ ثلاثة فِرَق: (عربٌ عاربة، وعربٌ متعرِّبة، وعرب مستعربة) والعربُ المستعربةُ: هم أولادُ إسماعيل عليه السلام، والعربُ المتعرِّبة: هم بنو قحطان.

(لا تُؤْثَرُ) أي لا تُروى بسند صحيح عن رسول اللَّه ﷺ.

(كَبَّهُ اللَّهُ) أي قَذَفه اللَّهُ وَطَرَحَه على وجهه في نار الجحيم.

(مَا أَقَامُوا الدِّينَ) أي مدة إقامتهم لدين اللَّه، وتمسكهم بشريعة الإسلام.

شرح الحديث

بلغ الخليفةَ (معاوية بن أبي سفيان) رضي اللَّه عنه أنَّ عبدَ اللَّه بنَ عَمْرو بنِ العاص يقول: (إنَّ مَلِكاً من قحطانَ، سيملك العربَ، فغضب معاويةُ، وخطبَ في الناس وقال: إني سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: (إنَّ الخلافة ستبقى في قريش، فمن نازعهم فيها، أكبَّه اللَّه على وجهه في نار الجحيم، والخلافةُ ستبقى فيهم ما داموا متمسكين بالدين الإسلامي، إلى أن يرث اللَّهُ الأرضَ ومن عليها)، فهو خبرٌ بمعنى الأمر، أي لا تنتزعوا الخلافةَ منهم.

ما يُستفاد من الحديث

فيه أنه لا يجوز الخروج على الخليفة المسلم، إذا كان انتخابُه عن طريق البيعة.

وفيه إشارة إلى أنَّ الخلافة الراشدة تدوم مدة من الزمن، ثم يكون هناك مُلْكٌ عضودٌ، عن طريق القهر والاستعلاء، وأنَّ الأحقَّ بخلافة المسلمين، من كان من قريش، فإنَّ العرب كانت تُعظِّم قريشاً في الجاهلية، لسكناهم بالبلد الحرام، ورعايتهم للبيت العتيق.

قال الحافظُ ابنُ حَجَرَ في الفتح: في إنكار معاويةَ رضي اللّه عنه نظرٌ، لأن الحديث الذي استدلَّ به مقيَّدٌ بإقامة الدِين، فيحتمل خروج القحطاني إذا لم تُقِمْ قريشٌ أمرَ الدِّين، وقد وُجد ذلك، فإنَّ الخلافة لم تزل في قريش، والناسُ في طاعتهم، إلى أن استخفُّوا بالدِّين، فضعُف أَمْرُهم، وتلاشى، إلى أن لم يبق لهم من الخلافة، إلَّا اسمُها المجرَّدُ في بعض الأقطار .اهـ فتح الباري ٦/ ٥٣٥.

٣٥٠١ ـ عَنِ عبدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: (لا يَزَالُ هٰذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ، مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ).

[طرفه في: ٧١٤].

شرح الحديث

المرادُ بالأمر في هذا الحديث: أمرُ الخلافة، أي لا تزال الخلافةُ في قريش، ما بقي منهم في الناس اثنان، بشرطِ إقامةِ الدِّينِ، ومرادُه ﷺ أنهم أحقُّ بالخلافة من سائر الناس، لأن الإسلامَ إنما سَطَع نورُه، وانبثق ضياؤه، من ربوع مكة المكرمة، وفي قبائلِ قريش، فهم أحقُّ بتولِّي قيادة شؤون المسلمين، من غيرهم، ما داموا متمسِّكين بالإسلامِ، فالحديث إخبارٌ عمَّا يجب أن يكونوا عليه، حتى يستحقُّوا بقاء الخلافة فيهم.

قال الحافظُ ابن حَجَر: إنَّ الخلافةَ لم تزل في قريش، والناسُ في طاعتهم، إلى أن استخفُّوا بأمر الدِّينِ، فضعُفَ أمرُهم وتلاشى، إلى أن لم يبق لهم من الخلافة، سوى اسمها المجرَّد في بعض الأقطار، كما تقدم في الحديث السابق.

بابٌ (بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ)

٣٥٠٢ ـ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطعِمٍ رضِيَ اللّه عنهُ أنه قالَ: (مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ بَنِي المُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَإِنَّمَا

نَحْنُ وَهُمْ، مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ، وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيْءٌ واحِدٌ»).

[طرفه في: ٣١٤٠].

شرح الحديث

كان رسولُ اللَّه ﷺ أعطى من خُمُس الغنائم لبني عبد المطلب وبني هاشم، ولم يُعط بني (عبد شمس) ولا أبناءَ (عبدِ مناف)، مع أنَّ جميعهم أولاد عمٍّ، فلمَّا ذهب عثمانُ وجُبير بنُ مطعم إلى رسول اللَّه ﷺ يستفسران عن سبب حرمانهما من الخُمُس، مع أنهم جميعاً في مرتبة واحدة من القرابة لرسول اللَّه ﷺ، أجابهم ﷺ بأنَّ بني هاشم وبني المطَّلب، لم يفترّقوا في جاهلية ولا إسلام، حيث دخل بنو المطلب مع بني هاشم، عندما عزمتْ قريشٌ على مقاطعة بني هاشم، وحُبسوا في الشِّعْب، دخلوا معهم غضَباً على قريش، لفعلهم القبيح، ونصرةً لرسول اللَّه ﷺ.

أمَّا من أسلمَ من العشيرتَين، فقد دخلوا طاعةً للَّه ورسوله، وأمَّا من لم يدخل منهم في الإسلام، فقد دخلوا الشِّعبَ معهم، حَميَّةً وأنَفَةً، وطاعةً لأبي طالب عمِّ الرسول ﷺ، فلذلك استحقُّوا الكرامةَ بإعطائهم من الخُمُسِ.

وأمَّا بنو عبد شمس الذين منهم (عثمان) رضي اللَّه عنه و(بنو نوفل) الذين منهم (جُبَيْرُ بنُ المُطْعِم) فقد كانوا في الصفِّ الآخر، حاربوا الرسولَ ﷺ وعشيرَته، ومن ناصروهم على الدِّين، فلم يستحقُّوا هذه الكرامة، ولذلك قال لهم ﷺ: **(إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيءٌ واحد)** أي لم يفترقوا في جاهلية، ولا إسلام.

وقد هجا أبو طالب قبيلةَ عَبْدِ شمس، وعشيرةِ نوفل، حين قال في مطلع قصيدته:

جَزَىٰ اللَّهُ عنَّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلاً   عُقُوبَةَ شَرٍّ، عَاجِلٍ غَيْرَ آجِلِ

هذا هو السببُ في ذكر الحديث الشريف، وانظر عمدة القاري ١٥/ ٦٥.

٣٥٠٣ ـ [طرفه في: ٣٥٠٥، ٦٠٧٣]، انظر شرح معناه في الحديث التالي رقم ٣٥٠٤.

بابٌ (أَنْصارُ الرَّسُولِ ﷺ قُرَيْشٌ وَالأَنْصارُ)

٣٥٠٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «قُرَيْشٌ، وَالأَنْصارُ، وَجُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، وَأَشجَعُ، وَغِفَارُ، مَوَالِيَّ، لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى، دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ».

[طرفه في: ٣٥١٢].

شرح الحديث

أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ أنصار الرسول الذين آمنوا به، هم هذه العشائرُ والقبائلُ، من قريش، الذين رفعوا رايةَ الإسلام خفَّاقة، ونصروا دين الإسلام، هؤلاء هم أتباعُ رسول اللَّه ﷺ حقًّا، سواءً كانوا من قريش، أو من الأنصار ـ أي الأوس والخزرج ـ أو كانوا من قبيلة جُهينة، ومُزينة، أو من قبيلة أسلَمَ، وأشجعَ، وغِفَار، هؤلاء هم الذين يستحقون الإجلالَ والتكريم، وأن يُنسبوا إلى رسول اللَّه ﷺ، وهم أولياءُ اللَّه، لأنهم قدَّموا أرواحَهُم، نصرةً لدين الإسلام، ليس فيهم من يوالي أحداً من المشركين، دون اللَّهِ ورسوله، وفيهم وفي أمثالهم يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال: ٧٤].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه الثناءُ العاطر، على من أسلم من هذه العشائر، «جُهينة، مُزينة، أسلم، غفار»، وغيرهم.

الثاني: وفيه أنَّ من بادَرَ للدخول في الإسلام، هم قريشٌ، وسائرُ أتباعهم، من قبائل العرب، فقد حملوا رايةِ الإسلام، وراية الجهاد نصرةً لدينِ اللَّه.

الثالث: وفيه أنَّ أنْصارَ اللَّه، وأنصار رسوله، هم أهلُ الإيمان، دون أهل الكفر والطغيان.

٣٥٠٥ ـ [طرفه في: ٣٥٠٣]، تقدّم شرحُه.

٣٥٠٦ ـ [طرفه في: ٤٩٨٤، ٤٩٨٧]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٥٠٧ ـ [طرفه في: ٢٨٩٩]، تقدّم شرحُه.

بابُ (حُرْمَةِ الانْتِفاء مِنَ النَّسَب)

٣٥٠٨ ـ عَنْ أَبِي ذَرّ الغفَّاريِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ ـ وَهْوَ يَعلَمُهُ ـ إِلَّا كَفَرَ بِاللَّهِ، وَمَنِ ادَّعى قَوْماً لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نسب، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»).

[طرفه في: ٦٠٤٥].

شرح الألفاظ

(ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ) أي انتسب إلى غير أبيه، وهو يعلم أنَّ هذا غيرُ أبيه.

(فَقَدْ كَفَر) يُرادُ به: الزجرُ والتوبيخ، أي فَعَلَ فِعْلَ أهلِ الكفر، أو هو فيمن استحلَّه مع عِلْمِهِ بالتحريم، وقد يُحمل على الكفر بالنِّعمة لا باللَّه.!

(ادَّعَى قَوْماً) أي انتسب إلى قوم، وليس له فيهم قرابةٌ ولا نسب.

(فَلْيَتبوَأْ مَقْعَدَهُ) أي لينزلْ منزله من نار جهنم، ويجعل النَّار منزله ومسكَنَه، وهو محمولٌ على (الوعيد والتهديد).

شرح الحديث

هذا الحديث الشريف للتحذير والتخويف، من أن ينتسب الإنسانُ إلى غير أبيه، فإنَّ فيه ضياعَ الأنسابِ، وبذلَ الإرث لمن لا يستحقُّه، وبمرور الأيام قد يتزوَّج الإنسانُ من إحدى محارمهِ، بسبب انتسابه إلى غير أبيه الحقيقيِّ، فلذلك شدَّد الرسول ﷺ النكيرَ، على من فعل ذلك.

والحديثُ ـ كما يقول ابن حجر ـ ظاهرُ اللفظ فيه (إِلَّا كَفَرَ) غيرُ مرادٍ، إنما ورد على سبيل التغليظ، والزَّجرِ لفاعل ذلك **قال**: ويدخل فيه تحريمُ الدعوى بشيء، ليس

للمدَّعِي فيه حقٌّ، كالدَّعاوى الباطلة التي لا مستند لها اهـ. فتح الباري ٦/ ٣٩٣.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث تحريمُ الانتفاء من النَّسب الأصلي، والادِّعاء إلى غيره، فإنه باطل محرَّم، يستحقُّ فاعلُه العقوبة في نار الجحيم.

الثاني: وفيه أنَّ تقييدَه بالعلم ضروريٌّ، (وهو يَعْلَمُ) لأنَّ الإثمَ، إنما يترتَّبُ على العَالِمِ بالشيء.

الثالث: وفيه جواز إطلاق (الكفر) على المعاصي، لقصد الزجر والتغليظ، كقوله تعالى: لمن ترك الحجَّ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] أي ومن لم يحجَّ فاللَّه غني عن عبادته.

الرابع: وفيه تحريمُ كل دعوى باطلة، لا مستند عليها من حقٍ، أو حُكمٍ واضح.

بابُ (التَّحْذِيرِ مِنَ الكَذِبِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ)

٣٥٠٩ ـ عَنْ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّه عنهُ أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ»).

شرح الألفاظ

(الفِرَىٰ) جمعُ فرْية، وهي الكذبُ والبهتان، يُقال: فَرَى عليه أي افترى وكذب عليه.

(يُرِيَ عَينَه): أي يدَّعي أنه رأى في المنام شيئاً، ولم يره، فهذا كذبٌ على اللَّه، وعقابُه أليمٌ شديد.

شرح الحديث

الكذبُ قبيحٌ، وأمرُه خطير، وأعظمُ ما يكونُ جُرماً، أَنْ يكذبَ الإنسانُ في نسبه، فينتسبَ إلى أحدٍ من الناس، غير أبيه الحقيقي.

ويَلْحَقُه في الشَّناعةِ والقباحة، أن يكذب على رسول اللَّه ﷺ، فيقول: قال رسولُ اللَّه كذا، والرسولُ لم يقله، فإنَّ الكذب على الرسول، طعنٌ في الدين، وعدوانٌ على تشريع اللَّه عزَّ وجلَّ، الذي فيه الحلالُ والحرام.

ثم الكذبُ في الرؤيا، بأن يدَّعي أنه رأىٰ في المنام شيئاً، لم يكن رآه فعلاً، فهذه الأمورُ من أعظم أنواع الكذب عند اللَّه تعالى.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: بيانُ عِظَم الجريمة، فيمن كَذَب على اللَّه تعالى كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأعراف: ٣٧].

الثاني: وفيه أنَّ الكذبَ على الرسول ﷺ مهلكةٌ للإنسان، لأنه يُدخل في الشرع ما ليس منه.

الثالث: وفيه تشديدُ الكذب في هذه الأمور الثلاثة (الانتسابُ إلى غير أبيه، والكذبُ على رسول اللَّه، والكذبُ في الرؤيا المنامية).

تنبيه هام

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: الحكمةُ في التشديد في الكذب على النبيِّ ﷺ أمرُه واضحٌ، فإنَّ الرسولَ يُخبِرُ عن اللَّه، فمن كذبَ عليه، كَذَب على اللَّه عزَّ وجلَّ، والكذبُ على اللَّهِ، أمرهُ خطير ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]. وأمَّا الكذبُ في المنام، فإن الرؤيا جزءٌ من النبوَّة، والنبوَّةُ لا تكون إلَّا وحياً، والكاذبُ في الرؤيا، يدَّعي أنَّ اللَّه أراه ما لم يره، وأعطاه جزءً من النبوَّة ولم يُعطه، والكاذبُ على اللَّه، أعظمُ فِرْيةً ممَّن كذب على غيره، والمنتسبُ إلى غيره أبيه، أدخَلَ على النَّسب ما ليس فيه، لذلك جاء التشديد في هذه الأمور الثلاثة: وهي الادعاء إلى غير الأب، والكذبُ على النبي ﷺ، والكذب في الرؤيا .اهـ فتح الباري ٦/ ٥٤١.

٣٥١٠ ـ [طرفه في: ٥٣]، تقدّم شرحُه.

٣٥١١ ـ [طرفه في: ٣١٠٤]، تقدّم شرحُه.

٣٥١٢ ـ [طرفه في: ٣٥٠٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ثَناءِ الرَّسُولِ ﷺ عَلى غِفارٍ، وأَسْلَمَ، ومُزْيَنَة)

٣٥١٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّه عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَلى الْمِنْبَرِ: (غِفَارُ غَفَرَ اللَّه لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّه، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ).

شرحُ الحديث

ذكَرَ رسولُ اللَّه ﷺ في الحديث السابق خمسَ قبائلَ، وأثنى عليها ثناءً عاطراً، وهي قبيلةُ (أسلمُ، وغِفَارٌ، وأشجعُ، ومُزَينَةُ، وجُهَيْنَة) فهذه القبائلُ كانت في الجاهلية، من القوَّة، والشرف، والمكانة، دون غيرها من القبائل، فلمَّا جاء الإسلام، كانوا أسرعَ دخولاً فيه، فصار الشرفُ إليهم.

وفي هذا الحديث الشريف: ذكر قبيلَةَ «غفار» وقبيلةَ «أسلَمَ» ودعا لهما بالخير، أمَّا قبيلةُ «عُصَية» ـ وهم بطنٌ من بني سُليم ـ فقد غَدَروا بعهد النبيِّ ﷺ في (بئر معونة)، وقتلوا القُرَّاء السبعين من الصحابة، الذين بعثهم الرسولُ ﷺ ليعلِّموا أهلَ نجد القرآنَ، وأعانهم على هذه الجريمة المنكرة، قبيلةُ (رِعل، وذَكْوان، وبني لحيان، وعُصَيَّة) وهي من القبائل المتوحِّشة، ولذلك قال ﷺ: **(وعُصَيَّة عَصَت اللَّه ورسولَه)** وقد بقي ﷺ شهراً كاملاً، يقنت في صلاة الصبح، يدعو على هذه القبائل، واقرأ قصة هؤلاء الأشقياء القَتَلة، في صحيح البخاري ٣/ ٢٩ وسيرة ابن هشام ٢/ ١٧٣.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: مشروعيةُ الدعاء للمحسن، بالمغفرة والرحمة، والدعاء على المسيء المجرم، بالعذاب والانتقام.

الثاني: وفيه استعمالُ الجناس (جناسِ الاشتقاق) بما يلذُّ على السمع، لسهولته وانسجامه، وهو من العبارات اللطيفة، استمع إلى قوله ﷺ: **(غِفَارُ غفَرَ اللَّهُ لها، وأسْلَمُ سَالَمها اللَّهُ)** فهو من بديع ألفاظ الكلام، وعلماءَ البلاغة، يعدُّونه من (علم البديع).

الثالث: وفيه استعمالُ الخَبَر، ومرادُه الدعاءُ، فظاهرُ الكلامِ الإخبارُ، وحقيقتُه الدعاءُ، أي غفر اللَّه لها، وسالَمها.

الرابع: وفيه أنَّ ثناء النبيِّ ودعاءَه لهم، بسببِ سَبْقِهم للإسلام، وما كانوا عليه من مكارم الأخلاق، ورقَّة القلوب.

ويدلُّ على ذلك، الحديث الآتي ذكره رقم (٣٥١٦):

٣٥١٤ ـ تقدَّمَ شرحُه في الحديث السابق رقم ٣٥١٣.

٣٥١٥ ـ [طرفه في: ٣٥١٦، ٦٦٣٥]، سيأتي شرحه في الحديث (٣٥١٦).

باب (ذِكْرِ أَسْلَمَ وَغِفَارِ، وجُهَيْنَةَ بالخَيْرِيَّة)

٣٥١٦ ـ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضِيَ اللَّه عنهُ (أَنَّ الْقَرْعَ بن حَابِسٍ قال لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الحَجِيجِ، مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ ـ وَأَحْسِبُهُ ـ وَجُهَيْنَةَ ـ ابنُ أَبِي يَعْقُوبَ شَكَّ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ ـ وَأَحْسِبُهُ ـ وَجُهَيْنَةُ خَيْراً مِنْ (بَنِي تَمِيمٍ، وَبَنِي عَامِرٍ، وَأَسَدٍ، وَغَطَفَانَ)، خَابُوا وَخَسِرُوا؟».

قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَخَيْرٌ مِنْهُمْ).

[طرفه في: ٣٥١٥].

شرحُ الحديث

هذا الحديثُ الشريف، فيه توضيحٌ لسبب الخيريَّة، التي نالها قبائل (أسلم، وغفار، وجُهَيْنة، ومُزَينة) فإنَّ النبيَّ ﷺ، لمَّا دعا لهذه القبائل، بالمغفرة والرضوان، قال: «الأقرعُ بن حابس» ـ وهو من بني تميم الذين لم تشملهم الدعوةُ ـ قال:

يا رسولَ اللَّه كيف تدعو لهم؟ وهم الذين كانوا يسرقون حجَّاج بيتِ اللَّهِ الحرام؟ فقد كانوا قُطَّاع طريق، ثم دخلوا في الإسلام، وبايعوك!

فقال له ﷺ: (إنهم بِسَبْقهم للإسلام كفَّروا عن أعمالهم القبيحة، بنصرة دين اللَّه، فالإسلامُ يهدمُ ما قبله، أمَّا قبيلتُك (بنو تميم) فقد حاربوا دينَ اللَّه، أليست قبائلُهم خيراً من قَبيلتك؟ ومن قبيلةِ (أَسَدٍ، وغَطَفان، وهَوَازنَ)؟ الذين خابوا وخسروا، بإعراضهم عن الدخول في الإسلام)!

فقال الأقرع حينئذٍ: نعم واللَّهِ يا رسولَ اللَّه، إنهم لخيرٌ منهم.

لقد خابَ وخسر قومي، لإعراضهم عن قبول الإسلام!

ما يُستفاد من الحديث

في هذا الحديث ثناءٌ على قبائل (أسلمَ، وجُهينةَ، ومزينة) لما فيهم من مكارم الأخلاق، وسبْقِهِم إلى الدخول في الإسلام، وفيه بيانٌ لخسران (بني تميم)، الذين حاربوا رسول اللَّه ﷺ، وأعرضوا عن قبول الإسلام، وهداية الرحمن.

بابُ (ذِكْرِ مَلِكٍ مِنْ قَحْطَانَ)

٣٥١٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنّه قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَخْرُجَ رجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصاهُ).

[طرفه في: ٧١١٧].

شرح الحديث

هذا الحديثُ يدخل في (علامات النُبُوَّة)، فالرسولُ ﷺ يخبر عن مَلِكٍ من اليمن، اسمه (الجَهْجَاهُ) يخرج بعد المهديِّ، ويسير على سيرته، في إصلاح شؤون الرعيَّة، بعد نزولِ المسيح (عيسى ابنِ مريم) عليه السلام، وهو ملِكٌ عادل، يقود

الناس إلى الخَيْر، ويُنفِّذ فيهم أحكام الإسلام، وهو نائبٌ عن السيد المسيح سيِّدنا (عيسى) عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: هذا الحديث يدخل في علامات النبوَّة، وهو من جملة ما أخبر به الصادقُ المصدوق ﷺ، قبل وقوعه، ولم يقع بعدُ، لأنه يكون في آخر الزمان، وقد شبَّهه ﷺ بتشبيه بديع رائع، شبَّهه بالراعي الذي يسوق الغَنَمَ بعصاه، وشبَّه الناسَ بالغنم، التي تُطيع وتستجيبُ لراعيها، ونُكتةُ التشبيهِ: هو التصرُّفُ الذي يملكه الراعي في الغنم ولهذا قال: **(يسوقُ النَّاسَ بعَصاه)**.

تنبيهٌ

لم يُذكر اسمُ هذا الملكِ العادلَ هنا، وإنما ذُكر في حديث رواه مسلم، عن أبي هريرةَ، بلفظ: (لَا تَذْهَبُ الأَيَّامُ واللَّيالي، حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقالُ له: جَهْجَاه) الحديث ،وانظر فتح الباري ٦/ ٥٥٠.

بابُ (النهْيِ عَنْ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ)

٣٥١٨ ـ عَنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّهُ قَال: (غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصارِيُّ غَضَباً شَدِيداً، حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصارِيُّ: يَا لَلأَنْصارِ، وَقَالَ المُهاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟». فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ»).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا!؟ ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هذَا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)**.

[طرفه في: ٤٩٠٥، ٤٩٠٧]

شرح الألفاظ

(ثَابَ نَاسٌ) أي اجتمع مع الرسولِ ﷺ جماعةٌ من المهاجرين، التفُّوا حوله ﷺ.

(رَجُلٌ لَعَّابٌ) أي كثير المزاح واللَّعب، كان أجيراً لعمرَ بنِ الخَطَّاب، واسمُه «جَهْجَاه الغِفَاري».

(فَكَسَعَ أَنْصَارِيًا) أي ضربَ رجلاً من الأنصار، على دُبُره بقدمه، فغضب الأنصاريُّ غضباً شديداً، واسمُ المضروب (سِنَانُ بنُ وَبْرَة) كما ذكره ابنُ حَجَر.

(حَتَّى تَدَاعَوْا) أي صرخ كلٌّ منهما، مستغيثاً بعشيرته، فقال الأنصاريُّ: يَا لَلأَنصار!! وقال المهاجريُّ: يا لَلْمُهاجرين!!

(دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ) أي اتركوا هذه الدعوى الجاهلية، فإنها دعوةٌ قبيحةٌ منكرة، تُفرِّق شمل الأمة، وتُمزِّق وحدتَها!!

(مَا شَأْنُهُمْ)؟ أي ماذا جرى بين الناس؟ ولماذا ترتفع الأصواتُ؟ فأخبروه ﷺ بالخبر، وقصُّوا عليه قصَّةَ جهْجاه، وسِنان.

(أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا)؟ أي قال رأسُ المنافقين (عبد اللّه بن سلول): هل اجتمع المهاجرون علينا؟ يريدون العدوان على جماعتنا!؟ يحرِّكهم على الفتنة.

شرحُ الحديث

خرج سيدنا رسولُ اللّه ﷺ مع أصحابه إلى غزوة «المُرَيْسع»، فبينما كان أجيرٌ لعمرَ بنِ الخطاب، على حوضٍ من الماء، يسقي فرساً لعمر، إذْ أقبلَ رجلٌ من الأنصار، يُدعى «سِنانَ بنَ وَبَرةً» ـ كان حليفاً لعبدِ اللّه بن سلول ـ فتقاتلا عند الحوض، فضرب «جهجاهُ» سناناً بقدمه على مؤخَّرة ظهره، وحدث بينهما قتالٌ وخصام، فاستغاث كلٌّ منهما بقبيلته وعشيرته، فسمعَ ذلك النبيُّ ﷺ، وخشي أن يحدث بين المهاجرين والأنصار فتنةٌ، فقال لأصحابه: اتركوا هذه الدعوى الجاهلية، فإنها قبيحة منكرة، وسمع المنافقُ «أبيُّ بنُ سلول» ما جرى بينهما، فقال قولتَه الخبيثة الفاجرة: لئن عدنا إلى المدينة، لنخرجنَّ محمداً وأصحابه منها، ونزل القرآن الكريم، يكشف عن مقالة رأس المنافقين، في قوله سبحانه: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨] يقصد عدوُّ اللّه بالأعزِّ: نفسَه، وبالأذلِّ: محمداً وصحبَه، عند ذلك قال عمر: يا رسولَ اللّه: دَعْني أضربُ عُنُق هذا المنافق!؟ فقال له الرسولُ ﷺ: **(لا تفعلْ ذلك، فإني أخشى أن يقول الناسُ: إنَّ محمداً يقتل**

أصحابه!!) اهـ وانظر تفصيل القصة في كتابنا (التفسير الواضح الميسر) ص ١٤١٧ وعمدة القاري ١٦/ ٨٩.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث التحذيرُ من دعوى الجاهلية، كما كانوا قبل الإسلام يفعلون، من الأخذ بالعصبيَّة الجاعلية.

الثاني: وفيه أنَّ الأخذ بالحقِّ على يد الظالم، هو الواجبُ، دون الاستعداء بالعشيرة، والقبيلة.

الثالث: وفيه كشفُ حقيقة المنافقين، وما يضمرونه من حقدٍ على الإسلام، والمسلمين.

الرابع: وفيه نهيُ النبيِّ ﷺ لعمرَ من قتل (ابنِ سلول)، مع مقالته الشنيعة، وتعليلُ ذلك، بقوله ﷺ: **(لا تقتُلْهُ لئلا يتحدَّثَ النَّاسُ أنَّ محمداً يقتلُ أصحَابَه)** وهذه من السياسة الحكيمة الرشيدة.

٣٥١٩ ـ [طرفه في: ١٢٩٤] تقدم شرحه.

بابُ (قِصَّةِ خُزاعَةَ، وَمَنْ هو عَمْرُو بْنُ لُحَيّ)؟

٣٥٢٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَمْرُو بْنُ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبُو خُزَاعَةَ».

شرح الحديث

هذا الحديثُ تعريفٌ من الرسول ﷺ، بذلك الشقيِّ الذي غيَّر دينَ (إسماعيلَ) عليه السلام، وأدخلَ على العرب الوثنيَّة، وسيَّبَ السوائبَ، ونصبَ الأوثان حول الكعبة، وأتى بالخزعبلات والأباطيل من (البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام)، كما قال سبحانه، ردًّا على ضلالاته وأباطيله ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا

حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

فعرَّف ﷺ به وبشقائه، فقد رآه ﷺ يجرُّ أمعاءَه في نار جهنم، وعليه يدلّ الحديث الآتي ذكره:

بابُ (قِصَّةِ عَمْرِو بْنِ خُزَاعَةَ)

٣٥٢١ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: (رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ) [طرفه فيه: ٤٦٢٣].

شرح الألفاظ

(يَجُرُّ قُصْبَه) القُصْبُ: الأمعاءُ، أي يجرُّ أمعاءَه في النَّار، فإنه أولُ من سيَّب السَّوائبَ، وغيَّر ملَّةَ (إسماعيلَ) عليه السلام.

(السَّوائبُ) جمعُ سائبة، وهي الناقةُ التي تُترك من أجل الآلهة، فلا تُذبح، ولا تُركب، وقد كان من عادتهم في الجاهلية، أنَّ الرجل منهم كان يقول: إذا قدمتُ من سفري سالماً، أو شُفيتُ من مرضي، فناقتي سائبة، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] وقد أبطل الإسلام هذه العادات الجاهلية، وانظر الآية في التفسير الواضح الميَّسر ص ٢٨٦ وفي عمدة القاري ١٦/ ٩١.

قال سعيدُ بنُ المُسَيَّب: (البَحِيرةُ): التي يُمنع درُّها ـ أي حليبُها ـ للطواغيت، ولا يحلبها أحد من الناس، (والسَّائبةُ) التي يسيِّبونها لآلهتهم، فلا يُحمل عليها شيء . اهـ.

شرحُ الحديث

رأىٰ ﷺ حين عُرِجَ به إلى السمٰوات العُلَا، رجلاً من أهل الجاهلية، يُعذَّب في الجحيم، وهو «عَمْرُو الخُزَاعيُّ» رآه يجرُّ أمعاءَه، وراءَه في النار، فأخبر عنه ﷺ وبيَّن

سبَبَ عذابه، وهو أنَّ هذا الكافر، هو أوَّلُ من غيَّر دين (إسماعيل) عليه السلام، فنصب الأوثانَ، وسيَّب السائبةَ، وأدخل الشرك في التلبية، فكان يقول حين يُلبِّي بالعمرة أو الحجِّ، (لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ، إلَّا شَرِيكاً هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَك) وكان هذا بتزيينٍ من الشيطان، وأدخلَ هذه الضلالات على العرب. !

سؤالٌ هام: فإن قيل: إنَّ أهل الفترة، ناجون من العذاب، لأن اللَّه يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وهؤلاء لم يُبعث لهم رسول؟

فالجواب: إنَّ عذابه لا لعدم إيمانه، بل لارتكابه الجرائمَ الكثيرة، التي نَشَرها بين العرب، وأصبحت ديناً لهم، فلذلك عُذِّب، فافهم هذا، واللَّهُ يرعاك!

بابُ (قصَّةِ إِسْلَام أَبِي ذَرٍّ رضِيَ اللَّهُ عنْهُ)

٣٥٢٢ ـ عن عَبْدِ اللَّه بْنِ عَبَّاس رضِيَ اللَّه عنهُ، عن أبي ذَرٍّ الغفاري أنه قال: (كُنْتُ رَجُلاً مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلاً قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لأَخِي: انطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْتُ: مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الْخَبَرِ!

فَأَخَذْتُ جِرَاباً وَعَصاً، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بي (عَلِيٌّ) فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ!!

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ: فَمَرَّ بِي (عَلِيٌّ)، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: انطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ: مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخبَرْتُكَ!! قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَاهُنَا رَجُلٌ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الْخَبَرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ!!

فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ، فَاتْبَعْنِي، ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحداً أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الحَائِطِ، كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلَامَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي!!

فَقَالَ لِي رسولُ اللَّه ﷺ: «يَا أَبَا ذَرّ، اكْتُمْ هٰذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ»).

فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، (إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)! فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هِذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ! تَقْتُلُونَ رَجُلاً مِنْ غِفَار، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ! فَأَقْلَعُوا عَنِّي.

فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَصُنِعَ بِي مِثْلُ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ، وأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ).

قَالَ: فَكَان هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ (أَبِي ذَرٍّ) رَحِمَهُ اللَّه تعالى.

شرح الألفاظ

(غِفَارٌ) قبيلةُ (أبي ذرّ الغفَّاري) رضي اللَّه عنه، تسكن اليمنَ، وهي من مشاهير القبائل.

(فَقُلْتُ لأَخِي) واسمُه «أُنَيس» أي قال أبو ذرٍّ لأخيه أُنَيس: اذهبْ فأخبرني عن أمر هذا الرجل، الذي يزعم أنه رسولُ اللَّه.

(لَمْ تَشْفِنِي) أي لم تأتني بخبرٍ واضح، يشفي غليلي، فأعرفُ حقيقة هذا الرجل!!

(فَأَخَذْتُ جِرَاباً) أي أخذتُ كيساً فيه شيءٌ من الطعام، والشراب.

(كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ) أي قال له (عليُّ بنُ أبي طالب): كأنك غريبٌ عن البلد!!

قلت: نعم.

(أَمَا آنَ لِلرَّجُلِ) أي أَمَا حانَ للرجل، أن يعرف منزلَه الذي نزل فيه!؟

(مَا أَمْرُكَ)؟ أي ما الذي جاء بك إلى مكة؟ وما الذي تريده من سفرك؟

(إنْ كَتَمْتَ) أي إنْ أخفيتَ عني السرّ، الذي قدمتُ من أجله، أخبرتك عن حالي. ! فقال له عليٌّ: أكتُمُ عليك.

(قَدْ رَشَدْتَ) أي قد وصلتَ إلى مبتغاكَ ومطلوبك.

(قُمْتُ إلى الحَائِطِ) أي إنْ خشيتُ عليك من أحدٍ، من طواغيت المشركين، وقفتُ إلى جوار جدار، كأنني أصلحُ نعلي، فاذهبْ عند ذلك، كأني لا أعرفك، ولا تعرفني، وإلَّا فَاتْبَعْني.

(أعرِضْ عَلَيَّ الإِسْلَامَ) أي دخل (أبو ذر) على رسولِ اللّه ﷺ، فقال له: أخبرني عن الإسلام عن هذا الدِّين الذي تعتنقه، وتدعو إليه؟ فأخبره ﷺ به، فأسلم من حينه.

(قُومُوا إلى الصَّابِئِ) أي قوموا إلى هذا التارك لدينه، الذي يعلن إسلامه فأدِّبوه.

(فَضُرِبْتُ لأَمُوتَ) أي ضُربت ضرباً شديداً، حتى كِدْتُ أنْ أموت، من شدَّة الضرب.

(فَأَكَبَّ عَلَيَّ العَبَّاسُ) أي رمىٰ نفسَه عليَّ، ليخلِّصني من الضرب المبرِّح، فانصرفوا عنِّي، فكانت هذه الحادثةُ بدايةَ قصة (إسلامِ أبي ذرّ الغِفَاري) رضي اللّه عنه.

شرح الحديث

سمع (أبو ذرٍّ) رضي اللّه عنه بخروج رجل من مكة، يدَّعي أنه رسولُ اللّه، فأرسلَ أخاه (أُنَيْساً) ليأتيه بخبر هذا النبي ﷺ، فلمَّا جاءَ رالنبيَّ ﷺ، سمع منه كلاماً حسناً مؤثِّراً، فرجع إلى أخيه، فأخبره بأنه رجلٌ فاضل، يدعو إلى مكارم الأخلاق، فقال له أبو ذرّ: ما شفيتَ قلبي من خَبَره.

فانصرف «أبو ذرّ» بنفسه، ودخل مكة، وهو يخشى أن يسألَ عن رسول اللّهِ، فيبطشَ به المشركون، ومرَّ به (عليٌّ) رضي اللّه عنه، فعرف أنه غريبٌ، فأخذه إلى منزله وأكرمه، ولم يسأله عن خبر مجيئه!.

وفي اليوم الثاني مرَّ به عليٌّ، فدعاه إلى منزله، وفي الطريق سأله عن أمر مجيئه إلى مكة، فأخبره بعد أن طلب منه أن يكتم السرَّ، أنه جاء يريد معرفة أمرِ الرسول، والدِّينَ الجديد الذي يدعو إليه؟ فذهب به وأدخله على رسول اللّه ﷺ، فعرض عليه

رسولُ اللَّه الإسلامَ، فأسلمَ، فقال له المصطفى ﷺ: **(ارجعْ إلى وطنك، فإذا سمعتَ بأمر انتشارِ دينِ الإسلام، فائتني بمن معك!)**.

فقال أبو ذرٍّ: واللَّهِ يا رسولَ اللَّه، لأعلننَّ إسلامي على رؤوس الأشهاد، وأصرخنَّ بالشهادة أمامهم، فخرج من عند رسول اللَّه، ووقف على رؤوس قريش، وصرخ بأعلى صوته يا معشرَ قريش: (أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً رسولُ اللَّه) فهجموا عليه هجوم الذئاب المتوحِّشة، وضربوه ضرباً شديداً، حتى كادوا يقضون عليه.

فجاء العباسُ وأكبَّ بنفسه عليه، ليخلِّصه من شرِّهم، وقال لهم: أتقتلون رجلاً من «غفارٍ» وتجارتُكم وأسفارُكم عن طريق قومه!؟ فقاموا عنه وتركوه، ففعل في اليوم الثاني مثلَ ذلك، فضربوه ضرباً شديداً، فخلَّصه العباسُ من شرِّهم، وقال مقالته السابقة.

هذه هي قصة إسلام (أبي ذرّ) رضي اللَّه عنه وأرضاه، فقد تحمَّل أنواع البلاء والعذاب، في سبيل دخوله في الإسلام، وحقًّا إنها تضحية جسيمة من هذا الصحابي الجليل في سبيل دينه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف بيانُ أنَّ أمورَ الدِّين، ينبغي أن يحرص الإنسان عليها بنفسه.

الثاني: وفيه وضوحُ تقدُّمِ إسلام (أبي ذرٍّ) رضي اللَّه عنه، فهو من السابقين لى الإسلام، حيث كان إسلامُه، بعد سنتين من البعثة النبوية.

الثالث: وفيه بيانُ تحمُّلِ المسلمينَ الأوائل أنواعَ العذاب في سبيل دخولهم في الإسلام.

الرابع: وفيه ما كان عليه (أبو ذرٍّ) من الشجاعة والجرأة، في إظهار دينه، أمام الطُّغاةِ المشركين.

٣٥٢٣ ـ انظر شرحه في الأحاديث (٣٥١٣، ٣٥١٦).

٣٥٢٤ ـ انظر شرحه من خلال النص.

❁ ❁ ❁

بابُ (نِداءِ النَّبيِّ ﷺ لِعَشِيرَتِهِ)

٣٥٢٥ ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قال: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيّ»، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ).

[طرفه في: ١٣٩٤].

شرح الحديث

هذا الحديث الشريف ذُكرَ هنا مُجْملاً، وقد جاء تفصيلُه في روايةٍ أخرى، في كتاب التفسير من سورة الشعراء، ولفظُه عن ابن عباس (لمَّا نزلت الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبيُّ ﷺ على جبل (الصَّفا)، فجعل ينادي: **(يا بني فِهْر، يا بني عدِيٍّ، لبطون قريش)**، فاجتمعوا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطع أن يَخْرُج، أرسل رسولاً لينظر ما هو الأمر؟

فجاء (أبو لهب) وقريش، فقال لهم ﷺ: **(أرأيتَكُم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي، تريد أن تُغِير عليكم، أكنتم مصدِّقيَّ؟ ـ أي هل تصدِّقونني؟ ـ)** قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلَّا صِدقاً ـ أي ما جرَّبنا عليك كذباً، بل أنت صادق دائماً ـ قال: **(فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد)**.

فقال أبو لهب: تبًّا لك يا محمد سَائِرَ اليومِ، إلهذا جمعتنا!؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] السورة اهـ.

بدأ ﷺ بأقاربه من عشيرته، امتثالاً لأمر اللَّه عزَّ وجل، لأن هذه القبائلَ من قريش، وفيها عشيرتُه الأقربون، وفي رواية أبي هريرة عند البخاري تفصيلٌ أوضحُ، حيث جاء فيها: (أن النبيَّ ﷺ صعد على الصفا **فنادى يا معشر قريش: اشتروا أنفسكم من النار ـ أي أنقذوا أنفسكم من نار جهنم ـ لا أُغني عنكم من اللَّه شيئاً))**.

يا عبَّاسُ بنَ عبد المطَّلب، لا أُغني عنك من اللَّه شيئاً!

يا صفيَّةُ عمَّةَ رسول اللَّه ﷺ، لا أُغني عنكِ من اللَّه شيئاً!

يا فاطمةُ بنتَ محمد ﷺ، سليني من مالي، ما شئتِ، لا أُغني عنكِ من اللّه شيئاً رواه البخاري.

قال في فتح الباري: وهذا الحديث من مراسيل الصحابة ـ أي أُسْقِط من سُمِع منه هذا الحديثَ من الصحابة ـ لأن أبا هريرة إنما أسلَمَ بالمدينة بعد الهجرة، وهذه القصة وقعت بمكة، وابنُ عباس كان طفلاً، لأنه وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، فهو حديث مرسل .اهـ فتح الباري ٨/ ٥٠٢.

وقال العيني: وقولُه ﷺ: **(اشتروا أنفسكم من النار)** مع أنهم البائعون، لأنهم مشترون أنفسهم باعتبار تخليصها من العذاب، بائعون باعتبار تحصيل الثواب، واسمُ أمِّ الزُّبير عمَّةِ الرسول ﷺ (صَفيَّةُ بنتُ عبد المطَّلِب).

ما يُستفاد من الحديث

في هذا الحديث أنه ﷺ ناداهم طبقةً بعد طَبَقة، إلى أن انتهى إلى ابنته (فاطمة الزهراء) رضي اللّه عنها.

وفي الحديث أن قريشاً كلَّهم من الأقربين.

وفيه بداءتُه ﷺ بقومه، فإذا قامت الحجة عليهم، قامت على مَنْ سواهم، ممن أُمر بتبليغه، وفيه فضلُ صفيَّةَ رضي اللّه عنها، حيثُ خصَّها بالذكر، وفيه جواز تكنية المرأة، حيث قال لها: **(يا أمَّ الزُّبيرِ بنِ العَوَّام)** .اهـ عمدة القاري ١٦ج٩٣.

٣٥٢٦ ـ [طرفه في: ١٣٩٤]، تقدّم شرحُه.

٣٥٢٧ ـ [طرفه في: ٢٧٥٣]، تقدّم شرحُه.

٣٥٢٨ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٥٢٩ ـ [طرفه في: ٩٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٥٣٠ ـ [طرفه في: ٤٥٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَنْ أحبَّ أنْ لا يُسبَّ نَسَبُه)

٣٥٣١ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أنها قَالَت: (اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيَّ ﷺ

فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «كَيْفَ بِنَسَبِي!؟ فَقَالَ حَسَّانٌ: لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ الْعَجِينِ!!

وَعَنْ أَبِيهِ قَالَ: ذَهَبْتُ أَسُبُّ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: لَا تَسُبُّهُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ).

[طرفه في: ٤١٤٥، ٦١٥٠]

شرح الألفاظ

(هِجَاءُ الْمُشْرِكِينَ) أي سبُّهم والطعنُ في آبائهم وأنسابهم.

(كَيْفَ بِنَسَبِي) أي كيف تَهْجو قريشاً مع اجتماعي معهم في نَسَبٍ واحد؟

(لأَسْلَنَّك مِنْهُم) أي أُخلِّص نسبَك من نسبِهم، بحيث يختصُّ الذمُّ بهم دونَك يا رسول اللَّه.

(كما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ) أي كما تخرج الشعرةُ من العجين، دون أن يَعْلَق بها شيءٌ.

شرحُ الحديث

كان النبيُّ ﷺ أمر بعضَ أصحابه بهجاء المشركين، وقال لهم: (أُهْجُوا المشركين، فإنه أشدُّ عليهم من رَشْق السِّهام). فجاءه حسَّان يستأذنه في هجائهم، فقال له ﷺ: **(كيف تهجوهم وأنا منهم في النسب؟)** فأجابه حسَّانُ: سأُخَلِّصُ نَسبَك من نَسَبِهم، وأُخرِجُه كما تخرُجُ الشعرةُ من العَجِين.

قال الحافظُ ابنُ حَجَرَ: إنَّ الشعرة إذا أخرجت من العجين لا يتعلَّق بها منه شيء لنعومتها، بخلاف ما إذا أُخرجت من العَسَل مثلاً، فإنه قد يَعْلق بها منه شيء .اهـ.

أقول: هذا تمثيلٌ بديع للخلاص من الذمِّ الذي يلحق بالمشركين، ولا يَنَالُ النبيَّ منه شيءٌ، وهو من روائع البيان، وقد كان ﷺ يقول لحسان: **(اهجُهم وروحُ القُدُس معك)**، أي ومعك جبريل يؤيِّدك وينصرك.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه جوازُ هجاءِ من أساء إلى المسلمين باللِّسان أو بالأذى.

الثاني: وفيه أنَّ الشِّعْرَ له كبيرُ الوقع على النفس، وأنَّ من الشعر ما هو كالنَّبل يُؤذي ويُدمي.

الثالث: وفيه ما هو حكمةٌ تنفع العقل، وتُثلج الصَّدر، كما جاء في الحديث الصحيح: **(إنَّ منَ الشِّعْرِ لحِكْمَةً)**.

بابُ (مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ)

٣٥٣٢ ـ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي، الَّذِي يَمْحُو اللَّه بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ، الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ».

[طرفه في: ٤٨٩٦].

شرح الحديث

هذه الأسماء الخمسةُ لرسول اللّه ﷺ، ذُكر منها اسمان في القرآن العظيم: اسمُ (محمد)، و(أحمد)، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال سبحانه: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

أمَّا بقية الأسماء التي ذكرها ﷺ فقد وردتْ في السُّنَّة المطهَّرة، مع ذكرِ سببِ التسمية، فمن أسمائه ﷺ أنه **(المَاحِي)** الذي يمحو اللّهُ به الكفرَ و**(الحَاشِرُ)** أي الذي يُحْشَر قَبْل جميع النَّاس، ثم يُحْشَرُ الناسُ على أَثَره، و**(العَاقِبُ)** أي الذي ليس بعده نبيٌّ، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

وله ﷺ أسماء في القرآن، منها: (المبشِّرُ، النذيرُ، الشاهدُ، الداعي إلى اللّه، السراجُ المنيرِ، الرؤوف، الرحيمُ، المزمِّلُ، المدَّثِرُ، الرَّحمة للعالمين).

❁ ❁ ❁

باب (صَرْفِ المَسبَّة عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

٣٥٣٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّه عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ! يَشْتِمُونَ مُذَمَّماً، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّماً، وَأَنَا مُحَمَّدٌ») ﷺ.

شرح الحديث

كان كفارُ قريش من شدة بُغْضِهم للرسولِ ﷺ وكراهيتهم له، لا يدعونه باسمه «محمَّد» الدالِّ على المدح والتكريم، بل يَعْدِلون إلى ضدِّه، فيقولون «مُذَمَّم» بدل محمد، فكان رسول اللَّه ﷺ يقول لأصحابه: (أَلَا تعجبون كيف صرف اللَّه أذاهم عني! إنهم يسبُّون، ويَهْجُون (مُذمَّماً) وأنا محمد).

وهذا من كرامةِ اللَّهِ لرسوله ﷺ، فقد صرف اللَّه شرَّهم عنه، بعدم ذكر اسمه عند المسبَّة، فقد كانوا يقولون عند إرادة ذكره بالسُّوء: فَعَلَ اللَّهُ كذا، وكذا، بمذمَّم!! يقصدوت به الرسول ﷺ.

لطيفة

ومن عجائب القصص والأخبار أنَّ امرأة «أبي لهب» لمَّا سمعت ما أنزل اللَّه في حَقِّها وحقِّ زوجها ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] السورة، غضبت غضباً شديداً، فأتت تبحث عن رسول اللَّه ﷺ، وهو جالسٌ في المسجد الحرام، مع سيِّدنا (أبي بكر الصدِّيق) وفي يدها «فِهْرٌ» ـ أي قطعةٌ حادة من الحَجَر تشبه السكِّينَ ـ فلمَّا دنت من الرسول ﷺ أعمى اللَّهُ بَصَرها عنه، فوقفتْ أمام أبي بكر، وقالت له: أين صاحبُك يا أبا بكر؟ بلغني أنه يهجوني، أنا وزوجي، فواللَّهِ لئن رأيتُه لأضربنَّ بهذا وجهه! ثم أخذتْ تشتمُ وتسبُّ الرسولَ، وتقول:

(مُذَّمماً) عَصَيْنا وأَمْرَهُ أَبَيْنَا ودِينَه قَلَيْنا) يعني أبغضنا.

ثم انصرفت عن مجلس الرسول ﷺ.

فقال أبو بكر: يا رسول اللَّه أَمَا تراها رأتْكَ؟ فقال له ﷺ: **(ما رأتني، لقد أعمى اللَّهُ بصرها عني)!!** اهـ التفسير الواضح الميَّسر ص(١٦١٣) سورة المَسَد.

بابُ (خاتَمِ النَبِيّين مَعَ الأَنْبِيَاءِ)

٣٥٣٤ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِياءِ، كَرَجُلٍ بَنَى دَاراً، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا، وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ)!؟ وفي روايةٍ أخرى: ويقولون: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَة؟ قال: فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتم النبيِّين أخرجه البخاري.

شرح الحديث

هذا مَثَلٌ من روائع الأمثال، يضربه النبيُّ ﷺ لنفسهِ مع إخوانِهِ الأنبياء والمرسلين، وقد جاء هذا المَثَلُ بطريق «التشبيه التمثيلي» حيث شبَّه ﷺ الأنبياءَ وما بُعثوا به من إرشاد الناسِ، إلى مكارم الأخلاق، بقَصْر بديع، أُسِّسَت قواعدُه، وارتفع بنيانُه، وبقي منه موضع لَبِنة، ليكتملَ البُنْيان. ومن تواضعه ﷺ أنه شبَّه نفسه باللَّبنة أمامَ هذا البناء الضخم، إذا وُضعت اكتملَ البناءُ، ولهذا قال: **(فأنا اللبنةُ، وأنا خاتمُ النبيِّين)** وما أروعه من تمثيل وأجمله من بيان.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف، فضلُ ضربِ الأمثال، للتقريب للأفهام كما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

الثاني: وفيه فضلُ النبيِّ ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين، وتواضُعه الجمُّ أمامَ سائر النبيِّين، بذلك التشبيه الرائع.

الثالث: وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ أكملَ اللَّهُ به الرسالاتِ السماوية، وأتمَّ به شرائعَ الدين.

الرابع: وفيه البيانُ الواضحُ القاطعُ، على أنه (خاتم النبيِّين)، لا نبيَّ بعده، كما قال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٣٥٣٥ ـ تقدَّم شرحه في الحديث السابق.

بابُ (ذِكْرِ عُمُرِ النَّبِيِّ ﷺ)

٣٥٣٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أنها قالت: (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ تُوُفِّيَ وَهْوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ).

[طرفه في: ٤٤٦٦].

شرح الحديث

هذا الحديثُ عن (عائشةَ) أمِّ المؤمنين رضي اللَّه عنها نصٌّ صريح على أنَّ حياة النبيِّ ﷺ كانت /٦٣/ ثلاثاً وستين سنةً، هذا أمرٌ متفق عليه بين المحدِّثين، حيث عاش ﷺ بمكة، /٥٣/ ثلاثاً وخمسين سنة، نُبِّئ على رأس الأربعين فيها، وبقي يدعو إلى اللَّه بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة المنورة، وبقي فيها عشرَ سنين، يؤسس الدولة الإسلامية، فالمدةُ كلها /٦٣/ ثلاثٌ وستون سنة.

وفي حجَّة الوداع من السَّنة العاشرة للهجرة ودَّع أصحابه، ونزل عليه قولُ اللَّه عزَّ وجل وهو في عرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وبعد عودته من حجَّةِ الوداع مرض ﷺ **اثنا عشر يوماً**، وتُوفِّي يوم الإثنين في مثل الشهر الذي وُلد فيه، فكانت ولادته ووفاتُه في شهر ربيع الأول، وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، وهو في بيت (عائشة)، وما أصعبَ ذلك اليومَ وأقساه، على صحابته الكرام، وما أشدَّ ألمه على نفوسهم.

يقول أنسُ بنُ مالك رضي اللَّه عنه (لمَّا كان اليومُ الذي دخل فيه رسولُ اللَّه ﷺ المدينة، أضاءَ منها كلُّ شيء، فلمَّا كان اليومُ الذي مات فيه، أظلمَ منها كلُّ شيءٍ،

وما نَفَضْنا الأيدي من دفن رسول اللَّه ﷺ ـ وإنَّا لفي دفنه ـ حتى أنكرنا قلوبنا) رواه الترمذي في المناقب.

هذا هو الحبُّ الصادق من صحابة رسول اللَّه ﷺ، لمن بعثه اللَّه رحمةً للعالمين.

٣٥٣٧ ـ [طرفه في: ٢١٢٠]، تقدّم شرحُه.

٣٥٣٨ ـ [طرفه في: ٣١١٤]، تقدّم شرحُه.

٣٥٣٩ ـ [طرفه في: ١١٠]، تقدّم شرحُه.

باب (دُعَاءِ النَبِيِّ ﷺ للسَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ)

٣٥٤٠ ـ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ:
(قَدْ عَلِمْتُ: مَا مُتِّعْتُ بِهِ ـ سَمْعِي وَبَصَرِي ـ إِلَّا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنَّ خَالَتِي ذَهَبَتْ بِي إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي شَاكٍ، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ: قَالَ: فَدَعَا لِي).

[طرفه في: ١٩٠].

هذا الحديث حكاه الجُعَيْد بنُ فضلٍ عن «السَّائِبِ بنِ يزيدَ» رضي اللَّه عنه، ولفظُه كما في البخاري: (رأيتُ السائبَ بنَ يزيد ـ وهو ابنُ أربع وتسعين ـ جَلْداً معتدلاً، فقال: قد علمتُ ما مُتِّعتُ به سمعي وبصري، إلَّا بدعاء رسولِ اللَّه ﷺ، إنَّ خالتي ذهبت بي إليه، فقالت: يا رسول اللَّه إنَّ ابنَ أختي شاكٍ، فادْعُ اللَّهَ له، فدعا لي ﷺ).

شرح الألفاظ

(جَلْداً): أي قوياً صُلباً.

(معتدلاً) أي معتدل القامة دون انحناءٍ في الظَّهْر.

(شَاكٍ) أي مريضٍ اشتدَّ به المرضُ، فادعُ اللَّهَ له بالشفاء.

ويحكي لنا السائبُ، أنه إنما بقي قويًّا صُلباً، في كامل صحته وعافيته، وهو في السنِّ الرابعة والتسعين من عُمره، ببركة دعاء النبيِّ ﷺ له في صغره.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ بركةِ دعاء النبيِّ ﷺ، حيث دعا للسائب بنِ يزيدَ، فعاش عُمُراً مديداً، في صحةٍ وعافية.

الثاني: وفيه أنَّ «السائبَ بنَ يزيد» طالَ عمرُه إلى أن وصلَ سنّ الرابعة والتسعين، وهو بكامل قوته وعقله.

الثالث: وفيه أنَّ التبرُّكَ بآثار الأنبياء، والصالحين مشروع، فقد مسحه ﷺ، فبقي مقدَّمُ رأسه أسودَ.

٣٥٤١ ـ [طرفه في: ١٩٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (شَبهِ الحَسَنِ بالنَّبيِّ ﷺ)

٣٥٤٢ ـ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (صَلَّى أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: بِأَبِي شَبيهٌ بِالنَّبِيِّ، لَا شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ).

[طرفه في: ٣٧٥٠].

شرح الحديث

خرج (أبو بكر الصدِّيق)، بعد وفاة النبي ﷺ ببضعة أيام، ومعه (عليُّ بن أبي طالب)، يمشي بجانبه، فرأى الحسنَ بن عليٍّ يلعب مع الأولاد، وكان الحسنُ أشبهَ الناس برسول اللّه ﷺ، في خَلْقه وخُلُقه، فحمله أبو بكر، وعانَقَه وقبّله، وقال: بأبي وأمي ـ أي أفديه بأبي وأمي ـ فإنه شبيهٌ برسول اللّه ﷺ، لا شبيهٌ بعليٍّ، وعليٌّ يسمع كلامَ (أبي بكر) ويضحك، سروراً وابتِهاجاً، بأن ولده الحسنَ يشبهُ رسولَ اللّه ﷺ.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ فضيلةِ أبي بكر، ومحبَّتُه لآلِ بيت النبيِّ ﷺ.

الثاني: وفيه ما كان بين (أبي بكر)، و(عليٍّ)، من حبٍّ وإجلال، خلافاً لما يزعمه الرافضة، الذين يزعمون أنَّ (أبا بكر) اغتصَبَ الخلافةَ من (عليٍّ)، وحصل بينهما عداوةٌ وبغضاء، ويسُّون (أبا بكر) ويلعنونه، ولعنةُ اللَّهِ على الكاذبين!

الثالث: وفيه تركُ الصبيِّ يلعب بما يلعب به الصِّبيانُ، لأن الحسن إذْ ذاكَ كان صغيراً ابنَ سبعَ سنينَ.

فائدة جليلة هامة

كان أنسُ بنُ مالك رضي اللَّه عنه إذا رأى الحسنَ، عانَقَه وبكى، وقال: من أراد أن ينظر إلى رسول اللَّه ﷺ، فلْينظر إلى هذا، لِشَبَهه العظيم، برسول اللَّه ﷺ. وبَلَغ معاويةَ بنَ أبي سفيان خبرَه، فاستقدَمَه فلمَّا دخل عليه، قام واعتنقه، وقبَّل ما بين عينيه، ومَنَحه مالاً وأرضاً، فقَبِل الأرضَ، وردَّ المال. اهـ شرح البخاري للعيني ١٦/ ١٠٣.

٣٥٤٣ ـ [طرفه في: ٣٥٤٤]، سيأتي شرحه في الحديث (٣٥٤٤).

بَابُ (صِفَةِ النَبِيِّ ﷺ)

٣٥٤٤ ـ عَنْ أبي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُشْبِهُهُ، قُلْتُ لأبِي جُحَيْفَةَ: صِفْهُ لِي، قَالَ: كَانَ أَبْيَضَ قَدْ شَمِطَ، وَأَمَرَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِثَلَاثَ عَشْرَةَ قَلُوصاً، قَالَ: فَقُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ نَقْبِضَهَا).

[طرفه في: ٣٥٤٣].

شرح الألفاظ

(شَمِطَ) أي صار سَوادُ شعره، قد خَالَطه بعضُ البياض، وكان البياضُ تحت شَفَته السُّفلى ﷺ.

(قَلُوصاً) القَلُوصُ: بفتح القاف: الأنثى، من الإبل المسمَّاة (بالنَّاقة).

شرحُ الحديث

يحكي لنا «أبو جُحيفة» واسمُه «وهبُ بنُ عبدِ اللَّه» أنه رأى النبيَّ ﷺ قبل وفاته، وهو يشبه الحسنَ بنَ علي، فقيل له: صف لنا رسولَ اللَّه ﷺ؟ فقال: كان قد خالط بعضُ البياضِ، شعرَ رأسه الشريف، وظهر بعضُ الشيب في عَنْفَقَته، تحت الشفة السُّفلى، وأخبر أن النبيَّ ﷺ أمر لجماعته بثلاث عشرة ناقةً، فقُبض ﷺ ولم يستلموها، فلمَّا كانت خلافةُ أبي بكر قال: من كانت له عند رسول اللَّه ﷺ عِدَةٌ فلْيأتنا، فأتيناه فأخبرناه بما كان وعَدَنا به رسولُ اللَّه ﷺ، فأمر لنا بها.

ما يُستفاد من الحديث

دلَّ هذا الحديث الشريف على أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لما انتقل إلى جوار ربه، لم يكن شيخاً كبيراً، عمَّ الشيبُ رأسَه ولحيَته، بل كان في منتهى القوة والشباب، ولم يكن فيه إلَّا بعضَ الشعرات البيض، تحت شفته السفلى.

وفيه أنَّ الرسولَ ﷺ، كان وعَدَ الصحابيَّ (أبا جُحيفة) بشيء من العطاء، فدفعه له (أبو بكر) رضي اللَّه عنه، تنفيذاً لوعد النبيِّ ﷺ.

أَمَّا وصفُ خَلْقه ﷺ وصورته الإنسانية، ففي هذا الحديث الآتي ذكره.

٣٥٤٥ - تقدَّم شرحه في الحديث السابق رقم ٣٥٤٤.

بابُ (هَلْ بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ سِنَّ الشَّيْخُوخَةِ)؟

٣٥٤٦ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ، صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ، قيل له: (أَرَأَيْتَ النَّبِيَّ

ﷺ كَانَ شَيْخاً؟ قَالَ: كانَ فِي عَنْفَقَتِهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ).

شرح الألفاظ

(عَنْفقتِه) العَنْفَقَةُ: هي ما تحت الشفة السُّفلى، إلى الذَّقْن.

شرحُ الحديث

سأل أحدُ التابعين ـ وهو حَرِيزُ بنُ عثمان ـ سأل (عبدَ اللَّهِ بنَ بُسْر) هل رأيت رسولَ اللَّه ﷺ؟ قال: نعم، فسأله هلِ كان رسولُ اللَّه شيخاً أم شاباً! وهل صَبغَ ﷺ لحيتَه؟ فقال له: يا ابنَ أخي، لم يبلغ رسولُ اللَّه ﷺ سنَّ الخَضْب، إنما كان تحت شفته السُّفْلى شعيراتٌ بيض، فماذا يخْضِب؟ ودلَّ هذا الحديثُ على أنه ﷺ لم يخضِبْ ـ أي لم يصبغ شعره ـ وقد تُوفي وهو في (عُنْفوان) القوة والشباب، وكأنه ﷺ ابنُ أربعين سنة.

وفي رواية أنس: (وقُبضَ رسولُ اللَّه ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاءَ).

فأكَّد هذا على أنه ﷺ ما كان يحتاج إلى الخِضاب، لأنَّ تلك الشعرات البيض، كانت في رأسه ولحيته، ولم يبلغ عددها عشرين شعرة، وهذا دليلُ الشباب، لا الشيخوخة.

بابُ (وَصْفِ النَبِيِّ ﷺ بِصُورَتِهِ البَشَرِيَّةِ)

٣٥٤٧ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (كَانَ النبي ﷺ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ، لَيْسَ بِالْطَّوِيلِ، وَلَا بالْقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ، لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ، وَلَا آدَمَ، لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلَا سَبْطٍ رَجِلٍ، أُنزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يُنْزَلُ عَلَيْهِ، وَبِالمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَقُبِضَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضاءَ).

قَالَ رَبِيعَةُ: فَرَأَيْتُ شَعَراً مِنْ شَعَرِهِ، فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ، فَسَأَلْتُ، فَقِيلَ: احْمَرَّ مِنَ الطِّيبِ).

[طرفه في: ٣٥٤٨، ٥٩٠٠].

شرح الألفاظ

(رَبْعةً) أي مربوعُ القامة، ليس بالطويل، ولا بالقصير، بمعنى معتدل الخِلْقة في الجسم والبدن.

(أزهرُ اللَّون) أي أبيضُ اللَّون، مُشْرباً بالحُمرة، وهذا غايةُ الحُسْنِ والجمال.

(الأمْهقُ) الشديدُ البياض، أي ليس بالأبيض، الشديدِ البياض.

(ولا آدَم) أي وليس بالأسمر الشديد السُّمرة، إنما كان ﷺ أبيضَ اللون، مع مَيْل إلى الحُمْرة.

(ولا جعْدٍ قَطَطٍ) أي وليس متجعِّد شعرِ الرأس، بل هو وسطٌ بين الجعودة والسبوطة، والقَطَطُ: الشديد الجعودة، فقد كان ﷺ مسترسل الشعر، مع شيء من الجعودة.

(وقُبِض) أي تُوفِّي ﷺ وليس في رأسه ولحيته، عشرون شعرةً بيضاء.

شرحُ الحديث

ما ذكره أنس في هذه الرواية يدلُّ على أنَّ النبيَّ ﷺ كان كاملَ الخِلْقة، أزهرَ اللون، لم يكن طويلاً ولا قصيراً، ليس في رأسه ولا في لحيته، إلَا القليلُ اليسير من الشيب، لا يتجاوز العشرين شعرة، وهذا يدلُّ على كمال القوة، ونضارة الشباب، فلم يكن شيخاً مسّناً، وحين انتقل إلى جوار ربه، لم يكن في حالة الضعف والشيخوخة، بل في كمال الاعتدال والقوَّة، أُنزلت عليه الرسالةُ، وهو في سنِّ الأربعين من العمر، فمكث في مكة، ثم هاجر إلى المدينة، وكانت مدةُ نزول الوحي عليه (٢٣) ثلاثاً وعشرين سنة، وتُوفي ﷺ وعمره ثلاثٌ وستون سنة، صلواتُ اللَّه وسلامه عليه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانٌ لحسنِ جمالِ النبيِّ ﷺ، فقد كان أبيضَ اللون مشرباً بالحمرة.

الثاني: وفيه أنَّه ﷺ كان متوسط القامة، ليس بالطويل، ولا بالقصير.

الثالث: وفيه أنَّ الوحي نزل عليه وهو في الأربعين من العُمر، وهي السنُّ التي ينزل فيها الوحيُ على الأنبياء والمرسلين.

الرابع: وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ حين توفي لم تبلغ شعراتُه البيضُ عشرين شعرة، وهو يدلُّ على كمال الشباب والقوة.

الخامس: وفيه أنَّ مدة الوحي على رسول اللَّه ﷺ ثلاثٌ وعشرون سنة.

السادس: وزبدةُ القول فيه ما جاء في حديث البراء (كان رسولُ اللَّه ﷺ أحسنَ الناس وجهاً، وأحسنَهم خَلْقاً، ليس بالطويل البائن - أي الواضح بالطول - ولا بالقصير)، صلوات ربي وسلامه عليه، وجَمَعنا معه في جِنان الخُلْدِ والنعيم.

٣٥٤٨ - [طرفه في: ٣٥٤٧]، تقدّم شرحُه.

٣٥٤٩ - تقدّم شرحُه في الأحاديث السابقة انظر شرح الحديث رقم ٣٥٤٧.

٣٥٥٠ - [طرفه في: ٥٨٩٤، ٥٨٩٥]، انظر شرح الحديث رقم ٥٨٩٩.

بابُ (شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ)

٣٥٥١ - عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنّه قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعاً، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبيْنِ، لَهُ شَعَرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ). قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ: (إِلَى مَنْكِبَيْهِ) أي يصل شعر رأسه إلى عاتقِ الكتفين.

[طرفه في: ٥٨٤٨، ٥٩٠١].

شرحُ الحديث

حديثُ البراء يشير إلى أنَّ النبيَ ﷺ كان جميلَ الخلق، كاملَ الصورة، عريضَ الكتفين، وشعرُه ﷺ طويلٌ، يصل إلى الأذنين، وأحياناً يصلُ إلى عاتقه، إلى جهة الكتفين، وإذا لبس البُرْدَةَ الحمراءَ، يتلألأُ وجهُه الشريفُ بالحسن والنور، كأنه فلقةُ قمر، لم يكن أحدٌ من الناس، يشبهه في الحسن والجمال، ولهذا قال البراءُ: لم أر شيئاً قطُّ أحسنَ منه ﷺ، وسُئل البراءُ أكان وجهُ النبيِّ ﷺ يبرُق مثلَ السيفِ؟ فقال: لا، بل كان وجهُه الشريف منوَّراً، مثلَ القمر ﷺ.

٣٥٥٢ ـ تقدّم شرحُه في الحديث السابق رقم ٣٥٥١.

بابُ (طِيبِ النَّبيِّ ﷺ)

٣٥٥٣ ـ عَنْ أبي جُحَيْفَةَ رضي اللّه عنه أنه قَالَ: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ).

قَالَ شُعْبَةُ: وَزَادَ فِيهِ عَوْنٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: (كَانَ يَمُرُّ مِنْ وَرَائِهَا الْمَرْأَةُ، وَقَامَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهِمَا وُجُوهَهُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي، فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ).

[طرفه في: ١٨٧].

شرحُ الحديث

حكى الصحابيُ الجليلُ (وهبُ بنُ عبدِ اللّه) وكنيتُه ـ أبو جُحَيْفةَ ـ أنه رأى رسولَ اللّه ﷺ يصلّي بالبطحاء ـ مسيلِ السيل ـ وقد نَصَب أمامَه سُتْرةً تشبه العصا، فصلَّى الظهر ركعتين، والعصرَ ركعتين، لأنه كان على سفر، ولمَّا انتهى ﷺ من صلاته، أسرع

الناسُ حولَه يتبرَّكون به، بتقبيلِ يده الشريفة، ويمسحونَ بها وجوههم، فأخذ (وهبٌ) بيدِ النبيِّ ﷺ فقبَّلها، ووَضَعَها على وجهه، فرأى لها برداً كبرودة الثلج، وشمَّ منها رائحةً أطيبَ من ريح المسك، فهو يخبرنا عن رائحة رسولِ اللَّه ﷺ، وأنها رائحةٌ طيِّبة، أطيب من رائحة المسك، وهذا كان أمرُ طيب النبيِّ ﷺ، كانت هذه الريح الطيِّبة، صفتَه ﷺ وإنْ لم يمسَّ طيباً، ومع هذا فكان يستعمل الطيب لملاقاة الملائكة، ومجالسة المسلمين، وكان إذا مرَّ بطريق من طُرق المدينة، وجُد منه رائحةُ المسك، فيعرف الناسُ أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ في هذا الطريق.

قال العيني: والحكمةُ أنَّ يده أبردُ من الثلج، لتدلَّ على سلامة جسده من العِلَل والأسقام. اهـ عمدة القاري ١٦/ ١٠٩.

٣٥٥٤ ـ [طرفه في: ٦]، تقدّم شرحُه.

٣٥٥٥ ـ [طرفه في: ٣٧٣١، ٦٧٦١، ٦٧٧٠، ٦٧٧١]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٣٧٣١.

٣٥٥٦ ـ [طرفه في: ٢٧٥٧]، تقدّم شرحُه.

باب (بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْرِ القُرُونِ)

٣٥٥٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنَّه قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرونِ بَنِي آدَمَ، قَرْناً فَقَرْناً، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ»).

شرح الألفاظ

(خَيْرُ القُرونِ) القرونُ: جمع قَرْن أي عصر، وهو كلُّ مائة عام، سُمِّي (قَرْناً) لأنه الطبقة المجتمعةُ في زمانٍ واحد، قال الشاعر:

إذَا ذَهَبَ القَرْنُ الَّذي أنتَ فِيهِمُ   وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأَنْتَ غَرِيبُ

شرحُ الحديث

أخبر ﷺ أنَّ اللَّه اختار له خيرَ الأزمان والعصور، وهو الزمنُ الذي بُعث

فيه ﷺ، فقد اختار اللّه له خيرَ الأزمان، كما خصَّه بأفضل وأكرم الناس، وهم أصحابه الأخيارُ الأبرار، كما جاء في الحديث الصحيح: **(خيرُ القرون قرني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم)** فخير الأزمان زمانُ النبيِّ ﷺ، ثم زمانُ التابعين، ثم زمانَ تابعِ التابعين، كما أخبر الصادقُ المصدوق ﷺ، فقد بُعث للناس في خير القرون والعصور.

باب (سَدْلِ النَّبيِّ ﷺ شَعَرَهُ ثُمَّ فَرْقُه)

٣٥٥٨ ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّه عَنْهُما أنَّه قال: (إنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ كَانَ يَسْدِلُ شَعَرَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ رأسَهُ).

[طرفه في: ٣٩٤٤، ٥٩١٧].

شرح الألفاظ

(يَسْدِل شَعَره) أي يجعل شعره مسرَّحاً، ويرسلُه نحو الجبين.

(يَفْرِقُون رُؤُوسَهُمْ) أي وكان المشركون يلقون شعر رؤوسهم، جهة اليمين، وجهة الشمال، هذا معنى الفَرْق.

شرح الحديث

كان رسولُ اللّه ﷺ يحبُّ موافقة أهل الكتابِ في أمورهم وأحوالهم، لأنهم أقرب إلى الحقِّ من المشركين عبدةِ الأوثان، وكان يتألفهم بسلوك طرائقِ أمورهم الدنيوية، فيما لا يخالف شرعَه الحنيف، ولمَّا كان أهلُ الكتاب يسدلون شعر رؤوسهم، فعل ﷺ مثلَهم، كان يلقي شعره جهة جبينه، ثم تركَ ﷺ سَدْلَ شعره، وفَرَقه جهة اليمين، وجهة الشمال، مخالفةً لأهل الكتاب، اليهودِ والنصارى.

قال في فتح الباري: كان ﷺ في أول أمره يترك شعر ناصيته على جَبْهته، موافقةً لأهل الكتاب، لأنهم في زمانه كانوا متمسكين ببقايا من شرائع الرسل، فكانت موافقتُهم أحبَّ إليه من موافقة عُبَّاد الأوثان، فلمَّا أسلم غالبُ المشركين، أحبَّ ﷺ مخالفةَ أهل الكتاب، لأنهم ظلُّوا على كفرهم، ولم يؤمنوا برسالته .اهـ فتح الباري ٦/ ٥٧٤.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ أنَّ السُّنَّة هي فرقُ الشعر، وتسريحُه جهة اليمين والشمال.

الثاني: وفيه عدمُ سلوك طريق أهل الكتاب، ومخالفَتُهم في أزيائهم وأفعالهم، ليتميَّز المسلمُ عن أهل الشرك والضلال.

باب (خُلُقِ النَّبِيِّ الكَرِيم ﷺ)

٣٥٥٩ ـ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّه قال: (لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشاً، وَلَا مُتَفَحِّشاً، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً»).

[طرفه في: ٣٧٥٩، ٦٠٢٩، ٦٠٣٥].

شرحُ الحديث

أخلاقُ سَيِّدِ المرسلين ﷺ بلغت ذُروةَ الكمال، فلم يكن ينطق بالفُحش، أو البذيء من الكلام، كما لم يكن ﷺ يواجه أحداً في وجهه بما يكره، فإذا بَلَغه شيءٌ عن أحدٍ من الناس يُكْره، لم يقل: ما بالُ فلان يقول كذا؟ بل كان يقول: **(ما بالُ أقوام يقولون كذا؟)** ستراً على الإنسان، ولم يكن يجرح أحداً من الخَلْق، لعفَّة لسانه ﷺ عن البذيء من الألفاظ، التي يتحدث بها بعضُ الناس.

وحينَ سُئلت السيدة عائشة عن خُلُقه الذي كان عليه؟ قالت: (كان خُلُقه القرآنُ، يغضبُ لغضبه، ويرضى لرضاه) ولا يخرج في حياته عن آداب القرآن العظيم، حيث

أدَّبه اللَّهُ فأحسن تأديبه، وكان ﷺ يوصي الأمة بحسن الخلق، ويقول: (**أفضلُكم عند اللّه أحسنُكم أخلاقاً**).

تقول أمُّ المؤمنين «صَفِيَّة» رضي اللَّهُ عنها: (ما رأيتُ أحداً أحسنَ خُلُقاً من رسولِ اللّه ﷺ).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ ما كان عليه ﷺ من كريم الأخلاق، وجميل الصفات.

الثاني: وفيه بيانُ فضيلة حُسْنِ الخُلُقِ، الذي يرفع اللَّهُ به درجةَ الإنسان.

الثالث: وفيه أنَّ حُسْن الخُلُق لا يكون إلَّا باختيار الفضائل، وترك الرذائل.

الرابع: وفيه ضرورةُ التَّأسي بالرسول ﷺ، تنفيذاً لقول الحقِّ جلَّ وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

بابُ (مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِه)

٣٥٦٠ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، إلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْما كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللّه، فَيَنْتَقِمَ للّه بِهَا).

[طرفه في: ٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣].

شرحُ الحديث

هذه أخلاقُ نبيِّ الرحمةِ ﷺ، أنه ما عُرض عليه أمران، أحدهما شديد، والآخر هيِّنٌ، إلا اختار أسهَلَهُما وأيسَرهما، رحمةً بأمته، وتعليماً لهم ليتأسوا به، ما لم يكن هذا الأيسرُ، فيه إثمٌ، فإنه يكون أبعَدَ الناس عنه، ويختار الأشقَّ.

مثالُه: مجاهدةُ الإنسان نفسَه في العبادة، وتحميلُها ما يشقُّ عليها، فإنَّ النبيَّ ﷺ كان يوصي أصحابه، فيقول لهم: (**عليكم من الأعمال ما تطيقون**)! وإذا كان في

المخيَّر ما يوقع في الإثم، كالتخيير بين الزواج، والرهبانية، فقد كان ينهى ﷺ عنه، ويأمر أصحابه بالزواج، ويقول: (**والله إنّي لأتقاكم للَّهِ، وأخشاكم له!! لكنّي أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوَّج النساءَ، فمن رغبَ عن سُنَّتي فليس مني**).

وما كان الرسولُ ﷺ إذا أُوذي ينتقم لنفسه، إلّا أن تُنتهك حرمةُ الدِّين، لأنَّ من عرف عظمةَ اللَّهِ وجلالَه، سدَّ باب الانتقام لنفسه، فقد كان ﷺ يصبر على ما يناله من سَفَه السفهاء، وجهلِ الجاهلين، ويقول عمَّن قال له: اعدِلْ في القِسْمةِ فإنك لم تعدل) لم ينتقم ﷺ لنفسه، بل قال: (**رَحِمَ اللَّهُ أخي موسى، لقد أُوذي بأكثرَ من هذا فصبر**)!!

هذه أخلاق سيِّد المرسلين ﷺ. أمَّا إذا كان الأمر يتعلَّق بحرمة الدِّين، فيغضب له أشدَّ الغضب، وينتقم من أجل اللَّه تعالى، كغضبه لشفاعة «أسامةَ بن زيد» في المرأة المخزومية التي سرقت، فتشفَّع فيها أسامةُ، لئلا تُقطع يدَها، فما كان من رسول اللَّه ﷺ إلّا أن غضِبَ أشدَّ الغضب، وقال منكراً عليه: (**أتشفع في حدٍّ من حدود اللَّه تعالى يا أسامة؟ إنما أهلَكَ الذين مِنْ قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيفُ، أقاموا عليه الحدَّ!؟ وأيْمُ اللَّهِ ـ أي أُقْسِمُ باللَّه ـ لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمد سرقتْ، لقطعتُ يدها**) رواه الشيخان.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ شفقةِ النبي ﷺ ورحمته بأمته، واختيارُه الأيسرَ لهم من الأمور.

الثاني: وفيه الحثُّ على العفْوْ والصفحُ عمن أساء ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

الثالث: وفيه أنَّ الرسول ﷺ كان يصفح ويسامح عن حقوقه، ولا ينتقم إلّا للَّهِ عزَّ وجل، إذا انتهكت حرماتُ اللَّه.

الرابع: وفيه الاستحبابُ للمسلمين والحكام التخلُّقُ بهذا الخُلُق الكريم، المسامحةُ في حقِّ العبد، والتشديدُ في حقوق اللَّه عزَّ وجلَّ.

تنبيه وذكيرٌ

أخرج الحاكم بسنده عن الزهري أنه قال: (ما لَعَنَ رسولَ اللَّه ﷺ مسلماً ـ يعني بصريح اسمه ـ ولا ضربَ بيده شيئاً قطُّ، إلّا أن يَضْربَ بها في سبيل اللَّه، وما سُئلَ

في شيء قطُّ فمَنَعه، إلَّا أن يُسْأَل مأثماً ـ أي ما يوقعه في الإثم ـ ولا انتقم لنفسه من شيء، إلَّا أنَّ تُنتَهك حرماتُ اللَّه، فينْتَقِمُ للَّهِ).

وفي رواية للطبراني: (وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهكَ حرمةُ اللَّه، فإن انْتُهكت حرمةُ اللَّهِ، كان أشد غضباً للَّهِ) اهـ. فتح الباري ٦/ ٥٧٦.

بابُ (صِفَةِ طِيبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلِينِ يَدِه)

٣٥٦١ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (مَا مَسِسْتُ حَرِيراً، وَلَا دِيبَاجاً، أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رِيحاً قَطُّ ـ أَوْ عَرْفاً قَطُّ ـ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ ـ أَوْ عَرْفِ ـ النَّبِيِّ ﷺ).

[طرفه في: ١١٤١].

شرح الألفاظ

(مَسِسْتُ) مسَّ الشيءَ: بكسر السين لَمَسه بيده، وهو الأفصحُ، ويصحُ مَسَسْتُ بالفتح، اهـ مختار الصّحاح.

(دِيبَاجاً) نوعٌ من الحرير نفيس، وهو من باب عطف الخاص على العام.

(عَرْفاً) العَرْفُ: الريحُ الطيِّبَةُ.

شرح الحديث

أنسُ بنُ مالك خادمُ النبيِّ ﷺ، يحكي لنا طِيبَ رائحةِ النبيِّ ﷺ ولينَ جلده الشريف، فقد كان يلمس يدَه ويُقبِّلها، فيشتمُّ منه رائحةً أطيبَ من رائحة المسك، وعَرَقُه ﷺ من أطيب الطِّيب، حتى كانت تجمعه (أمُّ هانئٍ) في قارورةٍ وهو نائم، وسألها رسولُ اللَّه ﷺ ذات يوم، عمَّا تفعل؟ فقالت: يا رسول اللَّه نُطَيِّبُ به طيبَنا، وهو أطيبُ من الطِّيب.

وقد وضَّح هذا الحديثَ روايةُ مسلمٍ، فقد جاء فيه: (كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أزهر

اللون ـ أي فيه بياضٌ مع بعض الحمرة ـ كأنَّ عَرَقه اللُّؤلؤُ، إذا مشى يتكفَّأُ، وما مَسِسْتُ حريراً ولا ديباجاً، ألينَ من كفِّ النبيِّ ﷺ. . .) وذكر بقية الحديث.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ لُيونةِ جَسَد النبيِّ ﷺ، وكفِّه الشريف، فقد كان ألينَ من الحرير، كما يحكي أنسُ بن مالك.

الثاني: وفيه طيبُ رائحته ﷺ، حيث كانت أطيبَ من المسك، وعَرَقُه يتحدَّرُ كاللؤلؤ، ومع ما جُبل عليه من طيب الرائحة، كان يحبّ الطِّيبَ ويتطيَّب ﷺ، وكان يقول: (حُبِّب إليَّ الطيبُ والنِّساءُ، وجُعِلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي في الصَّلاة) أخرجه النسائي وأحمد.

بابُ (صِفَةِ حَياءِ النَّبِيِّ ﷺ)

٣٥٦٢ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَياءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا).

[طرفه في: ٦١٠٢، ٦١١٩].

اللغة

(العذراءُ): البكرُ التي لم تتزوَّج.

(خِدْرها) الخِدْرُ: السِّترُ والمَخْدعُ.

شرح الحديث

هذه صفةُ حياءِ النبيِّ ﷺ، أنه كان شديدَ الحياء، في جميع أموره وأحواله، وأقواله، إلَّا في تنفيذ حدود اللَّه، فإنه ﷺ كان لا يُجامل أحداً فيها، بل ينفِّذها سواءً كان فاعلُها شريفاً، أو من عامة الناس، فيقيم الحدَّ على الجميع، دون تفريق، وكان

إذا كرهَ شيئاً عُرف في وجهه، ولكنه ﷺ من حيائه، لا يقابلُ شخصاً بما يكره، بل يتغيَّر وجهُه، فَيَفْهم أصحابُه كراهيتَه لذلك.

والتشبيهُ (أشدَّ حياءً من العذراء) فيه المبالغةُ في صفةِ الحياءِ، الذي كان عليه ﷺ، فإنَّ الفتاة البكرَ التي لم تختلط بالرجال، تكون شديدةَ الحياء، تستحي أن تُكَلِّم أحداً، لا سيَّما إذا كانت ملازمةً لغرفةِ منزلها، فيكون حياؤها أشدَّ من حياء المرأة المتزوِّجة، وهذا من بديع (التشبيه التمثيليّ).

ولْنستمع إلى قول الحقِّ في خُلُقه الكريم ﷺ، فإنَّه لمَّا تزوَّج بزينبَ رضي اللَّه عنها، صَنَع طعامَ الوليمة، ودعا الناس إليها، فلمَّا أكلوا وشبِعوا خرج جماعةٌ، وبقي آخرون في مجلسهم يتحدَّثون، والنبيُّ ﷺ يدخلُ ويخرج عليهم، وهم جالسون، فنزل القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ فضيلة الحَياءِ، وبيانُ شدة حيائه ﷺ.

الثاني: وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ كان لا يقابل أحداً بما يكره، بل إذا كره شيئاً، عُرف ذلك في وجهه الشريف.

الثالث: وفيه أنَّ حياءَه ﷺ كان أشدَّ من الفتاة البكر، التي لم تخالط الرجال.

بابُ (لَمْ يكُنْ ﷺ يَعِيُ طَعَاماً)

٣٥٦٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَاماً قَطُّ، إنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإلَّا تَرَكَهُ).

[طرفه في: ٥٤٠٩].

شرحُ الحديث

أحلَّ اللَّهُ لعباده الطيِّباتِ من الطعام، وقال في كتابه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢] ولمَّا كان الطعام الذي أحلَّه اللَّهُ، نعمةً للعباد يجب شكرها، لذلك كان من خُلُق النبيِّ الكريمِ ﷺ أنه لا يعيبُ شيئاً من الطعام، مهما كان بسيطاً، أو غير لذيذ، فإذا اشتهته نفسُه أكلَ منه، وإلَّا تركه، فكان يأكل الخلَّ مع الخُبْز، ويقول: **(نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ)** رواه مسلم.

وهكذا سائر الأطعمةِ كان إن اشتهاه أَكَلَه، وإلَّا تركه، وهذا من جملة خصاله الشريفة ﷺ.

٣٥٦٤ ـ [طرفه في: ٣٩٠]، تقدّم شرحُه.

٣٥٦٥ ـ [طرفه في: ١٠٣١]، تقدّم شرحُه.

٣٥٦٦ ـ [طرفه في: ١٨٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (تَأَنِّي النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِهِ)

٣٥٦٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ).

[طرفه في: ٣٥٦٨].

شرح الحديث

لهذا الحديث الشريف سببٌ وقصة، ذكرها المحدّثون، أمَّا سببُ ذكر هذا الحديث، فهو أنَّ أبا هريرة جلس بجوار حُجْرة السيدة عائشة رضي اللَّه عنها، وأخذ يحدِّث بأحاديثَ عن رسولِ اللَّه ﷺ يريد أن يُسْمِعها لتشهد له بصحة ما يروي، وكانت أمّ المؤمنين عائشة، تصلّي في حُجرتها نافلةً، فسمعته يَسْرُدُ الكلام سَرْداً، ويستعجلُ في كلامه، فذكرتْ رضي اللَّه عنها الحديث: (كان ﷺ يحدِّث بالحديث لو عدَّه العادُّ لأحصاه) ومعناه أنه ﷺ كان يتكلَّم بكلام واضح، مفهوم متتابع، على طريقة التأنّي في الحديث، بحيث لو سمعه الإنسانُ لعدَّ كلماَتِه عدًّا، وتلك طريقته ﷺ في تفهيم أصحابه، رضوان اللَّه عليهم، ولم يكن يتعجَّل في كلامه، بحيث يسرد لهم الكلام

سرداً، فلا يعي السامعون ألفاظه، ولا يُدركون معناه. وكأنَّها تأخذ على أبي هريرة سُرعةَ الكلام والحديث.

ويؤكِّده الروايةُ الأخرى عن عائشة رضي اللّه عنها، أنها قالت لعُروةَ بن الزبير: (ألَا يعجبك أبو هريرة؟ جاء فجلس إلى جانب حُجْرَتي، يُحدِّث عن رسول اللّه ﷺ، يُسمعني ذلك، وكنتُ أُسبِّح ـ أي أصلِّي نافلةً ـ فقام قبل أن أقضي سُبحتي، ولو أدركتُه لرددتُ عليه، إنَّ الرسول ﷺ لم يكن يَسْرد كَسَردكم) أخرجه البخاري رقم (٣٥٦٨).

قال الإمام العيني: والاعتذارُ عن أبي هريرة، لأنه كان واسعَ الرواية، كثير المحفوظ، ولا يتمكَّن التمهُّل، عند إرادة التحديث، فلذلك كان يُسرع في حديثه، كما قال بعضُ البلغاء: أريدُ أن أختصر، فتزدحم القوافي عليَّ اهـ عمدة القاري ١٦/١١٦.

ما يُستفاد من الحديث

فيه وجوبُ التأسِّي برسول اللّه ﷺ في حديثه وإرشاده، بحيث يكون الكلام سهلاً، بيِّناً واضحاً، يستوعبه السامع، لأنَّ الغرض الإفهامُ، لا كثرةَ الكلامِ.

٣٥٦٨ ـ [طرفه في: ٣٥٦٧]، تقدّم شرحُه.

٣٥٦٩ ـ [طرفه في: ١١٤٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ تَنامُ عَيناهُ وَلَا يَنامُ قَلْبُهُ)

٣٥٧٠ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه حدَّث عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: (جَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ ـ وَهْوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ ـ فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ. وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاؤُوا لَيلَةً أُخْرَى، فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَٰلِكَ الأَنْبِياءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ، وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ).

[طرفه في: ٤٩٦٤، ٥٦١٠، ٦٥٨١، ٧٥١٧].

شرح الحديث

حادثةُ الإسراء من أعظم المعجزات لرسولِ اللَّه ﷺ، فلقد أُسري برسول اللَّه ﷺ من البلد الحرام إلى المسجد الأقصى، في جزءٍ يسير من الليل، قبل الهجرة النبوية، بسنةٍ على المشهور، وسجَّلها اللَّه في كتابه العزيز، بسطورٍ من نور لتبقى ذكرى خالدة، ومعجزة ساطعة لرسول اللَّه ﷺ على مرِّ العصور، والدهور ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

في هذا الحديث الشريف يحكي لنا (أنسُ بنُ مالك) خادمُ النبيِّ ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام، بينما هو نائم بين عمِّه (حمزة) وابنِ عمه (جعفرَ بنِ أبي طالب) جاءه ثلاثة من الملائكة، هم (جبريلُ، وإسرافيل، وميكائيل) وهو عليه الصلاة والسلام، بين النائم واليقظان ـ.

وهذا من خصائصه ﷺ، وقد سأله بعضُ أصحابه فقالوا يا رسول اللَّهِ: أتنام قبل أن توتر؟ فقال لهم: **(تنام عيني، ولا ينام قلبي)** وقد جاءته الملائكةُ في أول ليلة، ثم جاءته في ليلة أخرى، وهو بين النائم واليقظان، فقال جبريل: خذوا خيرَهم وأفضلهم ـ أي أفضل الثلاثة النائمين ـ يريد بذلك رسولَ اللَّه ﷺ ـ فأخذوا النبيَّ ﷺ من فراشه، فأُسْرِيَ به ﷺ، ثم عُرج به إلى السمٰوات العلا.

وقد ذُكِرْت معجزة (الإسراء والمعراج)، في كتاب التوحيد من صحيح البخاري، بالتفصيل.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانٌ لمعجزة الرسول ﷺ، في حادثة (الإسراء والمعراج)، التي أثبتها القرآن الكريم بقوله جلَّ ثناؤه ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١].

الثاني: وفيه أنَّ الذين أسْرَوْا برسول اللَّه ﷺ كانوا من الملائكة، لا من البشر.

الثالث: وفيه أنَّ من خصائص النبيِّ ﷺ أنه تنامُ عيناه، ولا ينام قلبُه.

الرابع: وفيه إثباتُ (قصةِ المعراجِ)، التي تواتَر ذكرُها بالسُنَّة المطهَّرة، حيث جاء في الحديث المذكور (فتولّاه جبريلُ ثم عَرَج به إلى السماء).

٣٥٧١ ـ [طرفه في: ٣٤٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مُعْجِزَةِ نَبْعِ المَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ)

٣٥٧٢ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ، وَهْوَ بِالزَّوْراءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لأَنسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثمائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ ثَلَاثِمائَةٍ).

[طرفه في: ١٦٩].

شرح الألفاظ

(الزَوراءُ) مكانٌ قريبٌ من بعض أسواق المدينة المنورة وبيوتها.

(كنَا زُهاء) أي كنَّا قَدْرَ ثلاثمائة رجلٍ مع النبيﷺ حين توضأنا.

شرحُ الحديث

حادثةُ نبعِ الماء من بين أصابع النبيﷺ الشريفة، تكرَّرت في عدة مواطنَ، وعدة أماكن.

حدثت في الزوراء قريباً من بيوت المدينة، ورسولُ اللَّهﷺ راجعٌ من بعض غزواته.

وحصلت في الحديبية، كما في رواية جابر عند البخاري، ولفظُها (عطشَ الناسُ يومَ الحديبية، والنبيُّﷺ بين يديه رَكْوةٌ ـ إناءٌ صغيرٌ من جلد ـ فتوضأﷺ منها، فَجَهِشَ الناسُ نحوه ـ أي أسرعوا نحو وضوء النَّبِيِّﷺ ـ فقال: **(ما لَكم؟) قالوا:** ليس عندنا ماء نتوضَّأُ، ولا نشربُ منه إلَّا ما بين يديك!؟

فوضعﷺ يده في الركوة، فجعل الماءُ يثورُ ـ أي يفور ـ من بين أصابعه، كأمثال العيون، **قال جابر:** فشربنا وتوضأنا، قلتُ: كم كنتم؟ قال: لو كنَّا مائةَ ألفٍ لكفانا، كنَّا خمس عشرَة مائة) رواه البخاري.

أي كانوا في الحديبية ألفاً وخمسمائة، وفي الزوراء ثلاثمائة رجل، ولو كانوا

مائة ألف ـ كما قال جابر ـ لَكَفَاهم الماء، لأنه كان ينبع من بين أصابعه الشريفة، كالعيون الدافقة، التي تسيل من الجبال.

وهذه المعجزةُ شاهَدَها الصحابةُ بأمِّ أعينهم، وأصابوا منها، فتوضئوا وشربوا، فكيف لا تستنير قلوبهم بهذه المعجزات الباهرة؟

قال القرطبي: (قصَّةُ نبعِ الماءِ من أصابعه الشريفة ﷺ، تكرَّرتْ منه في عدَّةِ مواضعَ، وفي مشاهدَ عظيمة، ووردت من طُرُقٍ كثيرة، يفيد مجموعُها (العلمَ القطعي) المتواترَ، ولم يُسْمع بمثل هذه المعجزة، من غير نبيِّنا ﷺ، حيث نَبَع الماءُ من بين اللحم والدم، وهو أعظمُ في الإعجاز من نبعه من الحجر، لأن خروجه من الحجارة معهودٌ، بخلاف خروجه من بين العَظْم، واللحم، والدم) .اهـ عمدة القاري ١٦/ ١٩٩.

ويؤيِّد ذلك الحديث الآتي.

٣٥٧٣ ـ [طرفه في: ١٦٩]، تقدّم شرحُه.

٣٥٧٤ ـ [طرفه في: ١٦٩]، تقدّم شرحُه.

٣٥٧٥ ـ [طرفه في: ١٦٩]، تقدّم شرحُه.

٣٥٧٦ ـ [طرفه في: ٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤٨٤٠، ٥٦٣٩]، انظر شرح الحديث السابق رقم ٣٥٧٢ والحديث التالي رقم ٣٥٧٩ والحديث ٤١٥٠.

٣٥٧٧ ـ [طرفه في: ٤١٥٠، ٤١٥١]، سيأتي شرحه في الحديث (٤١٥٠).

٣٥٧٨ ـ [طرفه في: ٤٢٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (نَبْعِ المَاءِ وتَسْبِيحِ الطَّعَامِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

٣٥٧٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: (كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفاً، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ». فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ». فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ).

شرح الألفاظ

(نَعُدُّ الآيَاتِ) المرادُ بالآيات: أي الأمورَ الخارقةَ للعادة، كتسليم الحَجَر، وانشقاقِ القمر، ونبعِ الماء من بين أصابعه الشريفة.

(تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفاً) أي تعدُّونها من أجل تخويف الناس، ككسوف الشمس والقمر، وتكليم دابة الأرض.

(حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ) أي أقْبِلوا على الماء المبارك، فتطهَّروا به، حيث صار مباركاً بنبعه من يد النبي ﷺ.

(فَضْلَةُ المَاءِ) أي شيء قليلٍ، فاضلٍ من الماء، ممَّا عندكم، فأتوني به.

شرح الحديث

هذه بعضُ معجزات خاتم الأنبياء ﷺ، نَبَعَ الماءُ من بين أصابعه الشريفة، وسبَّح الطعامُ بحضرته ﷺ، وسمعه الصحابةُ وهو يُؤكل، فالصحابيُّ ابنُ مسعود، يُنكر على بعض الناس، عدَّ جميعِ ما يرونه من الخوارق والمعجزات، أنها كانت للتخويف، ظناً منهم، أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] تشمل كلَّ أنواع الكرامات، والمعجزات، والخوارق، وأنها من قبيل الآيات التخويفية.

لذا نبَّه (ابنُ مسعود) أنَّ هذه الأمورَ الخارقةَ للعادة، منها ما يكون للتخويف، كالزَّلازل، والأعاصير، والبراكين، والخُسوف، والكسوف.

ومنها ما يكون لإظهار الكرامة، وتوضيح المعجزة لسيِّد المرسلين ﷺ.

فإنَّ إشباعَ خلائقَ كثيرين، من الطعام القليل، وسماعَ تسبيح الطعام بآذانهم وهم يأكلونه، لا شكَّ أنه من المعجزات لسيد الخلق ﷺ، وأنه بركةٌ من اللَّه، للرسول ﷺ ولأصحابه، ولهذا قال ﷺ لأصحابه حين نَبَع الماءُ من بين أصابعه الشريفة: **(هلُمُّوا إلى الماء الطاهر المبارك، فإنه بركةٌ من اللَّه عليكم)**، ولم يكن هذا الأمرُ من باب التخويف للمؤمنين.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف، ظهورُ معجزةٍ للرسول ﷺ، حيث تدفَّقتْ عيونُ الماء، من بين أصابعه الشريفة، كأنها عيونٌ تتفجَّر من الجبال.

الثاني: وفيه معجزةٌ أخرى، حيث سمع الصحابةُ تسبيح الطعام، وهو يُؤكل بين يديْ رسول اللَّه ﷺ ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

الثالث: وفيه أنَّ الخوارقَ للعادة، قسمان: منه ما هو للتخويف، ومنه ما هو للكرامة والتشريف، لمن أظهر اللَّهُ الخوارق علي يديه.

تنبيه لطيف

الظاهر أنَّ هذه المعجزة، التي رآها الصحابةُ، كانت في (غزوة الحديبية) لحديث جابر المتقدم في البخاري، ولفظُه (عَطِشَ الناسُ في الحديبية، والنبيُّ ﷺ بين يديه رِكْوة، فتوضأ ﷺ، فَجَهِشَ الناسُ نحوه. فقال: **(ما لَكُمْ؟)** قالوا يا رسولَ اللَّه: ليس عندنا ماء نتوضأ ونشرب منه، إلَّا ما بين يديك) الحديث.

٣٥٨٠ ـ [طرفه في: ٢١٢٧]، تقدّم شرحُه.

٣٥٨١ ـ [طرفه في: ٦٠٢]، تقدّم شرحُه.

٣٥٨٢ ـ [طرفه في: ٩٣٢]، تقدّم شرحُه.

٣٥٨٣ ـ تقدَّم شرحه انظر شرح الحديث رقم ٩١٨.

٣٥٨٤ ـ [طرفه في: ٤٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٥٨٥ ـ [طرفه في: ٤٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٥٨٦ ـ [طرفه في: ٥٢٥]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قِتَالِ قَوْمٍ مِنَ التُّرْكِ وَالعَجَمِ)

٣٥٨٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ).

وقال ﷺ: (وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانَ، لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُون لَهُ مِثْلَ أَهْلِهِ ومالِهِ).

[طرفه في: ٢٩٢٨].

شرحُ الحديث

أورد الإمام البخاريُّ عدة أحاديث عن قتال المسلمين لقومٍ من الترك والعجم، وهذه من الأخبار الغيبية التي أخبر عنها الصَّادقُ المَصْدوقُ ﷺ، مَنها ما وقع وحَدَث، ومنها ما سيحدث، لأنه خبرٌ عمَّن لا ينطق إلَّا بما هو حقٌّ، لأنه من الوحي الإلهيّ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

وقولُه ﷺ: (نعالُهم من الشَّعر) أي تكون نعالُهم في أقدامهم من الشَّعر المضْفُور، كما شبَّه ﷺ (وجوهَهُمْ بالمجَانِّ المُطْرَقَة) لأن وجوههم مدوَّرةٌ كالتُرس، الذي يُستعمل في الحرب، ووصفُها بالمُطْرقة لِغِلَظها، وكثرةِ ما فيها من اللحم.

قال الحافظُ ابنُ حَجَر في الفتح: وقد ظهر مصداقُ هذا الخبر، حيث غلب آل سلجوق على البلاد، وامتدَّتْ مملكتهم إلى العراق، والشام، والروم، وكان من بقايا أتباعهم آل زنكي، ثم جاءت الطامَّةُ الكبرى بخروج التَّتَر، وخرج (جانكيزخان) فأسعرت بهم الدنيا ناراً، خصوصاً بالمشرق، حتى لم يبق بلدٌ منه، إلَّا دخل إليه شرُّهم، ثم كان خراب بغداد، وقُتِلَ المستعصمُ باللَّه، آخر خلفائهم في سنة /٦٥٦/ هجرية، ثم لم تزل بقاياهم يخربون الديار، وظهر «تيمورلنك» فعاث في بلاد الشام، فساداً، وطالت مدته إلى أن أهلكه اللَّه، وظهر مصداقُ خبرِ النبيِّ ﷺ عن بني (قنطوراء).

كما أخبرهم ﷺ بوفاته، وفقده ﷺ، وأنَّ أحدَهم يودُّ لو فَقَد أهلَه ومالَه، وجميعَ ما يملك، على أن يرى رسولَ اللَّه ﷺ، لعظيم محبتهم له، ومنزلته عندهم: اهـ. فتح الباري ٦/ ٦٠٩.

٣٥٨٨ ـ [طرفه في: ٣٤٩٣]، تقدّم شرحُه.

٣٥٨٩ ـ تقدَّم شرحه. في الحديث السابق. رقم ٣٥٨٧.

٣٥٩٠ ـ [طرفه في: ٢٩٢٨]، تقدّم شرحُه.

٣٥٩١ ـ [طرفه في: ٢٩٢٨]، تقدّم شرحُه.

٣٥٩٢ ـ [طرفه في: ٢٩٢٧]، تقدّم شرحُه.

٣٥٩٣ ـ [طرفه في: ٢٩٢٥]، تقدّم شرحُه.

٣٥٩٤ ـ [طرفه في: ٢٨٩٧]، تقدّم شرحُه.

٣٥٩٥ ـ [طرفه في: ١٤١٣]، تقدّم شرحُه.

٣٥٩٦ ـ [طرفه في: ١٣٤٤]، تقدّم شرحُه.
٣٥٩٧ ـ [طرفه في: ١٨٧٨]، تقدّم شرحُه.
٣٥٩٨ ـ [طرفه في: ٣٣٤٦]، تقدَّم شرحه.
٣٥٩٩ ـ [طرفه في: ١١٥]، تقدّم شرحُه.
٣٦٠٠ ـ [طرفه في: ١٩]، تقدّم شرحُه.
٣٦٠١ ـ [طرفه في: ٧٠٨١، ٧٠٨٢]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٧٠٨١.
٣٦٠٢ ـ انظر شرحه في الحديث رقم ٧٠٨١.
٣٦٠٣ ـ [طرفه في: ٧٠٥٢]، انظر شرح الحديث التالي رقم ٣٦٠٤.

باب (هَلَاكِ النَّاسِ عَلَى يَدِ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ)

٣٦٠٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عن رَسُولِ اللَّه ﷺ أنه قال: «يُهْلِكُ النَّاسَ هَذَا الحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ».

[طرفه في: ٣٦٠٥، ٧٠٥٨].

شرحُ الحديث

هذا الحديثُ إخبارٌ عن أمرٍ غيبيٍّ، وهو أنَّ فساد قريش يكون سبباً لهلاك الناس، لأنهم يحكمون، ويقع بينهم التنازعُ، بسبب المُلْك، وتحدث بينهم فتنة، يكون هلاكُ الناس على أيديهم، ثم إنهم شبانٌ أغرارٌ، يستهويهم حبُّ السُّلطة، والتسلُّطِ على العباد!

ولهذا جاء في الرواية الثانية: (أُغَيْلمة) وكان أبو هريرة يقول: لو شئتُ لسمَّيتُهم لكم، هم من بني فلان، وبني فلان.

ولفظُ غِلْمةٌ، أو (أُغيلمة)، يشير إلى أنهم ليسوا من ذوي الحِكْمة والرأي، لا يصلحون لقيادة الأمة، ومع ذلك تمنّى رسولُ اللَّه ﷺ، لو أنَّ الناس تركوهم، ولم يقاتلوهم، لئلا يستفحل الشرُّ، ويكثر الهَرْجُ والمَرْجُ، نسأله تعالى أن يُجنِّبنا شرَّ الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

ويؤيده هذا الحديثُ الآتي ذِكْرُه:

بابُ (هَلاكِ الأُمَّةِ عَلَى يَدِ غِلْمَة)

٣٦٠٥ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سَمِعْتُ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ يَقُولُ: (هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ». فَقَالَ مَرْوَانُ: غِلْمَةٌ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ، بَنِي فُلَانٍ، وَبَنِي فُلَانٍ).

[طرفه في: ٣٦٠٤].

تنبيه هام

جميعُ هذه الأحاديث التي وردتْ عن رسول اللَّه ﷺ، تشير إلى الفتن التي تكون بين يدي الساعة، وتُنْذر بشرٍّ مستطير، وهي إخبارٌ عن أمور غيبيَّة، حدَث كثيرٌ منها، وسيحدث جميعُ ما أخبر عنه ﷺ، لأنها الوحيُ الإلهيُّ، على النبيِّ الصَّادق، الذي لا ينطق عن الهوى.

بابُ (السُّؤالِ عنِ الخَيْرِ والشَّرِّ)

٣٦٠٦ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرّ، فَجَاءَنَا اللَّه بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرّ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ».

قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»!

قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْها قَذَفُوهُ فِيهَا».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»!!

قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمامَهُمْ».

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»).

[طرفه في: ٣٦٠٧، ٧٠٨٤].

شرح الألفاظ

(كُنَّا في جاهِلِيَّةٍ) المراد بالجاهلية: هي حياةُ الشرك، وعبادةِ الأصنام، التي كانوا عليها قبل الإسلام.

(فيه دَخَنٌ) الدَّخَنُ: مثلُ الدُّخان، وهو ما يخرج من النار، إذا أُلقي عليها حطبٌ رَطْبٌ، ويراد به هنا الكَدَرُ، أي إنَّ الخيرَ، لا يكون خالصاً صافياً، بل فيه شيءٌ من الكَدَر.

(تَعْرِف وتُنْكر) أي فيه أمور تتَّفق مع الشريعة، وفيه أمورٌ منكرة، لا يقبلها الشرعُ والعقلُ، تُنكرها عليهم.

(جِلْدتنا) أي هم منَّا، ومن عشيرتنا، لكنهم خبثاءُ، يتآمرون علينا، كما في هذا العصر الذي نَعيشه. ليسوا بأجانب ولا غرباء.

(تَعضّ بِأَصْلِ شَجَرَة) أي ابتعدْ عن تلك الفِرَق الضالَّة كلَّها، ولو لم تجد إلَّا غصن شجرة، تستمسك بها، وهذه اللفظةُ كنايةٌ عن شدة البعد عن أهل الضلالة، كما يعضُّ الواحدُ على الشيء الذي يَحْرِص عليه.

شرح الحديث

هذا الصحابي الجليل (حُذَيفةُ بنُ اليمان) اشتهر بأنه صاحبُ سِرِّ رسول اللَّه ﷺ،

فهو شابٌّ امتلأ قلبُه بنور الإيمان، ولم يكن يقنع من هذا الدين العظيم، بالسؤال عن أمور الخير والرشاد، بل تعدَّاه إلى السؤال عن الخطر، الذي يُدَاهِم المسلمين، فكان يسأل رسول اللَّه ﷺ عن المنافقين، وعن أوصافهم ومخاطرهم، ليحذر ضررهم وخطرهم.

ومن خلال هذا الحديث الشريف يتراءى لنا جليًّا، ما كان عليه (حُذَيفة) من رغبته في معرفة صفات أهل الضلال والنفاق، فكان يقول: كنتُ أسأل رسول اللَّه ﷺ عن الشرِّ، خشية أن يُدركني، وقد أخبره رسولُ اللَّه ﷺ عن أوصافهم، وأحوالهم، وأعلمه أنهم (دعاةٌ عَلَى أبْوَابِ جَهَنَّمَ)، من استجاب لدعوتهم، قذفوه في نار جهنم، وهؤلاء (دعاة الضلالة) ليسوا من الأجانب الأعداء، بل هم ممن ينتسب إلى شريعتنا الغراء، ويتكلَّمون بألسنتنا، ولكنهم منافقون مذبذبون، يزعمون الإسلام، ثم يحملون معاول لهدمه، ولهذا حذَّر ﷺ من خطرهم وضررهم.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف بيانُ نعمة اللَّه على المؤمنين، بإنقاذهم من حياة الجاهلية.

الثاني: وفيه ذكْرُ اختصاص الصحابيّ (حُذيفةَ بنِ اليمان) بأنه صاحب سرِّ رسول اللَّه ﷺ ولذلك كان يعرف المنافقين.

الثالث: وفيه جوازُ سؤال الإنسان عن الشرِّ، لاجتناب الوقوع فيه.

الرابع: وفيه بيانُ خطرِ المنافق، وأن ضررَه أعظمُ من ضرر الكافر.

الخامس: وفيه الالتجاءُ ـ عند ظهور الفتن ـ إلى جَمَاعة المسلمين وخليفتهم.

السادس: وفيه واجبُ اعتزال فِرَقِ الضَّلالة، الاعتزال الكامل، عند ظهور الفتن.

٣٦٠٧ ـ [طرفه في: ٣٦٠٦]، تقدّم شرحُه.

٣٦٠٨ ـ [طرفه في: ٨٥]، تقدّم شرحه.

٣٦٠٩ ـ [طرفه في: ٨٥]، تقدّم شرحُه.

٣٦١٠ ـ [طرفه في: ٣٣٤٤]، تقدّم شرحُه.

باب (خُرُوجِ حُدَثَاءِ الأَسْنَانِ سُفَهَاءِ الأَحْلَامِ)

٣٦١١ ـ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّماءِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيما بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الحَرْبَ خُدْعَةٌ، سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْراً لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ»).

[طرفه في: ٥٠٥٧، ٦٩٣٠]

شرح الألفاظ

(أَخِرَّ مِنَ السَّماءِ) أي لأن أسقُطَ من علياء السماء، فأتحطَّم وأتكسَّر، أحبُّ عندي من الكذب على رسولِ اللَّه ﷺ، وهو محمولٌ على المبالغة في عِظَم جريمة الكَذِب على الرسول ﷺ.

(الحَرْبُ خُدْعَةٌ) أي حديثي معكم قد يكون فيه نوعٌ من الخِداع، أمَّا حديثي عن الرَّسُولِ ﷺ فيستحيلُ أن أكذب عليه، ولأَنْ أتحطَّم فأقع من السماء، خيرٌ عندي من الكذب عليه ﷺ.

(حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ) أي هم شبابٌ صغارُ العُمر، ليسوا من كبَار الرجال العقلاء، ولا مِنْ أشرافهم.

(سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ) أي خفيفو العقل والإدراك، من السَّفه، أي الخِفَّةُ في العقل والفكر.

(قَولُ خَيْرِ البَرِيَّة) أي يقولون من كلام خير البشر ﷺ، من السُّنَّة النبوية المطهرة.

(يَمْرُقُونَ مِن الدِّينِ) أي يخرجون من الإسلام كما يخرج السهمُ من قِرابه، بقوةٍ

واندفاع، شبَّهَ مروقهم من الإسلام بالسهم الذي يخرج من جِعْبة الرامي، بسرعة وقوة.

(لا يجاوز حناجرهم) أي يقرؤون القرآن، ولكنه لا يتجاوز حناجرَهم، لأنهم يقرؤون ولا يعملون بالقرآن، لضعف اعتقادهم، وكثرة ضلالهم.

وكان أوّلَ كلمة خرجوا بها على خليفة المسلمين، الإمام عليٍّ رضي اللَّه عنه في (قضيَّة التحكيم) حيث قالوا: (لا حُكْمَ إلَّا للَّه) وهي كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطلٌ، ولذلك حكموا بكفر (عليٍّ) رضي اللَّه عنه.

شرح الحديث

أميرُ المؤمنين سيِّدُنا «عَليُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ» رضي اللَّه عنه رابعُ خلفاء المسلمين، يخبر أنَّ الكذبَ على الرسول ﷺ جريمة كبيرة منكرة، ويريد أن يُعلِم المسلمين أنَّ الإنسانَ لو سَقَط من السماء، فتحطَّم وتهشَّم، أسهلُ له أن يكذب على الرسول ﷺ، فهو يخبر عن الرسول بكل صدقٍ وأمانة، وقد بلَّغ عن المصطفى ﷺ أنه قال: سيظهر قوم صغارُ السِّنِّ، سفهاء العقول، يتكلَّمون بكلام سيد البشر، ولكنهم جماعة فسقةٌ فُجَّار، يمرقون من دين اللَّه كما يخرج السَّهمُ من قِرَابه، هؤلاء شرُّ الخَلْق عند اللَّه، لأنهم يُفسدون في الأرض، ولا يصلحون، فمن قتَلَهم كان له الأجرُ العظيم عند اللَّه.

وقد ظهر هذا الصنف، من أهل الضلال والنفاق، من بداية أمر الإسلام، وهم (الخوارج) الذين شغلوا المسلمين عن الجهاد، وأكثروا في الأرض الفساد، ولا يزال بلاؤهم وشرُّهم إلى زماننا هذا مستطيراً، فتطهيرُ الأرض من رجسهم جهادٌ في سبيل اللَّه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: التحذيرُ من الكذب على الرسول ﷺ، فسقوطُ الإنسان من السماء متحطِّماً، أيسرُ من الكذب عليه.

الثاني: وفيه الإخبارُ عن مجوس هذه الأمة، ألسنتُهم أحلى من العسل، وقلوبُهم قلوبُ الذئاب.

الثالث: وفيه الإخبارُ عن أمور مغيَّبة، وقعتْ كما أخبر عنها الصادق المصدوقُ ﷺ.

الرابع: وفيه أنَّ الكلام لا ينفع، إذا لم يقترن بالعمل الصالح الصادق، كما هو

حالُ الخوارج يقرؤون القرآن بحناجرهم، وليس له نصيب من التطبيق في أعمالهم.

الخامس: وفيه الأمرُ بقتل الخوارج المكفِّرين للمسلمين، وأنَّ قتلهم جهادٌ في سبيل اللَّه.

السادس: وفيه طلبُ الالتجاء إلى اللَّه تعالى، من شرِّ الفتن، وما ظهر منها وما بَطَن.

باب (مِحْنَةِ المُؤْمِنينَ وَمَا نَالَهُمْ مِنَ الشَّدائد)

٣٦١٢ ـ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: (شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ وهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ ـ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ، يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رأسِهِ فَيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَيُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَو عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللَّه لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّه، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»).

[طرفه في: ٣٨٥٢، ٦٩٤٣].

شرح الألفاظ

(مُتوسِّدٌ بُرْدَةً) البُردةُ: الشملةُ المخطَّطةُ، وهي ما يُلبَسُ فوق الثياب كالعباءة، أي قدْ لفَّ ﷺ عباءته، وجعلها وسادةً له تحت رأسه لينام عليها.

(أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا)؟ أي ألَا تسألُ اللَّه لنا، أن ينصرنا على أعدائنا الكفَّار؟ فالسينُ والتَّاءُ للطلب، مثل استغفَر: طلبُ المغفرةَ، واستنصَرَ: طلب النُّصرة.

(كَانَ مَنْ قَبْلَكُم) المرادُ به: الأممُ السابقة من المؤمنين، الذين ذاقوا أشدَّ أنواع العذاب والبلاء، من الكفّار الفجّار.

(مَا يصُدُّه عَنْ دِينِه) أي ما يصرفه ذلك العذابُ الشديد، من البلاء والمحنة، عن

دينه، حتى ولو نُشِر بالمناشير، أو مُشِط بأمشاط الحديد، لقوة إيمانه ويقينه.

(لَيُتِمَنَّ اللَّهُ الأمْرَ) أي يُتمُّ اللَّهُ دينَ الإسلام، وينتشرُ في بقاع الأرض، حتى يكون الأمنُ للناس والأمانُ.

(ولَكِنَكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ) أي تتعجَّلون نصرَ اللَّه، ولم تتحملوا ما تحمَّل أسلافُكم، من أنواع العذاب والبلاء، وكأنه يقول: لا تستعجلوا، فإنَّ مَنْ قبلَكم، قاسوا من العذاب ما لم تنالوه، وصبروا على ذلك، فالنصرُ قادمٌ بإذن اللَّه تعالى، والعاقبة للمتقين.

شرح الحديث

شكى بعضُ الصحابة ﷺ ما يلقونه من أنواع الأذى من المشركين، ورسولُ اللَّه ﷺ مضطجعٌ في ظلِّ الكعبة، يريد الراحة، وقد توسَّد بُردةً له، في رحاب البيت الطاهر، وقد جاء إليه المستضعفون، يشكون إليه شدَّة المشركين، وبَطْشَهم بالمؤمنين، دون شفقةٍ ولا رحمة، يطلبون منه أن يدعوَ اللَّهَ لهم، بالنصرة على أعدائهم المشركين!

ويضرب لهم الرسولُ الكريمُ المَثَل بالسابقين من المؤمنين، يذكِّرهم ويُخبرهم بما أصاب إخوانَهم المؤمنين في العقيدة والدين. لقد نُشروا بالمناشير، وأُحرقوا بالنَّار، ومُشِطوا بأمشاط الحديد، ومع ذلك لم تضعف عزيمتُهم، ولم يستسلموا لأعداء اللَّه، ولم تؤثّر فيهم تلك الشدائدُ والمِحَنُ، بل ظلُّوا متمسكين بدين اللَّه، مضحِّين بأنفسهم، وأموالهم، وراحتهم، نصرةً للدِّين والعقيدة، صبروا على العذاب، وتحمَّلوا أنواع البلاء ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

لقد أعطاهم الرسولُ ﷺ درساً بليغاً، في الصبر على الإيمان، والثبات على المبدأ، وبشَّرهم بانتصار الدعوة الإسلامية، وظهورِ هذا الدين الجديد، على سائر الأديان، حتى يعمَّ الإسلامُ مشارق الأرض ومغاربها، وقد تحقَّقت هذه البشارة، فملك المسلمون قيادة العالم، وأصبح الأمنُ والأمان، يعمُّ البشرية جميعها، في ظلِّ حُكم الإسلام، وصدق اللَّه العظيم ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ شدَّةِ البلاء. الذي حلَّ بالمسلمين، لاعتناقهم عقيدة التوحيد والإيمان ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الثاني: وفيه جوازُ الالتجاء إلى الرسولِ ﷺ لتخليصهم من العذاب، بالدعاء على أعدائهم المشركين.

الثالث: وفيه أمرُ الرسولِ ﷺ لهم بالصبر والثبات، حتى يأتي الفَرَجُ من عند الله.

الرابع: وفيه بيانُ ما حلَّ بالأمم السابقة من أنواع العذاب، ليتأسَّى بهم المسلمون، في الصبر على الشدائد.

الخامس: وفيه البشارةُ السَّارةُ بانتصار الحقِّ على الباطل، وظهور الأمن والأمان في ديار المسلمين، وقد تحقَّق الوعدُ لهم، كما أخبر صلواتُ الله وسلامُه عليه، فعاش أهلُ الإيمان، في أمْنٍ وأمان، وانتشر دينُ الإسلام في ربوع المعمورة، والحمد للَّه على فضله وإنعامه.

بابُ (النَّهيِ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي مَجْلِس النَّبيِّ ﷺ)

٣٦١٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّ النَّبيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِساً فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّساً رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ!

فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وكَذَا! ـ فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ ـ فَرَجَعَ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»).

[طرفه في: ٤٨٤٦].

شرح الحديث

لمَّا نزل قولُ اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ الآية [الحجرات: ٢]، افتقد النبيُّ ﷺ من مجلسهِ أحد

أصحابه «ثَابِتَ بنَ قَيْس» الأنصاري، فسأل عنه «سَعْدَ بنَ معاذ» فقال له: **(ما شأنُ ثابت؟ هل اشتكى؟)** ـ أي هل هو مريض؟ ـ فقال له سعد: إنه لجاري ولا أعلمُ أنه مريض، وأنا آتيك بخبره يا رسولَ اللَّه.

فأتاه فوجده جالساً في بيته، منكِّساً رأسَه يبكي، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرٌّ نزل بي، كنتُ أرفعُ صوتي فوق صوت النبي ﷺ، فقد حَبِط عملي، وأنا من أهل النار!! فرجع «سَعْد» إلى النبي ﷺ وأخبره بخبره، فقال له: (ارجعْ إليه فقل له: إنك لستَ من أهل النار، بل أنت من أهل الجنة)، فرجع إليه «سعدٌ» بهذه البشارة العظيمة، هذه قصته كما في رواية البخاري.

وجاء في رواية الطبري زيادة، وهي (أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «ارجعْ إليه فقل له: أَمَا ترضى أن تعيشَ حميداً، وتُقتلَ شهيداً، وتدخلَ الجنة».

فقال ثابت: رضيتُ ببشرى اللَّه تعالى، وبُشرى رسوله، ولا أرفعُ صوتي أبداً على صوت رسول اللَّه ﷺ).

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ: فقُتل شهيداً يوم اليمامة، في حرب المسلمين مع مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ، وتحقَّق خبرُ النَّبيِّ ﷺ فيه .اهـ فتح الباري ٦/ ٦٢١.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ حرمةِ رفع الصوت في حضرة النبي ﷺ، تعظيماً له، وتفخيماً لمقامه الشريف.

الثاني: وفيه البشارةُ (لثابتِ بن قيس) بأنه من أهل الجنة، حيث قُتل شهيداً في حرب اليمامة، والشهيدُ مقطوعٌ له بالجنة، بالنصِّ القرآني الثابت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

الثالث: وفيه سؤالُ الإمامِ عن أحوالِ الرعية، فقد سأل ﷺ عن سبب تخلُّفِ (ثابتِ بنِ قيس) ﷺ.

الرابع: وفيه أنَّ كلَّ من رأى النبيَّ ﷺ، وآمن به، ومات مسلماً، فهو صحابيٌّ من جملة الأصحاب.

فائدة جليلة

كان «ثابتُ بنُ قيس» خطيبَ الأنصار، وخطيبَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام، وقد

قُتل شهيداً في معركة «اليمامة» في حروب الردَّة، وصدقتْ فيه نبوءةُ النبيِّ ﷺ، حيث قال: (**تعيشُ حميداً، وتُقتَلُ شهيداً، وتدخلُ الجنة!!**) فلمَّا كان يوم قتال المسلمين، لجيش (مسيلمة الكذَّاب)، انهزم المسلمون، فأقبل (ثابتٌ) وقد تكفَّنَ، وتحنَّطَ، فقاتلَ قتالَ الأبطال، حتى استُشْهد.

قال أنس: فكنَّا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، ببشارة النبيِّ ﷺ له بذلك .اهـ فتح الباري ٦/ ٦٢١.

بابُ (نُزُولِ السَّكِينَةِ لِقِرَاءَةِ القُرْآنِ)

٣٦١٤ ـ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّه قال: (قَرَأَ رَجُلٌ الكَهْفَ، وفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَسَلَّمَ، فَإِذَا ضَبَابَةٌ ـ أَوْ سَحَابَةٌ ـ غَشِيَتْهُ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ: (اقْرَأ فُلَانُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ).

[طرفه في: ٤٨٣٩، ٥٠١١].

شرح الحديث

كان أحد أصحابِ النبيِّ ﷺ وهو ـ أُسَيْدُ بنُ حُضَير ـ يقرأ (سورة الكهف) في منزله، ودابتُه مربوطةٌ في صحن الدار، فجعلت الدابةُ، تتحرك وتنفر، تريد أن تقطع الحبلَ. وكأنها رأت شيئاً مفزعاً، فجعل «أُسَيْد» يقول: يا ربِّ سلِّمْ، سَلِّمْ، ماذا حدث للدَّابَّة؟

ثم نَظَر فوجد في السماء مثل الغُبار، والسحاب، فغشيته تلك السحابةُ، وأحاطت به، فجعل يتعجَّبُ، فلمَّا أصبح ذهب إلى النبيِّ ﷺ، فأخبره بما رأى وما شاهَدَ، وهو يقرأ سورة الكهف، فقال له المصطفى الحبيبُ ﷺ: (لماذا قطعتَ التلاوةَ، ولم تستمرَّ في قراءة القرآن؟ هل تدري ما هذه السحابة؟ إنها السكينةُ تنزَّلتْ ومعها الملائكةُ يستمعون القرآن).

قال البدرُ العيني: يريد ﷺ أن يقول له: كان ينبغي عليك أن تستمرَّ في قراءة القرآن، وتغتنم ما حصل لك من نزول الرحمة، بتلاوة القرآن، حيث نزلت السكينةُ، ومعها الملائكة لاستماع القرآن .اهـ عمدة القاري ١٤٦/١٦.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّه عند تلاوة القرآن تتنزَّلُ ملائكةُ الرحمٰن، وتنزل السكينةُ على أهل المجلس، ويؤيِّده حديث: (**ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللّهِ، يتلون كتابَ اللّه، ويتدارسونه بينهم، إلَّا نزلتْ عليهم السكينةُ، وغشيتْهُم الرحمةُ، وحفتهم الملائكةُ، وذكَرَهُم اللّهُ فيمن عنده**) رواه مسلم.

الثاني: وفيه بيانُ فضلِ قراءة (سورة الكهف)، فإنها عصمةٌ للمؤمن، من فتنة المسيح الدجال.

الثالث: وفيه طلبُ الاستكثار، من تلاوة القرآن، فقد قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

الرابع: وفيه أنَّ الحيوانات تشعر بالفزع، من رؤية الملائكة، لذلك صالت الدَّابةُ لرؤيتها لما حدَث، من نزول السكينة والملائكة، عند تلاوة القرآن.

٣٦١٥ ـ [طرفه في: ٢٤٣٩]، تقدّم شرحُه.

بابُ (زِيارَةِ المَرِيضِ والقَوْلِ له: لَا بَأْسَ طَهُورٌ)

٣٦١٦ ـ عَنْ عبد اللّه بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّه عَنْهُما: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ، قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللّه». فَقَالَ لَهُ ﷺ: (لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللّه). قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ ـ أَوْ تَثُورُ ـ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذاً»).

[طرفه في: ٥٦٥٦، ٥٦٦٢، ٧٤٧٠].

شرح الألفاظ

(يَعُودُهُ): أي يعوده من مرضٍ نَزَلَ به، وزيارةُ المريض سُنَّةٌ مشروعة.

(طَهُورٌ) أي مطهِّرٌ لك من الذنوب إن شاء اللَّه تعالى، يدعو له بالشِّفاء.

(تُزِيرُهُ القُبُورَ) أي بل هي حمَّى شديدة تُميتُه، وتجعله من أهل القبور.

شرحُ الحديث

من هَدْي سيِّد المرسلين أنه ﷺ إذا سمع بمريض، زاره ودعا له بالشفاء، وتطهيره من الذنوب والآثام، ودخلَ ذاتَ مرةٍ على أعرابي، وهو يشكو من شدة المرض، فطيَّبَ خاطره، وقال له: (لا بأس طهور إن شاء اللَّه تعالى)، فما كان من الأعرابي الجاهل، إلَّا أن يقول للرسول ﷺ: ماذا تقول؟ طهورٌ، لا، بل هي حُمَّى تفور، على رجلٍ كبير، تُزيره القبور! أي تميتُه وتجعله من أهل المقابر، فعند ذلك قال له المصطفى ﷺ: (إذا أبيتَ كلامي، فلْيكنْ لك ما تحبُّ وتهوى)، فمات الأعرابيُّ من ليلته.

قال البدرُ العيني: لمَّا ردَّ الأعرابيُّ على النبيِّ ﷺ قولَه: (لا بأسَ طَهور إن شاءَ اللَّهُ) أجابه ﷺ بقوله: **(فنَعَمْ إذاً)** أي إذا أبيتَ دعائي، فلْيكن قضاءُ اللَّه كائناً، فما أمسى إلَّا ميِّتاً، وهذا من دلائل نبوته ﷺ، حيث مات الأعرابيُّ في ذلك المرض .اهـ عمدة القاري ١٦/ ١٤٩.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه مشروعيةُ زيارة المريض، والدعاءِ له بالشفاء، واستحبابِ القولِ له: (طَهُورٌ إن شاء اللَّه تعالى).

الثاني: وفيه بيانُ جهل الأعراب، حيث لم يدرك مغزى دعاءِ النبيِّ ﷺ له بالشفاء، والطهارة من الذنوب والآثام، فردَّ على النبيِّ قولَه، فكان في ذلك نهايةُ الأجل المحتوم.

الثالث: وفيه تطييبُ خاطر المريض، بالكلام الطيِّب، والدعاء له بطول العمر، لِمَا ورد: (إذا دخلتم على مريض، فنفِّسُوا له في أَجَله ـ أي مدُّوا له بالدعاء بطول الأجل ـ فإنه يُطَيِّب خاطرَه، ولا يرِدُّ قضاءً) أو كما ﷺ.

بابُ (قِصَّةِ نَصْرَانِيٍّ أَسْلَمَ ثمَّ ارْتَدَّ)

٣٦١٧ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ (الْبَقَرَةَ) وَ(آلَ عِمْرَانَ)، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ! فَأَمَاتَهُ اللَّه فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالَوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا، فَأَلْقَوْهُ.

فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذا فِعْلُ مُحمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، فَأَلْقَوْهُ.

فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ).

شرح الألفاظ

(لفظتْ الأَرْضُ): أي طرحتْهُ، ورمتْهُ الأرضُ من بطنها.

(فأَمَاته اللّهُ): أي قَصَم اللَّه عنقه بين قومه الذين هرب إليهم.

(فألقوه) أي تركوه منبوذاً حين لم تقبله الأرض لقذارته ونجاة بدنه.

شرح الحديثِ، وتوضيحُ القصَّة

القصة تتلخَّص في أنَّ رجلاً من النصارى، يسكنُ المدينةَ المنورة، من بني النَجّار، كان يكتب للنبيِّ ﷺ الوحيَ، أسلَمَ، ثم لحقَ بأهلِ الكتاب ـ أي تنصَّر ـ فكان هذا النصرانيُّ يقول: ما يدري محمدٌ إلَّا ما كتبتُه له ـ يريد الخبيثُ أن يقول: إني كنتُ أزيدُ وأنقُص في كتابة الوحي، ولم يعرف بذلك محمدٌ، فما لبث أن قَصَم اللَّه عُنُقه، فلمَّا وضعوه في القبر، لَفَظَتْه الأرضُ من بطنها، إلى الخارج، لخبثه وقذارته، فقال جماعتُه: إنَّ محمداً وأصحابَه، هم الذين نبشوا قبره فألقوه، فحفروا له حفرةً عميقة، ودفنوه فيها، فأصبحوا وقد رَمَتْه الأرضُ، من بطنها إلى الخارج، فعلوا ذلك ثلاث

مرات، والأرضُ ترميه من بطنها، فعرفوا أنَّ الأمر، ليس من البشر، وإنما هو أمرٌ من اللَّه وتدبيره، فتركوه تفترسه الوحوشُ والذئاب!!

ما يُستفاد من الحديث

في الحديث ظهورُ معجزةٍ للنبيِّ ﷺ، حيث إنَّ المرتدَّ عاقَبه اللَّهُ، بلفْظِ الأرض لجسده، عدَّةَ مرات، لتقوم الحجةُ على من يراه، بصدق رسالةِ محمدٍ ﷺ، وأن اللَّه عدُوٌّ لمن عاداه، وفيه أن المرتدَّ عن الدين يُقتل، ولذلك هرب لاحقاً بأهل الكتاب، خشية القتل.

٣٦١٨ - [طرفه في: ٣٠٢٧]، تقدّم شرحُه، وفيه أنَّ اللَّه عجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا، ليكون عبرةً لمن رآه، من كل كافر فاجر.

٣٦١٩ - [طرفه في: ٣١٢١]، تقدّم شرحُه.

٣٦٢٠ - [طرفه في: ٤٣٧٣، ٤٣٧٨، ٧٠٣٣، ٧٤٦١]، تقدَّم شرحُه، وهو حديث (مسيلمة الكذاب) وانظر شرحه فيس الحديث رقم ٤٣٧٣.

٣٦٢١ - [طرفه في: ٤٣٧٤، ٤٣٧٥، ٤٣٧٩، ٧٠٣٤، ٧٠٣٧]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٣٧٣.

٣٦٢٢ - [طرفه في: ٣٩٨٧، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٦٢٣ - [طرفه في: ٣٦٢٥، ٣٧١٥، ٤٤٣٣، ٦٤٨٥]، سيأتي شرحه في الحديث رقم (٤٤٣٤).

٣٦٢٤ - [طرفه في: ٣٦٢٦، ٣٧١٦، ٤٤٣٤، ٦٢٨٥] سيأتي شرحه في الحديث (٤٤٣٤).

٣٦٢٥ - [طرفه في: ٣٦٢٣]، سيأتي شرحُه في الحديث (٤٤٣٤).

٣٦٢٦ - [طرفه في: ٣٦٢٤]، سيأتي شرحُه في الحديث (٤٤٣٤).

٣٦٢٧ - [طرفه في: ٤٢٩٤، ٤٤٣٠، ٤٩٦٩، ٤٩٧٠] تقدم شرح الحديث السابق في قصة إدخال عمر لابن عباس مجلس الشورى.

٣٦٢٨ - [طرفه في: ٩٢٧]، تقدّم شرحُه.

٣٦٢٩ - [طرفه في: ٢٧٠٤]، تقدّم شرحُه.

٣٦٣٠ - [طرفه في: ١٢٤٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (الإِخْبَارِ عَنْ بَعْضِ المُغَيَّبَاتِ)

٣٦٣١ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْماطٍ»؟ قُلْتُ: وَأَنَّى يَكُونُ لَنَا الأَنْماطُ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ»؟ فَأَنَا أَقُولُ لَهَا ـ يَعْني امْرأَتَهُ ـ أَخِّرِي عَنِّي أَنْمَاطَكِ. فَتَقُولُ: أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمُ الأَنْماطُ»؟ فَأَدَعُهَا).

[طرفه في: ٥١٦١].

شرح الألفاظ

(أَنْمَاطٌ) نَمَط: وهو بساطٌ له خَمَلٌ رقيق، يُفرشُ على الأرض.

(أَنَّى يَكُونُ لَنَا الأَنْمَاطُ)؟ أي من أين تكون لها هذه البُسُط؟ ونحن على الفاقة والحاجة؟

شرح الحديث

سأل رسولُ اللَّه (جابرَ بنَ عبد اللَّه) حين تزوَّج، **(هل لكم البُسُط الفاخرةُ التي تفرشونها؟)** فأجابه جابر: من أين لنا هذه البُسُطَ يا رسول اللَّه، ونحن على ما نحن عليه من الحاجة والفقر!؟ فقال له ﷺ: **(سيكون لكم ذلك بمشيئة اللَّه تعالى)**.

وقد حدث ما أخبر عنه رسول اللَّه ﷺ، حيث فتح اللَّه على المسلمين الفتوحات، وجاءتهم خيرات البلاد، وصار لجابر البُسط الفاخرة، فكان يقول لزوجته: أَبْعِدي عني هذه البُسُط، إني أخشى أن تَشْغَلَني عن طاعة اللَّه. فتجيبه زوجته بما قاله الرسولُ ﷺ: **(أَمَا إنه ستكون لكم هذه الأنماط)**، فيتركها جابرٌ مفروشةً على الأرض، لأنه تذكَّر ما قاله ﷺ من انفتاح الدنيا عليهم، حتى تكثر عندهم مباهج الحياة، وهذا كلُّه من فضل اللَّه تعالى على المسلمين، لجهادهم وصبرهم على تحمل الشدائد حين دخلوا في الإسلام.

ما يُستفاد من الحديث

فيه جوازُ اتِّخاذِ الفُرُش والبُسُط الوثيرة، حيث أخبر ﷺ بما سيكون من اتساع الفتوحات، وكثرة الأموال، بعد شدَّة الفقر الذي كانوا عليه؛

وفيه أنَّ اللَّهَ أباحَ لهم الانتفاعَ، بما سيكون لهم من زينة الدنيا، بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وفيه أيضاً من أعلام النبوة، ما أخبرهم عنه ﷺ، وحدث للمسلمين، وكلُّ ما قاله صلوات اللَّه عليه، إنما هو عن طريق الوحي الإلٰهي)، ليزيد الإيمان بصدق خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

بابُ (الإخْبارِ عَنْ مقْتَلِ أُمية بْنِ خلَف)

٣٦٣٢ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ: (إنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّداً ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ، قَالَ: إيَّايَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إذَا حَدَّثَ، فَرَجَعَ إلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ، قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّداً يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي!! قَالَتْ: فَوَاللَّه مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الصَّرِيخُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ، قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لَا يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَسِرْ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ يَوْمَيْنِ مَعَهُمْ، فَقَتَلَهُ اللَّه).

[طرفه في: ٣٩٥٠].

شرحُ الحديث

هذه القصةُ طرفٌ من حديث طويل، ذكره الإمام البخاري في صحيحه، من رواية عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.

وخلاصةُ القصة: (أنَّ «سعدَ بنَ مُعَاذ» رضي اللّه عنه، أتى مكة معتمراً، وكان بينه وبين (أميَّةَ بنِ خَلَف) ـ قبل الإسلام ـ صداقةٌ، فكان إذا جاء مكة زائراً، أو معتمراً، نزل عند «أمية بنِ خلف» كما أنَّ «أميَّة» كان إذا سافر إلى الشام، نزل عند صديقه (سعدِ بن معاذ).

فقال أُمَيَّةُ لسعد: إنَّك لا تستطيع أن تطوف بالبيت الآن، فانتظرْ حتى إذا انتصف النَّهارُ، ودخل الناسُ بيوتَهم، ذهبتُ بكَ فطفتَ حول البيت).

فلمَّا انتصف النهارُ ذهب به إلى الطواف، وبينا (سعدٌ) يطوف بالبيت، إذْ مرَّ به «أبو جهل» اللَّعينُ فقال لأميَّة: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فسكت (أميَّةُ) وأجابه سعدٌ، فقال له: أنا (سَعْدُ بنُ معاذ) هل عرفتني؟ فقال له أبو جهل: تطوفُ بالبيت آمناً، وقد آوَيْتُم الصُّبَاةَ ـ أي الخارجين عن ديننا ـ محمداً وأصحابه!؟ وزعمتم أنكم تنصرونهم وتَحْمونهم؟ أَمَا واللّهِ لولا أنك مع (أبي صَفْوانَ) ـ يعني أميَّة ـ ما رجعتَ إلى أهلكَ سالماً.

عند ذلك غضب سعد، فأغلظ لأبي جهل القولَ، فتخاصَمَا وتسابَّا، فقال أميَّةُ لسعد: لا ترفَعْ صوتَك على أبي الحَكَم ـ كنيةُ أبي جهل ـ فإنه سيِّدُ أهل الوادي.

فقال سعد لأبي جهل: واللّهِ لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنَّ طريق تجارتك إلى الشام ـ لأن قريشاً كانت تمرُّ على المدينة في طريقهم إلى الشام ـ واشتدَّ بينهما النزاعُ، فجعل أميَّةُ يقول لسعد: لا ترفعْ صوتَك على (أبي الحَكَم) خشية أن يقع بينهما تضارب بالأيدي، فغضبَ سعد وقال: دَعْنا عنك يا أُميَّة، وأُتركْ دفاعك عن (أبي جهل)، فواللّهِ لقد سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: **(إنه قاتِلُك)**.

قال أُميَّة: إيَّايَ يريد؟ قال: **(نعم إيَّاك يقصد)**، فقال: واللّهِ لا يكذب محمدٌ إذا حدَّث.

فرجع أميةُ إلى امرأته فقال لها: أتعلمين ما قال لي أخي اليثربيُّ؟ ـ يقصد سعداً ـ قالت: وماذا قال لك؟ قال: إنه سمع محمداً يقول: إنه سيقتلني، قالت له: واللّهِ ما يكذب محمد.

فلمَّا خرج المشركون لغزوة بدر، أراد أن لا يخرج معهم (أميَّة)، فقال له أبو جهل: يا أبا صَفْوان، إنَّ الناسَ إذا رأوك تخلَّفتَ، ورأوكَ لم تخرج ـ وأنتَ سيِّدُ أهلِ الوادي ـ تخلَّفوا معك. **ولم يزل به أبو جهل**، حتى عزم على الخروج، فقالت له زوجتُه: أَلَا تذكر ما قال لك أخوك سعد؟ قال لها: ما أريدُ أن أجاوزَ مكة، أخرجُ قليلاً ثم أرجعُ، فما زال يمشي معهم، يوماً ويومين، حتى قتله اللّه عزَّ وجل،

وظهرت فيه نبوءةُ سيد المرسلين ﷺ، حيث قُتل في تلك الغزوة، وصرفَ اللّهُ شرَّه عن المسلمين.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ قوةِ إيمان (سعدِ بن معاذ) وثقته باللّه، حيث جَابَه قوَّة الكفر، في عُقر دارهم مع الطاغية (أبي جهل).

الثاني: وفيه ظهورُ نَبوءةِ سيِّد المرسلين ﷺ حين أخبر عن مقتل (أمية بن خَلَف) وقد حدث كما أخبر ﷺ.

الثالث: وفيه شهادةُ أعداءِ النبيِّ ﷺ، حين قال أميَّةُ: واللّهِ ما يكذب محمد. والفضلُ ما شهدتِ به الأعداءُ.

الرابع: وفيه تحقُّق قولِ الحقِّ جلَّ جلاله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] حيث قُتل صناديدُ الكفر، في تلك الغزوة، (غزوة بدر)، على رأسهم (أبو جهل)، و(أميَّةُ بنُ خَلَف)، قُتل منهم سبعون، وأُسر سبعون، ونصرَ اللّه جندَه المؤمنين، على قلَّةِ العَدَد والعُدَد.

بابُ (مَجيءِ جِبْرِيلَ بِصُورَةِ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ)

٣٦٣٣ ـ عَنْ أسامةَ بن زيد رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ (أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا»؟ ـ أَوْ كَمَا قَالَ ـ قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَايْمُ اللّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللّهِ ﷺ يُخْبِرُ عَنْ جِبْرِيلَ).

[طرفه في: ٤٩٨٠]

شرح الحديث

زار جبريلُ عليه السلام رسولَ اللّه ﷺ، وكانت أمُّ المؤمنين «أمُّ سَلَمة» رضي اللّه عنها

جالسةً عند رسول اللَّه ﷺ، وهي لا تعرف من هو الرجلُ الزائر، ثم تأكَّدتْ منه، فظنَّت أنه «دِحْيةُ الكلبيُّ» فتحدَّث مع رسول اللَّه ﷺ بعضَ الوقت، ثم استأذن فخرج من عنده، فسألها النبيُّ ﷺ: **(من هذا الذي زارني؟)** قالت: هو «دِحْيةُ الكَلْبي» وكان دحيةُ من أجمل الناس صورةً، وأحسنِهم تألُّقاً، فأخبرها ﷺ أنه «جبريل» جاءه بالوحي، بصورةِ (دِحْيَةَ الكلبي) ولم تعرف ذلك، إلَّا بعد خروجه من مجلس الرسولِ ﷺ، وقد كان جبريل كثيراً ما يأتي بصورة الصحابيِّ (دحية) عندما ينزل بالوحي على رسول اللَّه ﷺ.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ الذي ينزل بالوحي على رسول اللَّه ﷺ هو جبريل الأمين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

الثاني: وفيه أنَّ جبريل كان يأتي النبيَّ ﷺ (بصورةٍ بشرية) لأن رؤيته بالصورة المَلَكية لا يتحمَّلُها قلبُ النبي ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين أنَّ جبريل له ستمائة جناح، فتح منها مرة جناحين فقط، فسدَّ ما بين المشرق والمغرب.

الثالث: وفيه أنَّ المَلَك قادر على أن يتصوَّر بأيِّ صورة شاء، فقد يأتي بصورة أعرابي من الأعراب، كما في حديث عمر بن الخطاب (بينا نحن عند رسول اللَّه ﷺ إذ دخل علينا رجل شديدُ بياض الثياب، شديدُ سواد الشعر، لا يعرفه منَّا أحد) الحديث، ويأتي في أكثر الأحيان بصورة (دِحْيَة الكلبي) كما في حديث أسامة المذكور، حيث جاء جبريل بصورته، وظنت زوجُ رسول اللَّه ﷺ أنه الصحابي (دحية الكلبي).

٣٦٣٤ ـ [طرفه في: ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠] انظر شرح الحديث ٣٦٣٣ السابق.

باب (قولِه تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦])

٣٦٣٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قال: (إنَّ الْيَهُودَ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ»؟ فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ، إنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا)

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عمرَ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى المَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ).

[طرفه في: ١٣٢٩].

اللغة

(يَجْنأُ عَلى المَرْأَةِ) أي ينحني على المرأة التي زنى بها، ليقيها بنفسه من الحجارة.

شرحُ الحديث

هذا الحديثُ الشريفُ يشير إلى قصة واقعية، حدثت في زمن النبي ﷺ، ذكرها القرآنُ الكريم، في آياتٍ من سورة المائدة، في قول الحقِّ جلَّ جلاله: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ** ﴾ [المائدة: ٤١] إلى قوله سبحانه: ﴿ **يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ . . . فَٱحْذَرُوا۟** ﴾ [المائدة: ٤١].

وخلاصةُ القصة: أن رجلاً من أشراف اليهود ـ يهودِ خيبر ـ زنى بامرأةٍ شريفة، وكانا محصنَيْن ـ أي متزوجين ـ، فكرهوا رجمهما لشرفهما، فأرسلوا إلى يهود (بني قُرَيظة) في المدينة المنورة، قالوا لهم: اسألوا لنا محمداً، عن حكم الزاني المتزوِّج في شريعته؟ فإن قال: حدُّه الجلدُ، فاقبلوا حكمه وخبِّرونا، وإن قال: حكمُه الرجمُ، فلا تقبلوا بما يقول.

فجاءوا إلى رسول اللَّه ﷺ وقالوا: يا محمَّدُ أخبِرْنا عن حكم الزاني والزانية، إذا كانا متزوجَيْن، ما حكمُهما في كتابك!؟ فقال لهم ﷺ: **(حكمهما الرجمُ)**، فأبوا أن يأخذوا بحكمه.

فقال لهم عليه الصلاةُ والسلامُ: (ما حكمهما عندكم في التوراة!؟) قالوا: الجلدُ، ونُسَخِّم وجوههما ـ أي نَلْطخُه بالسَّواد ـ فقال ﷺ لرجلٍ من علمائهم: (أنشدُكَ باللَّهِ الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حكم الزاني المُحْصَن في

كتابكم؟) قال: لا، ولولا أنك نشدتني باللَّهِ لم أُخبرك! نجده الرجمُ، ولكنه كثُر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريفَ، تركناه، وإذا أخذنا الضعيفَ، أقمنا عليه الحدَّ، فاجتمعنا على الجلد وتسويدِ الوجه مكان الرجم.

فقال رسولُ اللَّه ﷺ: (اللهمَّ اشهدْ، فإني أوَّلُ من أحيا دينك بعدما أماتوه، فأنزل اللَّه الآية الكريمة ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾ [المائدة: ٤١]) أي إن أمركم بالجلد فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فارفضوا قوله، ولا تقبلوا به. ووانظر كتابنا (التفسير الواضح الميَّسر) ص ٢٦٠.

ووردتْ في روايةٍ في الصحيح: (أنَّ (عبدَ اللَّهِ بنَ سلام) كان حاضراً ـ وهو من أكابر علماء اليهود وقد أسلم ـ قال لهم: كذبتم إنَّ فيها الرجم! فأتوا بالتوراة، فلمَّا جاءوا بها فتحوها، فوضع أحدُهم يَدَه على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له (عبدُ اللَّه بنُ سلام): ارفعْ يدَك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم تلوح! فقالوا عند ذلك: صَدَق يا محمد، فيها آيةُ الرجم، فأمر رسولُ اللَّه ﷺ بهما فَرُجما، فكان الرجلُ يكبُّ عليها يقيها من الحجارة) رواه البخاري.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ اليهود والنصارى إذا تحاكموا إلينا، نحكم بينهم بشريعة الإسلام، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩] وإذا لم يتحاكموا إلينا، فنَتْركُهم وما يدينون.

الثاني: وفيه أنَّ حكم الرجم ثابتٌ في التوراة، كما هو ثابت في القرآن، ولا ينكره إلَّا جاهل أفَّاك.

الثالث: وفيه وجوبُ إقامة (حدِّ الزنى) على الكافر، كما هو الحال على المسلم، لأن اليهود مطالبون بتطبيق أحكام التوراة.

الرابع: وفيه أنَّ اليهود تحرَّفوا أحكامَ التوراة، لقوله اللَّه تعالى عنهم: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦].

الخامس: وفيه أنَّ (عبد اللَّه بنَ سلام)، قد أسلم وحَسُن إسلامُه بعد أن كان يهوديًا، وفيه نزل قولُ اللَّه تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٤٣].

تنبيه هام

قال الحافظ ابن حجر: وفي هذا الحديث من علامات النبوَّة، من حيث إنه ﷺ أشار فيه إلى حكم التوراة، وهو ﷺ أُمِيٌّ لا يعرف القراءة، ولم يقرأ التوراة قبل ذلك، وجاء الأمرُ فيه كما أخبر ﷺ، فلولا أنه من الوحي، لِمَا عرف ذلك ﷺ .اهـ فتح الباري ٦/ ٦٣١.

بابُ (مُعْجِزَةِ انْشِقَاقِ القَمَر)

٣٦٣٦ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا»).

[طرفه في: ٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥].

شرحُ الحديث

هذه إحدى معجزات رسول اللَّه ﷺ الكبرى، حيث انشقَّ القمرُ معجزةً لسيِّد البشر، حدثت قبل الهجرة بخمس سنوات، وسببُ ذلك أنَّ المشركين ـ طُغاة مكة ـ طلبوا من رسول اللَّه ﷺ معجزةً خارقة، تدلُّ على صدقه، ووعدوه بالإيمان به، إن جاءهم بما يطلبون، فقال لهم ﷺ: **(ماذا تريدون مني؟)** قالوا: شُقَّ لنا القمرُ، إن كنت حقًّا نبيًّا صادقاً، حتى نؤمن برسالتك.

وكان القمر ليلةَ البدر، فرفع أصبعه ﷺ نحو القمر، ودعا اللَّهَ عزَّ وجلَّ، فانفلق القمرُ فلقتين: فلقةٍ من وراء جبل الصفا، وفلقةٍ من وراء حراء، فقال لهم ﷺ: **(اشهدوا، اشهدوا)**.

فقال المشركون: سَحَرَ محمدٌ أعيننا، فقال لهم أبو جهل: لا تَعْجَلوا ولا تُصدِّقوا ما ترون، حتى يَقْدُم علينا الرُّكبانُ ـ أي المسافرون ـ فنسألهم عن الأمر، هل رأوا ما رأينا؟ فلمَّا قدم الرُّكبانُ سألوهم، فأخبروهم أنهم رأوا القمر منشقاً نصفين،

قبل بضعة أيام، وأنهم فزعوا من ذلك أشدَّ الفَزَع، وظنُّوا أنه ستحدث كارثة في الدنيا من هذا الحَدَث الضخم!

فقال عند ذلك أبو جهل: لقد سحر محمد الناس جميعاً، هذا سحرٌ فظيعٌ هائل!! فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ قوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢] وكانت هذه المعجزةُ الباهرة، إحدى معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين، سجَّلها اللَّه في كتابه العزيز.

قال الإمام الخطَّابيُّ: انشقاقُ القمر آيةٌ عظيمة، معجزة خارقة للعادة، لا يعادلها شيء من آيات الأنبياء، لأنه ظهر في ملكوت السماء، والخطبُ فيه أعظم، والبرهان به أظهر، لأنه خارج عن جملة ما في هذا العالم من العناصر، وقد جاء انشقاق القمر، بناءً على طلب من المشركين، فكان أعظم المعجزات الساطعة اهـ عمدة القاري ١٦/ ١٦٢.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: **في الحديث**: ظهور المعجزة الباهرة لسيد المرسلين ﷺ بانشقاق القمر بدعائه.

الثاني: وفيه بيانُ شدة طغيان المشركين، حيث لم يؤمنوا وقالوا عمَّا رأوا: إنه سحر دائم مستمر.

٣٦٣٧ ـ [طرفه في: ٣٨٦٨، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨]، انظر شرحه في الحديث السابق رقم ٣٦٣٦.

٣٦٣٨ ـ [طرفه في: ٣٨٧٠، ٤٨٦٦]، انظر شرحه في الحديث السابق رقم ٢٤١١.

٣٦٣٩ ـ [طرفه في: ٤٦٥]، تقدّم شرحُه.

٣٦٤٠ ـ [طرفه في: ٧٣١١، ٧٤٥٩]، انظر شرح الحديث رقم ٧١.

٣٦٤١ ـ [طرفه في: ٧١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ لعُرْوةَ بالبَرَكَةِ في بَيْعِهِ)

٣٦٤٢ - عَنْ عُرْوَةَ البارقيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَاهُ دِينَاراً يَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً، فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ، وَكَانَ لَوِ اشْتَرَى التُّرَابَ، لَرَبِحَ فِيهِ).

شرحُ الحديث

كان رسولُ اللَّه ﷺ في بعض الأحيان يكلِّف أصحابَه بشراء بعض الحاجات، فدفع (لعروةَ البارقيِّ) ديناراً ليشتري له به شاةً، فذهب فاشترى بالدينار شاتين، وبينا في الطريق، لقيه شخص فقال: أتبيعني شاةً؟ قال: نعم، فباعه شاةً بدينار، ثم ذهب إلى رسول اللَّه ﷺ، فأخبره بما جرى معه، ودفع له الشاةَ، وردَّ له الدينارَ، فدعا له رسولُ اللَّه ﷺ بالبركة، فقال: **(اللهمَّ باركْ له في صفقة يمينه)**.

فكان عُروةُ لو اشترى التراب لربح فيه، ببركة دعاءِ النبيِّ ﷺ له بالبركة في بيعه وشرائه، وكان عروةُ يقول: (إني كنتُ أدخل سوق الكوفة، فأربَح أربعين ألف درهم، قبل أن أصل إلى أهلي)، وكان يشتري الجواري ويبيعهن، ورأى بعضُ الصحابة في داره، سبعين فرساً يملكها. كلُّ ذلك بدعاء النبيِّ ﷺ له بالبركة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه نفحةٌ من علامات النبوة، حيث دعا النبيُّ ﷺ لعروةَ البارقي، أن يُبارك اللَّه له في بيعه وشرائه، واستجابةُ دعائه ﷺ.

الثاني: وفيه جوازُ بيع الفضوليِّ، فالرسولُ ﷺ طلب منه شراء شاة له، فاشترى شاتين، وباع له منها شاةً، و(عُروةُ) لم يكن وكيلاً، فأجاز فِعْلَه ﷺ، فدلَّ على جواز البيع، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه اللَّه.

الثالث: وفيه استحبابُ الدعاء بالخير للغير، عند فعله ما يستوجب الدعاءَ والثناء.

الرابع: وفيه ظاهرُ الأمر: أنَّ الشاة التي كلَّفه ﷺ بشرائها، كانت للأضحية، لرواية سفيانَ (يشتري له شاةً كأنها أضحية) رواه البخاري.

تنبيه لطيفٌ هام

انتهت أحاديث المناقب النبوية، وهي التي تتعلق بسيدنا رسولِ اللَّه ﷺ، من المبدأ إلى المنتهى، بذكر ما يتعلَّق بنسبه الشريف، ثم ذكر صفته، وشمائله، ومعجزاته، ثم بأحواله قبل الهجرة، وما جرى له بمكة من صناديد الكفر والضلال، ثم بهجرته ﷺ، إلى غير ذلك، مما يتعلق بالأحوال والمناقب النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وهذه الأحاديثُ الباقية تقدَّم شرحُها، وهي كالآتي.

٣٦٤٣ _ [طرفه في: ٢٨٥٠]، تقدّم شرحُه.

٣٦٤٤ _ [طرفه في: ٢٨٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٦٤٥ _ [طرفه في: ٢٨٥١]، تقدّم شرحُه.

٣٦٤٦ _ [طرفه في: ٢٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٣٦٤٧ _ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٣٦٤٨ _ [طرفه في: ١١٨]، تقدّم شرحُه.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ

تعريف الصحابي

قال الإمام البخاري: من صحِبَ النبيَّ ﷺ، أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه.

عرَّف الإمام البخاريُّ (الصَّحابيَّ) الذي اشتهر بأنه من صحابة رسول اللَّه ﷺ، بأنه: كلُّ من صَحِبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، مؤمناً به، مصدِّقاً برسالته، ورأى النَّبيَّ وكان مسلماً، فهو من أصحابه، وهذا هو المشهور عند المحدِّثين.

وزاد بعد المحدِّثين في تعريفه: أن يكون قد رأى الرسولَ ﷺ، ثم ماتَ على الإسلام، وعُرفت معاصرتُه له.

٣٦٤٩ ـ [طرفه في: ٢٨٩٧]، تقدّم شرحُه.

٣٦٥٠ ـ [طرفه في: ٢٦٥١]، تقدّم شرحُه.

٣٦٥١ ـ [طرفه في: ٢٦٥٢]، تقدّم شرحُه.

٣٦٥٢ ـ [طرفه في: ٢٤٣٩]، تقدّم شرحُه.

٣٦٥٣ ـ [طرفه في: ٣٩٢٢، ٤٦٦٣]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٣٩٢٢.

٣٦٥٤ ـ [طرفه في: ٤٦٦]، تقدّم شرحُه.

٣٦٥٥ ـ [طرفه في: ٣٦٩٧]، سيأتي شرحه.

٣٦٥٦ ـ [طرفه في: ٤٦٧]، تقدّم شرحُه.

٣٦٥٧ ـ [طرفه في: ٤٦٧]، تقدّم شرحُه.

٣٦٥٨ ـ تقدَّم شرحُه في الحديث (٤٦٦).

بابُ (إنْ لَمْ تَجِدي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَارْجِعِي إِلَى أَبِي بَكْرٍ)

٣٦٥٩ ـ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: (أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ

ﷺ، فأَمَرَها أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ ـ كَأَنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ ـ قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فأْتِي أَبا بَكْرٍ».

[طرفه في: ٧٢٢٠، ٧٣٦٠].

شرحُ الحديث

هذه امرأةٌ من الأنصار أتتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ، تسأله عن أمور تختصُّ بها، فأمرها ﷺ أن ترجع إليه، بعد فترةٍ من الزمن، فقالت يا رسولَ اللَّه: أخبرْني إن جئتُ إليك، فلم أجِدْكَ ـ تعني بذلك وفاتَه ـ أي إن لم أجدِك لانتقالك إلى الرفيق الأعلى، فلمن آتي بعدك؟ فقال لها ﷺ: (**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**)، وكأنه يقول لها بإشارةٍ لطيفةٍ، إنه خليفتي من بعدي.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: بيانُ فضيلةِ (أبي بكر الصدِّيق) رضي اللَّه عنه، حيث أمرَها الرسولُ ﷺ بالرجوع إليه.

الثاني: وفيه إشارةٌ لطيفة إلى أنه هو الخليفةُ بعد رسول اللَّه ﷺ، ويؤيده قصة الأعرابي الذي بايعَ النبيَّ ﷺ، فسأله إن أتىٰ عليه أجلُه فمن يقضيه حقَّه؟ فقال له: (أبو بكر)، فقال؛ من يقضيني بعد أبي بكر؟ قال: (عمرُ) رضي اللَّه عنهما، وفيه إشارة إلى أنهما سيكونان خليفتين بعدَ رسول اللَّه ﷺ .اهـ عمدة القاري ١٦/ ١٧٩.

بابُ (مَنْ سَبَقَ إِلى الدُّخُولِ في الإِسْلَامِ)

٣٦٦٠ ـ عَنْ عَمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

(رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ، وَامْرَأَتَانِ، وَأَبُو بَكْرٍ).

[طرفه في: ٣٨٥٧].

توضيح الحديث

هؤلاء الذين ذَكَرَهم (عمَّار) رضي اللَّه عنه هم السابقون إلى الإسلام، وهم خمسة عَبيدٍ، وأبو بكر، وامرأتان من النساء، وهم أولُ كوكبةٍ دخلت في الإسلام، من الرجال والنساء. وهم: ـ كما قال ابنُ حجر ـ: (بلالُ بن رباح)، و(زيدُ بنُ حارثة)، و(عامرُ بنُ فُهَيرة)، و(عمَّارُ بنُ ياسر)، و(شُقْرانُ)، والمرأتان: (خديجةُ بنتُ خويلد)، و(سميَّةُ أمُّ عمَّار بن ياسر)، رضي اللَّه عنهم جميعاً.

أمَّا «**أبو فُكَيْهةَ**» **مولى (صفوانَ بن أمية)** فإنه أسلَمَ لمَّا أسلَمَ بلالٌ، فأخذه سيِّده فعذَّبه عذاباً شديداً، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، أمَّا سُمَيَّة وابنُها عمَّار، وزوجها ياسر، فكانوا جميعاً يُعذَّبون في اللَّه، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يمرُّ عليهم وهم يُعَذَّبون، فيقول لهم: **(صبراً آلَ ياسر، فإنَّ موعدَكم الجنة)** وسُميَّةُ أوَّلُ شهيدة في الإسلام، طعنها أبو جهل بحربةٍ في قُبُلها ـ أي فرجها ـ فماتت رضي اللَّه عنها، فكانت أول من استشهد من المسلمين.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ أبا بكر الصدِّيق كان أولُ من أسلم من الرجال الأحرار.

الثاني: وفيه بيانُ فضيلةِ أسرةِ ياسر، فإنهم من السابقين إلى الدخول في الإسلام، فقد أسلم عمَّار، وأبوه، وأمه.

الثالث: وفيه ذكرُ شدة البلاء الذي حلَّ بهؤلاء الضعفاء، من السابقين إلى الإسلام، من الرجال والنساء.

بابُ (مَا حَصَلَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنَ الخِصَامِ)

٣٦٦١ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذاً بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ».

فَسلَّمَ وَقَالَ: إنِّي كَانَ بَيْني وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبا بَكْرٍ). ثَلَاثاً.

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى منْزِلَ أَبِي بكْرٍ، فَسأَلَ: أَثَمَّ أَبو بكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فسلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ (أَبو بكْرٍ)، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللَّه بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي)! مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا).

[طرفه في: ٤٦٤٠].

شرح الألفاظ

(أَبْدَىٰ عن رُكْبَته) أي كشف عن ركبته، حيث كان في حالةِ غضب.

(غامَر صَاحِبُكُمْ) أي حصل له ما يُزعجه، والمرادُ بالصاحب (أبو بكر) رضي اللَّه عنه، ومنه المغامرُ: الذي يقع في الأمور الخطيرة.

(جعَل وجْهه يتمَعَّرُ) أي يتغيَّر وتذهبُ نضارتُه من الغضب، لما فعله عمر مع أبي بكر.

(أشْفق أبُو بَكْر) أي خاف أبو بكر، أن يغضبَ رسولُ اللَّه على عمر، فقال: يا رسولَ اللَّه: أنا كنتُ المخطئَ في حقِّه.

(جَثَا عَلَى رُكْبتَيْه) أي قعد أبو بكر أمامَ رسولِ اللَّه ﷺ على ركبتيه، يترجَّاه أن يصفح عن عمر.

(ألَسْتُم تَارِكُوا لِي صَاحِبي)؟ أي ألَا تكفُّون عن إيذاء صاحبي الذي واسني بنفسه وماله؟

شرح الحديث

وقع بين الشيخين (أبي بكر) و(عمر) شيءٌ من النزاع، فغضب عمر من (أبي بكر) لبعض الكلام الذي سمعه منه، ثم إنَّ «أبا بكر» جاء يعتذر إلى عمر، ويسأله أن

يسامحه فيما صدر منه، فأبى عمر أن يقبل اعتذاره، فذهب إلى رسول اللّه ﷺ، راجياً منه أن يصلح بينهما، ليصفح عنه عمر، فجلس بين يديْ رسول اللّه ﷺ، وأخبره بما حدث بينهما من النزاع، وأنه نادمٌ على صنيعه، فدعا له رسولُ اللّه ﷺ بالمغفرة، **قائلاً** له: (**غفر اللّه لك يا أبا بكر، غفر اللّه لك يا أبا بكر**)، وكرَّرها ثلاث مرات.

ثم ندم عمرُ على موقفه من (أبي بكر)، وهو صاحبُه الحميمُ، فجاء إلى دار (أبي بكر) يسأل عنه، فقالوا له: إنه خرج من المنزل، فأتى إلى الرسول ﷺ، فوجد أبا بكر عنده، فلمَّا سلَّم عليه، جعل وجهُ النبي ﷺ يتغيَّر، ويظهر فيه الغضبُ، وخشيَ الصدِّيقُ على عمر، فجعل يتلطَّف مع الرسول ﷺ ويقول له: واللّهِ يا رسولَ اللّه، أنا كنتُ المخطئَ في حقِّه، وأنا كنتُ الظالمَ له، فسامحْه يا رسولَ اللّه.

وهنا تظهرُ محبةُ الرسول ﷺ لأبي بكر، ومكانتُه الرفيعةُ عنده، فيقول أمام أصحابه: (إن اللّهَ أرسلني إليكم فكذبتموني، وصدَّقني أبو بكر، وواسني بنفسه وماله، وكان أوَّلَ معينٍ لي على تبليغ الرسالة، فلماذا تؤذون لي صاحبي؟) وجعلَ ﷺ يكرِّره وهم يسمعون، فما أُوذي (أبو بكر) بعد هذه القِصَّية، لِمَا عرفه الصحابةُ من مكانة أبي بكر الصدِّيق عند الرسول ﷺ، ومحبته الفائقة له، وهذا الموقف اعترافٌ بالفضل، لمن قدَّم الجميل، وهو درسٌ بليغ للمؤمنين.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: الدلالةُ على فضل أبي بكر على جميع الصحابة رضوانُ اللّه عليهم أجمعين.

الثاني: وفيه أنَّ الفاضلَ لا ينبغي أن يغاضب من هو أفضلُ منه، بل يغفر له ويصفح، فإنَّ أبا بكر أفضل من عمر، حيث كان أبو بكر أوَّلَ المصدِّقين للرسول ﷺ.

الثالث: وفيه جوازُ مدح الرجل في وجهه، إذا أمِنَ عليه الافتتانَ والاغترارَ بالمديح والثناء، كما فعل ﷺ في الثناء على (أبي بكر) رضي اللّه عنه.

الرابع: وفيه بيانُ طبيعة الإنسان البشريَّة، حيثُ يحملُه الغضبُ على ارتكاب المحظور من الأمور.

الخامس: وفيه أنَّ غير النبيِّ ﷺ مهما بلَغَ من غاية الفضل والمكانة، فإنه غير معصوم.

السادس: وفيه استحبابُ طلبِ الاستغفار والتحلُّل من المظلوم.

السابع: وفيه أنَّ من غَضِبَ على صاحبه ينسبه إلى أبيه أو جدِّه، ولا يُسمِّيه باسمه، لقول أبي بكر: (كان بيني وبين ابنِ الخطاب شيء) ولم يذكر اسمَ عمرَ على لسانه احتراماً له.

الثامن: وفيه أنَّ الركبة ليست بعورة، لقول الراوي (حتى بَدَتْ ركبتُه).

بابُ (أَحَبُّ النَّاسِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ)

٣٦٦٢ ـ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: (بعثني رسولُ اللَّه ﷺ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ». فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ». فَعَدَّ رِجالاً).

[طرفه في: ٤٣٥٨].

شرح الألفاظ

(ذَاتُ السَّلَاسِلِ) هذه الغزوةُ، كانت سنةَ سبعٍ من الهجرة، وهي أرضٌ ذات رمالٍ، سميت بذات السلاسل، لأن المشركين ارتبط بعضُهم ببعضٍ، مخافةَ أن يفرُّوا من المعركة.

(فعَدَّ رِجَالاً) أي ذكر ﷺ عدَّةَ رجالٍ، بعد أبي بكر، وعمر، منهم «أبو عُبيدةَ بنُ الجراح» وسكتَ «عمرُو بن العاص» بعد ذلك، خشية أن يؤخِّره رسولُ اللَّه ﷺ عن مرتبة كثيرٍ من الصحابة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ أحبَّ الناسِ إلى الرسول ﷺ من الرجال (أبو بكر)، ثم (عمر) رضي اللَّه عنهما، ومن النساء عائشة رضي اللَّه عنها.

الثاني: وفيه بيانُ تفاوتِ الصحابة في المنزلة، عند رسول اللَّه ﷺ، فالشيخان في

أعلى المرتبة، كما جاء في الحديث الصحيح (**أبو بكرٍ وعمرُ منِّي، بمنزلة السَّمْع والبصر**) والرافضةُ لشقائهم، يبغضونهما أشد البُغض، بل يسبونهما ويلعنونهما، خابوا وخسروا.

قال البدر العينيُ: هذا السؤال من عَمْرو، إنما كان لِمَا وقع في نفسه، حين أمَّره على الجيش، وفيهم (أبو بكر)، و(عمر)، أنه مقدَّم عنده في المنزلة، فلذلك سأله هذا السؤال .اهـ عمدة القاري للعيني ١٦/ ١٨١.

تنبيه لطيف هامٌّ

من سموِّ أخلاقِ النبيِّ ﷺ أنه كان يُظْهِر البشاشةَ لجميع أصحابه، حتى يظنَّ الواحدُ منهم، أنه أحبُّ الناسِ إلى رسول اللَّه ﷺ، لما يرى من شفقته وعطفه عليه، وقد سأل (عمرُو بن العاص) الرسولَ ﷺ ذات مرة: من أحبُّ الناس إليك يا رسول اللَّه؟ فقال له ﷺ: («**عائشة**») فقال له: لا أسألك عن النساء، بل عن الرجال؟ فأجابه ﷺ بقوله: (**أبو بكرٍ أحبُّ الناس إليَّ**)، فقال: يا رسول اللَّه: ثمَّ من بعْدِ أبي بكر؟ فقال له: (**عمر**) فسكت (عمرُو بن العاص) خشية أن يجعله الرسولُ ﷺ في مؤخِّرة الصحابة، وقد كان يظنُّ أنه أحبُّ الناس عند رسول اللَّه ﷺ، لِمَا كان يراه منه من الحبِّ والإجلال، والتكريم. فصلواتُ ربي وسلامه على البشير النذير، الذي يحنو على الجميع، ولا يجابهُ أحداً بما يكره.

٣٦٦٣ _ [طرفه في: ٢٣٢٤]، تقدّم شرحُه.

٣٦٦٤ _ [طرفه في: ٧٠٢١، ٧٠٢٢، ٧٤٧٥] انظر شرحه من خلال النص.

بابُ (مَنْ جرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُر اللَّهُ إِلَيْهِ)

٣٦٦٥ _ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّه إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ»).

قَالَ مُوسَى: فَقُلْتُ لِسَالِمٍ: (أَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ؟ قَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُ ذَكَرَ إِلَّا ثَوْبَهُ).

[طرفه في: ٥٧٨٣، ٥٧٨٤، ٥٧٩١، ٦٠٦٢].

شرح الألفاظ

(خُيلَاء) أي للفخر والكِبرِ على الناس.

(لَمْ ينْظُر اللَه إلَيْه) أي لم ينظر إليه نَظَر رحمةٍ ورضِيَ، فهو (كنايةٌ) عن الرحمة، والبُغْض لن يفعل ذلك.

شرحُ الحديث

حذَّر الرسولُ ﷺ من جرِّ الثوب على وجه الكِبْر والخيلاء، فقال له أبو بكر الصدِّيق: يا رسولَ اللَّه: إنَّ ثوبي ينزل أحياناً على الأرض، دون قصدٍ منِّي، فقال له المصطفى ﷺ: **(إنك يا أبا بكر لستَ ممن يفعل ذلك، تكبراً وتبختراً)**. وقد دلَّ الحديث على تحريم الكِبْر، وأنَّ اللَّه يبغض المتكبِّر الذي يجرُّ ثوبه أو عباءته، على وجه الخيلاء والتكبر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

٣٦٦٦ ـ [طرفه في: ١٨٩٧]، تقدّم شرحُه.

٣٦٦٧ ـ [طرفه في: ١٢٤١]، تقدّم شرحُه.

٣٦٦٨ ـ [طرفه في: ١٢٤٢]، تقدّم شرحُه.

٣٦٦٩ ـ [طرفه في: ١٢٤١]، تقدّم شرحُه.

٣٦٧٠ ـ [طرفه في: ١٤٤٢]، تقدّم شرحُه.

٣٦٧١ ـ انظر شرحه في الأحاديث المتقدمة عن فضائل الشيخين.

٣٦٧٢ ـ [طرفه في: ٣٣٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (النَّهْي عَنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ)

٣٦٧٣ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»).

شرح الألفاظ

(أُحُد): الجبل المعروف بالمدينة المنورة، وهو الذي حَدَثْت عنده معركةُ أُحُدٍ المشهورة.

(مُدَّ) المُدُّ: مكيالٌ وهو رطلان عند أهل العراق.

(نصِيفَهُ) يعني نصفُ رُبُعِ الصَّاعِ.

شرحُ الحديث

نهى ﷺ عن سبِّ الصحابة الكرام، لأن على سواعدهم قام صرحُ هذا الدين العظيم، وبجهدهم وجهادهم انتصر الإسلامُ، وعلتْ رايةُ التوحيد، وما من واحدٍ من أصحاب النبيِّ ﷺ إلَّا وله منَّةٌ على المسلمين، حيث أوصلوا هذا النورَ الإلٰهيَّ إليهم، لذلك حذَّر النبيُّ ﷺ، عن الإساءة إلى أحدٍ من الصحابة، بالسبِّ أو اللَّعن، أو البُغض لهم، وأخبر أنَّ الواحد من المسلمين، لو أنفق مثل جبلِ أُحُدٍ ذهباً، ما وصل إلى المُدِّ الذي ينفقه الصحابيُّ ـ والمُدُّ رُبع الصَّاع، والنصيفُ: نصفُ الرُّبع ـ، ومراده أن القبضة باليدين من الحبِّ أو التمر، من الصحابيِّ، أفضلُ عند اللَّه وأعظمَ، من أن يتصدَّق أحدُ الناس بمثل جبل أحدٍ من الذهب.

وسببُ تفضيل نفقتهم على سائر المسلمين أنَّ إنفاقهم كان في وقت الضرورة، وضيقِ الحال، ولولا البذلُ منهم والإنفاقُ، لما استطاع المسلمون أن يفتحوا البلادَ والأمصار، فجزاهم اللَّه عن أمة محمد خير الجزاء.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيَانُ فضلِ أصحابِ النبيِّ ﷺ على سائر الأمة المحمدية، لأنهم ناصروا الرسولَ ﷺ، وبذلوا أرواحهم وأموالهم، نصرةً لهذا الدين المجيد.

الثاني: وفيه أنَّ النفقةَ من أصحاب النبيِّ ﷺ لا يعادلها أيُّ إنفاقٍ من غيرهم، مهما كان كبيراً وعظيماً.

الثالث: وفيه التحذيرُ من النيل من واحدٍ من الصحابة، بسبٍّ أو انتقاصٍ لقدره، أو بُغضٍ له، سُئلَ الإمامُ مالك عن حكم مِن يبغضُ الصحابة؟ فقال: لا يغتاظ منهم إلَّا كافرٌ، وتلا قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

بابُ (فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ وعمرَ، وعثمان، وتبشيرِهم بالجنة)

٣٦٧٤ ـ عَنْ أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ، فقلتُ: لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا.

قال: فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ، أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخل بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ ـ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ ـ حتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ فَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيس وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، ثُمَّ انْصَرَفتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ». فَأَقْبَلْتُ حتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّه بِفُلَانٍ خَيْراً ـ يُرِيدُ أَخَاهُ ـ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقُلْتُ عَلى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذا عمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ». فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّه بِفُلَانٍ خَيْراً يأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: (عُثْمانُ بْنُ عَفَّانَ)، فَقُلْتُ عَلى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»!! فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالجَنَّةِ، عَلى بَلْوَى تُصيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وُجَاهَهُ مِن الشِّقِّ الآخَرِ.

قَالَ شَرِيك بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ).

شرح الألفاظ

(لألْزمَنَّ رَسُولَ اللَهِ) أي قال أبو موسى: لأزمنَّه طيلَة يومي هذا، وأظلُّ معه، لِأَقُومَ بخدمته.

(وَوجّه هَهُنا) أي توجَّه ﷺ من هذا الطريق، جهةَ بستانِ (بئرِ أَرِيسَ).

(عَلى إِثْرِهِ) أي خرجتُ أمشي متتبِّعاً الطريقَ الذي سَلَكه ﷺ في الحال.

(بِئْرَ أَرِيسَ) هو بستانٌ بالمدينة يعرفه الناس، قريبٌ من قُباء، وفي هذا البئر، سقط خاتمُ النبيِّ ﷺ من أُصْبُعِ عثمان، عندما كان خليفةٌ للمسلمين، ثم وُجد الخاتم بعد ذلك.

(تَوَسَّط قُفَّهَا) أي جلس ﷺ على حافَّة البئر، ودلَّىٰ ساقيه في البئر، إرادةَ تبريدهما، والقُفُّ: حافَّةُ البئرِ.

(بَوَّابُ رَسُولِ اللَهِ) أي أجلسُ عند باب البستان، فلا أسمح لأحدٍ بالدخول حتى أستأذن له رسولَ اللَّه ﷺ.

(عَلَى رِسْلِكَ) أي تمهَّلْ ولا تدخل، حتى أستأذن لك من الرسول ﷺ.

(عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ) أي بشِّرْه بالجنة، على مصيبةٍ فادحةٍ تنزل به، والمرادُ بها ما أصابهُ من الشهادة، حيث قتله الخوارجُ في بيته، وهو يقرأ القرآن.

(فَجَلَسَ وِجَاهَهُ) أي جلس عثمانُ مقابِلَه من الجهة الأخرى.

شرحُ الحديث

هذا الحديث له قصةٌ عجيبة، حكاها لنا «أبو موسى الأشعريُّ» رضي اللَّه عنه، فقد توضأ أبو موسى في منزله، وعزم على أن يذهب إلى الرسول ﷺ ليخدمه بنفسه، فلمَّا وصلَ إلى المسجد، سأل عن النبي ﷺ، فقالوا له: لقد خرج قريباً من هذه الجهة، فلحقه يتتبع أَثَرَ الطريق، فوجده قد دخل إلى بستان، لقضاء الحاجة، فلمَّا انتهى ﷺ، جاء (أبو موسى) فسلَّم عليه، ثم عزم في نفسه، أن يكون بواباً لرسول اللَّه ﷺ.

فلا يدخل أحدٌ عليه إلَّا بإذنه ﷺ، **فجاء أبو بكر يطرق باب البستان،** فقال له: تمهَّلْ حتى أستأذن لك رسولَ اللَّه ﷺ، فأخبره بمجيء أبي بكر، فقال: **(ائذن له بالدخول، وبشرِّه بالجنة).**

ثم جاء عمر فاستأذن له فأذن له بالدخولُ وبشَّره بالجنة.

ثم جاء عثمان فاستأذن، فأذن له ﷺ، وقال لأبي موسى: **(بشِّره بالجنة على مصيبةٍ تُصيبه في نفسه)، فقال عثمانُ:** اللَّهُ المستعانُ، أمَّا المصيبةُ فهي الإشارةُ إلى أنه يُقتل في الفتنة مظلوماً.

دخل الثلاثةُ المبشَّرون بالجنة على رسول اللَّه ﷺ وقد دلَّى ساقيه في البئر، ففعل أبو بكر مثلَه، ثم جاء عمر فسلَّم ثم دلَّى ساقيه في البئر، ثم جاء عثمان فلم يجد له مكاناً، فجلس مقابلهم في الجهة الأخرى، فأوَّلها بعضُ الصحابة أنها قبورُهم، حيث اجتمع أبو بكر، وعمر مع النبيِّ ﷺ في الدفن، وانفرد عثمانُ عنهم، فدُفن في البقيع، رضي اللَّه عنهم جميعاً.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: جوازُ استخدام الرجل لغيره، حيث عَزَم (أبو موسى الأشعريُّ) أن يخدم الرسولَ ﷺ بنفسه، وأقرَّه ﷺ على ذلك.

الثاني: وفيه بيانُ فضلِ الخلفاء الراشدين، وبشارةُ الرسول ﷺ لهم بالجنَّة.

الثالث: وفيه الإخبارُ عن أمرٍ غيبيٍّ، هو من (أعلام النُبوَّة)، حيث أخبر النبيُّ ﷺ بمقتل (عُثمانَ)، ووقع الأمرُ كَمَا أخبر ﷺ، وهو أمرٌ غيبيٌّ.

الرابع: وفيه تأويلُ ما جاء في القصة بأنها قبورُهم، وهو داخلٌ في فراسة المؤمن الصادقة، لحديث (اتقوا فِراسةَ المؤمنِ، فإنه ينظر بنورِ اللّه) أخرجه الترمذي في التفسير.

تنبيه لطيف

قال البدرُ العينيُّ: والتأويلُ بالقبور، من جهة كونِ الشيخين مصاحبَيْن له ﷺ عند الحفرة المباركة، وأمَّا عثمانُ فهو في البقيع، مقابلاً لهم، وهذا من الفراسة الصادقة .اهـ عمدة القاري ١٦/ ٢٩٠.

بابُ (قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: اُثْبُتْ أُحُدُ، اُثْبُتْ أُحُد)

٣٦٧٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّ النَّبيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُداً، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ ﷺ: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّما عَلَيْكَ نَبيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»).

شرح الحديث

كان سيِّدنا رسولُ اللّه ﷺ مارًّا على جبل أُحُد، ومعه (أبو بكر، وعمرُ، وعثمان)، فارتجفَ بهم الجبلُ، فناداه رسولُ اللّه ﷺ قائلاً: **(اُثبُتْ أُحُد، اُثبتْ أحد)**، أي استقرَّ أيها الجبلُ على حالك، ولا تضطربْ بنا، فإنما عليك نبيٌّ هو (محمد) ﷺ، ورجلٌ من الصدِّيقين هو (أبو بكر)، وشهيدان هما (عمرُ بنُ الخطاب) و(عثمانُ بنُ عفان) رضي اللّه عنهم جميعاً.

ما يُستفاد من الحديث

فيه من أعلامِ النبوَّة: الإخبارُ عن نيل كلٍّ من (عُمَرَ) و(عُثْمَانَ) الشهادةَ في

سبيل اللَّه، وقد حصل ما أخبر عنه الصادق المصدوق ، فقد قُتل عمرُ رضي اللَّه عنه، وهو في الصلاة، بيد (أبي لُؤلؤَة) المجوسيّ، وقُتل (عثمان) في داره وهو يقرأ القرآن، فنالا الشهادة في سبيل اللَّه، وصدقتْ فيهما نبوءةُ خاتم المرسلين ﷺ.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ للجماد له شعوراً، كما قال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] وفي الحديث الصحيح (أُحُدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه) أخرجه البخاري، لأن هذا الجبلَ، شهد على ظهره عزَّة أبطال الإسلام، الذين نالوا الشهادة في سبيل اللَّه.

٣٦٧٦ ـ [طرفه في: ٣٦٣٣]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ثَنَاءِ عَلِيٍّ عَلَى (عُمَرَ بن الخَطَّاب) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)

٣٦٧٧ ـ عَنْ عبد اللَّه بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قال: (إنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْم، فَدَعَوُا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ وَقَدْ وُضِعَ عَلى سَرِيرِهِ ـ إذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّه، إنْ كُنْتُ لأرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّه مَعَ صَاحِبَيْكَ، لأنِّي كَثِيراً مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ)، وَ(فَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ)، وَ(انْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ»). فَإنْ كُنْتُ لأرْجُو أَنْ يَجْعَلَك اللَّه مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإذَا هُوَ (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) رضي اللَّه عنه).

[طرفه في: ٣٦٨٥].

شرحُ الحديث

لـمَّا أُصيب سيِّدُنا عمرُ رضي اللَّه عنه بالخنجر الذي طعنه به «أبو لؤلؤة المجوسيّ»، وشعر المسلمون بأنَّ موتَ خليفة المسلمين محقَّق، دخلوا عليه يودِّعونه، وهو على سريره بعد الموت، لم يُدفن بعدُ، وكان ابنُ عباس في جملة الواقفين، يدعون للخليفة، ويترحَّمون عليه، إذْ شعر بأنَّ أحدَهم أقبل، فوضع يده

على كتف ابن عباس، يترحَّمُ على عمر، ويدعو له، ويقول: (رحمكَ اللَّهُ يا أمير المؤمنين، لقد كنتُ واثقاً أن تكون مع صاحبيك ـ يريد النبيَّ وأبا بكر ـ لكثرة ما كنتُ أسمع من رسول اللَّه ﷺ يقول: كنتُ (أنا وأبو بكر وعمر)، وذهبتُ (أنا وأبو بكر وعمر)، وكنتُ أعتقد أنَّ اللَّهَ سيجعلك معهما، من كثرةِ ما سمعتُ رسولَ اللَّه يذكر (أبا بكر وعمر) في حديثه، وقد حقَّق اللَّه لك ذلك، أن تدفن مع صاحبَيْك، وألَّا تفارقهما في الحياة، ولا بعد الموت)!!

وهذه شهادةٌ قاطعة من أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب) على منزلة (عمرَ) رضي اللَّه عنه، ومحبته له، خلافاً لمزاعم الشيعة الرافضة الذين يطعنون في أبي بكر وعمر، وهم بذلك خسروا، وضلُّوا ضلالاً مبيناً!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف بيانٌ لمحبة (عليٍّ بن أبي طالب) لعمر رضي اللَّه عنهما، حيث أثنى عليه الثناء العاطر.

الثاني: وفيه الردُّ على الرافضة الذين يكرهون (أبا بكر وعمر)، ويزعمون أنهم من شيعة (عليٍّ) وآلِ البيت، ويسبُّون الصحابة لأنهم لم يكونوا من حزب (عليٍّ بن أبي طالب).

الثالث: وفيه بيانُ فضلِ (عمرَ بنِ الخطاب)، حيث كانت خلافته رحمةً على أمة محمد ﷺ، اجتمعت حوله كلمةُ المسلمين، وتوحَّدت على بيعته جميعُ الطوائف بما فيهم سليلُ بيت النبوة (عليُّ بنُ أبي طالب) وما يزعمه الشيعة، أنه استلب الخلافة من عليٍّ، كذبٌ وبهتان، يردُّ عليه كلامُ عليٍّ في الثناء على (عمر) رضي اللَّه عنه، بشهادة المسلمين، ومعهم حبرُ الأمة عبدُ اللَّه بن عباس.

٣٦٧٨ ـ [طرفه في: ٣٨٥٦، ٤٨١٥]، سيأتي شرحه في الحديث رقم (٣٨٥٦).

بابُ (مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

٣٦٧٩ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما (عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال:

(رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْراً بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ». فَقَالَ عُمَرُ: بِأَمِّي وأبي وَأَنتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ!).

[طرفه في: ٥٢٢٦، ٧٠٢٤].

شرح الألفاظ

(رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ) أي رأيتُ في منامي أني دخلتُ الجنة أتمشَّى فيها، وهذه (رؤيا منامية) باتفاق أقوال المحدِّثين.

(الرُّمَيْصاءُ): زوجةُ أبي طلحة، اسمُها «سهلةُ بنتُ مِلْحان» وهي أمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خادم النبيِّ ﷺ.

(سَمِعْتُ خَشَفةً) أي سمعتُ حركةً خفيفةً من مشي الأقدام على أرض الجنة، فإذا به مشيُ (بلال) رضي اللَّه عنه.

(قَصْراً بِفِنَائِهِ) أي رأيتُ في الجنة قصراً عظيماً فخماً، تسيرُ بساحته جاريةٌ من الحور العين، فسألتُ لمن هذا القصر؟ فقيل لي: إنه قصرُ (عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ) رضي اللَّه عنه، وكان عمر جالساً مع الصحابة يسمع القصَّةَ.

(فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ) أي تذكَّرتُ شدَّة غيرتِكَ يا عمر، فلم أدخل القصر، لأرى ما فيه.

(بِأَبِي وَأُمِّي) أي قال عمر: أفديكَ يا رسولَ اللَّه بأبي وأمِّي، أَمِنْكَ أغارُ على الجارية؟ وأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي وأهلي؟

شرح الحديث

رأى رسولُ اللَّه ﷺ في منامه، أنه دخل الجنة، وأخذ يستمتع بما فيها من بهجة ونضارة، فرأىٰ في الجنَّة أُمَّ (أنس بن مالك) زوجَ أبي طلحة، ورأى بلالاً يمشي مشياً خفيفاً، في ربوع الجنة، ورأى قصراً منيفاً بساحته إحدى الحور العين، فأحبَّ ﷺ أن يدخل القصر، ليرى ما فيه من بديع الزينة، ووثير الفراش، فتذكَّر غَيْرة عمر على

حريمه وجواريه، فامتنع عن دخوله، مراعاةً لمشاعر (الفاروق) رضي اللَّه عنه، فقصَّ هذه الرؤيا على عمر، فبكى سيدنا عمر، وقال: يا رسول اللَّه: فداءً لكَ أبي وأمي، أمنك أغار يا رسولَ اللَّه! أنت أغلى عندي، من نفسي، وأهلي، ومالي، تمنَّيتُ أنك دخلتَ القصر، فأنا عظيمُ السرور بدخولك عليَّ، في ذلك القصر، ومعي أهلي.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه رؤية النبيِّ للقصر، الذي أعدَّه اللَّه لعمر في الجنة، ورؤيا الأنبياء حقٌّ، لأنها جزءٌ من الوحي ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٦] وهي رؤيا منامية.

الثاني: وفيه منقبة جليلةٌ لعمر بن الخطَّابِ رضي اللَّه عنه، وهي ما كان فيه من غَيْرةٍ على أهله وجواريه.

الثالث: وفيه فضيلةُ «أمِّ سُلَيم» حيث رآها ﷺ في الجنة، وهي أمُّ (أنسِ بنِ مالك) زوجةُ أبي طلحة.

الرابع: وفيه محبَّةُ عمر لرسول اللَّه ﷺ، فإنه كان يحبُّه أكثر من نفسه، ويفديه بأبيه وأمه.

الخامس: وفيه فضيلةُ (بلالٍ) رضي اللَّه عنه، حيث سمع رسولُ اللَّه ﷺ مَشْيَ أقدامه الخفيفة في الجنة.

٣٦٨٠ ـ [طرفه في: ٣٢٤٢]، تقدّم شرحُه.

٣٦٨١ ـ [طرفه في: ٨٢]، تقدّم شرحُه.

٣٦٨٢ ـ [طرفه في: ٣٦٣٤]، تقدّم شرحُه.

٣٦٨٣ ـ [طرفه في: ٣٢٩٤]، تقدّم شرحُه.

٣٦٨٤ ـ [طرفه في: ٣٨٦٣]، تقدم شرحه في فضائل عمر في الأحاديث السابقة.

٣٦٨٥ ـ [طرفه في: ٣٦٧٧]، تقدّم شرحُه.

٣٦٨٦ ـ [طرفه في: ٣٦٧٥]، تقدّم شرحُه.

٣٦٨٧ ـ انظر الأحاديث السابقة في فضل عمر رضي اللَّه عنه.

بابُ (يُحْشَرُ المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)

٣٦٨٨ - عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللّه عَنْهُ: (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». قَالَ: لَا شَيْءَ إلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللّهَ ورَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ له ﷺ: (أَنْتَ مَعَ منْ أَحْبَبْتَ). قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إيَّاهُمْ، وَإنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ).

[طرفه في: ٦١٦٧، ٦١٧١، ٧١٥٣].

شرح الحديث

أعرابيٌّ جاء إلى رسول اللّه ﷺ يسأله عن الساعة ـ أي القيامة ـ متى تكون؟ فأجابه الرسولُ صلوات اللّه عليه: **(ماذا أعددتَ لذلك اليوم الرهيب العصيب؟ فأنت تسأل عن أمرٍ عظيم خطير)** فقال له الأعرابيُّ: ما أعددتُ له يا رسول اللّه، من كثيرٍ من الطاعات والنوافل، لكنَّ في قلبي الحبَّ الشديد للّه ولرسوله.

وهنا يبشِّره الرسولُ ﷺ ببشارة عظيمة وثمينة، فرح لها جميعُ الصحابة، حيث قال له ﷺ: **(يُحشر الإنسانُ مع من أحبَّ)**.

وفي بعض الروايات: (المرءُ مع من أحبَّ يوم القيامة).

يقول أنس: فما فرحنا نحن أصحابَ محمد ﷺ، بشيء مثلَ فرحنا بقول النبيِّ ﷺ: **(المرءُ مع من أحبَّ)**، فأنا أحبُّ الرسولَ ﷺ، وصاحِبَيْهِ على وجه الخصوص «أبا بكر» و«عمرَ بن الخطاب» وأرجو من اللّه تعالى أن يحشرني معهم، وإن لم تكن أعمالي، مثل أعمالهم التي عملوها. ونحن أيضاً نُشهد اللّهَ أنَّا نحبُّهم، ونرجو ونأمل من اللّه العليِّ الكريم أن يحشرنا معهم.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث، أنَّ الأعراب كانوا يسألون رسولَ اللَّه ﷺ عن كثير من الأمور التي تشغل بالهم، فيجيبهم ﷺ إلى ما سألوا.

الثاني: وفيه التخويفُ من هولِ يوم القيامة، لأن الرسولَ ﷺ قال للسائل: **(ماذا أعددتَ لذلك اليوم الرهيب؟)**.

الثالث: وفيه فرحُ الصحابة بتلك البشارة العظيمة، حيث بشَّرهم بأن المرءَ (يُحْشر مع من يحبُّهم من البشر).

الرابع: وفيه أنَّ المحبة الصادقة، ترفع درجة الإنسان، إلى منزلة من يحبُّه في اللَّه، وإن لم يعمل بمثل أعمالهم، وهذه كرامة جليلة.

باب (المُلْهَمُون مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ)

٣٦٨٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عن رسول اللَّهِ ﷺ أنه قال: (لَقَدْ كانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ، يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِن أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَعُمَرُ»).

[طرفه في: ٣٤٦٩].

شرح الألفاظ

(يُكَلَّمُونَ) أي يجري الحقُّ والصَّواب على ألسنتهم، دونَ أن يكونوا أنبياء.

(فإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي) أي إذا كان في الأمم السابقة من يُلهمون الصَّواب، ويجري على ألسنتهم قولُ الحقَّ فإنَّ منهم (عمرَ بنُ الخطاب) الفاروق رضي اللَّه عنه وأرضاه، الذي فرَّق اللَّهُ به بين الحقِّ والباطل، والهدى والضلال.

شرح الحديث

أخبر صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه أنه كان في الأمم السابقة أناسٌ يُلهمون كلامَ

الحقّ، والصوابَ في القول والرأي، عن طريق الإلهام، من غير أن يكونوا أنبياء.

كما يوجد في أمته ﷺ بعضُ المُحَدَّثين والمُلْهَمين بالرأي الصائب، منهم (عمرُ بن الخطاب) رضي اللّه عنه، كما جاء في الحديث الصحيح: (**إنَّ اللَّهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ**).

والمكلَّمُ هو: المحدَّثُ الذي يلهمه اللّهُ الصَّوابَ، فلا ينطق إلَّا بالحقِّ، ولا يقول إلا الصواب.

وقد وافقَ القرآنُ الكريمُ رأيَ عمر في عدة أحداثٍ ومناسبات، لقوة إيمانه وصدقِ يقينه، كما في الحديث المرويِّ في البخاري (**وافقتُ ربي في ثلاث... وذكر منها: (مقام إبراهيم)، و(حجابَ أمهات المؤمنين)، و(معاتبة الرسول لبعض نسائه)..**)

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ في الأمة المحمدية من يلهمهم اللّه الحقَّ، ويجري على لسانهم كلَّ قولٍ صادق وصائب، وهو دليلُ صدق إيمانهم، وصفاءِ قلوبهم، وسلامةِ ألسنتهم.

الثاني: وفيه بيانُ فضيلة (عُمَرَ بنِ الخَطَّاب)، إذْ أخبر عنه ﷺ أنه كان من المحدَّثين المُلْهَمين في الأمة المحمَّدية.

الثالث: وفيه أنَّ الإلهامَ لا يكون خاصًا بالأنبياء، بل يكون أيضاً في أتباعهم من المؤمنين الكُمَّل.

تنبيه لطيفٌ هام

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: قولُه ﷺ: (**إنْ يكُنْ منْ أُمَّتي منهم أحدٌ فَعُمر**) لم يرد به الشكَّ، ولا التردُّد، فإنَّ أمته ﷺ خيرُ الأمم، وإذا ثبت وجودُ الإلهام في غيرهم، فوجودُه في أمته من (بابِ أولى)، وإنما أورده ﷺ مورد التأكيد، كما يقول الرجل لآخرَ: إن يكنْ لي صديقٌ فهو فلانٌ، يريد اختصاصَهُ بكمالِ الصَّداقة، لا نفيَ الأصدقاء. اهـ فتح الباري ٧/ ٥٠ كتاب فضائل الصحابة.

٣٦٩٠ ـ [طرفه في: ٢٣٢٤]، تقدّم شرحُه.

٣٦٩١ ـ [طرفه في: ٢٣]، تقدّم شرحُه.

٣٦٩٢ ـ انظر شرحه من خلال الأحاديث الواردة في مناقب الفاروق عمر رضي اللّه عنه.

٣٦٩٣ ـ [طرفه في: ٣٦٧٤]، تقدّم شرحُه.

٣٦٩٤ ـ [طرفه في: ٦٢٦٤، ٦٦٣٢]، فيه منقبة للفاروق عمر رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ وهو مع أصحابه كان يمسك بيد عمر رضي اللّه عنه.

٣٦٩٥ ـ [طرفه في: ٣٦٧٤]، تقدّم شرحُه.

٣٦٩٦ ـ [طرفه في: ٣٨٧٢، ٣٩٢٧]، انظر شرح الحديث رقم ٣٦٩٨.

٣٦٩٧ ـ [طرفه في: ٣٦٥٥]، تقدّم شرحُه.

باب (مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

٣٦٩٨ ـ عَنْ عَبدِ اللّه بن عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ (أنَّه جاءَ رَجلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، وَحجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَى قَوْماً جُلُوساً، فَقَالَ: مَنْ هٰؤُلاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَال: هٰؤُلاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: (عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ)، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَحدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: هل تَعْلَمُ أَنَّهُ تغيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هل تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اللّه أَكْبَرُ!

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعالَ أُبيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللّهَ عَفَا عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ (بَدْرٍ) فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: (إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً وَسَهْمَهُ).

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كان أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ (عُثْمَانَ) لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: (هٰذِهِ يَدُ عُثْمَانَ). فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ». فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ معَكَ).

[طرفه في: ٣١٣٠].

شرح الألفاظ

(فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ) أي انهزم من المعركة في غزوة أحد، وفي الفارّين من المعركة، نـزلـت الآيـة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

(بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ) هي البيعةُ التي بايع فيها الصحابةُ الرسولَ ﷺ على الموتِ في سبيل اللّه، في (صلح الحديبية)، سُميت «بيعة الرضوان» لقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

(أُبيِّنْ لَكَ) أي تعالَ أشرحْ لك الأسبابَ، التي دعتْه إلى التغيُّب، عن (غزوة بدر)، و(صلح الحديبية).

(أعزَّ مِنْ عُثْمَان) أي لو كان بين أصحابه، من هو أعلى قدراً، عند كفار مكة، من (عثمانَ)، لأرسله إليهم، فقد بعثه ﷺ ليخبرهم أنَّ محمداً ما جاء مقاتلاً، وإنَّما جاء معتمراً، فهذا سببُ تغيبه عن (بيعة الرضوان).

(فقَالَ بِيَدِهِ اليُمْنَى) أي أشار ﷺ بيده اليمنى، على اليسرى، وقال: **(هذِهِ يَدُ عُثْمانَ تُبَايعني)**، وعَقَدها له، فكانت يدُ رسولِ اللّه ﷺ لعثمان، خيراً من أيدي بقيَّة الصَّحابة.

(اذْهَبْ بها مَعَكَ) أي قال له ابن عمر ساخراً: اذهبْ بما تمسَّكتَ به من إجابتي لك، فإنه لا ينفعك ما أخبرتك به.

شرحُ الحديث

رجلٌ من مصر جاء لحجِّ بيتِ اللّه الحرام، فرأى قوماً جالسين، فسألهم من أينَ أنتم؟ قالوا: من قريش، قال: فمن هذا الشيخ فيكم؟ أريد أن أسأله؟ فقالوا: هذا (عَبْدُ اللّهِ بن عُمَر) صاحبُ رسول اللّه ﷺ، فجاء إليه فقال له: أخبرني هل بَلَغك أنَّ «عثمان» قد فرَّ من غزوة أحد؟ قال: نعم، قال: فهل تعلم أنَّه تغيَّب عن بيعة الرضوان؟ فقال: نعم، فقال الرجل: اللّهُ أكبرُ!! كأنه حصل على صيدٍ ثمين، فشعر ابن عمر أنَّ السائل في قلبه حقدٌ شديد على (عثمان) رضي اللّهُ عنه، وأنَّ الرجل من الخوارج.

فقال ابن عمر: اجلسْ حتى أخبرك، عمَّا سألتني عنه مفصَّلاً، أمَّا فراره يوم أُحُد، فقد فرَّ الكثيرون لهولِ المعركة، واللّه قد عفا عن الجميع، بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وأمَّا غيابه عن بدر، فقد كانت زوجتُه «رُقَيَّة» بنتُ رسول اللَّه ﷺ مريضةً، فأمره الرسول ﷺ أن يبقى عندها ليمرِّضها، وقال له: إنَّ لك أجرَ المجاهد، ولك السهمُ من الغنيمة، فكان تغيُّبه عن (بدر) بأمرِ الرسول ﷺ.

وأمَّا عدمُ حضوره بيعةَ الرضوان، فإنَّ رسول اللَّه ﷺ كان قد أرسله إلى كفار قريش بمكة، ليخبرهم أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ جاء معتمراً، ولم يأت محارباً، ولمَّا حبسه المشركون عندهم، وجاء الخبرُ إلى الرسول ﷺ أنَّ (عثمانَ) قد قُتل، دعا أصحابَه للبيعة، أن يبايعوه على قتال المشركين حتى الموت، وهي البيعة التي سميت (بيعةَ الرضوان) لقول اللَّه تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] فلمَّا بايعوه، قبضَ رسولُ اللَّه ﷺ يده اليمنى على اليسرى وقال: **(هذه يدُ عثمان تبايعني)**، فكانت يَدُ الرسولِ ﷺ أعظمَ من أيديهم، فافهم الآن أسباب تغيُّبه، إن كنت تريد الحقَّ والصواب.

وقد شعَرَ (ابنُ عمر) بأنَّ السائلَ من الرافضة، الذين أرادوا استباحةَ دم عثمانَ، بحجة فرارِهِ يوم أُحُد، وتغيُّبه عن بيعة الرضوان، من قول السائل: (اللَّهُ أكبرُ) فلذلك أمره بالجلوس، ليوضِّح له الأسباب.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث ذكرُ مناقب (عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ) رضي اللَّه عنه، وفضيلةُ طاعته لرسول اللَّه ﷺ حيث تغيَّب عن بعض الغزوات بأمرِ الرسولِ ﷺ.

الثاني: وفيه بيانُ عِظَم وفخامةِ أمر (بيعة الرضوان) حيث بايعَ الصحابةُ الرسولَ ﷺ تحت الشجرة، وحضر هذه البيعة (رُوحُ القُدُس) جبريلُ عليه السلام، ولهذا سُطِّرت في الكتاب العزيز، بسطورٍ من نور، تخليداً لتلك البيعة، فما أكرمها من بيعة، وما أعظمه من أجرٍ وثواب!!

الثالث: وفيه أنَّ الرجل السائل عن (عثمان) كان من المنافقين، وفي قلبه حقدٌ دفين، على سيدنا عثمان، ولم يعلم ابنُ عمر بذلك حتى أدرك من قوله: (اللَّهُ أكبرُ) غَرَضَه الذي سأل عنه، فأجلسه وبيَّن له سبب التغيُّب.

ثم قال له: خذها الآن معك. إنْ كنتَ تريد معرفةَ الأمر، وافهم هذه المسائلَ الثلاث، ولا يخدعنَّك الشيطان بوساوسه عن طريق الهدى والحقِّ.

٣٦٩٩ ـ [طرفه في: ٣٦٧٥]، تقدّم شرحُه.

٣٧٠٠ ـ [طرفه في: ١٣٩٢]، تقدّم شرحُه.

٣٧٠١ ـ [طرفه في: ٢٩٤٢]، تقدّم شرحُه.

٣٧٠٢ ـ [طرفه في: ٢٩٧٥]، تقدّم شرحه.

٣٧٠٣ ـ [طرفه في: ٤٤١]، تقدّم شرحه.

٣٧٠٤ ـ [طرفه في: ٣١٣٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَناقِبِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

٣٧٠٥ ـ عَنْ عَلِيِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (إنَّ فَاطِمَة عَلَيْهَا السَّلَامُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحى، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلقتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنا، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ فَقَالَ: «عَلَى مَكانِكُمَا». فَقَعَدَ بَيْنَنا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «أَلا أُعَلِّمُكُما خيراً مِمَّا سَأَلْتُمانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، تُكَبِّرَانِ أَرْبعاً وَثَلاثِينَ، وَتُسَبِّحَانِ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَتَحْمَدَانِ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، فَهْوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»).

[طرفه في: ٣١١٣].

شرح الألفاظ

(الرَّحَىٰ) الطاحونُ الذي يُطحن به الشعيرُ، أو الحبُّ، والمراد أنَّ يدها، صارت تؤلمها من أثر الطَّحْن.

(أُتي بسَبى) أي جاءه من الغنائم عبيدٌ وجواري.

(أخذْنا مضاجعَنَا) أي ذهبنا إلى الفراش نريد النومَ.

(علَى مَكانكُما) أي لا تقوما، وابقيا في فراشكما، فإني أريد أن أتحدَّث معكما، قليلاً، فامتثلا الأمرَ.

(فقعَدَ بَيْننا) أي قعد ﷺ معهما على الفراش بين (عليٍّ) و(فاطمة)، حتى شعرت

ببرد قدَمَي الرسول على صدرها، وهذا من كلام السيدة فاطمة.

(إذا أخذْتُما مضاجِعَكُما) أي إذا أردتما النوم، واضطجعتما، فكبِّرا اللَّهَ عزَّ وجلَّ، وسبِّحاه، واحمداه ثلاثاً وثلاثين مرة، فذلك خيرٌ لكما وأفضلُ من خادمة.

شرح الحديث

هذه فاطمة الزهراء بنتُ سيِّدِ الخلق محمد ﷺ، تأتي إلى أبيها رسولِ اللَّه ﷺ، فتسأله خادماً لها، وقد اشتدَّ بها الوجعُ، من أثَرَ حجر الطاحون، الذي تطحن به الشعير، وهو حجر ثقيل يحتاج لجهد كبير، ولكنها لم تجد الرسولَ ﷺ.

فتكلَّمت عن حاجتها مع أمِّ المؤمنين السيدة عائشةَ رضي اللَّه عنها ويرجع ﷺ إلى منزله، فتخبره السيدةُ (عائشة) بمقْدِم ابنته فاطمة، فيأتيها ليلاً وقد عزما على النوم، فيدخل عليها فيواسيها مع زوجها عليٍّ، ويقول لها: (لقد عرفتُ غرضكِ من المجيء، أفلا أدلكما على ما هو أفضل لكما من خادم؟ أن تسبِّحا اللَّهَ ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين، وتكبِّراه أربعاً وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم، يكفيكما مؤنةَ التعب).

بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللَّه، ابنتك الحبيبةُ أضناها التعبُ، تطلب منك خادماً، يُعينها على تحمُّل أعباءِ المنزل، فتوصيها بما هو أفضلُ لها، وأعظمُ من منحها الخادم، أَلَا وهي التزوُّدُ من العبادة والطاعة، ليقتدي بك من يملكون زعامة الأمة وقيادتها، حيث يكون كلُّ ما يأتيهم، لبناتهم، وأصهارهم، وأقربائهم!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: حرصُ الرسول ﷺ على إبعاد بناته عن زينة الدنيا ومباهجها، ومنها التوسُّع في نعيمها، بطلب الخادم، وأمثالِ ذلك.

الثاني: وفيه تكريمُ الرسول ﷺ، ومحبَّتُه لابنته (فاطمة الزهراء) حيث أتاها ليلاً إلى بيتها، ليسألها عن حاجتها، وهذا من البرِّ والوفاء منه ﷺ لآل بيتِ النبوَّةِ، تعليماً للأمة وإرشاداً لها.

الثالث: وفيه مكانةُ (عليِّ بن أبي طالب) عند رسول اللَّه ﷺ، فقد أمره بعدم القيام، والبقاءِ في الفراش، وهذا يدلُّ على منزلته العظيمة عند الرَّسُولِ ﷺ.

٣٧٠٦ ـ [طرفه في: ٤٤١٦]، سيأتي شرحه في الحديث ٤٤١٦.

٣٧٠٧ ـ فيه منقبة لعلي رضي اللّه عنه، وأنه كان يكره أن يرى أمة محمد ﷺ تختلف.

٣٧٠٨ ـ [طرفه في: ٥٤٣٢]، انظر شرح الحديث رقم ١١٨.

٣٧٠٩ ـ [طرفه في: ٤٢٦٤]، فيه إشارة من ابن عمر رضي اللّه عنهما إلى جعفر بن أبي طالب رضي اللّه عنه، الذي أبدله اللّه عوضاً عن يديه الذي فقدهم في مؤتة بجناحين يطير بهما في الجنة.

٣٧١٠ ـ [طرفه في: ١٠١٠]، تقدّم شرحُه.

٣٧١١ ـ [طرفه في: ٣٠٩٢]، تقدّم شرحُه.

٣٧١٢ ـ [طرفه في: ٣٠٩٣]، تقدّم شرحُه.

٣٧١٣ ـ [طرفه في: ٣٧٥١]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٧١٤ ـ [طرفه في: ٩٢٦]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٣٧٢٩.

٣٧١٥ ـ [طرفه في: ٣٦٢٣]، تقدّم شرحُه.

٣٧١٦ ـ [طرفه في: ٣٦٢٤]، تقدّم شرحُه.

٣٧١٧ ـ [طرفه في: ٣٧١٨]، انظر فضائل الزبير رضي اللّه عنه في الحديث رقم ٢٨٤٦.

٣٧١٨ ـ [طرفه في: ٣٧١٧]، تقدّم شرحُه.

٣٧١٩ ـ [طرفه في: ٢٨٤٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَناقِبِ قَرابَةِ الرَّسُولِ ﷺ)

٣٧٢٠ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ، يَخْتَلِفُ إِلَى (بَنِي قُرَيْظَةَ) مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاثاً، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ؟ قَالَ: أوهَلْ رأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبرِهِمْ). فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»).

شرح الألفاظ

(جُعِلْتُ فِي النِّسَاءِ) أي كُلِّفت بحماية النساء يوم الخندق، والمراد بهن نساءُ النبيِّ ﷺ لوجود القرابة بينه وبين الرسول ﷺ.

(يَوْمَ الأَحْزَابِ) أي في غزوة الخندق، التي حُوصر فيها المسلمون في المدينة المنورة، وحُفر الخندقُ بسبب ذلك.

(يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ) أي يتردَّدُ على فرسه إلى يهود (بني قريظة) ليأتي بأخبارهم إلى رسول اللّه ﷺ، بعد أن نقضوا العهد، وخانوا المسلمين.

(جَمعَ لَهُ أَبَوَيْهِ) أي قال له للرسول ﷺ: (فِدَاكَ أبي وأمي) وهي كلمةٌ عظيمة، لا تقال إلّا لمن بلغَ غاية الحبِّ والكرامة عند القائل.

شرحُ الحديث

الزبيرُ بنُ العوَّام يجتمع مع النبي ﷺ في جدِّه الأعلى «قُصَيٍّ» وأمُّه «صفيَّة بنتُ عبدِ المطَّلب» عمَّةُ النبيِّ ﷺ، وفي غزوة الخندق قال رسولُ اللّه لأصحابه: (**من يأتيني بخبر يهود «بني قريظة»؟**) ـ وهم الذين نقضوا العهد مع رسول اللّه ﷺ، وحالفوا كفَّارَ قريش على حربه ـ فكان الزُّبير رضي اللّه عنه أوَّل من أجاب الدَّعوةَ، فركبَ فَرَسه، وأخذ يتردَّدُ على يهود (بني قريظة)، معرِّضاً نفسه للخطر، والناسُ لا يعرفون من هذا الفارس! لكنَّ ولده «عبدُ اللّه» عَرَفه من فرسه التي يركبها، فلمَّا انقضتْ المهمة، قال له ولدُه: يا أبتِ رأيتُك تذهب نحو (بني قريظة)، وترجع مراتٍ عديدة! فما الخبر؟ فقال له والده الزبير: لمَّا رجعتُ إلى رسول اللّه ﷺ بخبرهم، جَمع لي رسولُ اللّه والديه، فقال لي: (فِدَاكَ أبي وأمِّي) فهذا الذي جعلني أذهبُ وأرجع، مرَّات، لآتيه بالخبر.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: بيانُ شجاعة الزبير وبسالتُه، فقد كان يذهب إلى اليهود، ويرجع إلى الرسول ﷺ بخبرهم، مستخفياً عن الأنظار، معرِّضاً نفسه للقتل.

الثاني: وفيه ثناءُ الرسولِ ﷺ على الزبير، حيث فداه ﷺ بأبيه وأمه، لكونه خاطر بنفسه، وأتاه بخبر اليهود، الناقضين للعهود.

الثالث: وفيه أنَّ الرسولَ ﷺ عهد إلى (ابن الزبير)، وابنِ سلمةَ، بحماية نسائه، لئلا يغدرَ بهم اليهود.

الرابع: وفيه أنَّ (غزوةَ الخندق) كانت من أهمِّ الغزوات بعد غزوة بدر، حيث كانت امتحاناً لإيمان الناس، وفيها يقول تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

٣٧٢١ ـ [طرفه في: ٣٩٧٣، ٣٩٧٥]، فيه دليل على شجاعة الزبير رضي اللَّه عنه، انظر شرح الحديث السابق رقم ٣٧٢٠.

بابُ مَناقِبِ (طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ) رضيَ اللَّه عنه

٣٧٢٢ ـ ٣٧٢٣ ـ عَنْ (طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللَّه) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الأَيَّامِ، الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، غَيْرُ طَلْحَةَ، وَسَعْدٍ. عَنْ حَدِيثِهِمَا).

[طرفه في: ٤٠٦٠، ٤٠٦١].

شرح الألفاظ

(في بَعْضِ تِلْكَ الأيَّام) أي في غزوة أُحُد، حينما فرَّ المسلمون، وتركوا المعركة، وخالفوا أمرَ الرسولَ ﷺ، حتى كاد المشركونه أن يقتلوا الرسولَ ﷺ.

(عن حديثهما) أي هما أخبراني، وحدَّثاني بذلك.

شرحُ الحديث

لمَّا انهزم المسلمون في (غزوة أُحُد) وتركوا المعركة، بقي مع رسول اللَّه ﷺ (سعدُ بنُ أبي وقَّاص) و(طلحةُ بنُ عُبَيد) يكافحان عن رسولِ اللَّه ﷺ، ويدفعان عنه شرَّ الأعداء، وقد ضُرب (طلحةُ) على يدُه اليُسرى، حتى شَلَّتْ يَدَه، وهو يَقِي

رسولَ اللَّه ﷺ، لمَّا أراد المشركون أن يضربوا الرسول ﷺ، وهو من أبطال المسلمين، وشُجعانهم الأوشاس.

يقول أبو بكر: أتينا (طلحةَ) يوم أُحد، فرأينا به بِضْعاً وسبعين جراحة، لأنه تترَّس على رسولِ اللَّه ﷺ، يقيه من سهام الأعداء.

وطلحةُ هذا أحدُ العشرة المبشَّرين بالجنة، وهو أحدُ السابقين إلى الإسلام، أسلمَ على يد (أبي بكر الصدِّيق)، مع خمسةٍ من الرجال، فكان من الرعيل الأول، الذين دخلوا في الإسلام، قُتل طلحةُ يوم الجمل سنة /٣٦/ ست وثلاثين، رماه أحدهم بسهم فأصاب ركبتَه، فلم يزل ينزف الدَّمُ منه، حتى مات، وكان يومئذٍ أوَّلَ قتيل في تلك الموقعة، وهو أحد الستة أصحاب الشورى، الذين تُوفِّي رسولُ اللَّه ﷺ وهو عنهم راضٍ.

٣٧٢٤ ـ [طرفه في: ٤٠٦٣]، سيأتي شرحه.

بابُ مناقِبِ (سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ) رضيَ اللَّه عنه

٣٧٢٥ ـ عَنْ سَعدِ بْنِ أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (جَمَعَ لِي النَّبِيُّ ﷺ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ).

[طرفه في: ٤٠٥٥، ٤٠٥٦، ٤٠٦١].

شرح الحديث

قال البخاريُّ: هو «سعدُ بن مالك» الزُّهريُّ، وبنو زُهرةَ أخوالُ النبيِّ ﷺ، ناصروا رسولَ اللَّه وآووه.

يريد سعدٌ رضي اللَّه عنه أن يقول: فداني رسولُ اللَّه ﷺ يوم أُحُدٍ بأبيه وأمه، أي قال لي: **(ارم سعْدُ، فِدَاك أبي وأمي)** وهي كلمة تقال للعظماء من الرجال، فإنه نَاضَل عن رسولَ اللَّه ﷺ، ودافع عنه دفاع الأبطال، وكان يقال له: فارسَ الإسلام وكان في يوم ثلث الإسلام لأنه من أوائل الذين أسلموا، وهو أولُ من رمى بسهم في

سبيل اللَّه، كان مجابَ الدعوة، فتح اللَّه على يديه أكثرَ بلاد فارس، مات بالعقيق على بُعد عشرة أميال من المدينة، وحُمل على رقاب الناس، ودُفن بالبقيع، وهو آخرُ العَشَرة المبشَّرين بالجنة، تُوفّي، وعمرُه يوم مات، ثلاث وثمانون سنة رضي اللَّه عنه.

«قصةُ سَعْد مع أمِّه المشركة»

له قصة عجيبة مع أمِّه المشركة، جاءَ فيها قولُه: (كنتُ رجلاً بارًا بأمِّي، فلمَّا أسلمتُ قالت لي: ما هذا الدِّينُ الذي أحدثتَ يا سعدُ؟ أليس اللَّهُ أمرك بالبِرِّ بأمك!؟ واللَّهِ لا آكلُ، ولا أشربُ، حتى أموتَ، فتتعيَّر بي مدى الدهر، فيقال لك: يا قاتل أمه! أو ترجعُ عن دينك، إلى دينِ آبائك وأجدادك!

قال: فقلت لها: يا أمَّاه لا تفعلي، فإني لا أَدَعُ ديني لشيءٍ أبداً.

قال: فمكثتْ يوماً وليلةً، لا تأكلُ ولا تشرب، حتى جَهِدتْ جُهْداً شديداً، ثم مكثتْ يوماً آخر، حتى اشتدَّ به الجهدُ، وأوشكت على الموت، فجاءها (سعدٌ) رضي اللَّه عنه، فقال لها: يا أمَّاه انظري!! واللَّهِ لو كانت لك مائةُ نَفْسٍ - أي مائةُ روح - فخرجتْ نَفْساً نَفْساً، ما تركتُ ديني من أجل أحد، فإن شئتِ فكلي، وإن شئتِ فلا تأكلي، حتى تموتي)!

فلمَّا يئستْ منه، أكلتْ وشَربتْ، وفيه نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨] الحديث أخرجه مسلم والترمذي، وانظر التفسير الواضح الميسَّر ص ٩٨٠.

٣٧٢٦ - [طرفه في: ٣٧٢٧، ٣٨٥٨]، انظر شرح الحديث اليابق رقم ٣٧٢٥.

٣٧٢٧ - [طرفه في: ٣٧٢٦]، تقدّم شرحُه.

٣٧٢٨ - [طرفه في: ٥٤١٢، ٦٤٥٣]، انظر شرح الحديث رقم ٣٧٢٥.

باب ذِكرِ أَصْهَارِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُم أَبُو العَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ)

٣٧٢٩ - عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (أَنَّ عَلِيًا خَطَبَ

بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ (فَاطِمَةُ)، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ!! فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ:

«**أَمَّا بَعْدُ**، (أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ)، فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ (فَاطِمَةَ) بَضْعَةٌ مِنِّي، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ، عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ»! فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ).

[طرفه في: ٩٢٦].

شرح الألفاظ

(لا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ) أي لا تأخذك الغيرةُ على بناتك، ولا تغضُب من أجلهن.

(ناكِحٌ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ) أي إنَّ عليًّا يريد أن يخطب ابنةَ (أبي جهل)، ويتزوَّجَ بها! وهذا باعتبار ما كانَ عَزم وقَصَد إليه، من الزواج بابنة (أبي جهل) واسمُها «جُوَيرية».

(حدَّثني وصَدَقَني) أي زوَّجتُ ابنتي «زينب» لأبي العاص بن الربيع، ووعدني أن لا يتزوَّج على زينب، وصَدَقني في وعده، أثنى عليه رسول اللَّه ﷺ في مصاهرته، حيث وعدَ الرسولَ ﷺ فوفى بوعده.

(فاطمةُ بضعةٌ مني) أي وإنَّ فاطمة ابنتي قِطْعةٌ منّي، يؤذيني ما يُؤذيها، ويُحزنني ما يُحزنها.

(فترَكَ عليٌّ الخِطْبَة) أي لمَّا سمع عليٌّ ما تحدَّث به رسولُ اللَّه ﷺ على المنبر، ومنها قولهُ ﷺ: (**واللَّهِ لا تجتمعُ بنتُ رسولِ اللَّه ﷺ مع بنت عدوِّ اللَّه «أبي جهل»**) ترك سيِّدُنا عليٌّ خِطبة «جُويرِيَة بنتَ أَبِي جَهْل».

شرح الحديث

زوَّج رسولُ اللَّه ﷺ «عليًّا» ابنته «فاطمة الزهراء» في المدينة المنوَّرة، وبعد مرور عدة سنين بلَغَ فاطمةَ رضي اللَّه عنها أن عليًّا يخطب بنتَ أبي جهل، يريد الزواج بها، فجاءت إلى رسولِ اللَّه ﷺ تشكو أمرَها له، وقد آلمها أشدَّ الألم، أن تصبح بنتُ

عدوِّ اللَّهِ (أبي جهل) ضرَّةً لها، وهي تعلم شدَّة عداوةِ أبيها لرسول اللَّه ﷺ، فكيف تصبر على هذا؟!

فلمَّا أخبرت الرسولَ ﷺ بالأمر صعد المنبرَ، وخطبَ بالناس مثنياً على صهره «أبي العاص بن الربيع» أنه زوَّجه ابنته (زينبَ) أكبرَ بناته، وكان قد شرط عليه ألَّا يتزوَّج عليها، فصَدَقه ووفَّى له بالوعد، فلذلك شكرَه ﷺ على وفائه بالوعد.

وأمَّا عليٌّ رضي اللَّه عنه فلم يشرطْ عليه، ولكنَّ الرسولَ ﷺ غضبَ، وعتَبَ على صهره «عليّ بنِ أبي طالب» أنه يريد أن يتزوَّج ببنتِ عدوِّ اللَّه (أبي جهل) ولذلك أعلنَ رسولُ اللَّه ﷺ عَدَمَ رضاه بهذا الزواج، وبيَّن العلَّة والسببَ فقال: **(واللَّهِ لا تجتمعُ بنتُ رسولِ اللَّه، مع بنتِ عدوِّ اللَّه)** فترك عليٌّ خطبتها، وشَعَر بالندم.

أمَّا أبو العَاص فقد زوَّجه الرسول ﷺ ابنته «زينب» قبل البعثة، وهي أكبرُ بناتِ رسول اللَّه ﷺ، وقد أُسر «أبو العاص» ببدرٍ مع المشركين، وفدتْه زينبُ، فشَرَطَ رسولُ اللَّه ﷺ أن يرسلها إليه، فوفَّى له بذلك، فهذا معنى قوله ﷺ: **(ووَعَدَني فوَفَى لِي)** ثم أُسر مرةً أخرى فأجارته زينب، فأسلم، فردَّها النبيُّ ﷺ إلى نكاحه بالزواج الأول، كما قال ابن عباس، وولدت له «أُمامة» التي كان ﷺ يحبُّها ويحملها وهو يصلِّي، وولدت له أيضاً ابناً سمَّاه (عليًّا)، مات قبل وفاته ﷺ، واستُشهد أبو العاص في وقعة اليمامة. وانظر تفصيل قصته في عمدة القاري ١٦/ ٢٣٠ للعيني.

تنبيه لطيفٌ هام

فإن قيل: كيف أبى رسولُ اللَّه ﷺ أن يتزوَّج عليٌّ على فاطمة، وهو مأذونٌ له بالزواج بأكثر من واحدة؟

فالجوابُ: أنه ﷺ لم يمنع من الزواج عليها، وإنما غضبَ ﷺ لأنه خطب ابنةَ أعدىٰ أعدائه، وهذا يؤثِّر على السيدة (فاطمةَ) ويُحْزِن قلبَهَا، أن تكون ابنةُ (أبي جهل) ضَرَّةً لها، وكلَّما رأتها تذكَّرتْ أذى أبيها لرسول اللَّه ﷺ، ولهذا بيَّن ﷺ ذلك، فقال: **(واللَّهِ لا تجتمع بنتُ رسول اللَّه ﷺ وبنتُ عدوِّ اللَّه، عند رجلٍ واحد)** وليس فيه أنَّ الرسول ﷺ يمنع صِهْرَه من الزواج بأخرى.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه عتابٌ رقيق من الرسول ﷺ لعليٍّ بأسلوب لطيف، في قوله: **(لا تجتمع بنتُ رسولِ اللَّه مع بنتِ عدوِّ اللَّه)**.

الثاني: وفيه ثناءٌ وشكرٌ لصهره «أبي العاص بن الربيع» حيث وعد الرسولَ ووَفَى بوعده، وفيه تعليم للأمة بشكر المُحْسن، حيث قال ﷺ: **(حدَّثني فصَدَقني، ووَعَدَني فَوَفَّى لي)**.

الثالث: وفيه خوفُ الرسول ﷺ على ابنته الزهراء أن يدخل عليها من الحُزْنِ والأسى ما يكدِّر حياتها بزواج عليٍّ من ابنة (أبي جهل) عدوِّ اللَّه، كلَّما رأتها وذكرت مآسيَ أبيها، مع «الشّقي الطاغية أبي جهل»!

الرابع: وفيه أنَّ النكاحَ لا ينبغي أن يلتقي فيه المُحِبُّ والعدوُّ، ولا بدَّ أن يكون هناك «تجانسٌ» بين الضرائر.

الخامس: وفيه أنَّ غضبَ الرسول ﷺ لم يكن لمنع حقٍّ من الحقوق شرَعه اللَّه تعالى، بل لعلَّةٍ أخرى، بيَّنها ﷺ ولو خطب عليٌّ غيرَ ابنة أبي جهل، لَمَا منعه ﷺ من الزواج على ابنته (فاطمة الزهراء)، فافهم هذا، رعاك اللَّه.

السادس: وفيه أنَّ المؤمنين عند شروطهم، فمن اشترط شرطاً لا يخالف شرع اللَّه، وجب الوفاءُ به، كمن يشترط على الزوج ألَّا يسافر بزوجته إلى بلاد المشركين.

بابُ (مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ) رضِيَ اللَّهُ عنه

٣٧٣٠ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهما أنَّه قال:

(بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثاً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ (أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ)، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هٰذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»).

[طرفه في: ٤٢٥٠، ٤٤٦٨، ٤٤٦٩، ٦٦٢٧، ٧١٨٧].

شرح الألفاظ

(بَعَثَ بَعْثاً) أي أرسل ﷺ سريَّةً للجهاد والدعوة إلى اللَّه، وجعل (أسامةَ بنَ زيد)

أميراً عليهم، كما كان أبوه (زيدُ بنُ حارِثَةَ) من قبلُ أميراً على الجيش في (غزوة مؤتة).

(طَعَنُوا فِي إِمَارَتِه) أي عاب بعضُهم أن يكون «أسامةُ» أميراً عليهم لصغرِ سِنِّه، كما كان أبوه أيضاً أميراً على الجيش، وفيهم «أبو بكر» و«عمر» رضي اللَّه عنهما.

(خَلِيقاً لِلإِمَارَةِ) أي جديرٌ به أن يكون أميراً، لِحِنْكته الحربيَّة، وبطولته وشجاعته.

(وَايْمُ اللَّهِ) هذا قسَمٌ، أي أقسمُ لكم باللَّه أنه أهلٌ للإمارة، وأصلُ الكلمة: و(ايْمُ اللَّهِ): أيمُنُ اللَّهِ.

شرح الحديث

كان رسولُ اللَّه ﷺ قد تبنَّى (زيدَ بنَ حارثةَ) وهو صغيرٌ ابنُ عشر سنين، لقصةٍ عجيبة، وهي أنَّ أمَّه خرجت لتزور قومها، فأغارت عليهم قبيلةٌ، فاحتملوا (زيداً) معهم، فباعوه في سوق عكاظ، فاشتراه «حكيمُ بنُ حِزام» بأربعمائة درهم، لعمته السيدة (خديجة) رضي اللَّه عنها، فلمَّا تزوَّجها رسولُ اللَّه ﷺ وهبتْه له، فشبَّ عند رسول اللَّه ﷺ، وكان فيه ذكاءٌ ونُبْل، وبلغَ الخبرُ لأبيه «حارثة» أنَّ ابنه (زيد) عند رسول اللَّه ﷺ مملوكٌ، فجاء إلى مكة بمالٍ وفير، يريد أن يفديَ ولده، فدخل على رسول اللَّه ﷺ وقال له: (يا محمد ولدي زيدٌ، عندك مملوك، فاطلبْ ما شئتَ من المال فيه أدفعه لك.

فقال له ﷺ: لا حاجة لي بالمال، ولكنِّي أدعوه أمامك فأخيِّره، فإن اختاركَ فهو لك بدون فداء، وإن اختارني، فما أنا بالذي يرغب بي أريد فداءً ولا مالاً، فلمَّا حضر زيدٌ عرف أباه وعمَّه، فعانقهما، فقال له ﷺ: يا زيدُ، هذا أبوك، وهذا عمُّك، وأنا من عرفْتَني، فاخترْ من تشاء منَّا.

فبكى زيدٌ وقال: أأختار عليك أحداً؟ أنت عندي بمنزلة الوالد والعمِّ. فقالا له: يا زيدُ أتختارُ العبوديةَ على أبيك وعمِّك! فأجابهم بقوله: لقد رأيتُ من محمد من الخير والإحسان ما لا أرضى به بديلاً.

كلُّ هذا حدث قبل البعثة النبوية عند ذلك خرج رسولُ اللَّه ﷺ إلى النَّاس، وقال لهم: **(أُشهدكم أنَّ زيداً ابني، أَرِثُه ويرثني)** فصار الناس يدعونه (زيدَ بنَ مُحَمَّد) حتى نزلَ القرآنُ الكريم بإبطال حكم التبنِّي.

روى البخاري عن ابن عمر أنه قال: (ما كنَّا ندعو زيدَ بنَ حارثة، إلَّا (زيدَ بنَ

محمد) حتى نزل القرآن ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [الأحزاب: ٥] ونزل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وكانت الحكمة الإلٰهية من وراء هذا التبنّي هي: إبطالُ عادات الجاهلية، التي كانت عندهم (دِيناً متوارثاً)، فتبنَّى رسول اللّه «زيداً» ثم زوَّجه بزينب، ولمَّا طلَّقها زيد، أمر اللّهُ رسولَه أن يتزوَّج بها، لإبطال تلك العادات الجاهلية الموروثة ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وكذلك (أسامة) رضي اللّه عنه، أمَّره الرسولُ ﷺ على الجيش، لِحِنكته العسكرية، وانتقل ﷺ إلى جوار ربه، وقال لأصحابه ـ قبل وفاته ـ أنفذوا بَعْثَ (أسامةَ)، فأنفذه أبو بكر رضي اللّه عنه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ الإمارةَ تكون للأصلح من الناس، لا للأغنى أو الأكبر في السنِّ.

الثاني: وفيه بيانُ فضيلة (زيد) حيث خصَّه اللّه بالذِّكرِ، باسمه العَلَم ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

الثالث: وفيه منقبةٌ عظيمة، حيث اشتهر بين المسلمين، أنه حبيبُ رسولِ اللّه، وكان ولدُه (أسامةُ) يُدعى (الحبيبَ ابنَ الحبيب).

الرابع: وفيه جوازُ إمارة العبدِ المملوك على من هو أعلى قدراً منه، وتوليةُ المفضول على الفاضل، لأنه كان في الجيش ـ الذي كان عليهم أسامةُ ـ أبو بكر وعمر رضي اللّه عنهما.

الخامس: وفيه شهادةُ الرسولِ ﷺ بالمحبَّة لزيد رضي اللّه عنه، ولولده (أسامةَ)، لقوله ﷺ: **(إنه من أحبِّ الناس إليَّ، وولده أحبُّ الناس إليَّ بعده)**.

بابُ (سُرُورِ النَّبيِّ ﷺ بِالقَائِفِ الَّذي يَعْرِفُ النَّاسَ بِالآثَارِ)

٣٧٣١ ـ عَنْ عَائشَةَ رَضِيَ اللّه عَنْها أنها قَالَتْ: (دَخَلَ عَليَّ قَائِفٌ، وَالنَّبِيُّ

ﷺ شَاهِدٌ، وَ(أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ)، وَ(زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ) مُضْطَجِعَانِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. قَالَ: فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْجَبَهُ، فَأَخْبَرَ بِهِ عائِشَةَ).

[طرفه في: ٣٥٥٥].

شرح الألفاظ

(قَائِفٌ) القائفُ: الذي يعرف أنسابَ الناس وأصولَهم من آثارِ أقدامهم، ويُلحِقُ الفروعَ بالأصول.

(مُضْطَجِعَانِ) أي نائمان في فراشٍ واحد، وقد بدت أقدامهما.

(بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ) أي أصحابُ هذه الأقدام من أصول واحدة، ونَسَبٍ واحد، يريد أنَّ هذا ابنُ هذا، فَفرِحَ رسولُ اللَّه ﷺ لقوله، حيث ألحق نسَبَ أسامة لأبيه.

شرح الحديث

بينما رسولُ اللَّه ﷺ في البيت، إذ دخل رجلٌ من العرب، يَعْرِف أنسابَ الناس من الشَّبه، في الوجوه أو الأقدام، وكان (أسامةُ) ووالده (زيدُ بنُ حارثة) نائمين في فراشٍ واحد، في منزل رسولِ اللَّه، ووجوههما مغطَّاة، وأقدامهما ظاهرة، فقال: إنَّ هذا من أصل هذا، لتشابه أقدامهما.

فدخل رسولُ اللَّه ﷺ على عائشة مسروراً، تبرُق أساريرُ وجهه، وأخبرها بما قاله القائفُ، الذي يردُّ الفروعَ إلى الأصول - ويعرف من الشَّبَه أنسابَ الناس، وإنما سُرَّ رسولُ اللَّه ﷺ بقوله، لأنَّ بعض الناس، ما كان يُلحق نسبَ أسامة إلى أبيه، ويظنُّون أنَّ أباه رجلٌ آخر.

ما يُستفاد من الحديث

في الحديث الشريف. جوازُ اعتمادِ قولِ القائف في النَّسب، وهو الذي يعرف نسبَ الإنسانَ بالشَّبه، وهو ما يُعرف (بالقيافة) عند العرب، وأنه ممَّا يؤكِّد النسب.

وفيه جوازُ دخول الرجل على البيت بوجود المحرم للمرأة، فقد دخلَ القائفُ على رسولِ اللَّه ﷺ، وفي البيت أمُّ المؤمنين (عائشة) رضي اللَّه عنها، وقد كانت من وراء حجاب.

٣٧٣٢ ـ [طرفه في: ٢٦٤٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ذِكْرِ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ) رضي اللّه عنه

٣٧٣٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهَا: (أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُوم سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ؟ فَلَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهُ، فَكَلَّمَهُ (أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ)، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ، لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).

[طرفه في: ٢٦٤٨].

شرح الألفاظ

(المَرْأَة المَخْزُومِيَةُ) نسبة إلى قبيلة (بني مخزوم) وهي من أشراف قبائل قريش، وإليها ينتسب (خالدُ بنُ الوليد المخزومي) رضي اللّه عنه.

(مَنْ يُكَلِّمُ النَبيَّ ﷺ فِيهَا)؟ أي من يتوسَّط بالشفاعة لها عند رسولِ اللّه ﷺ، حتى يترك إقامةَ الحدِّ عليها؟

(حِبُّ رَسُولِ اللّه) بكسر الحاء، أي حبيبُ الرسول ﷺ، والمقرَّب عنده، والمراد به (أسامةُ بنُ زيد) الذي اشتهر بأنه الحِبُّ ابنُ الحِبِّ.

(سَرَقَ الشَّرِيفُ) أي كان بنو إسرائيل، إذا سرق فيهم صاحبُ المنزلة والجاه، تركوا إقامة الحدِّ عليه، لشرفه ومنزلته، وإذا سرق فيهم الضعيفُ، الذي لا مال له، ولا منزلة، أقاموا عليه الحدَّ.

(لَقَطَعْتُ يَدَهَا) أي لو كانت السارقةُ (فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ) ـ وحاشاها ـ لقطعتُ يدها، تحقيقاً للعدال.

شرح الحديث

في زمن النبيِّ ﷺ أقدمت امرأةٌ من بني مخزوم، من أشراف قريش وسادتها

وعظمائها، على سرقة بعض الحُلِيِّ من جيرانها، وخشيَ عليها قومُها أن تُقطع يدُها، فأخذوا يبحثون عن شفيعٍ لها عند النبيِّ ﷺ، فلم يَرَوا أفضلَ لها من (أسامةَ بن زيد) المشهور لدى جميع الناس، بأنه الحبيبُ ابنُ الحبيب، لأنَّ الرسول ﷺ كان يحبُّه، ويحبُّ أباه، فكلَّموه في شأنها، فذهب إلى رسول اللَّه ليشفع لها، وهو واثقٌ من قبول هذه الشفاعة، فما كان من الرسول ﷺ إلَّا أن غَضِب، وظهر الغضبُ في وجهه، وقال لأسامةَ منكراً عليه: **(أتشفع في حدٍّ من حدود اللَّهِ يا أسامة؟!)**.

ثم قام ﷺ خطيباً في الناس، فقال: (أيها الناسُ، إنما هلك الذين من قَبْلِكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيفُ، أقاموا عليه الحدَّ، واللَّهِ الذي لا إله إلا غيره، لو أنَّ فاطمةَ بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدها).

وفي هذا الحديث الشريف يضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في تطبيق مبدأ (العدالة) والمساواة بين الناس، دون تفريقٍ ولا تمييز، بين غنيٍّ وفقير، وشريفٍ ووضيع، وقويٍّ وضعيفٍ، فالكلُّ أمامَ العدالة سواء، وهذا شرعُ اللَّه الذي بعثَ به الأنبياءَ والمرسلين صلوات اللَّه عليهم أجمعين.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: وجوبُ إقامة حدود اللَّه على الجميع، دون تفريق بين شريف ووضيع.

الثاني: وفيه حرمةُ الشفاعة في إقامة الحدود الشرعية لقوله ﷺ: (أتشفع في حدٍّ من حدودو اللَّه).

الثالث: وفيه الغضبُ للَّه تعالى، إذا انْتُهِكَتْ محارمُ اللَّه عزَّ وجل.

الرابع: وفيه ضربُ المثل بالسيدة (فاطمة الزهراء) أنها لو حدث منها ما يوجب الحدَّ، لنفَّذه رسولُ اللَّه ﷺ فيها، وحاشاها أن تفعل ذلك، ولكنه المثلُ الأعلى للمساواة والعدالة، يضربه الرسولُ ﷺ للإنسانية.

الخامس: وفيه بيانُ سببِ هلاك الأمم السابقة، وهو التفريقُ بين الشريف والوضيع، والغنيِّ والفقير، وصاحبِ القرابة والأجنبيّ.

٣٧٣٤ ـ وفيه حديث ابن عمر عن محمد بن أسامة، وأنه لو رآه الرسول ﷺ لأحبّه.

بابُ (مَحبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ لِلْحَسَنِ، وَأُسَامَةَ رضي اللَّه عنهما)

٣٧٣٥ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّه (حَدَّثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كانَ يَأْخُذُهُ وَالحَسَنَ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا، فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا»).

[طرفه في: ٣٧٤٧، ٦٠٠٣].

شرح الحديث

هذا الحديثُ يشير إلى محبَّة الرسولِ ﷺ للحسن بن عليٍّ، وأسامةَ بنِ زيد، ولذلك دعا لهما رسولُ اللَّه ﷺ بقوله: **(اللهمَّ إني أحبُّهما فأحبَّهما)**.

وفيه منقبة عظيمة لهما، فإنَّ دعاء الرسول ﷺ مستجابٌ عند اللَّه، فلمَّا دعا لهما ﷺ، دلَّ على عظيم قدرهما عنده ﷺ، وقد أثنى رسولُ اللَّه ﷺ على (أُسامة) وأمرَّه على جيشٍ فيه (أبو بكر)، و(عمر)، كما أثنى على الحَسَن بقوله: **(إنَّ ابني هذا سيِّدٌ ولعلَّ اللَّه يُصْلِحُ به، بين فئتين من المسلمين)** رواه البخاري. وقد حقَّق اللَّهُ ذلك، فحقَنَ دماءَ المسلمين، بتنازله عن الخلافة، حتى أُطفئت الفتنةُ وخَمَدَتْ، وكان النبيُّ ﷺ يقول عن الحَسَنِ والحُسَين: **(هما رَيْحَانتايَ من الدنيا)** أي هما بهجتي وسروري ﷺ.

٣٧٣٦ ـ [طرفه في: ٣٧٣٧]، انظر شرح الحديث رقم ٢٦٣٠.

٣٧٣٧ ـ [طرفه في: ٣٧٣٦]، في بيان فضائل أم أيمن.

بابُ (مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنه)

٣٧٣٨ ـ [طرفه في: ٤٤٠]، تقدّم شرحُه.

٣٧٣٩ ـ [طرفه في: ١١٢٢]، تقدّم شرحُه.

٣٧٤٠ ـ [طرفه في: ٤٤٠].

٣٧٤١ ـ عَنْ حَفْصَةَ بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: (إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رجُلٌ صالِحٌ)).

[طرفه في: ١١٢٢].

شرحُ الحديث

هذا طرفٌ من حديثٍ شريف، وفيها قصة رآها «عبد اللَّه بن عمر» في منامه، فقصَّها على أخته «حفصة» فذكرَتْها لرسول اللَّه ﷺ، والقصَّةُ هي قولُ ابن عمر: (كنتُ غلاماً أعزبَ، أنام في المسجد على عهد النبيِّ ﷺ، فرأيتُ في المنام: كأنَّ مَلَكَيْن أخذاني، فذهَبَا بي إلى النار، فجعلتُ أقول: أعوذ باللَّه من النار، أعوذُ باللَّه من النَّارِ، فلقيهما مَلَكٌ آخرُ، فقال لي: لن تُراع ـ أي لن تفزع ولن تَخَافَ ـ فقصصتُها على أختي حفصة، فقصَّتها على النبي ﷺ، فقال لها: **(إنَّ أخاكِ (عبْدَ اللَّه) رجل صالح، نِعْمَ الرجلُ لو كان يصلِّي من الليل)** فكان ابنُ عمر لا ينام من الليل، إلا قليلاً) أخرجه البخاري.

ما يُستفاد من الحديث

فيه بيانُ فضلِ (عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَر)، وثناءُ الرسول ﷺ عليه.

وفيه الشهادةُ له من النبي ﷺ، وكفى بها شهادة من خير البشر بأنه عبدٌ صالح.

وفيه ترغيبُه لقيام الليل، وطاعتُه لأمر الرسول ﷺ، حيث ما كان يترك (صلاةَ الليل) في سفر ولا حضر، وقد كان ابنُ عمرَ أشدَّ الناس اقتداءً برسول اللَّه ﷺ في سيرته وهديه.

٣٧٤٢ ـ [طرفه في: ٣٢٨٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَناقِبِ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعَمَّارِ بنِ يَاسِر)

٣٧٤٣ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنه جَلَسَ إلى جَنْبِه غُلامٌ في

مَسْجِدِ بِالشَّامِ، وَكَانَ قَدْ قال: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيساً صَالِحاً. فَجَلَسَ إِلَى (أَبِي الدَّرْدَاءِ).

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَلَيْسَ فِيكُمْ، ـ أَوْ مِنكُمْ ـ صاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ يَعْنِي حُذَيْفَة، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: أَلَيْسَ فِيكُمْ ـ أَوْ مِنكُمْ ـ الَّذِي أَجارَهُ اللَّه عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ؟ يَعْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي عَمَّاراً، قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: أَلَيْسَ فِيكُمْ ـ أَوْ مِنكُمْ ـ صَاحِبُ السِّوَاكِ، أَوِ السِّرَارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: كَيْفَ كانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقْرَأُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾. [الليل: ١، ٢] قُلْتُ: ﴿والذَّكَرِ والأُنْثَى﴾.

قَالَ: مَا زَالَ بِي هٰؤُلَاءِ، حَتَّى كادُوا يَسْتَنْزِلُونِي عَنْ شَيْءٍ، سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ).

[طرفه في: ٣٢٨٧].

شرح الألفاظ

(صَاحِبُ السِّرِّ) المرادُ به الصحابيُّ الجليل (حُذيفَةَ بنُ اليمان) فقد اشتهر بين الصحابة بأنه صاحبُ سرِّ رسولِ اللَّه ﷺ، وقد كان النبيُّ ﷺ أخبره عن أمور المنافقين وأسمائهم، وما يحدث في آخر الزمان من الفتن، وجعل ذلك سرًّا بينه وبين (حذيفة) رضي اللَّه عنه.

(أَجَارَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ) أي حَفِظه من الكفر، والمراد به (عمَّارُ بنُ ياسِر) رضي اللَّه عنه، فإنَّ المشركين عذَّبوه، عذاباً شديداً، ليجبروه على الكفر، وتركِ الإسلام، كما عذَّبوا أباه (ياسراً) حتى مات تحت التعذيب، وقتلَ اللعينُ (أبو جهل) أمَّه (سُمَيَّة) وكان النبي يمرُّ على هذه الأسرة، وهم تحت العذاب، فيقول لهم: **(صبراً آلَ ياسر، فإنَّ موعِدَكم الجَنَّة)**.

(صَاحِبُ السِّوَاكِ والسِّرَار) المرادُ به (عبدُ اللَّه بنُ مسعود) الذي اختصَّ بإحضار وضوءِ النبيِّ ﷺ، وسواكه، وإلباسه نعليه ﷺ، وكان لا يحجُبُه عن رسول اللَّه ﷺ حاجبٌ، وقد استفاد منه العلمَ الكثير، والأدبَ الرفيع، فكان من أفقه الصحابة،

وأعلمهم بأحوالِ النبي ﷺ وهديه الشريف، وعنه أخذ الإمامُ (أبو حنيفةَ) معْظم مذهبه الفقهي.

توضيح معنى الحديث

كان (عَلْقمةُ بنُ قَيْس النَّخعي) قد سافر إلى بلاد الشام، مع نفرٍ من جماعة أصحاب ابنِ مسعود رضي اللَّه عنه، ودعا اللَّهَ في نفسه، أن ييسِّر اللَّه له جليساً صالحاً، يستفيد منه العلمَ النافع، فإذا بالصحابيِّ الجليل (أبي الدَّرْدَاء) رضي اللَّه عنه يدخل المسجدَ، فيجلس إلى جوار «عَلْقمة» فقلت: الحمدُ للَّهِ، إني لأرجو أن يكون اللَّهُ، قد استجاب دعوتي.

فسأله أبو الدَّرداء: من أيِّ البلاد أنتَ؟ قال: من الكوفة.

فَهِم أبو الدَّرداءِ من الوفد، أنهم قدموا في طلب العلم، لذلك سألهم: أليس عندكم «عبدُ اللَّهِ بن مسعود»؟ ألَيْسَ عندكم «حُذيفة بنُ اليَمَان»؟ أليس عندكم «عمَّارُ بنُ ياسر»؟ فكان يجيبه: نعم.

فسأله عند ذلك: كيف يقرأ ابنُ مسعود الآية الكريمة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؟ فأجابه عَلْقمة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ١ ـ ٣] فقال له أبو الدرداءِ: واللَّهِ لقد أقرأنيها الرسولُ ﷺ من فمه الشريف، إلى فمي هكذا، كما قرأها ابنُ مسعود (والذَّكرِ والأُنْثَى)، ويريد منِّي الناسُ أن أترك هذه القراءةَ، التي سمعتها من رسول اللَّه ﷺ وما أنا بتاركٍ لها.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف بيانُ فضيلة الصحابيِّ الجليل (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود) الذي رافقَ رسولَ اللَّه ﷺ، وكان لا يحجبه الرسولُ عنه، في أيِّ وقتٍ من الأوقات.

الثاني: وفيه فضيلةُ طلب العلم، ولو كان في بلدٍ بعيد، فقد سافر (عَلْقَمةُ) إلى بلاد الشام ليأخذ عن أبي الدرداء.

الثالث: وفيه الإشادةُ بفضيلة (حُذيفةَ بن اليَمّان) صاحب سرِّ الرسولِ ﷺ، الذي خصَّه النبيُّ ﷺ بمعرفة المنافقين، وبأخبار الفتن التي تحدث بعد وفاته ﷺ.

الرابع: وفيه أنَّ القراءاتِ السَّبْعَ تُؤخذ من رسولِ اللَّه ﷺ، ولا يجوز الاعتراضُ على أيِّ قراءة وردتْ عن النبيِّ ﷺ.

الخامس: وفيه الثناءُ على (عَمَّارِ بنِ يَاسِر) حيث ثَبت على الإسلام، مع شدَّة ما لقيه من الأذى.

السادس: وفيه حبُّ مجالسة الصالحين، كما تمنَّى (عَلْقمةُ) أن يلقى له جليساً صالحاً، ويؤيده قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أي كونوا مع أهل الصِّدق في الإيمان، والإخلاص في العمل، والزموا مجالسهم، فإنَّ فيها الخيرُ العظيم.

فائدة هامة

قال ابنُ حَجَر في فتح الباري: اتفق (أبو هريرة) مع (أبي الدَّرداء) في وصف المذكورين من الصحابة بالفضل، فقد روى الترمذيُّ من طريق خَيْثمة أنه قال: (أتيتُ المدينةَ فسألتُ اللَّهَ أن ييسِّر لي جليساً صالحاً، فيسَّر اللَّهُ لي (أَبَا هُرَيْرةَ)، فقال: ممن أنت؟ قلتُ: من الكوفة، جئتُ ألتمسُ الخيرَ ـ أي العلمَ الشرعيَّ ـ فقال: أليس منكم (سعدُ بن مالك) مستجابُ الدعوة؟ و(ابنُ مسعود) صاحبُ رسول اللَّه ﷺ ونعليه، و(حُذَيفةُ بنُ اليمانِ) صاحب سرِّه، و(عمَّارُ بن ياسر) الذي أجاره اللَّه من الشيطان على لسان نبيه؟ و(سلمانُ الفارسيُّ) صاحبُ الكتابَيْن؟ ـ يعني الذي قَرَأ (التَّورَاة) وقَرَأ (القرآن) ـ اهـ فتح الباري ٧/ ٩٢.

٣٧٤٤ ـ [طرفه في: ٤٣٨٢، ٧٢٥٥]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٣٨٢.

٣٧٤٥ ـ [طرفه في: ٤٣٨٠، ٤٣٨١، ٧٢٥٤]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٣٨٠.

٣٧٤٦ ـ [طرفه في: ٢٧٠٤]، تقدّم شرحُه.

٣٧٤٧ ـ [طرفه في: ٣٧٣٥]، تقدّم شرحُه.

٣٧٤٨ ـ انظر شرح الحديث التالي رقم ٣٧٤٩.

بابُ (مَناقِبِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رضي اللَّه عنهما)

٣٧٤٩ ـ عَنْ الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ،

وَالحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَى عاتِقِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ»).

تنبيه هامّ

أورد الإمامُ البخاريُّ في مناقبِ (الحَسَن والحُسَيْن) سِبْطَيْ النبيِّ ﷺ أولادِ (عليِّ بن أبي طالب)، وأمُّهُمَا (فاطمةُ الزهراء) بنتُ رسولِ اللَّه ﷺ، عدَّةَ أحاديث في صحيحه.

منها حديثُ أنَس، ولفظُه كما ذكره البخاري:

الأول: عن أنَسٍ رضي اللَّه عنه، أنه قَالَ: (لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ «الحَسَنِ بن عليٍّ» رضي اللَّه عنه.

الثاني: كما أورد حديثَ أبي بَكرة (نُفَيْع بنِ الحَارِثِ الثَّقَفِيِّ) ولفظُه كما في البخاري:

عن أبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، أنه قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، والحَسَنُ إلى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إلى النَّاسِ مَرَّةً، وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَهُوَ يَقُولُ: **(ابْنِي هذا سيِّدٌ، وَلَعلَّ اللَّه أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِن المُسْلِمِينَ)**.

كما أورد حديثَ (أسامَةَ بنَ زَيْد) ولفظُه كما في البخاري.

الثالث: عن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْخُذُهُ والحَسَنَ، وَيَقُولُ: **(اللهمَّ أحبَّهما فإني أحبُّهما)**.

كما أورد حديث (عُقبةَ بنَ الحارث) ولفظُه كما جاء في البخاري:

الرابع: عن عُقبةَ بنِ الحَارِثِ رضيَ اللَّهُ عنه، أنه قال: (رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رضي اللَّه عَنْهُ وَحَمَلَ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، وهو يقول: بأبي - أي أفديه بأبي - شَبِيهٌ بالنَّبِيِّ، لَيْسَ شَبيهٌ بعليّ! وعليٌّ يضحك).

كما أورد حديثَ ابنِ عُمَرَ، وسأله أحدُهم عن المُحْرِمِ يقتلُ الذُّباب؟ فقال: انظروا، أهلُ العراق يسألون عن المحْرِمُ يقتلُ الذُّبَابَ، وقد قَتَلُوا ابنَ بنتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أي ولم يسألوا عن حكم قَتْلِهِ - وقد قال النَّبِيُّ ﷺ عنهما: **(هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنيا)**.

قال الحافظ ابن حجر: جَمَع البخاريُّ بين الحَسَنِ والحُسَين، لِمَا وقع لهما من الاشتراك في كثيرٍ من المناقب، وكان مولدُ الحسن في رمضان سنة ثلاثٍ من الهجرة، ومات بالمدينة المنورة سنة خمسين.

وكان مولدُ الحسين في شعبان سنة أربع من الهجرة، وقُتل يوم عاشوراء بكربلاء، من أرض العراق، ولمَّا تُوفِّي معاويةُ وجَعل خليفةً بعده (يزيد) كان أهلُ الكوفة قد كاتبوا (الحسينَ بنَ عليٍّ) على طاعته، فخرج إليهم ليبايعوه، فسبقَه «عُبَيْدُ بنُ زِيَادٍ» إلى الكوفة أميراً عليها من جهة (يَزِيدَ بنِ مُعَاوِية) فخذَّل النَّاسَ عنه، فتأخروا عن مبايعته، رغبةً ورهبة.

ثم جهَّز إليه عسكراً فقاتلوا (الحُسَيْنَ)، إلى أن قُتل هو وجماعةٌ من أهل بيته، وجيء برأس (الحُسَيْنِ بن عليٍّ) فجُعلِ في طست ـ أي إناء ـ فجعَلَ يُدخِل قضيباً في أنفه وعينه، ويقول: ما رأيتُ مثلَ هذا في الحُسْن!!

فقال له: (زيدُ بنُ أَرْقَم): ارفعْ قضيبَك، فلقد رأيتُ فَمَ رسولِ اللَّهِﷺ في موضعه يقبِّله. فانقبضْ الظالمُ .اهـ فتح الباري ٧/ ٩٦.

٣٧٥٠ ـ [طرفه في: ٣٥٤٢]، تقدّم شرحُه.

٣٧٥١ ـ [طرفه في: ٣٧١٣]، تقدّم شرحُه.

٣٧٥٢ ـ انظر شرح الحديث رقم ٣٧٤٩.

٣٧٥٣ ـ [طرفه في: ٥٩٩٤]، انظر شرح الحديث ٣٧٤٩.

٣٧٥٤ ـ تقدَّم شرحه.

٣٧٥٥ ـ تقدَّم شرحه.

بابُ (مَنَاقِبِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنه)

٣٧٥٦ ـ عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: (ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ»).

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ: وَقَالَ: («اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ»).

[طرفه في: ٧٥].

شرحُ الحديث

عبدُ اللَّهِ بنُ عباس ابنُ عمِّ النبيِّﷺ، وُلد قبل الهجرة بثلاثِ سنين، ومات

بالطائف سنة ثمانٍ وستين، كان أعلمَ الصحابة بتفسير كتاب اللَّه عزَّ وجل، وكان ﷺ يحبُّه ويُرْكِبه معه على الدابة، ويعِظُه ويذكّره، وقد ضمَّه ﷺ إلى صَدْره الشريف، ودعا له (أن يعلِّمه اللَّهُ الكتاب والحكمة، وأن يعلِّمه التأويل) - أي تفسير كتاب اللَّه - واستُجيبتْ دعوةُ الرسول فيه، فكان حَبْرَ الأمة، وترجمانَ القرآنِ، ولذلك كان عمرُ رضي اللَّه عنه، يُدْخِله مجلسَ الشورى، مع الأشياخ وهو شاب، والمراد بقوله ﷺ: **(علِّمْه الكتاب)** أي فهم كتابك العظيم، وفي روايةٍ عند أحمد **(اللهمَّ فقِّهه في الدين، وعلِّمْه التأويل)** أي تأويل القرآن الكريم.

بابُ (مَنَاقِبِ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ رضي اللَّه عنه)

٣٧٥٧ - عَنْ أَنَس بن مالك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْداً وَجَعْفَراً وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ»، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخَذَهَا سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّه عَلَيْهِمْ»).

[طرفه في: ١٢٤٦].

شرح الألفاظ

(نَعَى زَيْداً) أي أخبر ﷺ أصحابه باستشهاد هؤلاء الثلاثة، عن طريق جبريل، قبل أن يأتيه خبرُهم من المسلمين.

(أَخَذَ الرَّايَةَ) المراد بالرَّاية: (رايةُ الجِهَادِ والحَرْب) وهي التي يحملها قائدُ الجيش في المقدّمة، ليسير الجيشُ خلفه.

(وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ) أي تنهمر منهما الدُّموعُ، لاستشهاد هؤلاء الأبطال الثلاثة، وهم (زيدُ بنُ حَارِثَةَ) و(جعفرُ بنُ أبي طَالِبٍ) و(عبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحة).

(أَخَذَهَا سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ) المراد بالسيف هنا (خالدُ بن الوليد) رضي اللَّه

عنه، ومن يومئذٍ سُمِّي خالدٌ (سيفَ اللَّه) لشجاعته وبطولته، وهو ثناءٌ من الرسولﷺ عليه عظيم.!

شرحُ الحديث

هذا الحديثُ أورده البخاري في قصة (غزوة مُؤتة)، فقد أرسلﷺ جيشاً لهذه الغزوة، وأمَّر عليهم «زيدَ بن حارثة»، وقال لهم: إن قُتلَ زيدٌ، فيحمل الرايةَ «جعفرُ بنُ أبي طالب»، فإن قُتل جعفر فيحمل الرايةَ «عبدُ اللَّه بنُ رواحة». فاستُشهد الثلاثةُ، فحمَلَها «خالدُ بنُ الوليد» من غير إمارةٍ، حتى نصره اللَّهُ.

وخالد رضي اللَّه عنه من فرسان الصحابة، أسلم قبل فتح مكة، سنة سبع من الهجرة، وقبل (غزوة مؤتة) بشهرين، وشهد مع النبيّﷺ عدَّةَ غزوات، ظهرت فيها شجاعتُه ونجابتُه، وكانت معظمُ الفتوحات على يديه، ويكفيه فخراً وشرفاً أنَّ الرسولَﷺ سمَّاه (سيفاً) من سيوف اللَّه، سلَّه اللَّهُ على المشركين، وقد كان مقتلُ أهلِ الرِّدَّة على يديه، ومات في فراشه بحمص من بلاد الشام سنة إحدى وعشرين هجرية، وكان يقول: لقد شهدتُ الحروبَ والمعاركَ، وما في جسدي موضعُ أربعِ أصابعَ، إلَّا وفيه ضربةٌ بسيف، أو طعنةٌ برمح، وها أنا اليوم أموت على فراشي، كما يموتَ الجبناء، فلا قرَّت أعينُ الجبناء!

ما يُستفاد من الحديث

في هذا الحديث الشريف عَلَمٌ من (أعلام النبوَّة)، فقد أخبرﷺ أصحابه بما حدث للمسلمين في (غزوة مؤتة)، قبل أن يرجع الجيشُ، ويخبروا الرسولَ بما حدث، من استشهاد القادة الثلاثة، فقال لهمﷺ: **استُشهد (زيد) ثم (استشهد (جعفر) ثم استُشهد (ابنُ رواحة) ثم حمَلَ الراية (خالدُ بن الوليد) سيفٌ من سيوف اللَّه، فجاء النصرُ للمسلمين على يديه).**

وكانﷺ يبكي على الشهداء الأبرار، وجاء الأمرُ كما أخبر صلوات اللَّه وسلامه عليه، ولا شك أنَّ هذا الخبرَ، من أعلام نبوتهﷺ، لأنَّ فيه ذكرَ أخبارهم، وما حدث للجيش من مصائبَ وكوارثَ، وهذه الأخبارُ مِن الأمور الغيبية.

لطيفة

قال الحافظ ابنُ حَجَر: كان لخالد بن الوليد قَلَنْسوة ـ أي عِمَامة ـ يلبسها في

الحرب، وحين اعتمر رسولُ اللَّه ﷺ حَلَق رأسَه، فابتدر الناسُ شَعَره، يأخذونه تبرُّكاً، قال: فسبقتُهم إلى ناصيته ـ أي شعر مقدَّم الرأس ـ فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً أو معركةً ـ وهي معي ـ إلَّا رُزقتُ النصر!! اهـ فتح الباري ٧/ ٩٨.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه دليلٌ على صدق النبوة، حيث أخبر ﷺ عمَّا حدث للجيش، من استشهاد القادة الثلاثة، قبل أن يصلَ الخبرُ إلى المسلمين.

الثاني: وفيه حزنُ الرسول ﷺ وبكاؤُه على ما جرى للمسلمين في تلك الغزوة، وجوازُ البكاء على الشهيد، فقد حَزِنَ رسولُ اللَّه ﷺ على مقتلهم، وبكى عليهم.

الثالث: وفيه منقبةٌ عظيمةٌ (لخالد بنِ الوليد)، حيث سمَّاه الرسول ﷺ سيفاً من سيوف اللَّه، سلَّه اللَّه على المشركين.

أقول: رَحِم اللَّهُ (خالدَ بنَ الوليد)، وأسكنه فسيح جناته، فقد شهد المعارك والفتوحات مع الرسول ﷺ ومع بعض الخلفاء الراشدين، وأعزَّ اللَّه به جيوشَ المسلمين، وأعلى رايةَ الإيمان والتوحيد، والعجيبُ في أمره أنه ـ قبل إسلامه ـ هو الذي تسبَّب في هزيمة المسلمين في (غزوة أحد)، حيث جاء المسلمين من خلف الجبل، وأوقع فيهم الهزيمَة، والقتلَ، والدمار، وفي (غزوة مؤتة) بعد شهرين من إسلامه، جاء النصرُ على يديه، دون أن يكون له إمارةٌ، من القائد الأعلى (محَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّه) ﷺ، وأثنى الرسولُ عليه، بقوله: (**ثم أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوف اللَّه، حتى فتح اللَّه عليهم**).

بابُ (مَنَاقِب سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ رضي اللَّه عنه)

٣٧٥٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ فَبَدأَ بِهِ ـ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ». قَالَ: لَا أَدْرِي بَدَأَ بِأُبَيٍّ أَوْ بِمُعاذٍ).

شرح الألفاظ

(اسْتَقْرِؤُوا القُرْآنَ) أي اطلبوا قراءة القرآن، على وجه الإتقان من أربعة أنفس من أصحابي.

(مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ) أي مملوكَهُ الذي كان عنده، والمولى يأتي بمعنى السيِّد، وبمعنى العبد المملوك، وكان «سالمٌ» مولى لامرأةٍ من الأنصار، فتبنَّاه (أبو حذيفة) لمَّا تزوَّج بها، فنُسب إليه. اهـ فتح الباري ٧/ ١٠٢.

شرحُ الحديث

أوصى رسولُ اللَّه ﷺ أن يُؤخذ القرآنُ عن أربعة أشخاص من الصحابة، كانوا من المتقنين للقرآن، المجيدين لتلاوته، وهم: «عبد اللَّه بن مسعود» المقرئُ، الفقيهُ، الثَّبتُ، وبدأ ﷺ به.

ثم ذكر «سالماً» وهو مولى (أبي حُذيفة بنِ عُتْبة) وقد كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، كان عارفاً بالقرآن، متقناً لتلاوته، وكان يؤمُّ المسلمين المهاجرين بقُباء، لمَّا قدموا المدينةَ من مكة، وشهد (سالمٌ) بدراً، واستُشهد بحرب (اليَمَامة) في قتالِ (مسيلمةَ الكذَّاب) مدَّعي النبوَّة، وأتباعِهِ المصدِّقين لنبوَّته.

ثم ذكر ﷺ **(أبيَّ بنِ كَعْب)** وهو من خيرة الصحابة، وقُرَّائها المتقنين، الذين يعلِّمون المسلمين القرآنَ، وهو المبشَّرُ على لسان رسول اللَّه ﷺ، حيث قال له ﷺ مبشِّراً: **(إنَّ اللَّه أمرني أن أقرأ عليك** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البينة: ١]﴾ أي سورة البيِّنة. قال أُبيٌّ: وسمَّاني لك؟ قال: **(نعم)**، فبكى «أبيٌّ» رضي اللَّه عنه، من شدة السرور، كما في البخاري.

ثم ذكر ﷺ **(معاذَ بْنَ جَبَل)** رضي اللَّه عنه، صاحبُ المناقب السامية، فهؤلاء الأربعة أئمة القُرَّاء في عَصْرِ النبيِّ ﷺ، الذين أمر الرسولُ ﷺ أصحابه القراءة عنهم لعظيم ضطهم وإتقانهم.

قال الحافظ ابنُ حجر: وتخصيصُ هؤلاء الأربعة بأخذِ القرآن عنهم، إمَّا لأنهم كانوا أكثر ضَبطاً له، وأتقنَ لأدائه، أو لأنهم تفرَّغوا لأخذه من رسولِ اللَّه ﷺ مشافهةً، وتصدَّوا لأدائه من بعده، فلذلك نَدَبهم ﷺ إلى الأخذ عنهم، لا أنه لم يجمعه غيرهم .اهـ فتح الباري ٧/ ١٠٢.

ولمَّا جاء ذكرُ (عبد اللَّه بن مسعود) في جملة القُرَّاء لكتاب اللَّه، قال (عبدُ اللَّه

بنُ عَمْرِو بنِ العَاصِ): إنَّ هذا الرجلَ، لا أزال أحبُّه، بعدما سمعتُ من رسول اللَّه ﷺ هذا الحديث.

٣٧٥٩ _ [طرفه في: ٣٥٥٩]، تقدّم شرحُه.

٣٧٦٠ _ [طرفه في: ٣٧٥٨]، تقدّم شرحُه.

٣٧٦١ _ [طرفه في: ٣٢٨٧]، تقدّم شرحُه.

٣٧٦٢ _ [طرفه في: ٦٠٩٧]، انظر شرح الحديث رقم ٣٧٤٣.

٣٧٦٣ _ [طرفه في: ٤٣٨٤]، انظر شرح الحديث رقم ٣٧٤٣.

٣٧٦٤ _ [طرفه في: ٣٧٦٥]، قيل لابن عباس رضي اللَّه عنهما: أنَّ معاوية رضي اللَّه عنه، أوتى بعد العشاء بركعة واحدة، فقال: «دَعْهُ فإنَّهُ صَحِبَ رَسُولَ اللَّه ﷺ».

فيه إشارة إلى مكانة معاوية رضي اللَّه عنه، فإنه من علماء الصحابة، كما دل عليه الحديث التي وفيه قول ابن عباس رضي اللَّه عنهما: «إنّهُ نقيه».

٣٧٦٥ _ [طرفه في: ٣٧٦٤]، تقدّم شرحُه في الحديث السابق رقم ٣٧٤٦.

٣٧٦٦ _ [طرفه في: ٥٨٧]، تقدّم شرحُه.

٣٧٦٧ _ [طرفه في: ٩٢٦]، تقدّم شرحُه، في الحديث رقم ٣٧٢٩.

٣٧٦٨ _ [طرفه في: ٣٢١٧]، تقدّم شرحُه.

٣٧٦٩ _ [طرفه في: ٣٤١١]، تقدّم شرحُه.

٣٧٧٠ _ [طرفه في: ٥٤١٩، ٥٤٢٨]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٣٧٧٣.

٣٧٧١ _ [طرفه في: ٤٧٥٣، ٤٧٥٤]، انظر شرح الحديث ٣٧٧٣.

٣٧٧٢ _ [طرفه في: ٧١٠٠، ٧١٠١]، انظر شرح الحديث التالي رقم ٣٧٧٣.

بابُ (فَضْلِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ رضي اللَّه عنها)

٣٧٧٣ _ عَنْ عَائِشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: (أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاساً مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَدْرَكَتْهُم

الصَّلاةُ فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضوءٍ، فَلَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ، فَقَالَ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: جَزَاكِ اللَّه خَيْراً، فَوَاللَّهِ ما نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ، إِلَّا جَعَلَ اللَّه لَكِ مِنْهُ مَخْرَجاً، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمينَ فِيهِ بَرَكَةً).

[طرفه في: ٣٣٤].

شرح الألفاظ

(اسْتَعَارَتْ عِقْداً) العِقْدُ: الطَّوقُ الذي تضعه المرأةُ في عنقها، تتحلَّى به، و(أسماءُ) هي أختُ السيدة عائشة بنت (أبي بكر الصدِّيق).

(فَهَلَكَتْ) أي فَقدَت وأضاعت ذلك العقدَ، في تلك السَّفرة، التي كانت فيها مع رسول اللَّه ﷺ.

(ما نَزَلَ بكِ أَمْرٌ) أي ما وقعتِ في ضيقٍ وشدَّة، إلَّا جعل اللَّهُ لك منه فرجاً ومخرجاً. وفيه ثناءٌ على أمِّ المؤمنين، السيدة (عائشة) رضي اللَّه عنها.

حديثُ السيدة عائشةَ أنها (استعارت قلادةَ من أختها أسماء).

هذا الحديث له تتمةٌ ذكرها الإمامُ البخاريُّ، وهي: (أنَّ أُسَيْدَ بنَ حُضير قال لعائشة: جزاكِ اللَّهُ عنَّا خيراً، فواللَّهِ ما نزل بك أمرٌ قطُّ ـ أي تكرهينه ـ إلَّا جعل اللَّهُ لكِ منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة) يريد أنَّ نزول آية التيمم، كان بسبب تلك القصة.

أورد الإمامُ البخاريُّ بضعةَ أحاديث، في فضل أمِّ المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها.

الأول: **منها حديث: (فضلُ عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام).**

الثاني: **ومنها حديثُ سلام جبريلَ عليها، ولفظُه: (يا عائشةُ هذا جبريلُ يُقْرِئكِ السَّلامَ)**، فقالت: وعليه السلامُ ورحمةُ اللَّه وبركاتُه، تَرَى يا رسولَ اللَّه ما لا أرى).

الثالث: ومنها حديث أمِّ سَلَمة **(يا أمَّ سَلَمةَ، لا تؤذيني في عائشة، فإنه واللَّهِ ما نزلَ الوحيُ عليَّ، وأنا في لِحَافِ امرأةٍ منكنَّ غيرها).**

الرابع: **ومنها حديثُ (مرض النبيِّ ﷺ ووفاتُه في بيت عائشة**، فقد رُوي (أنه ﷺ

لمَّا كان في مرضه، جعل يدور على نسائه، ويقول: **(أينَ أنا غداً؟)** حرصاً على بيت عائشة، قالت: فلمَّا كان اليومُ الذي عندي، قَبَضَه اللَّهُ، بين سَحْري ونَحْري) أي بين صدري وعُنقي

كلامُ الحافِظِ ابن حَجَر

وفضائلُ أمِّ المؤمنين (عائشة) لا تحصى، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في بيان فضلها، والتعريف عنها كلاماً حسناً فقال:

عائشةُ هي الصدِّيقةُ بنتُ الصِدِّيق، وأمُّها «أمُّ رومان» كان مولدها في الإسلام، قبل الهجرة بثمان سنين)، وانتقل رسولُ اللَّه ﷺ إلى جوار ربِّه، وعمرُها ثمانية عشر عاماً، وقد حفظتْ عنه الشيءَ الكثير، وعاشت بعد قريباً من خمسين سنة، وقد أخذ الناسُ عنها العلمَ الجمَّ، ونقلوا عنها من الأحكام، والآدابِ شيئاً كثيراً، حتى قيل: إن رُبْعَ الأحكام الشرعية، منقولٌ عنها رضي اللَّه عنها، وكانت وفاتُها في خلافة (معاوية) سنة ثمانٍ وخمسين، ولم تلد للنبيِّ ﷺ ولداً، وقد كنَّاها ﷺ بابن أختها (عبدِ اللَّه بن الزبير) فقال لها الرسولُ ﷺ: **(هذا عبدُ اللَّه، وأنتِ أمُّ عبدِ اللَّه)** اهـ فتح الباري ٧/ ١٠٧.

٣٧٧٤ ـ [طرفه في: ٨٩٠]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٤٤٩.

٣٧٧٥ ـ [طرفه في: ٢٥٧٤]، تقدّم شرحُه.

٣٧٧٦ ـ [طرفه في: ٣٨٤٤]، انظر شرح الأحاديث التالية.

باب (مَناقِبِ الأَنْصارِ رضوانُ اللَّه عليهم)

٣٧٧٧ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أنها قالَتْ: (كانَ يَوْمُ بُعَاثَ يَوْماً قَدَّمَهُ اللَّه لِرَسُولِهِ ﷺ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدِ افْتَرَقَ مَلأُهُمْ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِّحُوا، فَقَدَّمَهُ اللَّه لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الإِسْلامِ).

[طرفه في: ٣٨٤٦، ٣٩٣٠].

شرح الألفاظ

(بُعاثٌ): مكانٌ بأطراف المدينة، كانت فيه وقعةٌ عظيمة بين (الأوس) و(الخزرج)، حتى كاد يفني بعضُهم بعضاً، ثم جاءهم اللَّهُ بالإسلام، فألَّف بين قلوبهم، وجمع اللَّه به شملهم، وكان قبل الهجرة بخمس سنين.

(قدّمهُ اللهُ لرسولِهِ) أي جعل ذلكَ اليوم نصرةً لرسوله، ليدخلوا في الإسلام، حيث تفرَّقوا، وتشتَّتوا، بسبب تلك الحرب المدمَّرة.

(افترق ملؤهُمْ) أي تفرَّقت جماعتُهم، فلم يَعُدْ لهُمْ مرجعٌ من القادة والعظماء.

(وقُتِلتْ سرواتُهُمْ) أي قُتل أشرافُهم، جمعُ سَرَاة، وهو الشريفُ النفيس، قال الشاعر:

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ ... ولَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

شرحُ الحديث

قبل هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة بخمس سنين، حَصَلَتْ حربٌ طاحنة بين قَبيلة (الأوس) وقبيلةِ (الخزرج) قُتل فيها رؤساهم وزعماؤهم، وكاد يُفني بعضُهم بعضاً، مع أنهم جميعاً أولادُ عمومةٍ، فلمَّا قُتل فيهم الأشرافُ والزعماء، ضعفت شوكتُهم، ورأوا في الإسلام، ما يجمع كلمَتهم، ويوحِّدُ صفوفهم، فدخلوا في الإسلام طائعين، وقد ذكَّرهم اللَّه عزَّ وجل، بنعمته عليهم بهذا الدين العظيم، بقوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ولذلك جعل اللَّهُ ذلك اليوم سبباً لدخولهم في الإسلام، إذْ لو كان أشرافُهم أحياءَ، لاستكبروا عن متابعة الرسول ﷺ، ومَنَعَهم حبُّ الرئاسة، عن الانضواء تحت راية الإسلام، فكان ذلك من جملةِ مقدِّمات الخير لهم، كما تقول السيدة عائشة رضي اللَّه عنها (فقدَّمه اللَّه لرسوله ﷺ) أي إرادةً للخير بهم، فجمعهم اللَّه بالإسلام، وألَّف بين قلوبهم.

ما يُستفاد من الحديث

في الحديث فضلُ نعمة اللَّه على الأنصار، حيث هداهم اللَّه إلى الإسلام، فأصبح حبُّهم علينا واجباً، لأنهم نصروا رسول اللَّه ﷺ، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: (حبُّ

الأنصار من الإيمان، وبُغْضُ الأنصار من النفاق) اللهمَّ ارزقنا حبَّهم وشفاعتهم يومَ لقائك يا أرحم الراحمين.

٣٧٧٨ ـ [طرفه في: ٣١٤٦]، تقدّم شرحُه.

باب (لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءً مِنَ الأَنْصَارِ)

٣٧٧٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِياً، أَوْ شِعْباً، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلا الْهِجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ».

[طرفه في: ٧٢٤٤].

شرحُ الحديث

هذا طرفٌ من حديثٍ أخرجه البخاري، ولفظُه كما في الصحيح الجامع، عن أنس رضي اللَّه عنه (أنَّ الأنصارَ قالوا يومَ فتح مكة ـ وقد أعطى قريشاً من الغنائم ـ إنَّ هذا لهو العَجَبُ! إنَّ سيوفنا تقطر من دماء قريش، وغنائِمُنَا تُردُّ عليهم!

فبَلَغ ذلك النبيَّ ﷺ، فدعا الأنصارَ فقال لهم: (ما الذي بلغني عنكم؟) ـ وكانوا لا يكذبون ـ فقالوا: هو الذي بَلَغك.

فقال لهم ﷺ: (يا معشر الأنصار، أَوَلا ترضون أن يرجعَ الناسُ بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول اللَّه ﷺ إلى بيوتكم).

ثم قال لهم: (لولا الهجرةُ لكنتُ امرءَ من الأنصار، ولو سلكَت الأنصارُ وادياً، أو شِعْباً ـ أي طريقاً في الجبل ـ لسلكتُ واديَ الأنصار، أو شِعْبهم).

ومعناه: أنَّ الأنصارَ بلغوا من الكرامة مبلغاً عظيماً، وهو أنه ﷺ لو لم يكُنْ من المهاجرين، لَعَدَّ نَفْسَه من الأنصار.

وفي بعض الروايات الصحيحة: قالوا: رضينا، رضينا.

قال أبو هريرة: (مَا ظَلَمَ رسولُ اللَّه ﷺ بأبي وأمِّي، آوَوْه ونَصَروه)! أي أفديه

بأبي وأمّي، ما أنقصهم قدرَهم، ولا جَحَد فضلَهم، بل أنصفَهم، لأنهم آوَوْه ونصروه، وواسَوْه بالمالِ مع أصحابه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه ذكرُ مناقب الأنصار، ونيلِهم أسمى الفضل والدرجات، بدخولهم في الإسلام، ومحبتهم لرسول اللَّه ﷺ، ونصرتهم له.

الثاني: وفيه تطييبُ خاطرهم، بأنَّ الرسولَ ﷺ لو لم يكن من المهاجرين، لكان في زمرةِ الأنصار، وسلوك طريقهم.

الثالث: وفيه تحقيرُ قدْرِ الغنائم، التي نالتها قريشٌ، تأليفاً لقلوبهم، ومقدارُ الفضل الكبير، الذي ناله الأنصارُ، برجوعهم إلى مساكنهم وبيوتهم، بصحبة رسول اللَّه ﷺ، وشتَّان شتَّان بين من يفوز بقليلٍ من الدنيا، وبين من يرجع ويفوز بأشرف الخلق سيِّد المرسلين ﷺ، فيعود به إلى داره ومسكنه. ولهذا قالوا: رضينا، رضينا. !

وإنها لمنقبةٌ عظيمة للأنصار رضوان اللَّه عليهم، وقد أثنى اللَّه عليهم، بقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٣٧٨٠ ـ [طرفه في: ٢٠٤٨]، تقدّم شرحُه.

٣٧٨١ ـ [طرفه في: ٢٠٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٧٨٢ ـ [طرفه في: ٢٣٢٥]، تقدّم شرحُه.

١٧ باب (حُبّ الأَنْصَارِ مِنَ الإِيمَانِ)

٣٧٨٣ ـ عَنْ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: (الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّه، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّه).

شرحُ الحديث

أثنى الرسولُ ﷺ على الأنصار ثناءً عاطراً، ومَدَحهم على نصرتهم له ﷺ، ولأتباعه المهاجرين، ووضَّح ﷺ أنَّ برهان صدقِ الإيمان، أنه لا يحبُّ الأنصار إلَّا مؤمنٌ صادقٌ، ولا يبغضُهم إلَّا منافقٌ واضح، فمن أحبَّهم أحبَّه اللَّه، ومن أبغضَهُم أبغضه اللَّه، وقد جعلَ اللَّه علامةَ الإيمانِ: حبَّ الأنصار، وعلامةَ النفاق: بُغْضَ الأنصار، كما ورد ذلك في الصحيح من الأخبار.

السَّببُ في محبَّة الأنصار

والسببُ في هذا: أنَّ على سواعد الأنصار نهضَتْ دولةُ الإسلام، وبنصرتهم لرسول اللَّه ﷺ، وإيوائهم له ولأصحابه عزَّ دينُ اللَّه، وارتفعت رايتُه، فقد كان المسلمون في مكة مستضعفين مضطهدين، وأوذوا، حتى اضطروا إلى الهجرة، ولم يكن لهم من يُؤيهم وينصرهم ويواسيهم، حتى وجدوا في المدينة وطناً لهم يحميهم، ولهذا جَمَعَ اللَّهُ الخيرَ للمهاجرين والأنصار، في قوله سبحانه عن المهاجرين ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وقال تعالى عن الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وكفى بهذا ثناءً على المهاجرين والأنصار.

٣٧٨٤ ـ [طرفه في: ١٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ لِلأَنْصارِ: أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ)

٣٧٨٥ ـ عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (رَأَى النَّبِيُّ ﷺ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ ـ قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ عُرُسٍ ـ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مُمْثَلاً فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ». قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ).

[طرفه في: ٥١٨٠].

اللغة

(مُمْثَلا) أي منتصباً، واقفاً على قدميه ﷺ، ابتهاجاً بأفراحهم.

شرحُ الحديث

لمَّا هاجر ﷺ إلى المدينة المنورة، استقبله أهلُها بالأهازيج والأغاريد، وهم يرفعون أصواتهم بالفرحة والسرور بمقدم الرسول ﷺ، وهم يردِّدون:

طَلَعَ البَدْر عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ

ولمَّا رأى الرسولُ ﷺ أولادَ الأنصار ونساءهم راجعين من حفلة عُرْسٍ، وقف على رجليه فرحاً بهم، وهو يقول: (اللهمَّ اشهدْ أنهم من أحبِّ الناس إليَّ) وكرَّرها ﷺ ثلاث مرات.

قابَلَهم ﷺ **حُبًّا بِحُبٍّ، ووفاءً بوفاء،** فقد فرحوا غاية الفرح بمقدمه ﷺ، وفرحَ عليه السلام برؤيتهم، وهم راجعون من فرحة العرس، وهذا هو شأنُ من لا ينسى الإحسانَ والجميل، فصلواتُ ربي وسلامُه، على من عرَّف أمته ردَّ الإحسان، إلى من يُظهِرَ المحبَّة والخير للناس، تأنيساً لهم وتطميناً.

وأورد البخاريُّ روايةً أخرى عن أنسٍ، وهو الحديث التالي:

(جَاءَت امرأةٌ مِن الأَنْصَار إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ، ومعهَا صَبِيٌّ لها، فَكَلَّمَهَا ﷺ فَقَال لها: **(والذي نفسي بيده، إنكم أحبُّ الناس إليَّ)،** قالها مرتين) من البخاري.

قال الحافظُ ابنُ حجر: (فَكَلَّمَهَا رَسُولُ اللَّه) أي أجابها عمَّا سألته، أو ابتدأها بالكلام، تأنيساً لها .اهـ فتح الباري ٧/ ١١٤.

ما يُستفاد من الحديث

أولاً: فيه حبُّ الرسولِ ﷺ الشديدُ للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأهليهم.

ثانياً: وفيه الوفاءُ من الرسول ﷺ لمن قابله بالحبِّ والإجلال، حين هجرته عليه السلام إليهم.

وفيه إظهارُ السرور والفرح، بأعراس الأنصار، وإقرارُه لهم بأفراح عرسِهم.

٣٧٨٦ ـ [طرفه في: ٥٢٣٤. ٦٦٤٥] انظر شرحه في الحديث (٣٦٧٥).

بابُ (فَضْلِ دُورِ الأَنْصَارِ)

٣٧٨٧ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (قَالَتِ الأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِكُلِّ نَبِيٍّ أَتْبَاعٌ، وَإِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاكَ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ أَتْبَاعَنَا مِنَّا. فَدَعَا بِهِ، فَنَمَيْتُ ذَلِكَ إِلَى ابْنِ أَبِي لَيْلَى. قَالَ: قَدْ زَعَمَ ذَلِكَ زَيْدٌ).

[طرفه في: ٣٧٨٨].

اللغة

(أَتْبَاعٌ) أي نسلٌ وذريَّةٌ من أبنائهم وأَحْفَادِهم.

(فَنميتُ) أي نسبتُ ذلك القول إلى (زيدِ بنِ أرقم) رضي اللَّه عنه.

شرحُ الحديث

لمَّا دعا رسولُ اللَّه ﷺ للأنصار، وأوصى بهم خيراً، قالت الأنصارُ: يا رسولَ اللَّه: لقد آمنَّا بك واتَّبعناك، فاجعل أبناءنا، ومن يأتي من بعدهم من الذرية، أتباعاً لنا، يقال لهم الأنصارُ، حتى تتناولهم وصيَّتُك بالإحسان إليهم، فقال ﷺ: **(اللهم اجعلْ أتباعَهم منهم)** وقد جعل اللَّه الخير والبركة فيهم، وفي أتباعهم إلى يوم القيامة، ببركة دعاء النبيِّ ﷺ، بتلك الدعوة المباركة التي دعا لهم بها.

٣٧٨٨ ـ [طرفه في: ٣٧٨٧]، تقدّم شرحُه.

٣٧٨٩ ـ [طرفه في: ٣٧٩٠، ٣٨٠٧. ٦٠٥٣]، سيأتي شرحه في الحديث التالي رقم ٣٨٩١.

٣٧٩٠ ـ [طرفه في: ٣٧٨٩]، تقدّم شرحُه.

❁ ❁ ❁

بابٌ (أَفْضلُ بُيوتِ الأَنْصارِ دارُ بَني النَّجّارِ)

٣٧٩١ ـ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ خَيْرَ دُورِ الأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمّ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي الحَارِثِ، ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ.

فَلَحِقْنَا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ خَيَّرَ الأَنْصَارَ، فَجَعَلَنَا أَخِيراً؟ فَأَدْرَكَ سَعْدٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خُيِّرَ دُورُ الأَنْصَارِ فَجُعِلْنَا آخِراً، فَقَالَ: «أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الخِيَارِ!؟»).

شرح الحديث

أثنى رسولُ اللَّه ﷺ على بيوت الأنصار، وأهلِهَا، وفضَّل بعضَ أهلِها على بعض، بحسب سَبْقهم للإسلام، ونصرتِهم لرسولِ اللَّه ﷺ، وسعيِهم في إعلاءِ كلمة اللَّه، فجعَلَ أفضلَ دور الأنصار (دارَ بني النجّار) وهم من الخزرج، ثم (دورَ بني عبد الأشهل) وهم من الأوس، ثم (دور بني الحارث) وهم من الأوس، ثم (دورَ بني ساعدة) وهم من الخزرج، ثم عمَّم ﷺ جميعَ بيوت الأنصار، فقال: **(وفي كلِّ دور الأنصار خير)**.

كان سعدُ بنُ عبادةَ غائباً، فلمَّا بَلَغه أنَّ الرسول ﷺ جَعَلهم في آخر بيوت الأنصار، جاء إليه متلطِّفاً في عتابه، فقال: يا رسولَ اللَّه فضَّلتَ دورَ الأنصار، فجعلتنا في آخرهم! فقال له ﷺ: **(ألَا يكفيكم أن تكونوا من الأفاضل!؟ فقد فُضِّلتم على كثيرين)**!! فبيوتُ الأنصار كثرةٌ كثيرة، لا يكادون يُحصون عدداً، فكونُهم ذُكروا في الأفاضل، فإنه لهم شرفٌ عظيم، وكرامةٌ لا يضاهيها كرامة أخرى.

قال الحافظ ابن حجر: وكونُ بني ساعدة ـ الذين منهم سَعْدٌ ـ رضي اللَّه عنه من الخيار أي الأفاضل، لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضلُ، كأنَّ المفاضلةَ بينهم، حدثت بسبب السَّبْقِ إلى الإسلام، وبسببِ مساعيهم، لإعلاء كلمة اللَّه، أمَّا (بنو النجّار) فإنهم أخوالُ رسولِ اللَّه ﷺ، وعندهم نَزَلَ رسولُ اللَّه ﷺ، لمَّا قدم المدينة، فلهم مزيَّةٌ على

غيرهم، وأنسٌ كان منهم، فله مزيد عناية بحفظ فضائلهم اهـ فتح الباري ٧/ ١١٧.

باب (قَوْلِ النَّبِيِّ لِلأَنْصَارِ: (اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوني عَلَى الحَوْضِ)

٣٧٩٢ ـ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَما اسْتَعْمَلْتَ فُلَاناً؟ قَالَ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»).

[طرفه في: ٧٠٥٧].

شرح المفردات

(ألا تَسْتَعْمِلُني)؟ أي تجعلني عاملاً على الصدقة، أو والياً على بلدة.

(أَثرة): أي استئثاراً بنعيم الدنيا، يختصُّون بالأموال دونكم، ولا يشركونكم معهم في زهرة الدنيا، بل يخصُّون بها أنفسهم، والمقرَّبين لهم.

شرح الحديث

هذا رجلٌ من الأنصار يرجو من رسول اللَّه ﷺ، أن يجعله موظفاً على بعض شئون المسلمين، أو والياً على بلدةٍ من البلدان، فيخبره الرسولُ ﷺ، بأنه سيأتي أناسٌ يخصُّون أنفسهم وأقاربهم، بمتاع الدنيا ونعيمها، دون غيرهم من المسلمين، وقد وقع الأمرُ كما أخبر الصَّادقُ المصدُوقُ ﷺ، فرأينا من يحوز على أموال الدولة، كأنها ملكٌ لهم، ورثوها عن آبائهم، ويمنعون غيرَهم من الاستمتاع، بما يخرجه اللَّه لهم من كنوز الأرض، ومعادنها وثرواتها، ويأمر النبيُّ ﷺ الصحابةَ بالصبر، على ما يلقَوْن من استئثار الحكام، ببعض ذلك الحطام، فإنَّ الدنيا فانية، والآخرة هي الباقية ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨] حتى يلقى المؤمنُ رسولَ اللَّه ﷺ على حوض الكوثر، الذي أعدَّه اللَّه لرسوله وأتباعِهِ الفقراء والمساكين.

٣٧٩٣ ـ [طرفه في: ٣١٤٦]، تقدّم شرحُه.

٣٧٩٤ ـ [طرفه في: ٢٣٧٦]، تقدّم شرحُه.

٣٧٩٥ ـ [طرفه في: ٢٨٣٤]، تقدّم شرحُه.

٣٧٩٦ ـ [طرفه في: ٢٨٣٤]، تقدّم شرحُه.

٣٧٩٧ ـ [طرفه في: ٤٠٩٨، ٦٤١٤]، تقدم شرحه في الحديث رقم ٢٨٣٤.

باب (قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩])

٣٧٩٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ: (أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: ما مَعَنا إِلَّا الماءُ، فَقالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضُمُّ ـ أَوْ يُضِيفُ ـ هذا؟». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقالَتْ: ما عِنْدَنا إِلَّا قُوتُ صِبْيانِي. فَقَالَ: هَيِّئِي طَعامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذا أَرادُوا عَشاءً. فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا، فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُما يَأْكُلانِ، فَباتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: «ضَحِكَ اللَّه اللَّيْلَةَ ـ أَوْ عَجِبَ ـ مِنْ فَعَالِكُما».

فَأَنْزَلَ اللَّه تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

[طرفه في: ٤٨٨٩].

شرح الألفاظ

(خَصاصَةٌ) أي حاجةٌ وفقرٌ، إلى الشيء الذي يعطونه لغيرهم.

(بَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ) أي يطلب منهنَّ ما يُطعم به الضيف.

(مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ) أي ما عندنا شيء من الطعام إلّا الماء.

(مَنْ يُضِيفُ هَذَا)؟ أي من يأخذه ضيفاً عنده هذه الليلة؟

(أَصْبِحي سِرَاجَكِ) أي أوقديه ونوِّريه، ثم قومي فأطفئيه، بعد أن تضعي الطعام أمام الضيف، ونشعره أننا نأكل معه.!

(فَبَاتَا طَاوِيَيْن) أي بات الرجل وزوجتُه، طاويَيْن على الجوع، حتى شبع الضيف.

ذكرُ القصَّةِ العجِيبة

نزلت هذه الآية الكريمة في قصَّةِ الصحابيِّ «أبي طلحة» الذي أطعم ضيفه، وترك نفسه وأهلَه وأولاده جياعاً ـ وهي قصةٌ فريدة في دنيا الإيثار ـ تُعطينا صورةً مشرقةً وضيئة، على ما كان عليه صحابةُ رسولِ اللَّه ﷺ، من التحلِّي بالفضائل، وإيثار غيرهم على أنفسهم، بدرجة لا يوجد لها مثيلٌ، عند أمةٍ من أمم الأرض.

هذا أعرابيٌّ من البادرية قدم على رسول اللَّه ﷺ، وقد اشتدت به الفاقة وعضَّه الجوعُ، حيث مرت عليه ثلاثة أيام ولم يدخل إلى بطنه شيءٌ من الطعام، يأتي مستنجداً برسولِ اللَّه ﷺ، يطلب منه العونَ، والطعامَ، فيرسل الرسولُ ﷺ إلى أزواجه، يسألهنَّ هل عندكم طعام لهذا الضيف؟ فتجيبه كلُّ واحدة، واللَّهِ يا رسولَ اللَّه، ما عندنا اليومَ طعامٌ إلا الماء.

فيقول ﷺ لأصحابه: من يُضيف هذا الليلةَ يرحمه اللَّه؟ فيقول (أبو طلحةَ الأنصاريُّ): أنا يا رسول اللَّه، فيذهب إلى أهله ويقول لها: هذا ضيفُ رسول اللَّه ﷺ أتانا، فلا تدَّخريه شيئاً من الكرامة والطعام، فتقول له: واللَّهِ ما عندي اليومَ إلَّا قوتُ الصِّبية، فماذا أصنع؟ فيتفق معها على أن تنوِّمهم دون عشاء، وأن تأتيه بالطعام، فتضعه أمام الضيف، فيقول لها زوجها: ارفعي لنا نور السراج، فتذهب فتطفئه، وتتظاهر بأنها لا تجد ما توقد به المصباح. ويجلس (أبو طلحة) مع زوجته، يوهمان الضيف أنهما يأكلان معه، ويطويان بطونهما على الجوع، من أجل أن يشبع الضيفُ.

وفي الصباح يذهب (أبو طلحة) مع ضيفه إلى الرسول ﷺ، وقد سبقهما الوحيُ، بما فعل هذا الصحابي مع زوجته، فحين يراه ﷺ يبتسم في وجهه، ثم يقول له: لقد عجبَ اللَّهُ من صنيعكما الليلةَ بضيفكما، وتنزل هذه الآية الكريمة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] أي ولو كان بهم فاقةُ وحاجة إلى الطعام)، وانظر القصة كاملة في (فتح الباري على صحيح البخاري) من كتاب التفسير ٧/ ٦٣١.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف ما كان عليه الصحابةُ رضوان اللّه عليهم من الفاقة والفقر وشدَّة البؤس.

الثاني: وفيه ما كانوا عليه من الإيثار، وتفضيلِ غيرهم على أنفسهم، وهي منقبة عظيمة للأنصار.

الثالث: وفيه بيانُ فضيلة (أبي طلحة) الأنصاري، حيث بات جائعاً هو وزوجته، وأولاده، ليكرم ضيفه.

الرابع: وفيه حالةُ أزواج النبيِّ ﷺ، وصبرهم على ما هم عليه من ضيق العيش، مع أنه خيرُ الخلق ﷺ، وإمامُ الزاهدين، حيث لم يوجد في بيوت أزواجه كلهنَّ في ذلك اليوم شيء من الطعام إلَّا الماء.

تنبيهٌ لطيف

قال الحافظُ ابنُ حجر: قولُه ﷺ: **(لقد عَجِبَ اللّهُ من صنيعكما أو ضحكَ)** إطلاقُ العَجَب على اللّه محال، والمرادُ لازمُه، وفيه معنى الرضا، فكأنه قال: إنَّ ذلك الصَّنيعَ، حلَّ من الرضا عند اللّه، حلولَ العَجَب عندكم، فالمراد به الرضا عمَّن فعل ذلك، وكذلك الضَّحك يُراد به لازمُه، لأنَّ الضحك لا يصحُّ على اللّه عزَّ وجل اهـ فتح الباري ٨/ ٦٣٢.

قال الخطَّابيُّ: تأويل الضحك بالرضا أقرب من تأويله بالرحمة ـ كما ذهب إليه البخاري ـ لأن الضحك من الكرام يدلُّ على الرضا، فإنهم يوصفون بالبِشْر عند السؤال .اهـ فتح الباري ٨/ ٦٣٣.

بابُ قَوْلِ النبيِّ ﷺ: (اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِم، وتَجَاوَزُوا عَنْ مُسيئِهِمْ)

٣٧٩٩ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أنه قال: (مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللّه عَنهُمَا، بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ، وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قالُوا: ذَكَرْنَا مَجلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا.

فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

شرح الألفاظ

(وَهُمْ يَبْكُونَ) أي كان الأنصار يبكون خشية أن يفقدوا الرسول ﷺ في مرضه، فبكَوْا حزناً عليه.

(عَصَبَ على رَأْسِهِ) أي شدَّ رأسه بعصابةٍ، حيث كان ﷺ مريضاً، واشتدَّ به ألمُ الرأس.

(كَرِشِي وعَيْبَتِي) أي الأنصارُ بطانتي وخاصَّتي، وموضعُ سرِّي ونجواي، وهو مثَلٌ بديع رائع، مثَّل لهم بالكَرِش الذي فيه معدةُ الإنسانِ، والعَيْبَةُ: هي الخزانةُ التي يضع فيها الإنسانُ أَنْفَسَ ثيابه، وهذا من الكلام الموجز البديع، حيث شبَّههم بالخزانة التي تُوضع فيها الملابسُ الفاخرة، والبطْنُ الذي يحوي الطعامَ، بطريقة (التشبيه التمثيلي).

(فَاقْبَلُوا مِنَ مُحْسِنِهِمْ) أي اقبلوا من الأنصار، ما يكون منهم من إحسان، وسامحوهم إذا حَصَل منهم إساءة.

شرحُ الحديث

لـمَّا اشتـدَّ الـمرضُ برسولِ اللَّه ﷺ جلس بعض الأنصار يبكون على رسول اللَّه ﷺ، خشية أن يفقدوه في مرضه هذا، ويفقدوا الخيرَ بفقده، ومرَّ عليهم (أبو بكر الصدِّيق)، و(العباسُ بنُ عبد المطلب)، فسألوهم ما الذي يبكيكم؟ فقالوا: نخشىٰ على رسول اللَّه ﷺ أن لا نراه، ونفقد مجلسه بعد مرضه هذا. فدَخَل أبو بكر على رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّه إخوانك الأنصارُ، جلسوا يبكون عليك، فاخرجْ إليهم ليَرَوْك، ويطمئنوا على صحتك.

فخرج ﷺ وقد شدَّ على رأسه عصابةً من شدة الألم، وكانت هذه آخر مرة رآه الصحابةُ فيها وهو على المنبر، فخطب في الناس، مثنياً على الأنصار، موصياً بهم

أصحابه، فقال لهم: (**أوصيكم بإخوانكم الأنصار، فإنهم بطانتي وخاصَّتي، وموضعُ سرِّي وأمانتي، وقد قدَّموا الكثير من الفضل والإحسان، وبايعوني يوم العقبة، وحَمَوْني ونصروني، وآووا من معي من المهاجرين، فوفَّوْا بوعدهم، وبقي لهم ما وعدتُهم به، وهو دخولُهم الجنة، فأوصيكم أن تَقْبَلوا الفضلَ من محسنهم، وتصفحوا عن مسيئهم، فحقُّهم عليكم عظيم، لأنهم نصروا الدِّينَ، وواسوا إخوانهم المهاجرين**).

وكانت هذه آخر ما رأى فيها الصحابةُ رسولَ اللَّه ﷺ على المنبر.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: الثناءُ على الأنصار، وما كانوا عليه من المحبة والإيثار، لإخوانهم المهاجرين.

الثاني: وفيه بيانُ محبةُ الأنصار العظيمةُ لرسول اللَّه ﷺ، حيث جلسوا يبكون عليه حين مَرِض، خشيةَ فراقه لهم.

الثالث: وفيه مواساةُ الرسولِ ﷺ للأنصار، على مواقفهم النبيلة، مع النبي ﷺ حيث آووه ونصروه.

الرابع: وفيه مقابلةُ الإحسان بالإحسان، والعفوُ والصفح عمَّا يصدر عن بعضهم من إساءة، وفيه تعظيمُ فضلهم على المهاجرين.

ويؤيِّده الحديث التالي ذكرُه الذي رواه البخاري.

بابُ (فَضْلِ الأَنْصَارِ)

٣٨٠٠ ـ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّه قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ، مُتَعَطِّفاً بِهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ دَسْمَاءُ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ، وَتَقِلُّ الأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا كالمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْراً، يَضُرُّ فِيهِ أَحَداً، أَوْ يَنْفَعُهُ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ»).

[طرفه في: ٩٢٧].

شرح الألفاظ

(**عِصَابَةٌ دَسْماءُ**) أي لفافة تميلُ إلى السواد، لكنها ليست خالصةَ السواد، قد حزم ﷺ بها رأسَه، وهذا الحديث يؤكِّد الحديث السابق ويؤيده.

وفيه بيانُ مكانةِ الأنصار، ووجوبُ الإحسان إليهم، والعطفُ عليهم. ولذلك كانت محبتهم من الإيمان، وبغضُهم من النفاق، كما قال ﷺ: (حُبُّ الأَنْصَار من الإيمان، وبُغْضُهُمْ منَ النِّفاقِ) أخرجه الترمذي.

وقد أوصى ﷺ بهم وشبَّههم بالملح الذي يكون في الطعام، ينفعه ويُصلحه، وأخبر (أنَّ الأنصار يقلُّون، والناسُ يكثرون).

قال البدر العيني: الأنصارُ بايعوا الرسولَ ﷺ ونصروه، وهو أمرٌ انقضى زمانُه، بحيث لا يلحقهم اللَّاحقُ، ولا يُدرك شأنَهم السابقُ، وكلَّما مات منهم أحد، مضى من غير بدل، فيكثُر غيرُهم، ويقلُّون، وتشبيهُهم بالملح تشبيه بديع، لأنَّ الملحَ جزءٌ يسير، وفيه صلاحُ الطعام، فكذلك الأنصارُ وأولادُهم من بعدهم، جزءٌ يسير بالنسبة للمهاجرين وأولادِهم، الذينَ انتشروا في البلاد، وملكوا الأقاليم، والذين ملكوا من بعد النبي ﷺ من الخلفاء الراشدين، كلُّهم من المهاجرين، وكذلك الذين ملكوا من (بني أميَّة) ومن (بني العباس) كلُّهم من أولاد المهاجرين .اهـ. عمدة القاري ٢٦٦/١٦.

٣٨٠١ ـ [طرفه في: ٣٧٩٩]، تقدّم شرحُه.

٣٨٠٢ ـ [طرفه في: ٣٢٤٩]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَنَاقِبِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه)

٣٨٠٣ ـ عَنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: (اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سعْدِ بْنِ مُعَاذٍ).

شرحُ الحديث

هذه منقبةٌ عظيمة لسعدِ بن معاذ، سيِّد الأوس وكبيرهم، أسلَمَ على يد

(مُصْعبِ بنِ عُمَير) لمَّا أرسله النبيُّ ﷺ إلى المدينة، يعلِّم المسلمين القرآنَ، فلمَّا أسلم جاء إلى قومه من بني الأشهل ـ وكان كبيرَهم ورئيسَهم ـ فقال لهم: كلامُ رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ، حتى تُسلموا، فلم يبق أحدٌ من عشيرته، إلَّا دخل في الإسلام، فكان أعظمَ الناس بركةً على قومه.

ولمَّا تُوفِّي اهتزَّ عرشُ الرحمٰن، سروراً واستبشاراً بقدومه، كما أخبر ﷺ ذلك عنه، لمنزلته الرفيعة في الملأ الأعلى.

ورُوِيَ أنَّ جبريل عليه السلام، أتىٰ النبيَّ ﷺ حين قُبض سعد، فقال: (من هذا الذي فُتحت له أبواب السماء، واستبشر أهلُها بوفاته!؟).

وذُكر أنه لمَّا حُملت جنازةُ سعد، قال بعضُ الناس: ما أخفَّ جنازته؟ وبلَغَ النبيَّ ﷺ، فقال: **(إن الملائكة كانت تحمله)** كما ذكره الترمذي في سننه بسندٍ صحيح، وكان رضي اللَّه عنه رجلاً جسيماً، وكانت تفوح من قبره رائحةُ المسك.

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: الأحاديثُ التي تُصرِّح باهتزاز العرش مخرَّجةٌ في الصحيحين، وقد رُويت عن عشرةٍ من الصحابة أو أكثر، فلا معنى لإنكارها، فالعرشُ اهتزَّ فرحاً بقدومه، كما اهتزَّ جبلُ أُحُدٍ بالنبيِّ ﷺ وأصحابه (أبي بكر) و(عمر)، و(عثمان)، والمرادُ باهتزاز العرش: استبشارُه وسرورُه بقدوم روحه .اهـ فتح الباري لابن حجر ٧/ ١٢٤.

٣٨٠٤ ـ [طرفه في: ٣٠٤٣]، تقدّم شرحُه.

٣٨٠٥ ـ [طرفه في: ٤٦٥]، تقدّم شرحُه.

٣٨٠٦ ـ [طرفه في: ٣٧٥٨]، تقدّم شرحُه.

٣٨٠٧ ـ [طرفه في: ٣٧٨٩]، تقدّم شرحُه.

٣٨٠٨ ـ [طرفه في: ٣٧٥٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَنَاقِبِ أُبيِّ بْنِ كَعْبِ رَضِيَ اللَّه عنه)

٣٨٠٩ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لأُبَيِّ بن

كعب: إنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾» [البيّنة: ١]. قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَبَكَى رضي اللَّه عنه).

[طرفه في: ٤٩٥٩، ٤٩٦٠، ٤٩٦١].

شرح الحديث

(أُبيّ بن كَعْب) هو أبو المنذرِ الأنصاريُّ الخزرجي، سيِّدُ القُرَّاء، وأقرأُ الصحابة، لَقِيَهُ ﷺ فقال له مبشِّراً: إنَّ اللَّه أمرني أن أقرأ عليكَ هذه السورة: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة: ١] فقال له أُبيٌّ: يا رسولَ اللَّه وسمَّاني لكَ؟ قال: **(نعم، سمَّاكَ باسمك، واسم أبيك في الملأ الأعلى)** فلمَّا سمع ذلك (أُبيٌّ) بكى فرحاً وسروراً، بهذه الكرامة العظمى له من اللَّه تعالى، فإنَّ ذكر اسمه بين الملائكة الأطهار من جهة الملِكِ الجبَّار، فضيلةٌ عظيمة، لم يشاركه أحد من الناس فيها، تدلُّ على عظيم قدرِهِ عند اللَّهِ تعالى.

قال القرطبي: تعجَّب أُبيٌّ من ذلك، لأنَّ تسميةَ اللَّهِ له وتعيينَهُ ليقرأَ عليه النبيُّ ﷺ، تشريفٌ عظيم له، ولذلك بكى من شدة الفرح والسرور، وخصَّ هذه السورة بالذِّكر، لِمَا اشتملت عليه من التوحيد، والإخلاص، وذكر الكتُب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام، وما فيها من ذكر الصلاةِ، والزكاةِ، والمعادِ، وبيانِ أهلِ الجنة والنار، ومع وجازتها، فإنها سورة عظيمة. اهـ تفسير القرطبي.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ فضيلةِ الصحابيِّ (أُبيِّ بن كعب) رضي اللَّه عنه، لكونه أقرؤأ الصحابة لكتاب اللَّه تعالى، كما في حديث: **(أقرؤُكم أبيٌّ، وأفرضُكم زيد بن ثابت)** الحديث.

الثاني: وفيه أنَّ عَرْضَ القرآنِ على الغير سُنَّةٌ متَّبعة، فقد كان ﷺ يقرأ القرآنَ على الصحابة، ويحبُّ أن يسمعه منهم، كما في حديث ابن مسعود: (أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: **(اقرأ عليَّ القرآنَ)** قلتُ: يا رسول اللَّه، عليكَ أقرأُ وعليك نزل!..) الحديث، أخرجه البخاري.

الثالث: وفيه مشروعيةُ التواضعِ في أخذ الإنسانِ العلمَ من أهله، وإن كان دونَه،

وبيانُ فضيلةِ حَمَلةِ القرآن، فإنهم سادةُ الأمة، كما في حديث (**أشراف أمتي حَمَلةُ القرآن**).

بابُ (مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي اللَّه عنه)

٣٨١٠ ـ عَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: (جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: (أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. قلتُ لأنسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي).

[طرفه في: ٣٩٩٦، ٥٠٠٣، ٥٠٠٤].

شرح الألفاظ

(جَمَعَ القُرْآنَ) أي استظْهَره حفظاً عن ظهر القلب، مع الإتقان للتلاوة، أربعة أشخاص.

(أَحَدُ عُمُومَتِي) أي هو أحدُ أعمامي.

شرحُ الحديث

(زيدُ بنُ ثابت) رضي اللَّه عنه هو: كاتبُ الوحي لرسول اللَّه ﷺ، وأحدُ فقهاء الصحابة، حفظَ القرآنَ وأتقنه، وشهدَ العرضةَ الأخيرةَ للقرآن في رمضان، وأحكمَ الفرائضَ، وشهد غزوةَ الخندق وغيرها من الغزوات، ونال شرفَ رئاسةِ اللجنةِ التي جَمَعَتْ القرآنَ الكريم، في عهد الخليفتين (أبي بكر)، و(عثمان) رضي اللَّه عنهما، وهو من الأنصار من قبيلة الخزرج.

سبب ذكر الحديث

ذَكَرَ في كتاب الاستيعاب: أنَّ (الأوسَ والخزرج) ـ وكلُّهم من الأنصار ـ افتخروا، **فقالت الأوسُ**: منَّا غسيلُ الملائكة «حنظلةُ» والذي حَمَتْه الدَّبْرُ «عاصمٌ»

والذي اهتزَّ لموته العرشُ «سعدٌ» والذي جعل الرسولُ ﷺ شهادتَه بشهادة رجلين «خُزيمةُ» رضي الله عنهم أجمعين.

وقال الخزرج: منَّا أربعةٌ جمعوا القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ: (معاذُ بنُ جبل)، و(أُبيُّ بنُ كعب)، و(زيدُ بن ثابت)، و(أبو زيد) أحدُ أعمام أنسِ بنِ مالك، واسمُه «قيسُ بنُ السَّكَن بنُ حَرَام الأنصاري».

قال البدر العيني: ولا يلزم من قول أنس: جَمَعه أربعة، ألَّا يكون جَمَعه غيرُهم، ولعلَّه أراد أنه لم يقع جمعُه، لأربعةٍ من عشيرة واحدة، إلَّا لهذه القبيلة، وهي الأنصار. اهـ عمدة القاري للعيني ١٦/ ٢٧٣.

بابُ (مَنَاقِبِ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه)

٣٨١١ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِياً شَدِيدَ الْقِدِّ، يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: «انْثُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ». فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ عائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، تُفْرِغانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ، إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثاً).

[طرفه في: ٢٨٨٠].

شرح الألفاظ

(مُجَوِّبٌ عَلَيْه بِحَجَفَةٍ) الحَجَفةُ: التُّرسُ من جلدٍ، إذا لم يكن عليه خشبٌ،

ومرادُه: أنَّ (أبا طلحةَ) رضي اللَّه عنه، كان متترِّساً على رسولِ اللَّه ﷺ بجسمه، ليدفع عنه سهامَ الأعداء، فجعل نفسه كالتِّرس للرسول ﷺ.

(شَدِيدُ القِدِّ) أي يشدُّ على وَتَر القوس بقوةٍ عند الرمي، ليكون أوقعَ في جسم العدوِّ، والقِدُّ: السيرُ من الجلد، ومن شدة الرَّمي انكسر بين يديه ثلاثةُ أقواس.

(وَمَعَهُ الجَعْبَةُ) بفتح الجيم، وهي الآلةُ والمحفظةُ التي تُوضع فيها السهامُ، والنَّبلُ: السهامُ.

(انْثُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ) أي ضعْها بين يديْ (أبي طلحة)، واجعلها معه، لكونه يُتْقنُ الرميَ.

(فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ) أي وقف على قدميه، ينظر إلى الأعداء، فقال له أبو طلحة: اجلسْ يا رسولَ اللَّه لئلا يصيبك سهمٌ منهم.

(نَحْرِي دُونَ نحري) أي أجعلُ صدري كالتُّرس لصدرك، وأحميك بنفسي، فإذا جاء السهمُ يصيب عُنُقي، ولا يُصيب عُنُقَك.

(أرىٰ خدَم سُوقِهِمَا) يقول أنس: كنتُ أرىٰ عائشة أمَّ المؤمنين، وأمَّ سُلَيْم زوجة أبي طلحة، مشمِّرتان عن أقدامهما، أرى الخلخال الذي تتزين به النساء في أرجلِهما بادية، وكان هذا قبل نزول آيات الحجاب.

(تَنْقُزانِ القِرَبَ) أي تَنْقُلانِ قِرَبَ الماء على أكتافهما، لسقي المسلمين، في تلك المعركة الحامية الشديدة.

شرح الحديث

غزوة أُحُد كانت درساً قاسياً للمسلمين، فبعد انتصارهم الرائع على المشركين، جاءتهم الهزيمةُ المؤلمةُ، بسبب مخالفتهم أَمْرَ الرسولِ ﷺ، حيث أوصىٰ الرماة ألَّا يتركوا الجبلَ، مهما كان الأمرُ، من نصرٍ أو هزيمة، ولكنَّ الرماة لمَّا رأوا المسلمين يجمعون الغنائم، تركوا الجبلَ ونزلوا لجمع الغنائم، فجاءهم البلاءُ والهزيمةُ، وأعملَ المشركون السيوفَ في رقابهم، فولَّوا الأدبار منهزمين.

ولَمْ يبقَ مع رسولِ اللَّه ﷺ إلَّا عددٌ قليل، وقصدَ المشركون رسولَ اللَّه ﷺ يريدون قتله، وجاءته السهامُ من كل جانب، فألقى (أبو طَلْحَةَ الأنصاريُّ) نفسَه على رسول اللَّه ﷺ يحميه من الأعداء، وكان يقول للرسول ﷺ: نَحْري دون نَحْرك، وصدري دون صدرك، لا ترفع نفسك يا رسول اللَّه، أخشى عليك من سهام المشركين.

واشترك في هذه الغزوة النساءُ مع الرجال، فكانت النساءُ تملأ قُرَب الماء، يسقين المرضى والجرحى، والرجالُ منهم من يقاتل، ومنهم من يمعنُ في الفرار، وقد استُشهد في هذه المعركة (٧٠)، سبعون من كبار الصحابة الأبطال، ثم صرف اللَّهُ وجوهَ الأعداء عن المسلمين، وأعاد للمسلمين النَّصرَ، بعد أن كاد رسولُ اللَّه ﷺ أن يُقتل، وأنزل اللَّه ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه منقبة عظيمة لأبي طلحة الأنصاريِّ، حيثُ فدى رسولَ اللَّه ﷺ بجسده، وكانت السهامُ تنزل على ظهره.

الثاني: وفيه أنَّ مخالفة قائد الجيش «محمد ﷺ» كانت سبباً لانكسار جيش المسلمين.

ثالثاً: وفيه جوازُ مشاركة النِّساء للرجال في المعاركِ الحربية، كسَقْي الماءِ، ومداواةِ الجرحى، وحملِ المصابين في الغزوات.

رابعاً: وفيه بيانُ قوة شجاعة (أبي طلحة) حيث تكسَّرت ثلاثةُ سيوف في يده، وهو يناضل عن رسول اللَّه ﷺ.

خامساً: وفيه أنَّ الواجبَ على المسلم أن يبذل روحَه ونفْسَه، فداءً لرسول اللَّه ﷺ، فقد قال سبحانه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] أي أحقُّ بالمؤمنين من أنفسهم، ونصرتُه أوجبُ عليهم من نصرة أهليهم وأولادهم.

بابُ (مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ)

٣٨١٢ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأحقاف: ١٠]).

شرح الحديث

قِصَّةُ إِسْلَامِ ابْنِ سَلَام

عبد اللَّه بنُ سلام، كبيرُ أحبار اليهود في المدينة المنوَّرة، ويعتبر المرجعَ الدينيَّ الأولَ لجميع اليهود، فقد كان أعلَمهم، وأعظَمهم، وأرفَعَهم مكانةً وقدراً.

أَسْلَمَ عَبدُ اللَّهِ بنُ سَلَام رضي اللَّه عنه، وكان لإسلامه قصَّةٌ عجيبةٌ غريبة، وهي: أن النبيَّ ﷺ لمَّا هاجر إلى المدينة أسرع الناسُ نحوه ليروه، ويسمعوا كَلَامَه، فكان ابنُ سلام أوَّلَ من أسرع، يقول: فلمَّا رأيتُه عرفتُ أنَّ وجهَه ليس بوجه كذَّاب، ثم أراد أن يمتحنه، فجاء إليه وقال: يا محمد، إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنَّ إلَّا نبي.

١ ـ سأله ما هو أوَّلُ أشراط الساعة ـ أي القيامة ـ الكبرى؟

٢ ـ وسأله ما هو أولُ طعام يأكله أهلُ الجنة؟

٣ ـ وسأله كيف يأتي الولدُ له شَبَهٌ بأبيه، أو بأمه؟

فأخبرَه ﷺ عنها جميعاً، فأعلنَ إسلامه، فقال: (أشهد أن لا إلٰه إلَّا اللَّهُ، وأشهد أنك رسولُ اللَّه).

ثم قال للرسول ﷺ: إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْتٌ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي يَبْهتُوني ـ أي يتهموني باتهامات فظيعة شنيعة ـ فأرسلْ إلى كبرائهم فاسألهم عنِّي، واجعلني وراء ستارة، ثم أخرجُ فأشهد لك بالرسالة أمامهم. فبعثَ النبيُّ ﷺ إليهم، فلمَّا حضروا عنده، سألهم: كيف حالُ ابنِ سلام فيكم؟ فقالوا جميعاً: هو خيرُنا وابنُ خيرنا، وسيِّدنا وابنُ سيِّدنا، وهو أعلمُ واحد عندنا، فقال لهم: أرأيتم لو أسلم؟ قالوا: أعاذَه اللَّهُ من ذلك ـ أي نجَّاه اللَّه وعَصَمه عن الدخول في الإسلام ـ.

فخرج عليهم ابنُ سلام، وقال لهم: يا معشر اليهود: هذا هو النبيُّ الذي بشَّرت به التوراة، وهو خاتم الأنبياء، المذكور صفتُه عندنا في التوراة، فأنا (أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسولُه) فآمنوا به واتَّبعوه، فَوَاللَّهِ إنه لنبيٌّ حقّ.

لم يخرجوا من مجلس النبي ﷺ حتى غيَّروا كلامهم فيه، فقالوا: مَنْ هذا؟ شرُّنا وابنُ شرِّنا، وأسفَهُنا وأجهلُنا! يكيلون له السِّبابَ والشتائم.

فقال عبدُ اللَّهِ بنُ سلام: هذا يا رسولَ اللَّه ما كنتُ أخافه وأخشاه منهم، وفيه

نزل القرآن الكريم، مثنياً على صدقه وإيمانه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] كما نزلت فيه الآية الكريمة الأخرى ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

ولهذا الثناء العاطر من ربِّ العزة والجلال، قال ﷺ: **(من أحبَّ أن ينظر لأحدٍ من أهلِ الجنة يمشي على وجه الأرض، فلْينظر إلى عبدِ اللَّهِ بنِ سلام)** وقصتُه في صحيح البخاري.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه فضيلةٌ عظيمة لعبد اللَّهِ بن سلام، حيث نزلت فيه آيتان كريمتان، تثني على إيمانه وصدقه.

الثاني: وفيه شهادةُ الرسول ﷺ له بالجنة، كما يؤيِّده ما نزل فيه من القرآن، وهذا غير العَشَرة المبشَّرين بالجنة.

الثالث: وفيه علوُّ قدره، ورفعةُ منزلته عند اللَّه تعالى، إذْ قَرَنَ تعالى شهادته بشهادته: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] وقد أجمع المفسرون، على أنَّ الآية نزلت في (عبد اللَّه بنِ سلام) رضي اللَّه عنه.

بابُ (رُؤْيا عَبدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ وَقصِّها عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

٣٨١٣ ـ عَنْ عبد اللَّه بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (رَأَيْتُ رُؤْيا عَلى عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ ـ ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا ـ وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ، وَأَعْلاَهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقَهْ، قُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي مِنْصَفٌ، فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي، فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَاهَا، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ: (الإِسْلَامُ)، وَذَلِكَ الْعَمُودُ: (عَمُودُ الإِسْلَام)، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ (عُرْوَةُ الْوُثْقَى)، فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلَامُ حَتَّى تَمُوتَ) وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ).

شرح الألفاظ

(رَأَيْتُ رُؤْيا) أي رؤيا منامية رآها (عبد اللّه بنُ سَلَام) وهو نائم، فلما استيقظ قصَّها على النبيِّ ﷺ ففسَّرها له ﷺ بأنه يحيا، ويموت على الإسلام.

(فِي رَوْضَةٍ) أي في بستان واسع، كثيرِ الأشجار والخُضْرة.

(ارْقَهْ) أي اصعدْ على هذا السُّلَّم، وارتفعْ إلى الأعلى عليه، والهاءُ فيه تسمَّى هاءَ السَّكت.

(أَتَانِي مِنْصَفٌ) بكسر الميم وسكون النون، ومعناه: الخادمُ، يعني جاءه خادم من خلفه، فرفع ثيابه، وقال: اصعَدْ.

وجاء في بعض روايات البخاري: وَصِيفٌ بدل مِنْصَف، والوصيفُ: الخادمُ الصغير.

(العُرْوةُ الوُثْقى) أي الحَبْلُ القويُّ المُحْكم، والمراد به حبلُ الإسلام المتين، قال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

سبب ذكر الحديث

هذا الحديثُ له سبب، ذكره البخاري ومسلم في صحيحيهما، ولفظُه: عن «قيسِ بن عُبَادٍ» أنه قال: (كنت جالساً في مسجد المدينة، فدخل رجلٌ على وجهه أثرُ الخشوع، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة، صلَّى ركعتَيْن، تجوَّز فيهما ـ أي خفيفتين ـ ثم خرج فتبعتُه، فدخل منزلَه ودخلتُ معه، فتحدثنا قليلاً، فلمَّا استأنس قلتُ له: إنك حين دخلتَ المسجد، قال رجل: هذا من أهل الجنة. فقال: سبحان اللّه! ما ينبغي لأحدٍ أن يقول ما لا يعلمُ. وأحدِّثك لِمَ ذلك؟ رأيتُ رؤيا على عهد النبي ﷺ. . .) ثم ذكر الحديث.

شرح الحديث

هذه الرؤيا فيها بشارةٌ عظيمة لهذا الصحابيِّ الجليل، الذي كان قبل إسلامه يهوديًا، بل كان أعلمَ أحبار اليهود، ولمَّا أسلم أنكر عليه كبراءُ اليهود ذلك، وطعنوا في علمه ودينه، ونزل القرآنُ الكريمُ، يُثْني على إيمانه، وإخلاصه، وصدق يقينه.

أمَّا الرؤيا فقد رأى في منامه، أنه دخل روضةً خضراء زاهية، فيها من جميع

أنواع الثمار والفواكه، ورأى من سَعَتها وخضرتها ما يُدهش الأبصار، ورأىٰ في وسط الروضة عموداً عالياً، يرتفع جهة السماء، في أعلاه حبلٌ متينٌ، فجاءه مَلَك بصورة رجل، فقال له: اصعدْ على هذا العمود، وأمسكْ بالحبل.

فقال له عبد اللَّه: لا أستطيع الصعود عليه، فأتاه خادمٌ، فرفع ثيابه، ورفَعه وبقي يرتفع به، حتى أمسكَ بالحبل، فلمَّا استيقظ وجَد يدَه مقبوضة كأنه لا يزال يمسكُ بالحبل، فقصَّ هذه الرؤيا على رسول اللَّه ﷺ، فبشَّره رسولُ اللَّه ببشارة عظيمة، وأوَّلَ له الرؤيا تأويلاً بديعاً، فقال له:

أمَّا الروضةُ: فهي بستانُ الإسلامِ، وأمَّا العمودُ الذي صعدتَ عليه: فهو عمودُ هذا الدين، الذي هداك اللَّه إليه، وستبقى متمسّكاً بالإسلام حتى تلقى اللَّهَ عليه، فتموتَ مسلماً وتدخلَ الجنة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ الرؤيا التي رآها كانت رؤيا حقٌّ، وقد أوَّلها له الرسولُ ﷺ تأويلاً حسناً، تتناسب مع تلك الرؤيا اللطيفة.

الثاني: وفيه تواضعُ (عبد اللَّهِ بن سلام)، حيث كره الثناء عليه، وأنكر ذلك عليهم بقوله: (سبحان اللَّهِ! لا ينبغي لأحد أن يقول ما لم يعلم) مع أنَّ الرسول ﷺ بشَّره بالجنة.

الثالث: وفيه التوثُّقُ من الخبر، بسؤال صاحبه عنه، ليتأكد من صحته، حيث تبعه «قيسٌ» وسأله عمَّا سمع من الناس، فأخبره عند ذلك بخبر الرؤيا.

٣٨١٤ ـ [طرفه في: ٣٤٢]، الحديث فيه دلالة على شدة ورع عبد اللَّه ورع عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه وابتعاده عن الربا.

٣٨١٥ ـ [طرفه في: ٣٤٣٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (تزَوّجِ النَّبيِّ ﷺ بِخَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا رضي اللَّه عنها)

٣٨١٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّه عَنهَا أنها قَالَتْ: (ما غِرْتُ عَلَى

امْرَأَةٍ لِلنبيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ اللَّه أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ. وَإِنْ كانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ).

[طرفه في: ٣٨١٧، ٣٨١٨، ٥٢٢٩، ٦٠٠٤، ٧٤٨٤].

شرح الألفاظ

(ما غِرْتُ) الغيرةُ: الحميَّةُ والأَنَفةُ من الغير.

(خَلَائِلِهَا) صديقاتها، جمعُ خليلةٍ أي صديقة محبَّة.

شرح الحديث

السيدة (خَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلد) أمُّ المؤمنين، أوَّلُ أزواج النبيِّ ﷺ، تزوَّجها ﷺ قبل النبوة، وعمرُهَا أربعون سنة، وعمرُه ﷺ خمس وعشرون سنة، وكانت تسمى في الجاهلية (الطَّاهرة) لودَاعتها، ولُطف أخلاقها، ولم يتزوج عليها حتى لقيتْ ربَّها، وكان ﷺ يحبُّها، ويكثِرُ ذكرها، ويُثني عليها حتى بعد وفاتها، فلذلك غارت السيدة (عائشةُ) منها، مع أنها لم ترها، وتجرَّأتْ ذات يوم، فقالت للرسول ﷺ: وهل كانت إلا امرأةً في غابر الزمان، قد أبدلك اللَّهُ خيراً منها!؟ - تعني نفسها - فغضب ﷺ وقال لها: **(لا واللَّهِ ما أبدلني اللَّه خيراً منها، آمنتْ بي إذْ كَفر الناسُ، وصدَّقتني إذْ كذَّبني الناسُ، وواستني بمالها إذْ حَرَمني الناسُ، ورزقني اللَّه الولد منها دون غيرها من النساء)**.

قالت عائشة: فلم أذكرها بعد ذلك بسُوءٍ.

وفي هذا الحديث وضّحت عائشةُ سببَ غَيْرتها من خديجة، فإنَّ رسول اللَّه ﷺ كان يذكرها، ويُكثر من ذكرها، وإذا ذبح شاةً يقطِّعها قطعاً، ثم يبعثها إلى صديقات خديجة، فدخلتها الغيرةُ من كثرة ذكره ﷺ إياها، وثنائه عليها، فقالت له ذلك، وحدوثُ الغَيْرة في النساء فِطْريٌّ، وهو غيرُ مستنكر، حتى من فُضْليات النساء، فإنَّ أصل الغَيْرة، منبعثٌ من شعور المرأة، بمحبَّة الرجلِ غيرَها من النساء، أكثرَ من محبته لها، فتحدث الغيرةُ، كما أنَّ كثرة الذِّكر، تدلُّ على كثرة المحبَّة، وقد كانت عائشةُ تغار من نساء النبيِّ ﷺ، ولكنَّ غَيْرتَها من خديجة كانت أكثرَ، لكثرة ذكرِ النبيِّ ﷺ لها، وهذا يزيد في غيرتها منها، لشعورها باستمرار حُبِّه لخديجة، حتى كان يتعاهد صويحباتها.

ولقد أعطاها الرسولُ ﷺ درساً، في واجب الوفاء لمن أحسن إليه، فخديجةُ تحمَّلتْ معه أعباءَ الدعوة، وصبرتْ على الشدائد، في سبيل تبليغه رسالةَ ربه، وكانت أولَ من أسلم من النساء، وواستْهُ بنفسها ومالها، وولدت له جميع أولاده (زينبَ، وأمَّ كلثوم، ورُقَيَّة، وفاطمة) من البنات. و(القاسمَ، والطَّاهر، والطيِّب) من البنين، ولم يكن له من سائر أزواجه ذريةٌ، إلَّا «إبراهيم» من مملوكته (مارِيةَ القِبْطِية)، فكيف ينسى رسولُ اللَّه ﷺ وفاءَها، وبرَّها وإخلاصها له، وهو أبُ البرِّ والوفاء؟ ولهذا كان ﷺ يقول في جوابه لها: **(كانت وكانت وكان لي منها ولد)** كأنه يقول: لقد كانت خديجة فاضلة، وعاقلة، ووفيَّة، ورزقني اللَّه منها الذرِّيَّة والبنين، دون سائر النساء.

وقد أورد البخاري عدة أحاديث في مناقب السيدة خديجة رضي اللَّه عنها، سيأتي ذكرُها عن قريب.

٣٨١٧ ـ [طرفه في: ٣٨١٦]، تقدّم شرحُه.

٣٨١٨ ـ [طرفه في: ٣٨١٦]، تقدّم شرحُه.

٣٨١٩ ـ [طرفه في: ١٨٩٢]، تقدّم شرحُه.

باب (بِشَارَةِ خدِيجَةَ ببَيْتٍ فِي الجَنَّة)

٣٨٢٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قالَ: (أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ).

[طرفه في: ٧٤٩٧].

شرح الألفاظ

(بَيْتٍ منْ قصبٍ) أي قصر من لؤلؤة مجوَّفة من لآلئ الجنة، والقَصَبُ: يراد به اللؤلؤُ المنظوم بالجواهر.

(لا صخبَ فِيه ولا نَصَبَ) أي لا لغو ولا عجيج فيه، ولا تَعبَ ولا عناء، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

شرح الحديث

هذا الحديث يدلُّ على كرامة السيدة خديجة، ومنزلتها عند اللَّه عزَّ وجلَّ، فقد أمرَ اللَّهُ رسولَه ﷺ ـ على لسان جبريل ـ أن يبلِّغَها سلامَ ربِّ العزة والجلال لها، وأن يُبَشِّرَها بقصرٍ مشيد لها في الجنة ليس كسائر القصور، بل هو من لؤلؤٍ مجوَّف، محلًّى بالدُّرِّ والياقوت، جزاءَ عونها لرسول اللَّه ﷺ على تبليغ رسالة ربه.

ويا لها من كرامة عظيمة، تفوق جميعَ العطايا والكرامات.

قصةٌ لطيفة

رُوي أنَّ فاطمة الزهراء سألت النبيَّ ﷺ قالت: (قلتُ: يا رسولَ اللَّه أينَ أمِّي خديجة؟ قال: «**في الجنة، في بيتٍ من قَصَب، لا لغوَ فيه ولا نَصَب، بين مريمَ وآسية امرأةِ فرعون**». قلتُ: يا رسول اللَّه أمِنْ هذا القَصَب؟

قال: «**لا، بل من القَصَب المنظوم، بالدُرِّ، واللؤلؤ، والياقوت**») أخرجه الطبراني، كذا في عمدة القاري ١٦/ ٢٧٩.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه فضيلةٌ لخديجة رضي اللَّه عنها لم يشاركها فيها أحد، وهي تسليمُ اللَّه عليها، وتبشيرُها ببيت في الجنة من اللؤلؤ المجوَّف.

الثاني: وفيه بيانُ عِظَم محبة الرسول ﷺ لها، حتى قال لعائشة لمَّا أغضبته: **(لقد رُزقتُ حبَّها، ورزقني اللَّه منها الولد)**.

الثالث: وفيه دليلٌ على عظيم قدرها عند الرسول ﷺ، وعلى مزيد فضلها، لأنها برعايتها له ﷺ قد أَغْنته عن غيرها، وقد كافأها الرسول ﷺ على هذا المعروف، بأنه لم يتزوج في حياتها غيرها، وبقي معها خمساً وعشرين سنة، حتى توفاها اللَّه تعالى.

تنبيه لطيف

قال الإمام النووي: في هذه الأحاديث دلالةٌ لحسن العهد، وحفظ الوُدِّ، ورعاية

حُرمة الصاحب والمعاشر، حَيًّا ومَيْتاً، وإكرامُ معارف الصَّديق والصاحب .اهـ فتح الباري على البخاري ٧/ ١٣٧.

ومن الأحاديث التي أوردها البخاري في مناقب السيدة خديجة رضي اللّه عنها، الحديث الآتي ذكره:

٣٨٢١ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أنها قَالتِ: (اسْتَأْذَنَتْ هالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ـ أُخْتُ خَدِيجَةَ ـ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةُ» قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّه خَيْراً مِنْهَا)!!

شرح الألفاظ

(عَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ) أي تذكَّر ﷺ السيدة خديجة، لشَبَهِ صوتِ (هالَة) لصوت خديجة رضي اللّه عنهما.

(فَارْتَاعَ لِذَلِكَ) أي تغيَّر حالُه، واهتزَّ سروراً بمقدم (هالة)، أختِ السيدة خديجة رضي اللّه عنها.

(اللَّهُمَّ هَالَةُ) أي يا اللّهُ اجعلْها (هالَة) أختَ خديجة. شوقاً لرؤية أخت زوجه.

(فَغِرْتُ مِنْهَا) أي غارت عائشةُ من خديجة، مع أنها ميِّتةٌ لم ترها، ولم تلتق بها!

(حَمْرَاءُ الشِّدْقَيْنِ) أرادت بذلك أنها كبيرة هرمة، سقطت أسنانها، حتى ظهر منها حُمرُة اللِّثة لشيخوختها، والمرادُ وصفُها بكبر السِّنِّ، وهذا انتقاصٌ منها للسيدة خديجة.

غضب النبيُّ ﷺ من كلامها حين سمعها تقول: **(أبدلك اللّه خيراً منها)**، تعني قد أبدلك اللّه من العجوز، بفتاةٍ صغيرة السنِّ، حسناءَ جميلة، تريد نفسها، فردَّ عليها ﷺ بقوله: **(لا واللّهِ ما أبدلني اللّه خيراً منها)**. فعرفتْ عند ذلك مكانةَ (خديجة) من قلبِ المصطفى ﷺ، فقالت: والذي بعثك بالحقِّ، لا أذكرها بعد اليوم إلَّا بخير.

تنبيه لطيف

قال الطبري: (الغيرةُ من النساء جِبلَّةٌ فيهن، ولهذا يقع التسامح معهنَّ، ولا

عقوبة عليهن في تلك الحالة، لما جُبِلْنِ عليه من هذه العادة، ولهذا لم يزجر النبيُّ ﷺ عائشة في هذا القول، وإنَّما عَذَرها لصِغَر سِنَّها، وردَّ عليها بأنَّ اللَّه لم يبدله خيراً منها، وهو ردٌّ لطيف مهذَّب. . .).

ما يُستفاد من الحديث

الحديث بيانُ فضلِ السيدة خديجة. وفيه إكرامُ من له علاقةٌ بها بصداقةٍ أو قرابة. وفيه الوفاء لمن كانت وفيَّةً له مدى العمر.

٣٨٢٢ ـ [طرفه في: ٣٠٣٥]، تقدّم شرحُه.

٣٨٢٣ ـ [طرفه في: ٣٠٢٠]، تقدّم شرحُه.

٣٨٢٤ ـ [طرفه في: ٣٢٩٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ذِكْرِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ رضي اللَّه عنها)

٣٨٢٥ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أنها قالَتْ: (جاءَتْ هِنْدُ بنْتُ عُتْبَةَ، فَقالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ما كانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أحبَّ إليَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبائِكَ، ثُمَّ ما أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَن يَعِزُّوا منْ أَهْلِ خِبَائِكَ. قالَ: «وَأَيْضاً، وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ».

قالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالَنَا؟ قَالَ: «لَا أُراهُ إِلَّا بِالمَعْرُوفِ»).

[طرفه في: ٢٢١١].

شرح الألفاظ

(أَهْلُ خِبَاءٍ) الخِبَاءُ: الخيمةُ من الوَبَر، والمراد بها هنا: أهل بيت، أي لم يكن أحدٌ أكرهَ وأبغضَ عندي من أهل بيتك، كنَّتْ بذلك عن شدَّةِ بغضها للرسول ﷺ

ولأتباعه، والآن أنتَ أحبُّ عندي من كل شيء في الدنيا، و«هِنْدٌ» هذه زوجة أبي سفيان.

(وَأَنَا أَيْضاً) أي قال ﷺ: (وأنا أيضاً كنت أكرهك مع زوجك، لكفركما، والآن أحبُّكما لإيمانكما).

(رَجُلٌ مِسّيكٌ) أي رجل بخيل شحيح، لا يكاد ينفق عليَّ وعلى عياله.

(لَا أَرَاهُ إِلَّا بِالمَعْرُوفِ) أي قال لها ﷺ: لا أَرَى ذلكَ الإطعامَ، إلَّا بقدر الحاجة والضرورة، دون إسراف ولا تبذير.

شرح الحديث

(هندُ بنتُ عُتبة) هي زوجةُ أبي سفيان، وأمُّ معاوية، أسلمتْ هندٌ يومَ فتحِ مكة، وكانت شهدت مع زوجها أبي سفيان معركةَ أُحد، وهي التي حرَّضت «وحشي بنَ حَرْب» على قتل (حمزة)، عمِّ النبي ﷺ، لكونه قتَلَ عمَّها «شيبة» ولاكَتْ كبدَهُ من شدة غيظها، ولمَّا أسلمَتْ رضي اللَّه عنها، جاءت إلى رسولِ اللَّه ﷺ، جاءت تستفتيه عن حكمِ شرعي، ولكنَّها قدَّمتْ قبل ذلك اعتذاراً، فقالت: يا رسول اللَّه، واللَّهِ ما كان علىَ وجه الأرض أحدٌ أبغضَ إلى نفسي منك، ومن أهل بيتك! ولكنِّي اليومَ، واللَّهِ ما أحدٌ أحبَّ إليَّ منك، ومن أهل بيتك، إنَّ أبا سفيان رجلٌ بخيلٌ شديدُ البخل، فهل يجوز لي أن آخذَ من ماله بدون إذنه، ما أطعمُ به نفسي وعيالي؟ فقال لها ﷺ: **(خذي ما يكفيك وعيالَكِ بالمعروف، بقدر الحاجة والضرورة)**.

تنبيه لطيف

قال الحافظُ ابنُ حجر: وقولُه ﷺ: **(وأيضاً)** قال بعضُهم معناه: وأيضاً ستزيدين في المحبة، كلَّما تمكَّن الإيمانُ من قلبك، وترجعين عن البغض الساحق حتى لا يبقى له أثرٌ. اهـ فتح الباري ٧/ ١٤٥.

ما يُستفاد من الحديث

فيه أنَّ صاحبَ الحاجة يُستحبُّ له أن يقدِّم بين يدي حاجته اعتذاراً، إذا كان في نفس الذي يخاطبه عتبٌ عليه، وأنَّ المعتذرَ يُستحبُّ له أن يقدِّم ما يتأكَّد به صِدْقُه، عند من يعتذر إليه، لأن هنداً قدَّمت الاعترافَ بذكر ما كانت عليه من البغض الشديد،

ليعلم صدقها فيما ادَّعته من المحبَّة، وفيه وجوبُ النفقة للأولاد الصغار الفقراء، وقد كانت هند في منزلة أمَّهاتِ نساء النبيِّ ﷺ، لأن «أمَّ حَبِيبة» بنتُ زوجها (أبي سفيان)، هي إحدى زوجات النبي ﷺ .اهـ فتح الباري ٧/ ١٤٢.

باب (حَدِيث زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْل)

٣٨٢٦ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّه قال: (إنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ «زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ» بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلا آكُلُ إِلَّا ما ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ. وَأَنَّ زَيْد بْنَ عَمْرٍو، كانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّه، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّماءِ الماءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ! إِنْكَاراً لِذَلِكَ وَإِعْظَاماً لَهُ).

[طرفه في: ٥٤٩٩].

شرح الألفاظ

(بَلْدَح) مكانٌ في طريق التنعيم من جهة مكة، ديار بني فزارة، وقيل: هو وادٍ بمكة.

(أَنْصَابِكُمْ) جمع نَصَب وهي: حجارة عند الكعبة، كانوا يذبحون عليها للأصنام، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠].

(إِنْكَاراً لِذَلِك) أي كان يُنكر عليهم، ذلك العمل القبيح، ويستعظم ما يفعلون، مع أنه كان يعيش في الجاهلية.

شرح الحديث

(زيدُ بْنُ نُفَيْل) هو والدُ (سعيد بن زيد) أحدِ العشرة المبشَّرين بالجنة، كان في

الجاهلية على دين التوحيد، دين «إبراهيمَ» عليه السلام، لقيه رسولُ اللَّه ﷺ قبل أن يُوحى إليه، وقد قُدِّمت للنبيِّ ﷺ مائدةٌ، فيها شيء من اللحم، فأبى أن يأكل منها، فقدَّمها رسولُ اللَّه ﷺ لزيد، فأبى أن يأكلَ منها، وقال لهم زيدٌ: إني لا آكل ممَّا تذبحون على أصنامكم ـ وهذا يدلُّ على أنه كان على التوحيد دينِ الفطرة ـ. وكان يقول لقريش: عجيبٌ أمرُكم، هذه الشاةُ خَلَقها اللَّه، وأنزل لها الماءَ من السماء، وأنبت لها الزَّرعَ من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم اللَّه! مقبِّحاً لصنيعهم، منكراً عليهم، هذا العدوانَ الصريح!

ولزيدٍ هذا قصة عجيبة ذكرها البخاري في إحدى رواياته وهي: (أن زيداً سافر إلى بلاد الشام، يسأل عن الدِّين الحقِّ، ليتَّبعه ويعتنقه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن الدين الذي يدينُ به؟ ليدخل فيه، فقال له الحَبْر اليهوديُّ: لن تكون يهوديًّا على ديننا، حتى تأخذ نصيبَكَ من غضب اللَّه! فقال له زيد: إنني لا أفِرُّ إلَّا من غضب اللَّه تعالى، دلَّني على دينٍ آخر؟ فقال: أنا لا أعلمُ هذا الدينَ، إلَّا (دينَ إبراهيمَ)، كان حنيفاً مسلماً، ولم يكن يهوديًّا، ولا نصرانيًّا!.

فخرج زيد فمرَّ على عالمٍ من النصارى، فقال له مثل ما قال اليهوديُّ: إنك لن تكون على ديننا، حتى تأخذ نصيبك من غَضَب اللَّه، فقال له زيد: إنني ما خرجتُ إلَّا فراراً من غضب اللَّه، دلَّني على غير دينكم؟ فقال له: لا أعلمه إلا أن يكون دينَ إبراهيم، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولم يكن يعبدُ إلَّا اللَّهَ.

فلمَّا خرج من عنده، رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهمَّ إني أُشْهِدك أني على دين إبراهيم.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ «زَيدَ بن نُفيل» كان على الفطرة، لم يكن يعبد الأصنام، ولا يأكل مما ذُبح على الأصنام والأوثان، قال تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] أي ذُبح من أجل الأصنام والأوثان.

الثاني: وفيه أنَّه كان ذا بصيرة، لإنكاره على المشركين ما يفعلون، فالشَّاةُ خلقها اللَّه ورزقها، ثم هم يذبحونها، ولا يذكرون اسم اللَّه عند الذبح، بل يذبحونها للأصنام، وهذا عملٌ منكرٌ قبيحٌ، يخالف العقل.

تنبيه هام

من مآثر زيد الحميدة (أنه كان لا يشارك قومه، في قتل البنات كما يفعلون، بل كان يقول للرجل، إذا أراد أن يقتل ابنتَه: لا تقتُلْها، أنا أكفيكَ مؤنتَها، فيأخذها منه، فإذا ترعْرَعَتْ قال لأبيها: إن شئتَ دفعتُها إليك، وإن شئتَ كفيتُك مؤنتها) كما ذكره البخاري في حديثه عن أسماء. اهـ فتح الباري ٧/ ١٤٣.

٣٨٢٧ ـ انظر شرح الحديث السابق رقم ٣٨٢٦.

٣٨٢٨ ـ انظر شرح الحديث السابق رقم ٣٨٢٦.

٣٨٢٩ ـ [طرفه في: ٣٦٤]، تقدّم شرحُه.

٣٨٣٠ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٣١ ـ [طرفه في: ١٥٩٢]، تقدّم شرحُه.

٣٨٣٢ ـ [طرفه في: ١٠٨٥]، تقدّم شرحُه.

٣٨٣٣ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٣٤ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٣٥ ـ [طرفه في: ٤٣٩]، تقدّم شرحُه.

بابُ (أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الحَلِفِ بِالآبَاءِ)

٣٨٣٦ ـ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: (أَلَا مَنْ كانَ حالِفاً فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ». فَكانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بآبَائِهَا، فَقَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»).

[طرفه في: ٢٦٧٩].

شرح الحديث

كان الناسُ في الجاهلية يحلفون بآبائهم، فيقول الواحد: أحلف بأبي لا أفعل هذا، أو بأبي وأولادي سأفعلُ كذا، فنهى الإسلامُ عن الحلف بغير اللّه، لأنَّ الحلف

يقتضي تعظيمَ المحلوفِ به، وحقيقةُ العظمةِ مختصةٌ باللَّه تعالى، فلا أحدَ من الخلق يضاهي عظمةَ اللَّه تعالى.

سمع رسولُ اللَّه ﷺ في بعض مغازيه عمرَ يحلف بأبيه، فقال له ﷺ: **(إن اللَّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فلْيحلِفْ باللَّه، أو ليصْمُت)** رواه مسلم.

قال البدر العيني: ويكره الحلفُ بغير أسماء اللَّه تعالى وصفاته، وسواءٌ في ذلك النبيُّ، والكعبةُ، والملائكةُ، والأمانةُ، وغيرُ ذلك، ومن أشدِّها كراهةً الحلفُ بالأمانة، لأنها من أيمان الجاهلية.

فإن قلتَ: قد أقسم اللَّه بمخلوقاته، كقوله: (والصافات) و(الذاريات) و(الشمس) و(الليل) إلى آخره.

فالجواب: أنَّ للَّه أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته، تنبيهاً على شرفها وأهميتها .اهـ عمدة القاري ١٦/ ٢٩٢.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: حرمةُ الحلف بغير اللَّه عزَّ وجلَّ، أو صفةٍ من صفاته.

الثاني: أنَّ الحلف فيه تعظيمٌ للمحلوف به، وليس عند المسلم أعظمُ من اللَّه جلَّ وعلا، فلذلك لم يجز الحلفُ بغير اللَّهِ جلَّ جلالُه، أو بصفاته، كعزَّة اللَّه وعظمة اللَّه، وجلال اللَّه، وأمثال ذلك.

٣٨٣٧ ـ انظر شرح الحديث ١٣٠٨.

٣٨٣٨ ـ [طرفه في: ١٦٨٤]، تقدم شرحه هناك.

٣٨٣٩ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٤٠ ـ انظر شرحه من خلال النص.

بابُ (أَفْضَلُ بَيْتٍ قَالَهُ الشُّعَرَاءُ)

٣٨٤١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (أَصْدَقُ كَلِمَةٍ

قَالَها الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللَّه بَاطِلٌ. وَكادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ).

[طرفه في: ٦١٤٧، ٦٤٨٩].

شرحُ الحديث

«لبيدُ بنُ ربيعة» شاعرٌ من فحول الشعراء، أسلم رضي اللَّه عنه وحَسُن إسلامُه، وترك الشعرَ حين أسلم، وقد سأله الفاروقُ عمر عمَّا قاله من الشعر في الإسلام، فأجابه لقد أبدلني اللَّه بالشعر (سورةَ البقرة).

أثنى عليه رسولُ اللَّه ﷺ، وقال مادحاً لشعره: (**إنَّ أصدقَ بيت من الشعر، قاله الشعراء، بيتُ لبيد:**

أَلَا كُـلُّ شَـيْءٍ مـا خَـلَا الـلَّـهَ بَـاطِـلُ   وَكُـلُّ نَـعِـيـمٍ لَا مَـحَـالَـةَ زَائِـلُ)

سَكَن الكوفة وتُوفي بها في خلافة عثمان، وعاش مائةً وخمسين عاماً، وانظر فتح الباري لابن حَجَر ٧/ ١٥٣.

وإنَّما مدحه رسولُ اللَّه، وأثنى عليه، لأنَّ شعره كان في الإشادة بالتوحيد، والثناء على اللَّه، والبعثِ يوم القيامة.

وقولُه ﷺ عن أُميَّةَ بنِ الصَّلْت: (كَادَ أَنْ يُسْلِم) أي قَرُبَ أن يكون مسلماً، لكنَّه لم يُسلم، أسلم شعرُه، كما جاء في رواية مسلم عن (عَمْروِ بن الشريد عن أبيه) أنه قال: (رَدِفتُ النبيَّ ﷺ ـ أي ركبتُ خلفه على الدابة ـ فقال لي: (**هل معك من شعر أميَّةَ؟**) قلتُ: نعم، فأنشدتُه مائةَ بيت، فقال ﷺ: (**لقد كاد أن يُسلم شعره**)) ولفظُ «كاد» للمقاربة، أي قَرُب أن يكون شعرُه شعرَ مسلم.

لطيفة

قال الحافظ ابن حجر: وفي إيراد البخاري حديث: (**أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر كلمةُ لبيد**) تلميحٌ بما وقع لعثمانَ بن مظعون بسبب هذا البيت، مع ناظمه «لبيدِ بن ربيعةَ» قبل إسلامه، والنبيُّ ﷺ يومئذٍ بمكة، وقريش في غاية الأذى للمسلمين، فإنَّ «عثمانَ بنَ مظعون» لمَّا رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة، دخل مكةَ في جوار

(الوليد بن المغيرة)، فلمَّا رأى المشركين يؤذون المسلمين، وهو آمنٌ، ردَّ على الوليد جواره، فبينما هو في مجلسٍ لقريش، وقد وَفَد عليهم (لبيدُ بنُ ربيعة)، فقعد يُنشدهم من شعره، فقال لبيدٌ: (أَلَا كلُّ شيءٍ ما خَلَا اللَّهِ باطلُ) فقال له ابنُ مظعون: صدقتَ! فقال لبيد: (وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ) فقال له ابنُ مظعون: كذبتَ، نعيمُ الجنة دائمٌ، لا يزول.

فقال لبيد: يا معشرَ قريش: متى كان يؤذى جليسُكم؟ فقام رجلٌ منهم فلطَمَ عثمانَ، فانتفختْ عينُه، فلامَه الوليدُ على ردِّ جواره، وقال له: لقد كنتَ في ذمَّةٍ منيعة!! فقال عثمان: إنَّ عيني الأخرى لِمَا أصابَ أختها لفقيرةٌ!

فقال له الوليد: عُدْ إلى جوارك، فقال: بلْ أرضى بجوار اللَّه تعالى .اهـ فتح الباري ٧/ ١٥٣.

٣٨٤٢ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٤٣ ـ [طرفه في: ٢١٤٣]، تقدّم شرحُه.

٣٨٤٤ ـ [طرفه في: ٣٧٧٦]، تقدّم شرحُه.

٣٨٤٥ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٤٦ ـ [طرفه في: ٣٧٧٧]، تقدّم شرحُه.

٣٨٤٧ ـ تقدّم شرحُه في أحكام الحج.

٣٨٤٨ ـ تقدّم شرحُه في أحكام الحج.

٣٨٤٩ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٥٠ ـ انظر شرحه من خلال النص.

نَسَبُ النَّبِيِّ ﷺ

ذكر الإمام البخاري نسب النبيِّ الشريف فقال: هو (محمدُ بنُ عبد اللَّهِ، بنِ عبدِ المطَّلب، بنِ هاشم، بنِ عبد مَناف، بنِ قُصَيّ بنِ كلابٍ، بنِ مُرَّة، بنِ كعب، بنِ لؤي، بنِ غالب، بنِ فهر، بنِ مالك بنِ النضر، بنِ كنانة بنِ خزيمة، بن مدركة بن إلياس، بنِ مضرَ، بنِ نزارٍ، بنِ معدٍّ، بنِ عدنان).

هذا هو نسبُه الشريف ﷺ، كما هو متفق عليه بين المحدِّثين وأهلِ السِّيَر.

باب (مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ)

٣٨٥١ ـ عَنْ عبد اللَّه بْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّه قال: (أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ﷺ).

[طرفه في: ٣٩٠٢، ٣٩٠٣، ٤٤٦٥، ٤٩٧٩].

شرحُ الحديث

أنزل اللَّه تعالى الوحيَ على رسول اللَّه ﷺ وهو ابنُ أربعين سنة، فجاءته النبوَّةُ بمكة على رأس الأربعين من العُمُر، ومكثَ ﷺ يدعو الناسَ إلى الإسلام بمكةَ ثلاثَ عشرة سنة، ولم يؤمن معه إلَّا قليل، ثم هاجر إلى المدينة المنورة بأمر اللَّه تعالى، فمكث فيها عشر سنين، ثم انتقل إلى جوار ربه، وعمرُه ثلاث وستون سنة، فهذه حياتُه ﷺ من أول البعثة، إلى أن اختاره اللَّه تعالى إلى جواره الكريم.

٣٨٥٢ ـ [طرفه في: ٣٦١٢]، تقدّم شرحُه.

٣٨٥٣ ـ [طرفه في: ١٠٦٧]، تقدّم شرحُه.

٣٨٥٤ ـ [طرفه في: ٢٤٠]، تقدّم شرحُه.

٣٨٥٥ ـ [طرفه في: ٤٥٩٠، ٤٧٦٢، ٤٧٦٣، ٤٧٦٤، ٤٧٦٥، ٤٧٦٦] انظر شرحه من خلال النص.

باب (مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُه بِمَكَّة مِنَ المُشْرِكِينَ)

٣٨٥٦ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وقد سُئل عن

أَشَدِّ ما صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ـ فقَالَ: (بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ «عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ»، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيداً، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]).

[طرفه في: ٣٦٧٨].

شرح الحديث

سُئل (عَبْدُ اللَّه بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ) عمَّا لقيَهُ الرسولُ ﷺ من أذى المشركين، فأخبرهم أنَّ النبيَّ ﷺ بينما كان يصلِّي في حِجْر إسماعيل، إذْ جاءه الشقيُّ «عُقبةُ بنُ أبي مُعَيْط» فوضع ثوبه على عُنُق النبي ﷺ، فخنقه خنقاً شديداً، فأسرع «أبو بكر الصدِّيق» رضي اللَّه عنه، يريد أن يدفع عن رسول اللَّه ﷺ أذى هذا الشقيِّ، وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]؟ فترك المشركون رسولَ اللَّه ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر يضربونه، ويصفعونه بأيديهم، ويركلونه بأرجلهم، حتى غُشي عليه، وحُمل إلى بيته، وهو بين الموت والحياة!

فقالت قبيلتُه: واللَّهِ لئن ماتَ (أبو بكر)، لنقتلنَّ «عُتبةَ بنَ ربيعة» ـ وهو الذي ضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين على وجهه، حتى فَقَد صوابَه ـ فلمَّا أفاقَ من غشيته، كان أولَ كلمةٍ قالها لأهله: كيف حالُ رسول اللَّه ﷺ؟ وأخذ يردِّدها مرَّاتٍ، فلامَهُ أقاربُه، وقالوا له: هل نالكَ ما نالكَ إلَّا بسببه!

ثم جعل يردِّد: كيف حالُ رسول اللَّه؟ ما فُعل برسول اللَّه؟ فذهبوا يستخبرون أمرَ الرسولِ ﷺ، ثم رجعوا إليه، فقالوا: هو بخير والحمدُ للَّه، سالمٌ معافى.

وجعلوا يعرضون عليه الطعامَ والشرابَ، فيأبى أن يأكل أو يشربَ، حتى يرى رسولَ اللَّه ﷺ ويطمئنَّ عليه، وهو يقول: أين رسولُ اللَّه؟ كيف حالُه؟ فقالوا له: هو في دار الأرقم، مع بعض أصحابه.

فقال لهم: احملوني إليه، فحملوه حتى أدخلوه على رسولِ اللَّه ﷺ، فأكبَّ عليه الرسولُ فقبَّله، وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له الرسولُ ﷺ رِقَّةً شديدة، لِمَا ناله من عظيم الأذى والبلاء.

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه، ليس بي بأسٌ، إلَّا ما نال مني

الفاسقُ من وجهي. يريد به «عُتبة بنَ ربيعة» ـ وهذه أمِّي بارَّة بولدها، فادعُ اللَّه لها أن يشرح صدرها للإسلام. فدعا لها الرسولُ ﷺ، ودعاها إلى الإسلام، فأسلمتْ ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام. وانظر القصة في كتاب حياة الصحابة ١/ ٢٣٣.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ شدة الأذى والبلاء الذي أصاب الرسولَ ﷺ والمسلمين، في بدء الدعوة الإسلامية.

الثاني: وفيه محبةُ (أبي بكرِ الصدِّيق) للرسول ﷺ، وتحمُّلُ الأذى لإنقاذه، مما يؤكّد صدقَ محبته وعظيمَ إيمانه.

الثالث: وفيه بيانُ كثرة المستهزئين من كفار مكة، الذين قال اللَّه عنهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، وعلى رأسهم (أبو جهل)، و(عقبةُ بن أبي معيط)، و(أبيُّ بن خَلَف).

تنبيه لطيف هامٌّ

روى الترمذي وأحمد في المسند عن أنس رضي اللَّه عنه أنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: (لقد أُوذيتُ في اللَّهِ، وما أحدٌ يُؤذى، وأُخِفْتُ في اللَّهِ، وما يُخاف أحدٌ، ولقد أتتْ عليَّ ثلاثون ما بين يوم وليلة، وما لي ولبلالٍ ما يأكلُه ذو كبد، إلَّا وما يواري ـ أي يستر ـ إبطَ بلال) أي القلَيلَ من الطعام.

هذا بعضُ ما نال رسولَ اللَّه ﷺ من طواغيت قريش، في بدء الدعوة الإسلامية، حتى كان يوم الفتح الأكبر، يوم فتح مكة، ودخل الناسُ في دين اللَّهِ أفواجاً.

فصلواتُ ربي وسلامُه على عبده ورسوله الصابر، الذاكر، الشاكر، صلاةً وسلاماً دائمين، مستمرَّين إلى يوم الدين.

٣٨٥٧ ـ [طرفه في: ٣٦٦٠]، تقدّم شرحُه.

٣٨٥٨ ـ [طرفه في: ٣٧٢٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ذِكْرِ خَبَرِ الجِنِّ)

٣٨٥٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وقد سُئل مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا الْقُرآنَ؟ فَقَالَ: أَنَّهُ آذنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ).

اللغة

(آذَنَ) أي أخبر وأعلَمَ، ومنه الأذانُ، وهو إعلامُ المسلمين، بدخولِ وقت الصلاة.

شرح الحديث

الجنُّ خلقٌ من مخلوقات اللَّه، مكلَّفون كالإنس، بالتكاليف الشرعية، فيهم المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، ومن عجيب أمرهم أنهم يروننا، ولا نراهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] حَجَب اللَّه عنا رؤيتهم، امتحاناً للبشر، ليتحقَّق عنصر (الإيمان بالغيب)، أجسامُهم لطيفة، أصلُها من النار.

وفي هذا الحديث الشريف، بيانٌ بأنَّ الرسول ﷺ التقى بهم، وسمعوا منه القرآن، وقد أخبر (ابنُ مسعود) أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا التقى بهم، دعاهم إلى الإسلام، فقالوا له: من يشهد لك أنك رسولُ اللَّه؟ وكان قريباً من شجرة، فقال لهم النبيُّ ﷺ: (أرأيتم إنْ شهدتْ لي هذه الشجرةُ أتؤمنون؟) قالوا: نعم، فدعاها النبيُّ ﷺ، **فأقبلت تجرُّ أغصانَها، فقال لها** ﷺ: **(أتشهدين أني رسولُ اللَّه؟)** فقالت: أشهد أنك رسولُ اللَّه، فآمنوا به ﷺ.

فهذا هو المراد من قولِ ابنِ مسعود (آذنتْ بهم شَجَرَةٌ) أي أخبرت بنبوَّته ﷺ شجرةٌ من أشجار الأرض.

وسماعُ الجنِّ القرآنَ من رسول اللَّه ﷺ كان متعدِّداً، مرةً رأوا النبيَّ ﷺ، ومرَّةً أُخبرَ عنهم ﷺ بطريق الوحي، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] سمعوا القرآن من رسول اللَّه ﷺ، وهو لا يعلم بهم، وإنَّما

أخبره الله بذلك، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] والتقوا به بعد ذلك مرات، فقرأ عليهم القرآنَ، ودعاهم إلى الإيمان، فآمنوا به وصدَّقوه، ودعوا جماعاتهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ.

قال البدر العيني: ولا تعارض بين الأحاديث، فإنَّ التقاء الرسول ﷺ بالجنِّ كان متعدداً، فقولُ ابنِ عباس: (ما قَرَأ رسولُ اللَّه ﷺ على الجنِّ ولا رآهم) كما في الصحيحين، فهذا النفيُ لم يُرد به نفيَ الرؤيةِ والتلاوة، وإنما أراد أنه لم يَعْلم باستماعهم ولا كلَّمهم، وإنما أعلَمَه اللَّهُ بأمرهم، بقوله سبحانه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

ثم قال العيني: ووفادةُ الجِنِّ على رسول اللَّه ﷺ تعدَّدتْ، فكانت ستَّ مرات:

الأول: لمَّا خشي عليه الصحابةُ حين ذهب إلى الجنِّ، وتأخَّر عنهم، فقالوا: أُغْتِيل واستُطير.

والثانيةُ: كانت بالحَجُون، قُرْبَ مقربة المَعْلَى، وفيه مسجد يُسَمَّى (مسْجدَ الجنّ).

والثالثةُ: كانت بأعلى مكة بين الجبال.

والرابعةُ: كانت ببقيع الغَرْقَد بالمدينة، وفي هذه اللَّيالي حضر ابنُ مسعود. وخطَّ له النبيُّ ﷺ خطًّا، وقال له: **(لا تجاوزه)**.

والخامسةُ: كانت خارجَ المدينة، وحضَرها الزبيرُ بن العوَّام.

والسادسةُ: كانت في بعض أسفاره، وحضرها بلالُ بن الحارث .اهـ عمدة القاري ١٦/ ٣٠٩ وانظر التفصيل أيضاً في فتح الباري ٧/ ١٧٣.

بابُ (وَفْدِ جنِّ نَصِيبِيْن عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

٣٨٦٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّهُ كانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحاجَتِهِ، فَبَيْنَما هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا، فَقَالَ: «مَنْ هٰذا»؟ فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: «ابْغِني أَحْجَاراً أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلَا تَأْتِني بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ». فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي، حَتَّى وَضَعْتُ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ

مَشَيْتُ، فَقُلْتُ: ما بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ: هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ ـ وَنِعْمَ الْجِنُّ ـ فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ، إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَاماً).

[طرفه في: ١٥٥].

شرح الألفاظ

(إِدَاوَةٌ) إناء يوضع فيه الماءُ، كالإبريق للوضوء وغيره.

(أَبْغِنِي أَحْجَاراً) أي أُطْلبْ لي أحجاراً، من بغيتُ الشيء: طلبتُه، وأبغيتُك الشيءَ: أعنتُك على طلبه.

(أَسْتَنْفِضُ بِهَا) أي أستنجي بها، لأنَّ المستنجي يزيل عنه الأذى بالحجر، مأخوذ من نَفَضَ الثوب، إذا أزال عنه الأذى.

(رَوْثَةٌ) الرَّوْثُ: هو البعر الذي يخرج من الشاة، أو الجمل.

شرحُ الحديث

وردَ على رسول اللَّه ﷺ وفدٌ من جنِّ نَصِيبين ـ بلدةٌ في الشرق تُدعى جزيرةَ ابنِ عُمَر ـ فطلبوا من رسول اللَّه ﷺ أن يدعو اللَّهَ لهم بالطعام، الذي يفضل من الإنس ـ أي يزيد على حاجة الإنس ـ فدعا اللَّهَ لهم، أن لا يمرُّوا على عَظْم، ولا شيء من بعر الإبل، إلَّا وجدوا عليه لحماً، وطعاماً، أمَّا اللحمُ فهو طعامٌ لهم، وأمَّا البعرُ فَلِدَوابهم وأنعامهم، فلذلك مَنَعَ ﷺ أن يستنجي الإنسانُ بعظمٍ، أو بعر.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ الجنَّ مخلوقاتٌ مثلَ الإنس، يأكلون ويشربون، ويتناكحون، ويتناسلون، ويختلف طعامهم عن طعام الإنس.

الثاني: وفيه كراهةُ الاستنجاء بالعظم والرَّوث، لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

الثالث: وفيه أنَّ الرسولَ ﷺ اجتمع بالجنِّ، وتلا عليهم القرآنَ، وأسلموا على

يديه، وهذا ما نَطَق به القرآنُ الكريم، وأخبر تعالى عنه ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

لطيفة

سُئل الإمام الشعبيُّ عن إبليس، هل له زوجة؟ فقال للسائل: ذاك عرسٌ لم أشهده! وبعد ذلك أخذ يتمعَّنُ في القرآن، ويقرؤه مع غاية التدبُّر، لعلَّه يجد الجواب، حتى وصل إلى قوله تعالى عن إبليس: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾؟ [الكهف: ٥٠] فقلت: نعم له زوجة، لأنه لا يمكن أن يكون له ذرية، إلَّا إذا كان له زوجة.

٣٨٦١ ـ [طرفه في: ٣٥٢٢]، تقدّم شرحُه.

٣٨٦٢ ـ [طرفه في: ٣٨٦٧، ٦٩٤٢]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٦٣ ـ [طرفه في: ٣٦٨٤]، تقدّم شرحُه.

٣٨٦٤ ـ [طرفه في: ٣٨٦٥]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٦٥ ـ [طرفه في: ٣٨٦٤]، تقدّم شرحُه.

٣٨٦٦ ـ انظر شرح الحديثُ من خلال النص.

٣٨٦٧ ـ [طرفه في: ٣٨٦٢]، تقدّم شرحُه.

٣٨٦٨ ـ [طرفه في: ٣٦٣٧]، تقدّم شرحُه.

٣٨٦٩ ـ [طرفه في: ٣٦٣٦]، تقدّم شرحُه.

٣٨٧٠ ـ [طرفه في: ٣٦٣٨]، تقدّم شرحُه.

٣٨٧١ ـ [طرفه في: ٣٦٣٦]، تقدّم شرحُه.

٣٨٧٢ ـ [طرفه في: ٣٦٩٦]، تقدّم شرحُه.

٣٨٧٣ ـ [طرفه في: ٤٢٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (فَضْلِ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ)

٣٨٧٤ ـ عَنْ أُمِّ خالِدٍ بِنْتِ خالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها (أنها قالَتْ: قَدِمْتُ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ وَأَنا جُوَيْرِيَةٌ، فَكَسانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمِيصَةً لَها أَعْلامٌ، فَجَعَلَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ الأَعْلَامَ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: «سَنَاهْ، سَنَاهْ».

[طرفه في: ٣٠٧١].

شرح الألفاظ

(وَأَنَا جُوَيرِيَةٌ) أي بنتٌ صغيرة، حديثةُ السنّ، لم أبلغ سنَّ النساء.

(خَمِيصَةً) أي ثوباً من خزٍّ، أو من صوفٍ، له خطوط، ولا تسمى (خميصةً) حتى تكون لها خطوط.

(سَنَاه، سَنَاه) كلمة بالحبشيَّة ومعناها: حَسَنٌ، حَسَن، كما فسرَّه الحُمَيدي شيخ البخاري.

شرحُ الحديث

كانت (أمُّ خالد)، وهي بنتُ «خالدِ بنِ سعيد بن العاص» قد حاجَرَ أبوها فيمن هاجر إلى الحبشة (الهجرةَ الثانية)، وَوُلدت هناك، فسمَّاها «أَمَهْ» وكَنَاها «أمَّ خالد».

فلمَّا قدمتْ مع أبيها على رسول اللَّه ﷺ، كساها النبيُّ ﷺ ثوباً فيه أَعْلامٌ ـ أي خطوط ـ وجعل يلاطفها ويقول لها: **(هذا ثوبٌ حسن، هذا ثوبٌ حسن)**، وإنما تكلَّم معها بالحَبَشية، لأنها عاشت هناك مدةً من الزمن، فعرفت بعض لسان الحبش، وقد أورده البخاري في كتاب الجهاد، في باب (من تكلَّم بالفارسِية والرَّطانة).

ما يُستفاد من الحديث

فيه بيانُ فضل المجاهدين، والمهاجرين في سبيل اللَّه.

وفيه الملاطفةُ للصغار، والتحدثُ معهم بغير العربية.

٣٨٧٥ ـ [طرفه في: ١١٩٩]، تقدّم شرحه.

٣٨٧٦ ـ [طرفه في: ٣١٣٦]، تقدّم شرحُه.

٣٨٧٧ ـ [طرفه في: ١٣١٧]، تقدّم شرحُه.

٣٨٧٨ ـ [طرفه في: ١٣١٧]، تقدّم شرحُه.

٣٨٧٩ ـ [طرفه في: ١٣١٧]، تقدّم شرحُه.

٣٨٨٠ ـ [طرفه في: ١٢٤٥]، تقدّم شرحُه.

٣٨٨١ ـ [طرفه في: ١٢٤٥]، تقدّم شرحُه.

٣٨٨٢ ـ [طرفه في: ١٥٨٩]، تقدّم شرحُه.

باب (قِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ)

٣٨٨٣ ـ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ عمِّ رسولِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ما أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؟ فَإِنَّهُ كانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قال ﷺ: (هُوَ فِي ضَحْضاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكانَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ).
[طرفه في: ٦٢٠٨، ٦٥٧٢].

شرح الألفاظ

(ما أَغْنَيتَ)؟ أي هلْ نفعتَ عمَّك أبا طالب؟ وأيَّ شيءٍ دفعتَه عنه!؟

(يَحُوطُكَ) أي فإنه كان يحميك، ويدفع عنك أذى المشركين، ويغضب من أجلك.

(ضَحْضاح مِنْ نَارٍ) أي نار متوسطة، ليسَ كنار المنافقين والكفار في الدرك الأسفل، وهي استعارة عن خِفَّة العذاب، بسبب مناصرته للرسول ﷺ، ودفاعه عنه، ولهذا قال ﷺ: (ولولا أنا لكَانَ في الدَّرْك الأسفلِ من النَّار).

شرحُ الحديث

«أبو طالب» والدُ (عليٍّ) وعمُّ رسول اللَّه ﷺ، وهو شقيق (عبدِ اللَّه) والدِ الرسول ﷺ، وقد أوصى عبد المطلب عند موته «أبا طالب» بأن يرعى الرسولَ ﷺ، لأنه يتيم، فقد مات والده (عبدُ اللَّه) وهو جنينٌ في بطن أمه، فرعاه جدُّه عبد المطلب، ثم أوصى به «أبا طالب» فعاش في كَنَفه، وتحت رعايته، إلى أن كبر ﷺ، واستمرَّ على نصرته، إلى أن مات أبو طالب.

ومن عجيب أمر أبي طالب أنه كان يعتقد بصدق الرسول ﷺ، وكان يقول وهو ينافح عنه الأعداء:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

دخل عليه رسولُ اللَّه ﷺ وهو على فراش الموت، وعنده صناديدُ الكفر «أبو جهل» و«أُبيُّ بنُ خَلَف» و«عبد اللَّه بنُ أبي أمية» فقال له ﷺ: (يا عمُّ، قل «لا إلٰه إلا اللَّه» كلمةً أحاجُّ لك بها عند اللَّه) - أي أدافع عنك بها يوم القيامة - فقال له الأشقياء: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطَّلب؟ فلم يزل رسولُ اللَّه ﷺ يعرضها عليه، وهم يقولون له ذلك، حتى كان آخرُ كلامه: هو على ملَّة عبد المطَّلب، وأبى أن يقول: «لا إلٰه إلا اللَّه» ثم فارق الحياة.

فخرج رسول اللَّه ﷺ حزيناً من عنده، وقال: **(لأستغفرنَّ له، ما لم أُنْهَ عن ذلك)** فأنزل اللَّه عزَّ وجل هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] ونزلت في حقه آية أخرى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

ولهذا قال الرسولُ لعمِّه العبَّاس: (لقد رأيتُه في ضَحْضَاحٍ من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ (أبا طالب) مات على غير الإسلام، لا كما يقول الرافضة: إنه أسلم، ومات مسلماً.

الثاني: وفيه أنَّ الكافر، لا تنفعه شفاعةُ أحدٍ، إذا مات على غير التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدَّثر: ٤٨].

الثالث: وفيه أنَّ من مات على غير الإسلام يُخفَّف عنه العذاب، إذا عَمِل أعمالاً صالحة، كما أخبر الرسولُ عن أبي طالب، أنه يُخفف عنه العذاب بسبب نصرته للرسول ﷺ.

الرابع: النصوصُ متفقةٌ في الكتاب والسنة على أنَّ (أبا طالب) مات على غير الإسلام، ولا يُنْقِص هذا من قَدْرِ (عليِّ بنِ أبي طالب) رضي اللَّه عنه، فإنَّ اللَّه تعالى يُخرج الحيَّ من الميِّت، فإبراهيم عليه السلام والده (آزرُ) كافرٌ، ونوحُ عليه السلام ابنه كان كافراً، ولم يُنْقِص ذلك شيئاً من نبوتهما.

ويؤكِّده الحديث الآتي ذكرُه ونصُّه:

٣٨٨٤ ـ [طرفه في: ١٣٦٠]، تقدّم شرحُه.

٣٨٨٥ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ ـ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ ـ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِماغُه).

[طرفه في: ٦٥٦٤].

وفي أبي طالب نزلت الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] ونزلت أيضاً الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

فقد دلَّ الحديثان على أنَّ من مات على الكفر، لا تنفعه شفاعة أحد من الخلق، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

باب (حَديثِ الإسْرَاءِ)

٣٨٨٦ ـ عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

[طرفه في: ٤٧١٠].

شرح الألفاظ

(كَذَّبَتْنِي قُرَيْش) أي في قصة الإسراء إلى المسجد الأقصى، وفي بعض الروايات: (كُربتُ كُرْباً لَمْ أُكْرَبْ مِثْلَه قطُّ).

(قُمْتُ فِي الحِجْرِ) المرادُ به (حِجْرُ إسماعيل) عليه السلام، المسمى (بالحَطِيم) لأنه حُطِمَ من جداره، فلم يُسوَّ ببناء الكعبة.

(فَجَلَا لِي بَيْتَ المَقْدِسِ) أي كَشَفَ اللَّهُ لي الحُجُب بيني وبين بيت المقدس.

(فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ) أي فذهبتُ أخبرهم عن علامات بيتِ المقدس، وأوضاعه، وأنا انظر إليه.

شرح الحديث

لمَّا أُسري برسول اللَّه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأخبَرَ ﷺ الناسَ عن (قصة الإسراء)، كذَّبه المشركون، ورموه بالسَّفَه والجنون! وقالوا له: يا محمد، نحن نضرب أكبادَ الإبل شهراً ذهاباً، وشهراً إياباً، وأنت تزعم أنك ذهبتَ ورجعت في ليلة واحدة!

ثم امتحنوه ﷺ **فقالوا له: صف لنا بيتَ المقدس** ـ وهم يعلمون أنه لم يسافر إليه من قبل ـ فلذلك أصابه الهمُّ والكربُ، كيف يصفه لهم والموقفُ عصيب! فكشف اللَّه له الحجُبَ عن بيتَ المقدس، فأصبح ﷺ ينظر إليه، ويصفه لهم باباً باباً، ومكاناً مكاناً، فقالوا: أمَّا الوصفُ فقد صدق.

فأخبرنا عن عيرنا؟ ومن يصحبها، ومتى تصل إلينا؟ فلمَّا أخبرهم عنها، وكانت كما أخبر، استمرُّوا على التكذيب وقالوا: إنما تخبره بذلك الجنُّ.

تنبيه هام

ثبت الإسراء ثبوتاً قاطعاً بنصِّ القرآن الكريم، بقول الحقِّ سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] فمنكره كافرٌ من غير تردُّدٍ، لأنه مكذِّب للقرآن.

وأمَّا المعراجُ: وهو الصعودُ إلى السمٰوات العلا، ورؤيةُ عجائب الكون، فقد ثبت بالُّسنة المطهَّرة، فمنكره فاسقٌ، عاصٍ، مبتدعٌ، كما يقول علماءُ التوحيد، وهذا هو الفرقُ بين من كذَّب القرآن، ومن كذَّب الحديث النبويَّ الشريفَ، واللَّه أعلم.

❁ ❁ ❁

باب (قِصَّةِ المِعْرَاجِ بالنَّبِيِّ ﷺ)

٣٨٨٧ ـ عَنْ مالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّه قال: إنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: «بَيْنَما أَنَا فِي الحَطِيمِ ـ وَرُبَّما قالَ فِي الحِجْرِ ـ مُضْطَجِعاً، إذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ ـ قالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ ـ ما بَيْنَ هَذِهِ إلَى هَذِهِ ـ فَقُلْتُ لِلْجارُودِ وَهُوَ إلَى جَنْبِي: ما يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إلَى شِعْرَتِهِ ـ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إيماناً، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ.

أُتِيتُ بِدابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمارِ أَبْيَضَ ـ فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قالَ أَنَسٌ: نَعَمْ ـ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هٰذا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قالَ: مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُما ابْنَا الخَالَةِ، قالَ: هذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قالاَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إذَا يُوسُفُ، قالَ: هذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ،

قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ. قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هارُونُ، قالَ: هذَا هارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثم قالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قالَ: هذا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجاوَزْتُ بَكى، قِيلَ لَهُ: ما يُبْكِيكَ؟ قالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلاماً بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قالَ: هذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قالَ: مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قالَ: هذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهارٍ: نَهْرَانِ باطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: ما هذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ في الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ المَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ. ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.

ثمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْم، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرتَ؟ قالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ، قالَ: أُمَّتَكَ لَا

تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّه قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم.

فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلوات كُلَّ يَوْم، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كلَّ يَوْمٍ، قالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يوم.

وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ.

قالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي).

[طرفه في: ٣٢٠٧].

شرح الألفاظ

(**مُضْطَجِعٌ**) أي مُسْتلقٍ على ظهري وأنا بين النائم واليقظان.

(**أَتَانِي آتٍ**) هو جبريلُ عليه السلام.

(**فَقَدَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ وهَذِهِ**) أي شقَّ بطني، من أول الصَّدْر إلى آخره، واستخرج قلبي، وغسله بماء زمزم.

(**البُرَاقُ**) جاء تفسيره في قوله وهي: (دَابَّةٌ بَيْضَاءُ، بين البغل وفوق الحمار)، والبُراقُ: مشتقٌ من البريق، وهو اللَّمعانُ.

(**يَضَعُ خَطْوَهُ**) أي الخُطْوةُ منه كبيرةٌ جدًّا، يقطع بالخُطْوةِ الواحدة، ما يمتدُّ إليه بصرُه.

(**فَاسْتَفْتَحَ**) أي طلب أن يُفتح له بابُ السماء، لأن السينَ والتَّاءَ للطلب.

(**مَنْ مَعَكَ؟**) لمَّا استفتح جبريلُ، سُئل من هذا؟ فقال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: معي محمد ﷺ.

قال العيني: والظاهرُ أنَّ إحساس الملائكة كان بزيادة أنوارٍ ظهرتْ لهم، دلَّت على أنَّ جبريلَ لم يكن وحده .اهـ عمدة القاري ١٧/ ٢٥.

فكانوا يستبشرون برسول اللّه ﷺ ويستقبلونه بالفرح والسرور، ويقولون: مرحباً به، ولنعمَ المجيُء جاء.

(نبقُهَا مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ) أي ثمرُ شجرةِ (سِدرة المنتهى) في الكِبر، مثلُ قِلال هَجَر ـ أي مثلُ الجِرارِ الضخمة ـ. سُميت (سدرةَ المنتهىٰ) لأن علمَ الملائكة ينتهي إليها، ولم يتجاوزها أحدٌ إلّا رسولُ اللّه ﷺ، كما قال النووي.

(نهران باطنان) هما (نهرُ السلسبيل)، و(نهر الكوثر)، قال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨] وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] وفي الحديث: **(الكوثرُ نهر في الجنة، حافَّتاه من ذهب، ومجراه على الدُّر والياقوت، تربتُه أطيبُ من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج)** رواه الترمذيُّ.

(وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ) هما (نهرُ النيل)، و(نهرُ الفرات)، أي أصلُهما من ماء الجنة، لعذوبة مائهما، ولما فيهما من الخير والبركة.

(هُدِيتَ الفِطْرَةَ) أي هداكَ اللّه إلى دين الفطرة وهو التوحيد.

وجاء في بعض الروايات: لو أخذتَ الخمرَ، لغَوَتْ أمتك، فاللَّبَنُ ـ الحليبُ ـ هو الذي اختاره ﷺ، فلذلك اهتدتْ أمته إلى الإسلام، وكلُّ هذا من فضل اللّه على الأمة المحمدية، على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام.

(فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً) المراد أنَّ الصلاةَ فُرِضَتْ على النبيِّ وأمته، (خمسين صلاةً) في كل يوم وليلة، ثم خفَّف عليه منها عشراً، وما زال رسولُ اللّه ﷺ يراجع ربه، حتى بقيتْ خمسَ صلوات، وجاءه النداء من خالق الأرض والسماء: «أمضيتُ فريضتي وخفَّفْتُ عن عبادي» وكلُّ ذلك كان بمبادرةٍ مباركة من (موسى) عليه السلام، حيث نصح الرسولَ ﷺ أن يطلب من ربه التخفيفَ، فجزاه اللّه عن أمة محمد خيرَ الجزاء.

فوائد ولطائف من معجزتنا الإسراء والمعراج:

التنبيهُ الأول: الإسراء والمعراجُ معجزتان، خصَّ اللّهُ تعالى بهما خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ:

أمَّا الإسراءُ: فهو السفرُ ليلاً من مكة المكرمة، إلى بيت المقدس في أرض فلسطين، ثم الرجوع إلى مكة في تلك الليلة.

وأمَّا المعراجُ: فهو الصعودُ إلى السمٰوات العُلَى، بصحبة جبريل عليه السلام، وهي (معجزة أخرى) غير معجزة الإسراء، فتنبه لهذا واللّهُ يرعاك.

التنبيه الثاني: كانت حادثةُ الإسراء ثم المعراج احتفاءً بسيد المرسلينﷺ قبل الهجرة بسنة، فهي إذاً (حفلةُ تكريم) سجَّلها اللَّه في كتابه العزيز، كانت بصحبة أشرفِ الملائكة، ورئيسِهم «جبريلَ» عليه السلام، بعد عودتهﷺ من الطائف مضطهداً مؤذى، حيث ردَّ السفهاء دعوته، ورموه بالحجارة حتى أدْمَوا قدميه الشريفتين، فأراد اللَّه تعالى تسليته عمَّا ناله من الأشرار، فأسرى به، ثم عرج به، ليرى ملكوت اللَّه العظيم، كما أشارت الآية الكريمة ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

التنبيهُ الثالث: إنَّما شُقَّ صدرُه الشريف قبل الإسراء، ومُلِئَ إيماناً وحكمة، ليتلقىﷺ ما يُوحى إليه، وما يشاهده في عالم المُلْكِ والمَلَكُوت. بقلب قويٍّ ثابت، وهو في أكمل الأحوال، من اليقين والتطهير، ثم يلتئم قلبه الشريف بغير معالجة، واللَّه على كل شيء قدير.

قال الحافظ ابن حجر: وجميعُ ما ورَدَ من شقِّ الصدر، واستخراج القلب، وغسلِهِ بماء زمزم، وملْئِهِ بالإيمان، والحكمة، وغير ذلك، من الأمور الخارقة للعادة، ممَّا يجب التسليم به، دون التعرض لصرفه عن حقيقته، لصلاحية القدرة الإلٰهية على ذلك، فلا يستحيل شيء أراده اللَّه تعالى، ولا يُلتفت لإنكار شقِّ الصدر، لأن رواته ثقات .اهـ فتح الباري ٧/ ٢٠٥.

لطائفُ الحديث الشريف

اللطيفةُ الأولى: روي أنَّ البُراق الذي ركبه رسولُ اللَّهﷺ، جاء مُسْرَجاً مُلْجماً، فاستصعب على رسولِ اللَّهﷺ، فقال له جبريل: (واللَّهِ ما ركبك أحدٌ من الخلق قطُّ، أكرمُ على اللَّه منه، فارفَضَّ عَرَقاً) أي تصبَّب منه العرقُ خجلاً)، رواه الترمذي. وصحَّحه ابن حبان.

وقال بعضهم: إنما استصعب البُرَاقُ هيبةً من رسول اللَّهﷺ، وتِيَهاً وزُهُوَّاً بركوب النبيﷺ عليه.

قال الحافظ ابنُ حجر: وقريبٌ من هذا رجفةُ جبلِ أُحُدُ برسول اللَّهﷺ وصاحبيه، حتى قال له الرسول: (**أُثبتْ أُحُد، أُثبتْ أُحُد، فإنما عليك نبيٌّ، وصِدِّيقٌ، وشهيدان**) فإنما هي (هزَّةُ الطَّرَب)، لا (هزَّةُ الغضب) .اهـ فتح الباري ٧/ ٢٠٧.

اللطيفة الثانية: إنما جَمَع اللَّه تعالى لرسوله جميع الأنبياء، ليؤمَّهم في الصلاة في بيت المقدس، للتنبيه لهم على رئاستهﷺ عليهم، فهو وإن كان خاتمَ المرسلين،

لكنَّه أفضلُ الأولين والآخرين، فإمامتُه لهم في الصلاة، إشارةٌ إلى سيادته عليهم، كما قال ﷺ: (أنا سيِّد ولد آدمَ يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ آدمٌ فمن سواه، إلَّا تحت لوائي، وأنا أفضلُ الأولين والآخرين على ربي ولا فخر) رواه الترمذي.

كما أخذ اللَّهُ العهدَ عليهم، أنْ لوْ أدركوا حياتَه ﷺ أن يَنْضَوُوا تحت لوائه، ويكونوا من أتباعه وأنصاره، كما قال عزَّ شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١].

اللطيفة الثالثة: قال البدرُ العيني: الحكمةُ من كون لقاء الرسول ﷺ للرسل في السماء، بهذا الترتيب (آدم، ثم عيسى، ثم يوسف، ثم إدريس، ثم هارون، ثم موسى، ثم إبراهيم) كلٌّ منهم في مكانه من السَّماء، للترحيب بسيد الأنبياء، هي:

١ ـ **أمَّا آدم عليه السلام**: فإنه أول الأنبياء، وأولُ الآباء، فهو الأصلُ للجميع، فكان أولاً في السماء الدنيا.

٢ ـ **وأمَّا عيسى عليه السلام**: فإنه أقربُ الأنبياء عهداً من نبيِّنا محمد ﷺ، لأنه ليس بينه وبين رسولِ اللَّه ﷺ أحدٌ من الأنبياء، ثم يليه يوسفُ عليه السلام.

٣ ـ **وأمَّا يوسفُ عليه السلام**: فإنَّ أمة محمد ﷺ تدخل الجنة على صورةِ يوسفَ عليه السلام، فلذلك استقبله في السماء الثالثة.

٤ ـ **وأمَّا إدريسُ عليه السلام**: فإن اللَّه تعالى يقول فيه: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] والسماء الرابعة من السبع، وسطٌ معتدل.

٥ ـ **وأمَّا هارون عليه السلام**: فلقربه من أخيه موسى، حيث جعله اللَّه نبيًّا بدعوة موسى عليه السلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣].

٦ ـ **وأمَّا موسى عليه السلام**: فلفضل تكليم اللَّه تعالى له: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وهو أرفعُ وأفضلُ من أخيه هارون عليهما السلام.

٧ ـ **وأمَّا إبراهيمُ عليه السلام**: فلأنه الأبُ الأخير، ومعظمُ الرسل من نسله وذريته، ونبيُّنا ﷺ من ذرية (إسماعيلَ) بنِ إبراهيم، فكان من المناسب أن يكون في السماء السابعة، ليتجدَّد للنبيّ ﷺ بلقائه أنسٌ جديد، ليتوجَّه بعده لعالمٍ آخر، وهو ما بعد (سدرة المنتهى)، واللَّه أعلم. اهـ عمدة القاري ١٧/ ٢٧.

فائدة لطيفةٌ هامَّة

جميعُ الأحكام التشريعية فُرضت في الأرض، إلَّا الصلاة فإنها فُرضت في

السماء، ليلة عُرج بالنبي ﷺ إلى السمٰوات العُلى، لأهمية أمرها، لأنها سياج الدين وعماده، وهي أعظم أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

فائدة أخرى

لقاءُ الرسول ﷺ بالأنبياء كان بأجسادهم وأرواحهم، فأجسامُهم لا تبلى، لأن اللَّه حرَّم على الأرض أكلَ أجسادِ الأنبياء، فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه لمَّا أُسْرِيَ به (رأى موسى قائماً يصلِّي في قَبْره) أخرجه مسلم، وهذا خبرٌ قاطع نؤمن به تصديقاً لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى.

بابُ (ذِكْرِ الشَّجَرَةِ المَلْعُونَةِ في القُرْآن)

٣٨٨٨ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. قالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ. قالَ تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. قالَ: (هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ).

شرح الحديث

لمَّا عُرجَ برسول اللَّه ﷺ إلى الملأ الأعلى، أراه اللَّه تعالى عجائبَ الملكوت، رأى البيتَ المعمور، ورأى سِدْرةَ المنتهى، ورأى الجنة والنار، فرأى في النار شجرةً، تنبت في قعر جهنم، هي (شجرةُ الزقوم) التي قال تعالى عنها: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٦] فلمَّا سمع (أبو جهل) اللعينُ شجرةَ الزقومَ، قال: يا معشر قريش، كيف يكون في النار شجرة؟ والنارُ تحرقُ الشجر! فكانوا يضحكون ويسخرون، ثم كان يقول لهم: إن محمداً يتوعدكم بالزَّقُّوم، أتدرون ما هو الزَّقُّوم؟ إنه الزُّبدُ والتمرُ! ثم يدخل داره، ويقول: يا جاريةُ زقِّمينا! فتأتيتهم بالزُّبد والتمر النفيس ليأكلوه.

فيقول سخريةً واستهزاءً: هذا ما يتوعدكم به محمد، اجلسوا فتزقَّموا، فكان ذكرُ هذه الشجرة في القرآن، فتنةً للناس، كما أخبر تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

ولهذا قال ابن عباس: هي رؤيا عينٍ ـ أي رؤيا بصريَّة، رآها ﷺ بعينه، ولم تكن رؤيا منامية ـ ثم فسَّر الشجرة الملعونة في القرآن بأنها (شجرةُ الزقوم).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الرؤيةَ التي رآها رسول اللَّه ﷺ كانت رؤية بصرية، لا رؤيا منامية، ولهذا قال ابن عباس: (رؤيا عين) رآها رسولُ اللَّه ﷺ بعينيه.

الثاني: وفيه أنَّ ذكر الشجرة الملعونة في القرآن، للابتلاء والاختبار، ليؤمن من آمن، ويجحد من جحد.

الثالث: وفيه أنَّ الجنة والنار مخلوقتان، حيث رآهما رسولُ اللَّه ﷺ ورأى ما فيهما وأخبر عن ذلك، وقال تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

تنبيه لطيف

وصفُ الشجرة بأنها ملعونة، جاء على أساليب العرب، تقول لكل طعام ضار، أو مكروه: طعام ملعونٌ.

وقيل: هو على حذف مضاف، أي ملعونٌ آكلُها، واللَّهُ تعالى أعلم.

٣٨٨٩ ـ [طرفه في: ٢٧٥٧]، تقدّم شرحه.

٣٨٩٠ ـ [طرفه في: ٣٨٩١]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٨٩١ ـ [طرفه في: ٣٨٩٠]، تقدّم شرحه.

٣٨٩٢ ـ [طرفه في: ١٨]، تقدّم شرحُه.

٣٨٩٣ ـ [طرفه في: ١٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (تزوُّجِ النَّبِيِّ ﷺ عَائِشَةَ وَقُدُومِهَا المَدِينَةَ)

٣٨٩٤ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالَتْ: (تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا

بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَنَزَلْنَا في بَنِي الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ فَتَمَزَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً، فَأَتَتْنِي أَمِّي (أُمُّ رُومانَ) وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَدْرِي ما تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئاً مِنْ ماءٍ، فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ والْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضُحًى، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ).

[طرفه في: ٣٨٩٦، ٥١٣٣، ٥١٣٤، ٥١٥٦، ٥١٥٨، ٥١٦٠].

شرح الألفاظ

(تزوَجني النَبيُ) أي عَقَد عليَّ النبيُّ ﷺ عقد النكاح، وأنا بنتُ ستِّ سنين، ودخل عليها وهي بنتُ تسع سنين.

(وُعِكْتُ) أي أصابتني حُمَّى، فمرضتُ منها أياماً.

(تَمزَّق شَعْري) أي: تقطَّع، فلمَّا شُفيت من مرضي، نبتَ لي شعرٌ جديد، حتى أصبح كالجُمَّة، وهي ما ستَرَ شعر الرأس.

(أَتَتْنِي أمُّ رُومَانَ) أي جاءتني أُمِّي، و(أمُّ رومان) هي زوجةُ أبي بكر (أمُّ عائشة) رضي اللَّه عنهم أجمعين.

(وإنِّي لأَنْهَجُ) أي أتنفَّس تنفساً عالياً، لأنها أسرعتْ بها، حتى أدخلتها الدار، فصار لها نَفَسٌ مرتفع.

(عَلَى خَيرِ طَائِرٍ) أي قدمتِ على خير حظٍّ ونصيب، ومرادهنَّ الدعاءُ لها بالخير والبركة، بزواجها من رسول اللَّه ﷺ.

(فَلَمْ يَرُعْنِي) أي لم يُفْزعني شيءٌ إلَّا دخولُ رسول اللَّه ﷺ عليَّ!

قال ابن حجر: كنَتْ بذلك عن المفاجأة، بالدخول على غير معرفةٍ بما في الأمر، فإنَّ الإنسانَ يفزع غالباً، لذلك قالت: لم يَرُعْني. اهـ فتح الباري ٧/ ٢٢٤.

شرح الحديث

بعد وفاة السيدة خديجة رضي اللَّه عنها، تزوَّج رسولُ اللَّه ﷺ بالسيدة عائشةَ بنتِ الصدِّيق، وعقَد عليها عقد النكاح، وهي بنتُ ست سنين، ولمَّا بلغت سنَّ التاسعة بنى عليها ﷺ، أي عرَّس بها، وكان ذلك في شوال سنة عشرٍ من الهجرة.

ولهذا الزواج بالسيدة عائشة قصةٌ غريبة، حيث رآها ﷺ في منامه مرتين، أتى له بصورتها جبريلُ عليه السلام في قطعةٍ من حرير، وقال له: هذه زوجتك. فكشف ﷺ عن هذه السُّرَّة من الحرير، فرأى فيها صورة عائشة، فعرف أنَّ زواجه بها بأمرٍ من اللَّه تعالى، لأنَّ رؤيا الأنبياء حقٌّ، ويدلُّ عليه الحديث الآتي ذكرُه في البخاري.

باب (رُؤْيَا الرَّسُولِ لِعَائِشَةَ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْن)

٣٨٩٥ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «أُرِيتُكِ في المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ في سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، ويَقُولُ: هذِهِ امْرَأَتُك، فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ»).

[طرفه في: ٥٠٧٨، ٥١٢٥، ٧٠١١، ٧٠١٢].

شرح الألفاظ

(سَرَقة) أي قطعة من الحرير، فيهل صورةُ أمِّ المؤمنين (عائشة) رضي اللَّه عنها.

(إِنْ يَكُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ) أي إن كانت هذه الرؤيا المنامية، بتقديرٍ وأمرٍ من اللَّه، يُتمِّم هذا الأمر ويُنْفِذه، لأن الذي جاءه بصورتها، هو (جبريل) الذي ينزل بالوحي على رسول اللَّه ﷺ.

تنبيهٌ لطيف هام

من هذا الحديث نعلم أن تزوُّج النبيِّ ﷺ بعائشة كان بتوجيهٍ من اللَّه تعالى، لأنَّ

أمينَ الوحي (جبريلُ) جاءه بصورتها، وقال له: هذه امرأتك أي ستكون زوجاً لك، وفي هذا الزواج المبارك الميمون، حكمةٌ بليغة، وتكريمٌ عظيم لأبي بكر الصدِّيق، الذي حَمَلَ أعباءَ الدعوة، مع رسول اللّهﷺ ، ونافح معه وكافح، بنفسه، وماله، وجهده، فكافأه اللّه تعالى، بمصاهرته لسيِّد الخلقﷺ ، حيث تزوَّج الرسولُ ابنته السيدة (عائشة) رضي اللّخ عنها.

كما أكْرَمَ (عمرَ بنَ الخطاب) بتزوج ابنته السيدة «حفصة» تكريماً لوفائه له، في نصرة الإسلام، فهما وزيراه، وخليفتاه من بعده.

أمَّا تزوجه بعائشة، فقد كانت أمُّ المؤمنين السيدةُ (عائشة) ذكيَّةً شابةً حافظة، توفي عنها رسولُ اللّهﷺ وعمرها (١٨) ثمانَ عشرة سنة، ولكنَّها في هذه الفترة التي عاشت فيها مع رسول اللّهﷺ نقلتْ لنا هَدْيَ رسولِ اللّهﷺ ، فهي أكثرُ نسائه روايةً، بعد أبي هريرة، لها في البخاري ما يزيد على ألف حديث، وكان الصحابةُ يستفتونها بعد رسول اللّهﷺ ، فتفتيهم لأنها كانت فقيهةً حافظة، يقول الصحابيُّ (أبو بُرْدة) الأخُ الشقيق لأبي موسى الأشعري: **(مَا أَشْكَلَ علينا نحنُ أصحابَ محمدﷺ أمرٌ، فرجعنا فيه إلى عائشة، إلَّا وجدنا عندها عِلْماً)**.

وقد أراد اللّه حفظ سُنَّة نبيهﷺ ، فجعل الصدِّيقة بنتَ الصدِّيق زوجةً له، وأكرمْ بها من زوجة، أنارت طريقَ العلم، والفقهِ، للمسلمين.

تنبيه هامٌ لطيف

قد يقول بعض الناس: كيف تزوَّج الرسولُ السيدة عائشة، وهي صغيرة السنِّ، بنتُ تسع سنين!؟

والجوابُ: أنَّ بلاد الحجاز بلاد حارَّة، شديدةُ الحرِّ، والأنثى يأتيها دمُ الحيض وتصل سنَّ البلوغ في مثلِ هذه السنِّ، فليست العبرةُ بسنوات العمر، وإنما العبرةُ ببلوغ الفتاة سنَّ التكليف، لا سيَّما إذا كان قِوامُ جسمها الفارع، يُهيِّئها لتكون زوجة، فزواجُهﷺ كان بأنثى بالغة. والبلادُ الباردةُ، يتأخر فيها بلوغ النساء إلى سنِّ الثامنة عشرة، أو تزيد، فافهم هذا رعاك اللّه، ولا تكن غافلاً عن الحكمة الإلٰهية، في اختيارها زوجةً لسيِّد المرسلينﷺ .

٣٨٩٦ ـ [طرفه في: ٣٨٩٤]، تقدّم شرحُه.

٣٨٩٧ ـ [طرفه في: ١٢٧٦]، تقدّم شرحُه.

٣٨٩٨ ـ [طرفه في: ١]، تقدّم شرحُه.

٣٨٩٩ ـ [طرفه في: ٤٣٠٩، ٤٣١٠، ٤٣١١]، انظر شرح الحديث رقم ١٨٣٤.

٣٩٠٠ ـ [طرفه في: ٣٠٨٠]، تقدّم شرحُه.

٣٩٠١ ـ [طرفه في: ٤٦٣]، تقدّم شرحُه.

٣٩٠٢ ـ [طرفه في: ٣٨٥١]، تقدّم شرحُه.

٣٩٠٣ ـ [طرفه في: ٣٨٥١]، تقدّم شرحُه.

٣٩٠٤ ـ [طرفه في: ٤٦٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وأَصْحابِهِ إِلَى المَدِينَةِ)

٣٩٠٥ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قالَتْ: (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُما يَدِينانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهاجِراً نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ، حَتَّى إِذا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ـ وَهْوَ سَيِّدُ الْقارَةِ ـ فَقالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يا أَبا بَكْرٍ؟ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي.

قالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يا أَبا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوائِبِ الْحَقِّ، فَأَنا لَكَ جارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ. فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرافِ قُرَيْشٍ، فَقالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوائِبِ الْحَقِّ. فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيها، وَلْيَقْرَأْ ما شاءَ، وَلَا يُؤْذِينا بِذٰلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِساءَنا وَأَبْناءَنا.

فَقالَ ذٰلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذٰلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دارِهِ،

وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَنقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ!

وَكانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، أَفْزَعَ ذٰلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جاوَزَ ذٰلِكَ، فَابْتَنى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ والْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذٰلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لأَبِي بَكْرٍ الاسْتِعْلَانَ.

قالَتْ عائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذٰلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لهُ.

فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ». وَهُمَا الحَرَّتانِ، فَهاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عامَّةُ مَنْ كانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي». فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذٰلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قالَ: «نَعَمْ». فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ، ـ وَهُوَ الخَبَطُ ـ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قالَ ابْنُ شِهَابٍ: قالَ عُرْوَةُ: قالَتْ عائِشَةُ: (فَبَيْنَما نَحْنُ يَوْماً جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قالَ قائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ: هذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعاً ـ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا ـ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ ما جاءَ بِهِ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّما هُمْ أَهْلُكَ،

بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسولَ اللَّهِ! قالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي في الخُرُوجِ». فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ». قالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ ـ بِأَبِي أَنْتَ يَا رسُولَ اللَّهِ ـ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ».

قالَتْ عائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُما أَحَثَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً في جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْماءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذٰلِكَ سُمِّيَتْ (ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ)، قالَتْ ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُما (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ)، وَهُوَ غُلامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيَدَّلِجُ مِنْ عِنْدِهِما بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلا يَسْمَعُ أَمْراً يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذٰلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلامُ.

وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا (عامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ) مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ ـ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا ـ حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذٰلِكَ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاثِ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِياً خِرِّيتاً ـ وَالْخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ ـ قَدْ غَمَسَ حِلْفاً فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ راحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ) وللحديث بقية في البخاري.

[طرفه في: ٤٧٦].

شرح الألفاظ

(أَبَوَيَّ) تريد أباها (أبا بكر الصدِّيق) وأمَّها (أمَّ رومان) وهو من باب التغليب.

(يَدِينَانِ الدِّينَ) أي يدينان الدِّينَ الإسلاميَّ، الذي جاء به خاتُم المرسلين ﷺ.

(ابْتُلِي المُسْلِمُونَ) أي اشتدَّ أذى المشركين عليهم بمكة، وامتُحِنوا في دينهم، فحوصروا في الشِّعب، وأَذِنَ لهم الرسولُ ﷺ بالهجرة للحبشة.

(بَلَغ بَرْكَ الغِمَاد) أي وصل إلى مكان يبعد عن مكة (خمسَ ليال) من جهة اليمن.

(سَيِّدُ القَارَة) أي سيّد قبيلةٍ عظيمة مشهورة، كانوا حلفاءَ (بني زُهرة) من قريش، يُضرب بهم المثَلُ في قوة الرمي.

(تَكْسِبُ المَعْدُومَ) أي تُعطي المالَ للمسكين، الذي لا يملك شيئاً من المال.

(وتَحْمِلُ الكَلَّ) أي تُعين الضعيف الذي كثرت عيالُه، فتنفق عليه، وعلى عياله.

(فَأَنَا لَكَ جَارٌ) أي أنا لك مجيرٌ أحميك وأدفع عنك من يؤذيك، فأنت في ذمتي وجواري، فارجعْ إلى وطنك آمناً.

(فَارتَحَلَ مَعَهُ) أي رجع أبو بكر، ورجَعَ معه (ابنُ الدِّغِنَّة) لِيخبر قريشاً أنه في جواره وأمانه.

(فَلَمْ تكْذِبْ قُرَيْشٌ) أي لم تردَّ قريشٌ عليه، أمانَ (أبي بكر) رضي اللّه عنه، بل رضيتْ أن يكون في جواره وأمانه.

(بِفِنَاءِ دَارِهِ) أي بنى أبو بكر له مسجداً صغيراً، بساحة بيته، يعبد اللّهَ فيه.

(فَيَنْقَذِفُ) أي يزدحم عليه نساء المشركين، ويتدافعون عليه لسماع قراءته، فأزعج ذلك المشركين، لِمَا يعلمونه من رقَّة قلوب النساء، وخَشُوا أن يتأثَّر به نساؤهُم، فيدخلوا في الإسلام.

(رَجُلاً بَكَّاءً) أي كثيرَ البكاء، سخِيَّ الدَّمْعِ، لا يملك نفسه إذا قرأ القرآن، أن يمنعها من البكاء.

(كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ) أي نكره أن ننقض عهدنا معك، ونُبْطل أمانك، فإمَّا أن يعبد (أبو بكر) ربَّه في بيته، وإمَّا أن يردَّ لك أمانك، فإننا لا نصبر على هذا الذي يفعله أبو بكر، بتلاوته للقرآن علناً، ليفتن شبابنا ونساءنا.

(أَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ) أي أردُّ عليك جوارَك، وأرضى بأمان اللّهِ، وحمايته ورعايته.

(أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ) أي رأيتُ في منامي البلدةَ التي ستهاجرون إليها، وهي بلدةٌ ذاتُ حجارة سوداء، بين جبال تحيط بها، وهي صفة (المدينة المنورة) فأمرهم ﷺ بالهجرة إلى المدينة، بدلاً من الحبشة.

(عَلَى رِسْلِكَ) أي تمهَّلْ يا أبا بكر وانتظرْ، فلعلَّك تكونُ رفيقي في الهجرة، فإني أرجو اللَّه أن يأذن لي.

(عَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ) أي جهَّز للهجرة بعيرين، وقدَّم لهما العَلَفَ ورق السِّدْرِ، وهو غذاءٌ يقوِّي الحيوان على السفر.

(نَحْرَ الظَّهِيرَةِ) أي في أول الزوال، وهو أشدُّ ما يكون من حرارة النهار، والمراد أنه ﷺ جاء إلى بيت أبي بكر، في وقتٍ لا يخرج الناس فيه، لأنه وقتُ القيلولة، واختار ﷺ هذا الوقت، مبالغةً لإخفاء الأمر عن المشركين، وأخبرَه أنه أُذن له بالهجرة، فقال أبو بكر: الصحابةَ يا رسولَ اللَّه. أي أريد مصاحبَتَك في هذه الهجرة.

(أَحَثَّ الجِهَازِ) أي جهَّزنا لهما الراحلتين، على وجه السرعة، وأفضل ما يكون من التَّجهيز، مع جميع ما يحتاج إليه المسافر في السفر من الطعام، والشراب والمتاع.

(سُفْرَةً في جِرَاب) أي صنعنا لهما زاداً وافراً، وضعناه في كيس، ربطته أختي (أسماءُ) بقطعة من نِطَاقها، التي تضعه وسَطْها، فذلك سميت (ذاتَ النّطاقين)!!.

(غُلَامٌ ثَقِفٌ لَقِن) أي شاب حاذقٌ فَطِن، ومعنى (لَقِنٌ) أي سريع الذكاء والفهم، ومرادها أخوها الشقيق عبد اللَّه بن أبي بكر.

(فَيُدْلِجُ بِسَحَرٍ) أي يرجع في آخر الليل، إلى مكة من غار ثور، قبل ظهور نور الصباح.

(يُكْتَادَانِ بِهِ) أي لا يسمع خبراً فيه مكيدة لرسول اللَّه ﷺ، وصاحبه أبي بكر، إلَّا فهمه، فيخبرهما به ليلاً.

(فَيَبِيتَان في رِسْلٍ) أي يبيتان ليلتَهما، وعندهما لبَنٌ طريٌّ طَازَج، يشربان منه، فيتقوَّيان على سفرهما.

(حَتَّى ينعِقَ) أي حتى يصيح الراعي بغنمه، لتذهب للرعي، والنعيقُ: صوتُ الراعي إذا زجر الغنَمَ، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١]. أي ومثلُ الكفار كمثل الراعي الذي يصيح بغنمه، فهي تسمع الصوتَ، ولا تفهم المراد من الكلام!

(هَادِياً خِرِّيتاً) أي مرشداً إلى الطريق، ماهراً بالهداية، يُدعى (عبدَ اللَّهِ بنَ أُرَيْقط) فأْتمناه على أنفسهما، فأتى لهما بالراحلتين، حتى خرجا من مكة جهة المدينة، بعد أن مكثا في الغار ثلاثة أيام، ودفعا إليه راحلتيهما، فأخذ بهما طريقَ ساحل البحر، ليصرف عنهما شرَّ الأعداء.

(دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ) أي جعلتْ قريشٌ لمن يأتي بمحمد، أو أبي بكر، قتيلاً أو أسيراً ديةً، وهي مائةٌ من الإبل.

(رَأَيْتُ آنِفاً أَسْوِدَةً) أي سمع سُراقة رجلاً يقول: رأيتُ في هذه الساعة أسودةً - أي أشخاصاً - أظنُّ أنها محمد وأصحابه، فعرف سُراقة: أنهم المطلوبون لقريش، لكنه أراد أن يُعمِّي عنهم، لينال العطاءَ من قريش، حيث وعدتْ بكل واحدٍ يُؤتى به، قتيلاً، أو أسيراً، مائةَ ناقةٍ، وهو مبلغٌ كبيرُ الثَّمن.

(فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي) أي ساخت قدمَاها في الأرض، فسقطتُ عن فرسي، وكان هذا من حفظِ اللَّهِ لرسوله ﷺ. وهذه معجزةٌ أظهرها اللَّه تعالى له، ليكفَّ عن الدلالةِ عن الرسول ﷺ وصاحبه، ساخت يدا الفرس مرتين، أو ثلاثاً، حتى عرف (سُراقةُ) أنها من اللَّهِ، فطلب من الرسول ﷺ الأمانَ، فركبَ فرسَه حتى وصل إلى رسول اللَّه وأبي بكر، فأخبرهما بقصة فرسه، وبخبر قريش، فطلب منه الرسولُ ﷺ ألَّا يخبر أحداً عنهما.

وروي أنَّ الرسولَ ﷺ دعا عليه فقال: **(اللهمَّ اصْرَعْهُ)**، فصرعته فرسُه حتى وقع عنها، وساخت قدماها في الأرض).

تنبيهٌ لطيف

هذا بعضُ قصة هجرته ﷺ إلى المدينة، مع صاحبه (أبي بكر الصِّديق)، وفيها عِبَرٌ وعظات، وفيها من علامات النبوة الشيءُ الكثير، فإنَّ اللَّه حفظ رسوله ﷺ من شرِّ كفار قريش، الذين تآمروا على قتله، في (دار الندوة) فخرج مهاجراً، ودخل غَار ثور، وبقي ثلاثة أيام، ووصل المشركون إلى الغار، ولكنَّ اللَّه أعمى أبصارهم عن رسولِ اللَّه ﷺ بنسج العنكبوت، وبيضِ حمامة، ولِلَّهِ درُّ البوصيري حيث يقول:

حِمَايَةُ اللَّـهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ خبر الهجرة كان بأمرٍ من اللَّه تعالى، وتوجيهٍ منه لرسوله ﷺ وللمسلمين، وكانت الهجرةُ فريضةً على من دخل في الإسلام.

الثاني: وفيه بيانُ مكانة الصدِّيق رضي اللَّه عنه، حيث لم يكن مع الرسولِ ﷺ غيرُه في الهجرة، وسمَّاه تعالى الصاحبَ ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْـزَنْ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كما فيه منقبة لأبي بكر، حيث ردَّ جوار الكافر، ورضيَ بجوار اللَّه، مع شدة الأذى الذي تسبَّب له من المشركين، وهو برهانُ قوة إيمانه رضي اللَّه عنه.

الثالث: وفيه شدةُ حرص المشركين على قتل الرسول ﷺ وصاحبه، حيث جعلوا دية كلِّ واحدٍ منهما مائةً من الإبل.

الرابع: وفيه حادثةُ (سُرَاقَةَ بن جُعْشم) وما حدث له ولفرسه، من المصرع ثلاث مرات، حتى كاد يهلكُ، وهذه من الآيات الباهرة، على حفظ اللَّه لرسوله، وعصمته له من كيدِ المشركين.

الخامس: وفيه البشارةُ لسُراقةَ، بالخير الكبير إن أسلم، حيث ورد في ـ بعض الروايات ـ أنَّ الرسولَ ﷺ قال له: **(كيف بك إذا لبستَ سِوَارَيْ كسرى؟)** وقد حقَّق اللَّه ذلك له.

السادس: وفيه أخذُ النبيِّ ﷺ بالحِيطة والحَذَر، حيث خرج في هجرته جهةَ اليمن، ودخل (غارَ ثور)، ولم يذهب جهةَ المدينة، مع أنَّ الهجرة كانت إلى المدينة المنورة، تضليلاً لقريش، وهي خِطَّةٌ حكيمة ألهمه اللَّهُ إيّاها.

السابع: وفيه بيانُ شدة فرح المسلمين في المدينة المنورة بهجرة الرسول ﷺ إليهم، حيث كانوا يخرجون كلَّ صباح ومساء ينتظرون وصولَه ﷺ إليهم، ولمَّا وصل مع أبي بكر، استقبلوه بالأناشيد والأغاريد:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا ... جِئْتَ بِالأَمْرِ المُطَاعْ
جِئْتَ شَرَّفْتَ المَدِينَةْ ... مَرْحَباً يَا خَيْرَ دَاعْ

الثامن: وفيه أنَّ أولَ عمل فعله النبيُّ ﷺ حين وصل إلى المدينة، بناءُ (المسجد النبوي)، لينبِّه على أهمية المسجد في حياة المسلمين.

التاسع: وفيه خُلُق النبيِّ الكريم حيث اشترى المسجدَ من أصحابه، ولم يقبل أن يُقدَّم هديَّةً، وكان ينقل الحجارة معهم في بنائه، ويحمل معهم التراب وهو يقول: **(اللَّهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَة، فارْحَمْ الأنْصَارَ والمُهَاجَرَة اللهمَّ إنَّ العَيْش عَيْشُ الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة)**.

العاشر: وفيه نزولُه ﷺ حين وصل المدينة، في دار (أبي أيوب الأنصاري) حيث

بركتْ به الناقةُ، وكان كلُّ واحد من الصحابة، يمسك بزمام الناقة، يريد أن يكون الرسولُ ضَيْفاً عنده، فيقول لهم ﷺ: **(دَعُوها فإنها مأمورة)!!**

٣٩٠٦ ـ ذُكرتْ قصَّتُه في البخاري، وهي تتمةُ الحديث الشريف.

٣٩٠٧ ـ [طرفه في: ٢٩٧٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩٠٨ ـ [طرفه في: ٢٤٣٩]، تقدّم شرحُه.

باب (أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ ابنُ الزُّبَيْرِ)

٣٩٠٩ ـ عَنْ أَسْماءَ بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أنها قالت: (حَمَلْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ، فَأَتَيْتُ المَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُباء فَوَلَدْتُهُ بِقُباءَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ في فِيهِ، فَكانَ أَوَّلُ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ حنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ، وَكانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ).

شرح الألفاظ

(خَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ) أي خرجت (أَسْمَاءُ) مهاجرةً من مكة إلى المدينة، وهي حاملةً بابن الزبير، وقد أكملتْ حَمْلَها تسعةَ أشهر.

(بِقُباء فَوَلَدْتُهُ بِها) أي لمَّا وصلت إلى قُباء، ولدتْ (عبدَ اللَّه بنَ الزُّبير)، فهو أولُ مولود في الإسلام، من أبناء المهاجرين.

(وَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ) أي وضعتُ طفلي (عَبْدَ اللَّهِ) في حِضْن النبيِّ ﷺ ليحنِّكه.

(تفل فِي فِيهِ) أي وضع ﷺ من ريقه الشريفِ، في فمِ الطفل الرضيع.

(حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ) أي مضَغَ تمرةً، ثم دَلَكها بحنك الطفل، ودعا له بالخير والبركة فقال: **(اللهمَّ بارك فيه)**.

شرحُ الحديث

هذه قصةُ أول مولود في الإسلام من أبنَاء المسلمين المهاجرين، فقد خرجتْ (أسماءُ بنتُ أبي بكر) أختُ عائشة مهاجرةً إلى المدينة، وهي حُبلى بعبد اللَّهِ بن الزُّبير، فلمَّا وصلت قُباء بأول طريق المدينة، جاءها المخاضُ فولدت بعبد اللَّه بن الزبير، فكان أوَّلَ مولودٍ في الإسلام من أبناء المهاجرين، وكانت ولادتُه في السنة الأولى من الهجرة النبوية.

وكان النبيُّ ﷺ حين ولادته يبني المسجد النبويَّ مع المسلمين، فلمَّا ولدته جاءت به إلى رسولِ اللَّه ﷺ ليحنّكه ويباركه، فوضعته في حضن النبيِّ ﷺ، فأخذ تمرةً فمضَغَها، ثم أدخلها في فم ابن الزبير، وهذا هو التَّحْنيكُ ـ ودعا له ﷺ بالخير والبركة، وسمَّاه «عبدَ اللَّه». وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبير هو الذي قتله الطاغيةُ الظالم (الحجَّاجُ الثقفيُّ)، ثم صَلَبه على عمود، وأقسمَ أن لا يُنزله حتى تتشفَّع فيه أمُّه، فلمَّا جاءت أمُّه قال لها الخبيثُ الفاجرُ: كيف رأيتِني فعلتُ بعدوِّ اللَّه!؟ فقالت له: رأيتُك أفسدتَ عليه دنياه، وأفسدَ عليك آخرتك!

وقد كنتُ سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: (سيكون هناك كذَّابٌ ومُبير) ـ أي مهلكٌ للخلق ـ أمَّا الكذَّاب فمسيلمةُ الذي ادَّعى النبوَّة، وأمَّا المُبيرُ فلا أخالُه إلَّا أنت!! أي لا أظنُّه إلا أنتَ، أيها الطاغيةُ الظالم!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ أول مولودٍ وُلد في المدينة من أبناء المهاجرين هو (عبدُ اللَّهِ بنُ الزبير) وقد فرح بولادته المسلمونَ فرحاً شديداً، لأنَّ اليهود كانوا يقولون: سَحَرْناهم حتى لا يولد لهم مولود، فخيَّب اللَّه سعيهم، ولهذا ذكر البخاريُّ حديث مولده (عبدِ اللَّهِ بن الزبيرِ) رضي اللَّه عنه.

الثاني: وفيه فضيلةُ (عبد اللَّه بن الزبير)، فقد حنَّكه رسولُ اللَّه ﷺ بنفسه، وسمَّاه «عبد اللَّه» ودعا له بالخير والبركة.

الثالث: وفيه بيانُ فضيلة الهجرة في سبيل اللَّه من الرجال والنساء، كما قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ الآية [آل عمران: ١٩٥].

٣٩١٠ ـ انظر شرح الحديث السابق رقم ٣٩٠٩.

٣٩١١ ـ [طرفه في: ٣٣٢٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩١٢ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٩١٣ ـ [طرفه في: ١٢٧٦]، تقدّم شرحُه.

٣٩١٤ ـ [طرفه في: ١٢٧٦]، تقدّم شرحُه.

٣٩١٥ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٩١٦ ـ [طرفه في: ٤١٨٦، ٤١٨٧]، انظر شرح الحديث رقم ٤١٨٦.

٣٩١٧ ـ [طرفه في: ٢٤٣٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩١٨ ـ تقدَّم شرحه في الحديث رقم ٢٦٦١.

٣٩١٩ ـ [طرفه في: ٣٩٢٠]، إشارة إلى أن أسنَّ أصحاب النبي ﷺ كان أبو بكر رضي اللّه عنه، ومعنى أشمط أي في شعره بياض.

٣٩٢٠ ـ [طرفه في: ٣٩١٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩٢١ ـ انظر شرحه من خلال النص.

باب (حَدِيثِ الغَارِ وَقَوْلِ الصِدِّيق: لَوْ طَأْطَأَ أَحَدُهُمْ رَأْسَهُ لَرَآنَا)

٣٩٢٢ ـ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ القَوْمِ، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا، قالَ: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ، اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»).

[طرفه في: ٣٦٥٣].

شرح الحديث

لمَّا دخل رسول اللّه ﷺ (غار ثور) مع صاحبه الصدِّيق (أبي بكر) تتبَّع المشركون آثار أقدامِهِما، حتى وصلوا إلى الغار، ففزع أبو بكر، وخشي على رسولُ اللّه ﷺ، فقال للرسول: هؤلاء القوم لحقوا بنا، ولو أنَّ أحدَهم نظر ما دون قدميه لرآنا، فقال له الرسول الكريم: (يا أبا بكر لا تخفْ، ما ظنُّك باثنين، اللّهُ ثالثهما)!

فأنزل اللَّه تعالى قوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه حفظُ اللَّهِ ورعايتُه لنبيِّهﷺ وصاحبه أبي بكر، مع وصولِ المشركين إلى الغار، فقد أعمىٰ اللَّه أبصارَهم عن رؤيتهما.

الثاني: وفيه الثقةُ الكاملةُ من رسول اللَّهﷺ بربه، حيث قال للصدِّيق: **(لا تحزن يا أبا بكر فاللَّهُ معنا)**.

الثالث: وفيه شدةُ خوفِ الصدِّيق، على رسول اللَّهﷺ من وصول المشركين إليه، وقد أثنى اللَّه عليه بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠] وهي منزلة عظيمة، حيث وصَفَه بالصُّحْبةِ لرسول اللَّهﷺ.

٣٩٢٣ ـ [طرفه في: ١٤٥٢]، تقدّم شرحُه.

باب (مَقْدَمِ النَّبيِّ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ)

٣٩٢٤ ـ عَنْ البَرَاءِ بنِ عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: (أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَبِلَالٌ، رَضِيَ اللَّهُ عنهُمْ).

[طرفه في: ٣٩٢٥، ٤٩٤١، ٤٩٩٥].

شرح الحديث

(البَرَاءُ بنُ عَازِب) صحابيٌّ جليل، وقائدٌ من القُوَّاد المشهورين، أصحابِ الفتوحات الإسلامية، أسلمَ وهو صغير السنِّ، وغزا مع رسول اللَّهﷺ خمسَ عشرةَ غزوةً، يخبر البراءُ رضي اللَّه عنه، أنَّ أولَ المهاجرين إلى المدينة، هو «مصعبُ بنُ عُمَير» و«عبدُ اللَّه بنُ أمِّ مكتوم» وهما من القُرَّاء حفظةِ كتاب اللَّه تعالى، أرسلهما

رسولُ اللّه ﷺ إلى المدينة، لتعليم أهلها القرآنَ، فذهبا برسالةِ التعليم، ثم لحق بهما بعضُ المهاجرين، منهم: (بلالٌ)، و(سعدٌ)، و(عمار)، ثم عمر بنُ الخطاب، ومعه عشرون من المهاجرين.

وبعد أن اطمأنَّ رسولُ اللّه ﷺ لهجرة أصحابه، عزم على الهجرةِ، فهاجرَ بصحبة (أبي بكر)، فكانت فرحةُ أهل المدينة، بمقْدَم رسولِ اللّه ﷺ عظيمة، لا تعادلها فرحةٌ في الدنيا، لأنَّ يوَم هجرته إليهم (عيدُ الأعياد) فلذلك خرج النساءُ، والأطفالُ، والشيوخُ، والشبابُ، يستقبلونه ﷺ بالأهازيج والأناشيد.

وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً، لم ير الأنصارُ يوماً مثلَه، فلذلك يقول البراءُ: (فما رأيتُ أهلَ المدينة فرحوا بشيء، كفرحهم برسول اللّه ﷺ)، فخرجت جوارٍ ـ فتيات ـ من بني النجّار، يضربن بالدُّفِّ، وهنَّ يقلن:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ   يَا حَبَّذا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

أي نعم أن يكون محمد سيِّدُ الخلق جاراً لنا.

لقد عمَّت الفرحةُ أنحاءَ المدينة المنورة، حيث تنوَّرت بمقدم رسول اللّه ﷺ إليها، وخرج الناس جميعاً في الطرقات، والشُّرفات، وعلى أسطحة البيوت، وهم يرحِّبُون برسول اللّه ﷺ ويقولون: **(اللّهُ أكبرُ، جاء محمدٌ رسولُ اللّه ﷺ، جاء محمدٌ رسولُ اللّه ﷺ)** فكان يوماً مشهوداً. اهـ. فتح الباري ٧/ ٢٦١.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ يوم هجرة الرسول ﷺ كان عيدَ الأعياد عند أهل المدينة، لم تشهد المدينةُ مثلَ ذلك اليوم البهيج.

الثاني: وفيه أنَّ الرسول ﷺ، دعا أصحابَه إلى الهجرة، فهاجروا، ثم لحق بهم رسولُ اللّه ﷺ، بعد اطمئنانه عليهم، وخلاصهم من بطش المشركين، وهذه رعايةُ القائد الحكيم بجنوده المهاجرين.

الثالث: وفيه أنَّ أولَ السابقين إلى الهجرة (مصعبُ بنُ عمير) مقرئُ القرآن، ومعه مؤذِّن رسول اللّه ﷺ «عبد اللّه بن أمِّ مكتوم» أرسلهما رسولُ اللّه ﷺ، لتعليم أهلِها القرآنَ، فهما معلِّمان ومهاجران.

الرابع: وفيه بيانُ فضل الهجرة في سبيل اللّه، وذكرِ مناقب المهاجرين والأنصار.

الخامس: وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابَه الكرام لم يهاجروا، ولم يقدموا المدينةَ، حتى تم انتشارُ الإسلام فيها، على يد «مُصعب بنِ عُمَير» ولم يبق بيت إلَّا دخله الإسلام.

٣٩٢٥ ـ [طرفه في: ٣٩٢٤]، تقدّم شرحُه.

٣٩٢٦ ـ [طرفه في: ١٨٨٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩٢٧ ـ [طرفه في: ٣٦٩٦]، تقدّم شرحُه.

٣٩٢٨ ـ [طرفه في: ٢٤٦٢]، تقدّم شرحُه.

٣٩٢٩ ـ [طرفه في: ١٢٤٣]، تقدّم شرحُه.

٣٩٣٠ ـ [طرفه في: ٣٧٧٧]، تقدّم شرحُه.

٣٩٣١ ـ [طرفه في: ٩٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩٣٢ ـ [طرفه في: ٢٣٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (إقَامَةِ المُهَاجِرِ بِمَكَّةَ بَعْدَ قَضَاءِ نُسُكه)

٣٩٣٣ ـ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الحَضْرَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ثَلاثٌ لِلْمُهَاجِرِ بَعْدَ الصَّدَرِ).

اللغة

(الصَّدَرُ): الرجوعُ والانتهاءُ من مناسك الحج.

شرحُ الحديث

العلاءُ بنُ الحضرميِّ: صحابيٌّ جليل، اسمه «عبدُ اللَّهِ بنُ عِمَاد» كان حليفَ بني أُميَّة، ولَّاه النبيُّ ﷺ على البحرين، وكان مجاب الدعوة، مات في خلافة عمر، وليس له في البخاري، إلَّا هذا الحديثُ، كما يقول ابنُ حجر في فتح الباري في مناقب الأنصار.

ولذكرِ هذا الحديث سببٌ، وهو أنَّ (عمرَ بنَ عبد العزيز)، سألَ السائبَ بنَ يزيد، فقال له: ما سمعتَ في سكنى مكة؟ فأجابه سمعتُ العلاءَ بنَ الحضرميِّ يقول: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **(ثلاث للمهاجر بعد الصَّدَر)**.

شرحُ الحديث

الإقامةُ بمكة المكرَّمةَ كانت حراماً على من هاجر منها، إلَّا من قصدها لحجٍّ أو عمرة، فيباح أن يقيم بها بعد انتهائه من نُسُكه، ثلاثةَ أيام، لا يزيد عليها، لأنَّ الهجرةَ كانت فرضاً على المسلمين، فلا يجوز بعد أن يهاجر أن يرجع إلى وطنه، وهذا يدلُّ على أنَّ الدِّينَ، أعزُّ وأغلى من الوطن، نصرةً للرسول ﷺ الذي هاجر من أجل دينه، ومواساةً للمؤمنين المستضعفين، الذين تركوا أموالهم وأوطانهم، إعزازاً لدين اللَّه، وقد توعَّد تعالى الذين لم يُهاجروا، وبقُوا تحت سُلطان أهل الشرك والكفر، توعَّدهم بأشدِّ أنواع العذاب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

ما يُستفاد من الحديث

قال النووي: معنى الحديث: أنَّ الذين هاجروا إلى المدينة يحرم عليهم استيطانُ مكة قبل فتحها، إلَّا من قصَدَها من المهاجرين بحجّ أو عمرة، لأن الهجرة كانت واجبة عليهم، لنصرة النبيِّ ﷺ ومواساته بالنفس، وأمَّا بعد (فتح مكة)، فيجوز له سكنى أيِّ بلدٍ أرادها، سواءً مكة أو غيرها .اهـ فتح الباري ٧/ ٢٦٧.

٣٩٣٤ ـ فيه إشارة إلى أن الهجرة كانت مبدأ التأريخ.

٣٩٣٥ ـ [طرفه في: ٣٥٠]، تقدّم شرحُه.

٣٩٣٦ ـ [طرفه في: ٥٦]، تقدّم شرحُه.

٣٩٣٧ ـ [طرفه في: ٢٠٤٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩٣٨ ـ [طرفه في: ٣٣٢٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩٣٩ ـ [طرفه في: ٢٠٦٠]، تقدّم شرحُه.

٣٩٤٠ ـ [طرفه في: ٢٠٦١]، تقدّم شرحُه.

❁ ❁ ❁

بابُ (إِتْيانِ اليَهُودِ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ المَدِينَةَ)

٣٩٤١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قالَ: (لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لآمَنَ بِيَ الْيَهُودُ).

شرح الحديث

المقصود من ذكر هذا الحديث أنَّ أحبار اليهود ورؤساءَهُم، يعرفون أنَّ الإسلام دينُ حقٍّ، وأنَّ الرسولَ ﷺ آخرُ الأنبياء والمرسلين، وأنه يُبعث في مكة، ويكون مهاجَرْه إلى المدينة، لأن أوصافه ﷺ كلُّها مذكورة في التَّوراةِ، كما هي مذكورة في الإنجيل، ولكن أهل الكتاب كانوا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وكما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] لكنَّ رؤساء اليهود، كتموا صفاتِه عن العامة والأتباع، بل غيَّروها عن خُبْث وقصدٍ، ولذلك لم يدخل في الإسلام من اليهود، أعدادٌ كبيرة، ولو أنَّ عشرة من كبار أحبارهم أسلموا، لأسلم يهودُ المدينة كلُّهم، فالمرادَ بالعشرة: هم الرؤساءُ، وأكابرُ الأحبار فيهم. انظر فتح الباري ٧/ ٢٧٥.

٣٩٤٢ ـ [طرفه في: ٢٠٠٥]، تقدّم شرحُه.

٣٠٤٣ ـ [طرفه في: ٢٠٠٤]، تقدّم شرحُه.

٣٩٤٤ ـ [طرفه في: ٣٥٥٨]، تقدّم شرحُه.

٣٩٤٥ ـ [طرفه في: ٤٧٠٥، ٤٧٠٦]، انظر شرح الحديث رقم ٣٩٤١.

٣٩٤٦ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٩٤٧ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٩٤٨ ـ انظر شرحه من خلال النص.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب المغازي

بابُ (غَزْوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وأوَّلُها غَزْوَةُ العُشَيْرَةِ)

٣٩٤٩ - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئِلَ: (كَمْ غَزَا النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةٍ؟ قالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ، قال: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ، قُلْتُ: فَأَيُّهُمْ كانَتْ أَوَّلَ؟ قالَ: الْعُشَيْرَةُ، أَوِ العُشَيْرُ، فَذَكَرْتُ لِقَتَادَةَ فَقَالَ: الْعُشَيْرَةُ).

[طرفه في: ٤٤٠٤، ٤٤٧١].

شرح الحديث

المرادُ بالغزوات: هيَ الغزواتُ التي شهدها النبيُّ ﷺ بنفسه، وشارك فيها مع الصَّحابةُ، وهي (تسعَ عشرة) غزوةً، يروي لنا زيدُ بن أرقم أنه حضر مع الرسول ﷺ (سبعَ عشرة) غزوةً، وكانت أولُ غزواته ﷺ «ذو العُشَيْرة» وهي قريبة من «يَنْبُع» البلدة المشهورة، لأن النبيَّ ﷺ خرج مع بعض أصحابه، ليترقبوا فيها تجارةَ قريش، ولكنهم لم يظفروا بها، لا في الذهاب، ولا في الإياب.

قال الحافظُ ابنُ حجر: مراد (زيدٍ) بالغزواتِ: الغزواتُ التي خرج النبيُّ ﷺ بنفسه فيها، سواءً قاتل أم لم يقاتل، وقد فاتَ (زيدَ بن أرقم) غزوتين: هما (الأبواء) و(بواط) وقد خفي عليه ذلك لصغر سنِّه قال: ويؤيد ما قلتُه، ما جاء في صحيح مسلم (أنَّ أولَ غزوة غزاها (غَزْوَةُ العُشَيْرة) وهي الثالثة من غزواته ﷺ).

وأمَّا الغزوات التي قاتل فيها رسول الله ﷺ بنفسه، فهي ثمانية: (بدرٌ، وأُحُدٌ، والأحزابُ، وبني المصطلق، وخيبرُ، وغزوةُ الفتح، وحنينٌ، والطائفُ) اهـ فتح الباري ٧/ ٢٨١.

٣٩٥٠ - [طرفه في: ٣٦٣٢]، تقدّم شرحُه.

٣٩٥١ - [طرفه في: ٢٧٥٧]، انظر شرحَه في الحديث (٤٤١٨).

بابُ (غَزْوَةِ بَدْرٍ،
وقولِ اللَّهِ تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩])

٣٩٥٢ ـ عَنْ عبد اللَّه بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَداً، لأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهْوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كما قالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ وَلٰكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَخَلْفَكَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ). يَعْنِي: قَوْلَهُ.

[طرفه في: ٤٦٠٩].

شرح الألفاظ

(**مِمَّا عُدِلَ بِهِ**) أي من كلِّ شيء يعادله أو يوازيه من نعيم الدنيا، ومرادُه المبالغةُ في عَظَمة ذلك المشهد الكريم، وذلك في قولِ المقدادِ رضي اللَّه عنه، يا رسول اللَّه: (امضْ لِمَا أمرَكَ اللَّهُ به، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لنبيِّهم موسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] بل نقول لك: (**إنَّا معكما مقاتلون**)، نقاتلُ أمامك، وعن يمينك، وشمالك، وبين يديك). فكانت هذه المقالةُ عظيمةً سارَّةً لرسول اللَّه ﷺ، لذلك تمنَّى ابنُ مسعود أن يكون هذا الموقف المشرِّف له في ذلك اليوم المشهود.

(**أَشْرَقَ وَجْهُهُ**) أي رأيتُ الرسولَ ﷺ، قد سرَّته تلك المقالة الإيمانية، سروراً عظيماً، استنار لها وجهُ النبي ﷺ.

روى أحمد في المُسْنَد: أنَّ المقدادَ قال لرسول اللَّه ﷺ يوم بدر: (يا رسول اللَّه: إنَّا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكنْ نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون).

شرحُ الحديث

خرج المسلمون لغزوة بدر على غير استعداد، وقد كانوا يريدون التعرض لقافلة قريش، لا يريدون القتال، وقد قال الرسول ﷺ لأصحابه: (**إنَّ اللَّه وعدني إحدى الحُسْنيين**: إمَّا العير ـ أي التجارة ـ وإمَّا النَّفير ـ أي الرجال ـ بالانتصار عليهم)، فلمَّا نجت القافلةُ، وجاء المشركون إلى بدر للقتال، استشار النبيُّ ﷺ أصحابه في الخروج لقتالهم، فقال بعضُهم: يا رسولَ اللَّه إنَّا لم نخرج للحرب

فقام (المقدادُ بن عَمْرو)، فقال: يا رسول اللَّه: امضِ لما أمرك اللَّه، فنحن معك، نقاتل عن يمينك وشمالك، ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لنبيِّهم، فسُرَّ الرسولُ من كلامه، وقال: (**أبشروا أيها الناس، وسيروا على بركة اللَّه، واللَّهِ لكأني انظر إلى مصارع القوم**).

أقولُ: ما أقبح ردّ اليهود على نبيِّهم (موسى) عليه السلام! الذي يدلُّ على وقاحةٍ في الخطاب، وشناعةٍ في الجواب! وأين هو من جواب أصحابِ رسول اللَّه ﷺ، حين دعاهم إلى قتال المشركين في غزوة بدر؟ فكانَ جوابُهم هذا الجوابَ البديع، الذي يَفيضُ روعةً وجمالاً، وشجاعةً واستبسالاً.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ ما كان عليه الصحابةُ رضوانُ اللَّه عليهم من طاعةٍ للَّه، وحبٍّ لرسوله، وإخلاصٍ لنصرة دينه.

الثاني: وفيه موقفٌ مشرِّفٌ للمقداد بن الأسود، شهد له بها كبارُ الصحابة، حتى تمنَّى بعضهم أن يكون له مثلُه من الكلام البديع.

الثالث: وفيه سرورُ النبيِّ ﷺ الكبير، بقول (المقداد) رضي اللَّه عنه، الدالِّ على الشجاعة والبطولة، حتى استنار وجهُ النبيِّ ﷺ وأضاء.

٣٩٥٣ ـ [طرفه في: ٢٩١٥]، تقدّم شرحُه.

٣٩٥٤ ـ [طرفه في: ٤٥٩٥]، انظر شرح الحديث رقم ٣٩٥٢.

٣٩٥٥ ـ [طرفه في: ٣٩٥٦]، انظر شرح الحديث التالي رقم (٣٩٥٧).

٣٩٥٦ ـ [طرفه في: ٣٩٥٥]، انظر شرحُه في الحديث رقم (٣٩٥٧).

❁ ❁ ❁

بابُ (عِدَّةِ أَصْحَابِ بَدْرٍ)

٣٩٥٧ ـ عَنْ البَرَاءِ بن عَازِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: (حدَّثَني أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً، أَنَّهُمْ كانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جاوزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَمِائَةٍ.

قَالَ: الْبَرَاءُ: لَا وَاللَّهِ ما جاوزَ مَعَهُ النَّهَرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ).

[طرفه في: ٣٩٥٨، ٣٩٥٩].

شرحُ الحديث

غزوةُ بدر تاجُ الغَزَوات في المعارك التي خاضها المسلمون، انتصر فيها الحقُّ على الباطل، مع قلَّةٍ في السلاح والمال، وقلَّةٍ في الرجال، وانهزم المشركون مع كثرتهم، يجرُّون ذُيولَ الهزيمة والانكسار، وصدق اللَّه العظيم ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] أي مع قلة العدد، وقلَّة السلاح، فقد كان عدد جيش المسلمين (٣١٥) وعددُ المشركين يزيد على الألف (١٠٠٠) مقاتل، وانتصر جند الرحمٰن على جند الشيطان.

ويؤكِّد ذلك ما ذكره البَرَاءُ في هذا الحديث، أنَّ عددَ أصحاب رسول اللَّهِ ﷺ ممَّن شهد بدراً، كان عددَ أصحاب طالوت ـ أي قليلاً ـ وهو ثلاثُمائة وبضعة عشر مقاتلاً، كذلك كان عددُ أصحابِ رسول اللَّه ﷺ قليلاً، لينبِّهنا إلى أنَّ العبرة بقوة اليقين والإيمان، لا بكثرة السلاح والرجال، ثم يقول: ما كان في جيش طالوتَ إلَّا مؤمن، وهو الحالُ في جيش محمد ﷺ ما كان معه إلَّا أهلُ الصِّدقِ والإيمان، وأهلُ التُّقى والإحسان، ولذلك نصرَهم اللَّه تعالى. روى البيهقي في سننه عن عبد اللَّه بنِ عَمْرِو بنِ العاص: أنه قال: (خرج رسولُ اللَّه ﷺ يوم بدر، ومعه ثلاثمائة وخمسةَ عشر).

وقد استثنى النبي ﷺ الصغار من الصحابة، منهم البراء بن عازب وعبد اللَّه بن عمر.

٣٩٥٨ ـ [طرفه في: ٣٩٥٧]، تقدّم شرحُه.

٣٩٥٩ ـ [طرفه في: ٣٩٥٧]، تقدّم شرحُه.

٣٩٦٠ ـ [طرفه في: ٢٤٠]، تقدّم شرحُه وانظر شرح الديث (٣٩٥٧).

٣٩٦١ ـ انظر شرحُه في الحديث التالي رقم ٣٩٦٢ وانظر أيضاً شرح الحديث (٢٤٠).

بابُ (مَقْتَلِ أبي جَهْلٍ فِرْعونَ هَذِهِ الأُمَّةِ)

٣٩٦٢ ـ عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (مَنْ يَنْظُرُ ما صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ»؟ فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عفراءَ حَتَّى بَرَدَ. قَالَ: أَأَنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟ قالَ: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ قالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟ أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُه؟).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ: أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟

[طرفه في: ٣٩٦٣، ٤٠٢٠].

شرح الألفاظ

(ما صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ)؟ أي من ينظر لي حالَ أبي جهل؟ ومن يأتيني بخبره؟ هل هو في الأحياء؟ أم في الأموات؟

(ابْنَا عفْرَاءَ) هما «مُعاذُ بنُ الجَموح» و«مُعَاذُ بنُ عَفْرَاء» وهما شابَّان حديثا السِّنِّ هما اللّذينِ قتلاه.

(حتَى بَرَدَ) أي أصبح في حالة الموت والاحتضار، وبه رمَقٌ من الحياة، ومعنى قوله (بَرَدَ): أي صار صريعاً في حالة من يموت، ولم يبق فيه سوى حركة المذبوح.

(هَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمَهُ)؟ أي ليس بعارٍ على رجلٍ عظيم أن يقتله قومه! يريد الشقيُّ بذلك تهوينَ أمرِ ما حلَّ به من القتل.

❁ ❁ ❁

شرحُ الحديث

كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ـ بعد ما انتهت معركةُ بدر ـ يريد أن يعرف أمرَ عدوِّ اللَّه «أبي جهل» فقال لأصحابه: **(من يأتيني بخبر أبي جهل؟)**.

قال ابنُ مسعود: قلتُ: أنا يا رسول اللَّه، فانطلقتُ فوجدتُه صريعاً، بآخر رمَقٍ، فقلت: يا عدوَّ اللَّه، قد أخزاكَ اللَّهُ ـ وجلستُ على صدره ـ قال: وبِمَ أخزاني؟ ليس بعارٍ على رجلٍ سيِّدٍ في قومه أن يقتله قومه!

قال ابنُ مسعود: فاحتززتُ عنقه، وجئتُ به إلى رسول اللَّه ﷺ، فحمِدَ اللَّهَ على مقتل هذا الكافر الفاجر، الذي كان يسمّيه رسولُ اللَّه ﷺ (فرعونَ هذه الأمة).

وأمَّا قصةُ مقتله، فهي كما رواها البخاري، سنذكرها وهي القصةُ الآتية:

قصَّةُ مقتلِ أبي جهل اللَّعين

من عجيب أمر هذا الشقيِّ الهالك، أنَّ الذي قتله شابَّان من شباب الأنصار في ريعان الشباب، «معاذ» و«معوِّذ»!

ولهما قصة غريبة ذكرها البخاري في موطن آخر في صحيحه فقال:

(قال عبدُ الرحمٰن بنُ عوف: إني لفي الصفِّ يوم بدر، إذِ التفتُّ فإذا عن يميني وشمالي فَتَيان، حديثا السِنِّ ـ أي صغيران ـ إذْ قال لي أحدُهما سرًّا من صاحبه: يا عمُّ، أَرِني أبا جهل، أين هو؟ فقلتُ له: يا ابنَ أخي، ما تصنع به؟ قال: أُخبِرْتُ أنه كان يسبُّ رسولَ اللَّه ﷺ فوالذي نفسي بيده، لئن رأيتُه، لا يُفارق سوادُه سوادي، حتى يموت الأعجلُ منا. قال: فتعجبت من كلامه غاية العَجَبَ!

قال: وغَمَزني الآخر: فقال لي مثلَ ما قال الآخر، فلم أمكُثْ قليلاً، حتى نظرتُ لأبي جهل، يجول بين الناس على فرسه!!

فقلتُ لهما: هذا صاحبُكما الذي تسألاني عنه.

قال: فانقضَّا عليه مثل الصَّقْرين، يضربانه بسيفيهما، حتى سقط مضرَّجاً بالدِّماءِ على الأرض، لا يستطيع الحَرَكَةَ، وهما ابنا عفراء).

انظر صحيح البخاري كتاب المغازي ١٧/ ٩٨ من عمدة القاري للعيني.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ اهتمام الرسول ﷺ بخبر (أبي جهل) ولهذا سأل من يأتينا بخبره؟ للاطمئنان عن هلاك الطّاغية الفاجر.

الثاني: وفيه بيانُ شجاعة فتيان الأنصار، فالذي قَتَلَ الطاغيةَ (أبا جهل)، شابّان من أبناء الأنصار، هما (معاذُ بنُ الجَموح) و(معاذُ بنُ عَفْراءَ).

الثالث: وفيه أنَّ يَومَ مقتل الطاغية (أبي جهل)، كان يوم فرح وابتهاج للرسول ﷺ، ولجميع المسلمين، لعظيمِ ضررِ ذلك الشقي، فرعون هذه الأمة، المحمديّة، حيث استراح المسلمون من شرّه.

٣٩٦٣ ـ [طرفه في: ٣٩٦٢]، تقدّم شرحُه.

٣٩٦٤ ـ [طرفه في: ٣١٤١]، تقدّم شرحُه.

٣٩٦٥ ـ [طرفه في: ٣٩٦٧، ٤٧٤٤]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٩٦٦ ـ [طرفه في: ٣٩٦٨، ٣٩٦٩، ٤٧٤٣]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٩٦٧ ـ [طرفه في: ٣٩٦٥]، تقدّم شرحُه.

٣٩٦٨ ـ [طرفه في: ٣٩٦٦]، تقدّم شرحُه.

٣٩٦٩ ـ [طرفه في: ٣٩٦٦]، تقدّم شرحُه.

٣٩٧٠ ـ فيه شهادة أن سيدنا علي رضي اللّه عنه، شهد بدراً.

٣٩٧١ ـ [طرفه في: ٢٣٠١]، تقدَّم شرحه في الأحاديث السابقة.

٣٩٧٢ ـ [طرفه في: ١٠٦٧]، تقدَّم شرحه.

٣٩٧٣ ـ [طرفه في: ٣٧٢١]. تقدم شرحه في مناقب الزبير رضي اللّه عنه وانظر شرح الحديث (٣٧٣٠).

٣٩٧٤ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٣٩٧٥ ـ [طرفه في: ٣٧٢١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَقْتَلِ صَنَادِيدِ الكُفْرِ وَرَمْيِهِمْ فِي القَلِيبِ)

٣٩٧٦ ـ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ

أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا في طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ، خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكانَ إِذا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ، أَقامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيالٍ، فَلَمَّا كانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ، أَمَرَ بِراحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى واتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقالُوا: ما نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حاجَتِهِ، حَتَّى قامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمائِهِمْ، وَأَسْماءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا»؟! قالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ما تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ)**.

[طرفه في: ٣٠٦٥].

شرح الألفاظ

(صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ): رؤساءُ الكفر والطغيان، جمعُ صِنْدِيد بمعنى الطاغية الجبَّار.

(طَوِيّ) أي حفرة عميقة، مطويَّةٍ بالحجارة، بُنِيتْ بالحجارة، تشبه البئر الواسعة.

(خبيثٍ مُخْبِث) أي البئرُ تحوي الجِيفَ، وكلَّ شيءٍ له رائحةٌ كريهة، وفيها كلُّ خبيثٍ نتِن.

(ظَهرَ على قَوْم) أي غَلَبهم وقَهرهم، وانتصر عليهم في المعركة.

(شَفَةَ الرَكيَ) أي قام على طرف الحفرة، التي أُلقيت فيها أجسادُ القتلى الكفار.

شرح الحديث

في غزوة بدر قُتل من المشركين (٧٠) سبعون، وأُسر (٧٠) سبعون، وأَمَر ﷺ بأجساد المشركين من القتلي، أن يُسحبوا ويُرمَوْا في حفرةٍ عميقة، فأُلقوا في تلك الحفرة الخبيثة المنتنة، أُلقي منهم أربعة وعشرون، من صناديدِ الكفر والطغيان، وأُلقي الباقون في أمكنةٍ أخرى، وجاءَ رسولُ اللَّه ﷺ إلى القليب، الذي طُرِح فيها الطغاةُ الفجرة، رؤساءُ الكفر والضلالة، فوقفَ على طرف البئر، وأخذ يقول: (يا أهل

القَليب، بئس عشيرةُ النبيِّ كنتم، كذَّبتموني، وصدَّقني الناس! ثم أخذ يُخَصِّص بعضَهم بالذكر، فيدعوه باسمه: (يا عُتبةُ، يا شيبةُ، يا أُميَّةُ، يا أبا جهل بنَ هشام) فيذكرهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم، ويقول مخاطباً لهم: هل رأيتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإنّي قد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا فقد أخزاكم اللَّهُ، ونصرني.

سمعه عمرُ بنُ الخطَّاب، وهو يناديهم ويخاطبهم، فجاء إلى الرسول ﷺ، وقال: يا رسولَ اللَّه (أتكلِّم أمواتاً قد جَيَّفوا!) ـ أي أصبحت أجسامُهم جيفاً نَتِنةً ـ فقال له ﷺ: (واللَّهِ ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، لكنَّهم لا يجيبون) أي لا يستطيعون أن يردُّوا الجواب عليَّ.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف أنَّ الميِّتَ في قبره يسمعُ ويُحِسُّ، ولكنه لا يستطيع الكلامَ والجوابَ، لقوله ﷺ: **(ما أنتم بأسمعَ لما أقول منكم)**، ولقوله ﷺ: (إنَّ الميِّت إذا وُضع في قبره وتولَّى عنه أصحابُه، وإنه لَيَسْمَعُ قرعَ نعالهم) رواه البخاري، وهذا رأيُ الجمهور من أهل السنة.

الثاني: وفيه أنَّ الميِّت من الكفار لا يُغسَّل، ولا يُصلَّى عليه، بل يُلقى في حفرة، كما تُلقى الجِيَفُ من الكِلَابِ الدوابّ.

الثالث: وفيه أنَّ مخاطبة النبي ﷺ للمقبورين من الكفار إنما الهدفُ منه التوبيخُ واللَّومُ، والتأنيبُ، لإشعارهم بالمهانة والذلَّة والندم، والتحذيرُ من عاقبتهم الوخيمة.

تنبيه لطيفٌ هام

ما رُوي عن عائشةَ رضي اللَّه عنها أنها أنكرتْ سماعَ الميِّت للكلام، واحتجَّتْ بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الروم: ٥٢] وقالت في الحديث إنَّ الرسولَ ﷺ قال: **(إنهم ليعلمون الآنَ أنَّ ما كنتُ أقولُ لهم حقٌّ)** ولم يقل: إنهم ليسمعون ما أقولُ، ولكنهم لا يتكلَّمون... إلى آخره.

ردَّ فيها الجمهورُ، فقالوا: العلمُ لا يمنع السَّماعَ، وأمَّا الجوابُ عن استدلالها بالآية: فإنَّ الآية ليس فيها ما يدلُّ على عدم سماعِ الميِّت، فإنَّ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٢] لا يُراد به الموتى الذين هم في القبور، إنما يراد به الكفارُ (مَوْتَى القُلوب)، بدليل قوله تعالى بعدها ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الروم: ٥٣] أي لا تُسمعُ إلَّا المؤمنَ المصدِّقَ بآيات الرحمٰن، وكثيراً ما يشبِّه القرآنُ

الكافرَ بالأعمى، والمؤمنَ بالبصير، كما قال سبحانه ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ [الرعد: ١٩] وقال سبحانه عن الكفار ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨] وقولُه تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٩] أي لا يتساوى عند اللّه الكافرُ والمؤمن، فلا يُراد بالعَمَى ذهابُ البصر، إنما يراد به عمى القلب، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

قال البدر العيني: المرادُ من الموتى: الكفّارُ، باعتبار موت قلوبهم، وإن كانوا أحياءً صورةً، فهذا هو المرادُ من الآية، شُبِّهوا بالموتى وهم أحياء، لأنَّ حالهم كحال الأموات .اهـ عمدة القاري ١٧/ ٩٤.

ورُوِيَ أنَّ عائشة رضي اللّه عنها رجعت عن قولها، لِمَا ثبتَ عندها من رواية هؤلاء الصحابةِ الثقات، لكونها لم تشهد القصَّة، واللّهُ أعلم، وانظر فتح الباري ٧/ ٣٠٤.

٣٩٧٧ ـ [طرفه في: ٤٧٠٠]، انظر شرحه من خلال النص.

٣٩٧٨ ـ [طرفه في: ١٢٨٨]، تقدّم شرحُه في الحديث (١٢٨٧).

٣٩٧٩ ـ [طرفه في: ١٣٧١]، تقدّم شرحُه في الحديث (١٣٧٠).

٣٩٨٠ ـ [طرفه في: ١٣٧٠]، تقدّم شرحُه.

٣٩٨١ ـ [طرفه في: ١٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٣٩٨٢ ـ [طرفه في: ٢٨٠٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩٨٣ ـ [طرفه في: ٣٠٠٧]، انظر شرح الحديث (٤٨٩٠).

٣٩٨٤ ـ [طرفه في: ٢٩٠٠]، تقدّم شرحُه.

٣٩٨٥ ـ [طرفه في: ٢٩٠٠]، تقدّم شرحُه.

٣٩٨٦ ـ [طرفه في: ٣٠٣٩]، تقدّم شرحُه.

٣٩٨٧ ـ [طرفه في: ٣٦٢٢]، تقدّم شرحُه.

٣٩٨٨ ـ [طرفه في: ٣١٤١]، تقدّم شرحُه.

٣٩٨٩ ـ [طرفه في: ٣٠٤٥]، تقدّم شرحُه.

٣٩٩٠ ـ فيه شهادة لسيدنا سعيد بن زيد رضي اللّه عنه أنه حضر بدراً.

٣٩٩١ ـ [طرفه في: ٥٣١٩]، وفيه شهادة على أن إياس بن البكير كان من أهل بدر.

بابُ (شُهُودِ المَلائِكَةِ غَزْوَةَ بَدْرٍ)

٣٩٩٢ ـ عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ ـ وكان ممن شهد بدراً ـ أنه قال: (جاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ما تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قالَ: «مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ»! أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ المَلائِكَةِ).

[طرفه في: ٣٩٩٤].

اللغة

(مُرْدِفينَ) أي متتابعين، يتبع بعضُهم بعضاً.

شرح الحديث

في هذا الحديث الشريف دلالةٌ واضحة، على عظيم فضل (غَزْوة بدر)، فإنها أفضلُ الغزوات، فإنَّ الملائكة شاركت بالقتال فيها، مع المسلمين. وفيها يقول تقدست أسماؤه ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠].

قال أهلُ التفسير: في هذه الآية إشارة إلى ما حَدَث من النبي ﷺ، حيث نظر إلى المشركين وهم ألفُ مقاتل، ونظر إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً، فاستقبلَ القبلةَ، ومدَّ يدعو ربَّه، ويستغيث ويستنجد به، وهو يقول: **(اللهمَّ إن تَهْلِكْ هذه العِصَابةُ من أهل الإسلام، فلن تُعبد في الأرض، اللهمَّ أنجزْ لي ما وعدتني)**.

فما زال يستغيث ويستنجد بربه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فالتَزَمه (أبو بكر) من خلف وهو يقول: كفاكَ يا رسولَ اللّه مناشدتَكَ ربك، فإنه سينجز لك ما وعَدَك به، فنزلت الآية الكريمة.

مِن أجْلِ هذا كانت (غزوةُ بدر) أفضلَ الغَزْوات، ومن شهدها من المسلمين، كان أفضلَ الناس، كما أنَّ من شهدها من الملائكة كان أفضلَ الملائكة، ولهذا قال

رسولُ اللَّه ﷺ لعمر، حين أرادَ قتلَ حاطب: (**دَعْهُ يا عمرُ، فإنه شهد بدراً، وما يُدريك أنَّ اللَّهَ اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**) كما جاء في حديث البخاري ومسلم، في قصة الصحابي (حاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَة)».

ويؤيده الحديثُ التالي (٣٩٩٥). أنَّ جبريل عليه السلام، شهد بدراً مع الملائكة.

٣٩٩٣ ـ [طرفه في: ٣٩٩٢]، تقدّم شرحُه.

بَابُ (شُهُودِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِغَزْوَةِ بَدْرٍ)

٣٩٩٤ ـ [طرفه في: ٣٩٩٢]. تقدم شرحه.

٣٩٩٥ ـ عن عبد اللَّهِ بن عباس رضي اللَّهُ عنهما (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ قَوْمَ بَدْرٍ: (هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ).

[طرفه في: ٤٠٤١].

شرحُ الحديث

هذا الحديث من مراسيل الصحابة، لأنَّ ابنَ عباس رواه عن النبيِّ ﷺ، وأسقط (أَبَا بكر) رضي اللَّه عنه الذي سمع هذا الحديث منه، فهو حديث مرسل، كما في منظومة البَيْقونيَّة: (ومرسلٌ منه الصحابيُّ سَقَطْ).

وأصلُ الرواية ما رُوي عن ابنِ إسْحَاقَ (أنَّ النبيَّ ﷺ خَفَق خفقةً ـ أي أخذته غَمْضةٌ ـ ثم انتبه، فقال: (**أبشرْ يا أبا بكر، أتاكَ نصرُ اللَّه، هذا جبريلُ آخذٌ بعَنَان فَرَسه ـ أي ممسك بذمام فرسه ـ يقوده، على ثناياه الغُبَارُ**)).

قال البدر العيني: فإن قلتَ: ما الحكمةُ في قتال الملائكة مع النبي ﷺ؟ مع أنَّ جبريلَ قادر على دفع الكفار بريشةٍ من جناحه؟

فالجوابُ: ليكون الفعلُ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه، أنهم هم المقاتلون في المعركة، وتكون الملائكةُ مَدَداً، على عادة مَدَدِ الجيوش .اهـ عمدة القاري ١٧/ ١٠٥.

٣٩٩٦ ـ [طرفه في: ٣٨١٠]، تقدّم شرحُه.

٣٩٩٧ ـ [طرفه في: ٥٥٦٨]، انظر شرح معناه في الحديث رقم ٩٥٥.

بابُ (بُطولَةِ الزُّبيْرِ بن العَوَّامِ يَوْمَ بَدْرٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ)

٣٩٩٨ ـ عَنْ الزُّبَيْرِ بنِ العوَّام رضي اللَّه عنه، أنه قال: (لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ «عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ ابْنِ الْعَاصِ»، وَهْوَ مُدَجَّجٌ، لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ ـ وَهْوَ يُكْنَى (أَبَا ذَاتِ الْكَرِشِ) ـ فَقَالَ أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ، فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ.

قالَ هِشَامٌ: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ تَمَطَّأْتُ، فَكانَ الجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا وَقَدِ انْثَنى طَرَفاهَا. قالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَها إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمانُ وقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيّ، فَطَلَبَها عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَكانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ).

شرح الألفاظ

(مُدَجَّجٌ) أي مغطّى بالسلاح، لا يظهر منه إلّا عيناه.

(أبو ذَاتِ الكَرِشِ) اسمُه (عُبَيْدةُ بنُ سعيد بن العَاص) وكنيتُه «أبو ذَاتِ الكَرِشِ» لعظم بطنه، وهو مشركٌ وقد قُتل في غزوة بدر، بيد الزُّبير بنِ العَوَّام.

(بالعَنَزَةِ) هي الحرْبةُ تشبهُ العُكّاز، طَعَنه بها في عينه، فمات من تلك الطَّعنة.

(فتَمطَّيْتُ) أي تمدَّدتُ بيديَّ إليه، لأنتزعها من عينه، فبلغ ذلك مني الجَهْدَ، وقد انحنت الحَرْبةُ من شدة الضربة.

شرح الحديث

الزبيرُ بنُ العوَّام أحدُ الأبطال الشجعان، أسلم رضي اللَّه عنه وهو ابنُ (٨) ثمان سنوات، وقد كان محبوباً عند رسول اللَّه ﷺ، لحسن خُلُقه، وشَهامته ونَجْدته، حتى اشتهر بأنه حَوَاريُّ رسولِ اللَّه ﷺ ـ أي عَضُده وناصرُه ـ فكان ﷺ يعتمد عليه في الشدائد والمِحَن.

وفي غزوة بدر ظهرت شجاعةُ هذا الصحابيِّ، فقد نزل إلى ميدان المعركة رجلٌ من المشركين يتبختر، يريد المنازلةَ، وهو مدجَّج بالسلاح، من فَرْقه إلى قدمه، لا يُرى منه إلَّا عيناهُ، فنزل إليه البطلُ المغوار «الزبيرُ بنُ العوَّام» رضي اللَّه عنه، وتقدَّم نحوه بشجاعة فائقة، وطعنه في عينه، بحربةٍ كانت بيده، فمات ذلك الشقيُّ من قوة الضربة التي وصلت إلى دماغه، ولم يستطع الزُّبَيرُ أن يُخْرِجها من رأسه، إلَّا بجُهْدٍ جَهيد، وصارت هذه الحربةُ (رمزَ شجاعة) وبطولةِ الزبير، يتناقلها واحدٌ بعد آخر، حتى رجعتْ إلى (الزبيرِ) قبل موته.

هذه خلاصة قصة الزبير رضي اللَّه عنه مع الطاغية الكافر، الذي كان يتحدَّى الرجالَ الأبطال من المسلمين.

٣٩٩٩ ـ [طرفه في: ١٨]، تقدّم شرحُه.

٤٠٠٠ ـ [طرفه في: ٥٠٨٨]، سيأتي شرحه.

بابُ (ضَرْبِ الدُّفِّ فِي العُرْس)

٤٠٠١ ـ عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أنها قالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي، كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قالَتْ جارِيَةٌ: «وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا في غَد»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولِي هٰكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»).

[طرفه في: ٥١٤٧].

شرح الألفاظ

(غداةَ بُنِيَ عَلَيَّ) أي صبيحة ليلة عرسي، والبناءُ على المرأةِ: كنايةٌ عن الدخول بها.

(يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ) النَّدْبُ: دعاءُ الميِّت بأحسنِ أوصافه، وهو ممَّا يُهَيِّج البكاءَ عليه، وكان قد قُتل عمُّها، وأبوها، وآخرون من أقاربها، في (غزوة بدر).

شرح الحديث

لمَّا تزوجتْ (الرُّبيِّعُ بنتُ مُعَوِّذ)، وكان صبيحةَ عرسها، كان عندها جوارٍ صغيرات السِنِّ، يضربن بالدُفِّ، ويُغنِّين بأبيات، فيها رثاءٌ لمن قُتل من الأعمام والآباء، وفيها امتداحٌ لرسول اللَّه ﷺ، ودخل عليها الرسولُ صبيحةَ زفافها، لقرابتها من رسولِ اللَّه ﷺ، وسَمِع الجواري يُنشدن ويضربن بالدُّف، فلم يمنعهنَّ، ولمَّا سمعهنَّ يقلن: (وفينا نبيٌّ يعلم ما في غدٍ) ـ أي يعلم الغيبَ ـ لم يرضَ ﷺ هذا القولَ، وقال لهنَّ: (أنشدن ما تُحْببن، ولا تقلن مثل هذا القول، فإنه لا يعلم الغيبَ إلا اللَّه).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: إباحةُ ضرب الدُفِّ في الأفراح والأعراس، وإباحةُ سماع أصوات الجواري الصغيرات السِّنِّ.

الثاني: وفيه جوازُ دخول الرجل على العروس صبيحةَ زفافها، إذا كان بينهما قرابةٌ.

الثالث: وفيه تحريمُ نسبةِ علم الغيب لأحدٍ من الخلق، لقوله سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]

بابُ (لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ ولا صُورَةٌ)

٤٠٠٢ ـ عن أبي طَلْحَةَ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

ـ وَكانَ قَدْ شَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ أَنَّهُ قالَ: (لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ). يُرِيدُ التَّمَاثِيلَ الَّتِي فِيهَا الأَرْوَاحُ.
[طرفه في: ٣٢٢٥].

شرح الحديث

أورد البخاري هذا الحديثَ لبيان فضل من شهد بدراً من الصحابة، منهم «أبو طلحةَ الأنصاري» ولهذا جاء قوله ـ وكان قد شهد بدراً ـ وقد دلَّ الحديثُ على حرمة اقتناء الكلب، إلا إذا كان كلبَ صيدٍ، أو حراسة، وعلى حرمة اقتناءِ الصورة ـ يعني الصُّورَ التي فيها تماثيلُ لذي روحٍ، من إنسانٍ أو حيوان ـ وأخبر ﷺ أنَّ الملائكة لا تدخل البيوتَ التي فيها الكلابُ، أو صورُ التماثيل الكاملة، لذوي الأرواح، ولهذا جاء قولُ ابنِ عباس في روايته عن أبي أبي طلحة: يريد التماثيل، التي فيها الأرواح.

شرط العلماءُ في الصُّورِ المحرّم اقتِناؤُها: أن تكون الصورةُ كاملةً، وباقيةً على هيئتها، معلَّقةً غيرَ ممتهنة، أمَّا إذا كانت ممتهنةً، كالتي تُفرش في الأرض، ويُداسُ عليها بالأقدام، أو غُيِّرت هيئتُها، فقُطع منها النِّصفُ، أو قُطع منها الرأسُ، فلم يبق إلا الشَّبحُ، فلا تحرم، لأمر النبيِّ ﷺ لعائشة في حديث السِّدارة: **(اقطعيها)**، قالت: فقطعتُها فجعلتها وسائدَ. وانظر فتح الباري ١٠/ ٣٢٩.

٤٠٠٣ ـ [طرفه في: ٢٠٨٩]، تقدّم شرحُه في الحديث (٢٣٧٥).

٤٠٠٤ ـ تقدم شرحُه في الحديث (٢٣٧٥)، وهو حديث طويل، في قصة عليٍّ مع حمزة رضي اللَّه عنهما.

باب (عَرْضِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ابْنَتَهُ عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ)

٤٠٠٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، مِنْ «خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ»، وَكانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، تُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ، قالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ

عفَّانَ، فعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفصَةَ، فقُلْتُ: إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفصَةَ بِنْتَ عُمَرَ. قالَ: سَأَنْظُرُ في أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لي أَنْ لا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هٰذَا.

قالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ.

فَلَقِيَنِي (أَبُو بَكْرٍ) فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ (حَفْصَةَ) فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا).

[أطرافه: ٥١٢٢، ٥١٢٩، ٥١٤٥].

شرح الألفاظ

(تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ) أي مات عنها زوجُها، فأصبحتْ أيِّماً، والأيِّمُ في اللغة: التي لا زوج لها، بكراً كانت أو ثيِّباً، مطلَّقةً كانت أو متوفًّى عنها زوجُها، كما يُطلق الأيِّمُ على الذَّكرِ والأنثى، وجمع الأيِّم (أيامى) على وزن يتامى، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢] أي زوِّجوا كلَّ رجلٍ لا زوجة له، وكلَّ امرأةٍ لا زوج لها.

(سَأَنْظُر فِي أَمْرِي) أي سأفكِّر في أمر الزواج، وذلك بعد وفاة زوجته (رُقَيَّة) بنتِ رسولِ اللَّه ﷺ.

(فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً) أي لم يحدِّثْني بالموافقة على الزواج منها، أو عدم الموافقة، وذلك حين عَرَضَها على (أبي بكر) رضي اللَّه عنه.

(كُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ) أي كان عمر رضي اللَّه عنه، أشدَّ تأثراً، على (أبي بكر) منه على (عُثمان)، وذلك لمزيد المحبَّة المشتركة بينهما.

(لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ) أي لعلَّك حملتَ عليَّ في نفسك، حين عرضتَ عليَّ (حفصة)، فلم أخبرك برغبتي فيها، فقال له عمر: نعم، فأخبره عن سببِ ذلك، بأنه سمع الرسولَ ﷺ يرغب في الزواج منها، فلم يكن لِيُفشِيَ سرَّ الرسول ﷺ، ولو لم يذكرها الرسولُ ﷺ، لأجابه (أبو بكر) بالرغبة بالزَّواج منها.

تنبيه لطيف هام

أورد الإمامُ البخاريُّ في كتاب المغازي، عدَّة أحاديث، لا ارتباط لها بالغزوات، ولكنَّه أوردها لأنَّ لها ارتباطاً، بمن شهد غزوةً من غزوات الرسولِ ﷺ، ليبيِّن فَضْلَ من شهد مع رسول اللَّه بعض الغزوات، ولهذا ذَكَر في الحديث عن «خُنَيْسِ بنِ حُذَافة» عبارةَ (وكان قد شهد بدراً) وقد عدَّد البخاري رحمه اللَّه، أسماءَ من شهدوا مع الرسول ﷺ (غزوة بدر)، ليدلَّ على عظيم فضل هؤلاء الصحابة، وليشير إلى أنَّ من شهدها، له زيادة فضل على غيرهم، فتنبَّهْ لهذا واللَّهُ يرعاك.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: فضلُ الصحابة الذين شهدوا مع الرسول ﷺ غزواته، لا سيما (غزوة بدر) التي كانت تاجَ الغزوات النبوية، وبها استحقَّ الذين شهدوها الفضل العظيم.

الثاني: وفيه جوازُ عَرْض الرجل ابنتَه، على الرجل الفاضل، وأنه لا غضاضةَ في هذا، بل هو من المحاسن والفضائل التي دعا إليها الإسلامُ.

الثالث: وفيه ضرورةُ كَتْم السرِّ، ولهذا قال (أبو بكر) لعمر: ما كنتُ لأفشيَ سرَّ رسول اللَّه ﷺ.

الرابع: وفيه الإشادةُ بمرتبة التُّقَى والصلاح، ولهذا ترجم البخاري لهذا الحديث في كتاب الزواج: بابُ (عَرْضِ الإنسانِ ابنتَه أو أخته على أهل الخير).

٤٠٠٦ - [طرفه في: ٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٠٠٧ - [طرفه في: ٥٢١]، تقدّم شرحُه.

باب (فَضْلِ تَلَاوَةِ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ البَقَرَةِ)

٤٠٠٨ - عن أبي مسعود البَدْريِّ رضي اللَّه عنه عن رسولِ اللَّه ﷺ أنه قال: (الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلةٍ كَفَتَاهُ).

[أطرافه: ٥٠٠٨، ٥٠٠٩، ٥٠٤٠، ٥٠٥١].

شرحُ الحديث

المراد بالآيتين من آخر البقرة، هما قولُه تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦]. ذكر البخاري الحديث هنا لأن راويه شهدَ بدراً، لدلالة قوله: (البَدريِّ).

قال البَدْرُ العَيْنِيُّ: قوله ﷺ: **(كفتاه)** أي أغنتاه عن قيام الليل، أو يكفيانه الشرَّ، ويقيانه من المكروه .اهـ عمدة القاري ١٧/ ١١٣.

ما يُستفاد من الحديث

فيه فضلُ الآيتين من آخرِ سورة البقرة، وأنهما يقيانِ المؤمنَ من المكروه.

وفيه جوازُ الكلامِ والحديثِ، وقت الطَّواف، لقوله: (فلقيتُه يطوفُ بالبيت) فسألتهُ عن الحديث، فحدَّثني به.

وفيه بيانُ جواز تعلُّم العلم وتعليمِهِ حال الطواف مع أنه عبادة كالصلاة.

٤٠٠٩ _ [طرفه في: ٤٢٤]، تقدّم شرحُه في الحديث (٤٢٥).

٤٠١٠ _ [طرفه في: ٤٢٤]، تقدّم شرحُه.

٤٠١١ _ تقدَّم شرحه في الحديث ٤٢٥.

٤٠١٢ _ [طرفه في: ٢٣٣٩]، تقدّم شرحُه.

٤٠١٣ _ تقدَّم شرحه في الحديث رقم ٢٣٣٩.

٤٠١٤ _ فيه شهادة للصحابي الجليل رفاعة بن رافع الأنصاري رضي اللّه عنه أنه شهد بدراً.

٤٠١٥ _ [طرفه في: ٣١٥٨]، تقدّم شرحُه.

٤٠١٦ _ [طرفه في: ٣٢٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤٠١٧ _ [طرفه في: ٣٢٩٨]، تقدّم شرحُه في الحديث (٣٢٩٧).

٤٠١٨ _ [طرفه في: ٢٥٣٧]، تقدّم شرحُه في الحديث (٣٠٤٨).

بابُ (الكفِّ عَنْ قَتْلِ مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ)

٤٠١٩ ـ عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو الْكِنْدِيِّ ـ وكانَ حَلِيفاً لبني زُهْرَة، وَكانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً ـ قالَ: (قلت لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ، أَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قالَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قالَ ذٰلِكَ بَعْدَ ما قَطَعَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قالَ»).

[طرفه في: ٦٨٦٥].

شرح الحديث

(المقْدَادُ بنُ عَمْرٍو) كان فارساً من فرسان المسلمين، وهو من الصحابة الذين شهدوا غزوةَ بدر مع رسول اللَّه ﷺ، سأل رسولَ اللَّه ﷺ سؤالاً عجيباً، فقال: يا رسولَ اللَّه أخبرني عن حكم رجلٍ من الكفار، لقيتُه في الحرب، فضرب يدي بالسيف حتى قطعها، ثم فرَّ مني، واحتمى وراء شجرة، فأقبلتُ نحوه أريد قتله، فقال: أسلمتُ (أشهد أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ وأشهد أنَّ محمداً رسولُ اللَّه) قالها خوفاً من القتل، هل يجوز لي قتلُه؟ فقال له الرسولُ الكريم ﷺ: **(إيَّاكَ أنْ تقتُلَهُ، واحذرْ قتلَه، بعد أن قال كلمة التوحيد)**.

فقال: يا رسولَ اللَّه: إنَّما قالها خوفاً من القتل، وقد قَطَع يدي بسيفه! فأجابه ﷺ: (إنه بعد أن دخل في الإسلام، صار معصومَ الدَّم، فإن قتلتَه قتلتَ مسلماً، فيجب له عليك القصاصُ).

قال الخطَّابي: معنى هذا الحديث: أنَّ الكافر مباحُ الدم بحكم الشرع، قبل أن يقول كلمةَ التوحيد، فإذا قالها صارَ معصومَ الدَّم، كالمسلم، فإن قَتَله المسلمُ بعد ذلك، صار دمُ القاتل مباحاً بحقِّ القصاص، ولم يُردْ به إلحاقَه بالكفر، كما يقول الخوارج من تكفير المسلم بالكبيرة .اهـ عمدة القاري ٧/ ١١٧.

ما يُستفادُ من الحديث

أولاً: فيه عصمةُ دم الإنسان بكلمة التوحيد، فمن نطق بالشهادة عَصَم دمَه وماله، إلّا بحق الإسلام.

ثانياً: وفيه عِظَمُ جريمة من قَتَل مسلماً يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه.

٤٠٢٠ ـ [طرفه في: ٣٩٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٠٢١ ـ [طرفه في: ٢٤٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٠٢٢ ـ تقدَّم شرحه.

٤٠٢٣ ـ [طرفه في: ٧٦٥]، تقدّم شرحُه.

باب قِصَّةِ (المُطْعِمِ بنِ عَدِيّ ودُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ فِي جِوَارِه)

٤٠٢٤ ـ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ المُطعِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ في أُسَارَى بَدْرٍ: (لَوْ كانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي في هٰؤُلَاءِ النَّتْنٰى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ).

[طرفه في: ٣١٣٩].

شرح الألفاظ

(النَّتْنى) المرادُ بالنَّتْنىٰ: أسارى بدر من المشركين، شبَّههم بالنَّتن، وهو: القذَرُ والنجسُ، وجيفُ الحيوانات الهالكة، لكفرهم، قال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ (ثمَّ كلَّمني فيهم) أي كلَّمني في إطلاق سراحهم، وشفع لهم عندي، لأطلقتُ سراحهم إكراماً له.

شرحُ الحديث

ذكرَ رسولُ اللَّه ﷺ هذا الحديث عن «المُطْعِم بن عدِيّ» والدِ (جُبير بْنِ

المُطْعم)، وذلك اعترافاً منه ﷺ بالإحسان الذي قدَّمه له المُطْعم، فإنَّ رسول اللَّه ﷺ، لمَّا رجَعَ من الطائف حزيناً مكسورَ الخاطر، لعدم نصرتهم له، لم يستطع أن يدخل مكة إلَّا بجوار (المُطْعِم بن عَدِيٍّ)، فاعترافاً بالجميل والإحسان، قال لولده جُبير: لو كان والدُكَ حيًّا، وكلَّمني في هؤلاء الأسرى من المشركين، لتركتُهم له بغير فداء، جزاءَ إحسانه، حيث حَمَاني وأدخلني في جواره.

ثم إنَّ للمُطْعِم فَضْلاً آخر، فإنَّ المشركين لمَّا حاصروا الرسولَ ﷺ في الشَّعب، كتبوا صحيفةً وعلَّقوها بباب الكعبة، على ألَّا يبايعوا بني هاشم، ولا يبتاعوا منهم، ولا يتعاملوا معهم، بأيِّ نوع من الأنواع، حتى يُسْلِموا لهم محمداً ﷺ ليقتلوه، وبَقُوا محصورين في الشِّعب (ثلاثَ سنين)، فكان أولُ من سعى لنقض هذه الصحيفة الظالمة الفاجرة، هو «المُطْعمُ بن عَديٍّ» فلم ينسَ رسولُ اللَّه ﷺ له هذا الجميل والإحسان، فقال هذا الحديثَ. وانظر فتح الباري ٧/ ٣٢٤ وقد مات المُطْعِمُ قبل (غزوة بدر)، وقد جاوز التسعين من العمر.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه وجوبُ الاعتراف بالإحسان، ومقابلتُه بالجميل، لقوله سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

الثاني: وفيه جوازُ الدخول في أَمانِ الكافر، فإنَّ (المطعم بنَ عديّ) هو الذي حمى الرسولَ ﷺ، وأدخله في جواره.

٤٠٢٥ ـ [طرفه في: ٢٥٩٣]، تقدّم شرحُه.

٤٠٢٦ ـ [طرفه في: ١٣٧٠]، تقدّم شرحُه.

٤٠٢٧ ـ تقدَّم شرحه.

بابُ (حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ وَغَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

٤٠٢٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهما، أنه قالَ: (حَارَبَت قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حارَبَتْ قُرَيْظَةُ،

فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ، لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: (بَنِي قَيْنُقَاعَ)، وَهُمْ رَهْطُ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ)، وَيَهُودَ (بَنِي حارِثَةَ)، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ).

شرح الألفاظ

(أَجْلاهُمْ) أي أخرج (بَنِي النَّضِير) من المدينة، وطَرَدَهم منها، لأنهم غَدَروا بالرسول ﷺ وتآمروا مع المشركين على المسلمين.

(أَقَرَّ قُرَيْظَةَ) أي تركهم في منازلهم، ومنَّ عليهم، لأنهم لم يُعينوا بني النضير على حرب الرسول ﷺ، ولمَّا نقضوا العهد مع رسول اللَّه ﷺ، أجلاهم عن المدينة، ثم طهَّرها من اليهود، ناقضي العهود، في كلّ عصر وزمان.

سبب الجلاء:

لمَّا قدِمَ رسولُ اللَّه ﷺ المدينةَ صالح يهودَ (بني النضير) على أن لا يكونوا معه أو عليه، فلمَّا انتصر ﷺ على المشركين (يوم بدر)، قالوا: إنه النبيُّ الموصوفُ في التوراة، لا تُردُّ له رايةٌ، فلمَّا انهزم المسلمون في (أُحُد)، ارتابوا في أمره ونكثوا، وخرج رئيسُهم (كعبُ بنُ الأشرف) إلى مكة، وحالفَ قريشاً عند الكعبة، على قتالِ رسول اللَّه ﷺ، فأمر رسولُ اللَّه ﷺ أخاه من الرضاع (محمَّدَ بنَ مَسْلَمة) بقتله، حين رجع إلى المدينة فقتله، ثم صبَّحهم ﷺ بالكتائب، وهم في حصونهم، وحاصرهم حتَّى صالحوه على الجلاء، وفيهم يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ﴾ [الحشر: ٢].

أمَّا يهودُ بني قُريظة فقد تركهم رسولُ اللَّه ﷺ في المدينة، حتى نقضوا العهد معه، واليهودُ ـ كما هو ديْدَنُهم ـ ليس لهم عهودٌ، ففي (غزوة الخندق) تمالأ يهودُ (بني قُريظة) مع كفَّار قريش، وتعاهدوا مع أحزابِ الكفرِ والضلالة، على حربِ رسولِ اللَّه ﷺ، ونقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ، والتقتْ طُغْمةُ الكفر والنِّفاقِ، والغَدْر والخيانة، على إطفاءِ نور اللَّه، فأرسل اللَّه على الأحزاب ريحاً عاصفةً، شديدةَ الهبوب، في ليلةٍ شاتيةٍ، شديدةِ البرد، والظلمة، فأطفأتْ نيرانَهم، وقلعتْ خيامَهم،

وكفأَتْ قدورَهم، حتى ولَّى المشركون الأدبار، مندحرين منهزمين، يجرُّون ثياب الخيبة والفشل، وفي هذه الغزوة (غزوة الأحزاب) يقول سبحانه ممتنًّا على المؤمنين ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

كان نقضُ يهودِ (بني قُريظة) للعهد سبباً لشقائهم، وقَتْلِ رجالهم، وتطهير المدينة من رِجْسِهم، فقد رُوي في الصحيح (أنَّ جبريل أتى إلى رسول اللَّه ﷺ مرجعَه من الخندق، فقال: يا رسولَ اللَّه: أَوَضعتَ السِّلاحَ!؟ قال: **(نعم)**، قال: ولكنَّ الملائكة لم تضع السلاحَ، إنَّ اللَّهَ يأمرك أن تنهض إلى (بني قُرَيظة) فتقاتلهم، وأمرني أن أُزلزل عليهم حصونهم).

فنهَضَ رسولُ اللَّه ﷺ من فوره، وأمر المسلمين بالسير إلى بني قريظة، وحاصرهم رسولُ اللَّه ﷺ خمساً وعشرين ليلةً، حتى نزلوا على حُكم (سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ) ـ وكان حليفَهم في الجاهلية ـ فلمَّا حضر، قال له الرسولُ الكريم ﷺ: **(إنَّ هؤلاء نزلوا على حكمكَ، فاحكم فيهم بما شئت)**.

فقال رضي اللَّه عنه: (إنِّي أحكم فيهم: أن يُقتل رجالُهم، وتُسبى ذراريهم) ـ أي نساؤهم وأطفالهم ـ فقال له ﷺ: **(لقد حكمتَ فيهم بحكم الملِكِ جلَّ وعلا من فوق سبع سمٰواته)**. وفيهم نزل قولُه تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧] (صياصيهم): يعني حصونهم.

هذه قصة جلاء يهود (بني قريظة) من المدينة، استقيناها من عدة مواطِنَ، من (صحيح البخاري) وذكرناها بإيجاز.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ جلاء يهود (بني النضير) كان سببُه تحالفُهم مع كفار قريش، على حرب الرسول ﷺ، ونقضُهم للعهود.

الثاني: وفيه أنَّ الرسولَ ﷺ، منَّ على يهود (بني قريظة) ولم يُخرجهم من المدينة إلى أن نقضوا العهد، وحاربوا الرسولَ والمسلمين في (غزوة الأحزاب)، فعاقبهم اللَّه حيث زلزلَ بهم حصونَهم وقلاعَهُم، وهذه عقوبةُ كلِّ خائنٍ غادر.

الثالث: وفيه التحذيرُ من اليهود فكلُّهم ليس لهم عهود، كما قال سبحانه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠] وهذه طبيعة اليهود، توارثوها عن الأسلاف، كما هي حالهم في زماننا، لا يتمسَّكون بعهد، ولا يَفُون بوعد، كما أخبر

تعالى عنهم بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦].

الرابع: وفيه أنَّ تطهير المدينة من رجس اليهود كلِّهم (بني النضير، وبني قُريظة، ويهود بني قَيْنُقاع) كان عقوبةً للجميع، بأمر اللَّه عزَّ وجلَّ وحكِمه، في ناقضي العهود، ولهذا جاء في الحديث: **(وأجلى رسولُ اللَّهِ ﷺ يهودَ المدينة كلَّهم)**.

ويُؤيِّده الحديث التالي ذكره رقم (٤٠٣١):

٤٠٢٩ ـ [طرفه في: ٤٦٤٥، ٤٨٨٢، ٤٨٨٣]، فيه إرشارة من ابن عباس رضي اللَّه عنهما إلى أن سورة الحشر نزلت في بني النضير.

٤٠٣٠ ـ [طرفه في: ٢٦٣٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (تَحْرِيقِ نَخِيلِ بَنِي النَّضِيرِ)

٤٠٣١ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أنه قالَ: (حَرَّقَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقَطَعَ ـ وَهِيَ (الْبُوَيْرَةُ) ـ فَنَزَلَتْ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]).

[طرفه في: ٢٣٢٦].

شرح الألفاظ

(البُوَيْرةُ) مكان معروف بين المدينة المنورة وبين بلدة «تيْماءَ»، تصغيرُ لفظ «بُؤرة»، فيها نخيل كثير لليهود، حرّقه رسولُ اللَّه ﷺ بأمر اللَّه تعالى ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥] وفيهم يقول حسَّان شاعرُ النبي ﷺ:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

(لِينَة): اللِّينةُ المذكورة في الآية ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥]: هي النخلةُ الطيِّبةُ الثَّمر، القريبةُ من الأرض، سُميت «لِينة» لجودة ثمرها، وغَضاضةِ أغصانها.

ومعنى الآية الكريمة: ما قطعتم يا معشر المؤمنين، من شجر نخيل اليهود، من

جيِّد الشجر، وكريم الثَّمر، أو تركتموه من غير قطعٍ، ولا إحراق، فكلٌّ ذلك بأمر اللَّه وإذنه، إذلالاً لليهود، وإغاظةً لهم، بحرق أشجارهم وثمارهم، ليذوقوا عقوبةَ الخيانة، ونقضَ العهد.

ما يُستفاد من الحديث

في الحديث الشريف جوازُ قَطْع الشجر، وتحريقه، لإغاظة الأعداء.

وفيه الإذلالُ والإهانة لكل غادرٍ خائن، سواءٌ كان بالإجلاء من الديار، أو بتحريق الأشجار، وهدم المنازل.

تنبيه

قال الحافظ ابن حجر: كان الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام:

١ ـ قسمٌ وادَعهم رسولُ اللَّه ﷺ ـ أي عاهدهم ـ على أن لا يحاربوه، ولا يُعينوا عليه عدوَّه، وهم طوائف اليهود الثلاثة (قُريظة، وبني النضير، وقَيْنُقَاع).

٢ ـ وقسمٌ حاربوه، ونَصَبوا له العداوةَ، ككفار قريش، وهم قومُه الذين عاش ﷺ بين أظهرهم، وتآمروا على قتله، حتى اضطروه على الهجرة من وطنه.

٣ ـ وقسمٌ تركوه، وانتظروا إلى ما ينتهي إليه أمرُه، كطوائفَ من العرب، مثل خُزاعةَ، وبني بكر.

٤ ـ ومنهم من كان معه ظاهراً، ومع أعدائه باطناً، وهم (المنافقون)، الذين أظهروا الإيمانَ، وأبطنوا الكفر.

فكانَ أوَّلَ من نقَضَ العهدَ من اليهود (بنو قَيْنُقاع)، فحاربهم ﷺ بعد غزوة بدر، فنزلوا على حكمه، وأراد قَتْلَهم، فاستوهبهم «ابنُ سلول» فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أَذْرعاءَ.

ثم نَقَض العهدَ (بنو النضير) وكان رئيسُهم «حُيَيُّ بنُ أَخْطَب»، وهم الذين أجلاهم الرسولُ ﷺ عن المدينة. ثم نَقَضتْ (بنو قريظة) العهدَ مع رسول اللَّه ﷺ، وانضمُّوا مع المشركين، فحكَمَ فيهم حليفُهم (سعدُ بنُ عُبادة) بقتل الرجال، واسترقاق الذرية، وجلاء البقية من يهود بني قريظة، وتمَّ تطهير المدينة من رجس جميع اليهود الخبثاء. وانظر فتح الباري لشرح صحيح البخاري ٧/ ٣٣٠.

٤٠٣٢ ـ [طرفه في: ٢٣٢٦]، تقدّم شرحُه في الحديث السابق.

٤٠٣٣ ـ [طرفه في: ٢٩٠٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صدقة»)

٤٠٣٤ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ (عُثْمانَ) إِلَى أَبِي بَكْرٍ، يَسْأَلْنَهُ ثُمُنَهُنَّ مِمَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، فَكُنْتُ أَنَا أَرُدُّهُنَّ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: أَلَا تَتَّقِينَ ٱللَّهَ؟ أَلَمْ تَعْلَمْنَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَقُولُ: (لَا نُورَثُ، ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ) ـ يُرِيدُ بِذٰلِكَ نَفْسَهُ ـ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحمَّدٍ ﷺ في هٰذا المَالِ».

فَٱنْتَهى أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى ما أَخْبَرْتُهُنَّ.

قالَ عُرْوَةُ بنُ الزبير، فَكانَتْ هٰذِهِ الصَّدَقَةُ بِيَدِ عَلِيّ، مَنَعَهَا عَلِيٌّ عَبَّاساً فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ كانَ بِيَدِ حَسَنِ بْنِ عَلِيّ، ثُمَّ بِيَدِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ، ثُمَّ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، وَحَسَنِ بْنِ حَسَنٍ، كِلَاهُمَا كانَا يَتَدَاوَلانِهَا، ثُمَّ بِيَدِ زَيْدِ بْنِ حَسَنٍ، وَهْيَ صَدَقَةُ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ حَقًّا).

[طرفه في: ٦٧٢٧، ٦٧٣٠].

شرحُ الحديث

هذا الحديث الذي روته الصدِّيقة عائشة رضي اللَّه عنها، طرف من حديث طويل، رواه البخاري في المغازي، في قضيَّةٍ اختلف فيها (عليٌّ) و(عباس) رضي اللَّه عنهما، في زمن خلافة الفاروق (عمرَ) رضي اللَّه عنه، انظره في البخاري من رواية مالك بن أوس بنِ الحَدَثان.

وفي نهاية الحديث ذكر حديث عائشة، ولفظه: (قال عروةُ بنُ الزبير: صَدَق «مالكُ بن أوس» أنا سمعتُ عائشة رضي اللَّه عنها تقول: أرسل أزواج النبيِّ ﷺ عثمان إلى أبي بكر. . .) الخ، ثم ذَكَر تتمة الحديث.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ فقهِ السيدة (عائشة) على سائر أزواج النبيِّ ﷺ، حتى رجعن إلى

قولها، وتركْنَ مطالبةَ (أبي بكر) بقسمة الميراث، عملاً بالسنة النبوية المطهَّرة.

الثاني: وفيه رجوعُ نساء النبي ﷺ إلى الحقِّ، بعدما بان لهنَّ، واتَّضح أمرُ الإرث من رسول اللَّه ﷺ بقوله: **(نحنُ معاشِرَ الأنبياءِ لا نُورث)**.

٤٠٣٥ ـ [طرفه في: ٣٠٩٢]، تقدّم شرحُه.

٤٠٣٦ ـ [طرفه في: ٣٠٩٣]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قتلِ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ)

٤٠٣٧ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ»؟ فَقَامَ «مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قالَ: «نَعَمْ». قالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئاً، قالَ: «قُلْ».

فَأَتاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقالَ: إِنَّ هٰذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قالَ: وَأَيْضاً وَٱللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قالَ: إِنَّا قَدِ ٱتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ، حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ! وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقاً أَوْ وَسْقَيْنِ ـ وَحَدَّثَنا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ، فَلَمْ يَذْكُرْ وَسْقاً أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ وَسْقاً أَوْ وَسْقَيْنِ؟ فَقَالَ: أُرَى فِيهِ وَسْقاً أَوْ وَسْقَيْنِ ـ.

فَقَالَ: نَعَمْ، ٱرْهَنُونِي، قالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قالَ ٱرْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا، وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟ قالَ: فَٱرْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قالوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هٰذا عَارٌ عَلَيْنَا! وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللأْمَةَ ـ قالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السِّلَاحَ ـ.

فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلاً، وَمَعَهُ (أَبُو نَائِلَةَ)، وَهُوَ أَخُو (كَعْبٍ) مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى ٱلْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ ٱمْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هٰذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ.

وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتاً كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ ٱلدَّمُ. قالَ: إِنَّما هُوَ

أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ، لأَجَابَ.

قالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ ـ قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٌو؟ قالَ: سَمَّى بَعْضَهُمْ ـ قالَ عَمْرٌو: جاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، وَقالَ غَيْرُ عَمْرٍو: (أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ) وَ(الحارِثُ بْنُ أَوْسٍ) وَ(عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ).

قالَ عَمْرٌو: جاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا ما جاءَ فَإِنِّي قائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشُمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي ٱسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَٱضْرِبُوهُ! وَقالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحاً، وَهْوَ يَنْفَحُ منه رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: ما رَأَيْتُ كالْيَوْمِ رِيحاً ـ أَيْ أَطْيَبَ ـ وَقالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِساءِ الْعَرَبِ، وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ. قالَ عَمْرٌو: فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قالَ: نَعَمْ فَشَمَّهُ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحابَهُ، ثُمَّ قالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا ٱسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قالَ: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ).

[طرفه في: ٢٥١٠].

شرح الألفاظ

(كَعْبُ بنُ الأَشْرَفِ) شاعرٌ جاهليٌّ، أمُّه يهودية من بني النَّضِر، كان سيِّداً في قبيلته، يقيم في حصنٍ له، قريب من المدينة، أدرك الإسلامَ ولم يُسلم، وأكثرَ من هجاء النبيِّ والمسلمين، وحرَّض القبائلَ عليهم، لإيذائهم، والتشبيب بنسائهم.

(ائْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئاً) أي ائْذَنْ لي يا رسول اللَّه، أن أتكلَّم بشيء في حقِّك تكرهه، ويَسُرُّ كعباً لأتقرَّب به عنده، فأذن له ﷺ.

(قَدْ عَنَانا الرَّجلُ) أي أوقعنا في العَناء والمشقَّة، بكثرة مطالبه، ومرادُه بالرجل: (محمداً) ﷺ، ولم يقل: عنَّانا محمَّد، أو رسولُ اللَّه، لإيهامه أنه غير راضٍ عنه.

(أَتيتُ أَسْتَسْلِفُكَ) أي أطلبُ منك قرضاً، وسْقاً أو وَسْقَين، والوَسْقُ: ستون صاعاً من الطعام، أو من التمر.

(نَرْهَنُكَ اللأْمَةَ) أي نضع عندك رهناً (الدِّرعَ) الذي نلبسُه في الحرب.

(أَبُو نَائِلَةَ) هو أخو (كعبِ بنِ الأشرف) من الرضاع.

(صَوْتاً يقْطُرُ منْهُ الدَّمُ) أي صوتٌ مريبٌ، أشعرُ من صوته بالشرِّ، وإراقةِ الدم.

(إِنّي قَائلٌ بشَعْرِهِ) أي آخذ بشعر رأسه، كأني أريد شمَّه، فإذا تمكَّنتُ منه فاقتلوه.

(مُتوشِّحاً) أي مرتدياً ثوبَه وسلاحه، كأنه يُظهر البطولةَ والشجاعة.

(يَنْفَحُ منْهُ الطِّيبُ) أي يفوح منه رائحةُ الطِّيبُ، لأنه كان قريبَ عهدٍ بالزواج.

(أَعْطَرُ نساءِ العَرَب) أي قال كعب: عندي أجملُ نساء العرب، وأطيَبُهنَّ ريحاً.

(اسْتَمْكَن مِنْهُ) أي تمكَّن من إمساكه من شعر رأسه، وقال أبو مسلمة لأصحابه: خذوه بأسيافكم، فقتلوه، ثم خرجوا من الحِصْنِ سالمين، لم يشعر بهم أحد.

شرح الحديث

من هو (كَعْبُ بنُ الأَشْرف)؟ هو أحدُ أبرز رجالاتِ (اليهود) الخبثاء، كان يدبِّر المكائدَ، ويُحيك المؤامرات للرسول ﷺ، وأتباعه المؤمنين، وقد كان صلواتُ اللّه وسلامُه عليه، حين قدم المدينة، عاهد اليهودَ على ألَّا يعينوا عليه الأعداءَ، من كفار مكة، ويعيشوا معه في أمنٍ وأمان، تحت حماية ورعاية الإسلام.!

ولكنَّ الخبيثَ «كعبَ بن الأشرف» وأتباعَه اليهود، نقضوا العهد مع الرسول ﷺ، فقد ذهب (كعبٌ) مع نفرٍ من اليهود، إلى أهلِ مكة، يحضُّونهم على رسول اللّه ﷺ، ويقولون: نحن معكم، فأعينونا على حرب محمد، لنخرجه وأتباعَه من ديارنا في المدينة، فإنَّا لا نصبر على بقائه معنا، ونريد أن نتخلَّص منه!.

من أجلِ ذلك عَزَم الرسولُ ﷺ على قتل هذا الفاجر الخبيث، فقال لأصحابه: (منْ لكعبِ بنِ الأشرف؟ فإنه قد آذى اللّهَ ورسولَه؟) فقال (محمد بن مسلمة): أتحبُّ يا رسولَ اللّه أن أقتله؟ وذَكَر بقية الحديث، هكذا قُتِلَ (عدوُّ اللّه) بهذه الطريقة الرائعة المُحْكَمة، الذي دبَّرها له ذلك الشاب المؤمن اليافع (مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَة) رضي اللّه عنه، بتخطيط دقيق، نالَ إعجابَ الرسولِ ﷺ وأتباعِه المؤمنين.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف جوازُ قتل الكافر المعاهِدِ إذا استفحل شرُّه وكَثُر ضرُره.

الثاني: وفيه انتحالُ كلامٍ للمكِيدَة بالخصم، ولو لم يكن صحيحاً، فإنَّ «مسلمة»

قال للنبيِّ ﷺ: ائذنْ لي أن أقول شيئاً! فقال له: **(قل ما شئتَ)**. فتكلَّم بكلام ظاهرُه الشكوى من الرسول ﷺ حتى يأنسَ به الشقيُّ، ولهذا قال له كعبٌ: وواللَّهِ لتملنَّه أيضاً، أي تكرهونه وتبغضونه.

الثالث: وفيه جوازُ الاحتيال والخديعة للعدوِّ، للحديث الشريف **(الحَرْبُ خُدْعَة)**.

الرابع: وفيه دلالةٌ على فِطنةِ امرأةِ كَعْب، إذْ قالت لزوجها: إني أسمعُ صوتاً يقطر منه الدَّمُ، وهو كلام بليغ أرادت بكلامها مَنْعَه من الخروج.

الخامس: وفيه الاستعانةُ ببعض الناس، للوصول إلى غرض هام، فأخذ (محمدُ بنُ مَسْلَمة) معه (أبو نائلة) ـ وهو أخٌ لكعب من الرضاعة ـ وأخذ معه اثنين غيره، للتخلص من ذلك الشقيِّ.

السادس: وفيه ذكاء خارقٌ لمحمد بنِ مَسْلمة للقيام بالمهمة، حيث قال لكعب: نرهنك السِّلَاحَ، وهو الطريقُ للكيد بالعدوِّ، ولو لم يكن الاتفاق معه على رهنِ السِّلاح، ما كان يمكنه الدخول به إلى الحِصْن.

السابع: وفيه فرحُ النبيِّ ﷺ بمقتل رأس الطُّغيان، حيث خلَّص اللَّهُ المسلمين من شرِّه وفجوره، ولهذا لمَّا انتهوا إلى رسول اللَّه ﷺ، قال لهم: أفلحتْ الوجوهُ، فقالوا: ووجهُك يا رسولَ اللَّه، ثم رَمَوْا رأسَه بين يديهِ، فحمد اللَّه على قتله.

٤٠٣٨ ـ [طرفه في: ٣٠٢٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَتْلِ الشَقِيِّ أَبِي رَافِعٍ)

٤٠٣٩ ـ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: (بَعَثَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجالاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ (عَبْدَ ٱللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ)، وَكانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكانَ في حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجازِ، فَلَمَّا دَنوا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ ٱللَّهِ لِأَصْحابِهِ: ٱجْلِسُوا مَكانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ.

فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ: يَا عَبْدَ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَٱدْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغالِيقَ عَلَى وَتِدٍ.

قالَ: فَقُمْتُ إِلَى الأَقالِيدِ فَأَخَذْتُها، فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكانَ في عَلالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ، صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحتُ بَاباً، أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنِ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي، لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَٱنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ، وَسْطَ عِيالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ. قالَ: مَنْ هٰذا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً، وَصَاحَ.

قال: فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: ما هٰذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ، إِنَّ رجُلاً في الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ. قالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ، وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظُبَةَ السَّيْفِ في بَطْنِهِ، حَتَّى أَخَذَ في ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَاباً بَاباً، حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنا أُرَى أَنِّي قَدِ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَوَقَعْتُ في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَٱنْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُها بِعِمَامَةٍ.

قال: ثُمَّ ٱنْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ ٱللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صاحَ ٱلدِّيكُ قامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقالَ: أَنْعَى (أَبَا رَافِعٍ) تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَٱنْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجاءَ، فَقَدْ قَتَلَ ٱللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَٱنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «ٱبْسُطْ رِجْلَكَ». فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَها، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ).

[طرفه في: ٣٠٢٢].

شرح الألفاظ

(راح النّاسُ بسرْحِهِمْ) أي رجع الناسُ مساءً، بأنعامهم ومواشيهم بعد الرَّعْي.

(تَقنَّع بِثَوْبِهِ) أي تستَّر بثوبه لئلَّا يُعرف، كأنه يريد التبوَّلَ، وقضاءَ الحاجة.

(عَلَّقَ الأغالِيقَ) أي علَّق المفاتيح على عمودٍ، جمعُ «إِقْليد» وهو المفتاح.

(هَدَأَتْ الأَصْوَاتُ) أي سكنت ونامَ الناسُ.

(نَذِرُوا بِي) أي علموا وأحسُّوا بي، لم يصلوا إليَّ حتى أقتلَه.

(وأَنَا دَهِشٌ) أي أنا في حالة تحيُّر ودهشة، لا أدري أين مكانُه في البيت؟

(فما أَغْنَيْتُ شيْئاً) أي لم تنفع هذه الضربةُ شيئاً، لأنها لم تُصبه.

(لأمِّكَ الوَيْلُ): أي ثكلتك أمُك، ألا تدري ما حدث!

(ضَرْبةً أثخنَتْهُ) أي ضربةً موجعة أكثرتْ فيه الجراحَ.

(ظُبَةُ السَّيْفِ) أي وضعتُ حدَّ السيف في بطنه، وتحاملتُ عليه، حتى انتهى إلى عموده الفَقَريِّ فقتلتُه. والظُّبَّةُ: حرفُ حدِّ السيف، ويُجمع على ظُبَاتٍ، قاله الخطَّابيُّ.

(قامَ النَّاعِي) أي لمَّا أصبح الصباحُ، سمعتُ صوتَ النَّاعي يخبر بمقتل أبي رافع.

(فقلتُ النَجاء) أي ذهبتُ إلى أصحابي، فقلتُ لهم: أسرعوا واخرجوا من الحِصْن، لتنجوا بأنفسكم، قبل أن يشعروا بكم.

(فانْتَهيْتُ إلى النَبيِّ) أي وصلتُ إلى رسول اللَّه ﷺ فبشَّرتُه بمقتل الشقيّ أبي رافع، وانكسارِ رجلي، ففرح ﷺ، وقال لي: **(مُدَّ رِجْلَكَ)** فمددتُها فمسَحها ﷺ فعادت سليمة كما كانت.

توضيح القصة

(أبو رافع) أحدُ أبالسةِ الكفر، ودعاةِ الكفر والضلال من اليهود، اسمُه (سلَّامُ بنُ أبي الحَقيق) وهو كسَلَفه (كعبِ بنِ الأشرف) يهوديٌّ مغرقٌ في الكفر والضلال، وأحدُ أساطين الفتنة والشرِّ، كان في «خيْبر» في قصرٍ له حصين، يدير الدسائس، ويَحيكُ المؤامرات للرسول ﷺ وللمؤمنين، بِخُبث، ودهاءٍ، وتخطيط.!

ولمَّا زاد شرُّه، وامتدَّ فجوُره، بعثَ له ﷺ رجالاً من الأنصار، وجعل عليهم أميراً (عبدَ اللَّهِ بنَ عَتيك) ليقتلوه، وكان (أبو رافع) في حصنٍ في خيبر، ولمَّا وصلوا إلى الحصن، واقترب غروُب الشمس، قال رئيسهم: اجلسوا في هذا المكان، لعلِّي أستطيع دخولَ الحِصْن مع العمال، ثم دنا من الباب، وستر رأسه بثوبه، فظنَّ البوَّابُ أنه أحدُ العمال، الذين يشتغلون في المزارع، فناداه أسرعْ، فإني أريد أن أغلق الباب.

فدخل ابنُ عَتِيكٍ واختبأ بمكانٍ، ورأى أينَ وضع البوَّابُ مفاتيح الحصن، فلمَّا اشتدَّ ظلامُ الليلِ، وخلَدَ الجميعُ إلى النوم، **دخل على** «أبي رافع» وهو مضطجعٌ في غرفة واسعة، مع أهله وعياله، ولم يعرف مكانه، فناداه: أبا رافع، فقال: من هذا؟ فأهوى بسيفه على موضع الصوت، فأصاب الفراشَ، ولم يُصب الفاجرَ.

فخرج ومكث قليلاً ثم دخل كالمنقذ له، وغيَّر صوته، وقال: أبا رافع، ماذ جرى؟ ماذا حدث لك؟ فقال له: دخل عليَّ رجلٌ غريب، فضربني بالسيف، ولم يصل إليَّ، فأوقدْ لي مصباحاً، وانظر من هذا الذي ضربني.

وهنا تحقَّق ابنُ عتيك مكانَه، فأهوى بالسيف عليه، فأصابه، ثم وضع حدَّ السيف وسط بطنه، حتى وصلَ إلى عظامه، وعرف أنه هلَكَ، فخرج والمكانُ مظلم، يريد الهرب، فوقع من السُلَّم على الأرض، فكُسِرتْ رجلُه، فعصَبَها بلفافةٍ كانت على رأسه، ثم خرج، وقال لأصحابه: أسرعوا كفيتُكم شرَّ الخبيث، فقد قتله اللّه.

ولـمَّا وصل إلى رسول اللّه ﷺ وأخبَرَهُ الخَبَر، قال له ﷺ: **(ابسطْ رجلَكَ)** فبَسَطها، فمسَحها ﷺ له، فعادت سليمةً، كما كانت ببركة دعائه ﷺ ومسحه لها بيده الشريفة ﷺ.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ شدة عداوة اليهود للمؤمنين، وبخاصة رؤساؤهم كأبي رافع «سلَّام بنُ أبي الحُقَيق» و(كعب بن الأشرف)، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

الثاني: وفيه جوازُ اغتيالِ المُشْرِك، الذي بلغَتْه الدعوةُ، وأصرَّ على الكفر، وإيذاءِ الرسول وأتباعه.

الثالث: وفيه جوازُ التجسُّس على الأعداء، المحاربينَ لدين اللّه، وأخذهم بالشدَّة والقتل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩].

الرابع: وفيه ظهور كرامة المصطفى ﷺ، حيث مَسَحَ رِجْلَ الصحابيِّ، فعادت كأحسنَ ممَّا كانت، كأن لم يشكو منها ألماً، ولم يحدث لها شيء من الكسر.

٤٠٤٠ ـ [طرفه في: ٣٠٢٢]، تقدّم شرحُه في الحديث السابق.

٤٠٤١ ـ [طرفه في: ٣٩٩٥]، تقدّم شرحُه.

٤٠٤٢ - [طرفه في: ١٣٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٠٤٣ - [طرفه في: ٣٠٣٩]، تقدّم شرحُه.

٤٠٤٤ - [طرفه في: ٢٨١٥]، تقدّم شرحُه.

٤٠٤٥ - [طرفه في: ١٢٧٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَنْ اسْتُشْهِدَ فِي الحَرْبِ)

٤٠٤٦ - عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أنه قالَ: (قالَ رَجُلٌ لِلنبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «في الجَنّةِ». فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ في يَدِهِ، ثُمَّ قاتَلَ، حَتَّى قُتِلَ).

شرح الحديث

دعا رسولُ اللَّه ﷺ أصحابَه، إلى الخروج لقتال المشركين في غزوة أُحُد، وسمع الصحابيُّ «عُمَيرُ بنُ الحَمَام» منادي الجهاد ينادي للجهاد، فأقبل إلى رسول اللَّه ﷺ، وبيده تمراتٌ يأكلهنَّ، فقال: يا رسول اللَّه: أخبرني إذا أنا قُتلت في المعركة، فأين يكون مكاني؟ فقال له ﷺ: (تكون في الجنة دار الشهداء).

فألقى الرجلُ بالتمرات من يده، وقال: إنها لحياةٌ طويلةٌ، إن عشتُ حتى آكُلَ هذه التمرات، واخترط سيفه، ودخل قلْبَ المعركة، فقاتل الأعداءَ، وما زال يَقْتُل منهم، حتى اسْتُشْهد رضي اللَّه عنه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه ما كان عليه الصحابةُ رضوانُ اللَّه عليهم، من حبِّ نيل الشهادة في سبيل اللَّه.

الثاني: وفيه شدَّةُ شوقِ «عُمَيْر بن الحَمَام» لدخول الجنة، حتى إنه لم ينتظر أن يأكل التَّمَرات، فألقاها من يده ودخل المعركةَ فقاتلَ قتالَ الأبطال، حتى استشحد.

الثالث: وفيه إخبارُ النبيِّ الصادق ﷺ بأن الشهيد يدخل الجنة، وتُغفر ذنوبه، مهما كانت إلَّا الدَّيْنَ، كما ورد به الحديث الصحيح.

تنبيه هام

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: لم أقف على اسم هذا السائل، ولكنْ وردَ في صحيح مسلم، من حديث أنس (أنه «عُمَيرُ بنُ الحَمَام» جاء إلى الرسول ﷺ وبيده تمرات يأكل منهنّ، فسأله إنْ أنَا قُتلتُ فأين مكاني؟ فقال له: **(في الجنة)** فقال: إن أنا حِييتُ حتى آكلَ تمراتي هذه، إنها لحياةٌ طويلة، ثم قاتل حتى قُتِل) رواه مسلم.

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: القصةُ التي في الباب أنها كانت يوم أُحد، وقصة أنس أنها كانت يوم بدر، والظاهر أنهما قصَّتان، وقعتا لرجلين .اهـ فتح الباري ٧/ ٣٥٤.

قال البدرُ العيني: وهذا هو الصواب، أنهما قصَّتان، إحداهما كانت في بدر، والثانيةُ كانت في أُحد .اهـ عمدة القاري ١٧/ ١٤٤.

٤٠٤٧ ـ [طرفه في: ١٢٧٦]، تقدّم شرحُه.

٤٠٤٨ ـ [طرفه في: ٢٨٠٥]، تقدّم شرحُه.

٤٠٤٩ ـ [طرفه في: ٢٨٠٧]، تقدّم شرحُه.

٤٠٥٠ ـ [طرفه في: ١٨٨٤]، تقدّم شرحُه.

٤٠٥١ ـ [طرفه في: ٤٥٥٨]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٠٥٢ ـ [طرفه في: ٤٤٣]، تقدّم شرحُه.

٤٠٥٣ ـ [طرفه في: ٢١٢٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قِتَالِ جِبْرِيلَ ومِيكَائِيلَ يَوْمَ أُحُد)

٤٠٥٤ ـ عَنْ سَعْدِ بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ الْقِتَالِ، ما رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ).

[طرفه في: ٥٨٢٦].

شرحُ الحديث

رأى الصحابيُّ «سَعْدُ بنُ أبي وقاص» يوم غزوة أحد، رسولَ اللَّه ﷺ ومعه رجلان، يقاتلان عنه أشدَّ القتال، يلبسان ثياباً بيضاً، ولم يعرف من أين جاءا، ولا كيف جاءَا!

رآهما يقاتلان مع رسول اللَّه ﷺ، ثم غابا عنه، فلم يرهما في المعركة، ولم يعرف من هما؟ حتى سأل النبيَّ ﷺ بعد انتهاء المعركة، فأخبره أنهما مَلَكان هما «جبريل» و«ميكائيل» عليهما السلام.

وقد أخبرنا القرآنُ الكريم عن نزول الملائكة في بعض المعارك والغزوات، فقال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] أي يتبع بعضهم بعضاً، كما حدث في (بدر)، و(حُنين)، و(أُحُد)، حيث نزلت الملائكةُ، فقاتلت مع المؤمنين، في بعض الغزوات، وثبتَّت المؤمنين في بعضها.

فما رآه سعدٌ رضي اللَّه عنه، أمرٌ محقَّقٌ، أخبر عنه القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران؛ ١٢٤] وللَّهِ جنودُ السمٰوات والأرض.

بابُ (قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ لِسَعْدٍ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)

٤٠٥٥ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قال: (نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وأُمِّي»).

[طرفه في: ٣٧٢٥].

شرح الألفاظ

(نَثَل كِنَانَته) أي نَفَض جَعْبَةَ السِّهَام، وقذف لي بها، لأرميَ بها المشركين.

(فِدَاكَ أَبِي وأُمِّي) أي إرْمِ أفديك بأبي وأمِّي، وهي كلمةٌ تقولها العربُ، على وجه المحبَّة، والرضا، والترحيب.

شرح الحديث

كان «سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاص» رضي اللّه عنه بطلاً محارباً يُتْقِن فنونَ الرماية والقتال، وفي غزوة أُحُد أحاط الأعداءُ برسول اللّه ﷺ، فدعا رسولُ اللّه ﷺ سعداً، وأخرج له جميع ما في جَعْبَته من النِّبال، وجعلَها أمامه، وقال له مثنياً على شجاعته وبطولته: **(ارْمِ يا سَعْدُ بهذه السِّهَامِ، فداءَ لكَ أَبِي وأمِّي)**.

ما يستفاد من الحديث

في الحديث بيانُ شجاعةِ (سعد) رضي اللّه عنه، وفيه جوازُ التفدية بالأب والأم، والإشادةُ في الحرب، بفضل إتقان الرماية، كما ورد في الحديث الصحيح، في قول اللّه تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] قوله ﷺ: **(أَلَا إنَّ القوَّةَ الرَّمْيُ)**.

٤٠٥٦ ـ [طرفه في: ٣٧٢٥]، تقدّم شرحُه.

٤٠٥٧ ـ [طرفه في: ٣٧٢٥]، تقدّم شرحُه.

٤٠٥٨ ـ [طرفه في: ٢٩٠٥]، تقدّم شرحه.

٤٠٥٩ ـ [طرفه في: ٢٩٠٥]، تقدّم شرحُه.

٤٠٦٠ ـ [طرفه في: ٣٧٢٢]، تقدّم شرحُه.

٤٠٦١ ـ [طرفه في: ٣٧٢٣]، تقدّم شرحُه.

٤٠٦٢ ـ [طرفه في: ٢٨٢٤]، تقدّم شرحُه.

٤٠٦٣ ـ [طرفه في: ٣٧٢٤]، تقدّم شرحُه.

٤٠٦٤ ـ [طرفه في: ٢٨٨٠]، تقدّم شرحُه.

٤٠٦٥ ـ [طرفه في: ٣٢٩٠]، تقدّم شرحُه.

٤٠٦٦ ـ [طرفه في: ٣١٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٠٦٧ ـ [طرفه في: ٣٠٣٩]، تقدّم شرحُه.

باب (قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨])

٤٠٦٨ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أنه قال: (شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ

أُحُدٍ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ»! فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾).

[طرفه في: ٤٥٦٢].

شرح الحديث

اشتدَّ البلاءُ على المسلمين في (غزوةِ أُحد)، ونال المشركونَ ما نالوه من القتل، والجراحات في المسلمين، حتى وَصَلَ طرفُ هذه المحنة القاسية، إلى رسولِ اللَّه ﷺ، فشُجَّ وجهُه الشريف، وكُسِرت البَيْضَةُ ـ أي غطاءُ الرأس وهي الخَوْذةُ ـ على رأسه الشريف ﷺ، حتى سال منه الدَّمُ، فقال ﷺ: **(كيف يُفلح قومٌ شجُّوا رأسَ نبيِّهم، وهو يدعوهم إلى اللَّه تعالى!)** فأنزل اللَّه هذه الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

تفسيرُ الآية الكريمة: أي ليس لك يا أيها الرسول من أمر هؤلاء المشركين شيءٌ من الأمور، لا من أمرِ هدايتهم وإصلاحهم، ولا من أمرِ عذابهم وإهلاكهم؟ فإنَّ الأمورَ كلَّها بيد اللَّه تعالى، فإمَّا أن يوفِّقهم إلى الإيمان والتوبة، أو يعذِّبهم إنْ أصرُّوا على الكفر والإشراك، فإنهم أناسٌ سفهاء، يستحقون العذاب.

وإنما نزلت هذه الآية لأن الرسولَ ﷺ لمَّا فعلوا به ذلك، دعا عليهم، ولَعَنهم في صلاته، فقال: **(اللهمَّ العنْ فلاناً، وفلاناً)**، وسمَّى أناساً بأسمائهم، وهم الذين أكثَرُوا القتلَ في المسلمين، ووصل أذاهم إلى رسول اللَّه ﷺ، (كعُتبةَ بن أبي وقاص) الذي كسَرَ رباعيةَ النبي ﷺ السفلى، وجَرَح شفتَه، و(عبدِ اللَّه بنِ شهاب) الذي شجَّه في جبهته، و(ابْنِ قَمِئَةَ) الذي جرحَ النبيَّ ﷺ في وجْنَته ـ أي خدِّه الشريف ـ حتى دخلتْ حَلَقتان من حلقات الدِّرع في وجنته عليه السلام، فلمَّا لعنهم ﷺ، نزلت الآية، ويشهد له الحديث الآتي ذكرُهُ:

٢٧ باب (لَعْنِ الْمُشْرِكِينَ فِي الصَّلَاةِ)

٤٠٦٩ ـ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ إِذَا

رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ، يَقُولُ: «اَللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاناً، وَفُلاناً، وَفُلاناً»، بَعْدَ ما يَقُولُ: «سَمِعَ ٱللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ». فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]).

[طرفه في: ٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦].

شرحُ الحديث الشريفُ

هذا الحديث يؤكد أنَّ الرسول ﷺ دعا عليهم، ولَعَنهم في صلاته، في الركعة الأخيرة من كل صلاة، فلمَّا نزلت هذه الآية، ترك الدعاءَ عليهم، واللَّعنَ لهم، وقد بيَّن تعالى العلَّة في ذلك، فبيَّن أنَّ منهم من سيؤمن، ويحسُنُ إسلامُه فقال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٧، ١٢٨] أي يقتلهم، أو يَكبِتَهُمْ أي يخزيهم ويذلُّهم بكفرهم وإجرامهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيُسْلِمُوا (أو يُعَذِّبُهُم) أي أن ماتوا كفاراً ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي ظالمون لأنفسهم بالكفر وحرب الرسول ﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ أي يرجعوا أذلَّاء مخذولين.

ثم جاءت الآية بعدها موضِّحةً العلَّة، فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فقد آمنَ بعضُ هؤلاء الكفار المحاربين، وأصبحوا أنصاراً لدين اللَّه، والدِّفاع عن رسوله، (كَخَالِدِ بْنِ الوَلِيد) و(عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْل) و(عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاص) الأخ الشقيق لسعد، فهؤلاء أسلموا، وأصبحوا أنصارَ دينِ اللَّه.

قال الحافظ ابنُ حجر: في حديث (سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاص) أنه قال: (فَمَا حَرَصْتُ على قتلِ رجلٍ قطُّ، مثلَ حِرْصي على قتل أخي (عُتبةَ بنِ أبي وقَّاص) لِمَا صنع برسول اللَّه ﷺ يوم أُحُد). فتح الباري ٧/٣٦٦.

قال البدرُ العينيُّ: وقد جاء في صحيح البخاري عن (سَالِم بن عبدِ اللَّه) أنه قال: (كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يدعو على (صَفْوانَ بنَ أبي أميَّة) و(سُهَيلِ بنِ عَمْرو) و(الحَارِثِ بنِ هِشَام) فلمَّا نزلت الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]) ترك الدعاءَ عليهم.

قال العينيُّ: فهؤلاء الثلاثةُ المذكورون، قد أسلموا، **أمَّا «صفوان» فقد هربَ يوم (فتح مكة)، ثم رجع إلى رسول اللَّه ﷺ فشهد معه حُنيناً، والطائف، ومات بمكة** مسلماً سنة (٤٢) في خلافة معاوية رضي اللَّه عنه.

وأمَّا «سُهيل بن عَمْرو» فإنه كان أحدَ الأشراف من قريش، وساداتهم في الجاهلية، وأُسِرَ يوم بدرٍ، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه، وكان كثيرَ الصيام، والصلاة، والصَّدقة، وخرج إلى الشام مجاهداً، ومات هناك.

وأمَّا (الحَارِثُ بنُ هِشَام) فإنه شهد بدراً كافراً، مع أخيه الشقيق أبي جهل، ولمَّا قُتل أخوه (أبو جَهْلٍ) فرَّ من المعركة، ثم غزا مع المشركين أُحداً، ثم أسلم يوم فتح مكة، وحَسُن إسلامُه، وكان من فُضلاء الصحابة وخيارِهم، ثم خرج إلى الشام مجاهداً، ولم يزل في الجهاد، حتى مات سنة (١٨) ثمانَ عشرة .اهـ عمدة القاري ١٧/١٥٦.

أقول: (للَّهِ سبحانه في خَلْقِه شؤون)!! فكم من أناسٍ حملوا رايةَ الكفر سنين وأعواماً!؟ ثم هداهم اللَّهُ إلى الدِّينِ الحقِّ، فأسلموا، وفتحوا الفتوحات (كعَمْرِو بنِ العاص)، و(خالدِ بنِ الوليد)، و(عكرمةَ بنَ أبي جهل) فصاروا هُداةَ دُعاة، بعد أن كانوا كَفَرةً عُتاةً! فهذه هي الحكمة من منع الدعاء عليهم، ولعنهم.

وانظر كتابنا (صفحاتٌ مشرقة من حياة الرسول ﷺ وأصحابه الأبرار).

ففيه روائعُ وبدائعُ، من حياة هؤلاء الصحابة الكرام، وما جرى على أيديهم من انتصارات وفتوحات!! رضي اللَّه عنهم أجمعين.

٤٠٧٠ ـ **[طرفه في: ٤٠٦٩]، تقدّم شرحُه.**

٤٠٧١ ـ **[طرفه في: ٢٨٨١]، تقدّم شرحُه.**

بابُ (مَقْتَلِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ رضيَ اللَّه عنه)

٤٠٧٢ ـ **عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عديٍّ، أنه قال لوحْشِيٍّ: (أَلَا تُخبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ (طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ) بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ (جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ): إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ.**

قالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عامَ عَيْنَيْنِ ـ وَعَيْنَيْنِ: جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ ـ خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ، فَلَمَّا اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ

أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ، أَتُحَادُّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ قالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ ٱلذَّاهِبِ.

قالَ وحشي: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا في ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، قالَ: فَكانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ، حَتَّى فَشَا فيهَا الإِسْلَامُ.

ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ رَسُولاً، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ، قالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآنِي قالَ: «آنْتَ وَحْشِيٌّ»؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟». قُلْتُ: قَدْ كانَ مِنَ الأَمْرِ ما بَلَغَكَ. قالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟».

قالَ: فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ (مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ)، قُلْتُ: لأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ، لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ. قالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكان مِنْ أَمْرِهِ ما كانَ، قالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قائِمٌ في ثَلْمَةِ جِدارٍ، كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ، ثَائِرُ الرَّأْسِ، قالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُها بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ. قالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ).

شرح الألفاظ

(وَحْشِي) هو وحشيُّ بنُ حَرْب الحَبَشي، مولى (جُبَير بن مطعم) كان يقذف بالحربة فيصيب هَدَفَه، قلَّما يُخطئ، وهو القاتل لسيدنا حمزة بن عبد المطَّلب، سيِّد الشهداء رضي اللَّه عنه.

(أَلَا تُخْبِرُنا بِقَتْلِ حَمْزَةَ)؟ أي أَلَا تخبرنا كيف قتلتَ حمزة؟

(قَالَ لِي مَوْلَايَ) أي قال لي سيدي (جُبَيرُ بنُ مُطْعم) لأنه كان عبداً مملوكاً لجبير بنِ مُطْعم.

(خَرَج سِبَاعٌ) هو (سِباع بنُ عبد العُزَّى)، أحدُ طواغيتِ قريش، كان يفخر بقوته وشجاعته.

(هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ) أي هل من يُنازلني في المعركة؟ لنرى من يقتلُ منَّا الآخرَ؟ يقولها اعتزازاً بقوَّته، فخرج إليه (حمزةُ بنُ عبد المطَّلب).

(أَتَحادُّ اللَّهَ ورَسُولَه)؟ أي أتعادي دينَ اللَّه؟ وتحاربُ رسولَه؟

(مُقَطِّعَة البُظُور) أي تختن النساء، وتقطع بظورهنَّ، وهي اللحمة التي هي في مقدّمة الفَرْج، وهذه اللفظة يُؤتَى بها في (معرض الذمِّ)، فقد كانت أمُّهُ تختن النساء.

(شدَّ عَلَيْهِ) أي حَمَل عليه حملةً شديدة، فقطعه بسيفه البتَّار، فلم يُبْقِ له أثراً.

(كَأَمْسِ الذَّاهِب) أي تركه يتخبَّطُ بدمائه، كأنْ لم يكن له وجود، وهو مثلٌ يُضرب لمن هلكَ فأصبح ذاهباً، كما يذهب اليوم السابق، فلا يعود أبداً.

(وكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ) أي اختفيتُ لحمزةَ وراء شجرة، وانكشفتْ الدِّرعُ عن مؤخرة بطنه، فرميتُه بالحربة.

(فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِه) أي فوقعت الحربةُ في أسفل بطنه، قريباً من العَانَةِ.

(فَكَانَ ذَلِكَ العَهْدُ بِهِ) كنايةٌ عن موته، أي فمات (حمزةُ) رضي اللَّه عنه، بسبب هذه الرمية التي قذفه بها.

(لا يَهِيجُ الرُّسُل) أي لا ينالهم منه إزعاج، فمن جاءه مسلماً تائباً، عفا عنه، ولم يؤاخذه بجرمه.

(ثَائِرُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ) أي متفرق شعر الرأس، كأنه من أثر غبار الحرب، لونُه كلون الرَّماد.

(غَيِّبْ وَجْهَكَ عَنِّي) أي لا أريد أن أراك في وجهي بعد اليوم، لئلَّا يتذكَّر رسولُ اللَّه ﷺ مقتل عمِّه حمزة سيِّ الشهداء.

شرح الحديث

كان حمزةُ رضي اللَّه عنه بطلَ الأبطال، وسيِّد الشجعان، سمَّاه رسولُ اللَّه ﷺ (أسدَ اللَّهِ، وأسَدَ رسوله) ما كان يقف في وجهه أحدٌ من الفرسان المشركين، إلَّا فراه بسيفه البتَّار، فجعله أثراً بعد عين، وما كان أحدٌ يجرؤ أن يبارز (حمزةَ)، لقوته، وبطولته، وشجاعته، وقد أبلى بلاءً حسناً في (غزوة أُحُد)، فقَتَل من المشركين، ما يزيد على الثلاثين.

ولكنْ كيف قُتل هذا البطل المغوار؟ ومن قتله من الكفار؟

إنَّ الذي قتله رجل حَبَشيٌّ يُسمى (وَحْشِي) قتلَه غِيلةً وغدراً، يحكي لنا (وحشي) قصة قتل حمزة فيقول:

كنتُ غلاماً مملوكاً لجبَير بنُ مُطْعم، فلمَّا كانت غزوةُ أُحُد، قال لي سيِّدي: إن

قتلتَ حمزةَ عمَّ محمد بعمِّي فأنت حرٌّ ـ وكان عمُّ جُبَيْر قد قُتل في بدر ـ.

قال: فخرجتُ مع الناس، ليس لي غرضٌ إلَّا أن أقتل حمزة، ليعتقني سيدي، وكنتُ أُتقن الرميَ، قلَّما أُخطئ أحداً أردتُه، فبينما أنا انظر إلى القوم، أبصرتُ حمزةَ كأنه الأسد، ما يقف في وجهه أحد، فأخذتُ حربتي فهززتها، ثم دفعتها نحوَه فوقعت أسفل بطنه، ثم خرجت من بين رجليه، فذهب ليقوم فلم يستطع، ثم تركته حتى مات.

هكذا كان مقتلُ أسدِ اللَّهِ حمزة رضي اللَّه عنه وأرضاه بطريق الغدر والخيانة، لا بطريق الطِّعان والنِّزال.

يقول وحشي: ثم مثَّل به المشركون أشنع تمثيل، فلمَّا رجعتُ إلى مكة، أعتقني سيِّدي جُبير.

يقول: ولمَّا فتح رسولُ اللَّه ﷺ مكةَ، ودخل الناسُ في الإسلام، هربتُ إلى الطائف، فمكثتُ فيها، فلمَّا خرج رسول اللَّه ﷺ إلى غَزْوِ الطائف، ضاقتْ عليَّ الدنيا، وأيقنتُ أنني سأقتلُ، إن عرف رسولُ اللَّه مكاني، فأردتُ أن أذهب جهة البحر، فأذهب إلى الشام، أو إلى اليمن.

وبينما أنا في همِّي، إذ جاءني رجلٌ أعرفه، فقال لي: ويحك! الحقْ بالقوم فأسلِمْ، فإنَّ محمداً لا يقتل أحداً دخل في الإسلام، وشهد أنَّ لا إله إلا اللَّه، وأنَّ محمداً رسوله، مهما كان جرمُه.

قال وحشي: فخرجتُ حتى أتيتُ رسولَ اللَّه ﷺ وهو بالمدينة، فدخلتُ عليه فأعلنتُ إسلامي عنده.

فقال لي: (هل أنتَ وحشي قاتلُ عمِّي حمزةَ)؟

قلت: نعم يا رسولَ اللَّه، اعفُ عنِّي عفا اللَّه عنك.

فقال لي: (أقعدْ فحدِّثني كيف قتلتَ حمزةَ؟) فحدَّثتُه بقصة قتلي له، كيف اختبأتُ له، وكيف قتلتُه؟

فقال لي: (أتستطيعُ أن تغيِّبَ عنِّي وجهك؟ فإني لا أريد أن أرى قاتلَ عمي)، واكتفى ﷺ بقوله: **(غيِّبْ عنِّي وجهك)**، ولم يتعرَّضْ لي بعقوبةٍ ولا سوء.

يقول وحشي في تتمة حديثه: فلمَّا خرج المسلمون لقتال (مُسَيْلمةَ الكَذَّابِ) الذي ادَّعى النبوَّة، خرجتُ معهم، وقلتُ في نفسي: قتلتُ بحربتي هذه خيرَ الناس (حمزة) وأنا أقتلُ بها اليومَ شرَّ الناس (مسيلمة) لتكون كفارةً لذنبي، ثم دفعتُ الحربةَ نحوه، فخرَّ صريعاً يتخبَّط في دمائه.

هذه قصة «وحشي» قاتلِ حمزةَ، الذي أسلم بعد فتح مكة، وحَسُن إسلامُه، والذي جعل كفارةَ ذنبه، قتلَ عدوِّ اللَّهَ (مسيلمة الكذَّاب) مدَّعي النبوَّة لعنه اللَّه.

رَحِمَ اللَّهُ «حمزةَ» سيِّد الشهداء، وأسكنه فسيح جنانه، فقد كانت شجاعتُه مضربَ الأمثال، حتى سمَّاه رسولُ اللَّه ﷺ «أسدَ اللَّه» و«أسدَ رسوله» واستحقَّ هذا الوسامَ والشَّرف، «سيِّدُ الشهداء حمزة رضي اللَّه عنه».

بابُ (مَا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الجِرَاحِ يَوْمَ أُحُدٍ)

٤٠٧٣ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: سمعتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يقول: (ٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ ـ يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ ـ ٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ في سَبِيلِ ٱللَّهِ»).

شرح الحديث

في غزوة أُحُد جُرح رسولُ اللَّه ﷺ، وشُجَّ وجهُه الشريف، حتى سال الدُّمُ منه، وكُسرت رباعيتُه السُّفلى ـ وهي السِّنُّ التي بين النَّاب وبقيَّة الأسنان ـ وضرَبَه الشقيُّ (ابنُ قَمِئَةَ) على وجْنَتِهِ، فنزف منه الدَّمُ بشدة، وكانت (فاطمةُ الزهراء) ابنةُ النبي ﷺ مع النساء، يُسْعِفْنَ المرضى، ويسقين العطشى، فلمَّا رأت الدَّمَ يسيل من رأسه ﷺ على وَجْنَته، جعلت تغسلُه بالماء، فيزداد الدمُ، فلمَّا رأت ذلك أخذت حصيراً فأحرقته بالنار، حتى صار رماداً، فضمَّدت به الجُرح حتى انقطع الدَّمُ، فقال النبيُّ ﷺ عند ذلك: (**اشتدَّ غضبُ اللَّه على قوم دمُّوا وجهَ نبيِّهم ـ أي أخرجوا الدم من وجهه ـ وكسروا رَبَاعيته! اشتدَّ غضبُ اللَّه على رجلٍ قَتَلَه رسولُ اللَّه بيده، في سبيل اللَّه**)!.

أمَّا الفقرةُ الثانية من الحديث، فتشير إلى قتلِ النبي ﷺ للشقيِّ الخاسر «أُبيِّ بنِ خَلَف» فإنه لـمَّا لم يبق مع النبيِّ ﷺ يوم أُحُد، إلَّا بعضُ الصحابة، جاء «أُبيُّ بنُ خَلَف» مسرعاً نحو النبيِّ ﷺ ـ وقد حَلَف أن يقتل محمداً ـ فقال الرسولُ ﷺ لأصحابه: (**دعوه بل أنا سأقتله إن شاء اللَّه**)، فلمَّا اقترب من الرسول ﷺ وكان راكباً على فرسه، رماه رسولُ اللَّه ﷺ بسهم في فتحة دِرْعه، فسقط يخور خُوار الثَّوْر،

فاحتملوه فلم يلبث إلا بعض يوم، حتى راحت روحُه الخبيثة إلى الهاوية، فقال ﷺ: **(اشتدَّ غضبُ اللّهِ على رجلٍ يقتلُه رسولُ اللّه ﷺ في سبيل اللّه)**.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الأنبياء يصابون ببعض المصائب الدنيوية، من جراحات، وأسقام، وآلام، ليعظم لهم بذلك الأجرُ، ويتأسى بهم أتباعُهم في الصبر، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

الثاني: جوازُ التداوي بأنواع العلاج، كما فعلتْ السيدة (فاطمة) بحرق الحصير، وضماد الرسول برماده، لقطع الدم.

الثالث: وفيه أنَّ الابتلاءَ بالأعداء عامٌّ للبشر، بما فيهم رسلُ اللّه الكرام، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

٤٠٧٤ ـ [طرفه في: ٤٠٧٦]، انظر شرح الحديث السابق رقم ٤٠٧٣.

٤٠٧٥ ـ [طرفه في: ٢٤٣]، تقدّم شرحُه.

٤٠٧٦ ـ [طرفه في: ٤٠٧٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]

٤٠٧٧ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لِعُرْوَةَ: (يا ابن أختي: كان أبَوَاكَ منهم: الزُّبير، وأبو بكر، لَمَّا أَصابَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ ما أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَٱنْصَرَفَ عَنْهُ ٱلمُشْرِكُونَ، خافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قالَ: «مَنْ يَذْهَبُ في إِثْرِهِمْ»؟ فَٱنْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً، قالَ: كانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ).

شرح الحديث

سببُ ذكر هذا الحديث ونزولِ الآية التي ترجم لها البخاريُ: هو (أنَّ الرسولَ ﷺ لمَّا رجع إلى المدينة بعد تلك الهزيمة التي مُني بها المسلمون، بسبب عصيانهم أمرَ الرسول ﷺ، تلاومَ المشركون فيما بينهم، فقال بعضهم لبعض: أصبتم شوكة المسلمين، ثم تركتموهم فلم تستأصلوهم، واللّهِ لم تصنعوا شيئاً!!

فعزموا على العودة إلى المدينة للإجهاز على المسلمين، ونزل الوحيُ على الرسول ﷺ، يخبره بما عزم عليه كفارُ مكة، فأمر الرسولُ ﷺ أصحابه أن يتجهَّزوا لحرب المشركين، فسارعوا للطاعة وهم مثقلون بالجراح، مع شدة الوهن والضعف، وألقى اللّه في قلوب الأعداء الرُّعبَ، فلم يرجعوا إلى المدينة، لتحقيق هدفهم الدنيء، وتسمَّى هذه غزوة (حَمْراءِ الأَسَد).

وفي هذه نزلت الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ۞ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٢، ١٧٣].

٤٠٧٨ ـ فيه فضيلة الأنصار رضي اللّه عنهم وأنهم أكثر من قدم الشهداء في سبيل اللّه.

٤٠٧٩ ـ [طرفه في: ١٣٤٣]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨٠ ـ [طرفه في: ١٢٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨١ ـ [طرفه في: ٣٦٢٢]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨٢ ـ [طرفه في: ١٢٧٦]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨٣ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨٤ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨٥ ـ [طرفه في: ١٣٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨٦ ـ [طرفه في: ٣٠٤٥]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨٧ ـ عن جابر رضي اللّه عنه قال: «الَّذي قَتَلَ خُبيباً هُوَ أَبُو سَرْوَعَة» واسمه عقبة بن الحارث.

٤٠٨٨ ـ [طرفه في: ١٠٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٨٩ ـ [طرفه في: ١٠٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩٠ ـ [طرفه في: ١٠٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩١ ـ [طرفه في: ١٠٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩٢ ـ [طرفه في: ١٠٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩٣ ـ [طرفه في: ٤٧٦]، تقدّم شرحُه في الحديث رقم ٣٩٠٥.

٤٠٩٤ ـ [طرفه في: ١٠٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩٥ ـ [طرفه في: ١٠٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩٦ ـ [طرفه في: ١٠٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩٧ ـ [طرفه في: ٢٦٦٤]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩٨ ـ [طرفه في: ٣٧٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤٠٩٩ ـ [طرفه في: ٢٨٣٤]، تقدّم شرحُه.

٤١٠٠ ـ [طرفه في: ٢٨٣٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ذِكْرِ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَمَا حَدَثَ لِلْمُسْلِمِينَ عِنْدَ الحَفْرِ)

٤١٠١ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هٰذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لا نَذُوقُ ذَوَاقاً، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسولَ ٱللَّهِ، ٱئْذَنْ لي إِلَى الْبَيْتِ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئاً، ما كانَ في ذٰلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ.

فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدِ ٱنْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ، قَدْ كادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسولَ ٱللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رجُلانِ. قالَ: «كَمْ هُوَ»؟ فَذَكَرْتُ

لَه، قالَ: «كَثيرٌ طَيِّبٌ». قالَ: قُلْ لَها: «لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ، فَقالَ: قُومُوا».

فَقامَ المُهاجِرُونَ وَالأَنْصارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، قالَ: وَيْحَكِ جاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالمُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضاغَطُوا». فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ، إذا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قالَ: «كُلِي هٰذا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصابَتْهُمْ مَجاعَةٌ».

[طرفه في: ٣٠٧٠].

شرح الألفاظ

(يَوْمَ الخَنْدَقِ) هو اليوم المسمَّى بـ(غزوةِ الأحزاب) سُمِّي (يومَ الخندق) لأن المسلمين حفروا الخندق حول المدينة في تلك الغزوة.

(عَرَضتْ كُدْيةٌ) أي قطعةٌ صُلبةٌ من الأرض لا تُؤثِّر فيها المعاولُ، ومراده أنه عرضت لهم صخرة عظيمة.

(بطْنُه معصوبٌ) أي مربوطٌ بحجر من شدة الجوع والمشقَّة.

(لَا نَذُوقُ ذَوَاقاً) أي مكثنا ثلاثةَ أيام لم نذق شيئاً من الطعام.

(فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ) أي لـمَّا ضربَ رسولُ اللَّه ﷺ الصخرة العظيمة تفتَّتَتْ، فأصبحت كالرمل يسيلُ ولا يتماسك، وهذه إحدى علامات النبوة، فإنَّ الصحابة جميعَهم عجزوا عن تَفْتِيتِها، وبضربةٍ واحدة من رسول اللَّه ﷺ سالت كالتراب.

شرحُ الحديث

هذا طرفٌ من حديث طويل ذكره البخاري، فيه خوارقُ وعجائب تشير إلى صدق النبوة والرسالة، وهي من أعلام نبوته ﷺ.

وتتمة القصَّة (أنَّ جابراً لـمَّا رأى ما بالنبيِّ ﷺ من شدة الجوع، ذهب إلى زوجته، فقال لها: لقد رأيتُ بالرسول ﷺ خَمَصاً ـ أي جوعاً ـ شديداً، فهل عندك شيء من الطعام؟).

فأخرجتْ لي صاعاً من شعير فطحنته، وعندنا شاة صغيرة فذبحناها، ثم قطَّعناها ووضعناها في القِدْر على النار، وعجنَت امرأتي الطحين، ثم ذهبتُ إلى رسول اللَّه ﷺ، فقالت لي: لا تفضحني برسول اللَّه ومن معه! فجئتُ إليه وأخبرته سرًّا، فقلتُ: يا رسول اللَّه، ذبحنا شاة لنا، وطَحَنَّا صاعاً من شعير، فتعالَ أنت ونفرٌ معك ممن تحبُّ.

فصرخ النبيُّ ﷺ: (يا أهل الخندق، إن جابراً صنع لكم طعاماً، فحيَّ هلاً بكم). أي أقبِلُوا مسرعين. فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: **(لا تُنزلنَّ قِدْركم، ولا تخبِزُنَّ عجينكم، حتى آتي إليكم)**.

قال جابر: فجئتُ وجاء رسولُ اللَّه ﷺ، يتقدَّمُ النَّاس، فلمَّا رأت زوجتي هذا الجمعَ الغفير ـ وكانوا ألفاً ـ قالت: فعلَ اللَّهُ بك ما فَعَل، من أينَ أُطْعِمِ الناسَ! وليس عندنا ما يكفيهم! فقال لها: واللَّهِ لقد قلتُ له ما قلتيه لي، ورسولُ اللَّه ﷺ هو الذي دعاهم.

فدخل رسولُ اللَّه ﷺ بيتنا، وباركَ على القِدْر والعجين، فأقسمُ باللَّه، لقد أكلوا جميعاً وشبعوا ـ وهم ألفٌ ـ حتى تركوه وانصرفوا، وإنَّ قِدْرنا لتغِطُّ بالطعام ـ أي مملوءة باللحم والمَرَق على حالها، وإنَّ عجيننا لَيُخبزُ كما هو، كأنه لم ينقص منه شيء ـ وهذه إحدى معجزات النبوة، حيث كفى الناسَ الطعامُ القليلُ، وبقي الطعامُ على حاله.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانٌ لمَا كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه يوم (غزوة الخندق) من شدة الجوع والتعب، حتى عَصَبَ النبيُّ ﷺ بطنَه من الجوع بحجر.

الثاني: وفيه ظهورُ قوَّة المصطفى ﷺ حيث حطَّم الصخرةَ العاتيةَ، بضربةٍ واحدةٍ بالمِعْول، وعجز الصحابة كلُّهم عن تحطيمها، وهذا مددٌ ربَّانيٌّ من اللَّه تعالى لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

الثالث: وفيه بيانٌ لسبب تسمية هذه الغزوة (غزوةَ الخندق)، لأنَّ الصحابة رضوانُ اللَّه عليهم حفروا الخندق حول المدينة المنورة، بإشارةٍ من الصحابيِّ «سلمانَ الفارسيِّ» رضي اللَّه عنه، وبموافقة الرسول ﷺ.

الرابع: وفيه ظهورُ (معجزة نبوِّية) خارقة، بتكثير الطعام ببركة دعاء النبيِّ ﷺ، حتى كفى الجمعَ، وكانوا قرابة ألف شخص.

الخامس: وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ كان ينقل الترابَ معهم، ويحفر الخندق ويساعدهم في حَفْره، وهو يردِّد تنشيطاً لهم:

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ ما اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الأَعَادِي قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يقول البراء: (وكان ﷺ يرفع صوته، ويقول: أَبَيْنا، أَبَيْنا). وانظر فتح الباري لابن حجر ٧/ ٣٩٩.

تنبيه هام

كان قائدُ جيش الأحزاب يومئذٍ (أبو سفيان) وكان عددُ الأحزاب اثنا عشر ألفاً، وعددُ جيش المسلمين ثلاثة آلاف، ومع ذلك فقد انتصر عليهم المسلمون، وما النَّصرُ إلَّا من عند اللَّه العزيز الحكيم.

٤١٠٢ _ [طرفه في: ٣٠٧٠]، تقدّم شرحُه.

٤١٠٣ _ تقدَّم شرحه وهو طرفٌ من حديث رقم (٤٠٩٨).

٤١٠٤ _ [طرفه في: ٢٨٣٦]، تقدّم شرحُه.

٤١٠٥ _ [طرفه في: ١٠٣٥]، تقدّم شرحُه.

٤١٠٦ _ [طرفه في: ٢٨٣٦]، تقدّم شرحُه.

٤١٠٧ _ تقدَّم شرحه في مناقب عغمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

٤١٠٨ _ انظر شرحه من خلال النص.

باب (قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا»)

٤١٠٩ _ عَنْ سُلَيْمانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: (**نَغْزُوهُمْ ولا يَغْزُوننا**).

[طرفه في: ٤١١٠].

شرح الألفاظ

(غَلَبَ الأحزَابَ) أي هزمهم في تلك الغزوة (غزوةِ الأحزاب) ونصر المؤمنين عليهم، ولهذا كانت السيدة عائشة تقول: (كان ذلك يوم الخندق).

(أعزَّ جُنْدَهُ) أي جعلهم أعزَّاء، مع قلَّةِ عددهم، وضعفِ حالهم (فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ) أي كلُّ شيء يفنى، وهو تعالى الحيُّ الباقي، فلا شيء بعده.

شرحُ الحديث

قال النبيُّ ﷺ هذا الحديثَ بعد أن صرف اللَّهُ شرَّ المشركين عن غزو المدينة المنورة، وردَّهم على أعقابهم منهزمين فزعين، فقد هبَّتْ عليهم عاصفةٌ من الريح الشديد المهلكة، قلبتْ قدورَهم، وقلعتْ خيامَهم، وأطفأتْ نارَهم، فولَّوْا الأدبارَ منهزمين، فبشَّرَ رسولُ اللَّه ﷺ صحابتَه وقال لهم: **(نغزوهم ولا يغزوننا بعد اليوم)**.

وفي هذا الحديث نفحةٌ من نفحات الإعجاز النبويِّ، إذْ وقع الأمرُ كما أخبر النبيُّ ﷺ، حيث لم يجرؤ المشركون على غزو المسلمين بعد ذلك اليوم، حتى فتح اللَّه عليه مكة، وإلى هذه المعجزة النبوية تشير الآية الكريمة في سورة الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] ويؤيده الحديث الآتي:

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ كان يقول: (لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فلا شَيءَ بَعْدَهُ).

كان ﷺ يقول ذلك في ثنائه على اللَّه، وكأنه يشير إلى هذه (الحادثة العظيمة) انهزام جحافل المشركين أمامَ العدد القليل من أهل الخندق، فقد هزمهم اللَّه على كثرتهم، أمام جند الرحمٰن في غزوة الأحزاب، ومعنى قوله ﷺ:

٤١١٠ ـ [طرفه في: ٤١٠٩]، تقدّم شرحُه.

٤١١١ ـ [طرفه في: ٢٩٣١]، تقدّم شرحُه.

٤١١٢ ـ [طرفه في: ٥٩٦]، تقدّم شرحُه.

٤١١٣ ـ [طرفه في: ٢٨٤٦]، تقدّم شرحُه.

٤١١٤ ـ تقدَّم شرحه في الحديث السابق رقم ٤١٠٩.

٤١١٥ ـ [طرفه في: ٢٩٣٣]، تقدّم شرحُه.

٤١١٦ ـ [طرفه في: ١٧٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤١١٧ ـ [طرفه في: ٤٦٣]، تقدّم شرحُه.

٤١١٨ ـ [طرفه في: ٣٢١٤]، تقدّم شرحُه.

٤١١٩ ـ [طرفه في: ٩٤٦]، تقدّم شرحُه.

٤١٢٠ ـ [طرفه في: ٢٦٣٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (خُرُوجِ النَّبيِّ ﷺ إِلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ)

٤١٢١ ـ عَنْ أبي سعِيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: (نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ على حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ، فأَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فأَتَى عَلى حِمارٍ، فلَمَّا دَنا منَ المَسْجِدِ قَالَ لِلأَنْصارِ: «قومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ـ أَوْ خَيْرِكُمْ ـ فَقَالَ: «هٰؤُلاءِ نَزَلوا على حُكْمِكَ». فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقاتِلَتَهُمْ، وتَسْبي ذَرارِيَّهُمْ، قَالَ: «قَضَيْتَ بِحُكمِ ٱللَّهِ. ورُبَّما قَالَ: بِحُكْمِ المَلِكِ»).

[طرفه في: ٣٠٤٣].

شرحُ الحديث

لمّا نقض اليهودُ العهدَ مع رسول اللَّه ﷺ، واتفقوا مع جيوش الأحزاب الكافرة على حرب رسول اللَّه ﷺ والمسلمين في المدينة المنورة، حاصر رسولُ اللَّه ﷺ يهود (بني قريظة) وهم في حصونهم خمساً وعشرين ليلةً، حتى رضوا بالنزول على حُكم (سَعْدِ بن عُبادة) ـ وكان حليفهم في الجاهلية ـ ظناً منهم أنه سيكون إلى جانبهم، ويتوسَّط بالشفاعة لهم عند رسول اللَّه ﷺ، فأرسل رسولُ اللَّه ﷺ إلى «سعد» فقدم على حمار، فلما دنَا من المسجد النبوي، قال رسولُ اللَّه ﷺ للأنصار: **(قوموا إلى سيِّدكم)**، فقام المسلمون إعظاماً وإجلالاً له في محل ولايته، فلما جلس قال له المصطفى ﷺ: **(إنَّ هؤلاء نزلوا على حكمك، فاحكمْ فيهم بما شئتَ، وأنا راضٍ بحكمك)**.

فقال سعد: حكمي فيهم أن يُقتل رجالُهم ويُسترقَّ فيهم النساءُ والأطفال.

فقال له الرسولُ الكريم ﷺ: (لقد حكمتَ فيهم بحكم اللَّه عزَّ وجلَّ من فوق سبع سمٰواته)، وأنزل اللَّه عزَّ وجل في يهود (بني قريظة) قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۞ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ نقضِ اليهودِ للعهودِ، وهذا ديدنُهم وعادتُهم، في كل عهدٍ عاهدوه، كما قال سبحانه ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠].

الثاني: وفيه أنَّ أمر تطهير المدينة من رجس اليهود، كان بحكمٍ من اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

الثالث: وفيه بيانُ جوازِ التحكيم إذا رضي الطرفان بحكم واحدٍ من الناس، فيجري الحكمُ على ما اتفقا عليه.

الرابع: وفيه تعظيمُ أمر الحَكَم في موطنِ ولايته، ولهذا أمرَ الرسولُ ﷺ بالقيام لسعد بن معاذ رضي اللَّه عنه.

الخامس: وفيه تسديدُ اللَّهِ عزَّ وجل لحكم الحاكم، إذا قصد الوصولَ إلى الحقِّ، ولهذا قال له الرسولُ الكريم ﷺ: **(لقد حكمتَ بحكم اللَّه من فوق سبع سمٰواته)** وفي بعض الروايات: **(لقد حكمتَ بينهم بحكم الملِكِ)** أي بحكم مَلِك الملوك، ربِّ العزَّة والجلال.

٤١٢٢ ـ [طرفه في: ٤٦٣]، تقدّم شرحُه.

٤١٢٣ ـ [طرفه في: ٣٢١٣]، تقدّم شرحُه.

٤١٢٤ ـ [طرفه في: ٣٢١٣]، تقدّم شرحُه.

٤١٢٥ ـ [طرفه في: ٤١٢٦، ٤١٢٧، ٤١٣٠، ٤١٣٧]. انظر شرح معناه في الحديث التالي رقم ٤١٢٨.

بابُ (صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةَ الخَوْفِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ)

٤١٢٦ ـ [طرفه في: ٤١٢٥]، تقدّم شرحُه.

٤١٢٧ ـ [طرفه في: ٤١٢٥]، تقدّم شرحُه.

٤١٢٨ ـ عَنْ أَبِي مُوسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قَالَ: (خرَجْنا معَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ ونَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْننا بَعِيرٌ نعْتَقِبُهُ، فنَقِبَتْ أَقْدامُنا، ونَقِبَتْ قدَمايَ، وسَقَطَتْ أَظْفارِي، وكُنَّا نَلُفُّ عَلى أَرْجُلِنا الْخِرَقَ، فسُمِّيَتْ (غزْوَةَ ذاتِ الرِّقاعِ)، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ ٱلخِرَقِ عَلى أَرْجُلِنا).

وحَدَّث أَبُو مُوسى بِهٰذا، ثُمَّ كَرِهَ ذَاك، قَالَ: (ما كُنْتُ أَصْنَعُ بأَنْ أَذْكُرَهُ! كأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَملِهِ أَفْشاهُ).

معنى قوله **(وَمَعَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ)** أي لم يكن معنا إلّا جملٌ واحد، فكنا نتناوب الركوبَ على ظهر البعير، يركب بعضُنا، ويمشي بعضُنا، ثم يركب الذين كانوا يمشون، وهكذا إلى أن حَفِيتْ أقدامهم، وسقطت أظفارُهم، فكانوا يلفُّون على أقدامهم الخِرَق، لذلك سميت (غزوة ذات الرقاع).

شرح الحديث

سُمِّيت هذه الغزوة بـ(غزوةِ ذات الرقاع) لأن أقدام الصحابة نُقبت وأُدميتْ من شدة المشي، فكانوا يلفُّونها بالخِرَق، ليتَّقوا ألَمَ السَّيْر، وكانت هذه الغزوة بعد (غزوة خيبر) في أواخر سنة خمسٍ من الهجرة، وقد صلَّى رسولُ اللَّه ! ببعض الصحابة ركعتين، ثم انصرفوا ليقفوا في وجه الأعداء، وجاء آخرون فصلَّى بهم ركعتين، فهذه (صلاةُ الخوف) التي أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء: ١٠٢].

ومعنى الآية: اجعلهم طائفتين: طائفةٌ تصلِّي معك، وطائفةٌ تقف في وجه العدوِّ، فإذا فرغت الطائفةُ الأولى من الصلاة، فلْتذهب، ولتأت الطائفةُ التي لم تصلِّ إلى مكانها لتصلِّي خلفك، وصلاةُ الخوف ركعتان كصلاة المسافر، ويكون المصلِّي فيها حاملاً للسِّلاح، لقوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾.

قال في الفتح: صلَّى النبيُّ ﷺ بأصحابه في الخوف أربعَ ركعات، صلَّى بهم ركعتين، ثم ذهبوا، ثم جاء أولئك فصلَّى بهم ركعتين .اهـ فتح الباري ٧/ ٤١٩.

٤١٢٩ ـ [طرفه في: ٤١٣١]، انظر شرح الحديث السابق رقم ٤١٢٨.

٤١٣٠ ـ [طرفه في: ٤١٢٥]، تقدّم شرحُه.

٤١٣١ ـ [طرفه في: ٤١٢٩]، تقدّم شرحُه.

٤١٣٢ ـ [طرفه في: ٩٤٢]، تقدّم شرحُه.

٤١٣٣ ـ [طرفه في: ٩٤٢]، تقدّم شرحُه.

٤١٣٤ ـ [طرفه في: ٢٩١٠]، انظر شرحه في الحديث القادم (٤١٣٥).

بابُ (قِصَّةِ الأَعْرابِيِّ الَّذي أَرادَ قَتْلَ الرَّسُولِ ﷺ)

٤١٣٥ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما (أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قفَلَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ قَفَلَ معهُ، فأَدْرَكَتْهُم الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فنَزَلَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، ونَزَلَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ تَحتَ سَمُرَةٍ فعَلَّقَ بِها سَيْفَهُ. قَالَ جابِرٌ: فَنِمْنا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذا رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يَدْعُونا فَجِئْناهُ، فإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جالِسٌ، فقَالَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هٰذَا ٱخْتَرَطَ سَيْفِي وأَنا نائِمٌ، فٱسْتَيْقَظْتُ وهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً، فقَالَ لي: مَنْ يَمْنَعكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: ٱللَّهُ. فَها هُوَ ذَا جالِسٌ، ثُمَّ لَمْ يُعاقِبْهُ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ).

[طرفه في: ٢٩١٠].

شرح الألفاظ

(فَلَمَّا قَفَلَ) أي فلمَّا رجع رسولُ اللَّه ﷺ من غزوته.

(أَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ) أي أدركتهم الراحةُ وسط النهار عند اشتداد الحرّ، والقائلةُ والقيلولةُ: هي النَّومُ وقتَ الظهيرة عند شدَّةِ الحرِّ، ومنه حديث: (**قِيلُوا فإِنَّ الشياطين لا تَقِيل**) أي لا تنام وقت الظهيرة.

(كَثِيرِ العِضَاهِ) أي كثير الشجر، الذي لهو شوكٌ عظيم، كالطَّلْح والعَوْسج.

(**تَحْتَ سَمُرَةٍ**) أي شجرة كثيرة الورق، جلس ﷺ تحتها ليستظلَّ بظلِّها.

(اخْتَرَطَ سَيْفِي) أي سلَّه من غِمْده ليقتلني به.

(صَلْتاً) أي مسلولاً مجرَّداً من الغِمد، يعني بيت السيف.

شرح الحديث

خرج رسولُ اللَّه ﷺ غازياً مع أصحابه، ولمَّا رجع من غزوته ـ وكانت جهةَ بلادِ نجد ـ جلس أصحابُه في وادٍ كثيرِ الشجر، قليلِ الورق، ليستريحوا وقتَ الظهيرة، ورأوا شجرةً ظلُّها كبير وظليل، فتركوها لرسول اللَّه ﷺ، ليستريح تحتها، فعلَّق رسولُ اللَّه ﷺ سيفه بالشجرة، وبينما هو نائم إذْ جاءه أعرابيٌّ، اسمه (غَوْرثُ بنُ الحارث) واستلَّ سيفَ رسول اللَّه ﷺ، وصرخ به، فاستيقظ النبيُّ ﷺ والسيفُ مسلولٌ يريد قتلَ الرسولِ ﷺ، ثم قال له: من يمنعك منِّي يا محمد؟ فقال له المصطفى ﷺ: **(اللَّهُ يمنعني منك)** قالها بقوة الإيمان، وصدقِ اليقين، بالتوكل على اللَّه.

فإذا بالسيف يسقط من يد الأعرابي، فيمسُكه رسولُ اللَّه ﷺ، ويقول له: **(ومن يمنَعُكَ الآن مني يا أعرابي؟)** قال: لا أحد، فكنْ خير آخذ، واعف عني يا محمد، فعفا عنه رسولُ اللَّه ﷺ.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ ثقةِ رسولِ اللَّه ﷺ بربه، واعتمادُه على اللَّه في جميع أموره، فقد حَفِظه اللَّهُ من القتل، تحقيقاً لوعده الكريم: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وهذا برهانٌ ساطع، على حفظ اللَّه لرسوله ﷺ، وصدقِ هذا الرسول الكريم.

الثاني: وفيه أنَّ الرسول ﷺ لمَّا أجابه (اللَّهُ) أي اللَّهُ يمنعني منك، شُلَّت يدُ الأعرابي، فسقط السيفُ من يده، وهي برهانٌ على صدق نبوته ﷺ، لأن الأعرابي كان قائماً والسيفُ بيده، والرسولُ ﷺ قاعدٌ لا سلاحَ بيده، يدافع به عن نفسه، فالحادثةُ غريبة وفريدة، ولا شكَّ أنها حفظٌ إلٰهيٌّ لخاتم المرسلين ﷺ.

الثالث: وفيه منَّةُ الرسولِ ﷺ على الأعرابي، بالعفو عنه، دون عقوبة، لشدَّةِ رغبته ﷺ في استئلاف قلوب الكفار، ليدخلوا في الإسلام، وصدق اللَّه العظيم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الرابع: وفيه تعليمُ الناسِ أنَّ العفو عند المقدرة، فقد عفا عنه ﷺ، مع قدرته على عقوبته.

تنبيه لطيفٌ هام

قال الحافظ ابن حجر: لمَّا رأى الأعرابيُّ الأمرَ العجيب، وحدثت معه هذه القصة، وأنَّ الرسول ﷺ عفا عنه ولم يعاقبه، أسلم الأعرابي، ورجع إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام وحدَّثهم بما جرى معه، اهتدى به خلق كثير، فأسلموا لأنهم عرفوا أنه نبيٌّ حقٌّ. نقلَ ابنُ حجر هذا الخبرَ عن الواقدي، وانظر فتح الباري ٧/ ٤٢٨.

٤١٣٦ ـ [طرفه في: ٢٩١٠]، تقدّم شرحُه.

٤١٣٧ ـ [طرفه في: ٤١٢٥]، تقدّم شرحُه.

باب (غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ وَهِيَ غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ)

٤١٣٨ ـ عَنْ أبي سعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (خرَجْنا مَعَ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، فأَصَبْنا سَبْياً مِنْ سَبْيِ العَرَبِ، فٱشْتَهَيْنا النِّساءَ، وٱشْتَدَّتْ علينا الْعُزْبَةُ وأَحْبَبْنا العَزْلَ، فأَرَدْنا أَنْ نَعْزِلَ، وقُلْنا نعْزِلُ وَرَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنا قبْلَ أَنْ نَسأَلَهُ! فَسَأَلْناهُ عَنْ ذٰلِكَ، فَقَالَ: (ما علَيْكُمْ أَنْ لا تَفْعلُوا، ما مِنْ نَسَمَةٍ كائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ، إِلَّا وهْيَ كائِنَةٌ).

[طرفه في: ٢٢٢٩].

شرح الألفاظ

(بَنِي المُصْطَلِق) غزوةُ بني المُصْطَلق تسمى أيضاً «غزوةَ المُرَيْسيع» وهو اسمٌ لماءٍ لبني خُزاعة، وقعت فيها معركةٌ بين (المسلمين) وبين (بني خُزَاعة) وكانت سنة خمسٍ من الهجرة، بعد نزول آية الحجاب.

(أَصَبْنا سَبْياً) أي غنمنا غنائم من المشركين، فيهم نساءٌ وأطفال ورجال.

(اشْتَدَّتْ عَلَيْنا العُزبَةُ) أي العُزوبةُ، وهي عدم الاستمتاع بالنساء، لأن مدة السفر طالتْ عليهم، فاشتاقوا إلى النساء.

(أَنْ نَعْزِل) أي أردنا عند جماع النساء المملوكات (ملكَ اليمين) أن نعزل المنيَّ، فلا نصبُّه داخل فرج المرأة.

قال العيني: العزلُ: نزعُ الذَّكَرِ من الفرج عند الإنزال.

(مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا) أي ليس عليكم حرج ولا إثمٌ أن تفعلوا ذلك، ولا بأس عليكم في العزل.

(مَا مِنْ نَفْسٍ) أي ليس من نفسٍ كائنة في علم اللَّه تعالى أن توجد، إلَّا وهي مخلوقةٌ موجودة، سواءً عزلتم، أو لم تعزلوا، فما قدَّره اللَّه لا بدَّ أن يُخلق.

شرحُ الحديث

بلَغَ رسولَ اللَّه ﷺ أنَّ (بني المُصْطَلق) يجمعون الجموع لحربه، ورئيسُهم (الحارثُ بنُ أبي ضِرار)، فخرج ﷺ إليهم فلقيهم على ماءٍ من مياههم، يُقال له: المُرَيْسيعُ، مكان قريب من ساحل البحر، فصفَّ ﷺ أصحابَه للقتال، ورموهم بالنَّبل، ثم حملوا عليهم حملةً واحدة، فما أُفلتَ منهم إنسانٌ، قُتل منهم عشرةٌ، وأُسر الباقون رجالاً ونساءً.

كان عددُ الصحابة في هذه الغزوة قريباً من سبعمائة من المجاهدين، **وكان (أبو بكر)** رضي اللَّه عنه حاملَ لواء المهاجرين، و**(سعدُ بنُ عبادة)** حاملَ راية الأنصار، ولمَّا انهزم الأعداء، وقُتِلَ من قُتل منهم، نَفَّلَ رسولُ اللَّه ﷺ ـ أي قسمَ بين أصحابه ـ نساءَهم، وأبناءهم، وأموالَهم، وكانت (جويريةُ بنتُ الحارث) ضمن السبايا، فأعتقها ﷺ وتزوَّجها، وكان الأسرى أكثر من سبعمائة.

ولمَّا اشتدَّ أمرُ العزوبة على بعض الصحابة واشتاقوا إلى الاستمتاع بالمملوكات من النساء، أرادوا العزل، فسألوا رسولَ اللَّه ﷺ عن ذلك، فأباح لهم أمر العزل، ونبَّههم أن اللَّه تعالى إذا أراد إيجاد مخلوقٍ وقدَّره، فلا بدَّ أن يحدث، سواءً عزل الرجل عن زوجته أو مملوكته، أم لم يَعْزِل، فما قدَّره اللَّه تعالى لا يمكن منعه، مهما بذل الإنسانُ من طاقةٍ وجُهْد.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ غزوةِ المريسيع، هي (غزوةُ بني المُصْطَلِق) وإنما نُسبت إلى (المُرَيْسيع) لمكان النَّبْعِ الذي فيه.

الثاني: وفيه أنَّ (غزوةَ المُرَيْسيع) كانت بعد نزول آية الحجاب، لأن هذه الغزوة كانت سنة خمس من الهجرة، وفيها حصلت «حادثة الإفك» التي رمى المنافقون فيها أمَّ المؤمنين (عائشة) رضي اللَّه عنها بالبهتان، ونزل ببراءتها القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [الفرقان: ١١] فاشْتَهر أمرُ هذه الغزوة بأنها غزوةُ بني المصطلق.

الثالث: وفيه بيانُ حِلِّ العزل عن الزوجة أو المملوكة، لأن الرسول ﷺ لم يمنعهم من العزل، وإنما ذكَّرهم بأنَّ ما قدَّره اللَّه سيكون، ولو كان حراماً لمنعهم من ذلك.

الرابع: **قال ابنُ إسحاق وأهلُ المغازي**: (إنَّ قصَّةَ الإفك كانت عقب رجوعهم من غزوة المُرَيْسيع). وانظر حادثة الإفك كاملةً، في (فتح الباري) ٧/ ٤٣١ **حيث قال البخاري**: بابُ حديث الإفك.

تذكير وتحذير:

حادثة الإفك هي الحادثة المروِّعة، التي اتُّهِمَت فيها زوجةُ خير البشر، السيدة (عائشةُ الصِّدِّيقة) بنتُ الصدِّيق (أبي بكر) رضي اللَّه عنها وعن أبيها، اتُّهمت بتلك التهمة الشنيعة، أفظعِ وأشنع التُّهم، تهمة (الفجور والزنى) لذا نزلت في هذه القصة خمس عشرة آية لبراَءتها، وإدانة المنافقين أهل الزور والبهتان بالجريمة المنكرة «جريمة الإفك» لتكون درساً بليغاً على مرِّ العصور والأزمان لكل كاذب منافق يتَّهم أهل بيت النبوة بالكذب والبهتان!

تنبيه لطيف

قطعُ النسلِ بالكليَّة حرامٌ، أمَّا العزلُ عن الحرَّة فجائز، إذا كان القصدُ منه تنظيم النسل، والعناية بتربية الأولاد، تربيةً فاضلة، أمَّا إسقاط الحمل بعد ثبوته في الرحم فغير جائز، إلَّا إذا كان ذلك يضرُّ بصحبتها، واللَّه تعالى أعلم.

٤١٣٩ ـ [طرفه في: ٢٩١٠]، تقدّم شرحُه.

بَابُ (غَزْوَةِ أَنْمارَ)

٤١٤٠ ـ عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ الأنصارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (رَأَيْتُ

النَّبِيَّ ﷺ فِي غزْوَةِ أَنْمارٍ يُصَلِّي عَلى رَاحِلَتِهِ، مُتوَجِّهاً قِبَلَ المَشْرِقِ، مُتَطَوِّعاً).

[طرفه في: ٤٠٠].

شرحُ الحديث

أورد البخاري هذا الحديث لبيان جواز صلاة التطوُّع راكباً، على ظهر الدابة، وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين الفقهاء، لأن أمرَ النافلة أيسرُ من أمر الفريضة، وكان حقُّ هذا الحديث أن يُذكر في (كتاب الصلاة)، وإنما ذكره هنا في كتاب الغزوات لمناسبة ذكر (غَزْوَةِ أَنْمَارَ)، حيث رأى جابر رضي اللَّه عنه الرسولَ ﷺ يُصَلِّي راكباً على الدابة، متوجهاً قِبَل المشرق، والمشرقُ ليس بقبلةٍ، والصلاةُ يجب الاتِّجاه فيها إلي القبلة، ولهذا ذكر الراوي أن هذه الصلاة لم تكن فريضةً، وإنما هي نافلة، فأكَّد الحديث بأن الصلاة كانت تطوُّعاً.

٤١٤١ ـ [طرفه في: ٢٥٩٣]، تقدّم شرحُه في الحديث (٢٦٦١).

٤١٤٢ ـ انظر شرح الحديث رقم ٤١٣٨.

٤١٤٣ ـ [طرفه في: ٣٣٨٨]، تقدّم شرحُه.

٤١٤٤ ـ [طرفه في: ٤٧٥٢]، في إشارة إلى علم السيدة عائشة رضي اللَّه عنها بمعاني القرآن الكريم خاصة فيما نزل بحقها من الآيات التي برأتها.

٤١٤٥ ـ [طرفه في: ٣٥٣١]، تقدّم شرحُه.

٤١٤٦ ـ [طرفه في: ٤٧٥٥، ٤٧٥٦]، تقدم شرحه في الحديث رقم ٣٥٣١.

٤١٤٧ ـ [طرفه في: ٨٤٦]، تقدّم شرحُه.

٤١٤٨ ـ [طرفه في: ١٧٧٨]، تقدّم شرحُه.

٤١٤٩ ـ [طرفه في: ١٨٢١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (بَيْعَةِ الصَّحابَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ في الحُدَيبِيَةِ)

٤١٥٠ ـ عَنْ الْبرَاءِ بن عازب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قَالَ: (تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ

فَتْحَ مَكَّةَ، وقَدْ كانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحاً، ونَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ (بَيْعَةَ الرِّضْوانِ) يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبعَ عَشْرَةَ مِائَةً، والحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنزَحْناها، فَلَمْ نَتْرُكْ فِيها قَطْرَةً، فبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فأَتاها، فَجَلَسَ عَلى شَفِيرِها، ثُمَّ دَعا بإِناءٍ مِنْ ماءٍ فَتَوَضأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ ودَعا، ثُمَّ صَبَّهُ فِيها، فَتَرَكْناها غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّها أَصْدَرَتْنَا ما شِئْنا نَحْنُ ورِكابَنا).

[طرفه في: ٣٥٧٧].

شرح الألفاظ

(عَلَى شَفِيرِهَا) أي جلس ﷺ على حافة البئر، قال في «مختار الصِّحاح»: وشفا كلِّ شيء حِرْفُهُ، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(فَنزَحْنَاهَا) أي استخرجنا منها الماءَ، حتى لم يبق فيها شيء، ثم تركناها ساعة.

(أَصْدَرَتْنَا) أي رجعنا إلى البئر، فإذا هي ملأى بالماء، فتوضأنا وشربنا، وسقينا الرِّكابَ أي الإبل، والبئرُ مملوءةٌ ماءً، ببركة دعاء النبي ﷺ، وصبِّه من وضوئِه فيها، وهذه من معجزاته ﷺ الظاهرة.

شرح الحديث

الصحابيُّ الجليل (البراءُ بنُ عَازِب) يُخبرنا أنَّ الناسَ يعدُّون (فتح مكة)، هو الفتح الأعظم، ويقول: إنه بلا شكٍّ فتح عظيم، ونصرٌ مبين للمؤمنين، ولكنه يقول: إنَّ (صلح الحديبية)، وبيعة الرضوان هي الفتح الأعظم، لأنها كانت مقدِّمةً لفتح مكة، وسبباً لرضوان اللَّه تعالى على المؤمنين: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ثم يخبرنا عن (معجزة عظيمة) وقعت للصحابة، فقد عطشوا في الحديبية، وكانَ فيها بئرٌ فيه ماء، فنزحوا جميع ما في البئر من الماء، ولم يبق عندهم ما يتوضئون منه، ولا ما يشربون، فجاءوا إلى رسول اللَّه ﷺ وبين يديه إناء صغير - إبريق - فيه ماء، فأخبروه أنه ليس عندهم ماء، إلَّا ما بين يدَيْ رسول اللَّه ﷺ من هذا الماء القليل.

فقام ﷺ معهم، وجاء إلى البئر، فوقف على طرفها، وتوضأ وتَمَضْمض، ودعا اللَّه عزَّ وجل أن يُنبع لهم الماءَ، ثم صبَّ ما تجمَّع من ماء الوضوء في البئر،

ففاضت المياهُ من البئر، حتى كأنها نبعٌ دافق، فتوضئوا وشربوا، وملأوا جميع أوانيهم، وسقوا الإبل، وتركوا البئر تَفيض بالماء، وكانت هذه المعجزة من أعلام نبوته ﷺ، وببركة دعائه عليه الصلاة والسلام.

أمَّا البيعةُ التي سُمِّيتْ «بيعة الرضوان» فسببُها كما يذكر المحدِّثون وأصحابُ السِّيَر: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا وصل إلى الحديبية، أرسلَ «عثمانَ بنَ عفان» إلى أهل مكة، يخبرهم أنه جاء مع أصحابه معتمراً، وأنه لا يريد حرباً، فحبسوه عندهم أياماً، ووصل الخبرُ إلى المسلمين أنَّ «عثمانَ» قد قُتل، فدعا رسولُ اللَّه ﷺ أصحابَه إلى البيعة على قتال المشركين، فبايعوه على الموت في سبيل اللَّه، وألَّا يرجعوا حتى يحكم اللَّه بينهم وبين أعدائهم.

هذه البيعةُ سُمِّيت (بيعةَ الرضوان)، وفيها نزل قولُ الحقّ جلَّ وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

إنها بيعةٌ جليلةٌ مباركة، باركَها اللَّهُ تعالى، وباركَ أصحابَها، لأنهم باعوا أنفسهم نصرةً لدين اللَّه، فازوا فيها برضى الرحمٰن، وخَلَع ربُّهم عليهم خِلْعةَ الرضوان ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ﴾ وحدَّدَ اللَّهُ فيها المكان الذي بايعوا فيه، وهي (الشجرة) وحَضَر هذه البيعةَ (روحُ القدس) جبريلُ عليه السلام، وقد سُطِّرت في الكتاب العزيز بسطورٍ من نور، ولهذا عدَّها الصحابيُّ (البراءُ بنُ عازب) وعددٌ من الصحابة هي (الفتحَ الأكبر) لِمَا ترتَّب عليها من الآثار العظيمة، كما قال: (تعدُّون الفتح فتح مكة، ونحن نعدُّ الفتح «صلحَ الحديبية»)!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه فضلُ (بيعة الرضوان)، وعِظَمُ كرامتها عند اللَّه عزَّ وجلَّ، حيث جعلَ تعالى مبايعتَهم للرسول ﷺ مبايعةً له بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

الثاني: وفيه ظهور معجزة عظيمة لرسول اللَّه ﷺ، وهي نبعُ الماء من البئر ببركة دعائه ﷺ، وأثر وضوئه.

الثالث: وفيه بيانُ فضل الصحابة، حيث بايعوا رسولَ اللَّه على الموت في سبيل اللَّه في الحديبية، حتى ألقى اللَّه الرعبَ في قلوب المشركين فصالحوهم.

الرابع: وفيه أنَّ (صلح الحديبية) كان سبباً للفتح المبين (فتح مكة) حيث نقض

المشركون عهد الصلح، فغزاهم المسلمون، ولذلك سمَّاها القرآنُ الكريمُ بالفتح القريب ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

قال المفسِّرون: سمَّى اللَّه (صُلْحَ الحديبية) فتحاً، لِمَا قدَّره اللَّه تعالى من ظهور الإسلام في تلك المدة، فإنه لمَّا انعقد الصُلحُ، وارتفعت الحربُ بين المسلمين والمشركين، رغب كثير من الناس بالدخول في الإسلام، حيث تعرَّفوا عليه، وعرفوا حقيقة أمره، ويدلُّ عليه أنَّ الرسول ﷺ جاء الحديبية ومعه (١٥٠٠) ألف وخمسمائة من أصحابه، وغزا (غزوةَ الفتح) بعدها بسنتين، وكان معه حين دخل مكة (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف من الأبطال الشجعان، في تلك المدة القصيرة، وممَّا يؤكد هذا الأمرَ، الحديث الآتي ذكرُه رقم (٤١٥٤).

٤١٥١ ـ [طرفه في: ٣٥٧٧]، تقدّم شرحُه في الحديث (١٤٥٠).

٤١٥٢ ـ [طرفه في: ٣٥٧٦]، تقدم شرحه في الحديثين، رقم ٣٥٧٢ و٣٥٧٩.

٤١٥٣ ـ [طرفه في: ٣٥٧٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (عَددِ المُسْلِمينَ فِي بَيْعَةِ الحُدَيْبيةِ)

٤١٥٤ ـ عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنه قَالَ: (قَالَ لَنا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأرْضِ» وكُنَّا أَلْفاً وأَرْبَعَمائَةٍ، ولَوْ كُنْتُ أَبْصِرُ الْيَوْمَ، لأَرَيْتُكُمْ مَكانَ الشَّجَرَةِ).

[طرفه في: ٣٥٧٦].

توضيح وبيان

هذا الحديث يدلُّ دلالةً واضحة على الفارق الكبير بين (يوم الحديبية) و(يوم فتح مكة) فلم يكن المسلمون إلَّا قلَّةً قليلة، حين جاءوا للعمرة، في السنة السادسة من الهجرة، وفي السنة الثامنة صار عددهم عشرة آلاف، بسبب انتشار الإسلام في هذه المدة القصيرة، لذلك كان الصلح في الحديبية سبباً لهذا الفتح الكبير، (فتح مكة)

شرّفها اللّه تعالى، والفضل في هذا للبيعة التي بايع فيها المسلمون الرسولَ ﷺ على الموت في سبيل اللّه، وكانت البيعة تحت الشجرة التي ذكرها القرآن ﴿يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وكان (جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللّه) رضي اللّه عنه، حاضراً تلك البيعة، فقال لمن لم يحضرهُ: (لو كنت أبصرُ اليومَ لأَرَيْتُكم مكانَ الشجرة).

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: وهذا الحديث صريحٌ في فضلِ أصحاب الشجرة، وقد روى مسلم عن النبيّ ﷺ أنه قال: (لا يدخل النّار أحدٌ من أصحاب الشجرة).

٤١٥٥ ـ تقدَّم شرحه في الحديث السابق رقم ٤١٥٤.

٤١٥٦ ـ [طرفه في: ٦٤٣٤]، سيأتي شرحه في الحديث ٦٤٣٤.

٤١٥٧ ـ [طرفه في: ١٦٩٥]، تقدّم شرحُه وانظر شرح الحديث (٤١٧٩).

٤١٥٨ ـ [طرفه في: ١٦٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤١٥٩ ـ [طرفه في: ١٨١٤]، تقدّم شرحُه.

٤١٦٠ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤١٦١ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤١٦٢ ـ [طرفه في: ٤١٦٣، ٤١٦٤، ٤١٦٥]، انظر شرحه من خلال النص.

٤١٦٣ ـ [طرفه في: ٤١٦٢].

٤١٦٤ ـ [طرفه في: ٤١٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤١٦٥ ـ [طرفه في: ٤١٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤١٦٦ ـ [طرفه في: ١٤٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤١٦٧ ـ [طرفه في: ٢٩٥٩]، تقدّم شرحُه.

٤١٦٨ ـ فيه شهادة لسيدنا سلمة بن الأكوع رضي اللّه عنه، أنه من أهل بيعهة الرضوان.

٤١٦٩ ـ [طرفه في: ٢٩٦٠]، تقدّم شرحُه.

٤١٧٠ ـ فيه شهادة لسيدنا البراء بن عازب رضي اللّه عنه، أنه من أهل بيعة الرضوان.

٤١٧١ ـ [طرفه في: ١٣٦٣]، تقدّم شرحُه.

٤١٧٢ ـ [طرفه في: ٤٨٣٤]، انظر شرح الحديث رقم ٤١٧٧.

٤١٧٣ ـ فيه شهادة لزاهر الأسلمي، أنه من أهل بيعة الرضوان.

٤١٧٤ ـ فيه شهادة لأهبان بن أوس، أنه من أهل بيعة الرضوان.

باب (مَاذَا قُدِّمَ لِلرَّسُولِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ)؟

٤١٧٥ ـ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ النُّعْمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وكانَ مِنْ أَصْحاب الشَّجَرَةِ ـ أنه قَالَ: (كانَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وأَصْحابُهُ أُوتُوا بِسَويقٍ، فَلاكُوهُ).
[طرفه في: ٢٠٩].

شرح الألفاظ

(لَاكُوهُ) أي لعقوه بألسنتهم من شدَّة جوعهم، فلم يتركوا منه شيئاً.

توضيح وبيان

لقد أصبح لأهل (بيعة الرضوان) شأنٌ عظيم، ولهذا يُقال للصحابيِّ الذي حضر البيعةَ مع الرسول ﷺ: (إنه حضر بيعةَ الشجرة)، وهذا الصحابيُّ «سُويد بنُ النُّعْمان» الذي ذُكر في الحديث، يخبر بأنه كان من أصحاب الشجرة، كعِزٍّ وفخارٍ له، ويقول: شهدتُ مع الرسول ﷺ طعاماً قُدِّم لنا يوم الحديبية، هو السَّويقُ ـ وهو طعام يُتَّخذُ من رقيقِ الحنطة والشعير ـ فهنيئاً لمن حَضَره، وأكَلَ منه بصحبة خيرِ المرسلين ﷺ.

٤١٧٦ ـ فيه شهادة لعائذ بن عمرو رضي اللَّه عنه أنه من أهل بيعة الرضوان.

باب (نُزُولِ سورة الفتح على الرسولِ ﷺ مرجعَه من الحديبية)

٤١٧٧ ـ عَنْ عُمَر بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنه كان يَسِيرُ مَعَ النبي ﷺ لَيْلاً، فَسأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عن شَيْءٍ، فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا عُمَرُ! نَزَّرْتَ

رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ!

قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمامَ المُسْلِمِينَ، وخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَما نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صارِخاً يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، وجِئْتُ رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ ٱللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

[طرفه في: ٤٨٣٣، ٥٠١٢].

شرح الألفاظ

(ثَكِلَتْك أُمُّكَ) أي فَقَدَتْك أمُّك، والعربُ يقولونها، ولا يريدون بها الدعاء بالهَلَكة والموت، وإنما للتنبيه والتذكير، كأنه يقول في نفسه: ماذا ارتكبتُ من جناية؟

(فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ) يُراد به رجوعه من (غزوة الحديبية).

(نَزَرْت على رَسُولِ اللَّهِ) أي أَلْحَحْتَ وأكثرتَ عليه السؤال، حتى أحرجتَه.

(ما نَشِبْتُ) أي لم ألبثْ مدةً من الزمن، حتى سمعتُ صارخاً يناديني من طرف رسولِ اللَّه ﷺ.

(طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) أي أحبُّ إليَّ من جميع ما في الدنيا، من مالٍ، وزُخرف، ومتاع، كأن رسول اللَّه ﷺ يقول: نزولُ هذه السورة الكريمة، أحبُّ إليَّ من كل ما في الدنيا من كنوز وأموال.

شرح الحديث

لمَّا حدَثَ صلحُ الحديبية كانت الشروطُ مجحفةً وظالمةً، من جهة المشركين بحقِّ المسلمين، ممَّا جعل الكثيرين منهم يغضبون لهذه الشروط، وكان أوَّلَ من أحزنه أمرُ الصُّلح (عُمَرُ بنُ الخطَّاب) رضي اللَّه عنه، فجاء إلى رسول اللَّه ﷺ، وقال له: يا رسول اللَّه: ألسنا على الحقِّ، وهم على الباطل؟ قال: «**بلى**» قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلى**».

قال عمر: فعلامَ نعطي الدنيَّة ـ أي الهوانَ والذُلَّ ـ في ديننا، ونرجع ولمَّا يحكم اللَّهُ بيننا وبينهم؟

فقال له الرسولُ الكريم ﷺ يا ابنَ الخطَّاب إنِّي رسولُ اللَّه، ولن يضيِّعني اللَّهُ، وهو ناصري، ولستُ أعصيه أبداً.

لقد غابت الحكمةُ من هذا الصلح ـ على ما فيه من ظُلْم وجَوْر ـ على كثيرٍ من المسلمين، حتى قالوا: كيف نقبل على أنفسنا أن نرجع، ولَم نؤدِّ مناسك عمرتِنَا؟ أليس هذا من هواننا وضعفنا أمامَ المشركين؟ ولمَّا أمرهم رسولُ اللَّه ﷺ بالتحلُّل من العمرة، أبطأوا وتأخَّروا، ثم لمَّا رأوا رسولَ اللَّه ﷺ تحلَّل من عمرته، وحلقَ رأسه، أيقنوا أنَّ الأمر، لا مناصَ منه، فتحلَّلوا على كُرهٍ منهم، وشعورٍ بالظلم الواقع عليهم.

وفي عودتهم إلى المدينة وبينما رسولُ اللَّه ﷺ يسير على ناقته أمامهم، لحقَ به عمر، وسأله عن أمرٍ، فلم يجبْه رسولُ اللَّه ﷺ، فكرَّر عليه السؤال، فلم يردَّ عليه ﷺ الجواب، لأنه كان مشغولاً بالوحي الذي تنزَّل عليه، فخجل عمر، وقال في نفسه: لقد أغضبتُ اليومَ رسولَ اللَّه ﷺ، وأخشى أن يُنزِل اللَّهُ اليومَ فيَّ قرآناً، فأسرعَ يتقدَّم صفوفَ المسلمين، وإذا به يسمع منادياً يناديه، إنَّ رسول اللَّه يدعوك يا عمر، فجاء إلى الرسول ﷺ وهو فَزِعٌ، يتوقع عقاباً من اللَّه ينزل به!

فلمَّا وصل إلى الرسول الكريم ﷺ قال المصطفى ﷺ، مبشراً له ببشارة عظيمة: يا ابنَ الخطَّاب لقد أنزل اللَّه عليَّ هذه الليلةَ سورةً جليلة، ما أحبُ أنَّ لي بها كلَّ ما في الدنيا، وتلا عليه السورة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ السورة، فكان الفتحُ المبين، ما في هذا الصلح الكريم من فوائد عظيمة وجليلة للمسلمين، غابت عن أذهان كثيرٍ منهم، ولم يعرفوا الحكمة من هذا الصلح، وما فيه من خير للأمة المحمدية.

كان أبو بكر رضي اللَّه عنه، يقول: (ما كان فتحٌ في الإسلام أعظمَ من (فتح الحديبية) ـ أي صلحها ـ ولكنَّ الناسَ يومئذٍ قَصُرَ رأيُهم عمَّا كان بين محمد ﷺ وربِّه، والناسُ يَعْجَلون، والربُّ جلَّ وعلا لا يعجل كعجلة العباد، حتى تكون الأمور كما أرادها اللَّه عزَّ وجل، لما فيه خيرُ المؤمنين!! اهـ وانظر كتاب (صفحات مشرقة من حياة الصحابة الكرام) ص ٢٨٩.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: أنَّ سورة الفتح نزلت بعد عودة الرسول ﷺ من (صُلْحِ

الحُدَيْبِيَة)، وما فيها من الحِكَم الجليلة التي غابت عن أفهام المسلمين.

الثاني: وفيه البشارةُ السارَّةُ للرسول ﷺ وأصحابِه بنزول السورة، حتى قال الرسولُ: **(ما أحبُ أنَّ ليَ بها الدنيا بأجمعها)**.

الثالث: وفيه أنَّ اللَّه تبارك وتعالى سمَّى هذا الصلح (فتحاً قريباً) بقوله سبحانه ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] لأنه كان بدايةً للفتح الأكبر (فتح مكة).

الرابع: وفيه أنَّ الرسولَ ﷺ لا يعمل عملاً، ولا يُبرمُ صلحاً، إلَّا بوحي وتأييد من اللَّه تبارك وتعالى، فقد شرحَ اللَّهُ صدرَ رسولِهِ ﷺ لإجراء ذلك الصلح، لما فيه من المصالح.

الخامس: وفيه أنَّ الحكمة قد تغيبُ عن الناس، فيظنُّون أنَّ ما يفعله الرسولُ ﷺ، فيه ما ينافي المصلحةَ، ويكون الأمرُ بخلافه.

السادس: وفيه أدبُ الصَّحَابة وامتثالُهم للأمر، بعد أن عَرَفُوا أنَّ فعلَ الرسول ﷺ جِدٌّ وعزمٌ، ولذلك بادروا إلى التحلُّل من مناسك العُمرة.

بابُ (اسْتِشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأصْحَابِهِ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ)

٤١٧٨ ـ [طرفه في: ١٦٩٤] انظر شرح الحديث القادم (٤١٧٩).

٤١٧٩ ـ عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عامَ الحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عشْرَةَ مِائَة مِنْ أَصْحابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الْهَدْيَ، وأَشْعَرَهُ، وأَحْرَمَ مِنْها بِعُمْرَةٍ، وبَعَثَ عَيْناً لَهُ مِنْ خُزاعَةَ، وسارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كانَ بِغَدِيرِ الأَشْطاطِ أَتاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إنَّ قُرَيْشاً جَمَعُوا لَكَ جُمُوعاً، وقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأحابيشَ، وهُمْ مُقاتِلُوكَ، وصادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، ومانِعُوكَ.

فَقالَ ﷺ: «أَشِيرُوا أَيُّها النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيالِهِمْ وذَرَارِيِّ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونا عَنِ البَيْتِ، فإِنْ يأْتُونا كانَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْناً مِنَ المُشْرِكِينَ، وإِلَّا تَرَكناهُمْ مَحْرُوبِينَ».

قَالَ أَبُو بكْرٍ: يا رسولَ ٱللَّهِ، خَرَجْتَ عامِداً لِهٰذا البَيْتِ، لَا تُرِيدُ قتْلَ أَحَدٍ،

وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فتَوَجَّهْ لهُ، فمَنْ صَدَّنا عَنْهُ قاتَلْناهُ. قَالَ: «ٱمْضُوا عَلى ٱسْمِ ٱللَّهِ».

[طرفه في: ١٦٩٥].

شرح الألفاظ

(أَتى ذا الحُلَيْفَةَ) أي وصل مكانَ الميقات، الذي يُحْرِم منه أهلُ المدينة، وهو (ذو الحُلَيْفة) المسمَّى «آبار علي» على بعد عشر كيلومترات من المدينة المنورة.

(قَلَّدَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ) أي جعل للأنعام التي ساقها إلى مكة، قلادةً في عنقها، ليدُلَّ على أنها هديٌ، وجعل لها علامةً.

(بَعَثَ عَيْناً) أي أرسل بعض أصحابه ليأتوه ببعض أخبار الأعداء، والعينُ إذا أُطلق يُراد به (الجاسوس)، واسمُ الذي بعثه (بِشْرُ الخُزَاعيُّ).

(بِغَدِيرِ الأَشْطاطِ) أي وصل إلى الغدير، وهو مجتمع الماء، المسمَّى (غَدِيرَ الأَشْطَاطِ) وهو مكانٌ قريبٌ من عُسفان.

(جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ) أي جمعوا لك جموعاً من أوباش العرب، يريدون قتالك وصدَّك عن دخول مكة.

(تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ) أي إذا لم يَصِلوا إلينا، سلبنا عيالهم وأموالَهم، وتركناهم مصابين في ذراريهم وأهليهم.

شرحُ الحديث

لمَّا خرج رسولُ اللَّه ﷺ في غزوة الحديبية، بَلَغه أنَّ قريشاً جمعت له الحُشود لقتاله، فاستشار أصحابَه، فقال أبو بكر: يا رسول اللَّه، إنما خرجنا، نريد أن نطوف بالبيت، ونؤدِّي مناسكَ عمرتنا، ولم نخرج لقتال أحد، فمن قاتَلَنا قاتلناه، فامضِ على بركة اللَّه.

استحسن الرسولُ ﷺ كلامَه ورأيَه، وقال لأصحابه: **(امضوا وسيروا على بركة اللَّه)،** وصرف اللَّه شرَّ المشركين عن قتالِ المؤمنين، فرجعوا سالمين منتصرين، بعد أن وقع الصلح بينهم وبين أعدائهم.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ خروج الرسول ﷺ مع أصحابه (يوم الحديبية) كان بقصد العمرة، لا بقصد الحرب والقتال.

الثاني: وفيه أنَّ الشورى مبدأٌ إسلاميٌّ عظيمٌ، مقرَّرٌ في شريعة الإسلام، ينبغي للحكام أن يُطبِّقوه، ولا يستبدُّوا برأيهم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] ولو استغنى عنه أحدٌ لكان الرسولُ ﷺ أحقَّ الناس بالاستغناء عنه، كيف وقد أمره اللّه بمشاورة أصحابه ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الثالث: وفيه جوازُ إرسال العيونِ والجواسيس، للتعرف على أخبار الأعداء، وإفسادِ خُطَطِهم.

الرابع: وفيه أنَّ من السُنَّة (سوقَ الهَدْي) إلى مكة، وتقليدَهَا بعلامة تدل على أنها هديٌ، لفقراء الحرم.

الخامس: وفيه جوازُ قتال من صدَّ المسلمين، عن أداء مناسك الحَجِّ والعمرة، ولو كان المقاتِلُ، في حالة الإحرام، لقوله ﷺ: **(فمن صدَّنا عنه قاتلناه)!**

٤١٨٠ - [طرفه في: ١٦٩٥]، تقدّم شرحُه وانظر شرح الحديث (٤١٧٩).

٤١٨١ - [طرفه في: ١٦٩٤]، تقدّم شرحُه وانظر شرح الحديث (٤١٧٩).

٤١٨٢ - [طرفه في: ٢٧١٣]، تقدّم شرحُه.

٤١٨٣ - [طرفه في: ١٦٣٩]، تقدّم شرحُه.

٤١٨٤ - [طرفه في: ١٦٣٩]، تقدّم شرحه وانظر أيضاً شرح الحديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

٤١٨٥ - [طرفه في: ١٦٣٩]، تقدّم شرحُه.

بابُ (البَيْعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي الحُدَيْبِيَّةِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ)

٤١٨٦ - عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُما (أنَّ أباه أرسله يوم الحديبية، ليأتيه بفرس كان عنْدَ رجُلٍ منَ الأنْصارِ، يأتِي له بِهِ لِيُقاتِلَ عَلَيْهِ -

وَرَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يُبَايِعُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، وَعُمَرُ لا يَدْرِي بِذٰلِكَ ـ فَبَايَعَهُ عَبْدُ ٱللَّهِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الفَرَسِ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى عُمَرَ، وَعُمَرُ يَسْتَلْئِمُ لِلْقِتَالِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَذَهَبَ مَعَهُ حَتَّى بَايَعَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ، فَهْيَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ النَّاسُ، أَنَّ ٱبْنَ عُمَرَ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ).

[طرفه في: ٣٩١٦].

شرح الألفاظ

(يَسْتَلْئِمُ لِلْقِتَال) أي يتجهّز لقتال المشركين من أهل مكة، وأصلُ يستلئم أي يلبس اللّأمَةَ ـ يعني الدِّرْعَ ـ استعداداً للحرب.

(يُبايعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) أي رسولُ اللّه ﷺ يبايع أصحابَهُ على القتال حتى الموت، تحت شجرة الرضوان.

شرحُ الحديث

أصلُ هذا الحديث: أنَّ الناس كانوا يتحدثون عن (غزوة الحديبية)، التي حصلت فيها البيعةُ على قتال المشركين، ويقولون: لقد تأخرتْ بيعةُ عمر عن وَلده، فبايع ابنه (عَبْدُ اللّه)، ثمَّ جاء عمر فبايعَ الرسولَ ﷺ.

وتوضيحُ القصة

أنَّ عمر رضي اللّه عنه أرسلَ ابنه (عبد اللّه) ليأتيه بفرسٍ، كان عند صديقٍ له، فمرَّ في طريقه، فرأى النَّاسَ يبايعون رسولَ اللّه ﷺ، فبَايَعَه معهم، ثم أتى بالفرس لوالده، وأخبره أن النَّاسَ يبايعون رسولَ اللّه ﷺ.

فخرجَ عُمَرُ وخرج معه ولدُه (عبد اللّه)، فبايعه عمر، وبايعه ولدُه (عبْدُ اللّه) مرَّةً أخرى، فهذا هو توضيح قولِ الناس: إن ابنَ عمر بايع قبل والده. وانظر فتح الباري ٧/ ٤٥٦.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ البيعة كانت في (الحديبية)، ولم تكن في المدينة، لقوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وكانت البيعةُ على الموت تحت الشجرة، والشجرةُ كانت في الحديبية.

الثاني: وفيه أنَّ البيعة لم تكن من (عبد اللَّه بنِ عمر) قبل أبيه، وإنما وجد ابنُ عمر الناسَ مجتمعين، فبايعه معهم، ثم توجَّه فأحضر الفرسَ، وأخبر أباه عمر بالبيعة، فذهب عمر رضي اللَّه عنه فبايع الرسول ﷺ.

٤١٨٧ ـ [طرفه في: ٣٩١٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ لأَدَاءِ عُمْرَةِ القَضَاءِ)

٤١٨٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّه قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ اعْتَمَرَ، فَطَافَ فَطُفْنا مَعَهُ، وَصَلَّى فَصَلَّيْنا مَعَهُ، وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، لا يُصِيبُهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ).

[طرفه في: ١٦٠٠].

شرح الحديث

لمَّا قدم رسولُ اللَّه ﷺ للعمرة، وصدَّه المشركون عن دخول مكة، كان معه (عَبْدُ اللَّهُ بْنُ أَبِي أَوْفَى) وهو ممن بايعَ تحت الشجرة، وكذلك حضر معه في عمرة القضاء، هو وكلُّ من شهد الحديبيةَ، وعاش إلى السنة المقبلة، فيحكي (ابنُ أوفى) أنه طاف مع النبيِّ ﷺ وطاف أصحابُه معه في (عمرةِ القضاء) فكانوا جميعاً يسترون رسولَ اللَّه ﷺ من أهل مكة، خشية أن يصيبوه بأذى.

ما يُستفاد من الحديث

فيه أنَّ من فاتته العمرةُ يجب عليه أن يقضيها، ولهذا سميت «عمرةَ القضاء».

وفيه خوفُ الصحابة على رسول اللَّه ﷺ، فكانوا يمشون بين يديه وخلْفَه، ويحيطون به من كل جانب، خشيةً من غدر المشركين به، وهذا هو السرُّ في قوله: (وكنَّا نسترُهُ من أهل مكة، لا يصيبه منهم أحد).

قال العيني: وكان هذا في عمرة القضاء. اهـ عمدة القاري ١٧/ ٢٢٩.

٤١٨٩ ـ [طرفه في: ٣١٨١]، تقدّم شرحُه.

٤١٩٠ ـ [طرفه في: ١٨١٤]، تقدّم شرحُه.

٤١٩١ ـ [طرفه في: ١٨١٤]، تقدّم شرحُه.

٤١٩٢ ـ [طرفه في: ٢٣٣]، تقدّم شرحُه.

٤١٩٣ ـ [طرفه في: ٢٣٣]، تقدّم شرحُه.

بابُ (غَزْوَةِ ذَاتِ القَرَدِ)

٤١٩٤ ـ عَنْ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: (خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالأُولَى، وَكانَتْ لِقَاحُ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ تَرْعَى بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِيَني غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عَوْفٍ فقَالَ: أُخِذَتْ لِقاحُ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قالَ: غَطَفَانُ.

قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخاتٍ: يا صَبَاحَاهُ! قَالَ: فَأَسْمَعْتُ ما بَيْنَ لَابَتَي المَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي، حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونَ مِنَ المَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي ـ وَكُنْتُ رَامِياً ـ وَأَقُولُ:

أَنَـا ٱبْنُ الأَكْوَعِ ... الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ

وَأَرْتَجِزُ، حَتَّى ٱسْتَنْقَذْتُ اللِّقاحَ مِنْهُمْ، وَٱسْتَلَبْتُ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً.

قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ ٱللَّهِ، قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ المَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَٱبْعَثْ إِلَيْهِم السَّاعَةَ، فقَالَ: «يَا ٱبْنَ الأَكْوَعِ، مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ».

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عَلَى ناقَتِهِ، حَتَّى دَخَلْنَا المَدِينَةَ).

قال البخاري: غزوةُ (ذَاتِ القَرَدِ) هي: الغزوةُ التي أغارَ فيها المشركون على لِقَاحِ النبيِّ ﷺ، قبل خيبرَ بثلاثِ سنين.

[طرفه في: ٣٠٤١].

شرح الألفاظ

(يُؤذَنَ بالأُولَىٰ) أي خرجتُ قبل أذان الفجر الأول، يريد أنه خرج في ظلمة الليل، قبل الأذان الأول.

(لِقَاحُ الرَسُولِ) اللِّقاحُ: جمع لِقْحة، وهي الناقةُ التي فيها اللَّبَنُ، وكانت عشرين من الإبل.

(تَرْعَى بِذِي القَرَدِ) أي ترعى تلك الإبلُ، عند ماءٍ على طريق الشام، قريب من بلاد غَطَفان.

(فَصَرَخْتُ يَا صَبَاحَاهُ) أي رفعتُ بأعلى صوتي ثلاث صرخات: (يا صَبَاحَاه)، وهي صرخةُ استغاثة، أي أدركوني، فقد سُلبت إبلُ الرسولِ ﷺ، تُقال هذه الكلمةُ لمن كان غافلاً عن عدوِّه، وأراد عونَ الناس له.

(فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا) أي أسمعتُ ما بين الحرَّتَيْن، واللَّابةُ: الأرضُ ذاتُ الحجارة السُّودِ، وتسمى الحرَّة، وعند أهلِ المدينة: الحرَّةُ الشرقيةُ، والحرَّةُ الغربية.

(الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّع) أي هذا يومُ هلاك اللِّئام، الذين خانوا وغدروا.

(حَمَيْتُ القَوْمَ المَاءَ) أي منعتُهم من الشُّربِ هم وأنعامُهم، فهم الآن عطاشٌ.

(مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ) أي غلبتَهم وهزمْتَهم، فسهِّل الأمرَ عليهم، ولا تُهْلكهم عطشاً، من السَّجاحة وهي السهولة.

شرح الحديث

خرج (سَلَمةُ بنُ الأكوع) ذات ليلةٍ، في غَلَس الظلام، فأخبره غلامٌ بأن إبلَ الصَّدقة قد أُغير عليها، فسُرقت، من مكانٍ قرب المدينة، فنادى بأعلى صوته: يا صَبَاحاه! كالمستغيث بالناس لنجدته، ثم أسرع الجرْيَ وراءَ القوم، حتى أدركهم، فجعل يرميهم بالنَّبْل ويقول لهم: أنا ابنُ الأكوع، واليومَ يومُ الرُّضَّع ـ أي يوم الفجرة اللئام ـ وهو مَثَلٌ عند العرب، يُضرب لكل لئيم، كأنه رَضَع اللؤمَ من بطن أمه!!

وكان سَلَمَةُ مثلَ الأسد، يرميهم في أعقابهم، فيعقِرُهم، حتى تركوا الإبلَ وهربوا، وتركوا ثلاثين بُرْدةً، فعاد بها وبالإبل، وجاء إلى الرسولِ ﷺ، فأخبره أنه ترك القومَ عطاشاً، من شدة جَرْيهم وتركِهم شربَ الماء، فقال له المصطفى ﷺ: (يا سَلَمَةُ، هزمتَهم وغلبتَهم، وقدرتَ، فاعفُ عنهم)!!

وكان رسولُ اللَّه ﷺ قد خرج من المدينة، مع بعض أصحابه جهةَ الأعداء، يركب على ناقته العضباء، فأركبَ سَلَمةَ خلف ظهره، ودخل به المدينة المنوَّرة، والناسُ يثنون عليه، وعلى شجاعته وشهامته!!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: بيانُ شجاعة «سَلَمَة بنِ الأكوع» فقد لحقَ القومَ بمفرده، ولم يَخْشَ منهم على كثرتهم.

الثاني: وفيه جوازُ الرَّكض الشديد في الغزو، ليلحق بالأعداء، إذا لم يجد له مركباً يركب عليه.

الثالث: وفيه الإنذارُ لأهل البلد، بالصياح العالي، حيث صرخ بهم ثلاث صرخات بأعلى صوته (يا صَبَاحَاه).

الرابع: وفيه تعريفُ الإنسان بنفسه، إذا كان شجاعاً، ليُرعِبَ الخَصْمَ، لقوله: أنا ابنُ الأكوع.

الخامس: وفيه استحبابُ الثناء على الرجل الشجاع، وما فيه من المكارم، لا سيَّما لمن صَنَع الجميلَ، مع أهل بلده، فقد خرجِ المسلمونَ، يستقبلونه بالتَّرْحاب والسرور، ويُثْنون على شجاعته، كما أكرمه رسولُ اللَّه ﷺ بإركابه خلفَه، على ناقته العضباء، ابتهاجاً به، وسروراً بشجاعته!!

٤١٩٥ ـ [طرفه في: ٢٠٩]، تقدّم شرحُه.

بابُ (خُرُوجِ الرَّسُولِ والصَّحَابَةِ لِغَزْوِ خَيْبَرَ)

٤١٩٦ ـ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (خَرَجْنا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَسِرْنا لَيْلاً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرٍ: يَا عامِرُ! أَلَا تُسْمِعُنا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلاً شاعِراً، حَدَّاءً، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ، يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ ما ٱهْتَدَيْنا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَٱغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اتَّقَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا

وبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنا

فقالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «**مَنْ هذَا السَّائِقُ**»؟ قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ، قَالَ: «يَرْحَمُهُ ٱللَّهُ»!! قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ ٱللَّهِ، لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ؟

فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ، حَتَّى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، أَوْقَدُوا نِيرَاناً كَثِيرَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هٰذِهِ النِّيرَانُ؟ عَلَى أَيِّ شَيءٍ تُوقِدُونَ»؟ قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ: «عَلى أَيِّ لَحْمٍ»؟ قالُوا: لَحْمِ حُمُرِ الإِنْسِيَّةِ!؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوها)!

قَالَ رَجُلٌ: يَا رسُولَ ٱللَّهِ، أَوْ نُهْرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قال: «أَوْ ذَاكَ».

فَلَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ، كانَ سَيْفُ عامِرٍ قَصِيراً، فَتَنَاوَلَ بِهِ سَاقَ يَهُودِيٍّ لِيَضْرِبَهُ، وَيَرْجِعُ ذُبَابُ سَيْفِهِ، فَأَصَابَ عَيْنَ رُكْبَةِ عامِرٍ، فَمَاتَ مِنْهُ.

قَالَ: فَلَمَّا قَفَلُوا قَالَ سَلَمَةُ: رَآنِي رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي قَالَ: «مَا لَكَ»؟ قُلْتُ لَهُ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، زَعَمُوا أَنَّ (عَامِراً) حَبِطَ عَمَلُهُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كذَبَ مَنْ قالَهُ، إِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ ـ وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ـ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ، مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِي مَشى بِهَا مِثْلَهُ».

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا حاتِمٌ، قَالَ: «نَشَأَ بِهَا».

[طرفه في: ٢٤٧٧].

شرح الألفاظ

(قَالَ رَجُلٌ لِعَامِر) هو (عامرُ بنُ الأكوع) عمُّ (سلمةَ بنِ الأكوع)، استُشهد يوم خيبر، كما سيأتي بيانه.

(مِنْ هُنَيَّاتِكَ) أي أَلَا تُسمعنا من أراجيزك، ممَّا يُطرِب النفوسَ!؟ وكان عامر شاعراً يجيد قول الشعر.

(فَنَزَل يَحْدُو) أي نزل (عامرٌ) يُنشد الأراجيز، تسليةً للمجاهدين، وتنشيطاً للإبل، بالغِنَاء لها، والحَدْوُ: سَوْقُ الإبل، والغناءُ لها.

(يَرْحَمُهُ اللَّهُ) دعاءٌ له بالرحمة والمغفرة، وفيه إشارةٌ إلى استشهاده، ولهذا قال الصَّحابةُ: هلَّا أبقيتَه لنا يا رسولَ اللَّه؟ لنستمتعَ بشجاعته، وصوتِ حدائه!؟ وكان من عادتهم، أنهم إذا سمعوا رسولَ اللَّه يدعو لأحدهم بالرحمة، عَرَفوا أنه سينال الشهادة في سبيل اللَّه، وقد كان الأمرُ كما أخبر ﷺ، فقد استُشهد في خيبر.

(مَخْمصَةٌ شَدِيدَةٌ) أي أصابنا جوعٌ شديد، بسبب طولِ المدة التي حَاصَروا فيها يهودَ خيبر.

(ذُبَابُ سَيْفِهِ) أي يرجع حدُّ سيفِ عامرٍ، على رأسِ ركبته، فاستُشهد بها، وكانت سبباً لوفاته.

(قفَلُوا منْ خَيْبَرَ) أي رجعوا إلى المدينة المنورة، من غزوة خيبر.

شرحُ الحديث

لمَّا خرجَ رسولُ اللَّه ﷺ لفتح خيبر، كان معه ضمن المجاهدين الأبطال «عامرُ بنُ الأكوع» وكان شاعراً حَسَنَ الصوت، بالحِداء والغِناء، فقال له بعضُ الصحابة: يا عامرُ، هلَّا أطرْبتَنا، وأطربتَ العِيس ـ الإبلَ ـ بحسن صوتك!؟

فنزل من بعيره، وأخذ يُنشد أبياتاً، يحرِّك بها نفوسَ الصحابة، لملاقاة (يهودِ خيبر)، وتقويةِ نفوسهم للجهاد في سبيل اللَّه.

وسمع رسولُ اللَّه ﷺ صوتَه، فسأل: من هذا السائق الحادي؟ فقالوا له: إنه عامرٌ، فقال: **(يرحمه اللَّه)!!** استحساناً لجمالِ صوته، وحُسْنِ إيقاعه، فعرف الصحابةُ: أنه سينال الشهادةَ في سبيل اللَّه، فلذلك قالوا: يا رسولَ اللَّه، هلَّا دعوتَ اللَّه، أن يُبْقيه لنا، لنستمتع به، وبصوته الجميل!!

ولمَّا التقى المسلمون مع اليهود، نزل يهوديٌّ اسمُه «مرحب» للمبارزة، فبرَزَ له «عامر» فتضاربا بالسيف، فوقع سيفُ (عامر) على ركبته ـ لأنه كان قصيرَ القامة ـ دون أن يقع على جسد عدوه، فمات من تلك الضربة، فقال بعضُ الناس: إن عَمَله بطلَ، حيث قَتَل نفسه.

وبَلَغَ ذلك القولُ لرسول اللَّه ﷺ، فقال: (كذَبَ من قال ذلك، إنه كان جاهداً باذلاً جُهْده لقتل عدوِّه، مجاهداً في سبيل اللَّه، فكيف يبطل عملُه؟ فله أجران: أجرُ الجُهْدِ في طاعة اللَّه، وأجرُ المجاهد في سبيل اللَّه، لأنه لم يُرِدْ بالضرب قتلَ نفسِه، وإنما أخطأ الضربَ، فأصابَ نفسَه!!).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: ثناءُ الرسول ﷺ على (عَامِرِ بْنِ الأكوع)، والتنويهُ بشجاعته، والإخبارُ عن نيله الشهادة في سبيل اللّه.

الثاني: وفيه جوازُ السَّماع للحِداء، وهو الغناءُ للإبل لتنشيطها، وإذهابِ المَلَل عن نفوس راكبها.

الثالث: وفيه بيانُ حرمةِ أكلِ لحوم (الحُمُر الأهلية) التي تعيش في المُدُن، بخلاف الحُمُر الوحشية، فإن أكلَها حلال.

الرابع: وفيه أنَّ من دعا له رسولُ اللّه بالرحمة، فإنه سينال الشهادة في سبيل اللّه، فكأنَّ الرسولَ ﷺ يقول: **(اللهمَّ أنِلْه الشهادة في سبيلك!!)** ولهذا قال الصحابةُ: هلَّا متَّعتنا به!؟

الخامس: وفيه الإخبارُ عن «عامر» أن له أجراً مضاعفاً، لأنه مات جاهداً، مجاهداً في سبيل اللّه، قلَّ من العرب من مشى مثلَه في الجهاد، بجدٍّ ونشاط، ولذلك ضاعف اللّهُ له الأجرَ، وهو نهايةُ الثناء عليه من سيِّد المرسلين ﷺ.

باب (غَزْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَهُودَ خَيْبَرَ لَيْلاً)

٤١٩٧ ـ عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ رسولَ ٱللَّهِ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْماً بِلَيْلٍ، لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ ـ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ اليَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ، وَمَكاتِلِهِمْ، فَلمَّا رَأَوْهُ قالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، محَمَّدٌ وَالخَمِيسُ!! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ»!!)
[طرفه في: ٣٧١].

تنبيه

تقدَّم هذا الحديثُ، في كتاب الصلاة مع شرحه، وقد جاءت زيادة في هذا

الحديث، أنَّ اليهود لمَّا غدَروا برسولِ اللَّه ﷺ وأرادوا قتله، حاصرهم حتى نزلوا على حكمه، لذلك قتَلَ منهم الرِّجالَ، واسترقَّ النِّسَاءِ والأطفال، لقاءَ غَدْرهم وخيانتهم، وأجلاهم ﷺ عن خيبر.

٤١٩٨ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٤١٩٩ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٠٠ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٠١ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (إنَّ اللَّهَ لَيُؤيِّدُ هَذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ)

٤٢٠٢ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ الْتقَى هُوَ وَالمُشْرِكُونَ فَٱقْتَتلُوا، فَلَمَّا مالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحابِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ رَجلٌ لا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً، إِلَّا اتَّبَعَها يَضْرِبُها بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: ما أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كما أَجْزَأَ فُلَانٌ!! فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

فَقَالَ رجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ. قَالَ: فَخَرجَ مَعَهُ، كُلَّما وَقَفَ وقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ. قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحاً شَدِيداً، فَٱسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ وَذُبابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقتَلَ نَفْسَهُ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فَقالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللَّهِ!! قَالَ: «وَما ذَاكَ»؟ قالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفاً أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذٰلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحاً شَدِيداً، فَٱسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحامَلَ عَلَيْهِ فَقتَلَ نَفْسَهُ!!

فَقَالَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذٰلِكَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيما

يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ).

وفي روايةٍ أخرى: (إنَّ اللَّه تَعَالى يُؤيِّد الدِّينَ بالرَّجُلِ الفَاجِرِ) رواه البخاري.

شرح الألفاظ

(مَالَ إلى عَسْكَرِهِ) أي لمَّا رجعَ رسولُ اللَّه ﷺ بعد انتهاء القتال، ذهب إلى أصحابه المجاهدين، فجلس معهم.

(لا يَدَعُ شَاذَّةً ولَا فَاذَّةً) أي لا يترك شخصاً، بعيداً عن جماعته، ولا قريباً منهم، إلَّا حصده بسيفه البتَّار، وفيه إشارةٌ إلى شجاعته وبطولته.

(مَا أَجْزأَ مِنَّا أَحَدٌ) أي لم يفعل أحدٌ منَّا بالمشركين، كما فَعَل هذا الرجلُ، البطلُ، الشُّجَاعُ، المِغْوارُ.

(قَالَ رَجلٌ: أَنَا صَاحِبُه) أي لمَّا سمعَ الرسولَ ﷺ يقول عنه: **(إنَّه من أهل النار)** قال الرجل: أنا آتيكم بخبرِ الإنسان، ونهاية أمره.

(وضَعَ ذُبَابَ السَّيْفِ) أي وضَع حدَّ السيف بين ثدييه، ثمَّ اتكأ عليه، حتى خرج من ظهره، فنَحَر نفسَه.

(فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ) أي إنَّ الرجل يعمل بعمل أهلِ الجنة في الظاهر، وهو في النار، لأنه منافق مخادع.

(يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ) أي قال عند ذلك النبيُّ ﷺ: **(إن اللَّه تعالى ينصر هذا الدينَ، بالرجل المنافق، والعبد المخادع)**، وهو ردٌّ لقول بعض الصحابة: إنه قُتل شهيداً، ونال أجر الشهداء!

شرح الحديث

في بعض غزواتِ النَّبيِّ ﷺ كان رجلٌ من الناس يحصد الكفَّارَ حصداً، ويقاتل بشجاعة وبَسَالة منقطعةِ النظير، فلا يترك أحداً إلَّا قتله، ولا كافراً أمامه إلَّا بَتَره، حتى أعظمَ فيه المسلمون البطولةَ والشجاعةَ، فقال بعضهم لبعض: لم يفعل أحدٌ منا في الأعداء، ما فعله هذا البطلُ المغوارُ!!

سمعهم النبيُّ ﷺ يقولون ذلك، فقال: **(إنه في النَّار)!!**

تعجَّب بعض الصحابة، واستغربوا أن يقول الرسولُ ﷺ عن رجلٍ يجاهد في سبيل اللّه: إنه من أهل النار؟ فقال أحدهم: أنا أستطلع لكم خَبَره، فتتبَّعَه فوجده يفري فَرْياً في الأعداء، فلمَّا كثرتْ به الجراحاتُ، وضع قاعدَة السيف على الأرض، ورأسَه الحادَّ إلى الأعلى، ثم ركزه على صدره، واتَّكأ عليه بقوة، حتى خرج من ظهره، ونحر نفسه، ليتخلَّص ممَّا هو فيه من الجراحات.

رجع الرجلُ إلى رسول اللّه ﷺ فقال له: أشهد أنك رسولُ اللّه، لقد قتل نفسَه هذا المجاهد، وأخبره عن طريقة انتحاره، فقال رسولُ اللّه ﷺ عند ذلك: **(إنَّ الرجلَ ليعمل بعمل أهل الجنة، فيما يبدو ـ أي يظهر ـ للناس، وهو من أهلِ النار، وإنَّ الرجل ليعمل بعمل أهلِ النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة!!)** وللحديث تتمة جاءت في رواية أخرى، وهي الآتي ذكرها:

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه: (فقال رجالٌ: يا رسولَ اللّه، إنَّ اللّه صدَّق حديثَك، انتحرَ فلانٌ فقتَلَ نفسَه، فقال رسولُ اللّه ﷺ: **(قُمْ يا بلالُ فأذِّنْ، إنه لا يدخلُ الجنَّةَ إلَّا مؤمنٌ)** ثم قال ﷺ: **(إن اللّهَ يؤيِّد الدِّينَ بالرجلِ الفاجر)**. اهـ صحيح البخاري عمدة القاري ١٧/ ٢٤٠.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث إخبارٌ عن بعض المغيَّبات، فقد أخبر ﷺ عن المجاهد أنه من أهل النار، وذلك من معجزاته الظاهرة.

الثاني: وفيه أنَّه لا يجوز القطعُ لأحدٍ أنه من أهل الجنة، إلَّا لمن ورد ذكرُه عن المصطفى ﷺ، كالعشرة المبشَّرين بالجنة.

الثالث: وفيه أنَّ العبرة بالخاتمة، فقد يعيش الإنسان حياته كافراً، وقبل موته يُسلم، فيكون من أهل الجنة، كما ورد في الصحيح (أنَّ أحدَ المشركين، جاء إلى الرسول ﷺ، يريد أن يُسلم، فقال: يا رسولَ اللّه: هلْ أجاهدُ ثم أُسلم؟ أم أُسْلِمُ ثم أُجاهد؟ فقال له ﷺ: **(أسلِمْ ثم جاهدْ)!!** فأسلمَ، ثم دخل المعركة فاستُشْهد، فقال ﷺ: **(عَمِلَ قليلاً، وأُجِرَ كثيراً)**.

الرابع: وفيه أنَّ إخباره ﷺ أنه في النَّار، محمولٌ على أنه استحلَّ قتلَ نفسِهِ، والمستحلُّ لشيءٍ محرَّم كافرٌ، يدخل نارَ جهنم، وأمَّا إذا لم يكن مستحلاً؛ فهو عاصٍ فاسق، يدخلُ النَّار للتَّطْهِير، إذا لم يغفر اللّه له.

قال الحافظ ابن حجر: يحتمل حين أصابته الجراحةُ أنه شكَّ في الإيمان، أو استحلَّ قتل نفسه فمات كافراً، ويؤيِّده تتمة الحديث: (**قم يا بلالُ فأذِّنْ، أنه لا يدخل الجنة إلَّا مؤمن**). اهـ فتح الباري ٧/ ٤٧٤.

تنبيه لطيفٌ هام

الحديثُ الواردُ في الصحيحين (**إنَّ أحدكم ليعملُ بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلَّا ذراع، فيسبقُ عليه الكتابُ ـ أي ما قُدِّر عليه من السعادة أو الشقاوة ـ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**...) الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

ها هنا يرد علينا إشكالٌ، ألا وهو: كيف تضيع حسناتُ الرجلِ المؤمنِ؟ الذي لم يبق بينه وبين الجنة إلَّا الشيءُ القليل، فيدخل النَّارَ؟

والجواب: أنَّ هذا الحديث في المنافق، الذي يتظاهر بالإيمان، وهو يُخْفِي في نفسه الكفر، بدليل قوله ﷺ في حديث الباب: (فيما يبدو للناس) أي فيما يَظْهَرُ لهم، ويظنُّونَ أنه من أهل الإيمان والصلاح، والأمرُ على خلاف ذلك، فالحديثُ ليس في المؤمن الصادق، وإنما هو في المخادع المنافق، الذي يغشُّ الناسَ، ويخدَعُهم بمظهره وفعله!! فافهم هذا واللَّهُ يرعاك.

٤٢٠٣ ـ [طرفه في: ٣٠٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٢٠٤ ـ [طرفه في: ٣٠٦٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (الرِّفْقِ بِالمُجَاهِدِينَ وَالنَّهْيِ عن رفع الصوت في الغزو)

٤٢٠٥ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (لَمَّا غَزَا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ ـ أَوْ قَالَ: لمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ ـ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ)، فَقَالَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «ٱرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً، وَهُوَ مَعَكُمْ». وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ ٱللَّهِ بْنَ قَيْسٍ». قُلْتُ لَبَّيْكَ يا رَسُولَ

ٱللَّهِ!! قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»!؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

شرح الألفاظ

(ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أي ارفقوا بأنفسكم، وأَشْفقوا عليها، ولا تكلِّفوها عناءَ رفعِ الصوت.

(لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِباً) أي لا تَدْعون إلٰهاً أصمَّ لا يسمع، بعيداً عنكم، بل هو سميعٌ قريب، فرفعُكم للصوت غير مفيدٍ.

شرح الحديث

في عودة المسلمين منتصرين مِنْ خيبر، مرَّ الصحابة على وادٍ عميق، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: (اللَّهُ أكبرُ)، (اللَّهُ أكبرُ)، شكراً للَّه على نعمة نصرهم على الأعداء، من يهود خيبر، فنَصَحَهم رسولُ اللَّه ﷺ وقال لهم: (ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم، فإنكم إنَّما تَدْعُون ربَّكم، ولا تَدْعُون إلٰها أصمَّ لا يسمع، بعيداً عنكم، ليَسْمَعَ دعاكم وثناءكم، بل هو قريب، يجيب دعوةَ الداعي إذا دعاه!).

وسمع رسولُ اللَّه ﷺ «أبا موسى الأشعري» وهو يسير خلفه، يقول: (لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّه)، فناداه ﷺ وأرشده إلى أن: (هذه الكلمةُ التي قلتها، كنزٌ من كنوز الجنة، فاحرصْ عليها، فإنك تغنم الأجر العظيم).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه مشروعيَّةُ التكبير، في الخروج أو العودة من الجهاد، لأنه تمجيد للرب جلَّ وعلا، وابتهاجٌ بذكره.

الثاني: وفيه النهيُ عن رفع الصوت، بالتهليل أو التكبير، رحمةً بهم، لأنه يُرهق الإنسان دون غايةٍ تُذكر، فسواءٌ عند اللَّه، من رفع صوته أو أخفاه، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

الثالث: وفيه أنَّ كلمة (لا حولَ ولا قوَّة إلَّا باللَّه) كنزٌ ثمين من كنوز الجنة، ينبغي أن يحرِصَ المؤمن عليه.

الرابع: وفيه حرصُ الصحابةِ على طاعة الرسول، وإظهارِ المحبَّة الفائقة له، حتى إنهم ما يكادون يسمعون نداءَ النبيِّ لهم، إلَّا ويسارعون لامتثال أمره، كما قال أبو موسى الأشعري: فداءً لك أبي وأمي يا رسولَ اللَّه.

تنبيه لطيفٌ هامٌّ

قال البدر العيني: ظاهرُ قولِ الراوي: (لمَّا توجَّه رَسولُ اللَّه ﷺ إلى خيبر) يوهم أنَّ ذلكَ وقَع وهم ذاهبون إلى خيبر، وليس الأمرُ كذلك، وإنَّما وقع عند رجوعهم من خيبرَ، لأن أبا موسى الأشعري، لم يكن حاضراً، وإنما عاد من الحَبَشة مع جعفر، بعد أن فَتَحَ اللَّه لرسوله خيبر، فتقديرُ الكلام ـ كما يقول العيني ـ: لمَّا توجَّه الرسولُ ﷺ إلى خيبر ففَتَحها، وفَرَغ من فتحها، ورجع من غزوته، أشرفَ الناسُ. . . إلى آخر الحديث. اهـ عمدة القاري ١٧/ ٢٤١.

بابُ (مَا أَصَابَ سَلَمَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ ونَفثَ النَّبِيُّ لَهُ فَبَرَأ)

٤٢٠٦ ـ عَنْ سلَمَةَ بنِ الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (ضُرِبتُ ضَرْبَةً في ساقي يوم خيبر، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيه ثَلَاثَ نَفَثاتٍ، فَمَا ٱشْتَكَيْتُها حَتَّى السَّاعَة).

أصلُ هذا الحديث ما رواه البخاري عن «يَزيدَ بنِ أبي عُبيد» أنه قال: (رأيتُ أثرَ ضربةٍ في ساق (سَلَمة)، فقلتُ: يا أبا مسلم «كنيةُ سلَمَةَ» ما هذه الضَّرْبةُ؟ فقال: هذه ضربةٌ أصابتني يوم خيبر! فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فنفثَ فيها ثلاث نَفَثاتٍ، فما اشتكيتُها حتى الساعة).

ودلَّ هذا الحديثُ: على أنَّ «سَلَمةَ بن الأكوع» كان ضمنَ جيش المجاهدين، في «غزوة خيبر» فلمَّا أُصِيبَتْ ساقُه، بضربةٍ ضَرَبُه بها يهوديٌّ، حتى كادت تُقطع ساقُه،

أتىٰ النبيَّ ﷺ، فنفث له فيها ـ أي نفخ له عليها مع شيء من الريق ـ ثلاث نَفَثات، فشفاه اللَّه منها، ببركة دعائه ﷺ، حتى لم يَشْكُ بعد ذلك منها ألماً.

ما يُستفاد من الحديث

فيه جواز القراءةِ للمريض، والنَّفث على مكان الألم.

وفيه الاستشفاءُ بدعاء الأنبياء لمنزلتهم العالية عند اللَّه، والنَّفثُ: النفخُ بالفم، مع شيء من الرِّيقِ يخرج مع النفخ، وفيه معجزةٌ لرسول اللَّه ﷺ، حيث بنفثةٍ منه ﷺ، شُفيتْ رجلُه، بعد أن كادت أن تُقطع، وهذه إحدى المعجزات النبوية.

٤٢٠٧ ـ [طرفه في: ٢٨٩٨]، تقدّم شرحُه.

٤٢٠٨ ـ نظر أنس بن مالك رضي اللَّه عنه إلى الناس يوم الجمعة، فرأى طيالسة، فقال: «كأنهم الساعة يهود خيبر» لأن يهود خيبر كانوا يلبسون الطيالسة.

٤٢٠٩ ـ [طرفه في: ٢٩٧٥]، تقدّم شرحُه.

٤٢١٠ ـ [طرفه في: ٢٩٤٢]، تقدّم شرحُه.

٤٢١١ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

٤٢١٢ ـ [طرفه في: ٣٧١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (بِناءِ النَّبيِّ ﷺ بِصَفيَّةَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ خَيْبَرَ)

٤٢١٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: (أَقامَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ خَيْبَرَ وَالمَدِينَةِ ثَلَاثَ لَيالٍ، يُبْنَى عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ، فَدَعَوْتُ المُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَتِهِ، وَما كانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ وَلَا لَحْمٍ، وَما كانَ فِيها إِلَّا أَنْ أَمَرَ بِلَالاً بالأَنْطاعِ فَبُسِطَتْ، فَأَلْقَى عَلَيْها التَّمْرَ، وَالأَقِطَ، وَالسَّمْنَ، فَقالَ المُسْلِمُونَ: إِحْدَى أُمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ؟ فَقَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهْيَ إِحْدَى أُمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يحْجُبْهَا، فَهْيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ!! فَلَمَّا ٱرْتَحلَ وَطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ، وَمَدَّ الْحِجابَ).

[طرفه في: ٣٧١].

شرح الألفاظ

(أمر بالأنطاع فبُسِطتْ) الأنطاعُ: جمعُ نِطْع، وهو البساطُ من الجِلْد، يُوضع عليه الطعامُ، ويُسمى (السُّفْرة).

(الأَقِطُ): اللَّبَنُ المُجَفَّف، وهو ممَّا يتزوَّدُهُ المسافرون في رحلاتهم وغزواتهم، لأنه غذاءٌ خفيفُ الوزن، طيِّب الطعم!

(فَلَمَّا ارْتَحلَ وَطَّأَ لَهَا) أي لمَّا أراد السَّفر إلى المدينة، سهَّل لها أمرَ الركوب، فوضع لها ﷺ فخِذَه حتى تركب على الناقة، فصعدت على ركبته وركبتْ.

(إنْ حَجَبَهَا) أي قال المسلمون: إنْ حَجَبَهَا فهي إحدى زوجاته، لأن ضربَ الحجاب إنما كان على الحرائر، لا على ملك اليمين، وإن لم يحجبها فهي إحدى المملوكات، فلمَّا حَجَبَها ﷺ، قالوا: إنها إحدى أمهاتِ المؤمنين.

شرح الحديث

لمَّا فتح اللَّهُ على رسوله خيبر، اختار النبيُّ ﷺ لنفسه، من بين السَّبايا (صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أخطَبَ) فخرج بها، حتى إذا اقترب من المدينة المنوَّرة، بنى بها، فأصبح ﷺ عروساً على (صفيَّة) وكانت مملوكةً له ملكَ اليمين، فأعتقها، ثم تزوَّج بها، ثمَّ صَنَع وليمة العرس لأصحابه.

يقول أنس: لم يكن فيها لحم ولا خبزٌ، إنما كان فيها تمرٌ، وسمنٌ، ولبنٌ مجفَّف، فهي وليمة متواضعة، لأنها كانت في سفر!

أصبحت السيدة صَفيَّة من ذلك اليوم، الذي عرَّس بها رسولُ اللَّه ﷺ أمًّا للمؤمنين، نَقَلَها اللَّه من الجحيم، إلى النعيم، كانت (يهودية) فأبوها «حُيَيُّ بنُ أخطب» رأسُ أعداء اللَّه من اليهود، قُتِلَ في (غزوة خيبر)، ووقعتْ هي في الأسر، ولمَّا خيَّرها رسولُ اللَّه ﷺ بين أمرين:

الأول: أن يُطْلِق سراحَها فتلحق بأهلها.

الثاني: أن يُعتقها ويتزوج بها، فتكون زوجةً له!

فاختارت أن يُعتقها ويتزوَّجَ بها، وذلك لما رأته من جلالة قدره، وحُسن صفاته، وكَرَم أخلاقه، وقد أسلمتْ، وأسلم بإسلامها عددٌ كبيرٌ من الناس.

وانتظر المسلمون بعد زواج النبيِّ ﷺ بها، فقالوا: إن حَجَبها فهي زوجتُه (أمّ

للمؤمنين)، وإن لم يحجبها، فهي مملوكة، فلمَّا حَجَبها عرفوا أنها أصبحتْ زوجةً له، وصارت تسمى (أمّ المؤمنين) لقوله سبحانه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

تنبيهٌ هام

رُوي أنَّ «صفية» رضي اللَّه عنها، لمَّا دخلتْ على النبيِّ ﷺ، تشكو إليه أمر وقوعها في الرِّقّ، قال لها ﷺ: (لم يزل أبوكِ منْ أشدِّ الناسِ عداوةً لي، حتى قَتَلَه اللَّهُ).

فقالت: يا رسول اللَّه! إنَّ اللَّه تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] فقال لها ﷺ: (اختاري، فإن اخترتِ الإسلامَ أمسكتُكِ لنفسي، وجعلتُك زوجةً لي. وإن اخترتِ اليهوديةَ، فعسى أن أُعتِقَك، فتلحقي بأهلك وقومك!).

فقالت: يا رسولَ اللَّه! لقد هَويتُ الإسلامَ، وصدَّقتُ بكَ قبل أن تدعوَني إلى رَحْلك، وما لي في (اليهودية) من أَرَب - أي رغبة ومحبة - وما لي فيها أخٌ، ولا والد!!

وخيَّرتني الكفرَ والإسلامَ، فاللَّهُ ورسولُه أحبُّ إليَّ من العِتْق، وأن أرجع إلى قومي!! فأمسكها ﷺ لنفسه، وأصبحت أمًّا للمؤمنين، لكمال عقلها، وصدقِ إيمانها. اهـ. وانظر كتابَ روائع البيان ٢/ ٣٠٥.

٤٢١٤ - [طرفه في: ٣١٥٣]، تقدّم شرحُه.

٤٢١٥ - [طرفه في: ٨٥٣]، تقدّم شرحُه.

بابُ (تَحْرِيمِ نِكَاحِ المُتْعَةِ)

٤٢١٦ - عَنْ عليٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (أَنَّ رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ نَهى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ).

[أطرافه في: ٥١١٥، ٥٥٢٣، ٦٩٦١].

شرح الحديث

(نكاحُ المتعة): هو أن ينكح امرأةً، لمدة معلومة محدودة، دون إرادة الزواج بقصدِ الدَّوام والاستمرار، ومن غيرِ رغبةٍ في إنجاب الذرية والبنين، بل لمجرَّد الشَّهْوةِ والمتعة، وهو الزنى بعينه، سواءً كانت المدة طويلةً أو قصيرة، فقد يكون لشهر، أو أسبوع، أو أقلَّ أو أكثر، وقد أباحه الشيعة، وهو محرَّم بالنصوص الشرعية القاطعة، حرَّمه الرسولُ ﷺ في مشهدين عظيمين: حين (فَتح خيبر)، ويوم الفتح الأكبر (فتح مكة) والذي روى أحاديثَ تحريم (نكاح المُتْعة) عن رسول اللّه ﷺ، هو سيِّدنا (عليُّ بن أبي طالب) كما في هذا الحديث، المرويِّ في البخاري.

وقد سُئل «جعفرُ الصادق» ـ وهو من أئمة آل البيت ـ عن نكاح المتعة، فقال: هو الزنى بعينه، هو الزنى بعينه!!

قال الإمام النوويُّ: والصحيحُ الذي عليه العلماءَ، أنَّ نكاح المتعة كان مباحاً للضرورة في أول الإسلام، ثم حُرِّم يوم خيبر، ثم أُبيح للمضطر في السفر، ثم حُرِّم يوم (فتح مكة) تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة. اهـ انظر فتح الباري لابن حجر ٧/ ٤٨٣ وكتابنا (موقف الشريعة الغراء من نكاح المتعة) ففيه بدائعُ وروائع، تقصم ظهر الباطل.

٤٢١٧ ـ [طرفه في: ٨٥٣]، تقدّم شرحُه.

٤٢١٨ ـ [طرفه في: ٨٥٣]، تقدّم شرحُه.

٤٢١٩ ـ [طرفاه في: ٥٥٢٠، ٥٥٢٤]، انظر شرح الحديث رقم ٤٢١٦.

٤٢٢٠ ـ [أطرافه في: ٣١٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٢٢١ ـ [طرفه في: ٤٢٢٣، ٤٢٢٥، ٤٢٢٦، ٥٥٢٥]، انظر شرح الحديث رقم ٤٢١٦.

٤٢٢٢ ـ [طرفه في: ٣١٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٢٢٣ ـ [طرفه في: ٤٢٢١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٢٤ ـ [طرفه في: ٣١٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٢٢٥ ـ [طرفه في: ٤٢٢١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٢٦ ـ [طرفه في: ٤٢٢١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٢٧ ـ تقدم شرحه في الأحاديث السابقة.

بابُ (قِسْمَةِ الغَنِيمَةِ لِلرَّاجِلِ سَهْمٌ ولِلْفَرَسِ سَهْمَانِ)

٤٢٢٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أنَّه قَالَ: (قَسَمَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ، وَلِلرَّاجِلِ سَهْماً).

قَالَ: فَسَّرَهُ نافِعٌ فقَالَ: إِذَا كانَ مَعَ الرَّجُلِ فَرَسٌ فَلَهُ ثَلاثَةُ أَسْهُمٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لهُ فَرَسٌ فَلَهُ سَهْمٌ.

[طرفه في: ٢٨٦٣].

شرح الحديث

ذكر ابنُ عمرَ في إحدى غزوات الرسول ﷺ، أنه أعطى المجاهدَ إذا كان له فرسٌ ثلاثةُ أسهم، للفرس سهمان، ولصاحبه سهمٌ، فكما يجاهد المؤمنُ بنفسه، كذلك يجاهد الفرسُ بعَدْوه، واقتحامه صفوفَ الأعداء، ولهذا أقسم تعالى بخيل الغُزاةِ المجاهدين، حين تُغير على الأعداء، فَيُسمع لها عند جريها صوتٌ جهير، هو صوتُ أنفاسها، وهي تتسابقُ لاقتحام الميدان، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ [العاديات: ١ ـ ٣].

ولمَّا كانت الخيلُ آلةَ الجهاد، في كل وقتٍ وزمان، كما قال ﷺ: **(الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة)** أخرجه البخاريُّ ومسلم، لذلك قسم رسولُ اللَّه ﷺ من الغنيمة للفرس ولصاحبه، فأعطى الرجلَ سهماً، والفرسَ سهمين.

وتوضيح الحديث: ـ كما يقول نافع ـ مولى ابنِ عمر ـ (إنَّه إذا كان مع الرجل المجاهد فرسٌ، فله ثلاثةُ أسهم، وإن لم يكن معه فرس، فله سهمٌ واحد) وذلك لأنَّ للفرس مؤنةً، وتكلفةً مالية، لعلفه، ورعايته وتمريضه، فاستحقَّ من الغنيمة، كما يستحقه المجاهدون الأبطال.

٤٢٢٩ ـ [طرفه في: ٣١٤٠]، تقدّم شرحُه.

۞ ۞ ۞

بابُ (أصْحابِ الهِجْرَتَيْنِ: إلَى الحَبَشَةِ، ثُمَّ المَدِينَةِ)

٤٢٣٠ ـ ٤٢٣١ ـ عَنْ أبي مُوسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (بَلَغنا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنا مُهاجِرينَ إلَيْهِ أنا وأخَوانِ لِي أنَا أصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُما أبُو بُرْدَةَ وَالآخَرُ أَبُو رُهْم ـ إمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ وإمَّا قَالَ: فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ: ٱثْنَينِ وَخَمْسِينَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي ـ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إلَى النَّجاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، فَوافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعاً، فَوافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ ٱفْتَتَحَ خَيْبَرَ!!

وَكانَ أُناسٌ مِنَ النَّاسِ يقُولُونَ لنَا، يَعْنِي لأهْلِ السَّفِينَةِ: سَبَقْناكُمْ بِالْهِجْرَةِ. وَدَخَلَتْ أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ـ وَهيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنا ـ عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كانَتْ هاجَرَتْ إلَى النَّجاشِيِّ فِيمَنْ هاجَرَ.

فَدَخَلَ عُمَرُ على حَفْصَةَ وَأَسْماءُ عِنْدَهَا ـ فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْماءَ: مَنْ هٰذِهِ؟ قالَتْ: أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ. قَالَ عُمَرُ: ٱلحَبَشِيَّةُ هٰذِهِ؟ الْبحرِيَّةُ هٰذِهِ؟ قالَتْ أَسْماءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْناكُم بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسولِ ٱللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ!!

فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَٱللَّهِ، كُنْتُمْ معَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ ـ أَوْ فِي أَرْضٍ ـ البُعَداءِ البُغَضاءِ بِالحَبَشَةِ، وَذٰلِكَ فِي ٱللَّهِ وَفِي رسولِهِ ﷺ، وَٱيْمُ اللَّه لا أَطْعَمُ طَعَاماً وَلَا أَشْرَبُ شَرَاباً، حَتَّى أَذْكُرَ ما قُلْتَ لِرَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذٰلِكَ للنبيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَٱللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ علَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّه إنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا!! قَالَ: «فَمَا قُلْتِ لَهُ»؟ قالَتْ: قُلْتُ لَهُ: كَذا وَكَذا!! قَالَ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بي مِنْكُمْ، وَلَهُ ولأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ ـ أَهْلَ السَّفِينَةِ ـ هِجْرَتانِ».

قالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسى وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونَنِي أَرْسَالاً، يَسْأَلُونَنِي عَنْ هٰذَا الحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ، وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ).

[طرفه في: ٣١٣٦].

شرح الألفاظ

(مَخْرَجَ النَّبِيِّ ﷺ) أي خروجُه ﷺ من مكة، مهاجراً إلى المدينة، أي علموا بهجرته ﷺ، فأرادوا الهجرة إليه.

(أبو بُرْدَة، وأبُو رُهْم) هما أخوان شقيقان لأبي موسى الأشعري، واسمُ أبي موسى (عبدُ اللَّهِ بنُ قَيْس الأشعري).

(فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ) أي صادفنا «جعفرَ بنَ أبي طالب» بأرض الحبشة، وقد كان من المهاجرين السابقين للحبشة.

(أَسْمَاءُ بنتُ عُمَيْسٍ) هي زوجةُ «جعفرَ بنِ أبي طالب» وأخت (ميمونةَ) زوجِ النبيّ ﷺ، ولمَّا قُتل زوجُها تزوَّجها (أبو بكر)، فولدت له (محمد بنَ أبي بكر الصدّيق).

(لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ) أي أسألُ رسولَ اللَّه ﷺ عن هذا الأمر، ولا أكذب عليه، ولا أخبرُكم بغير الحقِّ.

(يَأْتُونِي أَرْسَالاً) أي يأتون إليَّ جماعةً بعد جماعة، وأفواجاً يتبع بعضُهم بعضاً.

(يَسْتَعِيدُ الحَدِيثَ) أي يطلب منّي إعادة الحديث، الذي قاله الرسول ﷺ.

(وَمِنْهُم حَكِيمٌ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تنظروهم) أي ومنهم رجلٌ يُدعى حكيماً، كان لا يفرُّ لفرط شجاعته، ويقول لهم، إذا أرادوا الانصرافَ: انتظروا الفُرسانَ حتى يأتوكم، لِيَحُضَّهم على القتال.

شرحُ الحديث

(أبو موسى الأشعري) أسلمَ هو وأخوه «أبو بُرْدة» وأخوه الآخر «أبو رُهْم» وكانوا ينتظرون هجرةَ رسولِ اللَّه ﷺ إلى المدينة، ليهاجروا إليه، فلمَّا بَلَغهم أنَّ الرسولَ ﷺ قد هاجر، ركبوا سفينةً مع ثلاثة وخمسين رجلاً، يقصدون دارَ هجرة المصطفى ﷺ، فألقتهم رياحُ السفينة إلى (أرض الحبشة)، وبَقُوا بها شهوراً، حتى هاجروا إلى المدينة مع (جعفرَ بنِ أبي طالب) رضي اللَّه عنهم جميعاً.

ودخلت «أسماءُ» زوجةُ جعفر، على أمِّ المؤمنين «حفصة» رضي اللَّه عنها لزيارتها، وجاء عمر فوجدها عند ابنته «حفصة» فسألها من هذه؟ قالت: «أسماءُ بنت عُميس» المؤمنةُ، الصابرةُ المهاجرةُ، **فقال لها عمر**: لقد سبقناكم بالهجرة إلى المدينة، فنحن أحقُّ وأقربُ إلى رسول اللَّه منكم!!

فغضبتْ أسماءُ وقالت مجيبةً له: لقد كنَّا في دار الغُرَباء بالحَبَشة، وأُوذينا في اللَّه، طلباً لمرضاته، وأمَّا أنتم فكنتم مع رسولِ اللَّه ﷺ: يُطعم جائِعَكم، ويعلِّمُ جاهِلَكم، فكيف تكونون أحظَىٰ عند رسول اللَّه منَّا؟

فلمَّا جاء رسولُ اللَّه ﷺ ودخل منزله، شكتْ إليه ما قاله عمر، فقال لها ﷺ: (ليس بأحقَّ بي منكم!! له ولأصحابه هجرةٌ واحدة، وأنتم أصحابَ السفينة لكم هجرتان)! فسُرَّت سروراً عظيماً.

وجعل أصحابُ السفينة يأتون إليها أفواجاً أفواجاً، يسألونها عمَّا قال لها رسولُ اللَّه ﷺ، وليس هناك شيء في الدنيا، أحبَّ إليهم ممَّا سمعوه، من قول النبيِّ ﷺ: (لكم أصحابَ السفينة هجرتان، هجرةٌ للحبشة، وهجرةٌ للمدينة)!!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف: مدحُ الأشعريِّين، لهجرتهم، ونُصرتهم لدين اللَّه، وهم جماعةُ أصحابِ (أبي موسَى الأشعري) أهلِ اليمنِ رضي اللَّه عنهم.

الثاني: وفيه بيانُ فضل الهجرة في سبيل اللَّه، فقد هاجر أبو موسى وجماعتُه إلى المدينة المنورة، ومعهم السيدةُ (أسماءُ بنتُ عُميس) زوجةُ أبي بكر الصدّيق رضي اللَّه عنه.

الثالث: وفيه فرحُ أصحاب السفينة، الذين جمعوا بين الهجرة للحبشة والهجرة (للمدينة المنورة).

الرابع: وفيه ميزةٌ حميدة للأشعريين، حيث أثنى عليهم رسولُ اللَّه ﷺ، بأنهم حفظةُ كتاب اللَّه تعالى، يتلونه في الليل والنهار، بأصواتهم العذبة، ويعرفهم رسولُ اللَّه ﷺ من أصواتهم، ويؤيِّده الحديث الآتي ذكره:

بابُ (ثناءِ النبيِّ ﷺ على الأشعريِّين بتلاوتهم للقرآن في الليل)

٤٢٣٢ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: (إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ، حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ، مِنْ

أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نزَلُوا بالنَّهارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ، إِذَا لَقِيَ الخَيْلَ ـ أَوْ قَالَ: الْعَدُوَّ ـ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابي يَأمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْتَظِرُوهُمْ).

ما يُستفاد من الحديث

في هذا الحديث الشريف: ثناءُ الرسولِ ﷺ على الأشعريين، جماعة (أبي موسى الأشعريّ) الذين قدموا من اليمن، وهم القُرَّاء المشهورون بإتقان تلاوة كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ.

بابُ (القِسْمَةِ مِنَ الغَنِيمَةِ لِلْمُجاهِدِينَ)

٤٢٣٣ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (قَدِمْنا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَن ٱفْتتحَ خَيْبَرَ، فقَسَمَ لَنَا، وَلَمْ يَقْسِمْ لأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدِ الْفَتْحَ غَيْرَنَا).

[طرفه في: ٣١٣٦].

شرح الحديث

لمَّا افتتح رسولُ اللَّه ﷺ خيبر، قسم الغنائمَ بين المجاهدين، حيث وعدهم اللَّه بها، بعد عودتهم من الحديبية، بقوله سبحانه: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ. . .﴾ [الفتح: ٢٠].

ولمَّا كانت هذه الغنائم للمجاهدين خاصة، لم يُعْطِ ﷺ أحداً، إلَّا الذين شهدوا خيبر، وإنما جعلَ النبيُّ ﷺ لجماعة (أبي موسى الأشعري) نصيباً لهم من الغنائم، مع المجاهدين، تطييباً لأنفسهم، حيث أدركوا رسولَ اللَّهِ ﷺ في عودته من خيبر، وهم مهاجرون إليه من (الحَبَشة)، فكانت هجرتُهم مثلَ عمل المجاهدين، لذلك استحقوا إكرامهم بشيء من الغنيمة.

بابُ (التَّحذير من الغُلُولِ من الغنيمةِ قَبْلَ القِسْمة)

٤٢٣٤ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال: (أَفْتَتَحْنا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَباً وَلَا فِضَّة، إِنَّما غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ أنْصَرَفْنا مَعَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ إِلَى وَادِي القُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقالُ لَهُ مِدْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَما هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ إذْ جاءَهُ سَهْمٌ عائِرٌ، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئاً لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَاراً». فَجَاءَ رَجُلٌ ـ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ـ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فقَالَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «شِرَاكٌ ـ أَوْ شِرَاكَانِ ـ مِنْ نارٍ»..

[طرفه: ٦٧٠٧]

شرح الألفاظ

(افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ) مراده: افتتح المسلمون خيبر، لأنَّ أبا هريرة حَضَر قسمةَ الغنائم، ولم يحضر فتح خيبر، فقدم عليهم خيبرَ بعد أن فُتحت، ويدلُّ عليه روايةُ: (أتيتُ النبيَّ ﷺ بخيبرَ بعد ما افتتحوها).

(غَنِمْنَا البقَرَ والحَوَائِطَ) أي لم نغنم ذهباً، ولا فِضَّة، وإنما غنمنا الإبلَ، والبقر، والمتاعَ، والثياب، والبساتينَ، والحوائطُ: جمعُ حائط، وهو البستانُ.

(وادي القُرى) مكانٌ قريبٌ من المدينة المنوَّرة يسمى (وادي القُرى) تابعٌ للمدينة، على بُعدٍ قليل منها.

(ومَعَهُ عَبْدٌ له) أي مع الرسول ﷺ عبد أسودُ، أهداه له أحدُ بني الضِّبَاب، يُسمَّى «مِدْعَمٌ».

(يحُطُّ رَحْلَ الرَّسُولِ) أي يُقعد ويُنيخ مركب الرسول ﷺ، وهي الناقةُ التي كان الرسول ﷺ يركبها.

(سَهْمٌ عَائِرٌ) أي جاء هذا العبدَ سهمٌ من سهام الأعداء، (عَائِرٌ) أي سهمٌ خاطئٌ، لا يُدرى من رماه به، فأرداه قتيلاً.

(لَهُ الشَّهادَةُ) أي قال بعض الصحابة: هنيئاً له، فقد نالَ الشهادةَ في سبيل اللَّه.

(الشَّملَةُ التي أَصَابَهَا) أي لا تقولوا ذلك، فإنَّ العباءةَ التي أخذها من المغنم، قبل قسمة الغنائم، تشتعل عليه ناراً، أي ستكون سبباً في إحراقه بالنار، لأنه غلَّ من الغنيمة، والغلولُ كبيرةٌ من الكبائر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

(بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ) الشِّراكُ: سَيْرُ النعلِ الذي على سَيْر القَدَم، وهو شيء قليلٌ تافه، والشكُّ من الراوي.

شرح الحديث

لمَّا فتح رسولُ اللَّه ﷺ خيبر، غنم المسلمون مغنماً كبيراً من أهلها، لكنها لم تكن من المال، أو من الذهب والفضة، إنما كانت من الإبل، والبقر، والأغنام، والبساتينِ المملوءة بالثمار، كما حكى تعالى عن المؤمنين قولَه: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] والمراد بها مغانم (يهود خيبر) كما قال المفسرون، وكان مع الرسول ﷺ عبدٌ أسود وهبه له بعضُ من أسلم، وهو (رِفاعةُ بن زيد) الضِبيِّ، فبينما كان العبدُ يُحْلس بعيرَ الرسول ﷺ، إذ جاءه سهمٌ، لا يدري أحدٌ من أين جاء هذا السهمُ الطائش؟ هل هو من اليهود أو غيرهم، فسقط العبد قتيلاً، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقد مات شهيداً!! فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقولوا ذلك، فإن العباءة التي أخذها من الغنيمة، ستُشعل عليه ناراً، لأنه خان وأخذها من الغنيمة قبل القسمة!»**. وسمع رجل من الحاضرين، بقول رسول اللَّه ﷺ ذلك، فأتى بشيءٍ يسير كان قد أخذه من الغنيمة، وهو الحبل يربط به النَّعلُ، فقال يا رسول اللَّه: هذا الذي أخذتُه، أردُّه إلى الغنيمة، فقال له ﷺ: **«لو لم تردَّه لكان سبباً لعذابك يوم القيامة»**.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه تعظيمُ أمرِ الغُلول قليلِهِ وكثيره، وهو الأَخْذُ من الغنيمة قبل قِسْمتها، لأنها خيانةٌ للمجاهدين، وهي من الكبائر، فيها نزلت الآيةُ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

الثاني: وفيه أن الغالَّ، يُعذَّب على معصيته، ولا يُنجيه من العذاب، أن يُقتل شهيداً في سبيل اللَّه.

الثالث: وفيه أنَّ العبد الذي غلَّ، كان أسودَ اللون، يمسك دابة النبي ﷺ، واسمه (كَرْكَرة) كما في الرواية الأُخرى.

الرابع: وفيه أنَّ أحد المجاهدين، لمَّا سمع ما قال ﷺ، ذهب فأتى بشيء كان قد أخذه من الغنيمة، فقال له ﷺ: «**لو لم تردُّه، لكان لك شريكانِ من نار، وكان ذلك درساً بليغاً للمجاهدين في سبيل اللَّه**».

٤٢٣٥ ـ [طرفه في: ٢٣٣٤]، تقدّم شرحُه.

٤٢٣٦ ـ [طرفه في: ٢٣٣٤]، تقدّم شرحُه.

٤٢٣٧ ـ [طرفه في: ٢٨٢٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٣٨ ـ [طرفه في: ٢٨٢٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٣٩ ـ [طرفه في: ٢٨٢٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٤٠ ـ [طرفه في: ٣٠٩٢]، تقدّم شرحُه.

٤٢٤١ ـ [طرفه في: ٣٠٩٣]، تقدّم شرحُه.

٤٢٤٢ ـ عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «الآن نشبع من التمر»؛ لأن المسلمين كانوا فقراء حتى فتح اللَّه عليهم خيبر فاستغنوا.

٤٢٤٣ ـ انظر شرح الحديث السابق.

٤٢٤٤ ـ [طرفه في: ٢٢٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٤٥ ـ [طرفه في: ٢٢٠٢]، تقدّم شرحُه.

٤٢٤٦ ـ [طرفه في: ٢٢٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٤٧ ـ [طرفه في: ٢٢٠٢]، تقدّم شرحُه.

٤٢٤٨ ـ [طرفه في: ٢٢٨٥]، تقدّم شرحُه.

٤٢٤٩ ـ [طرفه في: ٣١٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٢٥٠ ـ [طرفه في: ٣٧٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٢٥١ ـ [طرفه في: ١٧٨١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٥٢ ـ [طرفه في: ٢٧٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٥٣ ـ [طرفه في: ١٧٧٥]، تقدّم شرحُه.

٤٢٥٤ ـ [طرفه في: ١٧٧٦]، تقدّم شرحُه.

٤٢٥٥ ـ [طرفه في: ١٦٠٠]، تقدّم شرحُه.

٤٢٥٦ ـ [طرفه في: ١٦٠٢]، تقدّم شرحُه.

٤٢٥٧ - [طرفه في: ١٦٤٩]، تقدّم شرحُه.

بابُ (عُمْرَةِ القَضَاءِ)

٤٢٥٨ - عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ، وَماتَتْ بِسَرِفَ).
[طرفه في: ١٨٣٧].

شرح الحديث

أورد الإمام البخاري هذا الحديثَ في (كتاب المغازي)، لبيان حكمٍ شرعيٍّ حدث في (عمرةِ القضاء)، وهذه العُمرةُ كانت في إحدى مغازيه ﷺ، فناسبَ ذكرُ الحديث هنا.

أمَّا الحكم الشرعيّ للمحرم، فهو أنّه لا يجوز له أن يقرب النساء، حتى ينتهي من إحرامه، ولكنْ يجوز له أن يعقد (عقد النكاح) وهو مُحْرِم على امرأةٍ، ويؤجِّل الدخول بها، حتى ينتهي من إحرامه، ولذلك أخبر ابنُ عباس بهذا الحكم.

مرادُه بقوله: (تزوَّج ميمونةَ وهو محرمٌ) أي عَقَد عَقْد النكاح عليها وهو مُحْرم، ولمَّا أحلَّ من إحرامه (بَنَى بها) أي دخل بها، (ومَاتَتْ بسَرِف) مكان قريب من مكة في الطريق إلى المدينة، وبه تُوفيت أمُّ المؤمنين رضي اللَّه عنها.

٤٢٥٩ - [طرفه في: ١٨٣٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٦٠ - [طرفه في: ٤٢٦١]، انظر شرح الحديث التالي رقم ٤٢٦١.

بابُ (غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّام)

٤٢٦١ - عَنْ عبدِ ٱللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أنّه قَالَ: (أَمَّرَ رسولُ ٱللَّهِ

ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ (زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ) فَقَالَ رسولُ ٱللَّهِ ﷺ: **إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فجَعْفرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفرٌ، فَعَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، قَالَ عبْدُ ٱللَّهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنا جَعْفَرَ بنَ أَبِي طالِبِ، فَوَجَدْناهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنا ما فِي جَسَدِهِ بِضْعاً وتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ، ورَمْيَةٍ)**.

[طرفه في: ٤٢٦٠].

شرح الحديث

غزوةُ مؤتة حدثت قريباً من أرض الشام، لم يشهدها رسولُ اللَّه ﷺ، وإنما جهَّز لها جيشاً، قوامُه ثلاثة آلاف مقاتل، وأمَّر عليهم ثلاثةً من الأبطال الشجعان، هم «زيدُ بن حارثة» و«جعفرُ بن أبي طالب» و«عبدُ اللَّه بنُ رواحة»، وكان معهم (عبد اللَّه بن عمر) رضوان اللَّه عليهم جميعاً.

سبب الغزوة: أنَّ أحد ولاة قيصر الروم، واسمه «شرحبيل الغسَّاني» قَتَل رسولاً بعثه النبيُّ ﷺ إلى والي بُصرى، فجهَّز لهم رسولُ اللَّه ﷺ جيشاً، قوامُه ثلاثة آلاف مقاتل، وأمَّر عليهم (زيدَ بن حارثة) وقال لهم: إن قُتِل زيد يحمل الراية (جعفر)، وإن قُتل جعفر، يحمل الرايةَ (ابنُ رواحة)، وبلغ الأعداءَ مسيرُهم، فجهَّز لهم ملك الروم مائة ألف مقاتل، واحتدمت المعركة، فقاتل الأمراءُ الثلاثةُ، قتالَ الفرسان الأبطال، فقُتل زيدٌ، فأخذ اللواءَ (جعفر) فقاتل حتى استشهد، فأخذ الرايةَ (ابنُ رواحة) ونزل عن فرسه، وأخذ يرتجز قائلاً:

أَقْـسَـمْـتُ يَـا نَـفْـسُ لَـتَـنْـزِلَـنَّـهْ مَـا لِـي أَرَاكِ تَـكْـرَهِـيـنَ الـجَـنَّـة

ثم قاتل حتى استشهد، فأخذ الرايةَ (خالدُ بن الوليد) من غير توليةٍ من رسول اللَّه ﷺ، فلمَّا رأى ما حلَّ بالمسلمين من القتل، غيَّر في تركيبة الجيش، فجعل مؤخرةَ الجيش في المقدِّمة، وميمنة الجيش في الميسرة، فأنكر المشركون ذلك وقالوا: قد جاءهم مددٌ عظيم من المقاتلين، فرُعبوا وانهزموا، فقُتل منهم مقتلة كبيرة، وغَنِم المسلمون منهم غنائم وفيرة.

وكشف اللَّهُ الأرضَ لسيِّدنا رسولِ اللَّه ﷺ، فأخبر عن مقتل أمرائه الثلاثة، فقال النبيُّ ﷺ: (أخذ الرايةَ زيدٌ فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابنُ رواحة فأصيب، وعيناه ﷺ تذرفان بالدموع، ثم أخذها سيفٌ من سيوف اللَّه، حتى فتحها اللَّه عليهم) رواه البخاري من حديث أنس.

فمن ذلك اليوم سُمّي (خالدُ بنُ الوليد) سيفَ اللَّه، لقوله ﷺ: **(ثم حملها سيفٌ من سيوف اللَّه)**، يقصد خالداً.

كان عبد اللَّه بن عمر في تلك الغزوة، فلمّا انتهت المعركة، بحثوا عن (جعفر) فوجدوا في جسده بضعاً وتسعين ضربة، ما بين طعنة رمح، ورمية سهم، يعني قرابة مائة طعنة، ليس في ظهره شيء منها، كلُّها في المقدِّمة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بسالةُ المسلمين وشجاعتُهم، فلم ينهزموا أمام المشركين، مع أنَّ عددَهم ثلاثةُ آلاف، والمشركون مائةُ ألفٍ.

الثاني: وفيه عَلَم ظاهرٌ من (أعلام النُبوَّة)، حيث أخبر الرسول ﷺ باستشهادهم، قبل أن يصله خبرُهم.

الثالث: وفيه جوازُ تولِّي قيادة الجيش في الحرب، من غير تأمير، لأن (خالداً) استلم القيادة، دون توليةٍ من رسول اللَّه ﷺ، للمصلحة العامة.

الرابع: وفيه جواز البكاء على الشهيد، وهو لا ينافي الرضى بالقضاء والقدر، فإنَّ الرسولَ ﷺ أخبر عن استشهادهم، وعيناه تذرفان بالدموع، حزناً على فقدهم.

الخامس: وفيه فضيلةٌ عظيمة تامة (لخالد بن الوليد)، حيث أخبر عنه الرسولُ، وعن بطولته وشجاعته، وحنكته الحربية، فقال: **(ثم أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوف اللَّه، ففتح اللَّه عليهم)** وكفى بها شهادة على شجاعته وبطولته!! وهو الذي قال: «لقد انقطعت في يدي في يوم مؤتة تسعةُ أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحةٌ يمانية». وفيه دلالة واضحة على قوة المعركة.

٤٢٦٢ ـ [طرفه في: ١٢٤٦]، تقدّم شرحُه.

٤٢٦٣ ـ [طرفه في: ١٢٩٩]، تقدّم شرحُه.

٤٢٦٤ ـ [طرفه في: ٣٧٠٩]، تقدّم شرحُه.

٤٢٦٥ ـ [طرفه في: ٤٢٦٦]، انظر شرح الحديث رقم ٤٢٦١.

٤٢٦٦ ـ [طرفه في: ٤٢٦٥]، تقدّم شرحُه.

٤٢٦٧ ـ [طرفه في: ٤٢٦٨]، انظر شرح الحديث رقم ٤٢٦١.

٤٢٦٨ ـ [طرفه في: ٤٢٦٧]، تقدّم شرحُه.

باب (بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى جهينة)

٤٢٦٩ ـ عَنْ أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهُما أنّه قال: (بَعَثَنا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنا القَوْمَ فَهَزَمْناهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيناهُ قالَ: (لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ)، فَكَفَّ الأَنْصارِيُّ عَنْهُ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ!!

فَلَمَّا قَدِمْنا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقالَ: يا أُسامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّه)؟ قُلْتُ: كانَ مُتَعَوِّذاً، فَما زَالَ يُكَرِّرُها، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ اليَوْمِ).

[طرفه في: ٦٨٧٢].

شرح الحديث

كان رسولُ اللَّه ﷺ أرسلَ سريَّةً قِبَل نجد، وأمَّرَ عليهم «أسامةَ بنَ زيد» فوصلوا صباحاً إلى الحُرَقَات، قبيلة (جُهَينة)، وحصلت معركةٌ بينهما، قُتل فيها عدد من المشركين، وانهزم الباقون، ولحق أسامةُ ـ ومعه رجل من الأنصار ـ برجلٍ من المشركين، كان يقاتل المسلمين، فلمَّا أدركوه، قال: (أشهدُ أنْ لا إلٰه إلَّا اللَّه).

فأمَّا الأنصاريُّ فكفَّ يدَه عنه، وأمَّا «أُسامةُ بنُ زيد» فطَعَنَه بالرمح، حتى أرداه قتيلاً. فلمَّا رجعوا من غزوتهم إلى رسول اللَّه ﷺ، أخبروه بخبر هذا الرجل الذي أعلن إسلامه قبل أن يُقتل.

فغضب ﷺ غضباً شديداً، ثم قال لأسامة: (أقتلتَه بعد أن قال: لا إلٰه إلَّا اللَّهُ؟ كيف تفعل بـ«لا إلٰهَ إلَّا اللَّه»)؟ وأخذ ﷺ يكرِّرها: **(أقتلتَه بعد أن قال: لا إلٰه إلا اللَّه؟)** فقال أسامة: يا رسول اللَّه! إنما قالها ليتخلَّص من القتل، ولم يقلها إيماناً وتصديقاً!! والرسولُ ﷺ يكرِّر عليه تلك المقالة، حتى تمنَّى (زيد) أن يكون قد أسلم بعد هذه الحادثة، من شدَّة ما رأى من حُزن النبيِّ ﷺ وغَضبه!!

قال البدرُ العينيُّ: وقولُ أسامةُ: (تمنيتُ أني لم أكنْ أسلمتُ قبل ذلك اليوم)

إنما قاله على وجهِ المبالغة، لا على الحقيقة، وذلك من شدة حزنه على قتل الرجل، أو معناه: تمنَّى إسلاماً لا ذنبَ فيه، ولم يخالطه شيءٌ مما يقدح فيه!! اهـ عمدة القاري ١٧/ ٢٧٢.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ غضبِ الرسول ﷺ على (أسامة)، مع شدة حبِّه له، لفخامة تهويل أمر قتلِ الرجلِ، بعد نُطقه بالشهادة.

الثاني: وفيه الإنكارُ على أسامةَ أشدَّ الإنكار، مع أنَّ الغالب أنَّ الرجل قالها تخلصاً من القتل، لا على وجه الإيمان واليقين، ولمَّا اعتذر أسامة بأنَّ الرجلَ قالها متعوِّذاً، قال له ﷺ: **(هل شققتَ عن قلبه؟)**.

الثالث: وفيه تحريمُ دمِ الإنسان، إذا نطق بكلمة التوحيد، لأنَّ لنا الظاهر، واللَّهُ يتولَّى السرائر، ويؤيده قولُ النبي ﷺ: **(أُمرتُ أن أُقاتل الناسَ، حتى يقولوا: (لا إله إلا اللّه. . .))** لم يقل: حتى يعتقدوا بها.

الرابع: وفيه وجوبُ التثبُّت في قتالِ أهل الشرك، قال تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا. . .﴾ الآية [النساء: ٩٤] أي لا تتعجَّلوا في قتل العدوّ، حتى يتبيَّن لكم المؤمنُ من الكافر، ولا تقولوا لمن سلَّم عليكم بتحية الإسلام، إنه ليس بمسلم، إنما سلَّم علينا خشية القتل!! وانظر سبب النزول في التفسير الواضح الميسَّر ص ٢٠٨.

باب (غَزوات سَلمَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ)

٤٢٧٠ ـ عَنْ سلَمَةَ بْنَ الأكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (غَزَوْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، وَخَرَجْتُ فِيما يَبْعَثُ منَ البُعُوثِ، تِسْعَ غَزَواتٍ، مَرَّةً عَلَيْنا أَبُو بكْرٍ، وَمَرَّةً أُسامَةُ).

[أطرافه في: ٤٢٧١، ٤٢٧٢، ٤٢٧٣].

شرح الحديث

غزا رسولُ اللَّه ﷺ تسعَ عشرةَ غزوة، كان «سَلَمةُ بنُ الأكوع» معه في سبعٍ منها، وهي: غزوةُ (الحديبية، وغزوةُ خيبرَ، وغَزْوةُ حُنَينٍ، والقَرَد، وغزوةُ الطائف، وغزوةُ الفتح، وغزوةُ تبوك) وهي آخرُ الغزوات النبوية».

كما بيَّن سلَمَةُ رضي اللَّه عنه أنه حضر مع السَّرايا التي بعَثَها رسولُ اللَّه ﷺ تسع سرايا، مرَّةً كان الأميرُ عليهم فيها (أبو بكر الصدِّيق) ومرةً كان الأميرُ فيها (أُسامةُ بنُ زيد).

هذه الغزوات الكثيرة التي خاضها ﷺ مع أصحابه، أو بعثَ فيها بُعُوثاً!! وقد أرسل ﷺ سرايا، تزيد على أربعين سريَّة، لم يكن الهدفُ منها جميعها، إلَّا نشر نور اللَّه في الأرض، وإيصال هذا الدين العظيم، إلى شعوب الدنيا، لإنقاذهم من ظلمات الكفر والضلالة، إلى نور الإيمان والهداية، تنفيذاً لأمر اللَّه عزَّ وجل: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] فافهم هذا رعاكَ اللَّهُ، وانظر كتابنا (الجهادُ في سبيل اللَّه والخطأُ الدارجُ في مفهومه).

٤٢٧١ ـ [طرفه في: ٤٢٧٠]، تقدّم شرحُه.

٤٢٧٢ ـ [طرفه في: ٤٢٧٠]، تقدّم شرحُه.

٤٢٧٣ ـ [طرفه في: ٤٢٧٠]، تقدّم شرحُه.

٤٢٧٤ ـ [طرفه في: ٣٠٠٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٧٥ ـ [طرفه في: ١٩٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧ باب (غَزْوَةِ فَتْحِ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ)

٤٢٧٦ ـ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمضَانَ مِنَ المَدِينَةِ، وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلافٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأسِ ثَمانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ، فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الكَدِيدَ ـ وَهُوَ ماءٌ بَيْنَ عُسْفانَ وَقُدَيْدٍ ـ أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا).

[طرفه في: ١٩٤٤].

شرح الحديث

كان فتحُ مكة في السنة العاشرة من الهجرة، وذلك بعد أن نقض المشركون عَهْدَ (صلح الحديبية)، فغزاهم رسولُ اللَّه ﷺ، ومعه عشرة آلاف من جند الرحمٰن، الأبطالَ الشجعان، وكان الجميع صياماً، ولمَّا وصلوا إلى الكديد ـ وهي قريةٌ كثيرة المياه والبساتين، قريبةٌ من مكة ـ اشتدَّ الصيامُ على الصحابة، فأفطر ﷺ، وأمرهم بالإفطار، رحمةً بهم، وخشيةً عليهم أن تُنهك قواهم بالصيام، وهم في سفر، وقد خرجوا غُزاة مجاهدين في سبيل اللَّه.

ما يُستفاد من الحديث

دلَّ الحديثُ على جواز الإفطار للصائم، وفيه أن اللَّه تعالى، يحبُّ أن تُؤتى رُخَصهُ، كما يحبُّ أن تُؤتى عزائمه. ولغزوة الفتح قصة طويلة، ذكرها البخاري في صحيحه، سنذكرها في الحديث الآتي رقم (٤٢٨٠).

٤٢٧٧ ـ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أنَّه قَالَ: (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَمَضَانَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ، فَصَائِمٌ وَمُفْطِرٌ، فَلَمَّا ٱسْتَوَى عَلَى رَاحِلَتِهِ، دَعا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ أَوْ ماءٍ، فَوَضَعَهُ عَلَى رَاحَتِهِ ـ أَوْ: عَلَى رَاحِلَتِهِ ـ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ المُفْطِرُونَ لِلصُّوَّامِ: أَفْطِرُوا).

[طرفه في: ١٩٤٤].

وهذا الحديث يؤيِّد ويؤكِّد سابقَه، أنَّ للصائم أن يفطر، إذا خرج في سفر من الأسفار، أو غزوةٍ من الغزوات.

٤٢٧٨ ـ [طرفه في: ١٩٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٢٧٩ ـ [طرفه في: ١٩٤٤]، تقدّم شرحُه.

باب (قِصَّةِ فَتْحِ مَكَّةَ وأَيْنَ وَضَعَ الرسُولُ ﷺ رَايَةَ الجهَادِ يَوْمَ الفَتْحِ)؟

٤٢١ ـ عَنْ عرْوةَ بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (لمَّا سَارَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عامَ الفتْحِ، فَبلَغَ ذٰلِكَ قُرَيْشاً، خَرجَ أَبُو سُفيانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَام، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ما هٰذِهِ؟ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ. فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذٰلِكَ، فرَآهُمْ ناسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: «ٱحْبِسْ أَبَا سُفْيانَ عِنْدَ حَطْمِ الخَيْلِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المُسْلِمِينَ»!! فَحَبَسَهُ العَبَّاسُ فجَعلَتِ القَبائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ، قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هٰذِهِ؟ قَالَ: هٰذِهِ غِفَارُ، قَالَ: مَا لِي وَلغفَارٍ؟ ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، قَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْم، فَقَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ، فَقَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ!!

حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هٰؤُلاءِ الأَنْصارُ، عَلَيْهِمْ (سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ) معَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيانَ، الْيَوْمُ (يَوْمُ المَلحَمَةِ) اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ. فَقَالَ أَبُو سُفْيانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمارِ.

ثُمَّ جاءَتْ كَتِيبَةٌ ـ وَهيَ أَقلُّ الْكَتائِبِ ـ فِيهِمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّام، فَلَمَّا مَرَّ رسولُ ٱللَّهِ ﷺ بأَبِي سُفْيانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سعْدُ بْنُ عُبادَةَ؟ قَالَ: «ما قَالَ؟» قَالَ: كَذا وَكَذا، فَقَالَ: «كَذَبَ سَعْدٌ»، وَلكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ ٱللَّهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»!! قَالَ: وَأَمَرَ رَسولُ ٱللَّهِ ﷺ أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بالْحَجُونِ.

قالَ عُرْوَةُ: وَأَخْبَرَنِي نَافِعُ بْن جُبَيْرِ بْنِ مُطعِم قَالَ: سَمِعْتُ العَبَّاسَ يَقُولُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ: يَا أَبَا عَبْدِ ٱللَّهِ، هَاهُنا أَمَرَكَ رسولُ ٱللَّهِ ﷺ أَنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ!؟.

قَالَ: وَأَمَرَ رسولُ ٱللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ (خالِدَ بْنَ الوَلِيدِ) أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ، وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ كُدا، فَقُتِلَ مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يَوْمَئِذٍ رَجُلَانِ: (حُبَيْشُ بْنُ الأَشْعَرِ)، و(كُرْزُ بْنُ جابِرٍ الفِهْرِيُّ).

[طرفه في: ٢٩٧٦].

شرح الألفاظ

(أَتَوْا مرَّ الظَّهْرانِ) موضعٌ بقرب مكة، يبعد عنها ستة عشر ميلاً.

(حَرَسُ النبيِّ ﷺ) أي جنودُ رسول اللَّه ﷺ، المكلَّفون بحراسة (عسكر الجيش)، وكانوا نَفَراً من الأنصار.

(حَطْمُ الخَيْلِ) أي عند مضيق الجبل، الذي تمرُّ به الخيلُ، حيث يزدحم بعضُها ببعض، ويظهر للناس كثرتُها.

(كَتِيبَةً كَتِيبَةً) الكتيبةُ: القطعةُ من الجيشُ، حيث يكون الجيش موزَّعاً على جماعات، يتقدَّم كلَّ جماعةٍ حاملُ لوائها.

(يَومُ المَلْحَمَةِ) أي يومُ حربٍ لا مخلص منه، ويومُ قطعُ رقاب المشركين.

والمَلْحمةُ: التقاءُ الجيوش للقتال. ومرادُ سعدٍ بقوله: (يوم الملحمة) أي يوم قتلٍ وهلاكٍ لأعداء اللَّه، لا رحمة لهم في هذا اليوم، فهو يومُ (المقتلة العظمى).

(حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ) أي قال أبو سفيان: ما أحلى وما أجمل يومَ الهلاك!؟ كأنه يتمنى أن يكون له قدرةٌ لحماية قومه، والدفاع عنهم.

(تُرْكَزُ رايتُهُ بالحَجُون) أي توضع رايته في مكان مرتفع، في أعلى الحَجُون، وهو مكان معروف عند قريش، ليروا رايةَ النصر ترفرف على أهل مكة، وضُربت للنبيِّ ﷺ هناك قُبَّة.

شرح الحديث

لمَّا أراد رسولُ اللَّه ﷺ أن يغزو مكة، بسبب نقضِ قريش للصلح، دعا اللَّهَ عزَّ وجل أن يعمِّي على قريش خبر ذلك، لئلا يستعدُّوا للقتال، وسار بعشرة آلاف من المسلمين، قاصداً مكة شرَّفها اللَّه تعالى، ولمَّا وصَلَ ﷺ قريباً من مكة، إلى مكانٍ

يسمى «مَرَّ الظَّهْران» كانت قريش تريد أن تستطلع خبرَ محمدﷺ، بعد أن ندموا على نقضهم للعهد، فأرسلوا ثلاثة أشخاص (أبا سفيان، وبُدَيْل بنَ ورقاءَ، وحكيمَ بنَ حِزَام) فرأوا نيراناً عظيمة، تسطع أنوارُها في السماء، فقالوا: ههنا عسكرٌ، وجيشٌ كبير، ولمَّا اقتربوا وشعر بهم حَرَسُ رسولِ اللّهﷺ، أحاطوا بهم، وأخذوهم إلى رسول اللّهﷺ أسرى، وفي ذلك الوقت أسلم (أبو سفيان) رضي اللّه عنه.

ولمَّا أراد رسولُ اللّهﷺ أن يدخل مكة، أمر رسولُ اللّهﷺ أصحابه، أن يحبسوا الخيلَ عند مضيق جبل، ليظهر لأهل مكة كثرةُ الفُرسان، ودخلﷺ من أعلى مكة من جهة الحَجُون، وأمر (خالدَ بن الوليد) أن يدخل من أسفلها جهةَ المسفلة، ودخلت كتائبُ المجاهدين، ومع كلِّ كتيبة رايةٌ، فلما دخلت كتيبةُ الأنصار، كان يحمل رايتَها (سَعْدُ بنُ عُبَادَة) فمرَّ سعدٌ، ورأى أبا سفيان يقف مذهولاً، ينظر إلى الكتائب، فلمَّا رآه قال له: اليوم يومُ الملحمة يا أبا سفيان، اليومَ يومُ دَمَارٍ وهلاكِ قريش، واليومَ تُستحلُّ الكعبةُ، قال ذلك لإغاظته، فلمَّا مرَّتْ كتيبةُ رسول اللّهﷺ أقبل نحوه (أبو سفيان)، وقال له: هلْ أمرتَ بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له ما قاله (سعدُ بنُ عُبادة)، ثم ناشَدَه اللّهَ والرَّحم، فقال لهﷺ: (يا أبا سفيان اليومَ (يومُ المرحمة)، اليومَ يُعِزُّ اللّهُ قريشاً والكعبةَ)، ثم أرسل إلى (سعد) فأخذ منه الراية، ودَفَعها إلى ابنه قيس.

هكذا فُتحت مكةُ بدون حرب ولا قتال، وجاء الفتحُ الأعظم، والنصرُ الأكبرُ، لجند الرحمٰن، كما بشَّرهم القرآن الكريمُ، بمجيء ذلك اليوم الميمون، الذي تخفق فيه رايةُ التوحيد (لا إله إلا اللّه) وتعلو كلمةُ الإسلام، ويأتي النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۞ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۞ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر] ذلك هو الفتحُ الأكبر، والحمدُ للّه، صَدَق وعده، ونَصَر عبده، وأعزَّ جنده!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ فتح مكة، كان فتح عزٍّ وأمان، لم تُرق فيه الدماءُ، صيانةً لبيت اللّه الحرام، وسببُ هذا الفتح العاجل، نقضُ المشركين لصلح الحديبية، ولذلك غَزَاهم رسولُ اللّهﷺ.

الثاني: وفيه ظهورُ عزِّ المسلمين، وذلِّ المشركين، حتى طلبوا من الرسولﷺ العفو عنهم، فقال لهم: **(اذهبوا فأنتم الطلقاء)**.

الثالث: وفيه صيانةُ اللّهِ لبيته الحرام، أن تُراق فيه الدماءُ، فقد فُتحت مكة، صُلحاً لا عُنوة.

الرابع: وفيه أنَّ قريشاً استعدُّوا للحرب، ولكنَّ اللَّهَ ألقى في قلوبهم الرُّعب، بسبب تلك السياسة الحكيمة، التي انتهجها رسولُ اللَّه ﷺ، حين قال: (**من دَخَل بيتَه وأغلقَ بابه، فهو آمنٌ، ومن دخل المسجدَ الحرام فهو آمنٌ، ومن دَخَل دارَ أبي سفيان فهو آمن**) وبذلك استلَّ الحقدَ من قلوب الجميع.

الخامس: وفيه الردُّ الحكيم على «سَعْدِ بنِ عُبادة» حين بلغه أنه قال: اليومَ (يوم المَلْحَمة)، اليومَ تستحلُّ الكعبةُ؟ فقال قولته البديعة، التي أطفأت نار الحميَّةِ والفتنة: اليومَ (يومُ المرحمة)، اليومَ يُعظِّمُ اللَّهُ فيه الكعبةَ، اليومَ تعزُّ فيه قريش!! ويا لها من كلمةٍ حكيمة، من سيِّد الحكماء ﷺ.

السادس: وفيه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ دخل مكة متواضعاً، يخفض رأسه وهو يقرأ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، ويدلُّ عليه الحديث الآتي:

بابُ (دُخولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ مُتَواضِعاً يَقْرأ سُورَةَ النَّصْر)

٤٢٨١ ـ عَنْ عبدِ ٱللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: (رَأَيْتُ رَسولَ ٱللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرَجِّعُ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ حَوْلِي، لرَجَّعْتُ كما رَجَّعَ).

[أطرافه في: ٤٨٣٥، ٥٠٣٤، ٥٠٤٧، ٧٥٤٠].

شرح الألفاظ

(يُرجِّعْ) التَّرجيعُ: تَرديدُ الحرفِ في الحَلْق، أي يقرأ بصوتٍ جميل مع التأنِّي، كأنه يعيد الحرف موضَّحاً.

(لَرَجَّعْت كما رَجَّعَ): أي لقرأتُ لكم كما سمعتُ رسولَ اللَّه يقرأ السورة الكريمة، بصوتٍ شَجِيٍّ جميل.

تفسير سورة النصر

تفسير السورة الكريمة: بشارة كريمة، وخبرٌ سارٌ، وتوجيهٌ حميد رشيد، إلى النبيِّ الحبيب، يبشره فيه ربُّه، بالفتح الأعظم (فتح مكة) شرَّفها اللَّه تعالى، وهذا الإخبارُ بالفتح الأكبر، قبل حصوله وحدوثه، من أعظم الأدلة والبراهين، على صدقِ نبوَّة خاتم المرسلين ﷺ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وقد أجمع المفسرون على أنَّ المراد بالنصر والفتح هنا: (فتحُ مكة)، وقد حقَّق اللَّهُ لنبيِّه ذلك الوعد، قبل أن تُفتح مكة بسنواتٍ عديدة، وتسمى هذه السورة: (سوةَ النصر)، و(سورةَ البشارة)، و(سورةَ التوديع).

وقد روى البخاري عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت: (كان رسولُ اللَّه ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (**سبحانكَ اللهمَّ ربَّنا وبحمدك، اللَّهمَّ اغفر لي، يتأَوَّلُ القرآنَ**)، وقد عاش ﷺ بعدها (٨١) يوماً، ثم انتقل إلى جوار ربه، سعيداً، هنيئاً، مطمئنَّ البال، بعزِّ الإسلام، وإعلاءِ كلمة اللَّه.

٤٢٨٢ ـ [طرفه: ١٥٨٨]، تقدّم شرحُه.

٤٢٨٣ ـ [طرفه: ١٥٨٨]، تقدّم شرحُه.

٤٢٨٤ ـ [طرفه: ١٥٨٩]، تقدّم شرحُه.

٤٢٨٥ ـ [طرفه: ١٥٨٩]، تقدّم شرحُه.

٤٢٨٦ ـ [طرفه: ١٨٤٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (تَحْطِيم الأَوْثَانِ المَنْصُوبَةِ عِنْدَ الكَعْبَةِ)

٤٢٨٧ ـ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُمائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعَنُها بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾» [سبأ: ٤٩].

[طرفه: ٢٤٧٨].

شرح الألفاظ

(**زَهَقَ البَاطِلُ**) أي اضمحلَّ وتلاشى، ويقال: زَهَقتْ روحُه أي خرجت روحُه.

(**نُصُبٌ**) أي تمثالٌ وصنمٌ، وهي صيغةُ جمع للآلهة التي كانت تعبدها قريش، وقد حطمها ﷺ حين فتح مكة.

شرح الحديث

لقد عَبَد المشركون الأوثانَ والأصنامَ، وجعلوها آلهةً من دون اللَّه، ولمَّا جاءهم الرسول ﷺ بدعوة التوحيد، استنكروا ذلك، وتعجَّبوا غاية العُجْب، وقالوا ما قصَّه القرآن الكريم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾؟ [صَ: ٥] أي أمرٌ في غاية الغرابةِ والعُجْب، ومن سفاهتهم وغباءِ عقولهم، أنهم نصبوا هذه الأوثان على كعبة التوحيد (الكعبة المشرَّفة) إظهاراً لقدسيتها، ومكانتها السامية عندهم، فجعلوا حول الكعبة (٣٦٠) ثلاثمائة وستين صنماً، بعدد أيام السنة، نحتوها بأيديهم، ثم عبدوها من دون اللَّه.

ولمَّا فتح رسولُ اللَّه مكة، جعل يطعَنُ هذه الأوثان بعودٍ بيده، وهو يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩] فكانت الأوثانُ تهوي، وتسقط بهذا العود الرفيع.

قال ابن عباس: فلم يبق وثنٌ استقبله، إلَّا سقط على قفاه، مع أنها كانت ثابتةً في الأرض، وإنما فعل النبيُّ ﷺ ذلك، لإذلال الأصنام وعابديها، ولإظهار أنها لا تضرُّ ولا تنفع. اهـ فتح الباري ٨/ ١٧.

وهذه من أعلام النبوَّة، حيث تهاوت هذه الأوثان، بإشارةٍ من رسول اللَّه عليه الصلاة والسلام، وهكذا طُهِّر البيتُ العتيقُ، والكعبةُ المشرَّفة، من هذا الرِّجس والكفر القبيح، وعادت كما كانت في زمن الخليل إبراهيم عليه السلام، مناراً للتوحيد، وكعبةً للإيمان.

٤٢٨٨ ـ [طرفه في: ٣٩٨]، تقدّم شرحُه.

٤٢٨٩ ـ [طرفه في: ٣٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٠ ـ [طرفه في: ١٥٧٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩١ ـ [طرفه في: ١٥٧٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٢ ـ [طرفه في: ١١٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٣ ـ [طرفه في: ٧٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٤ ـ [طرفه في: ٣٦٢٧]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٥ ـ [طرفه في: ١٠٤]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٦ ـ [طرفه في: ٢٢٣٦]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٧ ـ [طرفه في: ١٠٨١]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٨ ـ [طرفه في: ١٠٨٠]، تقدّم شرحُه.

٤٢٩٩ ـ [طرفه في: ١٠٨٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٠٠ ـ [طرفه في: ٦٣٥٦]، فيه منقبة لعبد اللَّه بن ثعلبة أنه أدرك النبيّ ﷺ.

٤٣٠١ ـ تقدم شرحه في الحديث السابق.

باب (مُبادَرَةِ النَّاسِ إِلى إِعْلَانِ الإِسلَامِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ)

٤٣٠٢ ـ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قَالَ: (كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبانُ فنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ؟ مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هٰذا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ!! أَوْ: أَوْحَى ٱللَّهُ بِكَذَا، فكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الكَلَامَ، وَكَأَنَّما يُقَرُّ فِي صَدْرِي.

وَكانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِم الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: ٱتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عليْهِمْ، فهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فلمّا كانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ، فلمّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حقًّا، فَقَالَ: «صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذا، وَصَلُّوا صلاة كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فلْيُؤَذِّنْ أَحدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآناً»!!

فَنَظَرُوا فلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآناً مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقَالَتِ ٱمْرَأَةٌ مِنَ الحَيِّ: أَلَا تُغَطُّوا عَنَّا ٱسْتَ قارِئِكُمْ؟ فَٱشْتَرَوْا فقَطَعُوا لي قَمِيصاً، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بذٰلِكَ القَمِيصِ).

شرح الألفاظ

(كنَّا بمَاءٍ مَمَرَّ النَّاس) أي كنَّا بالموضع الذي ينزل فيه الناسُ، يوم فتحِ مكة.

(يَمُرُّ بنَا الرُّكْبَانُ) أي يمرُّ بنا المسافرون، الرَّاكبون على الإبل، والركبانُ: جمع راكب، وهو خاصٌّ بمن يركب الإبل.

(مَا هَذا الرَّجُلُ)؟ أي ما شأنُ هذا الرجل، الذي يزدحم عليه الناسُ؟ يسألون عن النبيِّ ﷺ وعن حال العرب معه، فكانوا يجيبونهم: إنه نبيٌّ يزعم أن اللّه أرسله، وأوحى إليه!!

(فَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي) أي كأنَّ كلامهم يلتصق بقلبي ويثبت فيه، بحيث لا أنساه، من القَرَار بمعنى الثبوت.

(تلوَّمُ بإِسْلامِهِمْ الفَتْحَ) أي كانت العرب تنتظر نتيجةَ أمرِه، وأصلُ «تَلَوَّمُ» تَتَلَوَّمُ، أي تنتظر ماذا ستكون عاقبة أمره؟ يقولون: إن غَلَب على قومه، فهو نبيٌّ صادق.

(وبَدَرَ أَبِي) أي سبق أبي قومَه، فجاء إلى رسول اللّه ﷺ فأسلم، وكان يقول لقومه: جئتكم من عند النبيِّ الصادق في نبوته ﷺ.

(وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآناً) أي ليكن الإمامُ الذي تقتدون به، أكثرَكم حفظاً لكتاب اللّه تعالى.

(فقَدَّمُونِي وَأَنا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ) أي جعلوني إماماً وأنا ابن سبع سنين، لأنهم لم يجدوا بينهم أحفظ للقرآن منِّي.

(تقلَّصَتْ عنِّي) أي كنتُ ألبس عباءةً ضيِّقةً، فإذا سجدتُ اجتمعتْ وانضمَّتْ عليَّ، فتكشَّفتْ بعضُ عورتي.

(أَلَا تُغَطُّونَ إِسْتَ صَاحِبِكُمْ)؟ أي أَلَا تسترون عنا عورة إمامكم؟

(اشْتَرَوا لي قَمِيصاً) أي اشتروا لي ثوباً، فما فرحتُ بشيء من الدنيا، كفَرَحِي بذلك الثوب، وذلك لسنِّه الصغير.

شرحُ الحديث

كان الصحابيُّ (عَمْرُو بنُ سَلَمة) صغيرَ السِّنِّ حين أسلمَ، لا يتجاوز عمرُه السابعةَ من السنين، وحين فتح رسولُ اللّه مكة، أصبح الركبانُ المسافرون يزدحمون عليه، ليسمعوا كلامَه، ويتَلقَّوْا بعضَ القرآن عنه، ليدخلوا في دين الإسلام، فكان (عمرُو بنُ

سَلَمة) ـ لصغر سِنّه ـ يسألهم: من هذا الذي تجتمعون عليه، وتسمعون كلامه؟ فيقولون له: إنه نبيٌّ، أوحى اللَّه بوحي هو (القرآنُ)، فيسمع منهم بعض الآيات القرآنية فيحفظها، وتثبتُ في قلبه، فلا ينساها!

وكانت العرب قبل فتح مكة، تنتظر أمرَ هذا الرسول، ويقول بعضهم لبعض: انتظروا أمرَه، ولا تُسرعوا إلى الدخول في الإسلام، فإن انتصر على قومه «قريش» فهو نبيٌّ صادق.

فلمَّا كان يومُ فتح مكة، أسرع الناسُ إلى الدخول في الإسلام، وكان وَالده (سَلَمَةُ بنُ قيس) قد سَبَق قومَه إلى رسول اللَّه ﷺ، ومعه ولَدُه «عَمْرو» فأعلنَ إسلامه، ثم رجع إلى قومه فقال لهم: هذا نبيٌّ حقٌّ، صادقٌ في دعوى النبوَّة، فادخلوا في دينه!! فقدموا على رسول اللَّه ﷺ فأسلموا، وعلَّمهم رسولُ اللَّه ﷺ كيف يصلُّون، وقال لهم: (**إذا حضر وقتُ الصلاة، فَلْيؤذِّنْ أحدُكم، وقدِّموا أكثرَكم تلاوةً للقرآن، وحفظاً له**)!.

يقول عَمْرو: فلم يجدوا أكثرَ حفظاً للقرآن منِّي، فجعلوني إماماً لهم، وأنا ابنُ سبع سنين، فكنتُ إذا صلَّيتُ بهم، انكشف عني بعض عَوْرَتي، لضيق البُردة وقِصَرها، فقالت إحدى النساء: ألا تسترون عنَّا عورةَ إمامكم؟ فاشتروا لي ثوباً، فرحتُ به فرحاً عظيماً، كنتُ أصلِّي لهم إماماً به، وهذا الثوبُ كساني القومُ به، وكان له وقع عظيم في نفسي!!.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ إسلام «عَمْرو بن سلمة» وإسلامَ أبيه «سَلَمة» كان يومَ (فتحِ مكة) شرَّفها اللَّهُ، وزادها جمالاً وجلالاً.

الثاني: وفيه أنَّ هذا الصحابيَّ الصغير، كان يتعجَّب لاجتماع الناس على الرسول ﷺ فيسألهم من هذا الرجل؟ لكونه في سِنِّ الصِّغر والطفولة.

الثالث: وفيه أنَّ أباه (سَلَمة) كان أسبقَ قومِهِ إلى الإسلام، ثم لحق به قومُه فأسلموا، بدعوته لهم إلى تصديق نبوَّة محمد ﷺ.

الرابع: وفيه أنَّه كان يؤمُّ قومه ـ أي يصلِّي بهم إماماً ـ وهو ابنُ سبع سنين، والحديث حجة للشافعي، في جواز إمامة الصبيِّ المميِّز في الفريضة، والمسألةُ فيها خلاف بين الفقهاء.

الخامس: وفيه أنَّ أحقَّ الناسِ بالإمامة، أقرؤُهم لكتاب اللَّه، وأحفظُهم له.

السادس: وفيه بيانُ جواز صحة الصلاة، إذا ظهر شيء يسير من العورة، لقولهم: غطُّوا عنا عورة قارئكم!

السابع: وفيه أنَّ العرب لم يسارعوا إلى الدخول في الإسلام، حتى يعرفوا هل ينتصر محمد على قومه؟ أم ينتصرون عليه؟ فلمَّا فتح ﷺ مكة، وانتصر عليهم، دخلوا في دين اللَّه أفواجاً أفواجاً.

٤٣٠٣ ـ [طرفه في: ٢٠٥٣]، تقدّم شرحه.

٤٣٠٤ ـ [طرفه في: ٢٦٤٨]، تقدّم شرحُه.

٤٣٠٥ ـ [طرفه في: ٢٩٦٢]، تقدّم شرحه.

٤٣٠٦ ـ [طرفه في: ٢٩٦٣]، تقدّم شرحُه.

٤٣٠٧ ـ [طرفه في: ٢٩٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٣٠٨ ـ [طرفه في: ٢٩٦٣]، تقدّم شرحُه.

٤٣٠٩ ـ [طرفه في: ٣٨٩٩]، تقدّم شرحُه.

٤٣١٠ ـ [طرفه في: ٣٨٩٩]، تقدّم شرحه.

٤٣١١ ـ [طرفه في: ٣٨٩٩]، تقدّم شرحُه.

٤٣١٢ ـ [طرفه في: ٣٠٨٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣١٣ ـ [طرفه في: ١٣٤٩]، تقدّم شرحُه.

باب (مَا أَصَابَ ابنَ أَبِي أَوْفَى يَوْمَ حُنَيْن)

٤٣١٤ ـ عَنْ إسماعيلَ بنِ أبي خالد، قال: (رأيتُ بيد عبْدِ اللَّه بنِ أبي أوفى) ضَرْبَةً، قال: ضُرِبْتُها مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ!! قُلْتُ: شَهِدْتَ حُنَيْناً؟ قَالَ: قَبْلَ ذَلِكَ).

شرح الحديث

(عبدُ اللَّه بنُ أبي أوفى) صحابيٌّ ابنُ صحابي، شهد مع رسول اللَّه ﷺ بعض الغَزَوات، رأى (إِسمَاعِيلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ) على ساعده ضربةً، فسأله: هل شهدتَ مع

رسول اللَّه ﷺ (غزوة حُنين)؟ فقال: نعم، شهدت معه قبل ذلك (غزوة الخندق)، و(صُلحَ الحديبية)، وهذه الضربةُ التي تراها في ساعدي، هي من (يوم حُنين)، حيثُ فرَّ الناسَ عن رسولِ اللَّه ﷺ، ورسولُ اللَّه ﷺ ثابتٌ كالطود، يقول: **(أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابنُ عبد المطلب)**.

قال البدرُ العينيُّ: (عبدُ اللَّه بن أبي أوفى)، كان ممَّن بايعَ رسولَ اللَّه ﷺ تحت الشجرة، وهو آخرُ الصحابة موتاً بالكوفة تُوفّي سنة /٨٦/ ست وثمانين، وقد رأى أبو حنيفة هذا الصحابيَّ، فهو تابعيٌّ، لأن عمره حين رآه كان ست سنين، اهـ عمدة القاري ١٧/ ٢٩٥. وإنما ذكره البخاري هنا، بمناسبة ذكر (غزوة حُنين) ليؤكِّد صُحبة (ابْنَ أَبِي أَوْفَى) للرسول ﷺ، فهو صحابيٌّ ابنُ صحابيّ، رضي اللَّه عنهما.

٤٣١٥ ـ [طرفه في: ٢٨٦٤]، تقدّم شرحُه.

٤٣١٦ ـ [طرفه في: ٢٨٦٤]، تقدّم شرحُه.

٤٣١٧ ـ [طرفه في: ٢٨٦٤]، تقدّم شرحُه.

٤٣١٨ ـ [طرفه في: ٢٣٠٧]، تقدّم شرحُه.

٤٣١٩ ـ [طرفه في: ٢٣٠٨]، تقدّم شرحُه.

٤٣٢٠ ـ [طرفه في: ٢٠٣٢]، تقدّم شرحُه.

٤٣٢١ ـ [طرفه في: ٢١٠٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٢٢ ـ [طرفه في: ٢١٠٠]، تقدّم شرحُه.

باب (ذكر غزوة أوطاس)

٤٣٢٣ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قَالَ: (لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ (أَبَا عامِرٍ) عَلى جَيْشٍ إِلَى أَوْطاسٍ، فَلَقِيَ (دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ)، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ ٱللَّهُ أَصْحابَهُ.

قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى الأشعري، فَقَالَ: ذَاكَ قاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا

رَآنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحِي، أَلَا تَثْبُتُ، فَكَفَّ، فَٱخْتَلَفْنا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لأَبي عَامِرٍ: قَتَلَ ٱللَّهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هٰذا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ فَنزَا مِنْهُ المَاءُ، قَالَ: يا ٱبْنَ أَخِي، أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلَامَ، وقُلْ لَهُ: ٱسْتَغْفِرْ لِي!!

وَٱسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيراً ثُمَّ مات، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ ٱسْتَغْفِرْ لِي!

فَدَعا ﷺ بِماءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ». وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ»! فَقُلْتُ: وَلِي فَٱسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِعَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً».

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لأَبِي عامِرٍ، وَالأُخْرَى لأَبِي مُوسَى.

[طرفه في: ٢٨٨٤].

شرح الألفاظ

(بَعَثَ أَبَا عامِرٍ) أبو عامر اسمُه (عُبَيْد بنُ سَلِيم الأشعري) جعله رسولُ اللَّه ﷺ أميراً على الجيش في غزوة (أوطاس)، وهو عمُّ (أبي موسى الأشعريِّ) رضي اللَّه عنهما.

• (أَوْطَاس): وادٍ في حُنين في ديار هوازن، اجتمع فيه المشركون، بعد هزيمتهم في حنين، فأرسل لهم رسولُ اللَّه ﷺ (أبا عامر) أميراً على جماعة ليتْبَعُوهم، لئلا يرجعوا إلى قتال المسلمين.

(فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ) أي ضرب المشركُ (أبا عامر) بسهمٍ، فوقع في ركبته، وكان ذلك السهمُ سبباً لموته.

(واسْتَخْلَفَنِي عَلَى النَاسِ) أي جعلني (أبو عامر) أميراً بعده على الناس.

(سَرِير مُرْمَلٍ) أي رأى رسولَ اللَّه ﷺ مضطجعاً على سريرٍ له حبالٌ، وقد أثَّرت الحبالُ في ظَهره الشريف.

(فَأَخبَرتُه بِخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ) أي أخبرتُ الرسولَ ﷺ بمقتل (أبي عامر)، ووصيَّتِهِ التي أوصى بها، وطَلَب فيها أنْ يستغفر له الرسولُ ﷺ.

شرح الحديث

لمَّا حدثتْ معركة حُنين، كانت الدائرةُ على المسلمين، بسبب اغترارهم بالكثرة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥] ثم قذف اللَّهُ الرُّعب في قلوب المشركين، فولَّوا الأدبار منهزمين، وتجمَّع من هوازن حشدٌ منهم بعد الهزيمة، في وادٍ يسمى «أوطاس» بقيادة «دُرَيْد بنِ الصِّمَّة» فأرسل لهم رسول اللَّه ﷺ جيشاً من المجاهدين، وأمَّر عليهم «أبا عامر» (عمَّ أبي موسى الأشعري)، ولمَّا التقى الفريقان قُتل رئيسُهم «ابنُ الصِّمَّة» وولَّى الباقون الأدبارَ منهزمين، ورمى رجلٌ منهم «أبا عامر» بسهم فأصابه في ركبته، وأدركه «أبو موسى الأشعري» فقال له: يا عمُّ من رماك؟ فأشار إلَيَّ رجل من المشركين، فلحقه أبو موسى، واشتبكا بالسيوف، فضربه أبو موسى فقتَلَه، ثم رجع إلى أبي عامر، وبشَّره بأنَّ الرجل قد قُتل، ولمَّا نزع السهمَ من ركبته، انفجر منه الدم، وشعر أبو عامر بالموت، فقال لابن أخيه: أَبلغْ رسولَ اللَّه سلامي، واطلبْ منه أن يستغفر لي، وكلَّفه أبو عامر أن يحمل الرايةَ بعد موته، وأن يكون أميراً على الجماعة.

ولمَّا رجع أبو موسى وبيده الراية، سأله رسولُ اللَّه ﷺ أينَ أبو عامر؟ فأخبره بمقتله، فحزن رسولُ اللَّه ﷺ، ثم بلَّغه وصيَّة أبي عامر، وسلامَه على رسول اللَّه ﷺ، فقام الرسولُ ﷺ فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: **(اللهم اغفر لعبدك عُبَيْد الأسلمي «أبي عامر» وارفعْ مقامه في علِّيين، واجعله فوق كثير من خلقك يوم القيامة، وأَدْخِلْهُ مُدْخلاً كريماً)!**

قال أبو موسى الأشعري: قلتُ: وليَ يا رسول اللَّه فادعُ اللَّه! فدعا لي ﷺ بمثله.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث، أنَّ سببَ هزيمة المسلمين في حنين، في بدء المعركة، هو اغترارُهم بكثرة أعدادهم، حتى قالوا: لن نُغلب اليوم من قلَّة، كما أخبر تعالى عنهم فقال: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

الثاني: وفيه ثباتُ النبيِّ ﷺ وشجاعتُه، حيث فرَّ عنه الكثيرون، وهو ثابتٌ أمام

الأعداء، يُسرع نحوهم ويقول: **(أنا النبيُّ لا كذِبْ: أنا ابنُ عبد المطلب)**.

الثالث: وفيه شجاعةُ (أبي موسى الأشعري)، حيث لـمَّا فرَّ القاتلُ، لحقه أبو موسى، وقال له: أَمَا تستحي تهربُ منِّي؟ فلمَّا وقف ضَرَبه (أبو موسى) ضربةً واحدة، فشقَّه نصفين.

الرابع: وفيه بيانُ تواضع النبيِّ ﷺ، فقد كان ينام على سريرٍ له حِبَال، وقد أثَّرت الحبالُ بظهره ﷺ وجَنْبَيْه.

الخامس: وفيه استحبابُ الوضوء لإرادة الدعاء، حيث قام ﷺ فتوضأ، ثم دعا لأبي عامر، ولأبي موسى الأشعري، رضي اللَّه عنهما.

السادس: وفيه رفعُ اليدين في الدعاء، خلافاً لمن خصَّ ذلك بالاستسقاء، فلم يكن رسولُ اللَّه عندما دعا مستسقياً.

ويؤيِّدُ استحبابَ رفع اليدين عند الدعاء، حديثُ: **(إنَّ ربكم حييٌّ، يستحي إذا رفع أحدُكم يديه في الدعاء، أن يردَّهُما صِفْراً)** أي بدون شيء، وهو عامٌّ يشمل كلَّ دعاء.

باب (غَزْوَةِ الطَّائِفِ في شَوَّالَ سَنَةَ ثَمانٍ)

٤٣٢٤ ـ عَنْ أم سَلَمَةَ زوج النبي ﷺ أنها قالت: (دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدِي مُخَنَّثٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ: يَا عَبْدَ ٱللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غداً، فَعَلَيْكَ بِٱبْنَةِ غَيْلَانَ، فَإِنَّها تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبِرُ بِثَمانٍ!! وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلَنَّ هٰؤُلَاءِ عَلَيْكُنَّ»).

[طرفاه في: ٥٢٣٥، ٥٨٨٧].

شرح الألفاظ

(مُخَنَّثٌ) المخنَّثُ: الذي له شَبَهٌ بخلقة النساء، سُمِّي مخنَّثاً لانكسار كلامه، ولِينِه، ومثلُه الأمردُ، والمقصودُ به هنا: من يتشبَّه بالنساء في حركاته، وكلامه، وغير ذلك.

(**عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُمَيَّةَ**) هو أخو السيدة (أم سلَمة) راويةُ الحديث، أسلم في غزوة الفتح، واستُشْهد بالطائف.

(**أَرَأَيْتَ**) أي أخبرني، وليست من الرؤية البصرية، ومنه قوله سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [الماعون: ١] أي أخبرني عن أمره.

(**عَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلَانَ**) أي الزمْ هذه الفتاة الجميلة، وكان أبوها أبيضَ طويلاً، فخماً جميلاً، يريد أن يقول له: تزوَّجْ بها.

(**تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وتُدْبِرُ بِثَمَانٍ**) كناية عن أنها سمينة، فإن السمينة يظهر لها في بطنها عُكَنٌ ـ أي قطع من اللحم ـ من الأمام والخلف.

قال الخطابيُّ: وهذا المخنَّثُ إنما كان يُؤْذَن له بالدخول على أزواج النبي ﷺ، بناءً على أنه (من غير أولي الإربة من الرجال) فلمَّا سمع رسولُ اللَّه ﷺ كلامَه، أمر بإخراجه، ثم أجلاه عن المدينة. اهـ عمدة القاري ١٧/ ٣٠٣.

وجاء في بعض الروايات: أنَّ المخنَّث قال لعبد اللَّه: (إنها تغدو وتدبُر بثمان، لها ثَغْرٌ كالأقحوان، إنْ قَعَدَتْ تَثَنَّتْ، وإن تكلَّمتْ تغنَّتْ، فقال ﷺ: **(لقد غَلْغلْتَ النَّظرَ إليها يا عدوَّ اللَّه)**!! ثم أجلاه عن المدينة، وقال لأزواجه: **(لا يدخلُ هؤلاء عليكنَّ)**).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه حرمةُ دخولِ المخنَّث على النساء، إذا كان له معرفة بأوصافهن، ولا يدخل هذا في الأبله من الرجال، الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النور: ٣١] أي البُلْه والمعتوهين، الذين لا يعرفون العلاقات الجنسية.

قال مجاهد: هو الأبلهُ الذي همُّه الطعامُ، ولا يريد النساء.

الثاني: وفيه منعُ دخول الأطفال ولو دونَ البلوغ، إذا ظهر منهم ما يدلُّ على الميل إلى النساء، لقوله سبحانه: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١] كما يُمنع الخادمُ إذا بلغ مبلغَ الرجال، أو له إلمامٌ بالعلاقات الزوجية.

الثالث: وفيه العنايةُ الكاملةُ بأمور الأسرة، حفاظاً على قدسية العلاقات الزوجية، ولهذا منع رسولُ اللَّه ﷺ من دخول المخنَّثين على النساء.

بابُ (مُحاصَرَةِ النَّبيِّ ﷺ لأَهْلِ الطَّائِفِ)

٤٣٢٥ ـ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّه قَالَ: (لَمَّا حَاصَرَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئاً، قَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ إنْ شَاءَ ٱللَّهُ»!! فَثَقلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ؟ ـ وَقَالَ مَرَّةً: «نَقْفُلُ»، فَقَالَ: «اُغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ». فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: **«إِنَّا قافِلُونَ غداً إنْ شَاءَ اللَّه»!! فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ)**.

[طرفاه في: ٦٠٨٦، ٧٤٨٠].

شرح الحديث

لمَّا حاصَرَ رسولُ اللَّه ﷺ الطائفَ، ثمانيةَ عشر يوماً، ولم تُفتح للمسلمين الطائفُ، قال للصحابة: **(إنَّا راجعون إلى المدينة غداً إن شاء اللَّه)**، فصعب الأمر على المسلمين، وقالوا: نرجع ولم تُفتح لنا الطائفُ!؟ وكرهوا أن يقبلوا النصيحة.

فقال لهم ﷺ: **(استعدّوا للقتال غداً)**، فنزلوا لقتالِ الأعداء، فأصابهم منهم قتلٌ وجراحات، وبلاءٌ عظيم!

فلمَّا رأى رسولُ اللَّه ﷺ ذلك، قال لهم: **(إنَّا راجعون إلى المدينة غداً إن شاء اللَّه!)** فلمَّا سمعوا منه ذلك، فرحوا وأرادوا أن يتعجَّلَ ﷺ بالرجوع، فعند ذلك ضحك رسولُ اللَّه ﷺ على ما رآه منهم، من سُرعة تغيير رأيهم.

لقد رأى رسولُ اللَّه ﷺ بنور النبوّة، وحِنْكتِهِ السياسية: أنَّ الوقتَ لم يَحِنْ لفتح الطائف، والمصلحةُ تقتضي أن لا يُعرَّضَ الجيشُ إلى الخطر، لتحصُّن المشركين في حصونهم، وقلَّة عدد رجاله، مع كثرة الأعداء، فلمَّا دعاهم إلى الرجوع كرهوا ذلك، ولمَّا أصابهم في اليوم التالي البلاءُ، تمنَّوْا أن يدعوهم الرسولُ ﷺ للرجوع مرة ثانية، فلمَّا قال لهم: إنَّا سنرجع إلى المدينة إن شاء اللَّه غداً، فرحوا فرحاً شديداً، فلذلك ضحك رسولُ اللَّه ﷺ، من ضعف الإنسان، وعدم تقديره للأمور، وصدق اللَّه العظيم ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

بابٌ (مَنِ انْتَسبَ إِلى غيْرِ أبيهِ فالجَنَّةُ عليْهِ حرَامٌ)

٤٣٢٦ ـ ٤٣٢٧ ـ عَنْ سَعْد بن أبي وقَّاص وَأَبي بَكْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّهما قَالَا: (سَمِعْنا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ، فَالجَنَّةُ عَلَيهِ حَرَامٌ»).

[طرفه في: ٦٧٦٦، ٦٧٦٧].

شرحُ الحديث

راوي هذا الحديث صحابيان هما: (سعدُ بن أبي وقاص) و(أبو بكرة) نُفَيعُ بنُ الحارث الثقفي.

أمَّا (سعد) فهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأمَّا (أبو بكرةَ) فقد أسلَمَ وهو محاصَرٌ في الطائف، فأراد أن يلحق برسول اللَّه ﷺ، فتسلَّق حِصْنَ الطائف، ونزل متدلياً بِبَكَرة، وعجز عن الخروج إلَّا بهذه الطريقة، فنزل إلى رسولِ اللَّه ﷺ، ومعه من العبيد ثلاثة وعشرون عبداً، فأعلنوا إسلامهم، ولذلك كُني (بأبي بكرة)!!

ما يُستفاد من الحديث

دلَّ الحديثُ على حرمة انتساب الشخص إلى غير أبيه، لأن فيه ضياعَ النسب وهو من الكبائر، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

وقولُه ﷺ: **(فالجنة عليه حرام)** أي محرَّم عليه دخول الجنة، وهو محمولٌ على تغليظ الفعل، مثل قوله ﷺ: **(من غشَّ فليس منا)** أو محمولٌ على حقيقته إذا استحلَّ ذلك، كما قال الإمامُ العيني رحمه اللَّه، وانظر عمدة القاري ١٧/ ٣٠٥.

وأمَّا الآخر: يعني ـ أبا بكرة ـ فَكَانَ تَسَوَّر حِصْنَ الطَّائِفِ فِي أُنَاسٍ، فَنَزَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ وعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ.

شرح الحديث

هذا الحديث فيه قولُ (عاصم) لأبي عثمانَ النَّهْديِّ: لقد شهد عندك رجلان حسبُك بهما ـ أي تكفيك شهادتهما ـ فذكر سَعْداً، وأبا بكرةَ، ومَدَحهُما، لمواقفهما البطولية في الحروب والغزوات.

باب (قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِبلَالٍ وأَبِي مُوسَى: (اقْبلَا البُشْرىٰ))!!

٤٣٢٨ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَ النَّبي ﷺ ـ وهُوَ نازِلٌ بالجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ ـ وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَأَتَى النَّبي ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلَا تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَني؟ فَقَالَ لَهُ: «أَبْشِرْ».

فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ، فَأَقْبَلَ ﷺ عَلَى (أَبِي مُوسى) وَ(بِلَالٍ) كَهَيْئَةِ الْغَضْبانِ، فَقَالَ: «رَدَّ البُشْرَى، فَٱقْبَلَا أَنْتُما». قَالا: قَبِلْنا، ثُمَّ دَعا بِقَدَحٍ فِيه ماءٌ، فغَسَلَ يَدَيْـهِ ووَجْهَهُ فِيـهِ، ومَجَّ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «ٱشْرَبا مِنْهُ، وَأَفْرِغا عَلَى وُجُوهِكُما وَنُحُورِكُما وَأَبْشِرَا»!! فَأَخَذَا الْقَدَحَ فَفعَلَا، فَنَادَتْ (أُمُّ سلَمَةَ) مِنْ وراءِ السِّتْرِ: أَنْ أَفْضِلَا لأُمِّكُما، فأَفْضَلَا لَها مِنْه طائِفَةً).

[طرفه في: ١٨٨].

شرحُ الحديث وتوضيحُ القصة

كان ﷺ يتألف قلوبَ بعض الأعراب ـ ممن هو حديثُ عهدٍ بالإسلام ـ ببعض العطايا من الغنائم، وجاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال له: أَلَا تحقِّق لي ما وعدتني به!؟ فقال له ﷺ: (أَبْشِرْ)، ومن جهل ذلك الأعرابي، وعدم معرفته بمقام النبوَّة، قال له مستبطئاً للعطاء: لقد أكثرتَ عليَّ من قولك: أَبْشِرْ، أَبشِرْ!؟ كأنه يصفه بالمماطلة والتسويف، ولذلك ظهر الغضبُ في وجه رسول اللَّه ﷺ!

فأقبل ﷺ على بلالٍ، وأبي موسى الأشعري فقال لهما: اقبلا البشرىٰ، فقد ردَّها الأعرابيُّ! فقالا: يا رسولَ اللَّه قَبِلْنا، قَبِلْنا!!

فدعا ﷺ بقدح فيه ماءٌ، فغسَل وجهه ويديه فيه، ثم تمضمض وطرح من فمه الشريف ما فيه من الماء، ثم قال لهما: اشربا من الماء، وصُبَّا على وجوهكما وصدوركما منه، وأبْشِرا بالخير العميم!! ففعلا.

ورأتْ أمُّ سلمةَ ـ زوجُ النبيِّ ﷺ ـ وهي من وراء الستارة، ما فعل بلالٌ وأبو موسى بالماء، الذي هو من بركة سيدنا رسولِ اللَّه ﷺ، فنادتهما: لا تنسيا أمَّكما من بركة هذا الماء، واتركا لها شيئاً من بقيَّة ذلك الماء، فاستجابا لطلبها، وتركا لها ما بقي في القدح، فأخذته فشربت منه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ النبيَّ ﷺ، كان يتألف قلوبَ الداخلين جديداً في الإسلام، ويقسم لهم من الغنائم.

الثاني: وفيه بيانُ جهل بعض الأعراب، فإنهم لبعدهم عن المُدُنِ، ومجالسِ العلم والتذكير، تصدر منهم كلماتٌ فيها غلظة وجفاء.

الثالث: وفيه فضيلةُ بلال، وأبي موسى الأشعري، حيث أسرعا لقبول البشارة من سيِّدنا رسولِ اللَّه ﷺ.

الرابع: وفيه التبركُ بآثار وضوءِ النبي ﷺ، وشرابه، والتبركِ بآثار الأنبياء والصالحين، فقد غسل ﷺ وجهه ويديه بالماء، وقال لأصحابه: **(اشربوا منه)** فشربوا، كما شربت منه أمُّ المؤمنين (أمُّ سَلَمة) رضي اللَّه عنها.

تنبيهٌ لطيف

دلَّ على التبرك بآثار الأنبياء، الصندوقُ الذي فيه (عصا موسى، وثيابُه، وبعضُ الألواح التي كُتبت فيها التوراةُ) قال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨] فالتبرُّك بآثار الأنبياء والصالحين، لا يُنكر، كما دلَّ عليه الحديثُ الشريف.

٤٣٢٩ ـ [طرفه في: ١٥٣٦]، تقدّم شرحُه.

٤٣٣٠ ـ [طرفه في: ٧٢٤٥]، انظر شرح الحديث رقم ٤٣٣٤.

٤٣٣١ ـ [طرفه في: ٣١٤٦]، تقدّم شرحُه في الحديثين ٣١٤٦ و٣١٤٧.

٤٣٣٢ ـ [طرفه في: ٣١٤٦]، تقدّم شرحُه في الحديثين ٣١٤٦ و٣١٤٧.

٤٣٣٣ ـ [طرفه في: ٣١٤٦]، وانظر شرحه هناك وفي الحديث ٣١٤٧.

بابُ (قِسمةِ النَّبيِّ ﷺ غنائمَ حُنَيْنٍ)

٤٣٣٤ ـ عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ ناساً مِنَ الأنْصَارِ فقَالَ: «إنَّ قُرَيْشاً حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيا وَتَرْجِعُونَ بِرَسولِ ٱللَّهِ ﷺ إِلَى بُيُوتِكُمْ»؟ قالُوا: بَلَى، قَالَ: «لوْ سَلَكَ النَّاسُ وادِياً، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصارِ، أَوْ شِعْبَ الأَنْصارِ»).

[طرفه في: ٣١٤٦].

شرح الحديث

هذا طَرَفٌ من حديث طويل رواه البخاري، وأصلُ الحديث (لمَّا كان يوم حُنين، أقبلتْ هوازنُ وغَطَفانُ بنَعَمِهم ـ أي مواشيهم ـ وذراريِّهم، لئلا يهربوا من المعركة، وقدم النبيُّ ﷺ ومعه عشرة آلاف، ومن الطُّلقاء الذين أطلق الرسولُ سَرَاحَهم ألفان، فلمَّا حدثت المعركة فرَّ المسلمون عنه، وبقي رسولُ اللَّه ومعه عدد قليل من الرجال، فنادى: **(يا معشرَ الأنصار)!!** فقالوا: لبَّيك يا رسولَ اللَّه، نحن معكَ، وبين يَدَيْك، فلمَّا اجتمعوا نزل ﷺ عن بغلته البيضاء، ثم قال: **(أنا عبدُ اللَّهِ ورسولُه! أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابنُ عبد المطلب)** فانهزم المشركون مولِّين الأدبار!

غنم المسلمون يوم حُنين مغانم كثيرة، فقسمها ﷺ بين المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصارَ منها شيئاً، فكأنهم وجدوا في أنفسهم شيئاً، فقالوا: إذا كانت شدَّةٌ وبلاءٌ دُعينا، وإذا كانت غنيمةٌ وعطاءٌ، أُعطِيَها غيرُنا!! فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فجمعهم في قُبَّة، ولم يدعْ غيرَهم، فخطبهم فقال لهم: **(يا معشر الأنصار ما حديثٌ بلغني**

عنكم؟) فسكتوا، فقال: (يا معشر الأنصار أمَا ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسولِ اللَّه إلى بيوتكم ورحالكم؟) قالوا: بلى رضينا، رضينا!!

فقال ﷺ: (لو سَلَك الناسُ وادياً، وسلكت الأنصارُ وادياً، لسلكتُ واديَ الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار، الناسُ دِثَارٌ، والأنصارُ شعار، إنكم ستلقَوْن بعدي أثرة فاصبروا)!!

أراد بالشِّعار: الثوبَ الذي يلي الجسد، وبالدِّثار: الثوبَ الذي يكون فوق الشِّعار، وهي كناية بديعة عن فرط قربهم منه ﷺ، كأنهم بطانتُه وخاصَّتُه عليه السلام.

وجاء في رواية في البخاري: أنَّ الرسول ﷺ جَمَعهم وخطب فيهم، فقال لهم: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلَّالاً، فهداكم اللَّه بي؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم اللَّه بي؟ وكنتم عالةً فأغناكم اللَّه بي)؟ كلَّما قال شيئاً، قالوا: اللَّهُ ورسولُه أمنُّ!! أي له المنَّة علينا والفضل!

ثم قال لهم: ما يمنعكم أن تُجيبوا رسولَ اللَّه ﷺ؟ وقال لهم: (لو شئتم لقلتم جئتنا كذا، وكذا ـ أي جئتنا مكذَّباً فصدَّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك ـ أَلَا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير، وتذهبون بالرسول إلى رحالكم؟ إني لأعطي رجالاً حديثي عهدٍ بكفر أتألفهم) الحديث، وانظر فتح الباري ٨/ ٥٤.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ عند اشتداد المعركة في (حُنَين)، دعا الرسول ﷺ الأنصارَ لنصرته، دون المهاجرين، لأنهم عاهدوه على نصرته، إذا هاجر إليهم.

الثاني: وفيه أنَّه قسمته لغنائم حنين، وإعطاءَه للمهاجرين، والمؤلفة قلوبهم، دون الأنصار، كان لمصلحة عظيمة، فالمهاجرون تركوا ديارهم وأموالهم، والطُّلقَاءُ كانوا حديثي عهدٍ بالإسلام، فتألَّفهم ﷺ بالعطاء. قَالَ الأَقْرعُ بْنُ حَابِس: (ما كان أحدٌ أبغض عندي من محمد، فما زال يعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليَّ!!).

وكان بعضهم يقول: (ادخلوا في الإسلام، فإنَّ محمداً ﷺ يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر)!!.

الثالث: وفيه حسنُ أدبِ الأنصار مع رسولِ اللَّه ﷺ، فما كان يقول لهم شيئاً، إلَّا قالوا: اللَّهُ ورسولُه له المنَّةُ علينا والفضلُ.

الرابع: وفيه قناعةُ الأنصار، بأنَّ ما تَركه لهم رسولُ اللَّه ﷺ، من عودتهم برسول اللَّه ﷺ إلى منازلهم، خيرٌ من كلِّ الدنيا، وكلِّ ما أُعطيه غيرهم من متاع، من الشاة والبعير.

الخامس: وفيه حكمةُ الرسول ﷺ، المُتَجَلِّيَة في إذهاب ما دخل إلى قلوب الأنصار، من حُزْنٍ على ما فاتهم من الغنائم، وذلك أسلوبُ من أُعطِيَ الحكمةَ، وفصلَ الخطاب!.

السادس: وفيه عَلَمٌ من أعلام النبوَّة، لقوله ﷺ: **(ستلقون أَثَرةً من بعدي)** وقد حدث ما قال عليه الصلاة والسلام.

٤٣٣٥ ـ [طرفه في: ٣١٥٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٣٦ ـ [طرفه في: ٣١٥٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٣٧ ـ [طرفه في: ٣١٤٦]، تقدّم شرحُه.

٤٣٣٨ ـ [طرفه في: ٣١٣٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (بَعْثِ النَّبيِّ ﷺ خالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إلَى «بَنِي جَذِيمَةَ»)

٤٣٣٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّه قال: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى بَني جَذِيمَةَ، فَدَعاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كانَ يَوْمٌ أَمَرَ خالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَٱللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيري، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ فَقَالَ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خالِدٌ»). مَرَّتَيْنِ، أي قالها مرتين.

شرح الحديث

بعث رسولُ اللَّه ﷺ بعد فتح مكة، إلى قبيلة بني جَذِيمةَ (خالدَ بنَ الوليد)

يدعوهم إلى الإسلام، وأرسل معه /٣٥٠/ ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، أرسله داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، فلمَّا دعاهم إلى الإسلام، جعلوا يقولون: (صَبأْنا صَبأْنا) ولم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا أسلمنا!!

فحمل خالدٌ قولَهم على أنهم باقون على الكفر، ولا يريدون الدخولَ في الإسلام، بينما كان غرضُهم أن يقولوا: أسلمنا، لأنهم كانوا يُسَمُّون من دخل في الإسلام صابئاً، فلمَّا لم يقولوا أسلمنا، أسرَ بعضَهم، وقَتلَ بعضهم، فلمَّا بلغَ ذلك النبيَّ ﷺ غضب، وقال: **(اللهمَّ إني أبرأ إليك ممَّا فعل خالد)**، قالها مرتين، ثم بعث علياً بمالٍ كثير، فوَدَاهم أي دَفَعَ ديةَ كل قتيل منهم.

قال الإمام الخطَّابي: أنكر ﷺ على خَالدٍ العَجَلةَ، وتَرْكَ التثبُّتِ في أمرهم، قبل أن يعلم المراد من قولهم: صبأنا.

ما يُستفاد من الحديث

في الحديث: الأول: وجوبُ عدم التعجل في الأمور، حتى يظهر للإنسان حقيقة ما يقصده القائل.

الثاني: وفيه جوازُ الحلف على نفي فعل الغير، إذا وثِقَ بمطاوعته، فإنَّ قولَ ابن عمر: لا واللَّهِ لا أقتل أسيري، لِيَقِينه بأنَّ خالداً سوف لا يُجْبِره على قتل الأسير.

الثالث: وفيهِ غضبُ النبيِّ ﷺ من عملِ خالدٍ، حتى اعتذر عند الرسول ﷺ.

الرابع: وفيه أنَّ الرسولَ ﷺ وَاسَاهُم، بدفع دية كل واحدٍ، إلى قومه وعشيرته.

باب (قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ دَخلُوا النَّارَ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْهَا»)

٤٣٤٠ ـ عَنْ عَليّ بن أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَٱسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَٱجْمَعُوا لِي حَطَباً، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَاراً، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ٱدْخلُوهَا، فَهَمُّوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضاً، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى

خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: **(لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ)**.

[طرفاه في: ٧١٤٥، ٧٢٥٧].

شرح الحديث

هذه قصة غريبة، تدعو إلى العَجَب، فإنَّ رسولَ اللَّه ﷺ أرسل أحد أصحابه وهو (عبدُ اللَّهُ بنُ حُذافة السَّهمي) أميراً على سريَّة، وأمرهم بطاعته، لأن طاعة الأمير طاعةٌ للَّه عزَّ وجل، كما قال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] أمَّا الأمير فقد غضب على بعضهم، وأراد أن يمتحنهم ـ وكانت فيه دُعَابةٌ ـ فقال لهم: أوقدوا ناراً، فأوقدوا النار، فقال لهم: أليس رسولُ اللَّه ﷺ أمركم بطاعتي؟ قالوا: بلى، فقال لهم: ألقُوا بأنفسكم في هذه النار!!

قال لهم ذلك ممازحاً، فأراد بعضهم أن يُلقي بنفسه، **وقال آخرون**: إنما فررنا إلى الإسلام، لننجو من النار، وأمسكوا بمن أراد أن يلقي نفسه فيها، فلمَّا رجعوا إلى رسول اللَّه ﷺ أخبروه بما فعل الأميرُ، فقال لهم ﷺ: **(لو دخلوا في النار، لاحترقوا فيها، ولم يخرجوا منها، إنما الطاعةُ بالمعروف)**.

تنبيه لطيف هام

ظنَّ بعضُ الصحابة، أنَّ أمر طاعة الأمير محمولٌ على حقيقته، فأرادوا أن يقتحموا النار، والحقيقةُ أنه كان ممازحاً، ولم يك جادًّا، بدليل ما جاء في بعض الروايات ـ وكانَتْ به دُعابة ـ ولو أرادوا أن يدخلوها حقيقةً، لَزَجَرهم أميرُهم ومنعهم، لأنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية اللَّه.

والنبيُّ ﷺ أصدر حكمَه في القضيَّة، ليوضِّح للناس أنَّ الطاعة للأمراء، إنما هي في المعروف، لا في المنكر، فمن أمر بمعروف، وجبت طاعتُه، ومن أمر بمنكر ومعصية، فلا طاعة له أبداً، ولهذا قال ﷺ: **(إِنَّمَا الطَّاعَةُ في المَعْرُوفِ)**!!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ طاعة الأمير الذي يتولى شؤون الناس، مخصوصة بما كان فيه

طاعةً للَّهِ ورسوله، لا على وجه العموم.

الثاني: وفيه جوازُ استعمال الدُّعَابة من الأمير، مع الأتباع والجنود، تنشيطاً لهم.

الثالث: وفيه وجوبُ التثبت، من غَرَضَ المتحدِّث، وأنه لا ينبغي التسرع في تنفيذ الأمر، حتى يدرك الإنسانُ الغرضَ منه.

الرابع: وفيه أن الإيمانَ باللَّه، ينجي من النار، لقولهم: إنما فررنا إلى النبي ﷺ لننجو من النار.

بابُ (بَعثِ أَبي مُوسَى ومُعَاذٍ إِلَى اليَمَن)

٤٣٤١ ـ [طرفه في: ٢٢٦١] انظر شرح الحديث القادم (٤٣٤٢).

٤٣٤٢ ـ عَنْ أبي مُوسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَهُ وَمُعاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى اليَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُما عَلَى مِخْلَافٍ.

قَالَ: وَاليَمَنُ مِخْلَافانِ، ثُمَّ قَالَ: (يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا).

فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما إِلَى عَمَلِه، وَكانَ كلُّ وَاحِدٍ مِنْهما إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ وَكانَ قَرِيباً مِنْ صَاحِبِهِ، أَحْدَثَ بِهِ عَهْداً فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيباً مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسى، فَجاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى ٱنْتَهى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جالِسٌ، وَقَدِ ٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ.

فَقَالَ لهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ ٱللَّهِ بْن قَيْسٍ أَيَّم هٰذا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، قَالَ: لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّما جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ فَأنْزِلْ، قَالَ: ما أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ.

فقَالَ: يَا عَبْدَ ٱللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقاً، قالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ ما كَتَبَ اللَّه لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي، كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي).

[طرفه في: ٤٣٤٥].

شرح الألفاظ

(عَلَى مِخْلَافٍ) المِخْلافُ: الإقليمُ والناحيةُ من البلد، واليمنُ مقسومةٌ إلى جزءين: (اليمنُ الشمالية)، و(اليمنُ الجنوبية)، فأرسل ﷺ معاذاً إلى جهة عَدَن، و(أبا موسى) لجهة صنعاء.

(أَحْدَثَ بِهِ عَهْداً) أي جدَّد به العهدَ لزيارته، فجعل (أبو موسى) يزور معاذاً، و(معاذٌ) يزور (أبا موسى) الأشعري.

(أَيِّم هذا)؟ أي مَنْ هذا الرجل؟ الذي رُبطت يداه إلى عُنُقه؟

(أتفوَّقُه تَفَوُّقاً) أي ألازمُ قراءةَ القرآن، ليلاً ونهاراً، شيئاً بعد شيء، ومرادُه: أنه لا يقرأ وِرْدَه من القرآن، دفعةً واحدةً، بل يقرأه متفرِّقاً في ساعات الليل والنهار، مأخوذ من فَوَاق النَّاقة، وهي أن تُحلب ثم تترك ساعة، حتى يَدِرَّ لبنُها، ثم تُحلب، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] أي ليس لها إلَّا مدة يسيرة.

(أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي) أي أطلبُ الثوابَ في راحتي، كما أطلبه في تعبي، والاحتسابُ: طلبُ الأجر والثواب، من اللَّه تعالى.

شرح الحديث

بعث سيِّدُنا رسولُ اللَّه ﷺ (أبا موسى الأشعري) إلى اليمن، وقال له: **(قد بعثتك إلى قوم رقيقةٍ قلوبهم، فقاتلْ بمن أطاعك من عصاك)!!** ثم أردفه بمعاذ بن جبل، وقال لهما ﷺ: (يسِّرا على الناس شؤونهم، ولا تتعاملا معهم بالعسر والتشديد، وادعوا الناسَ برفق ولين، إلى هذا الدين، ولا تكونا من المنفِّرين)، وأرسل كلَّ واحدٍ منهما إلى ناحيةٍ من اليمن.

زارَ معاذُ بنُ جَبَل أخاه «أبا موسى الأشعري» فوجد عنده رجلاً جُمعتْ يداه إلى عنقه، والناسُ مجتمعون حوله، وكان معاذ يركب على بغلة، فقام أبو موسى إليه، ودعاه إلى النزول، فسأله: من هذا الرجل؟ قال: إنه رجلٌ ارتدَّ عن دينه بعد إسلامه، فلم يقبل (معاذ) أن ينزل، حتى يُقتل ذلك المرتدُّ.

فأمر أبو موسى أن تُضرب عنقُه، فلمَّا قُتل، سأله معاذ: كيف تقرأ حِزْبك من القرآن؟ فأجابه: أقرأه متفرِّقاً في الليل والنهار، بين حِينٍ وحينٍ، ولا أقرأه متتابعاً دفعة واحدة!!

ثم قال له أبو موسى: وكيف تقرأه أنت؟ فأجابه: أنامُ أولَ الليل، ثم أستيقظُ،

فأقرأ ما كتب اللَّه لي أن أقرأ، ثم أصلِّي وأنام، وأطلب من اللَّه ثوابَ نومي، كما أطلبُ منه ثواب قراءتي، لأن المؤمن إذا قصد بنومه التقوِّي على طاعة اللَّه، حصل له الأجرُ الثواب.

قال الحافظ ابن حجر: واستُدلَّ بالحديث الشريف، على أنَّ (أبا موسى) كان عالماً فَطِناً حاذقاً، ولولا ذلك لم يولِّه الرسولُ ﷺ الإمارة، ولهذا اعتمد عليه (عمَرُ)، ثم (عثمانُ)، ثم (عليٌّ)، وأمَّا الروافضُ فطعنوا فيه، ونسبوه إلى الغفلة، وعدم الفطنة، لِمَا صَدَر منه من أمر التحكيم في صِفِّين، وقد أدَّاه اجتهادهُ إلى أن يجعل الأمرَ شورى، بين أكابر الصحابة، من أهل بدر، لِمَا شاهده من الاختلاف الشديد، بين الطائفتين بصفِّين. اهـ فتح الباري ٨/ ٦٨.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه مشروعيةُ زيارة المسلم لأخيه المسلم، لِمَا في الزيارة من الأجر العظيم.

الثاني: وفيه أنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ليس فيه عُسر، ولهذا أوصى الرسولُ أصحابَه بقوله ﷺ: (**يسِّرُوا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**).

الثالث: وفيه أنَّ حكم المرتدِّ القتلُ، يُستتابُ، فإن لم يَتُب قُتِل حدًّا، للحديث الشريف: (**مَنْ بدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلُوه**) ولهذا لم يرض (معاذٌ) أن ينزل عن دابته، حتى يُقتل ذلك الرجل المرتدُّ، ولحديث: (لا يَحِلُّ دَمُ امرِئٍ مُسْلِمٍ إلَّا بإحدى ثلاث) وَذَكَر فيه: (والتاركُ لدينه، المفارقُ للجماعة).

الرابع: وفيه فِقهُ كلِّ واحدٍ من (أبي موسى) و(معاذ بن جبلٍ) في تلاوة القرآن وحفظه، ولكلِّ واحدٍ طريقتُه في الحِفْظ، لكتاب اللَّه تعالى، وكلٌّ منهما على منهج سديد ومصيب، ومرادُ أبي موسى: أنه يلازم قراءةَ القرآن، ليلاً ونهاراً، ساعةً بعدَ ساعة.

الخامس: وفيه وصيَّةُ الرسولِ ﷺ لعمَّاله بالتيسير، وعدم التعسير، لحديث: (**إنَّ هذا الدينَ يسرٌ، ولن يشادَّ الدينَ أحد إلَّا غلَبَه**) وواجبُ الملوك والأمراء، الأخذُ بهذا التوجيه الرشيد.

الثالث: وفيه أنَّ بعْثَ (أبي موسى الأشعَرِيّ) إلى اليمن، لأنه كان من أهل اليمن، وإرسالُ أميرٍ إلى أهلِ بلدٍ، هو من أهل بلدهم، أنسبُ وأصلح، لأنه يعرف أخلاقَ وطبائع أهل بلده، واللَّه أعلم.

بابٌ (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)

٤٣٤٣ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَن النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا!! فَقَالَ: «وما هِيَ»؟ قَالَ: الْبِتْعُ، وَالمِزْرُ، فَقُلْتُ لأبِي بُرْدَةَ: ما الْبِتْعُ؟ قالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالمِزْرُ: نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

[طرفه في: ٢٢٦١].

شرح الحديث

لمَّا بعثَ رسولُ اللَّه ﷺ (أبا موسى الأشعري) عاملاً له على أهل اليمن، قال له أبو موسى: يا رسول اللَّه أخبرني عن شَرَابيْن، كنَّا نصنعهما باليمن؟ وهما: (البِتْعُ) وهو نبيذُ العسل، يُترك العَسَلُ حتى يشتَدَّ أي يُصبح له حُرقةٌ في الحَلْق ـ وهي علامةُ السُّكْر ـ و(المِزْرُ) وهو من الشعير يُنبذ حتى يشتدَّ؟

ولمَّا كان رسولُ اللَّه ﷺ قد أُعطي جوامع الكَلِم، لم يذكر له حكمَهُما خاصة، بلْ أعطاه حكماً عاماً، يشمل كلَّ ما يغيِّرُ طبيعةَ الشيء، من طعام، وشراب، فقال له ﷺ: **(كلُّ مسكر حرام)** وهذا ما يُسمَّى (بالأسلوب الحكيم) في إجابة السائل، فقد دخل في الجواب: كلُّ ما أسكر من شراب.

ويستفاد منه حرمةُ كلِّ مسكرٍ، من أيِّ نوع من أنواع الأشربة، فليس السُّكر خاصاً بما هو من عصير العنب!.

٤٣٤٤ ـ [طرفه في: ٢٢٦١]، تقدّم شرحُه.

٤٣٤٥ ـ [طرفه في: ٤٣٤٢]، تقدّم شرحُه.

٤٣٤٦ ـ [طرفه في: ١٥٥٩]، تقدّم شرحُه.

٤٣٤٧ ـ [طرفه في: ١٣٩٥]، تقدّم شرحُه.

٤٣٤٨ ـ انظر شرحه من خلال النص.

بابُ (بَعْث عَلِيٍّ وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ إِلَى اليَمَنِ)

٤٣٤٩ ـ عَنِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قالَ: (بَعَثنا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ مَعَ خالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ! قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًا بَعْدَ ذَلِكَ مَكانَهُ، فَقَالَ: «مُرْ أَصْحَابَ خَالِدٍ، مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقِّبْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُقْبِلْ»!! فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَّبَ مَعَهُ، قَالَ: فغَنِمْتُ أَوَاقِيَّ ذَوَاتِ عَدَدٍ).

شرح الألفاظ

(يُعَقِّبْ) أي يبقى ويستمر مع الأمير الثاني، للجهاد في سبيل اللَّه، أو يرجع إلى وطنه، بعد انتهاء مدته.

شرح الحديث

كان الرسولُ ﷺ يرسل المجاهدين، في غزوة إلى جهةٍ معيَّنة، ومدة معلومة، فإذا انقضت مدَّتُهم، بَعَثَ غيرَهم، فكان ﷺ يقول: **(من كان يحبُّ أن يرجع إلى معسكره، فلا حرج عليه)**، وهذا هو التعقيبُ الذي أشار إليه الحديثُ الشريف.

وكان رسول اللَّه ﷺ قد بعث (خالد بنَ الوليد) إلى اليمن، ثم بعث (عليَّ بن أبي طالب) مكانه، وقال له: مُرْ أصحابَ خالد، من شاءَ منهم أن يبقى تحت إمارتي فلْيبق، ومن أراد أن يرجع إلى وطنه فلْيرجع!!

قال البراءُ: فكنتُ ممن عقَّب معه أي رجع للجهاد مع عليٍّ، فغنمتُ مغنماً كبيراً.

وما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنه لا ينبغي أن يطول زمنُ المجاهد، بعيداً عن أهله مدَّةً طويلة، وأن يغيِّر الخليفةُ الجندَ، فيرسلَ جماعةً مكانَ جماعة، وفئةً بعد فئة.

الثاني: وفيه أنَّ الصحابة جميعاً، كانوا يخرجون للجهاد في سبيل اللَّه، جماعةً بعد جماعة، ولذلك نشروا دينَ اللَّه في الأرض، ودخل الناسُ في الإسلام، بجهادهم وتضحيتهم.

تنبيه لطيف

رُوي أنَّ سيدنا عمر رضي اللَّه عنه، مرَّ على امرأةٍ في عهد خلافته، وهو يطوف ليلةً بالمدينة، فسمعها تنشد أبياتاً، فيها حنينٌ إلى زوجها، الذي غاب عنها مدة طويلة، وتقول في جملة ما تقول:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ واسْوَدَّ جَانِبُهْ ... وَأَرَّقَنِي أَنْ لا حَبِيبَ أُلَاعِبُهْ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لا شَيْءَ غَيْرُهُ ... لَزُعْزِعَ مِنَ هَذَا السَّرِيرُ جَوَانِبُهْ
مَخَافَةُ رَبِّي وَالحَيَاءُ يَكُفُّنِي ... وَإِكْرَامُ زَوْجِي أَنْ تُنَالَ مَرَاكِبُهْ

فلمَّا كان الصباحُ، سأل عن المرأة أين زوجها؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، لقد بعثتَه مع جندٍ إلى العراق، فاستدعى بعضَ النساء، فسألهنَّ كم تصبرُ المرأة على فراق زوجها؟ فقلن له: تصبر شهراً، وشهرين، ويقلُّ صبرُها في ثلاثة أشهر، وينفدُ صبرُها في أربعة أشهر!!

فجعَل عُمرُ رضي اللَّه عنه مدةَ غزو الرجل أربعة أشهر، فإذا مضت المدَّةُ استردَّ المجاهدين، وبعثَ مكانَهم جماعةً آخرين.

قال القرطبي: وهذا يقوِّي مدة الإيلاء بأربعة أشهر في قوله سبحانه ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]. اهـ وانظر جامعَ أحكام القرآن للقرطبي ٣/ ١٠٨ وروائع البيان للصابوني ١/ ٢٩٠، وتفسير ابن كثير ١/ ٦٩.

بابُ (بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيًّا لِيَقْسِمَ الخُمُسَ)

٤٣٥٠ - عَنْ بُرَيْدَةَ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا إِلَى خَالِدٍ لِيَقْبِضَ الخُمُسَ، وَكُنْتُ أُبْغِضُ عَلِيًّا، وَقَدِ ٱغْتَسَلَ، فَقُلْتُ لِخَالِدٍ: أَلَا تَرَى إِلَى هٰذَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «يَا بُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ

عليًّا»؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «لَا تُبْغِضْهُ، فَإِنَّ لَهُ فِي الخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»).

توضيح معنى الحديث

يَحْكي لنا الصحابيُّ «بُرَيْدةُ الأَسْلَميُّ» وهو ممن بايعَ رسولَ اللَّه ﷺ (بيعةَ الرضوان) أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ أرسل (عليَّ بن أبي طالب) إلى خالدِ بنِ الوليد وهو باليمن، ليقبض خُمُس الغنيمة، وظنَّ بُريدةُ أنَّه غلَّ من الغنيمة، ورآه في الصباح وقد اغتسل، فعرف أنه وَطِئَ الجاريةَ، فلذلك أبغضه، فقال لخالد: أَلَا ترى ما فعلَ عليٌّ!؟

فلمَّا رجع الناسُ إلى المدينة، دخل بُريدة الأسلميُّ على رسول اللَّه ﷺ، فأخبره بما فعل (عليٌّ) رضي اللَّه عنه، وأخبره أنه صار يبغضُه لهذا العمل!!

فقال له الرسولُ ﷺ: (لا تَعْجلْ، ولا تُبْغضْه، فإنَّ ذلك حقٌّ له، وقد أخذ عليٌّ أقلَّ من حقِّه، فوالذي نفسي بيده، لنصيبُ آلِ عليٍّ في الخُمُس، أكثرُ من الذي أخذه)!!

قال بُريدة: فعرفتُ أنه ليس بغلول، وأنَّ هذا حقٌّ من حقوق آل بيت النبيِّ ﷺ، فما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من (عليٍّ) رضي اللَّه عنه.

قال الحَافِظُ ابنُ حَجَر: إنما أَبغَضَ الصحابيُّ علياً، لأنه رآه أخذ من المغنم، فظنَّ أنه غلَّ، فلمَّا جاء إلى رسول اللَّه ﷺ أعلَمَه النبيُّ ﷺ أنه أخذ أقلَّ من حقِّه، رجع بُريدةُ فأحبَّه.

قال ابن حجر: ويؤخذ من الحديث: جوازُ التسرِّي على بنتِ رسولِ اللَّه ﷺ، بخلاف التزوُّجِ عليها.

وفي رواية: أنَّ النبي ﷺ قال له: والذي نفسُ محمد بيده، لنصيبُ آل عليّ في الخُمُسِ أفضلُ من وصِيفةٍ!! ـ أي جارية ـ قال: فما كان أحدٌ من الناس أحبَّ إليَّ من عليٍّ. اهـ فتح الباري ٨/ ٦٧..

بابُ (قِصَّةِ ذِي الخُوَيْصِرَة التَّمِيمِيّ)

١٠٣٥٤ ـ عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي

طَالِبِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ ابْنِ حابِسٍ، وَزَيْدِ الخَيْلِ، وَالرابعُ: إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِه: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهٰذَا مِنْ هٰؤلاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ: «أَلَا تَأمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَساءً»!!

قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ٱتَّقِ ٱللَّهَ، قَالَ: «وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ ٱللَّهَ»!؟ قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ.

قَالَ خالِدُ بْنُ الوَلِيدِ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: «لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي». فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ ما لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»!!

قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هٰذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللَّهِ رَطْباً، لَا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ ٱلدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ـ وَأَظُنُّهُ أَنَّه قَالَ ـ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ».

[طرفه في: ٣٣٤٤].

شرح الألفاظ

(بعث بِذُهَيْبَةٍ) أي بقطعةٍ ذهبية من الغنائم التي غنمها المسلمون في اليمن، تصغيرُ ذَهَبَة.

(في أديم مقروظ) أي في جلدٍ مدبوغ بالقَرَظِ، وهو ورقُ شجرٍ يُدبغ به الجلودُ.

(لم تحصل من ترابها) أي لم تَخْلُص من ترابها، بمعنى أنها سبيكةٌ ذهبية، ليست صافية من الشوائب.

(غائر العينين) أي عيناه داخلتان في محاجرهما، كأنهما ملتصقتان بحدَقَةِ العين، وذلك دليلُ الشؤم.

(مشرف الوجنتين) أي بارزُ الخدَّين، والوجْنَةُ: هي لحمُ الخدِّ الذي فوق الحنَك.

(نَاشِزُ الجَبْهَة) أي مرتفعُ الجبين، وعريضُه.

(كَثُ اللِّحْيَةِ) أي كثير شعر اللحية، دون تهذيب ولا تشذيب.

(مُشَمَّر الإِزَار) أي مرتفع الإزار كثيراً عن الكعب.

(مَحْلُوقُ الرَّأْسِ) شعرُ رأسه محلوق، وكانت طريقةُ الخوارج، حلْقَ جميع رؤوسهم.

(أَنْ أُنَقِّبَ) أي لستُ مأموراً أن أفتِّش قلوبَ الناس، وأَبْحثَ عمَّا فيها، بل آخذهم بالظاهر.

(وَهُوَ مُقَفٍ) أي نظر إليه الرسولُ ﷺ، وهو مولٌ ظهرَه يريد الانصرافَ، بعد أن نطق بتلك السفاهة والبذاءة.

(مِنْ ضِئْضِئِ) أي يخرج من نسلِ هذا الرجل وعَقِبه، قومٌ يتلون كتابَ اللَّه، ولا يجاوز حلوقهم، يتلونه بلسانهم، ويخالفونه بأعمالهم.

(يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ) أي يخرجون من الإسلام، كما يخرج السهم من وَتَره.

شرح الحديث

لمَّا كان عليُ بن أبي طالب في اليمن، وقد بعثه ﷺ ليأتي له بالخُمُس من الغنائم، أرسلَ لرسول اللَّه ﷺ (قطعةً ذهبيةً) ثمينة، فقسمها ﷺ بين أربعةٍ من المؤلفة قلوبُهم، فغضبتْ قريش وبعضُ الأنصار، وقالوا: يعطي صناديد أهلِ نجد ويَدَعنا!! - أي يعطي رؤوس الكفر وطواغيتَها ويحرمنا منها؟ - فأخبرهم ﷺ أنه إنما يعطيهم، ليتألف قلوبهم، ويحبِّبهم في الإسلام!!

وبينما رسول اللَّه ﷺ مع القوم، يقسم بعض الغنائم، إذْ قام رجلٌ من الخوارج - يزعم الإسلامَ - فقال: يا رسولَ اللَّه! اتَّقِ اللَّه في قسمتك، واعدلْ فإنك لم تَعْدِل! فأجابه ﷺ بقوله: (ويلك، إذا لم أعدلْ فمن يعدل؟ ألستُ أنا أحقَّ الناس بتقوى اللَّه، والعدلِ بين الناس؟).

أراد خالدُ بنُ الوليد أن يضرب عنقه، واستأذن النبيَّ ﷺ في ذلك فنهاه، وقال له: لعلَّه يصلِّي!؟ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.!

ولمَّا انصرف هذا الخارجيُ المنافقُ، قال ﷺ لأصحابه: (إنه يخرج من نسل هذا الرجل، أناسٌ سفهاءُ، يقرؤون القرآن، غضًّا طريًّا، يُكْثِرون من تلاوته، ولكنَّه لا يجاوزُ حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، يمرقون من الدِّين،

كما يمرق سهم الرَّامي سريعاً من وتَرِه، لئن عشتُ إلى زمانهم، لأقتلنَّهم قتل عادٍ، لأنهم كفرة، وإن ادَّعَوْا الإسلامَ، وقرؤوا القرآن).

قال البدرُ العيني: فإن قيل: إذا كان قتلُهم جائزاً، فلِمَ منع النبيُّ ﷺ خالداً من قتله؟

فالجواب: لعلمه ﷺ أنه سيجري قضاءُ اللَّه فيه، حتى يخرج من نسله من يستحقُّ القتل، بكفرهم، وسوء أفعالهم، ليكون قتلُهم عقوبة لهم. اهـ عمدة القاري ٩/١٨.

وقال القرطبي: إنما مَنَعَ ﷺ من قتله ـ وإن كان قد استوجب القتل ـ لئلا يتحدَّث الناسُ بأنه يقتل أصحابه. انتهى.

وفي هذا الحديث من أعلام النبوَّة، فقد خرج من الخوارج من كفَّروا الصحابةَ، وكفَّروا المسلمين واستحلُّوا دماءهم، وأولُ ظهورهم في زمن الخليفة الراشد «عليِّ بن أبي طالب» حيث رفضوا قبولَ التحكيم، وقالوا: لا حُكْمَ إلَّا للَّه!! وقد قتل منهم (عليٌّ) رضي اللَّه عنه من قَتَل، ولا يزال شرُّهم حتى زماننا، فإننا نجد من بقايا هؤلاء الرافضة الخوارج، من يكفِّر المسلمين، ويستحلُّ قتلَهم، وسلْبَ أموالهم، كما هو مشاهد في عصرنا، في العراق، والجزائر، وغيرها من البلاد الإسلامية، قَطَع اللَّه دابرهم، ونجَّى المؤمنين من فتنتهم وشرِّهم، بعزَّته وقوَّته وجبروته، إنه سميع مجيب الدعاء!!

٤٣٥٢ ـ [طرفه في: ١٥٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٣٥٣ و٤٣٥٤ ـ [طرفه في: ١٥٥٨]، تقدّم شرحُه.

٤٣٥٥ ـ [طرفه في: ٣٠٢٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٥٦ ـ [طرفه في: ٣٠٢٠]، تقدّم شرحُه.

٦٧ باب (غَزْوَةِ ذي الخَلَصَةِ)

٤٣٥٧ ـ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه البَجَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال له: «ألَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ»؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ

فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكانُوا أَصْحابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلى الخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنبيِّ ﷺ، فَضَرَبَ يَدَهُ عَلى صَدْرِي، حَتَّى رأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقالَ: «ٱللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَٱجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا»!! قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ.

قَالَ: وَكانَ ذُو الخَلَصَةِ بَيْتاً بِالْيَمَنِ، لِخَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ، فِيهِ نُصُبٌ تُعْبَدُ، يُقالُ لَهُ الكَعْبَةُ، قَالَ: فَأَتَاهَا فَحَرَّقَها بِالنَّارِ، وَكَسَرَهَا.

قَالَ: وَلمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ الْيَمَنَ، كانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلَام، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ هاهُنا، فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ، قَالَ: فَبَيْنَما هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فَقَالَ: لَتَكْسِرَنَّها وَلَتَشْهَدَنَّ: أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّه، أَوْ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ؟ قَالَ: فكَسَرَهَا وشَهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رَجُلاً مِنْ أَحْمَسَ يُكْنَى (أَبا أَرْطاةَ) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُبَشِّرُهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، ما جِئْتُ حَتَّى تَرَكْتُها كَأَنَّها جَمَلٌ أَجْرَبُ! قالَ: فَبَرَّكَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحمَسَ وَرِجالِها، خَمْسَ مَرَّاتٍ).

شرح الألفاظ

(ذو الخلصة): هو بيتٌ في اليمن، فيه أصنامٌ تُعبد من دون اللَّه، وخصَّ جريراً بهذا الأمر، وهو الذي هَدَمَها، لأنها كانت في بلادِ قومه، وكان جريرٌ من سادتهم وأشرافهم، وقد دعا له رسولُ اللَّه ﷺ فقال: **(اللهُمَّ اجْعَلْه هَادِياً مَهْدِياً)**.

(يستَقْسِم بالأزْلام) الأزلامُ: أقداحٌ ثلاثة، كانوا يستشيرون فيها آلهتهم، مكتوبٌ **على أحدها**: (أمرني ربِّي)، **وعلى الثاني**: (نهاني ربي)، **وعلى الثالث**: فراغٌ، لا يكتب فيه شيء، فإذا خرج الثالثُ، أعاد القُرعة، حتى يخرج (أمرني) أو (نهاني) وذلك من سَفَهِ أهل الجاهلية، كأنَّ هذه الحجارةَ لها عقلٌ وفهم، ترشدهم إلى ما فيه الخيرُ لهم. ولهذا حرَّمها القرآن ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [المائدة: ٣] وجعلها رِجساً من عمل الشيطان، في قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

شرح الحديث

جريرُ بنُ عبد اللَّه البَجَلي، صحابيٌ جليل من أهل اليمن، ولمَّا قدم جريرٌ على

النبيِّ ﷺ ليُسلِم، أكرمه ﷺ، وبسط له رداءه، لأنه كان سيِّداً في قومه، وقال لأصحابه: (إذا أتاكم كريمُ قوم فأكرموه)، وكان جرير يقول: ما حَجَبني رسولُ اللَّه ﷺ منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلَّا ضحك!!

وكان عندهم في اليمن بيتٌ يُقال له: ذو الخَلَصة، فيه أصنام يعبدونها من دون اللَّه، فقال له الرسولُ ﷺ: (أَلَا تُريحُني من هذا البيت، فتهدمه، وتكسر ما فيه من الأصنام؟) وكانوا يسمُّون هذا البيت «الكعبة اليمانية» فذهب (جرير) ومعه مائةٌ وخمسون فارساً، فكسروا الأصنام، وقتلوا من كان فيها، يعبدها من دون الرحمٰن، ورجعوا يبشِّرون رسولَ اللَّه بذلك، فدعا رسول اللَّه ﷺ لجرير، ولقبيلته (أَحْمسَ)، وباركَ في رجال أَحْمَس، وخيلِهَا، خمسَ مرات.

وجاء في هذا الحديث: أن جريراً رضي اللَّه عنه، رأى رجلاً يستقسم بالأزلام، فجاء إليه، وقال له: لقد ظهر رسولُ اللَّه ﷺ، فإن رآك تفعلُ ذلك قَتَلَكَ، واللَّهِ لتكسرنَّها، وَلَتَشْهدنَّ (أن لا إلٰه إلا اللَّهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللَّه) أو لأضربنَّ عُنقك!! فكسر الرجلُ الأقداحَ، (وشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه) فأنقذه اللَّه بذلك من القتل، وحَسُن إسلامُ الرجل الذي كان يعبد الأوثان.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه فضلُ ركوب الخيل في الحرب، فإنَّ الخيلَ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، كما جاء في الحديث الصحيح.

الثاني: وفيه البشارةُ في الفتوح، والنصر على أعداء الدِّين، فقد بُشِّر النبيُّ ﷺ بِحَرْقِ وتكسيرِ بيت الأصنام، وأكرمَ النبي ﷺ من فعَلَ ذلك!!

الثالث: وفيه بيانُ تحريم الاستقسام بالأزلام، وأنَّ هذا من عادات الجاهلية.

الرابع: وفيه منقبةٌ عظيمة لـ(جَرِير بْن عَبْدِ اللَّه البَجَلِي)، حيث دعا له الرسول ﷺ، بأن يجعله اللَّهُ هادياً مهدياً.

٤٣٥٨ ـ [طرفه في: ٣٦٦٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ذَهَابِ جَرِيرٍ إِلَى اليَمَنِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ)

٤٣٥٩ ـ عَنْ قَيْسٍ عَنْ جرِيرِ بن عَبْد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (كُنْتُ بِالْيَمَنِ، فَلقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ: ذَا كَلَاعٍ، وَذَا عَمْرٍو، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي ذُو عَمْرٍو: لَئِنْ كانَ الَّذِي تَذْكُرُ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكَ، لَقَدْ مَرَّ عَلَى أَجَلِهِ مُنْذُ ثَلَاثٍ!!

وَأَقْبَلَا مَعِي حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي بَعْض الطَّرِيقِ، رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ المَدِينَةِ فَسَأَلْناهُمْ، فقَالُوا: قُبِضَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ، وَٱسْتُخْلِفَ أَبُو بكْرٍ، وَالنَّاسُ صَالِحُونَ. فَقَالَا: أَخْبِرْ صاحِبَكَ أَنَّا قَدْ جِئْنا وَلَعَلَّنا سَنَعُودُ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ، وَرَجَعَا إِلَى الْيَمَنِ، فَأَخبَرْتُ أَبَا بَكْرٍ بِحَدِيثِهِمْ، قَالَ: أَفَلَا جِئْتَ بِهِمْ!!

فَلَمَّا كانَ بَعْدُ قَالَ لِي ذُو عَمْرٍو: يَا جَرِيرُ إِنَّ بِكَ عَلَيَّ كَرَامَةً، وَإِنِّي مُخْبِرُكَ خَبَراً: إِنَّكُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ، لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ، مَا كُنْتُمْ إِذَا هَلَكَ أَمِيرٌ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ، فَإِذَا كَانَتْ بِالسَّيْفِ، كَانُوا مُلُوكاً، يَغْضَبُونَ غَضَبَ المُلُوكِ، وَيَرْضَوْنَ رِضَا المُلُوكِ).

شرح الألفاظ

(ذُو الكَلَاعِ، وذُو عَمْرو) هما من ملوك اليمن، أَقْبَلا يريدان المدينة المنوَّرة، للدخول في الإسلام، فلمَّا بلغهما وفَاةُ النبي ﷺ، رجعا إلى اليمن، ثم هاجرا إليها في زمن عمر.

(مرَّ عَلَى أَجَلِهِ ثَلَاثٌ) أي توفّي النبيُّ ﷺ منذُ ثلاثة أيَّام.

شرح الحديث

كان رسولُ اللَّه ﷺ قد بعث (جريرَ بن عبد اللَّه) إلى اليمن، ليدعو رجلين عظيمين، من عظماء اليمن إلى الإسلام، اسمُ أحدهما (ذو كَلَاع) واسم الآخر (ذو عَمْرو)

وكانا من ملوك اليمن، فذهب (جرير) ودعاهما إلى الإسلام، وعرض عليهما محاسنَ دين الإسلام، فأسلَمَا وعزما على التوجه معه إلى المدينة، وكان يحدِّثُهما عن النبيِّ ﷺ، وكيف انتشرت دعوتُه؟ وفُتحت له مكة، ودخل الناس في دين اللَّه أفواجاً؟!

وكان قد مضى على إسلامهما معه أيام، فلمَّا مضيا في الطريق من اليمن إلى المدينة، وهو يتحدث معهما، قال له (ذو عَمْرو) ـ وكان له اطِّلاع في الكتب القديمة، عن خروج خاتم المرسلين ﷺ ـ **قال لجرير**: إن كان ما تقوله حقاً، فإنَّ الذي تحدثني عنه، مضى على وفاته ثلاثةُ أيام!

ثم جاء ركْبٌ من المسافرين، فسألوهم عن الأمر، فأخبروهم أنَّ رسول اللَّه ﷺ قد انتقل إلى جوار ربه، وصار (أبو بَكْرٍ) خليفةً من بعده، وقد اجتمع الناسُ عليه، وهم بخير واتفاق!!

وقال له (ذو عمرو): أخبر صاحبك (أبا بكر) أنَّا قد عزمنا على المجيء للمدينة، ولعلَّنا نأتيه بعد ذلك، إن شاء اللَّه تعالَى.

ما يستفاد من الحديث

في الحديث الشريف: أنَّ أهل اليمن كانوا أسرعَ إلى الاستجابة من غيرهم لدعوة الإسلام.

وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ أرسل إلى أهل القرى والمدن، من يدعوهم إلى الإسلام، الذي أُمر المسلمون بتبليغه للناس.

بابُ (غَزْوَةِ سَيْفِ البَحْرِ)

٤٣٦٠ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (بَعَثَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بَعْثاً قِبَلَ السَّاحِلِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ، وَهُمْ ثَلاثُمِائَةٍ، فَخَرَجْنا وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَنِيَ الزَّادُ، فَأَمَرَ (أَبُو عُبَيْدَةَ) بِأَزْوَادِ الجَيْشِ فَجُمِعَ، فَكَانَ مِزْوَدَيْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَقُوتُنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى فَنِيَ، فَلَمْ يَكُنْ يُصِيبُنَا إِلَّا تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ، فَقُلْتُ: ما تُغْنِي عَنْكُمْ تَمْرَةٌ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنا فَقْدَها حِينَ فَنِيَتْ، ثُمَّ

ٱنْتَهَيْنا إِلَى ٱلْبَحْرِ، فَإِذَا حُوتٌ مِثْلُ الظَّرِبِ، فَأَكلَ مِنْهَا الْقَوْمُ ثَمان عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِضِلَعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنُصِبا، ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَةٍ فَرُحِلَتْ، ثُمَّ مَرَّتْ تَحْتَهُما فَلَمْ تُصِبْهُما).

[طرفه في: ٢٤٨٣].

شرح الألفاظ

(بعَثَ بَعْثاً) أي أرسل ﷺ سريةً من المسلمين، قوامُها ثلاثمائةِ رجلٍ، وجَعَل (أبا عُبَيْدَة) أميراً عليهم.

(قِبلَ السَّاحِلِ) أي جهة ساحل البحر، لنتلقَّى عيراً لقريش، كانت قادمةً بتجارة من الشام.

(فَنِيَ الزَّادُ) أي لم يبق عندنا من الزاد في سفرنا، إلَّا القليلُ من الطعام.

(مِزْوَدَيْ تَمْرٍ) أي أمر (أبو عُبيدة) بجمع ما عند الجنود من الطعام، فبلغ ما عندهم مقدارُ وعاءين كبيرين من التمر.

(فكانَ يَقُوتُنا) أي فكان الأميرُ يعطي كل واحدٍ منا تمرةً في اليوم، فقيل له: ماذا كانت تُغنيكم؟ فأجاب: كنا نمصُّها كما يَمصُّ الصبيُّ ثَدْيَ أمه، فلما نفد جميع ما عندنا، وجدنا فَقْدَها مؤثراً علينا كثيراً.

(حُوتٌ مِثْلُ الظَّرِبِ) أي حوتٌ مثلُ الجَبل الصغير، رمى لنا به البحرُ.

وجاء في بعض روايات البخاري: فألقى لنا البحر دابةً يُقال لها: العنبرُ، كهيئة الكثيب الضخم ـ أي مِثْلَ التلِّ المرتفع من الرمل ـ فأكل منه القوم مدة شهر، ثم أمر (أبو عُبيدة) بضِلْعين من أضلاع الحوت، ومرَّتْ راحلةٌ ـ أي دابة ـ بينهما فلم تمسَّهما، وهو بيان لعظم ضخامة هذا الحوت، الذي أكرمهم اللَّه به.

شرح الحديث

هذا الحديثُ أمرُه عجيبٌ وغريبٌ، فهؤلاء أصحابُ رسول اللَّه ﷺ، خرجوا دعاةً مجاهدين في سبيل اللَّه، لم يجد الرسولُ ﷺ ما يزوِّدهم به من الطعام، إلَّا كيساً من التمر، لم يكن عنده غيرُه، وقد حملوا معهم شيئاً من الزاد، فلمَّا قلَّ الزادُ، وكاد

أن ينفد الطعامُ، صار أميرهم (أبو عُبَيْدة) يُعطي الواحد منهم في اليوم تمرةً، يمصُّونها كما يمصُّ الصبيُّ ثَدْي أمه، ويأكلون بدل الخبز، وَرَقَ الشجر، حتى تشقَّقتْ أشداقُهم، حتى أخرج اللَّه لهم حوتاً ضخماً، قذف لهم به البحْرُ.

ومع هذا الجوع، ومَعَ الشدَّة، والضِّيق، فتحوا العالَم، وملكوا الدنيا، ونحن اليومَ مع كثرة الخيرات، والنِّعم، وكثرة الأموال، قد أضعنا أرضَ فلسطين، لأننا تركنا (الدعوةَ إلى اللَّه)، لننقذ العالم من الجهالة والضلالة، وتركنا (الجِهَادَ في سبيل اللَّه)، فسلَّط اللَّه علينا أذلَّ الأمم، وأحقرَ الشعوب (اليهود)، وأعانتهم علينا دولُ الكفر، (أمريكا)، و(أوربا)، وغيرهم من المتربِّصين بالإسلام والمسلمين السُّوء، وأذاقنا اللَّه الذُّلَّ والهوان، ولا بدَّ لنا من عودة إلى الإسلام، لنستعيد عزَّنا وكرامتنا، ولا بدَّ لنا من عودة إلى سَنَام الإسلام، أَلَا وهو (الجهاد) في سبيل اللَّه، فما تركت أمةٌ الجهادَ إلَّا ذلَّت!! كما قال عليه الصلاة والسلام.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الرسولَ ﷺ كان يبعث السرايا والجنود، لنشر رسالة الإسلام.

الثاني: وفيه أنَّ كل سريَّة، لا بدَّ لها من قيادة، وتعيينِ رئيس عليها، لتحقيق مصالح الجند، لئلا يختلفوا ويتنازعوا.

الثالث: وفيه ما كان عليه المسلمون من شدة، وفقرٍ، وضيقِ حال، ومع ذلك خرجوا مجاهدين، لإعلاء كلمة اللَّه.

الرابع: وفيه جوازُ أكل ميتة البحر ـ وهو السمكُ ـ ولا يشترط له التذكية لقولِ الراوي: (فألقى لنا البحرُ حوتاً ميتاً).

الخامس: وفيه مشروعيةُ المواساةِ بين الجيش، عند وقوع المَجَاعة، وأنَّ الاجتماع على الطعام يستدعي البركةَ فيه.

السادس: وفيه أنَّ الجهاد ركنٌ من أركان الدين، لا يصلح أمرُ الدين إلَّا به، لئلا يتسلَّط الأعداءُ على المسلمين.

ويؤيده حديث الباب، الحديثُ الآتي ذكرُه وهو حديث جابر:

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه، أنه قال في روايته الأخرى: (فَأَلقَى لنا البحر دابةً، يقال لها العَنْبرُ، فأكلنا منه وادَّهنَّا، فلمَّا قدمنا المدينة، ذكرنا ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: (**كُلُوا رزقاً أخرجه اللَّه لكم، وأطعمونا إنْ كان منه شيء معكم؟**) فأتاه

بعضهم بعضوٍ، فأَكَل ﷺ منه)، فدَلَّ على جواز أكلِ ميتةِ البحر.

٤٣٦١ ـ [طرفه في: ٢٤٨٣]، تقدّم شرحُه.

٤٣٦٢ ـ [طرفه في: ٢٤٨٣]، تقدّم شرحُه.

٤٣٦٣ ـ [طرفه في: ٣٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٣٦٤ ـ [أطرافه في: ٤٦٠٥، ٤٦٥٤، ٦٧٤٤] انظر شرحه من خلال النص.

٤٣٦٥ ـ [طرفه في: ٣١٩٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٦٦ ـ [طرفه في: ٢٥٤٣]، تقدّم شرحُه.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابُ الوُفُود

بابُ (وفْدِ بَنِي تَميمٍ)

٤٣٦٧ ـ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ الزبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَني تَمِيم عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرْ (القَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ)، وقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: ما أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ عُمَرُ: ما أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ٱرْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذٰلِكَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١]، حتَّى ٱنْقَضَتْ، يعني إلى نهاية الآية ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

[أطرافه في: ٤٨٤٥، ٤٨٤٧، ٧٣٠٢].

شرح الألفاظ

(قَدِمَ رَكْبٌ) الركْبُ: الجماعةُ الغرباءُ المسافرون، والمراد بهم ركبُ بني تميم.

(أَمِّر القَعْقَاعَ) أي اجعله أميراً على هذا الوفد، والقَعْقَاعُ: هو ابنُ (مَعْبد بنُ زُرارة).

(أَرَدْتَ خِلَافي) أردتَ مخالفةَ رأيي، هكذا ظنَّ أبو بكر رضي اللّه عنه.

(فتَمَارَيَا) أي تجادلا وتخاصما عند رسول اللّه ﷺ، فنزلت الآية الكريمة.

(حَتَّى انقَضَتْ) أي حتى نهاية الآية إلى قوله سبحانه: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

شرح الحديث

وَفَدَ على رسولِ اللّه ﷺ وفدٌ من (بني تميم)، فيهم (الأقرعُ بنُ حَابِس) و(القعقاعُ بنُ مَعْبد) وكانا قد شهدا مع رسولِ اللّه ﷺ (فتحَ مكة)، ثم جاءا مع وفد بني

تميم لأمرٍ عظيم، وهو أنَّ بني تميم كانوا قد أغاروا على ناسٍ من خُزَاعَة، فبعث النبيُّ ﷺ إليهم «عُيَيْنَةَ بنَ حِصْن» في خمسين رجلاً، فأسروا منهم رجالاً، ونساءً، وصبياناً، فقدم هذا الوفدُ من جهة المشرق، للاعتذار عند رسول اللَّه ﷺ، ليردَّ لهم سباياهم، وكان ذلك في سنة تسعٍ من الهجرة، وقد استقبلهم رسولُ اللَّه ﷺ، وأكرمَ وفادَتهم.

ولمَّا أرادوا الرجوعَ، **قال أبو بكر: يا رسول اللَّه** اجعل «القَعْقاعَ بن معبد» أميراً عليهم.

وقال عمر: بل اجعل «الأقرعَ بن حابس» أميراً عليهم، فارتفعتْ أصواتُهما في مجلسِ رسول اللَّه ﷺ، فنزلت الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ . . .﴾ [الحجرات: ١، ٢] إلى قوله سبحانه: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾.

وإنما أشار أبو بكر بتأمير القعقاع، لأنه كان أرقَّ قلباً من الأقرع، وأشار عمر بالأقرع، لأنه كان أحزمَ وأقوى، وكلٌّ أراد خيراً!! ولكنَّ الخطأ إنَّما حصل بارتفاع أصواتِهما عند رسول اللَّه ﷺ، فعُوتبا بذلك، فكان (عُمَرُ) بعد نزول الآية، لا يكاد يُسْمِعُ رسولَ اللَّه ﷺ من شدَّة خفض صوته، حتى كان رسول اللَّه ﷺ يستفهمه، أي يطلب منه رفعَ صوته، ليفهم كلامَه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ مقام رسولِ اللَّه ﷺ العظيم عند ربه، حتى جعل رفعَ الصوت بحضرته، مُحْبطاً للعمل لقوله تعالى: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ أي خشيةَ أن تضيع أعمالكم الصالحة.

الثاني: وفيه بيانُ سبب مجيء وفد (بني تميم) إلى رسول اللَّه ﷺ، وهو الاعتذارُ، وإعلانُ إسلام الوفد عنده.

الثالث: وفيه عنايةُ الرسولِ ﷺ، واهتمامُه بشأن وفد (بني تميم) لأنهم جاؤوا لإعلان إسلام قومهم، يتزعَّمُهم (القعقاعُ)، و(الأقرعُ بنُ حابس) رضي اللَّهُ عنهما.

٤٣٦٨ ـ [طرفه في: ٥٣]، تقدّم شرحُه.

٤٣٦٩ ـ [طرفه في: ٥٣]، تقدّم شرحُه.

٤٣٧٠ ـ [طرفه في: ١٢٣٣]، تقدّم شرحُه.

٤٣٧١ ـ [طرفه في: ٨٩٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ وَقِصَّةُ ثُمَامَةَ)

٤٣٧٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِي ٱللَّهُ عَنه أنه قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ»؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ، فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتُرِكَ حَتَّى كانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمامَةُ»؟ قَالَ: ما قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمامَةُ؟». فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ».

فَٱنْطَلَقَ إِلَى نَخلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَٱغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللَّهِ)!

يَا مُحَمَّدُ، وَٱللَّهِ ما كانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ.

وَٱللَّهِ ما كانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ ٱلدِّينِ إِلَيَّ.

وَٱللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ! قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، وَلَا وَٱللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ)!!

شرح الحديث

من بدائع الأخبار

من روائع القصص والأخبار، هذه القصةُ التي رواها لنا الإمام البخاري، وهي في غاية الغرابة!!

رجلٌ من طُغاة الكفر، من أتباع (مسيلمةَ الكذَّاب) يُدعى (ثُمامةَ بنَ أُثال) كان من أشدِّ الناس عداوةً لرسول اللَّه ﷺ، وبُغضاً له، خرج لحرب المسلمين يوم اليَمَامة، ضمنَ جماعةٍ من «بني حنيفةَ» نصرةً لنبيِّهم المزعوم (مسيلمة الكذَّاب)، جيء به أسيراً إلى رسول اللَّه ﷺ، فرُبطَ بعمود من أعمدة المسجد النبوي، فخرج إليه رسولُ اللَّه ﷺ، ومرَّ عليه وهو مربوط، فسأله رسولُ اللَّه ﷺ: **(كيف شأنُك يا ثُمامة: أتبقى معادياً لدين اللَّه؟ أم تدخل في الإسلام، لنطلق سَراحَك، ونعفو عنك)!؟**

فقال له ثُمامة: يا محمد! إنْ تقتلْني تقتلْ إنساناً مستحقاً للقتل، لأنني محارب!! وإن تُنْعِم عليَّ بالعفو، تُنْعِم على شاكر، لا ينسى إحسانَكَ وجميلَكَ، وإن تطلب مالاً، فسلْ منه ما شئتَ!

فتركه ﷺ حتى كان الغَدُ، فمرَّ به ﷺ وهو مربوط، فقال: (ما عندك يا ثُمامةُ؟) فقال له: هو ما قلت لك بالأمس، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإنْ تعف عني تُنعم على شاكر، وإن تطلب مالاً، فاطلب منه ما شئت!!

فأمرهم رسولُ اللَّه ﷺ أن يُطلقوا سَرَاحه، ولم يأخذ منه شيئاً من المال!

فانطلق ثُمامةُ إلى نخيلٍ قريب من المسجد، فاغتسل عنده، ثم جاء إلى المسجد، فدخل على رسولِ اللَّه ﷺ، فقال عنده أمامَ الناس: (أشهد أنَّ لا إلٰه إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً رسولُ اللَّه) فأعلن إسلامه، دون إكراه من أحد، ثم قال لرسول اللَّه ﷺ:

واللَّهِ يا محمدُ ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إليَّ!

واللَّهِ يا محمد: ما كان دينٌ أبغضَ عندي من دينك، فأصبح دينُك أحبَّ الدين إليَّ!

واللَّهِ يا محمد: ما كان من بلدٍ، أبغضَ إليَّ من بَلَدِك، فأصبح بلَدُك أحبَّ البلاد إليَّ!

يقول ذلك، لما رآه من حسن معاملته ﷺ، وكريم أخلاقه، فقد كان ﷺ يأمر أصحابه بإكرامه، والإحسان إليه، لذلك أحبَّ الإسلام، وملك حبُّه للرسول ﷺ قلبَه، من حسن ما رأى من المسلمين، من معاملة أسيرٍ عادى دينهم!! فبشَّره رسولُ اللَّه بالخير، وأمره أن يذهب إلى مكة، ويأتي بعمرةٍ، لتكمُلَ توبتُه.

فلمَّا قدم مكة، ورآه المشركون وهو يعتمر، ذُهِلُوا، فقالوا له: صبأتَ يا ثُمامة ـ أي دخلتَ في دين محمد ـ!؟

فقال لهم: لا واللَّهِ ما صبأتُ، ولكنِّي أسلمتُ، ودخلتُ في دين محمد ﷺ، رسولِ اللَّه حقاً.

ثم قال لهم ثمامةُ: واللَّهِ يا أهل مكة، لا يأتيكم من اليمامة ـ بلاد نجد ـ حبَّةُ حنطة، حتى يأذن لكم بها محمد ﷺ.

ما يُستفاد من الحديث

فيه أنَّ العفوَ يكون بعد المقدرة، وفيه وجوبُ الإحسان في معاملة الأسرى، وفيه ربطُ الكافر بالمسجد، وفيه المنُّ على الأسير الكافر، وفيه تعظيمُ أمر العفو عن المسيء، وفيه أنَّ البُغضَ ينقلب إلى حبٍّ، في ساعة واحدة. وفيه الاغتسالُ عند الإسلام، وفيه الملاطفةُ بمن يُرجى إسلامُهُ من الأسرى. اهـ. فتح الباري لابن حَجَر.

بابُ قصة ثُمامةَ بنِ أُثَال

عظة وعبرة: لقد أسلم «ثُمَامَةُ» لِمَا رأى من حُسْن أخلاق النبيِّ ﷺ، وكريم معاملته، حيث أطلق سراحه دون أيِّ فداء، ولِمَا رآه من إكرام المسلمين له، وهم يتسارعون إلى تقديم كلِّ فضلٍ وإحسانٍ له، وهو أسيرٌ تحت أيديهم.

إنه لم ير في حياته كلِّها، معاملةَ أسيرٍ هذه المعاملةَ الحسنة، التي عامله بها المسلمون، فعرف أنَّ هذا من صميم دينهم، الذي أمرهم به ربُّ العزة والجلال ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] فعرف أنه الدينُ الحقُّ، ولهذا اعتنَقه عن قناعة ويقين، ودَفَعَه إيمانُه إلى أن يُقسم أمام مشركي مكة، أنه لن يأتيهم شيءٌ من المِيرَة والطعام من نجد، حتى يأذن به رسولُ اللَّه ﷺ، وذلك لحملهم على الدخول في الإسلام، الدِّينِ العظيم الذي يُكرم الأسرى، ويعفو عند القدرة عن الجاني، ويأخذ بيد الضعيف، لينقذه من الضلالة والشقاوة، وهنا يتذكر الإنسانُ عظمَةَ هذا الدين، الذي قال فيه خاتمُ الأنبياء والمرسلين ﷺ: **(عَجِبَ ربُّك لأناسٍ، يُقَادُونَ إلى الجنَّةِ بالسَّلاسِلِ)** رواه البخاري، أي يُؤسرون فيكون الأسرُ سببَ إيمانهم وإسلامهم!!

باب (قِصَّةِ الرَّسُولِ ﷺ مَع مُسيلِمَةَ الكَذَّاب)

٤٣٧٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أنَّه قَالَ: (قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إلَيْهِ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ ومَعَهُ (ثَابتُ بْنُ قَيْس) بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى (مُسَيْلِمَةَ) فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ ما أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ ٱللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ ٱللَّهُ، وَإِنِّي لأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي»!!

ثُمَّ ٱنْصَرَفَ ﷺ عَنْهُ. قال ٱبْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ: «إنكَ أُرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ، ما رَأَيْتُ»؟! فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قالَ: (بَيْنَا أَنَا نائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إلَيَّ فِي المَنَامِ: أَنِ ٱنْفُخْهُمَا، فنفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجانِ مِنْ بَعْدِي)!! أَحَدُهُمَا (العَنْسِيُّ)، وَالآخَرُ (مُسَيْلِمَةُ) الكذّاب.

[طرفه في: ٣٦٢٠].

شرح الألفاظ

(الأَمْرَ مِنْ بعْدِهِ) يراد بالأمر: الخلافةُ أي إنْ أَوصى لي محمدٌ بالخلافة مِنْ بعده، اتَّبعتُه.

(تَعْدُو أَمْرَ اللهِ) أي لن تتجاوز حكم اللَّه فيك، بأنك كذَّاب، وسيُهلكك اللَّه تعالى.

(ليعْقِرنكَ اللهُ) أي إن امتنعتَ عن الإيمان، بأنّي خاتمُ المرسلين، لَيُهلكنَّك اللَّهُ كما أهلكَ كل كاذب فاجر.

(فأَهَمَني شأْنهما) أي أدخلَ إلى قلبي الهمَّ، أن ألبس سوارين من ذهب، والذَّهبُ محرَّم على الرجال، لذلك وقع الهمُّ بتلك الرؤيا.

(انْفُخْهُما) أي أُوحي إليَّ وأنا نائم، أن انفخ في هذين السِّوارين، فَنَفَخْتُ فيهما، فطارا.

(فأوَلْتُهُما كذَابَيْن) أي فسَّرتُ الرؤيا المنامية، بأنَّهما كذَّابان، يدَّعيان النبوة، وأنا خاتم النبيِّين لا نبيَّ بعدي.

شرح الحديث

رأى ﷺ في منامه رؤيا منامية، أفزعته وَعظُم عليه أمرُ هذه الرؤيا، وهي أنه يلبس سوارَيْن من ذهب، ومعلومٌ أنَّ الذهب محرَّمٌ لبسُه على الرجال، فكيف يلبسه رسول اللَّه ﷺ؟ وفي الرؤيا نفسها، رأى كأنَّ قائلاً يقول له: انفُخْهما، فنفَخهما ﷺ فطارا، ولم يبق لهما أثر!!

أمَّا تفسيرُ هذا الحُلم، فقد أوَّله ﷺ، بأنهما كذَّابان يخرجان، فيدعيان النبوَّة، ويزعمان أن اللَّه أرسلهما للخلق، ولمَّا كانت رؤيا الأنبياء حقٌّ، لأن الشيطانَ لا يتمثَّل بأحدٍ من الأنبياء، فقد تحقَّقتْ هذه الرؤيا، فظهر أحدُ هؤلاء الدجَّالين، في (صنعاء)، وهو (الأسودُ العنسي) وظهر الثاني وهو (مُسَيْلِمَةُ الكذَّاب) في بلاد نجد.

قصة مسيلمةَ الكذَّاب

قدم «مسيلمةُ الكذَّاب» مع وفدٍ كبير من بني حنيفة، إلى المدينة المنورة، وكان يقول لجماعته: إنْ جعلني محمد «خليفةً» بعده، آمنْتُ به واتَّبعتُه، فلمَّا وصل إلى المدينة، جاءه رسولُ اللَّه ﷺ، وقال له: (تريد أن تكون خليفة بعدي؟ واللَّهِ لو سألتَني هذه القطعةَ من أغصان النخيل، ما أعطيتك إياها، ولئن لم ترجع عن ضلالك، ليهلكنَّكَ اللَّهُ، ويقطع دابِرك)، ثم انصرف عنه ﷺ!

وكان من أمره، أنه قُتِل في زمن (أبي بكرٍ) رضي اللَّه عنه، قتله «وَحْشِي» وكان يقول: قتلتُ بحربتي (حمزة) خيرَ الناس، وأنا أقتل بها اليومَ شرَّ الناس (مسيلمةَ الكذاب)، ودفع حربته نحوه، فخرَّ صريعاً، يتخبَّط بدمائه، وكفى اللَّه المؤمنين شرَّه.

وأمَّا الأسودُ العَنْسيُ: مدَّعي النبوَّة أيضاً، فقد هَلَك في زمن رسول اللَّه ﷺ، فقد قتله رجل مبارك يُدعى «فيروز».

قال ابن عمر: أتى خبرُ مقتله من السماء، إلى رسولِ اللَّه ﷺ، فبشَّرنا رسولُ اللَّه ﷺ بمقتله، وقال لنا: قتلَه البارحة رجل مبارك، من أهل بيتٍ مباركين، دخل عليه «فيروز» فقال له: إنَّ محمداً يقول: ليس في الكون إلَّا إلٰه واحد، فماذا

تقول أنت؟ قال: لا، بل هناك آلهة كثيرة، فقال له: ابسط يدك لأبايعك! فلمَّا بَسَط يده، مدَّ «فيروز» يده الأخرى وأخذ بعُنقه فقتله!

قال عُروة بن الزبير: قُتِل (الأسودُ العنسيُّ) قبلَ وفاةِ سيدنا محمد ﷺ بأيام، وجاءته الملائكةُ تبشِّره بمقتل الخبيث الفاجر. اهـ عمدةُ القاري للعيني ١٨/ ٢٤.

وبمقتله تحقَّقتْ رؤيا النبيِّ ﷺ، التي رآها في منامه، وهي (أنه رأى في يديه سِوَارَيْن من ذهب، فنفخهما فطارا، فأوَّلهما أنهما كذَّابان، يخرجان من بعدِهِ: أحدُهما العنسيُّ، والآخرُ مسيلمةُ الكذاب).

وفي رواية البخاري الأخرى عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**بينا أنا نائم، أُتيت بخزائن الأرض، فوضع في كفي سِوَاران من ذهب، فكبرا عليَّ، فأوحى اللَّه إليَّ أن أنفخهما، فأوَّلتُهما الكذابَيْن اللَّذين أنا بينهما: (صاحبُ صنعاءَ)، و(صاحبُ اليمامة)**» يريد العنسيَّ باليمن، ومسيلمةَ بنجد.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ رؤيا الأنبياء حقٌّ، فقد رأى الرسولُ ﷺ في منامه هذه الرؤيا، وتحقَّق صدقُها.

الثاني: وفيه أنَّ الرسول ﷺ رأىٰ الكذَّاب الأول «مسيلمةَ الكذَّاب» واجتمع به، وتحاوَرَ معه.

الثالث: وفيه أنَّ الكذَّاب الثاني «الأَسْودَ العَنسِيَّ» جاءه خبرُ مقتله من السماء، بطريق الوحي، قبل وفاته ﷺ بأيام.

الرابع: وفيه أنَّ قاتل «مسيلمة» هو نفسُه قاتلُ «حمزةَ» عمِّ النبيِّ ﷺ، كما جاء في قصته أنه قال: (قتلتُ بحربتي خيرَ الناس «حمزة»، وأنا اليومَ أقتل بها شرَّ الناس «مسيلمة الكذَّاب»، لتكون كفارةً لذنبي).

٤٣٧٤ ـ [طرفه في: ٣٦٢١]، تقدّم شرحُه.

٤٣٧٥ ـ [طرفه في: ٣٦٢١]، تقدّم شرحُه.

٤٣٧٦ ـ [طرفه في: ٤٣٧٧]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٣٧٧ ـ [طرفه في: ٤٣٧٦]، تقدّم شرحُه.

٤٣٧٨ ـ [طرفه في: ٣٦٢٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٧٩ ـ [طرفه في: ٣٦٢١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قِصَّة نَصارَى نَجْرَانَ)

٤٣٨٠ ـ عَنْ حُذَيفَةَ بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (جاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رسول ٱللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهما لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَٱللَّهِ لَئِنْ كانَ نَبِيًّا فَلاعَنَنَا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا. قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَٱبْعَثْ مَعَنَا رَجُلاً أَمِيناً، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِيناً!! فَقَالَ: «لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلاً أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ»!!

فَٱسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحابُ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ). فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأمَّةِ»).

[طرفه في: ٣٧٤٥].

شرح الألفاظ

(العَاقِبُ والسَّيِّدُ) العاقبُ اسمُه (عبْدُ المسيح) والسيِّدُ: اسمه (الأَيْهَمُ) وهما من زعماء رُهبان النصارى، وأشرافِهم، جاءا على رأس وفدٍ من النصارى، حين بعث رسولُ اللَّه ﷺ كتاباً لأهل نجران، يدعوهم فيه إلى الإسلام.

(يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ) أي جاءا بقصد المُلَاعنة، وتسمَّى «المباهلة» وهي: اجتماعُ الفريقين لاستنزال لعنة اللَّه على الكاذب الظالِم منهم، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

(لَا نُفْلِحُ وَلَا عَقِبُنا) أي إن كان محمد نبيًّا فلاعنَّاه، فسنهلك نحنُ وأبناؤنا، ولن نفوز أبداً.

(ابْعَثْ مَعَنَا أَمِيناً) أي أرسلْ معنا رجلاً أميناً، لندفع له الجزيةَ، يوصلها إليك.

شرح الحديث

أرسل رسولُ اللَّه ﷺ كتاباً إلى أهل نجران، يدعوهم فيه إلى الدخول في

الإسلام، وكان أهلُ نجرانَ نصارى، يعلمون أنه سيبعث رسولٌ في آخر الزمان، هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلمَّا وصلهم الكتابُ تجهَّزَ وفدٌ منهم قِوَامُه ستون رجلاً، فيهم أشرافهم خمسةَ عشر رجلاً، لملاقاة الرسول ﷺ ومناظرته في (أمر عيسى)، وكان قدومُهم سنة تسعٍ من الهجرة.

فلمَّا وصلوا المدينةَ، دخلوا على رسول اللَّه ﷺ في مسجده، وحانت صلاتُهم، فقاموا يصلُّون جهة المشرق، فقال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: **(دعُوهم)**، فلمَّا انتهوا من صلاتهم، جاؤوا إلى رسول اللَّه ﷺ، فرحَّب بهم، فقالوا له: يا محمد، لمَ تشتِمُ صاحِبَنا؟ قال: **(ومن هو صاحبُكم؟)** قالوا: عيسى، قال: **(وكيف أشتمه؟)** قالوا: تقول: إنه عبدٌ!!

قال: نعم هو عبدٌ للَّهِ ورسولُه، ولن ينقص قدرُه أن يكون عبداً للَّه!؟ ونَاظَرهم رسولُ اللَّه ﷺ في أمر عيسى، فكانوا يقولون مرَّةً: هو (اللَّهُ) لأنه يُحيي الموتى، ولا يستطيع ذلك إلا اللَّهُ!

وتارةً يقولون: هو (ابنُ اللَّهِ) لأنه ليس له والدٌ.

وأخرى يقولون: إنه (ثالثُ ثلاثة) لقوله: «فعلنا، وقلنا، ونحنُ» ولو كانَ واحداً لقال: فعلتُ، وقلتُ، وأنا!!

● فقال لهم رسولُ اللَّه ﷺ: **(ألستم تعلمون أنَّ ربَّنا (حيٌّ، خالدٌ، لا يموت)** وأنتم تقولون: إنه صُلِب ومات، فكيف يكون إلٰها ويموت!؟ فبُهتوا وانقطعوا!!

● **قال لهم:** (**ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ، إلَّا وله شبَهٌ بأبيه؟**) قالوا: بلى، قال: (**فكيف يكون شبيهاً للَّه، واللَّهُ ليس كمثله شيء** ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] أي ليس له شبيه ولا مثيل).

● **قال لهم:** (**ألستم تعلمون أنَّ ربَّنا قائم على كل شيء**، يحفظه، ويكلأه، ويرزقه، فهل يملك عيسى شيئاً من ذلك؟) قالوا: لا.

● **قال لهم:** (**ألستم تعلمون أن اللَّه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟** فهل يعلم عيسى شيئاً من الغيب، إلَّا ما علَّمه اللَّه تعالى؟) قالوا: لا.

● **قال لهم:** (**ألستم تعلمون أن ربَّنا لا يأكل الطعامَ، ولا يشربُ الشرابَ، ولا يُحْدِث الحَدَثَ ـ أي لا يبول ولا يتغوَّطُ ـ وأن عيسى كان يأكل، ويشرب، ويُحدث الحَدَث!؟**) قالوا: بلى، قال: (**فكيف يكون كما زعمتم إلٰهاً؟**) فسكتوا وأبوا إلَّا الجحودَ، فأنزلَ اللَّهُ صدر سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل

عمران: ١، ٢] إلى ما يزيد على خمسين آية، كلُّها في الردِّ على النصارى، في زعمهم أنَّ عيسى هو اللَّه، أو هو ابنُ اللَّه.

● **ثم دعاهم ﷺ للمباهلة** ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] أي نتضرَّع إلى اللّه بأن يلْعَنَ الكاذبَ منَّا في أمر عيسى.

● **فلمَّا دعاهم إلى المباهلة**، قال بعضهم لبعض: لا تفعلوا، فواللَّهِ لئن كان نبياً، فَلَاعَنَّاه، لا يفلح أحدٌ منَّا، ولا من ذريَّاتنا إلى يوم القيامة، فتركوا الملاعنة، وقَبِلوا أن يدفعوا الجزية، وقالوا له: ابعثْ لنا رجلاً أميناً لنرسل لك معه الجزية! فقال: قم يا أبا عُبيدةَ بنَ الجراح فاذهب معهم، وقال ﷺ لمن حوله: هذا أمينُ هذه الأمة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بعثُ الرسولِ ﷺ إلى (أهل نجران) كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام، كما أرسل كُتُباً إلى ملوكِ وزعماء العالم.

الثاني: وفيه أنَّ أهلَ نجران في زمن النبي ﷺ، كانوا نصارى يدينون بالنصرانية، ويعتقدون بألوهية المسيح عليه السلام.

الثالث: وفيه المناظرةُ التي جرتْ بين الرسولِ، ونصارى نجران، حتى دعاهم إلى المباهلة بالدعاء على الكاذب.

الرابع: وفيه أنَّ تركهم للمباهلة والملاعنة، أعظمُ شاهدٍ على صدق نبوَّته ﷺ، بعد كشف ضلالهم وزورهم.

الخامس: وفيه جواز دخول اليهود والنصارى مساجد المسلمين، فقد دخل نصارى (نجران) مسجد النبيِّ ﷺ، وصلَّوا جهة المشرق، فلم يمنعهم رسولُ اللَّه ﷺ، وناظرهم في مسجده النبوي الشريف.

السادس: وفيه جوازُ أخذ الجزية من أهل الكتاب، وتركهم على دينهم، لقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال الحافظ ابنُ حجر: وفي هذا الحديث فوائد كثيرة: منها أنَّ إقرار الكافر بالنبوة، لا يُدْخِلُه في الإسلام، حتى يلتزم بأحكامه، وفيه جوازُ مجادلةِ أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعيَّنت المصلحة، وفيه مشروعيةُ مباهلة المخَالِفِ، إذا أصرَّ بعد ظهور

الحجة عليه، وفيه مصالحةُ أهل الذمة على ما يراه الإمامُ من أصناف المال، وفيه بعثُ الإمام الرجل العالم الأمينَ إلى أهل الهدنة، وفيه منقبةٌ عظيمة لأبي عُبيدةَ بن الجراح رضي اللَّه عنه. اهـ فتح الباري، ويؤيِّد ذلك الحديث الآتي رقم (٤٣٨٢).

٤٣٨١ ـ [طرفه في: ٣٧٤٥]، تقدّم شرحُه.

بابٌ (أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ)

٤٣٨٢ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ أنَّه قَالَ: (لِكُلِّ أَمةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرّاحِ).

[طرفه في: ٣٧٤٤].

شرح الحديث

هذا شرفٌ لا يوازيه شرفٌ، أن يشهد الرسولُ ﷺ لأبي عُبيدةَ بن الجرَّاح بالأمانة، والإيمان، والصِّدق والإخلاص، واليقين، وأن يجعله أميناً للأمة الإسلامية جمعاء، فيقولَ مثنياً عليه: **(أمينُ هذه الأمة أبو عُبيدةَ بن الجرَّاح)**!!

وأبو عُبيدة: كنيةٌ له، واسمُه (عَامِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الجَرَّاحِ) يجتمع بالنَّسب مع النبي ﷺ في «فِهْرٍ»، أسلمَ رضي اللَّه عنه، وأسلمت أمُّه.

أمَّا أبوه فقد قُتل يوم بدرٍ كافراً، أقدم والدُه يريد قتلَ ابنه «أبي عُبَيْدَة» وهو يهرب منه، ولا يريد أن يتعرَّض لأبيه بسوء، ولمَّا أصرَّ على قتل ولده، ضَرَبَ (أبو عُبيدةَ) أباه بالسيف، فقتله، وفيه نزل قولُه تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ...﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهذه شهادةٌ من اللَّه عزَّ وجل له بصدق إيمانه، وقوة يقينه، لأنه قَتَلَ أباه الكافرَ، طلباً لمرضاة اللَّه تعالى.

تُوفِّي (أبو عُبيدة) وهو أميرٌ على الشام سنة ١٨ ثمانَ عشرة، وكان أثرمَ الثَّنيتيْن

ـ أي ساقط الأسنان الأمامية ـ لأنه انتزع من جبهة النبيِّ ﷺ سهمين يوم أُحُد، فسقطت ثَنيَّتُه، رضي اللّه عنه وأرضاه.

٤٣٨٣ ـ [طرفه في: ٢٢٩٦]، تقدّم شرحُه.

٤٣٨٤ ـ [طرفه في: ٣٧٦٣]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قُدُومِ الأَشْعَرِيِّينَ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ)

٤٣٨٥ ـ عَنْ أبي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (أَتَيْنا النَّبيَّ ﷺ نَفَرٌ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ، فَٱسْتَحْمَلْنَاهُ، فَأَبَى أَنْ يَحمِلَنَا، فَٱسْتَحْمَلْنَاهُ فَحَلَفَ أَنْ لَا يَحمِلَنَا، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ النَّبيُّ ﷺ أَنْ أُتِيَ بِنَهْبِ إبلٍ، فَأَمَرَ لَنا بِخَمْسِ ذَوْدٍ، فَلَمَّا قبَضْنَاهَا قُلْنَا: تَغَفَّلْنا النَّبيَّ ﷺ يمِينَهُ، لَا نُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبداً، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لَا تَحمِلَنَا وَقَدْ حَمَلْتَنَا؟ قَالَ: «أَجَلْ، وَلَكِنْ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا»).

[طرفه في: ٣١٣٣].

شرح الألفاظ

(اسْتحمَلناهُ) أي طلبنا منه أن يُعطينا ما نركبُ عليه، وكان ذلك في (غزوة تبوك)، ولمَّا كرَّروا الطلبَ، حلف ﷺ أن لا يحملهم ولا يعطيهم!!

(بنهْب إبلٍ) أي أَمَرَ ﷺ لنا بإبلٍ من الغنيمة، والنهبُ: الغنيمةُ.

(ذَوْد) الذَّودُ: القطيعُ من الإبل، بين الثلاث إلى العشر.

(تَغفَّلْنا يمينه) أي استغفلناه، واغتنمنا غَفْلتَهُ، فلم نخبره أنه حلف أن لا يحملنا، فلذلك أخبروه بأمرِ يمينه التي حَلَفها.

شرح الحديث

جاء إلى رسول اللّه ﷺ وفدٌ من الأشعريِّين، من أهل اليمن، فيهم (أبو موسى

الأشعري) وطلبوا منه مراكبَ من الإبل، ليجاهدوا في سبيل اللَّه عليها ـ وكان ذلك في غزوة تبوك ـ ولم يكن عند رسول اللَّهﷺ شيء ممَّا طلبوه، ولمَّا ألحُّوا عليه، حلفﷺ أن لا يحمِلَهم ولا يُعطيهم، ثم جاءه إبلٌ من المغنم، فأمر لهم بخمسةٍ من الإبل، فقال بعضُهم لبعض: لقد حلف رسول اللَّهﷺ أن لا يحملنا، والآن أعطانا ولم نخبره عن يمينه، وقد أصبنا غفلته، ولن نفلح بعد اليوم!

فرجعوا إلى رسول اللَّهﷺ، فأخبروه عن يمينه، فقال لهمﷺ: (إني لست ناسياً يميني، ولكنِّي إذا حلفتُ على شيء، ورأيتُ غيره خيراً منه، كفَّرتُ عن يميني، وفعلتُ الذي هو خير منه).

توضيح وبيان

لهذا الحديثِ قصةٌ بديعة، ذكرها البخاري، وهي: أنَّ «زَهْدمَ الجَرْمي» دخل على (أبي موسى الأشعري) وهو يأكل لحم دجاج، فدعاه (أبو موسى) للأكل معه من الطعام، فقال له: إني رأيتُ الدَّجاجَ يأكل من بعضِ روثِ الدوابِّ، فقذرتْه نفسي، وحلفتُ أن لا آكل لحم دجاج، فقال له أبو موسى: تعالَ لأحدِّثك ما تَتحلَّلُ به من يمينك!؟ وذكر له حديث حلف النبيِّﷺ أن لا يحمل الأشعريين الذين طلبوا من رسولِ اللَّهﷺ أن يحملهم ليجاهدوا في سبيل اللَّه... ثم أخبره بهذه القصة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث دلالةٌ على أنَّ من حلف على شيء، وكان الخيرُ في غيره، يُستحب له الحِنْثُ، وتجب عليه الكفارة.

الثاني: وفيه أنَّه لا يجوز تقديمُ الكفَّارة قبل فعل المحلوف عليه، لقولهﷺ: **(أتيتُ الذي هو خيرٌ وتحلَّلتها)** أي كفَّرتُ عن يميني، وأجاز الشافعيُّ تقديمَ الكفارة قبل الحنث، لما ثبتَ عنده من رواية تقديم الكفارة على الحِنث.

الثالث: وفيه أنَّه لا بأس بدخول الرجل على من يأكل الطعام، ويُستحب للآكل أن يدعوه إلى تناول الطعام معه، كما فعل (أبو موسى الأشعري)، لأن الطعام الواحد يكفي للاثنين، وطعامُ الاثنين يكفي الأربعة، كما ورد في حديث صحيح.

الرابع: وفيه جوازُ أكلِ الدَّجاج، وهو مجمع عليه، وإنما الخلافُ في الجلَّالة، التي تأكل من ورث الأنعام، فيكره أكلُها، حتى يربطها أياماً، ليُنَقَّى لحمُها، ثم يذبحها ويأكلها.

٤٣٨٦ ـ [طرفه في: ٣١٩٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٨٧ ـ [طرفه في: ٢٣٠٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (ثَنَاءِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى أَهْلِ اليَمَنِ فِي زَمَانِهِ)

٤٣٨٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدة، وَأَلْيَنُ قُلُوباً، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالْفَخْرُ وَالخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالوَقَارُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ).

[طرفه في: ٣٣٠١].

شرح الحديث

هذا ثناء عظيمٌ من الرسول ﷺ على أهل اليمن، بكمال الإيمان، وقوة البصيرة والعلم، والخطابُ للصحابة الذين فيهم الأنصارُ، لأن أهل المدينة معظمُهم من أهل اليمن، كأبي موسى الأشعري، وجماعته الأشعريين.

والمراد بأهل اليمن، الذين كانوا في عصره ﷺ، بدليل قوله ﷺ: **(أتاكم أهلُ اليمن)** أي جاؤوكم مسلمين طائعين، غير محاربين، ولا مستنكفين عن قبول الإسلام، ولهذا لمَّا عُرضت عليهم البشارةُ من رسول اللَّه ﷺ، سارعوا إلى قبولها، بخلاف «بني تميم» فإنهم لمَّا قيل لهم: (اقبلوا البشرى! قالوا: بشَّرتنا فأَعْطنا!! فتغيَّر وجهُ النبي ﷺ، فلمَّا جاء أهلُ اليمن، قال لهم ﷺ: **(اقبلوا البشرى)** ـ أي الكرامةَ العظيمةَ لكم بهذا الدين ـ إذ لم يَقْبَلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا يا رسول اللَّه) كما هي رواية البخاري.

فلا غرابة أن يكون الإيمانُ والحكمة في هؤلاء، الذين استجابوا لدعوة اللَّه عزَّ وجل، ودخلوا في الإسلام طائعين.

وأمَّا الخيلاءُ والتكبُّر فهو في أهل الإبل، وهم أهلُ اليمامة، الذين ظهر فيهم «مسيلمةُ الكذَّاب» لأنهم تأثروا بطبائع الإبل التي يرعونها ويأكلون منها، وهي الطَّيْشُ

والنَّزَقُ، بخلاف أهل الغنم، فيبقى فيهم التواضعُ والسكينةُ، وهذا أمرٌ مشاهد ملموس، ولهذا قال ﷺ: **(الفخرُ والخيلاءُ في أهل الإبل، والسكينةُ والوقارُ في أهل الغنم)**!!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه الثناءُ على أهل اليمن في زمانه ﷺ، حيث جاؤوا رسولَ اللّه ﷺ متعلِّمين، متفقهين في الدين، ودخلوا عليه بأدبٍ وخضوع، ولهذا قال ﷺ: **(أتاكم أهل اليمن)**، والثناءُ عليهم لمبادرتهم إلى الدعوة، وإسراعهم إلى قبول الإيمان.

الثاني: وفيه أنَّ رعاة الإبل تكثر فيهم الغلظةُ والجفاء، وهي صفةُ قبائلِ مُضَرَ وربيعةَ وأنَّ رعاة الغنم، يكثر فيهم التواضعُ والسكينةُ، باعتبار اختلاف طبائع الأنعام التي يرعونها، وهو أمر ملموس محسوس.

تنبيه لطيف

قال الإمام الخطابيُ: وَصَفَ الأفئدَةَ بالرِّقة، والقلوبَ باللِّين، لأن غِشاء القلب إذا رقَّ، نَفَذَ القولُ فيه، ووصل إلى ما وراءه، وإذا غَلُظَ تَعَذَّرَ وصولُه إلى داخله، وإذا كان القلبُ ليِّناً، عَلِق به كلُّ ما يصادفه. اهـ عمدة القاري ١٨/ ٣٢.

٤٣٨٩ ـ [طرفه في: ٣٣٠١]، تقدّم شرحه.

٤٣٩٠ ـ [طرفه في: ٣٣٠١]، تقدّم شرحُه.

٤٣٩١ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٣٩٢ ـ [طرفه في: ٢٩٣٧]، تقدّم شرحه.

٤٣٩٣ ـ [طرفه في: ٢٥٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٣٩٤ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٣٩٥ ـ [طرفه في: ٢٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٣٩٦ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٣٩٧ ـ [طرفه في: ١٥٥٩]، تقدّم شرحُه.

٤٣٩٨ ـ [طرفه في: ١٥٦٦]، تقدّم شرحه.

٤٣٩٩ ـ [طرفه في: ١٥١٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٠٠ ـ [طرفه في: ٣٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤٤٠١ ـ [طرفه في: ٢٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٤٠٢ ـ [طرفه في: ٣٠٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٤٠٣ ـ [طرفه في: ١٧٤٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (عَدَدِ غزَوَاتِ النَّبيِّ ﷺ وعَدَدِ حجَّاتِهِ)

٤٤٠٤ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَأَنَّهُ حَجَّ بَعْدَمَا هَاجَرَ، حَجَّةً وَاحِدَةً، لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا، حَجَّةَ الْوَدَاعِ).

[طرفه في: ٣٩٤٩].

شرح الحديث

سُئل الصحابيُّ الجليلُ (زيدُ بنُ أرقمَ) عن عدد غَزَوَات النبي ﷺ؟ وعدد حجَّاته؟ فقال: غَزَا رسولُ اللَّه ﷺ تسعَ عشرة غزوةً، حَضَرها بنفسه، وقاتلَ فيها الأعداء، وأمَّا حجَّاتُه ﷺ فلم يحجَّ إلَّا حجةً واحدةً، هي «حجة الوداع»، وسُمِّيت حجَّة الوداع، لأن النبيَّ ﷺ ودَّع فيها أصحابه، وقال لهم فيها: **(اسمعوا منِّي، فإنِّي لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا)**!! وذلك لأن فريضة الحج كانت سنة تسع من الهجرة، وفي تلك السنة، بعث أبا بكر الصدِّيق رضي اللَّه عنه، لِيَحُجَّ بالنَّاسِ.

قال الحافظ ابن حجر: قولُه: حَجَّ بعدما هاجرَ (حجةَ الوَدَاع)، لم يحجَّ بعدها، قد يُوهم أنه لم يحجَّ قبل الهجرة إلَّا واحدةً، وليس الأمر كذلك، بل حجَّ قبل أن يهاجر مراراً، بل الذي لا أرتابُ فيه، أنه لم يترك الحجَّ وهو بمكة قطُّ، لأن قريشاً في الجاهلية، لم يكونوا يتركون الحجَّ، وإنما يتأخر منهم من لم يكن بمكة، أو عاقَهُ ضعف أو مرض، وإذا كانوا هم على غير دين، يحرصون على إقامة الحج، ويرون من مفاخرهم التي امتازوا بها على غيرهم من العرب، فكيف يُظنُّ بالنبي ﷺ أنه يتركه؟ اهـ فتح الباري ٨/ ١٠٧.

٤٤٠٥ ـ [طرفه في: ١٢١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (خِطْبَةِ النَّبيِّ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ)

٤٤٠٦ ـ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قَالَ: (إنَّ الزَّمانَ قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: (ذُو القَعْدَةِ، وَذُو ٱلْحِجةِ، وَالْمُحَرَّمُ)، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ.

«أَيُّ شَهْرٍ هَذَا»؟ قُلْنا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ ٱسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذُو ٱلْحِجَّةِ»؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هٰذَا»؟ قُلْنا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ ٱسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ»؟ قُلْنا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هٰذَا»؟ قُلْنا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ ٱسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ»؟ قُلْنَا: بَلَى!!

قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ـ قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ ـ وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالاً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ،فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ).

فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ: صَدَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ»!؟ مَرَّتَيْنِ.

[طرفه في: ٦٧].

شرح الألفاظ

(الزَّمانُ اسْتَدارَ) أي رجع الزمانُ إلى ما كان عليه يوم أن خلق اللَّه السموات والأرض، فإنَّ أهل الجاهلية غيَّروا الشهورَ والسِّنين وبدَّلوها، فجعلوا (صَفَر) مكانَ المحرم، وجعلوا مكانَ رجب (شعبان)، وهو المسمَّى بالنَّسِيء أي التأخير ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ

زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] ولـمَّا حجَّ ﷺ رجعَ الحجُّ إلى وقته الصحيح، وأراد بالزمان هنا: السَّنةَ وأيامها.

(فلعلَّ بَعْضَكُمْ أَوْعَى) أي لعلَّ بعضَ من يبلغه كلامي، أشدُّ حفظاً ممن سمع مقالتي.

(اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ) أي اشهدْ يا رب عليَّ، فقد بلَّغتُ أمركَ لعبادك، كرَّرها ﷺ مرتين.

شرح الحديث

في حجة الوداع يوم الحج الأكبر، خطبَ رسولُ اللَّهﷺ وهو يودِّع أصحابه، الذين حضروا ذلك المشهد العظيم، فأخبرهم أنَّ الشهور والأيام قد عادت إلى وضعها الصحيح، بعد أن بلغ من سفه المشركين، أن تلاعبوا بالشهور والأعوام، حتى ضاعت معالمُ الشريعة، وتغيَّرت أوقاتُ الحج والعبادات.

فقد كانوا يستقرضون حرمةَ شهرٍ لشهرٍ آخر، فيجعلون مكان رجب صفر، ومكان المحرم شعبان، لأنهم كانوا أصحاب حروب وغارات، فيتلاعبون بتغيير حرمة الشهور، حتى يبيحوا لأنفسهم القتالَ في الأشهر الحُرُم، وهو الذي سمَّاه القرآن الكريم بالنسيء، أي تأخير حرمة شهر لشهر آخر.

فلمَّا كان يوم حجة الوداع، صادف اليوم الذي وقف فيه الرسولُ على عرفات يومه الصحيح، وعادت الشهور والأعوام على طبيعتها، واستمرَّت على حالها إلى يومنا هذا، بفضل اللَّه على الأمة الإسلامية.

وقد جاء في ثنايا خطبة الرسولﷺ، أن ذكَّرهم بتحريم اللَّه العدوانَ على الأنفس، والأموال، والأعراض، وأنها حرام إلى يوم القيامة، كحرمة الشهر الحرام، في البلد الحرام، في اليوم الحرام ـ يوم عرفة ـ، وحذَّرهم أن يرجعوا إلى ما كان عليه الناسُ في الجاهلية، من الكفر والضلال، بعد أن أنقذهم اللَّه بالإسلام، فقال صلوات اللَّه عليه: **(فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)** وأشهدَ اللَّهَ في ذلك المحشر الحافل، على تبليغه للناس دعوة اللَّه عزَّ وجلَّ **(اللهم فاشهد)**، أي اشهدْ أني قد بلَّغتُ دعوتك ورسالتك!!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الأشهرالحُرُمَ أربعةٌ (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب) سُمِّيت حُرُماً لتحريم اللَّه القتال فيها.

الثاني: وفيه بيانُ بطلان النسيء، وهو تأخيرُ حرمة شهرٍ لشهرٍ آخر، كما فعل أهلُ الجاهلية، فقد أبطل الإسلامُ ذلك، وأعاد الأشهر الحُرُم على ما كانت عليه.

الثالث: وفيه بيانُ حرمة الدماء، والأموال، والأعراض على المؤمنين، كحرمة البلد الحرام، واليوم الحرام، والشهر الحرام.

الرابع: وفيه أنَّ استحلال ما حرَّم اللَّه، كفرٌ باللَّه، ينسلخ به صاحبُه عن الإيمان، لقوله ﷺ: **(لا ترجعوا بعدي كفاراً)**.

تنبيهٌ لطيفٌ

قال الحافظ ابن حجر: الحكمةُ في جعل (المحَرَّم) أوَّلَ السنة الهجرية، ليحصل الابتداءُ بشهرٍ حرام، ويختم بشهرٍ حرام، هو «ذو الحجة» وتتوسط السنةُ بشهر حرام، هو «رجبُ»، وإنما توالى شهران في آخر السنة، لإرادة تفضيل الختام، فإن الأعمالَ بالخواتيم. اهـ فتح الباري على صحيح البخاري ٨/ ١٠٨.

٤٤٠٧ ـ [طرفه في: ٤٥]، تقدّم شرحُه.

٤٤٠٨ ـ [طرفه في: ٢٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٤٠٩ ـ [طرفه في: ٥٦]، تقدّم شرحُه.

٤٤١٠ ـ [طرفه في: ١٧٢٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (حَلْقِ الرَّأْسِ فِي الحَجِّ وتَقْصِيرِهِ)

٤٤١١ ـ عَنْ عبْدِ ٱللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّه قَالَ: (إنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَلَقَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَأنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَصَّرَ بَعْضُهُمْ).

[طرفه في: ١٧٢٦].

توضيح الحديث

في هذا الحديث بيانُ أنَّ المُحْرِمَ بالحج، أو بالعمرة، إذا انتهى من أداء

مناسكهما، وأراد التحلُّلَ، فيجوز له حلقُ شعر الرأس، وهو الأفضلُ والأكمل، ويجوز له التقصيرُ، فقد بيَّن ابنُ عمر أنه ﷺ لمَّا حجَّ حجةَ الوداع، حَلَق رأسَه، وحَلَق بعضُ الصحابةِ معه رؤوسَهُم، وبعضُهم اكتفى بالتقصير، ولم يكلِّف رسولُ اللَّه ﷺ أحداً منهم بالحَلْق، فدلَّ ذلك على إباحة الحلق، والتقصير، والدِّينُ يسرٌ، ليس فيه عسر، كما يدلُّ عليه حديث: **(اللهمَّ اغفر للمحلِّقين)** قالها ثلاثاً، ثم قال: **(والمقصِّرين)** وفيه بيانٌ أنَّ التحلُّل من الإحرام، يكون بالحلق، أو بالتقصير.

٤٤١٢ ـ [طرفه في: ٧٦]، تقدّم شرحُه.

٤٤١٣ ـ [طرفه في: ١٦٦٦]، تقدّم شرحُه.

٤٤١٤ ـ [طرفه في: ١٦٧٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (غَزْوَةِ تَبُوكَ وتُسَمَّى غَزْوَةَ العُسْرَةِ)

٤٤١٥ ـ عَنْ أَبِي مُوسى الأشعريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قَالَ: (أَرْسَلَني أَصْحابي إِلَى رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ أَسأَلُهُ الحُمْلانَ لهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ، وَهْيَ (غَزْوَةُ تَبوكَ)، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ ٱللَّهِ، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحمِلَهُمْ، فَقَالَ: (وَٱللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ)!!.

وَوَافَقْتُهُ وَهُوَ غضبانُ وَلَا أَشْعُرُ، وَرَجَعْتُ حَزِيناً مِنْ مَنْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ مَخافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فرَجَعْتُ إِلَى أَصْحابي، فأَخْبَرْتُهُمُ الَّذي قَالَ النَّبيُّ ﷺ.

فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً، إِذْ سَمِعْتُ بِلالاً يُنادِي: أَيْ «عَبْدَ ٱللَّهِ بْنَ قَيْسٍ»، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: «خُذْ هٰذَيْنِ القَرِينَيْنِ، وهَذَيْنِ القَرِينَيْنِ ـ لِسِتَّةِ أَبْعِرَةٍ ٱبْتاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ ـ فَٱنْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحابِكَ، فَقُلْ: إِنَّ ٱللَّهَ، أَوْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هٰؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ»!!

فَٱنْطَلَقْتُ إِلَيْهِمْ بِهِنَّ، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِي ﷺ يَحمِلُكُمْ عَلَى هٰؤُلَاءِ، ولَكِنِّي

وَٱللَّهِ لَا أَدَعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِي بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالَةَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، لَا تَظُنُّوا أَنِّي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً لَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ!!

فَقَالُوا لِي: وَاللَّه إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدَّقٌ، وَلَنَفْعَلَنَّ مَا أَحْبَبْتَ، فَٱنْطَلَقَ أَبُو مُوسى بِنَفَرٍ مِنْهُمْ، حَتَّى أَتَوُا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ مَنْعَهُ إِيَّاهُمْ، ثُمَّ إِعْطاءَهُمْ بَعْدُ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمِثْلِ مَا حَدَّثَهُمْ بِهِ أَبُو مُوسى).

[طرفه في: ٣١٣٣].

شرح الألفاظ

(أَسْأَلُهُ الحُمْلَانَ) أي أسأله الشيء الذي يركبون عليه، ويحملُهم في سفرهم، وأصلُ الحُمْلان: الحِمْلُ أي المركبُ الذي يركبون عليه.

(جَيْشُ العُسْرَةِ) أي في غزوة تبوك، سُمِّي جيشَ العُسْرة، لِمَا كانوا فيه من شدةٍ وضيق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧] فقد كانت (غزوةُ تبوك) في شدَّة الحَرِّ، وقلَّةِ الزاد، وبُعد الطريق، ولذلك سُمِّيت (غزوة العُسْرة).

(وَافَقْتُه وَهُوَ غَضْبَانُ) أي صادفتُه وهو في حالةِ غَضَب، ولم أكنْ أعلمُ أنه غضبان.

(وَجَدَ فِي نَفْسِهِ) أي غضبَ عليٌّ، لطلبي منه أن يحمل أصحابي، وصار في نفسه ألمٌ لذلك الطلب.

(لَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً) تصغير ساعة، أي لم أمكث إلَّا مدة يسيرة من الزمن.

(أَيْ عَبْدَ اللَّهِ) أي يا عبدَ اللَّه بنَ قيس، وهو اسمُ أبي موسى الأشعري.

(هَذَيْنِ القرينَيْنِ) أي خذ هذين الجَمَلَيْن، المربوطِ أحدهما بالآخر، تثنيةُ قرين، من قولهم: قرنتُ البعيرين، إذا ربطتهما بحبلٍ واحد.

(لا أَدَعُكُمْ) أي لا أترككم حتى تُرسلوا معي مَنْ يَسْمَعُ منْ رسولِ اللَّه ﷺ هذا الكلامَ، لئلا تظنُّوا بي أنني لم أنقل لكم الخَبَر صحيحاً.

شرح الحديث

كان جماعة الأشعريِّين من أهل اليمن، قد أرسلوا (أبا موسى الأشعري) إلى

الرسول ﷺ، ليأتيهم ببعض المراكب من الإبل، ليجاهدوا مع رسول اللَّه ﷺ في (غزوة تبوك) المعروفة بغزوة العُسْرة، فقدم على رسولِ اللَّه ﷺ، وهو يهيِّئُ الجيشَ، فقال: يا رسول اللَّه إنَّ أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، ـ وكان رسولُ اللَّه ﷺ غضبان ـ فقال له: **(ما عندي ما يطلبونه، واللَّهِ لا أحملهم على شيء)!!**

رجع أبو موسى حزيناً إلى جماعته، وأخبرهم بأنَّ الرسول ﷺ حَلَفَ أن لا يحمل أحداً منهم، فحزنوا وتأثَّروا، وجلسوا يبكون أنهم سَيُحْرمون الجهادَ مع رسول اللَّه ﷺ، وفيهم قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

لقد عزَّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدوا نفقةً ولا محملاً، فعاملهم اللَّه بحسن نيَّتهم، وأتى بعضُ الإبل والمراكب إلى الرسول ﷺ، فأرسل إلى (أبي موسى الأَشْعريِّ) يطلبه، فلمَّا جاءه قال له ﷺ: **(خذ هذه الأبعرة الستة ـ أي الإبل ـ إلى أصحابك، وقل لهم: إنَّ رسول اللَّه يحملكم عليها)!!**

فانطلق أبو موسى فرحاً مسروراً إلى جماعته، وقال لهم: إنَّ رسول اللَّه ﷺ يقول لكم: خذوها فاركبوها، ولكنِّي لا أترككم حتى تُرْسِلوا معي بعضَكم، ليسمع ما قاله لي رسولُ اللَّه ﷺ، ممن كان حاضراً مجلس الرسول عندما دفعها لي، فقالوا له: أنت صادقٌ مصدَّقٌ عندنا!!

فقال: لا، حتى تبعثوا معي جماعةً منكم، فأرسلوا معه نفراً، فقدموا حتى جاء بهم إلى الذين حضروا مجلسَ رسول اللَّه ﷺ، فأخبروهم بما سمعوه من النبي ﷺ، حين حلف أن لا يُعْطيَهم، وحينَ أعطاهم، كما أخبرهم به أبو موسى الأشعريّ رضي اللَّه عنه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ هذه القصة حدثت حين عزم رسولُ اللَّه ﷺ على (غزو الروم)، وهيأ الجيش للغزوة، وهي التي تُسَمَّى (غزوةَ العُسرة).

الثاني: وفيه استحبابُ حِنْثِ الحالفِ في يمينه، إذا رأى غيرَها خيراً منها، فقد حلف رسول اللَّه ﷺ أن لا يحملهم، ثُمَّ حملهم، وكفَّر عن يمينه.

الثالث: وفيه انعقادُ اليمين في حالة الغضب، فإنَّ رسول اللَّه ﷺ حلف أن لا يحملَهم، وكفَّر عن يمينه بعد أن حَمَلهم.

الرابع: وفيه قصةُ البكَّائين، حين جلسوا يبكون، عندما لم يجدوا ما يركبونه، وقد علِمَ اللَّهُ صِدْقَهم، فيسَّر لهم أمر الجهاد.

الخامس: وفيه حرصُ الصحابة على الخروج للجهاد في سبيل اللَّه، وقد جاء الثناء عليهم من ربِّ العزة والجلال.

السادس: وفيه التثبُّتُ من صدق الرواية، بالسَّماع ممن حضر مجلسَ رسولِ اللَّه ﷺ، وسَمِعَ كلامَه، كما فعل (أبو موسى) مع أصحابه الأشعريِّين.

بابُ (خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ لِتَبُوكَ وَاسْتِخْلَافِ عَلِيٍّ)

٤٤١٦ ـ عَنْ سَعْد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسولَ ٱللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلى تَبُوكَ، وَٱسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي). وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الحَكَمِ: سَمِعْتُ مُصْعَباً.

[طرفه في: ٣٧٠٦].

شرحُ الألفاظ

(بِمَنْزِلَةِ هَارُون) أي تكون .

(اسْتَخْلَفَ عَلِيًا) أي جَعَلَه خليفةً عنه على أهل المدينة.

شرح الحديث

لمَّا أراد الرسول ﷺ الخروجَ لغزوة تبوك، جعل (عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِب) خليفةً له في المدينة على نسائه، **فقال عليٌ رضي اللَّه عنه: يا رسول اللَّه** أتتركني هنا مع المخلَّفين من النساء والصبيان، أُحْرَمُ أجرَ الجهاد في سبيل اللَّه؟ فقال له ﷺ: (أَمَا تحبُّ أن يكون مَثَلُك معي، كمَثَل هارون مع أخيه موسى، لمَّا أراد أن يذهب إلى الطور، جعل أخاه هارون خليفةً على قومه)، يشير إلى قوله جلَّ ثناؤه ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٢].

فمقامُ الخلافةِ مقامٌ عظيمٌ رفيع، وموسى وهارون كلٌّ منهما رسولٌ، وقد

استخلف موسى أخاه هارون، لكنّي آخرُ الأنبياء، لا نبيَّ بعدي.

وفيه دلالةٌ على أنَّ الخلافةَ ليست في موضوعِ النبوة، لأنه ﷺ آخر الأنبياء، لا نبيَّ بعده، لقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٤٤١٧ ـ [طرفه في: ١٨٤٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (حَدِيثِ «كَعْب بنِ مَالكٍ» وتَخلُّفِهِ عَنْ غزْوَةِ تبُوكَ)

٤٤١٨ ـ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاها إلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحداً تَخلَّفَ عَنْهَا، إنَّما خَرَجَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يُريدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ ٱللَّهُ بيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، عَلَى غيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مع رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا!!.

كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عنْهُ فِي تِلكَ الْغَزَاةِ، وَٱللَّهِ مَا ٱجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حتَّى جَمَعْتُهُما فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِها، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَٱسْتَقْبَلَ سَفَراً بَعِيداً، وَمَفازاً، وَعَدُوًّا كَثِيراً، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ كثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، ـ يُرِيدُ الدِّيوَانَ ـ!!

قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ ٱللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمارُ وَالظِّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمادَى بِي حَتَّى ٱشْتَدَّ بِالنَّاسِ ٱلْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئاً!!

فَقُلْتُ: أَتَجهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، فَلَمْ يَزَلْ بِي، حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لا أَرَى إلَّا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ النِّفاقُ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ ٱللَّهُ مِنَ الضُّعَفاءِ.

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «ما فَعَلَ كَعْبٌ»؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ!! فَقَالَ مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ ما قُلْتَ، وَٱللَّهِ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ إلَّا خَيْراً، فَسَكَتَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلاً حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً، وَٱسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِماً، زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَداً بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ قَادِماً، وَكَانَ إذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلَى ٱللَّهِ، فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعالَ». فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «ما خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ٱبْتَعْتَ ظَهْرَكَ»!! فَقُلْتُ: بَلَى، إنِّي وَٱللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ ٱلدُّنْيا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً، وَلَكِنِّي وَٱللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ ٱللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ ٱللَّهِ، لَا وٱللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَٱللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ!

فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ ٱللَّهُ فِيكَ»!!

فَقُمْتُ، وَثارَ رِجالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَٱتَّبَعُوني، فَقَالُوا لِي: وَٱللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنتَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ ٱعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ بِمَا ٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ ٱسْتِغْفَارُ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ لَكَ. فَوَاللَّه مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: (مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ) وَ(هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ)، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْراً، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي!!

وَنَهَى رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَٱجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَٱسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِما يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا ٱلْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي!!

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ، مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ٱبْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَٱللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِٱللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ.

قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى (كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ)، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ!! فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضاً مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ، فَسَجَرْتُهُ بِهَا!!

حتَّى إذا مضتْ أربعونَ ليلةً مِنَ الخمْسِينَ، إذَا رَسُولُ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ يأْتِيني فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يأمُرُكَ أنْ تعْتَزِلَ ٱمْرَأَتكَ، فَقُلْتُ: أُطلِّقُها أمْ مَاذَا أفْعلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ ٱعْتَزِلْهَا ولَا تقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إلَى صَاحبيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لامْرَأتِي: ٱلْحَقِي بأَهْلِكِ، فتَكُوني عِنْدَهُمْ حتَّى يقْضِيَ ٱللَّهُ فِي هٰذَا الأمْرِ.

قَالَ كَعْبٌ: فَجاءَتِ ٱمْرَأَةُ (هِلَالِ) بْنِ أُمَيَّةَ، رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، إنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لهُ خَادِمٌ، فَهلْ تَكْرَهُ أنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، ولٰكِنْ لا يقْرَبْكِ»! قَالَتْ: إنَّهُ وَٱللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إلَى شَيْءٍ، وَٱللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أمْرِهِ مَا كَانَ إلَى يوْمِهِ هَذَا!! فَقَالَ لِي بَعْضُ أهْلِي: لَوِ ٱسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ فِي ٱمْرَأَتِكَ، كَمَا أذِنَ لامْرَأةِ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ أنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَٱللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيها رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إذَا ٱسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَال، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنا.

فلمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أنَا جَالِسٌ عَلَى ٱلْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ ٱللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ، بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِداً، وَعَرَفْتُ أنْ قدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إلَيَّ رَجُلٌ فَرَساً، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُني نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إيَّاهُما بِبُشْرَاهُ، وَٱللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَٱسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا.

وَٱنْطَلَقْتُ إلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إلَيَّ (طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ ٱللَّهِ) يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَٱللَّهِ مَا قَامَ إلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ

مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ». قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ».

وَكَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ ٱسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذٰلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي، صَدَقَةً إِلَى ٱللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنَّ ٱللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقاً مَا بَقِيتُ، فَوَٱللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَداً مِنَ المُسْلِمِينَ، أَبْلَاهُ ٱللَّهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِرَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِرَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، إِلَى يَوْمِي هٰذَا كَذِباً، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي ٱللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ!

وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٩]. فَوَٱللَّهِ مَا أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي، مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ ٱللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ - شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى ٱللَّهُ فِيهِ، فَبِذٰلِكَ قَالَ ٱللَّهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ ٱللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ).

[طرفه في: ٢٧٥٧].

شرح الألفاظ

(**شَهِدْتُ لَيْلَةَ العَقَبَةِ**): أي حضرتُ مع رسول اللّه ﷺ (ليلةَ العقبة)، حين بايع رسولُ اللّه ﷺ وفد الأنصار، على نصرته إذا هاجر إليهم.

(حينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلَامِ): أي أخذ بعضنا على بعضٍ الميثاقَ على الإسلام، والجهادِ في سبيل اللَّه.

(أَذْكَرَ فِي النَّاس): أي وإن كانت بدرٌ أعظمَ، وأشهرَ ذكراً بين المسلمين، من ليلة العَقَبة.

(وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا) أي أوهمَ بغير الغزوة التي يريدها، والتوريةُ: أن يذكر لفظاً يحتمل معنَيَيْن، أحدُهما أقربُ من الآخر، فيوهم السامعَ إرادةَ القريب، وهو يريد المعنى البعيد، مِثْلُ قولِ (أبي بكر) رضي اللَّه عنه، حين الهجرة، وكان يسأله بعضُ الأعراب: من هذا الذي معك يا أبا بكر؟ فيقول: (هادٍ يهديني السبيل) فيفهم بعضُهم: أنه دليلٌ يدلُّه على طريق المدينة، ومرادُه رضي اللَّه عنه أنه رسولٌ، يدلُّه على طريق الهداية والإيمان.

(وَمَفَازاً) أي سفراً طويلاً، في صحراءَ واسعة، شديدةِ الحرِّ، ليلقى عدوًّا، ولذلك أخبرهم ﷺ باتِّجاهه، ليأخذوا حِذْرهم وحيطتهم، ويستعدُّوا لأعدائهم.

(كِتَابٌ حَافِظٌ) أي لا يجمع عَدَد جَمْعِ المجاهدينَ، سِجلٌ يضبطُ أسماءَهم وأعدادهم.

(يَتَمَادَىٰ بِي) أي ما زال الأملُ يمتدُّ بي، فأقول: اليومَ ألحقُ بهم، غداً ألحقُ بهم.

(تَفَارَطَ الغَزْوُ) أي أسرعَ القَوْمُ وسبقوا، وفاتني اللَّحاقُ بركب المجاهدين.

(مَغْمُوصاً في دِينِهِ) أي مطعوناً في دينه، متَّهماً بالنفاق.

(حَبَسَهُ بُرْدَاهُ) أي حَبَسه عن الجهاد، ملابسُه، وعباءتُه الفاخرةُ، والعِطْفُ: الجانبُ، وهو كنايةٌ عن الكِبَر، وإعجابُه بنفسه، وثيابه.

(أُعْطِيتُ جدلاً) أي وُهبتُ فصاحةً وبياناً، أستطيعُ أن أُقْنِعَ غيري، بطريق الجَدَل، وقوَّةِ الحُجَّة والبرهان.

(تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ) أي تغضب عليَّ إنْ حدَّثتُك به، وهو كلامُ الصدق.

(مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي) أي ما زالوا يلومونني، ويعنفِّونني، لأنني لم أعتذر، كما اعتذر غيري.

(فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ) أي أنظر إلى رسولِ اللَّه ﷺ خُفيةً، لعلَّه يدعوني إليه.

(جَفْوَةَ المُسْلِمِينَ) أي إعراضهم عني، وعدم كلامهم معي.

(تَسَوَّرْتُ حائطاً) أي علوتُ جدار بستانٍ، حتى وصلتُ أعلاه.

(فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ) أي ائتنا نقدِّمْ لك المواساةَ، والمساعدة، فأنت لدينا عزيزٌ، رفيعُ القَدْرِ والمكانة.

(فَسَجَرْتُهَا) أي أحرقتُ الرسالةَ بالنار، من شدة غضبي، لأنه يدعوني فيها إلى اللِّحاق بدار الكفر.

(تَعْتَزِلُ امْرَأَتَكَ) أي يأمرك رسولُ اللَّه ﷺ أن لا تقرب امرأتك، ولا تعاشرها.

(صَارِخٌ أَوْفَى عَلَى سَلْع) أي صعد على جبل (سَلْع) في المدينة، وأخذ يناديني.

(فآذَنَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا) أي أعلمَ النَّاسَ بتوبة اللَّه علينا نحن الثلاثة.

(فَانْطَلَقْتُ) أي ذهبتُ أقصدُ رسولَ اللَّه ﷺ، لأسمعَ خبرَ التوبة.

(يَبْرُقُ وَجْهُهُ) أي يلمع ويضيء وجههُ الشريف من السرور.

(أَبْلاهُ بِصِدْقِ الحَدِيثِ) أي ابتلاه وامتحنه، بأن لا يحدُثَ منه إلَّا كلامُ الصِّدق.

(أَنْخلعَ من مَالِي) أي أخرج من مالي، وأتصدَّق به لوجه اللَّه تعالى.

(أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ) لفظةُ «لا» زائدة، أي أن أكون كذبتُه فأهلك، كقوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] أي ما الذي مَنَعك أن تسجد لآدم؟

(إنَّمَا تَخْلِيفُهُ إيَّانَا إرجَاؤُه) يريد أن يقول: إنَّ المراد من قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] أي تاب على الثلاثة الذين أُخِّرت توبتُهم، إلى أن أنزل اللَّه فيهم التوبةَ، وليس المراد من (الَّذِينَ خُلِّفُوا) الذين تخلَّفوا عن الغزو، ويدلُّ عليه قوله: (وأرْجَأ رسولُ اللَّه أمْرَنَا، حتى قَضَى اللَّهَ فيه)، أي أخَّرَ أمرنا حتى أنزل اللَّه الحُكْمَ فيه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: دلالةٌ على أنَّ الجهاد في سبيل اللَّه، كان فرضاً لازماً على المسلمين، كما أنَّ الهجرة كانت فريضة عليهم.

الثاني: وفيه مشروعيةُ هَجْر من خالف، أو عصى أمرَ اللَّهِ، وأمْرَ رسولِهِ، لأمرِه ﷺ الصحابةَ، عن مكالمة الثلاثة الذين تخلَّفوا عن الخروج في الغزو.

الثالث: وفيه جوازُ الحلف للتأكيد، من غير استحلافٍ وطلبٍ، لقول كعب: (واللَّهِ ما قام رجلٌ من المهاجرين غيرُه).

الرابع: وفيه مشروعيةُ سجود الشكر، لقول كعب: فخررتُ ساجداً للَّه تعالى.

الخامس: وفيه التسابقُ للتبشير بالخير، وإعطاءُ المبشِّر ما تجود به نفسه، لقوله: فنزعتُ ثوبيَّ فكسوتُه بهما.

السادس: وفيه تهنئةُ الإنسان إذا حصلت له نعمةٌ، والقيامُ له للتهنئة، لقوله: فقام إليَّ (طلحةُ) يهرول وهنَّأني.

السابع: وفيه جوازُ تركِ وطء الزوجة، مدَّةً من الزمن، عقوبةً للمخالف، لأمره ﷺ الثلاثة باعتزال نسائهنَّ.

الثامن: وفيه جوازُ التورية، في الأمور التي يَخْشى منها الإنسانُ نشْرَ الخَبَر، وانتشاره بين الناس.

التاسع: وفيه أنَّ المسلمَ القويَّ في دينه، يُؤاخذ بأشدَّ ممَّا يُؤاخذ به الضعيفُ في الدين.

العاشر: وفيه أنَّ المسافر يُستحبُّ له أن يبدأ بدخول المسجد، قبل دخول المنزل، من أجل الصلاة فيه.

الحادي عشر: وفيه فائدةُ الصَّدقة، وشُؤمُ عاقبةِ الكذب، فإنَّ اللَّه نجَّى هؤلاء الذين صَدَقوا، وتاب عليهم دون غيرهم، بسبب صدقهم، وقال تعالى: ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

الثاني عشر: وفيه أنَّ من نَذَر الصَّدقة بجميع ماله، لم يلزمه إخراج جميعه، لقوله ﷺ: **(أمسكْ عليكَ بعضَ مالك، فهو خير لك)**.

تنبيه لطيفٌ هام

في هذا الحديث الشريف، دلالةٌ واضحة على أنَّ الجهاد على المسلمين، كان فرضَ عينٍ على كل مسلم، إلَّا أهلَ الأعذار، لأن الإسلام كان في بدء أمره محتاجاً إلى الخروج للجهاد، والتَّضحيةِ بالنفس والمال، نصرةً لدين اللَّه، ولهذا اشتدَّ غضبُ الرسول ﷺ، على من تخلَّف عن غزوة تبوك، المسمَّاة بغزوة العُسْرة، ويؤيِّد هذا قولُ الحقِّ جلَّ جلالُه: ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ**﴾ [التوبة: ١٢٠] أي لا ينبغي لهم أن يتخلَّفوا عن الغزو مع رسول اللَّه، ولا يصحُّ أن يُحِبُّوا لأنفسهم الراحةَ، دون أن يحبُّوها لرسول اللَّه ﷺ!! فحقُّه عليهم أن يَفْدُوه بالمُهَج والأرواح، وأن يُؤْثِروه على أنفسهم، فيتحمَّلُوا الشدائد والمصاعب دونه، لأنَّ نفسه ﷺ أغلى من نفوسهم، وهي أعزُّ نفسٍ عند اللَّهِ تعالى، فكيف يتخلَّفون عنه، ويتركونه يقاسي الخطوب والأهوال؟

قال الحسن البصري: يا سبحانَ اللَّه، هؤلاء الثلاثةُ، ما أكَلُوا مالاً حراماً، ولا سفكوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، أصابَهُم ما سمعتم، وضاقت عليهم

الأرضُ بما رَحُبت، فكيف بمن يواقع الفواحشَ والكبائر؟ إنما كانت عقوبتُهم هذه لأنهم تخلَّفوا عن الخروج مع رسول اللَّه ﷺ! وهو كلامٌ بديعٌ هام .اهـ فتح الباري ١/ ١٢٣.

٤٤١٩ ـ [طرفه في: ٤٣٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٢٠ ـ [طرفه في: ٤٣٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٢١ ـ [طرفه في: ١٨٢]، تقدّم شرحُه.

٤٤٢٢ ـ [طرفه في: ١٤٨١]، تقدّم شرحُه.

٤٤٢٣ ـ [طرفه في: ٢٨٣٨]، تقدّم شرحُه.

٤٤٢٤ ـ [طرفه في: ٦٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ ولَّوْا أَمْرَهُمُ ٱمْرَأَة)

٤٤٢٥ ـ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ «نُفَيْع بنِ الحَارِثِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: (لَقَدْ نَفَعَني ٱللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُها مِنْ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ أَيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَما كِدْتُ أَنْ أَلْحَق بِأَصْحابِ الجَمَلِ، فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ ﷺ: («**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ ٱمْرَأَةً**»).

[طرفه في: ٧٠٩٩].

شرح الألفاظ

(**أصْحَابُ الجَمَلِ**) المراد بأصحاب الجَمَل: العسكرُ الذين كانوا مع السيدة (عائشة)، نُسبوا إلى الجمل، لأنها كانت تركب جملاً، وفي الحديث تقديمٌ وتأخير، والتقديرُ: نفعني اللَّهُ (أيَّامَ الجَمَل) بكلمة سمعتُها من رسول اللَّه قبل ذلك، أي نفعني اللَّه بهذه الكلمة، التي كنتُ قد سمعتُها من رسول اللَّه ﷺ، وليست متعلِّقة بسمعتُها، لأنَّ سماعه لها كان قبل ذلك قَطْعاً.

(**لَنْ يُفْلِحَ**) أي لن ينجح ويفوز، من أمَّرَ عليه امرأةً، بولاية عامة، ولا بتوليةِ

قضاء، لأن المرأة (عاطفية)، تغلب عليها العاطفةُ، وأمورُ الدولةِ والقضاء تحتاج إلى عَزْمٍ وحزمٍ، وقوَّة إرادة وقَضَاء.

شرحُ الحديث

لمَّا قُتل (عثمانُ بن عفَّان) رضي اللَّه عنه، وبُويع عليٌّ بالخلافة، خرج طلحةُ والزبيرُ إلى مكة، فوجدا السيدة عائشة وكانت قد حجَّتْ، فاجتمع رأيُهم على التوجه إلى البصرة، للمطالبة بدم عثمان، فخرج إليهم (عليٌّ) رضي اللَّه عنه، فكانت وقعةُ الجمل.

وكان «أبو بكرة» قد سمع حديثاً من رسول اللَّهِ يقول فيه ﷺ: **(لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً)** فتذكَّر هذا الحديث، فامتنع عن الخروج، والالتحاق بمعسكر عائشة، ليقاتل معهم، بعد أن كاد يلتحق بالجيش.

قال الحافظ ابن حَجَر: نُسبت المعركةُ إلى الجَمَل، الذي كانت عائشة قد ركبته، وهي في هَوْدَجِها، تدعو الناسَ إلى الإصلاح، لا إلى القتال، ولكنْ حَصَل ما حصل من القتال، والقائل «أبو بكرةَ»: ما كِدْتُ ألحقُ بأصحاب الجمل ـ يعني عائشة ـ حتى ذكرتُ الحديث الشريف، الذي كنتُ سمعتُه قبل ذلك من رسول اللَّه ﷺ، فحفِظَه اللَّهُ من الخروج معها.

وأمَّا قصَّةُ تمليكِ أهلِ فارس «بُورَانَ بنتِ شِيرَوَيْه» ابنةُ الملك عليهم، فهي أنَّ «شِيرَوَيْه» لمَّا قَتَلَ أباه «كسرى» بدعوة النبيِّ ﷺ عليه، حين مزَّق الكتابَ الذي أرسله إليه ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام، قال: **(اللهمَّ مزِّقْه شرَّ ممزَّق)**، فقتله ابنُه «شيرَوَيْه»، ولمَّا ماتَ، كره أهلُ فارسَ أن يَخْرج المُلْكُ والسلطانُ عن أسرة مَلِكهم «كسرى» فاجتمعوا على تأمير المرأةِ عليهم. اهـ فتح الباري ١٠/١٢٨.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه الدلالة على منع تولية الخلافةِ، والقضاءِ، للنساء، وهو رأيُ الجمهور، إلَّا ما كان خاصاً بالنساء، من الأمور الدنيوية.

الثاني: وفيه التبصُّرُ والاهتداء بهدي سيِّد الأنبياء ﷺ، فإنَّ الصحابيَّ «أبا بَكْرَةَ» كان عازماً على الخروج، في حزب (عائشة) رضي اللَّه عنها، فلمَّا ذَكَرَ الحديثَ امتنع عن الخروج مع معسكر عائشة رضي اللَّه عنها، مع أنها خرجت للإصلاح، لا للحرب، واسْتُغلَّ خروجُها من بعض دُعاةِ الفتنة، ولا حول ولا قوَّةَ إلَّا باللَّه.

الثالث: وفيه أنَّ تولية أمور الدولة، أمرٌ خطير، لا يصلح له النساءُ لضعفهنَّ، وقوة عاطفتهنَّ.

الرابع: وفيه أنَّ دعاءَ النبيِّ ﷺ بتمزيق (مُلْك كسرى)، كان نتيجةً لتمزيقه لكتاب الرسول ﷺ، وقد استجاب اللّه دعَاءَهُ، فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة، وزال عنهم المُلْكُ، والجاه، والسلطان.

تنبيه هام

حكمُ تولية المرأة أمورَ الدولة، وسياستَها، وتوليتَها المناصبَ الرفيعة على الرجال وبخاصة (الخلافة، والقضاء) منهيٌّ عنه في شريعة الإسلام، لأنَّ أمرَ المرأة مبنيٌّ على السِّتْر والاحتشام، واختلاطُها بالرجال، يدعو إلى الفتنة، لحديث: **(ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء)** متفق عليه، وهذا أمر مشاهدٌ ملموس، لذلك اتفق الفقهاء على حرمة ذلك.

وقال أبو حنيفة: إنها تلي القَضَاءَ والحُكمَ، فيما تجوز فيه شهادةُ النساء، فهي (ولايةٌ خاصَّة)، وليست عامة، حتى يحتجَّ بها ضعفاءُ العلمِ، والفهم. وانظر فتح الباري لابن حجر ١٠/١٢٨ وعمدة القاري ١٨/٥٨.

٤٤٢٦ ـ [طرفه في: ٣٠٨٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٢٧ ـ [طرفه في: ٣٠٨٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٢٨ ـ انظر شرحه في الحديث (٣١٦٩).

باب (مَرَضِ النَبِيِّ ﷺ ووَفَاتِهِ)

٤٤٢٩ ـ عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنه عن أم الفضل بنت الحارث أنها قالت: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالمُرْسَلَاتِ عُرْفاً، ثُمَّ مَا صَلَّى لَنَا بَعْدَهَا حَتَّى قَبَضَهُ ٱللَّهُ).

[طرفه: ٧٦٣]

شرح الحديث

تحكي (أمُّ الفضل) وهي أمُّ (عبدِ اللَّه بنِ عباس) وزوجُ العباس، أنها سمعت الرسول ﷺ في آخر حياته، يقرأ في صلاة المغرب سورة ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ ثم مرض ﷺ فلم يخرج لأصحابه للصلاة بهم، حتى توفاه اللَّهُ تعالى.

قال الحافظ ابن حجر: وأمَّا ابتداء مرضه ﷺ فقد كان في بيت «ميمونة» وكان ابتداء المرض يوم الاثنين، والأكثرون على أن المرض كان ثلاثة عشر يوماً، وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين من ربيع الأول، في الثاني عشر من الشهر، وهو قول الجمهور. اهـ فتح الباري لابن حجر ٨/ ١٢٩.

٤٤٣٠ ـ [طرفه في: ٣٦٢٧]، تقدّم شرحُه.

٤٤٣١ ـ [طرفه في: ١١٤]، تقدّم شرحُه.

٤٤٣٢ ـ [طرفه في: ١١٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَرضِ النَّبيِّ ﷺ ووَفَاتِه)

٤٤٣٣ ـ ٤٤٣٤ ـ عَنْ عَائِشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنها قَالَتْ: (دَعَا النَّبيُّ ﷺ فَاطِمَةَ عَلَيْها السَّلَامُ، فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَسَارَّها بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاها فَسَارَّها بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْنَاهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبيُّ ﷺ: أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سارَّني فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ يَتْبَعُهُ، فَضَحِكْتُ)!.

[طرفه في: ٣٦٢٣، ٣٦٢٤].

شرح الألفاظ

(فِي شَكْوَاهُ) أي في مرضه الذي توفِّي فيه ﷺ.

(فَسَارَّهَا) أي أسرَّ لها بشيءٍ، فبكتْ فاطمةُ، ثم أسرَّ لها بأمرٍ آخر، فضحكتْ.

أما سببُ البكاء، فقد أخبرها ﷺ أنه سيموت في ذلك المرض، فلذلك بكتْ، وأمَّا ضَحِكُها، فقد أخبرها أنها أولُ من سيلحق به من النساء.

شرح الحديث

دخلت السيدةُ فاطمةُ رضي اللَّه عنها، على رسول اللَّه ﷺ، وهو مريض، فأخبرها بأمرٍ كان سرًّا بينه وبينها، فبكتْ، واغرورقت عيناها بالدموع، فلمَّا رأى حُزْنَها وبكاءَها، أسرَّ إليها بسِرٍّ آخر، فضحكتْ.

وقد أورد البخاري الحديثَ هنا مختصراً، وجاء في موطن آخر في صحيحه، (أنَّ السيِّدة (عائشة) سألتْها عن سبب بكائها، ثم ضحكها؟ فقالت: ذلك سرٌّ بيني وبين رسول اللَّه ﷺ، ما كنتُ لأفشيه!! فلمَّا توفِّي رسولُ اللَّه ﷺ، سألتها عائشةُ عن السبب؟ فقالتْ: لمَّا أسرَّ لي في المرَّة الأولى، أخبرني أنه سيُقبض في وَجَعه هذا، فبكيتُ لذلك، فلمَّا رأىٰ بكائي، أخبرني بأنِّي أوَّلُ من سيلحق به من أهل بيته، فضحكتُ لذلك!!) فهذه الرواية توضيحٌ لذلك السِّرِّ.

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: كان ابتداءُ مرضه ﷺ، في بيت زوجه السيدة (ميمونة) رضي اللَّه عنها، ثم طلب ﷺ أن يُمرَّض في بيت (عائشة) فأذنَ له نساؤه، وكانت وفاتُه في بيتها، ومدَّةُ مرضه ﷺ (١٣) ثلاثة عشر يوماً، وتوفِّي يوم الاثنين، ـ بلا خلاف ـ من ربيع الأول، وقد عاش ﷺ بعد حجة الوداع (٨١) واحداً وثمانين يوماً. اهـ فتح الباري ٨/ ١٢٩.

بابٌ (لا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتى يُخَيَّرَ)

٤٤٣٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها أَنَّها قَالَتْ: (كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ: لَا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ، يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩]. الآيَةَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ).

[أطرافه في: ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩].

شرح الحديث

لمَّا مرضَ رسولُ اللَّه ﷺ المرضَ الذي تُوفِّي فيه، جعل يقول: **(اللهمَّ الرفيقَ الأعلى** ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]) وعرضتْ له بُحَّةٌ في صدره وهي تغيُّر الصَّوْتِ، وميلُه إلى الخشونة، فعرفَتْ عائشةُ أنه ﷺ يُخيَّر، لأنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: **(لم يُقبض نبيٌّ إلَّا خُيِّر، بعد أن يرى مَقْعده في الجنة)**، ويدلُّ على هذا الحديثُ الآتي ذكرُه:

٤٤٣٦ ـ [طرفه في: ٤٤٣٥]، تقدّم شرحُه.

بابُ (تَخْيِيرِ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَ المَوْتِ)

٤٤٣٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أنَّها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ، يَقُول: (إنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبيٌّ قَطُّ، حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا، أَوْ يُخَيَّرَ).

فَلَمَّا ٱشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى)!! فَقُلْتُ: إذاً لَا يُجَاوِرُنَا ـ تعني لا يَخْتَارُنا ـ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنا وَهُوَ صَحِيحٌ).

[طرفه في: ٤٤٣٥].

شرح الألفاظ

(حَضَرَهُ القَبْضُ) أي حضرته الوفاةُ، فالمرادُ بالقبض: قبضُ الروح.

(غُشيَ عليه) أي أُغْمِيَ عليه، وصار في حالةِ غيبوبة ﷺ.

(شَخَصَ بَصَرُه) أي وقَفَ بصرُه نحو السماء، ولم تتحرَّكْ عيناه، وهي علامةُ الموت.

(الرَفِيق الأَعْلَى) أي ألحقني بالرفيق الأعلى، أو أسألك الرفيق الأعلى مع النبيِّين والصِّدِّيقين، والشهداء، والصالحين.

(إذاً لا يَخْتَارُنَا) أي قالت عائشة: إذاً لا يريد البقاء عندنا، لأنه اختار لقاءَ ربه جلَّ وعلا.

توضيح وبيان

هذا الحديث يؤيِّد الحديثَ السابق، أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لا يقبضُ روحَ نبيٍّ من الأنبياء، حتى يخيِّره بين البقاءِ في الدنيا، وبين الانتقال إلى الجنة دار الخلود، وهذه من خصائص الأنبياء صلواتُ اللَّه عليهم، كما صحَّ أنَّ موسى عليه السلام (لمَّا حَضَر أجلُه، جاءه مَلَكُ الموت لقبضِ روحه، فصكَّه موسى فقلع عينه، فرجع مَلَكُ الموت إلى ربه، وقال له: يا رب أرسلتني إلى عبدٍ لا يحبُّ الموتَ...) الحديث كما في رواية البخاري. ونبيُّنا ﷺ خُيِّر بين أن يبقى في الدنيا، إلى أن يرى ما يفتح اللَّه على أمته، وبين التعجيل للقاء ربه، فاختار التعجيل، كما يشير إليه الحديث المذكُورُ:

٤٤٣٨ ـ [طرفه في: ٨٩٠]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٤٤٤٩.

بابُ (نَفْثِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَتَيْنِ)

٤٤٣٩ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا (أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ كَانَ إذَا ٱشْتَكَى، نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بَالمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا ٱشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عنْهُ).

[أطرافه في: ٥٠١٦، ٥٧٣٥، ٥٧٥١].

شرح الألفاظ

(نفثَ على نفسه بالمعوِّذات) أي قرأ ﷺ المعوِّذَتَيْن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾

[الفلق: ١] و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١] ثم نفخ على جسده الشريف، ومسح بها سائر جسمه.

(فَلَمَّا اشْتَكى) أي فلمَّا اشتدَّ به الوجعُ، في مرضه الذي تُوفِّي فيه.

(طَفِقْتُ أَنْفِثُ) أي أخذتُ أقرأ عليه، ما كان يقرؤه في مرضه من القرآن، وأمسحُ بيده على جَسَده، طلبَ البركةِ من يده الشريفة!

باب قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ:
(اللَّهُمَّ اغفِرْ لي وارْحَمْنِي، وألْحِقْنِي بالرَّفيقِ الأعْلَى)

٤٤٤٠ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها أنَّها قَالَت: (أَصْغَيْتُ إلى النبيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إلَيَّ ظَهْرَهُ، يَقُولُ: (اللهُمَّ ٱغْفِرْ لِي، وَٱرْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى).

[طرفه في: ٥٦٧٤].

معنى الحديث

دلَّ الحديث الشريف على أنه ﷺ قبل أن يفارق الدنيا، خُيِّر بين لقاء ربه، وبين الخلود مدة طويلة في الدنيا، فاختار ﷺ لقاءَ اللَّه، وقد ألقتْ أمُّ المؤمنين عائشة سمعَها إلى رسول اللَّه ﷺ، لتعرف آخرَ كلامه قبل وفاته، فسمعتْهُ يقول: **(اللهمَّ اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى)** فعرفَتْ أنه خُيِّر في ذلك الوقت.

٤٤٤١ ـ [طرفه في: ٤٣٥]، تقدّم شرحُه.

٤٤٤٢ ـ [طرفه في: ١٩٨]، تقدّم شرحُه.

٤٤٤٣ ـ [طرفه في: ٤٣٥]، تقدّم شرحُه.

٤٤٤٤ ـ [طرفه في: ٤٣٦]، تقدّم شرحُه.

٤٤٤٥ ـ [طرفه في: ١٩٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (اللهمَّ أعنِّي على سَكَراتِ المَوْتِ)

٤٤٤٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها أنَّها قَالَتْ: (مَاتَ النَّبيُّ ﷺ وإنَّهُ لَبيْنَ حَاقِنَتِي، وَذَاقِنَتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ المَوْتِ لأَحَدٍ أَبَداً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ).

[طرفه في: ٨٩٠].

شرح الألفاظ

(حَاقِنَتي وذاقِنتي) الحاقِنَةُ: ما سَفَلَ من البطن، والذَّاقنةُ: ما كان تحت الذَّقن إلى الصَّدر، ومرادها: أنَّ النبيَّ ﷺ تُوفِّي ورأسُه الشريف بين عُنُقِها وصدرها.

شرح الحديث

انتقل رسولُ اللَّه ﷺ إلى جوار ربه، ورأسُه الشريف على صدر عائشةَ، تحت عُنُقها، ونهاية صدرها، وقد كان ﷺ يُنازع وبجواره قدحٌ فيه ماءٌ، فَيُدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، وهو يقول: (**لا إله إلا اللَّهُ، إنَّ للموتِ لِسَكرات، اللهمَّ أعنِّي على سَكَرات الموت**) ولهذا قالت عائشة: إني لا أجد شدَّة الموت لأحد، بعدما رأيتُ النبيَّ ﷺ يقاسي من أهواله وشدائده.

بابُ قَوْلِ عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عنه: (أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئاً)

٤٤٤٧ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّه قَالَ: (خرج عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مِنْ عِنْدِ رَسُول ٱللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ

النَّاسُ: يَا أَبَا الحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ ٱللَّهِ بَارِئاً.

فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَٱللَّهِ بَعْدَ ثَلاَثٍ عَبْدُ العَصَا، وَإِنِّي وَٱللَّهِ لأَرَى رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لأَعْرِفُ وُجُوهَ بنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ عِنْدَ المَوْتِ، ٱذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هٰذَا الأَمْرُ، إنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ، فَأَوْصَى بِنَا!!

فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَٱللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَٱللَّهِ لاَ أَسْأَلُها رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ).

[طرفه في: ٦٢٦٦].

شرح الألفاظ

(أَصْبَحَ بَارِئاً) هذا من باب التفاؤل، أي أصبح الرسولُ ﷺ معافى بحمد اللّه، قد عُوفي من مرضه، وأبو الحسن: كنيةُ «عليِّ بن أبي طالب» رضي اللّه عنه.

(عَبْدُ العَصَا) كنايةٌ لطيفة، أي تصبح بعد موتِ الرسول ﷺ، تابعاً لغيرك، بلا جاهٍ ولا عِزَّة، مأمورٌ عليك من الخليفة.

(فِيمَنْ هذا الأَمْرُ) أي فيمن تكون الخلافةُ بعد وفاته ﷺ؟ ومن سيتولَّى الخلافةَ؟.

(لا يُعْطِيناهَا النَّاسُ) أي لئن سألنا الرسولَ عن الخلافةِ بعده، فمنعنا منها، لا يُعطينا أحدٌ من الناس الخلافةَ بعد ذلك.

شرح الحديث

دخل سيدنا «عليُّ بنُ أبي طالب» على رسول اللّه ﷺ، في مرض وفاته، ثم خرج من عنده، فاجتمع حوله الصحابةُ، يسألونه عن صحَّة النبيِّ ﷺ؟ فقال لهم: إنه معافى بحمد اللّه ومشيئته، فلا تفزعوا عليه، قال ذلك لهم، متفائلاً بشفائه، لأنه رآه عليه الصلاةُ والسلام هادئَ النفس، كأنه لا يشكو ألماً، وكان معه العبَّاسُ رضي اللّه عنه.

فلمَّا خرج عليٌّ قال له العباس: لو رجعنا إلى رسولِ اللَّه ﷺ، فسألناه: لمن ستكون الخلافةُ بعده؟ فإني أرى في وجهه الكريم آثار الموت، ولا أظنُّ أنه سيعيش أكثرَ من ثلاثة أيام، وهذا إنما عرفه من وجوه بني عبد المطلب ـ وهذا من شدة فِرَاسة العباس رضي اللَّه عنه ـ، وقد كان الأمر كما توقَّع العباس، فلمَّا عَرَضَ عليه أن يرجع إلى الرسول، ويسأله من سيكون خليفةً؟ **قال له أيضاً**: إن لم تفعل ذلك، فستكون بعد أيام عبداً مأموراً، فارجع إليه لنسأله عن ذلك!!

فأبى عليٌّ أن يفعل وقال للعباس: لئن سألناه الخلافة فمَنَعنا منها، فإنَّ الناس لن يعطونا إيَّاها بعده أبداً، ويقولون: كيف نعطيه الخلافة، وقد طلبها من الرسولِ ﷺ، ومنعه منها؟ فأبى أن يرجعَ، ثم قال له: واللَّهِ لا أسألها رسولَ اللَّه ﷺ أبداً.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه الردُّ على من زعم أنَّ النبيَّ ﷺ أوصى لعليٍّ بالخلافة بعده، وقد قالت السيدة عائشةُ: (مات رسولُ اللَّه ﷺ وإنه لمستندٌ إلى صدري، فكيف أوصىٰ لعليٍّ)؟

الثاني: وفيه أنَّ السُّنَّة النبويَّة، إذا دخل أحدٌ على مريض، أن يقول لمن سأل عن حاله؟ إنه أصبح بحمد اللَّه بارئاً أي معافى، تفاؤلاً بشفائه.

الثالث: وفيه بيان زُهد (عليٍّ) رضي اللَّه عنه في الخلافة، ولو كان حريصاً عليها، لَمَا أقسم أنه لا يسأل الرسولَ عنها.

الرابع: وفيه فِراسةُ العبَّاس رضي اللَّه عنه، حيث قال: (إن رسول اللَّه ﷺ سيُتوفَّى من وجعه هذا، لمعرفته بوجوه بني عبد المطَّلب) عند وفاتهم، وكان الأمر كما قال العباس.

٤٤٤٨ ـ [طرفه في: ٦٨٠]، تقدّم شرحُه.

باب (مَرضِ النَّبيِّ ﷺ ووَفاتِه)

٤٤٤٩ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها أنَّها كانت تَقُولُ: (إنَّ مِنْ نِعَمِ ٱللَّهِ

عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ ٱللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ (عَبْدُ الرَّحْمٰنِ)، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ». فَتَنَاوَلْتُهُ، فَٱشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ». فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ ـ يَشُكُّ عُمَرُ ـ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يقُولُ: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّه، إِنَّ لِلْمَوتِ سَكَرَاتٍ». ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يقُول: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»! حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ).

[طرفه في: ٨٩٠].

شرح الألفاظ

(بَيْنَ سَحْرِي ونَحْرِي) السَّحرُ: ما بين الثَّدْيَيْن أعلى الصدر.

والنَّحرُ: موضعُ القلادة في العُنُق. **والمعنى**: أنَّ الرسول ﷺ، لمَّا قُبض كان مستنداً إلى صدر السيدة عائشة رضي اللَّه عنها.

شرح المعنى

هذا الحديث الشريف، وما سبقه من الأحاديث، تؤكد أنَّ النبي ﷺ، تُوفِّي في بيت السيدة (عائشة) رضي اللَّه عنها، وليس في بيت (ميمونة) أو (زينب) كما ذكره بعضهم، لأن المعلوم أنَّ النبيَّ يُدفن في المكان الذي مات فيه، والمكانُ الذي قُبضَ فيه رسولُ اللَّه ﷺ، هو بيت (عائشة)، ولذلك دُفن فيه ﷺ.

وقد عدَّت السيدة عائشة موتَ النبيّ ﷺ في بيتها، من أعظم نِعَم اللَّه عليها، وأكَّدتْ ذلك بقولها: (تُوفِّي في بيتي، وفي يومي، وبين صدري ونحري).

وسيِّدُنا (عمرُ بن الخطَّاب) رضي اللَّه عنه، لمَّا أُصيبَ بَعَث ولده (عبْدَ اللَّهِ بنَ عمَرَ) إلى أمِّ المؤمنين عائشة، وقال له: اذهبْ إليها وأقْرِئْها السلام منِّي، وقل لها: إنَّ عمر يحبُّ أن يُدفن مع صاحبيه، ولا تقل لها: إنَّ أمير المؤمنين عمر، فلستُ اليومَ بأميرٍ للمؤمنين، فإنْ أذنتْ فبشِّرْني، وإن لم تأذن فادفنوني مع عامَّة المسلمين. فلمَّا

بلَّغها، قالت: كنتُ أوثره لنفسي، واليومَ أوثرُ عمرَ على نفسي، فأذنتْ رضي اللَّه عنها، أن يُدفن مع رسول اللَّه ﷺ، وأبي بكر، فدلَّ على أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ مات في بيتها ودُفن فيه.

كما أنَّ ريقَه الشريف قد جُمع مع ريقها؛ **لأنه لمَّا دخل عليها أخوها «عبد الرحمٰن» كان بيده سواك**، فنظر رسولُ اللَّه ﷺ إليه، فعرفتْ أنه يريد السِّواك، فأخذته من يد أخيها، ودفعته إلى رسول اللَّه ﷺ، فلمَّا وضعه في فمه اشتدَّ عليه لقسوته، فسألته هل تحبُّ أن أُليِّنه لك؟ فأشار لها برأسه أن نعم، فأخذته فجعلت تمضَغُه بأسنانها حتى لَانَ، فدفعته لرسول اللَّه ﷺ، فامتزج ريقُه الشريفُ بريقها.

وكانَ آخرَ ما سمعتْه من رسول اللَّه ﷺ، قبل مفارقته الحياة، أنه قال: **(اللهمَّ في الرفيق الأعلى)** حتى مالت يدُه، وقُبضتْ روحُه الشريفة الطاهرة، وذهبت إلى بارئها، فكانت وفاتُه ﷺ في بيت عائشة قطعاً، ورأسُه الشريف مستند إلى صدر عائشة، حيث كان يشتهي ﷺ أن يموت في بيتها.

٤٤٥٠ ـ [طرفه في: ٨٩٠]، تقدّم شرحُه في الحديث السابق رقم ٤٤٤٩.

٤٤٥١ ـ [طرفه في: ٨٩٠]، تقدّم شرحُه في الحديث السابق رقم ٤٤٤٩.

٤٤٥٢ ـ [طرفه في: ١٢٤١]، تقدّم شرحُه في الحديث السابق رقم ٤٤٤٩.

٤٤٥٣ ـ [طرفه في: ١٢٤٢]، تقدّم شرحُه.

٤٤٥٤ ـ [طرفه في: ١٢٤٢]، تقدّم شرحُه.

٤٤٥٥ ـ [طرفه في: ١٢٤١]، تقدّم شرحُه.

٤٤٥٦ ـ [طرفه في: ٥٧٠٩]، انظر شرح الحديث رقم ١٢٤١.

٤٤٥٧ ـ [طرفه في: ١٢٤٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (نَهْيِ النَّبِي ﷺ عَن اللَّدُودِ)

٤٤٥٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّها قالت: (لَدَدْنَا النبيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنا: أَنْ لَا تَلُدُّوني! فَقُلْنا: كَرَاهِيَةَ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي»!؟ قُلْنَا: كَرَاهِيَةَ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «لَا

يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ، إِلَّا الْعَبَّاسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ».

[أطرافه في: ٥٧١٢، ٦٨٨٦، ٦٨٩٧].

شرح الألفاظ

(لا تلُدُّوني) اللَّدُدُ: وضعُ الدَّواء في فم المريض بغير رضاه، أي لا تُكرهوني على شرب الدواء.

قال العيني: (لَدَدْناه) أي جعلنا في فمه دواءً بغير اختياره، فهذا هو اللَّدُّ، والذي يُصَبُّ في الحَلْق يسمى «الوَجُور» عمدة القاري.

(كَراهيةُ المَريضِ لِلدَّوَاءِ) أي إنما نهى عنه ﷺ، لأنَّ عادةَ المريض أنه يكره الدواء.

(فلَمَّا أفاقَ) أي صحا من إغمائه، لأنه ﷺ لمَّا كانت تأتيه سكرةُ الموت، يُغمى عليه.

شرح الحديث

كان ﷺ في مرضه يُكره على شُرْب الدواء، من جهة آل بيته ونسائه، وكان ﷺ ينهاهم عن إكراهه على ذلك ـ وهذا هو اللَّدَد ـ فلمَّا نهاهم، قالوا: إنَّ هذا من عادة المريض، أنه يكره شرب الدواء، فوضعوا في فمه الدواءَ وهو في حالة غيبوبة.

فلمَّا صَحَا قال لهم: **(ألم أنهكم عن ذلك؟)** فأمر ﷺ بوضع الدَّواء المُرِّ، في فم كلِّ من حضر من آل بيته، عقوبةً لهم، لتركهم امتثالَ نهيه عن ذلك، إلَّا العبَّاس، فإنه لم يكن حاضراً في ذلك الوقت.

قال الحافظ ابنُ حجر: فيه مشروعيةُ القصاص، في جميع ما يُصاب به الإنسان عمداً، وإنما فعل ذلك بهم، عقوبةً لهم، لتركهم امتثالَ نهيه ﷺ، أمَّا من باشره ـ أي باشر وضع الدواء ـ فظاهرٌ، وأمَّا من لم يباشره، فلكونهم لم يُنكروا على من فعلوا ذلك، فكأنهم راضون بهذا، فأراد ﷺ تأديبَهم، لئلا يعودوا إلى ذلك العمل، تأديباً لا قصاصاً، ولا انتقاماً، وإنما كره ﷺ اللدَّ، مع أنه كان يتداوى، لأنه تحقَّق الموتَ عن طريق الوحي، وأنه يموت في مرضه، ولذلك كره التداوي. اهـ فتح الباري ١٠/ ١٤٧.

وقد جاء في رواية عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد: أنه كانت تأخذ رسولَ اللّه الخاصرةُ ـ يعني مرضَ ذاتِ الجَنْب ـ فاشتدت به، فأُغمي عليه فَلَدَدْناه ـ أي جعلنا الدواء في فمه ليبلعه ـ فلمَّا أفاق، قال لهم: (**كنتم تظنُّون أن اللّه يُسلِّط عليَّ ذاتَ الجَنْب، ما كان اللّه ليجعل لها عليَّ سلطاناً، واللّهِ لا يبقى أحدٌ في البيت إلّا لُدَّ**)، ولَدَدْنا ميمونةَ وهي صائمة. انظر عمدة القاري ٨/ ٧٣١ يعني: لإبرازِ قَسَم النبيِّ ﷺ.

ما يستفاد من الحديث

فيه كراهية إكراه المريض على شرب الدواء، إلَّا إذا تعيَّن أن هذا الدواء هو العلاج المضمون لذلك المرض، واللّه أعلم.

٤٤٥٩ ـ [طرفه في: ٢٧٤١]، تقدّم شرحُه.

٤٤٦٠ ـ [طرفه في: ٢٧٤٠]، تقدّم شرحُه.

٤٤٦١ ـ [طرفه في: ٢٧٣٩]، تقدّم شرحُه.

بابٌ (لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ اليَوْمِ)

٤٤٦٢ ـ عن أَنَسٍ رضي اللّهُ عنه أنّه قال: (لمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ، جَعَلَ يَتَغَشَّاه، فقالت فاطمةُ عَلَيْها السَّلامُ: وَاكَرْبَ أَبَاهُ!! فَقالَ لها ﷺ: (**لَيسَ على أبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**).

شرح الألفاظ

(لَمَا ثَقُلَ النَّبيُّ) أي اشتدَّ المرضُ على رسول اللّه ﷺ.

(جَعَل يَتغَشَّاهُ) أي أصبحت الشدَّةُ ملازمةً لرسول اللّه ﷺ، تصيبه ببعض الكرب، والألم.

(واكَرْبَ أَباه) الألفُ هنا ألفُ النُّدبة، والهاءُ هاءُ السكت، أي يا مصيبةَ أبي الفادحة، كأنها تشكو من شدَّةِ الكرب الذي حلَّ به ﷺ وهي تراه يتوجَّع ويتألم.

(لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ): أي فقال لها ﷺ: (إنَّ أباك لن يصيبه بعد اليوم شدةٌ، ولا كرب، ولا نَصَب، لأنه يذهب إلى دار الخلد والكرامة)، كأنه ﷺ يريد أن يصبِّرها ﷺ، ويخفِّف عنها وقع المصيبة.

شرح الحديث

دخلت السيدةُ فاطمة الزهراء، على أبيها محمد سيِّد المرسلين ﷺ، في مرض الوفاة، فوجدته يتألم، ويُغْمَى عليه من شدة المرض، وهو يعالج سكرات الموت، فلم تتحمَّل رؤيته في هذه الحالة الشديدة، فجعلت تقول: وَاكَربَ أباه، أيْ ما أشدَّ ما يعاني من هذه الآلام؟ وما أصعبَ ما حلَّ به من الكرب والغمِّ، الذي يأخذ بالأنفاس!!

ومثلُ هذا لا يُعدُّ من النياحة المنهيِّ عنها في الشريعة الغرَّاء، وإنما هذا نُدبة مباحة، ليس فيها ما يشبه نوح الجاهلية من الكذب، ورفع الصوت بالعويل، فلذلك لم ينهها ﷺ عن ذلك القول، وإنما واساها عليه السلام وقال لها: **(أبشري، فلا كرب على أبيك بعد اليوم)** وللحديث تتمة ذكرها البخاري، ونصُّها:

عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَاكَرْبَ أَبَاه، فقالَ لَهَا ﷺ: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ». فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ ربًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ!! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ نُفُوسكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ التُّرَابَ)!؟

ومعنى قولها: (أطابت أنفسُكم أن تحثوا التراب عليه) أي كيف طابت أنفسكم على حَثْو التراب عليه، مع شدة محبتكم له؟ وسكتَ أنس عن الجواب لها، رعايةً وتأدباً، ولسانُ حاله يقول: لقد تفطَّرتْ قلوبُنا حزناً على فراقِهِ، ولكنَّا قُهرنا على فعل ذلك، طاعةً للَّهِ، وامتثالاً لأمره!!

ويدلُّ على هذا المعنى، قولُ أنس رَضِيَ اللَّه عنه: (لمَّا كان اليومُ الذي دخل فيه ﷺ المدينةَ، أنار فيها كلُّ شيء، فلمَّا كان اليومُ الذي قُبضَ فيه رسولُ اللَّه ﷺ، أظلمَ فيها كلُّ شيءٍ، وما نفَضْنا أيدينا من دفنه، حتى أنكرنَا قلوبَنَا)!! رواه الترمذي.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث جوازُ التوجُّع للميت، بمثل قولها: (وَاكَرْبَاه) وأنه ليس من

النياحة، لأنه ﷺ أقرَّها على ذلك، وهذا يدلُّ على أنها لم ترفع صوتها بذلك، وإلَّا لنهاها النبيُّ ﷺ.

الثاني: وفيه جوازُ البكاء على من حضرته الوفاةُ فمات، لحديث: **(إن اللَّه لا يعذِّب على دمع العين ولا على حُزنِ القلب..)** الحديث.

الثالث: وفيه أنَّ ذكر محاسن الميِّت، لا حرمةَ فيها، لقول السيدة فاطمة: يا أبتاه أجابَ رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريلَ نَنْعاه.. إلخ، هذا إذا كان الميِّتُ معروفاً بالتقى والصلاح.

أمَّا إذا لم يكن الميِّتُ متصفاً بالخلال الحميدة، فهذا هو الممنوعُ.

الرابع: وفيه بيان أنَّ المؤمن الصادق، الذي عاش مؤمناً، ومات مؤمناً، لا خوف عليه، ولا يلحقه كرب، لقوله ﷺ لفاطمة الزهراء: **(لا كرب على أبيكِ بعد اليوم)** وقال سبحانه وتعالى عن المؤمنين المتقين: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

تنبيه لطيف

قال الخطَّابيُّ: قولُ الزهراء: (وَاكَرْبَ أَبَاه) الكلام على ظاهره، لأن المراد بالكرب: ما كان يجده من شدة الموت، وما كان يصيب جَسَده من الآلام، فإنه كسائر البشر، ليتضاعف له الأجرُ عند اللَّه تعالى.

٤٤٦٣ ـ [طرفه في: ٤٤٣٥]، تقدّم شرحُه.

٤٤٦٤ ـ [طرفه في: ٤٩٧٨]، سيأتي شرحه.

٤٤٦٥ ـ [طرفه في: ٣٨٥١]، تقدّم شرحُه.

بابُ (مَتى تُوُفِّيَ النَّبيُّ ﷺ وَكَمْ كَانَ عُمُرُهُ)؟

٤٤٦٦ ـ عن عائشةَ أمِّ المُؤْمِنينَ رضيَ اللَّهُ عنها أنَّها قَالَتْ: (تُوُفِّي رسول اللَّه ﷺ وهو ابنُ ثلاث وستين سنة).

[طرفه في: ٣٥٣٦].

شرح الحديث

تخبرنا السيدة عائشة رضي اللَّه عنها، أن النبيَّ ﷺ تنزَّل عليه الوحيُ، ونُبِّئ وهو ابن (أربعين سنة)، ومكث في مكة يتنزل عليه القرآنُ عشر سنين، ثم هاجر إلى المدينة، فأقام فيها يتنزَّل عليه القرآنُ، ثلاث عشرة سنة، وانتقل إلى جوار ربه، بعد أن عاش ثلاثاً وستين سنة، كلُّها جهادٌ لنشر دينِ اللَّه، صلواتُ اللَّه وسلامه عليه، وحين توفي لم يكن في لحيته الشريفة إلَّا بضعُ شعرات بيضاء.

اللهمَّ إنا ندعوك أن تجعلَ أفضلَ صلواتك، وأزكى تحياتك، على عبدك ورسولك وحبيبك، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعه أجمعين، واجزه عنا خيرَ ما جزيت به نبياً عن أمته، إنَّكَ سميع قريبٌ مجيب الدعاء.

٤٤٦٧ ـ [طرفه في: ٢٠٦٨]، تقدّم شرحُه في الحديث (٢٠٦٩).

٤٤٦٨ ـ [طرفه في: ٣٧٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٤٦٩ ـ [طرفه في: ٣٧٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٤٧٠ ـ انظر شرحه في الحديث (٤٩، ٢٠١٥، ٢٠٢١، ٢٠٢٢).

٤٤٧١ ـ [طرفه في: ٣٩٤٩]، تقدّم شرحُه.

٤٤٧٢ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٤٧٣ ـ انظر شرحه من خلال النص.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التفسير

سورة الفاتحة

بابُ (أَعْظَمِ سورةٍ في القُرْآن)

٤٤٧٤ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ثُمَّ قَالَ لِي: «لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: «لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟». قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»).

[أطرافه في: ٤٦٤٧، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦].

شرح الألفاظ

(أَلَا أُعَلِّمَنَّكَ) أَلَا: أداةُ استفتاح، للحثّ على الشيء والتَّحضيض عليه، أي هل ترغب في تعليمك أعظم سور القرآن؟ وفي روايةٍ (لأُعلمنَّك).

(السَّبْعُ المَثَانِي): أي سورةُ الفاتحة سبعُ آيات، سُمّيت المثاني لأنها تُتلى وتُكَرَّرُ آياتُها، في كل ركعة من ركعات الصلاة، وهي أعظمُ سورةٍ في القرآن، يشير إلى قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] والآيةُ من باب (عَطْفِ العَامّ على الخَاصّ) لأن الفاتحة من القرآن وهي خاص، ولفظُ القرآن عامٌّ يشمل جميع السور.

شرح الحديث

دخل رسولُ اللَّه ﷺ المسجدَ النبويَّ الشريف، فرأى «أبا سعيد بنَ المُعَلَّى» واسمُه (الحارث بن نُفيع الأنصاري) فناداه ﷺ، وكان أبو سعيد يُصلِّي فلم يجبه، ظناً منه أنَّ إجابة النبيِّ واجبةٌ لمن هو خارجَ الصلاة، فخفَّف رضي اللَّه عنه القراءةَ، ولمَّا انتهى من الصلاة، جاء إلى رسول اللَّه ﷺ فسلَّم عليه، فقال له ﷺ: (**لِمَ لمْ تُجِبْني حينما ناديتك؟**) فقال: يا رسولَ اللَّه كنتُ في الصلاة، وخشيتُ أن أقطعها، فتعجَّلتُ فيها ثم أتيتك!

فقال له ﷺ: (**ألم تسمعْ قولَ اللَّه عزَّ وجل**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟) فقلت: يا رسولَ اللَّه أتوب إلى اللَّه، ولن أعود. ثم جلس بين يدي رسول اللَّه ﷺ!

فقال له المصطفى ﷺ: (**لأعلمنَّك أعْظَمَ سورةٍ في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد**)، فجلس الصحابي ينتظر، فلمَّا أراد ﷺ الخروجَ، أمسك بيده، فقال له أبو سعيد: ألم تخبرني أنك ستعلِّمني أعْظَمَ سورة في القرآن قبل خروجنا من المسجد؟ فقال له ﷺ: **بلى، إنها سورة الفاتحة** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي أعظم سور القرآن.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ عظيم فضل (سورة الفاتحة)، وأنها أفضلُ سور القرآن الكريم، من حيثُ الأجرُ والثوابُ.

الثاني: وفيه أنَّ الفاتحة سبعُ آيات، لا تزيد ولا تنقص، لقوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] سُمِّيت «مثاني» لأنها تُكرَّر في الصلاة، في كل ركعةٍ من الرَّكعات.

الثالث: وفيه أنَّ أمرَ الرسولِ ﷺ يقتضي الفور، لأنه عاتب الصحابيَّ على تأخير إجابته.

الرابع: وفيه أنَّ إجابة النبيِّ واجبةٌ، بأمر اللَّه تعالى، سواءً كان المخاطَبُ مصلياً أو غير مصلٍّ، تعظيماً لأمر الرسولِ ﷺ، وهو حُكمٌ خاص بإجابة الرسول، دون غيره من البشر.

الخامس: وفيه أنَّ سورة الفاتحة سبعُ آيات، وعليه انعقد إجماع العلماء.

٤٤٧٥ ـ [طرفه في: ٧٨٢]، تقدّم شرحُه.

٤٤٧٦ ـ [طرفه في: ٤٤]، تقدّم شرحُه.

سورة البقرة

بابُ (قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ:
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢])
بابٌ (أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللّهِ الشِّرْكُ)

٤٤٧٧ ـ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»! قُلْتُ: إنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يطْعَمَ مَعَكَ»! قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ).

[أطرافه في: ٤٧٦١، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٦٨٦١، ٧٥٢٠، ٧٥٣٢].

شرح الألفاظ

(أَعْظَمُ الذَّنْبِ) أي أَعظَمُ الذنوب الكبائر، ولا يُراد به مطلقُ الذنوب على الإطلاق، لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] أي نغفر لكم صغائرَ الذنوب.

(تَجْعَلُ للّهِ نِدًا) أي تجعل لربك مثيلاً وشبيهاً، فتشرك مع اللّهِ غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] قدّمه في الذكر، لأنه أعظم الكبائر والجرائم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

(وَهُوَ خَلَقَكَ) أي هو سبحانه وحده الذي خلقك، فكيف تشركُ المخلوقَ مع الخالق؟ ولا يملك المخلوقُ لك شيئاً!!

(ثمَّ أيّ) أي ثمَّ ما هو أعظمُ الذنوب بعد الإشراك باللّه؟

(تَقْتُلَ وَلَدَك) أي تُقْدِم على وأْدِ ابنتك، أو قتل ابنك خشية الفقر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الإسراء: ٣١] أي خوفاً من الفقر، فإن اللّه تعالى، هو الرازق لك ولأولادك، ولهذا قال ﷺ: **(تَخَافُ أن يَطْعَمَ معك)**.

(تُزَانِيَ حلِيلَةَ جَارِكَ) أي تزني بزوجة جارك برضاها، وردَ اللفظُ بصيغة «المفاعلة» وهي تدلُّ على المشاركة من الطرفين، ولو كان الزنى بغير رضاها، لقال: تَزْني، ولم يقل: تُزَاني، فاللفظ يدلُّ على الرضا منها، وموافقتها.

شرح الحديث

سأل الصحابيُّ ابنُ مسعود رضي اللّه عنه رسولَ اللّه ﷺ: أيُّ الكبائر أعظمُ جُرْماً عند اللّه تعالى؟ فأجابه ﷺ بأنَّ أعظمَ الذنوب والجرائم عند اللّه تعالى، أن تجعل له شريكاً، مع أن اللّهَ وحده، هو الخالقُ، والرازقُ لكل إنسان!!

فقال ابن مسعود: حقاً إنَّ هذا لجرمٌ عظيم، لا يُغتفر، ثم سأله: أيُّها أعظمُ بعد الشرك يا رسول اللّه؟ فقال له: (أن تقتل ولدك خشية الفقر، مخافةَ أن يأكل معك)، وفيه ذمٌّ شديدٌ للبخيل، لأنَّ بخْلَه أدَّاه لقتل ولده.

ثمَّ سأله: ماذا بعد ذلك يا رسول اللّه؟ قال: (أن تزني بزوجة جارك بموافقتها ورضاها، فكيف إذا كان بالإكراه، فإنه أعظم جرماً وأخطر)!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ أعظم الكبائر، وأكبرَ الجرائم، عند رب العزة والجلال: الإشراكُ باللّه تعالى، فإن الشرك ظلم عظيم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ . . . ﴾ [النساء: ١١٦].

الثاني: وفيه حرمةُ قتل الإنسان لولده، خشية الفقر، أو خوفاً من العار، كما كان يفعل أهل الجاهلية ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

الثالث: وفيه بيانُ عِظَم وضخامة جريمة (الزنى)، لا سيَّما بحليلة جاره ـ أي زوجته ـ؛ لأن الجار يتوقع من جاره، الحفاظَ على عرضه، فكيف بالعدوان عليه؟

قال البدر العيني: قدَّم ﷺ الإشراكَ باللّه، لأنه أعظم الذنوب والكبائر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم ثنَّاه بالقتل، لأنَّ أكبرَ الكبائر بعد الشرك «القتلُ»

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم﴾ ـ وهذا يشمل القتلَ خشية العار، أو خشية الفقر ـ ثم ثلَّثه بالزنى، لأنه سبب لاختلاط الأنساب، لا سيما مع حليلة الجار، لأن الجار يتوقع من جاره، الذَّبَّ عنه وعن حريمه، فإذا قابله بالزنى، كان من أقبح الأشياء. اهـ عمدة القاري ١٨/ ٨٧.

تنبيه هام

كان بعضُ أهل الجاهلية، يقتلون البنات خشية الفقر والإملاق، وبعضُهم يقتلها خشية العار، يخافون أن تُزَوَّج لغير الكفء بسبب الفقر، وذلك عارٌ شديد عندهم، وكلُّ هذه الأسباب مرفوضة شرعاً وعقلاً، لأنَّ الأولاد نعمةٌ، تكفَّل اللَّهُ برزقهم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] وقتلُهم وحشيَّةٌ وجرمٌ شنيع ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩] ولهذا شدَّد اللَّه النكير، على هذا الجُرم الخطير.

بابُ (الكَمأةُ مِنَ المَنِّ)

وقولُ اللَّه عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]

٤٤٧٨ ـ عن سعيد بن زيد رضي اللَّه عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: (الكَمْأَةُ من المَنِّ، وماؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ).

[طرفاه في: ٤٦٣٩، ٥٧٠٨].

شرح الألفاظ

(الكمأةُ) نباتٌ يخلُقه اللَّهُ في الأرض، من غير أن يزرعه أحد، وطعمُه لذيذ جداً، ويسميه العامةُ «فِقْع» ومنه أحمر، وأبيض.

(المَنِّ) أي ممَّا مَنَّ اللَّه به على العباد، وأصلُ المنِّ ما منَّ اللَّه به من الطعام على بني إسرائيل، وهم في أرض التِّيه، ويشير الحديثُ إلى قول الحقِّ جلَّ وعلا: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧].

شرح الحديث

هذا الحديثُ الشريف من (الطبِّ النبويِّ)، وهو من أعلام النبوة، حيث أخبر ﷺ، أنَّ هذه الكمأة، من فضل اللَّه على عباده، يُخرجها لهم من الأرض، دون جُهْدٍ في زراعتها، ودون أن يكون لها جذورٌ في الأرض، وماؤها يجلو البَصَر، بعد أن تُغلى بالماء، ثم تُبرَّد، فيقطر في العين من مائها، وقد يُعْصَر ماؤها ويُخلط به أدوية، ثم يكتحل به.

وقد أثبت الطبُّ القديم والحديث، نفعَها العظيمَ للعين خاصة، ولمداواة حرارة المعدة.

قال ابن الجوزي: الأطباءُ يقولون: إن أكل الكمأة يجلو البصر، وقد يؤخذ من مائها، بعد غلي الكمأة، وعند بُرودَتِهِ يُكتحل به.

والحاصلُ: فإنَّ كلام سيِّد المرسلين حقٌّ، لا شكَّ فيه، لأنه عن طريق الوحي الإلٰهي، وهو أمر ثابت مجرَّب.

وقولُه ﷺ: **(مِنَ المَنِّ)** لم يُرد به المنَّ، الذي أُنزل على بني إسرائيل، وإنما معناه: ممَّا منَّ اللَّه به على عباده، فضلاً منه وجوداً، شبَّهها ﷺ بالمنِّ الذي أُنزل على بني إسرائيل، كما نبَّه على ذلك الإمام الخطابيُّ، والإمامُ النوويُّ.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ:

﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة: ٥٤])

٤٤٧٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ: حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ).

[طرفه في: ٣٤٠٣].

شرح الحديث

من خُبث اليهود، واستهزائِهم بأوامر اللَّه عزَّ وجلَّ، وتحريفهم لمعاني التوراة، أنهم طَغَوْا وتَمرَّدُوا على نبيِّهم موسى عليه السلام، فبعد نجاتهم من أرض التِّيه، أمرهم اللَّه تعالى أن يدخلوا باب البلدة المقدسة (بيت المقدس) ساجدين للَّهِ تعالى، شكراً له على خلاصهم من الضَّيَاع، بعد أن ظلُّوا يتيهون في الأرض أربعين سنة، وأن يقولوا عند دخولهم باب بيتِ المقدس (حِطَّة) وهي كلمةُ توبةٍ واستغفار، ومعناها: حُطَّ عنا ذنوبنا، كقول المسلم: أستغفر اللَّهَ.

ولكنَّهم لفجورهم وعنادهم، واستهزائهم بأوامر اللَّه، دخلوا يزحفون على مقاعدهم بدل السجود، ويقولون ساخرين مستهزئين: حِنْطة، بدل قولهم «حِطَّةٌ»، وبعضُهم كان يقول: حِنْطَة: حبَّةٌ في شعرة، فما أخبثَهم وأفجرهم!! وهذا من تحريفِ كلامِ اللَّه في التوراة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] وهو جرمٌ عظيمٌ، لذلك استحقوا لعنةَ اللَّه وغضَبه، وما نالهم من العذاب والبلاء.

٤٤٨٠ ـ [طرفه في: ٣٣٢٩]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦])

٤٤٨١ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّه قَالَ: (قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَقْرَأُنَا أُبَيٌّ، وَأَقْضانا عَلِيٌّ، وَإِنَا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ: لَا أَدَعُ شَيْئاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

[طرفه في: ٥٠٠٥].

شرح الحديث

هذا حديث موقوفٌ على عمرَ رضي اللَّه عنه، لم يُسنده إلى الرسول ﷺ، فهو

من قول عمر، يُثْني به على «أُبيِّ بنِ كعب» بأنه أقرأُ الصحابة، وأعلمُهم بكتاب اللَّه وتلاوته، لأنه كان من كتَّاب الوحي، ومع ذلك يقول عمر: إنَّا لنتركُ كثيراً من قراءة (أُبيٍّ) لقولِ اللَّهِ عزَّ وجل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] فالآيةُ تُثْبِت وجودَ النسخ، وكان «أُبيٌّ» يقول: لا أتركُ شيئاً ممَّا سمعتُه من رسول اللَّه ﷺ، فربَّما قَرَأَ ما نُسِخَ من الآياتِ، لكونه لم يبلغْه النَّسخُ، لذلك نبَّه عمر إلى أنه لا يجب التقيُّدُ بأقوال «أبيِّ بن كعب» مع فضله، وعلمِهِ بكتاب اللَّه تعالى، **ومعنى قوله**: (وأقْضَانا عليٌّ): أي أعلمُنَا بالقضاء «عليُّ بنُ أبي طالب»، وقد رُوي هذا اللفظُ مرفوعاً إلى رسول اللَّه ﷺ من حديث أنس، ولفظُه: **(أَرْحمُ أُمَّتي بأُمَّتي (أبو بكر)، وأقضاهم عليٌّ)** أخرجه الترمذي.

وغرضُ عمرَ رضي اللَّه عنه من هذا الحديث: إثباتُ النسخ في القرآن، خلافاً لمن شذَّ فمَنَعَه، وقد وردت في الآية قراءتان (نَنسَأْهَا) أي نؤخِّرها، وقراءةُ (نُنسِها) من النسيان، وكلٌّ منهما يفيد وجود النسخ، وهو قولُ الجمهور، واللَّه أعلم.

باب (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦])

٤٤٨٢ ـ عَنْ عبد اللَّه بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «قَالَ اللَّه عزَّ وجلَّ: (كَذَّبَني ٱبْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إيَّايَ، فَزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَما كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إيَّايَ، فَقَوْلُهُ (لِي وَلَدٌ)، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَداً»).

شرح الألفاظ

(قال اللَّهُ تَعَالَى) هذا الحديثُ من الأحاديث القدسية، وليس من الآيات القرآنية.

(كَذَّبنِي ابْنُ آدَمَ) من التكذيب، وهو نسبةُ الخالق جلَّ وعلا ـ وحاشاه ـ إلى الكذب، أي زَعَمَ أني كاذبٌ، وهو فجورٌ وبهتان.

(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ) أي ولا يصحُ للإنسان، أن يكذِّب ربَّه، في أقواله، أو أخباره ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [الأنبياء: ٨٧].

(وَشَتَمَنِي) أي سَبَّني بنسبة الولد إليَّ، وهو نقصٌ في الذات الإلٰهية، لأن الوَلَد إنما يكون عن والدة، تحمله في بطنها، ثم تلده، ويستلزم ذلك (وجود الزوجة للّه)، كما يستلزم النكاحَ، واللّه منزَّه عن ذلك، سمَّاه شتماً: لما فيه من التنقيص للذات الإلٰهية.

(فَسُبْحَانِي) من التسبيح بمعنى التنزيه، أضيفَ إلى ياء المتكلِّم، أي أُنزِّه نفسي عن اتخاذ الزوجة والولد.

شرح الحديث

في هذا الحديث القدسيِّ إخبارٌ من اللّه تعالى بأنَّ الإنسان الكافر المكذِّبَ بالبعث بعد الموت، يُنسبُ ربه إلى الكذب، حين زعم أن اللّه لا يستطيع إعادتَه، بعد أن يصبح عظاماً ورفاتاً!!

وقد أقسم سبحانه أنه سيعيده للحياة بعد موته، لقوله جلَّ شأنه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧] فمن أنكر قدرة اللّه على إعادته، فهو مكذِّب لربه في خبره.

كما جاء الردُّ في هذا الحديث القدسيُّ، على فِرَق أهل الكفر والضلالة جميعاً (اليهود، والنصارى، والمشركينَ عبدةِ الأوثان) فاليهود قالوا: «عُزيرٌ ابنُ اللَّهِ» والنصارى قالوا: «المسيح ابنُ اللّه» والمشركون قالوا: «الملائكةُ بناتُ اللّه» فكذَّبهم اللّه جميعاً، لأن الولدَ لا يكون إلَّا من زوجة، وتنزَّه اللّه عن الزوجة والولد ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] يعني بالصاحبةِ: الزوجةَ، أي كيف يكون له ولد، وليس للّه جلَّ وعلا زوجة؟

تنزَّه ربُّ العزة والجلال، وتقدَّس عن هذه الأوصاف التي نسبها إليه الكفَّارُ الفُجَّارُ!!

والعجيبُ في أمر النصارى، هذا التعارضُ والتناقضُ في العقيدة، فبعضهم يعتقد بأنَّ المسيح ابنُ اللّهِ، وبعضُهم يعتقد أنه هو «اللّهُ» ثم يزعمون أنه صُلب!؟ فكيف يكون إلٰهاً ويُصلب؟ ويعتقدون أنه ولُد من «مريم» عليها السلام، ويسمونه (عيدَ الميلاد) فكيف يكون المسيحُ إلٰها، وقد وُلد وخَرَجَ من فرج امرأة، كما يولد سائر البشر؟

وعيسى عليه السلامُ كان يأكلُ ويشرب، والذي يأكل ويشرب، لا بدَّ له أن يبول ويتغوَّط، وقد ردَّ عليهم القرآنُ، بهذا الأسلوب المعجز المفحم، بقوله تقدَّستْ أسماؤه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٥] فقد أشار تعالى بهذه الجملة البديعة ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٥] إلى بطلان هذا الاعتقاد الفاسد، لأنَّ من أكلَ الطعامَ، وشرب الشراب، يحتاج إلى إخراج الفضَلات، يحتاج إلى التبوُّلِ والتغوُّط، ولمَّا كان القرآن يتنزَّه عن ذكرِ الألفاظِ القبيحة، لذا لم يقل: كانا يبولان ويتغوَّطان، وإنما كنَّى عن ذلك بهذا التعبير المعجز البديع. وقد جعل تعالى نسبة الولد للَّه سبحانه، شتماً له ومسبَّة، لأنه يدلُّ على التنقيص، وسبحانه أن يكون له زوجة أو ولد!! وإنما سمَّاه شتماً، لأنه يستلزم وجود الزوجة، وهو انتقاصٌ لجلال اللَّه وعظمته.

باب (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥])

٤٤٨٣ ـ عنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ اللَّهَ فِي ثَلَاثٍ ـ أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ ـ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجابِ.

قَالَ: وَبَلَغَني مُعَاتَبَةُ النَّبيِّ ﷺ بَعْضَ نِسائِه، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ، قُلْتُ: إنِ انْتَهَيْتُنَّ، أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللَّهُ رسولَهُ ﷺ خَيْراً مِنْكُنَّ!! حَتَّى أَتَيْتُ إِحْدَى نِسَائِهِ، قَالَتْ: يَا عُمَرُ، أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ، حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنْتَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥] الآيَةَ.

[طرفه في: ٤٠٢].

شرح الألفاظ

(مَصلَى) أي مكاناً للصلاة فيه.

(البرُّ والفاجرُ) أي الصالح والطالحُ، والتقيُّ والشقيُّ.

(يعظ نساءَهُ) أي ألَا يكفي نُصْحُ النبيِّ لنسائه، حتى تدخل في أمور أزواجه!؟ وفيه بعضُ العتاب واللَّوم له رضي اللّه عنه.

شرح الحديث

رضي اللّه عن الفاروق عمر بن الخَطَّاب، فقد جعلَ اللّه الحقَّ على لسانه وقلبه، وهو لشدة إيمانه ويقينه، جعله اللّهُ من المُلْهَمين، الذين نزل الوحيُ موافقاً لرأيهم، في عدة مواطنَ من الكتاب العزيز.

في أمر (المَقَام) مقام إبراهيم، وفي أمر (حجاب أمهات المؤمنين) وفي أمر (اعتزال النبيِّ ﷺ لنسائه) ولهذا قال عمر: وافقتُ ربي في ثلاث... الحديث.

أمّا الموافقة الأولى: فإنَّ عمر رضي اللّه عنه، من شدة حبِّه لأبي الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام، حيث أثنى اللّه عليه في كتابه العزيز ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠] مرَّ ذات يوم على (مقام إبراهيم) وهو يمسك بيد النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللّه لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى!؟ أي مكاناً نصلِّي عنده، فنزلت الآية: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] **والمَقَامُ**: هو **الحَجَرُ** الذي وقف عليه الخليلُ، عند بنائه الكعبةَ المشرَّفة، وفيه أثرُ قدميه الشريفتين، كما قال (أبو طالب) في قصيدته المشهورة:

ومَوْطِئُ إبْراهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبةٌ   عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِياً غَيْرَ نَاعِلِ

وأمَّا الموافقةُ الثانية: فهي أنَّ عمر وقع في قلبه نُفرةٌ من اطِّلاع الأجانب على أزواجِ النبيِّ ﷺ، ورؤيتِهم لهن بدون حجاب، فقال: يا رسولَ اللّه إنَّ نساءك يدخل عليهنَ البَرُّ والفاجرُ، فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنين أن يحتَجِبْن، فنزل قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وأنزل اللّه أيضاً قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

أمّا الموافقة الثالثة: فهي عندما اعتزل رسولُ اللّه ﷺ نسَاءَه شهراً، بسبب ما

حدثَ بينهنَّ من الغَيْرة، وإفشاءِ بعضهنَّ للسِّرِّ، فدخل عمر على «أمِّ سَلَمة» فكلَّمها ـ وكان بينه وبينها قرابة ـ فقالت له أمُّ سَلَمة: عَجَباً لك يا ابنَ الخطَّاب، دخلتَ في كلِّ شيءٍ، حتى أردتَ أن تدخل بين رسول اللَّهِ وأزواجه!؟.

فخرج من عندها، ودخل على رسول اللَّه ﷺ وقال له: يا رسولَ اللَّه ما يشقُّ عليك من أمر النساء، فإن كنتَ طلَّقتَهُنَّ، فإنَّ اللَّه معك، وملائكته، وجبريلَ، وميكائيلَ، وأنا، وأبا بكر، والمؤمنين!! فنزلت الآية الكريمة ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۞ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ . . .﴾ الآية [التحريم: ٤، ٥].

تنبيهٌ لطيف هامٌّ

قال البدرُ العينيُّ: التخصيصُ بالعدد (وافقتُ اللَّهَ في ثلاث) لا ينافي الزائدَ، فقد ثبت لعمر رضي اللَّه عنه موافقات، في مواطنَ أخرى، كمنعه الصلاةَ على المنافقين، وفي قصة أسارى بدر، وفي تحريم الخمر، حين قال: (اللهمَّ بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً) فنزل قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] فذكرُ العدد، لا يُنافي الزائدَ، ويحتملُ أن يكون هذا القولُ من عمر، كان قبل أن تحدث له الموافقات الأخرى. اهـ عمدة القاري ١٨/ ٩٢.

٤٤٨٤ ـ [طرفه في: ١٢٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ:
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦])

٤٤٨٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قَالَ: (كَانَ أَهْلُ الْكِتابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلَام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآيَةَ»).

[طرفاه في: ٧٣٦٢، ٧٥٤٢].

شرح الحديث

لم تنزل التوراةُ بالعربية، وإنما نزلت بالعبريَّة، فكان اليهودُ يقرؤونها باللغة الأصلية التي نزلت بها وهي العبرية، ويفسِّرونها للمسلمين بالعربية، فربَّما كَذَبُوا في التفسير، فسألوا رسولَ اللَّه ﷺ عن ذلك؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: (**لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم، ولكنْ قولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾** [البقرة: ١٣٦]).

والمرادُ بأهل الكتاب في الحديث: (اليهودُ)، وقد أَمَرنا النبيُّ ﷺ ألَّا نصدِّقهم، ولا نكذِّبهم، لاحتمال أن يكون الذي يخبروننا به صدقاً، فإذا كذَّبناه نكون قد كذَّبنا كلامَ اللَّه، وإن كان ما يخبروننا كذباً فصدَّقناه، نقع في الإثم والحرج، بتصديق شيء لم ينزلْه اللَّهُ عزَّ وجل.

قال الخطابيُّ: هذا الحديث أصلٌ في وجوب التوقُّف عمَّا يُشكل من الأمور، فلا يُقْضَى عليه بصحَّةٍ ولا بُطْلان، ولا بتحليلٍ ولا تحريم، وقد أُمِرنا أن نؤمنَ بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام، ولا سبيل لنا أن نعلمَ صحيح ما يَحْكونه عن تلك الكتب من سقيمه، فنتوقف، فلا نصدِّقهم لئلا نكون شركاء معهم فيما حرَّفوه منه، ولا نكذِّبهم، فلعلَّه يكون صحيحاً، فنكون منكرين لمَا أمَرنا اللَّهُ أن نؤمن به. اهـ عمدة القاري ١٨/ ٩٤.

ما يستفاد من الحديث

التوقُّفُ عن الخوض في المشكلات، والجزم فيما يقع به الظنُّ، لقول الحقِّ جل وعــلا: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] اهـ. فتح الباري ٨/ ١٧٠.

تنبيه هام

لم يُردِ الرسولُ ﷺ مِنْ تكذيبهم، أن نكذِّبهم فيما خالف شريعتَنَا، ولا عن تصديقهم فيما ورد به شرعُنا بخلافه، فإنَّ ذلك خارج عن النهي، وإنما المرادُ ما لم يرد به نصٌّ صريح، عن الكتاب، والسُّنَّة.

٤٤٨٦ ـ [طرفه في: ٤٠]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجل:
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣])

٤٤٨٧ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنه قال: (يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. فَذٰلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾». وَالوَسَطُ: العَدْلُ)!!

[طرفه في: ٣٣٣٩].

شرح الحديث

شرفٌ عظيم للأمة المحمديَّة، أن تكون يوم القيامةِ شاهدةً للأنبياء على أممهم، أنهم بلَّغوهم دعوةَ اللَّه، فقد جاءت النصوصُ والأخبار، أنَّ اللَّه عزَّ وجل، يدعو كلَّ نبيٍّ يوم القيامة، فيسأله هل بلَّغْتَ رسالة اللَّه إلى قومك؟ فيقول: نعم يا رب، وأمَّا أمته فتنكر وتقول: يا ربنا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيقول اللَّه له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمَّتُه، فنشهد أنه بلَّغ رسالةَ اللَّه، ويزكِّينا رسولُ اللَّه ﷺ، وتقوم الحجة على الناس، فذلك معنى قولِ الحقِّ جلَّ وعلا: ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وجاء في بعض الروايات: أنَّ أمة محمد، يشهدون على سائر الأمم يوم القيامة، يشهدون على قوم (نوح، وهود، وصالح، وقوم شعيب)، وغيرهم من الرسل، فيقال لنا: ما علمكُم بذلك؟ فنقول: أخبرنا نبيُّنا أنَّ الرسل قد بلَّغوا الدعوة، فصدَّقناه، وقرأنا في كتاب ربنا عن نوح أنه بلَّغ الرسالة ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: ١ ـ ٣]

وهكذا سائر الأنبياء، فشهادتنا موثَّقة عن خبر اللَّه، وخبرِ رسوله ﷺ.

ومعنى الوَسَطِ

العُدولُ، أي جعلناكم أمةَ عَدْلٍ، وأمة خيرٍ، وشهادةٍ مقبولة عند اللَّه.

وجاء في حديث جابر عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من رجلٍ من الأمم، إلَّا ودَّ أنه منَّا أيَّتُها الأمة، وما من نبيٍّ كذَّبه قومه، إلَّا ونحن شهداؤه يوم القيامة، أن قد بلَّغ رسالة اللَّه، ونَصَحَ لهم) اهـ. انظر فتح الباري ٨/ ١٧٢.

٤٤٨٨ ـ [طرفه في: ٤٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٨٩ ـ انظر الحديث رقم ٤٠٣.

٤٤٩٠ ـ [طرفه في: ٤٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٩١ ـ [طرفه في: ٤٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٩٢ ـ [طرفه في: ٤٠]، تقدّم شرحُه.

٤٤٩٣ ـ [طرفه في: ٤٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٩٤ ـ [طرفه في: ٤٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٩٥ ـ [طرفه في: ١٦٤٣]، تقدّم شرحُه.

٤٤٩٦ ـ [طرفه في: ١٦٤٨]، تقدّم شرحُه.

٤٤٩٧ ـ [طرفه في: ١٢٣٨]، تقدّم شرحُه.

٤٤٩٨ ـ [طرفه في: ٦٨٨١]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٤٩٩ ـ [طرفه في: ٢٧٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٥٠٠ ـ [طرفه في: ٢٧٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٥٠١ ـ [طرفه في: ١٨٩٢]، تقدّم شرحُه.

٤٥٠٢ ـ [طرفه في: ١٥٩٢]، تقدّم شرحُه.

٤٥٠٣ ـ انظر شرح الحديث رقم ١٥٩٢.

٤٥٠٤ ـ [طرفه في: ١٥٩٢]، تقدّم شرحُه.

٤٥٠٥ ـ تقدَّم شرحه، انظر الحديث ١٩٤٩.

٤٥٠٦ ـ [طرفه في: ١٩٤٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٠٧ ـ انظر الحديث ١٩٤٩.

٤٥٠٨ ـ [طرفه في: ١٩١٥]، تقدّم شرحُه.

٤٥٠٩ ـ [طرفه في: ١٩١٦]، تقدّم شرحُه.

٤٥١٠ ـ [طرفه في: ١٩١٦]، تقدّم شرحُه.

٤٥١١ ـ [طرفه في: ١٩١٧]، تقدّم شرحه.

٤٥١٢ ـ [طرفه في: ١٨٠٣].

٤٥١٣ ـ [طرفه في: ٣١٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٥١٤ ـ [طرفه في: ٣١٣٠]، تقدّم شرحه.

٤٥١٥ ـ [طرفه في: ٨]، تقدّم شرحُه.

٤٥١٦ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٥١٧ ـ [طرفه في: ١٨١٤]، تقدّم شرحُه.

٤٥١٨ ـ [طرفه في: ١٥٧١]، تقدّم شرحُه.

٤٥١٩ ـ [طرفه في: ١٧٧٠]، انظر شرحه في كتاب الحج.

باب (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩])

٤٥٢٠ ـ عَنْ عَائِشَةَ أم المؤمنين رَضِي اللَّه عَنْهَا أنها قالت: (كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا، يَقِفُونَ بِالمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلَامُ، أَمَرَ ٱللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾).

[طرفه في: ١٦٦٥].

شرح الحديث

كانت قريش لكبريائها وطغيانها، تترفَّعُ على الناس أن يقفوا معهم في عرفة، وكانوا يقولون: نحن أهلُ اللَّه، وسُكّانُ حَرَمه، فلا نخرج من الحرم، يقفون في الحج بالمزدلفة، لأنها من الحرم، ثم يُفيضون منها، ولا يقفون بعرفةَ، لأنها ليست من الحرم، وكانوا يُسمَّون «الحُمْسَ» أي المتشدِّدين في الدِّين ـ وهذا من تلبيس إبليس عليهم ـ فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]

أي انزلوا من عرفة، حيث ينزل منها الحجيج، ولا تنزلوا من مزدلفة، فإنَّ الوقوف بعرفة من أهمّ أركان الحج، كما قالﷺ: **(الحجُّ عَرَفَةُ)** فمن لم يقف بعرفة فلا حجَّ له، فهذا سبب نزول الآية الكريمة.

٤٥٢١ ـ تقدَّم شرحه في أحاديث كتاب الحج.

باب (قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١])

٤٥٢٢ ـ عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللّهُمَّ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً، وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وقِنا عَذابَ النَّارِ»).

[طرفه في: ٦٣٨٩].

شرح الحديث

الحجُّ موسمٌ سنويٌّ مشهود، يُقبل فيه الناسُ على اللّه، طلباً لمرضاته، وإظهاراً للعبودية، بالتضرع إليه، وطلبِ الرحمة والمغفرة للذنوب، وقد كان بعضُ الأعراب يتَّخذه موسماً لطلب الرزق، والغنيمة من الدنيا.

قال ابن عباس: كان قوم من الأعراب، يجيئون إلى الموقف بعرفات فيقولون: اللهمَّ اجعله عامَ غيثٍ، وعام خِصْب، وعام وِلَادِ حَسَن، ولا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل اللّه تعالى فيهم: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠] أي ليس له نصيبٌ من رحمة اللّه عزَّ وجل، وكان يجيء بعضهم فيدعو ربه لخيري الدنيا والآخرة، فيقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] فهؤلاء الذين مَدَحَهم اللّه بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة: ٢٠٢]. اهـ تفسير ابن كثير ١/ ١٨٣.

تنبيه لطيف

هذا توجيهٌ إلٰهيٌ، وجّه إليه ربُّ العزة والجلال عبادَهُ المؤمنين، أن يطلبوا من اللّه خير الدنيا، وخير الآخرة، وكان أولَ الممتثلينَ لهذا الأمر، سيِّدُ الأنبياء والمرسلين (محمد) ﷺ، فقد كان يقول في جملة دعواته، في عرفة والمشاعر المقدَّسة: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] كما رواه عنه أنس بنُ مالك رضي اللّه عنه وأرضاه.

٤٥٢٣ ـ [طرفه في: ٢٤٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٢٤ ـ انظر شرح الحديث من خلال النص.

٤٥٢٥ ـ [طرفه في: ٣٣٨٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٢٦ ـ [طرفه في: ٤٥٢٧]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٥٢٧ ـ [اطرافه في: ٤٥٢٦]، تقدّم شرحُه.

٤٥٢٨ ـ انظر الحديث رقم ٤٥٢٦.

٤٥٢٩ ـ [طرفه في: ٥١٣٠، ٥٣٣٠، ٥٣٣١]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٥١٣٠.

٤٥٣٠ ـ [طرفه في: ٤٥٣٦]، انظر شرحه من خلال النص في الحديث رقم ٤٥٣١.

٤٥٣١ ـ [طرفه في: ٥٣٤٤]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٥٣٢ ـ [طرفه في: ٤٩١٠]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٥٣٣ ـ [طرفه في: ٢٩٣١]، تقدّم شرحُه.

٤٥٣٤ ـ [طرفه في: ١٢٠٠]، تقدّم شرحُه.

٤٥٣٥ ـ [طرفه في: ٩٤٢]، تقدّم شرحُه.

٤٥٣٦ ـ [طرفه في: ٤٥٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٥٣٧ ـ [طرفه في: ٣٣٧٢]، تقدّم شرحُه.

٤٥٣٨ ـ انظر شرحه من خلال النص.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣])

٤٥٣٩ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عنهُ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لَيْسَ

الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتانِ، ولَا اللُّقْمَةُ ولَا اللُّقْمَتانِ، إنَّما المِسْكينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ!! اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ، يَعْني قَوْلَهُ تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

[طرفه في: ١٤٧٦].

شرح الألفاظ

(يَتعفَفْ) أي لا يمدُّ يده فيسأل الناسَ العطاءَ، بل يُظهر من نفسه العفَّةَ، ويحترز عن السؤال.

(إلْحَافاً): أي إلحاحاً في السؤال، وطلباً للعون.

شرح الحديث

وضَّح النبيُّ ﷺ حقيقةَ المسكين، الذي ينبغي دفع الصدقة إليه، فقال: **(إنه ليس الفقيرُ الذي إذا دفعتَ إليه القليلَ من الإحسان كالتمرة، واللقمة، قَنِع واكتفى، بل هو المُعْدَم الذي ليس عنده شيء، ولا يمدُّ يده للسؤال، حتى يظن الإنسانُ أنه غنيُ غير محتاج، من شدة تَعفُّفه)**، فهذا الذي ينبغي أن ينتبه له الناس، وأن يُعطى من مال الصدقة والزكاة، وفيهم أنزل اللّه هذه الآية: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] وفيه ثناء على المؤمن المتعفف عن السؤال، حتى ولو كان محتاجاً لا يستجدي ولا يسأل أحداً.

٤٥٤٠ ـ [طرفه في: ٤٥٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٤١ ـ [طرفه في: ٤٥٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٤٢ ـ [طرفه في: ٤٥٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٤٣ ـ [طرفه في: ٤٥٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٤٤ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٥٤٥ ـ [طرفه في: ٤٥٤٦]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٥٤٦ ـ [طرفه في: ٤٥٤٥]، تقدّم شرحُه.

سورة آل عمران

بابُ (قَولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران: ٧])

٤٥٤٧ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ هٰذِهِ الآيَـةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: (فَإِذَا رأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ، فأُولٰئِكَ الَّذِينَ سَمَّى ٱللَّهُ، فٱحْذَرُوهُمْ).

شرح الألفاظ

(آياتٌ مُحْكَمَاتٌ): أي ظاهراتُ المعنى، واضحاتُ الدلالة، لا التباسَ فيها، ولا غموض.

(أُمُّ الكِتَابِ): أي أصلُ الكتاب وأساسُه، وعمودُه الذي يُبنَى عليه الدينُ.

(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ): أي آيات أخرى متشابهات، يشتبه فيها المعنى، ولا يتَّضح فيها الأمرُ، إلَّا ببصيرة الإيمان.

(زَيْغٌ): أي اتِّباعٌ للهوىٰ، وعدولٌ عن الحقِّ، فيُؤَوِّلُ المعنى حسب هواه، وأصلُ الزَّيغ: الميلُ، والشكُّ.

شرح الحديث

تخبر السيدةُ عائشة رضي اللَّه عنها، أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ هذه الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران: ٧] وأشارت إلى أنَّ القرآن قسمان: **فيه آياتٌ محكمات**، واضحاتُ الدلالة، ليس فيها التباسٌ ولا غموضٌ، كآيات الحلال والحرام.

ومنه آياتٌ مشتبهات، لا يتضح فيها المعنى، إلَّا بالنظر الدقيق الثاقب، كالحروف المقطَّعة في أوائل السور، وآيات الصفات التي يلتبس فيها الفهمُ، وتختلف فيها الآراءُ، كقوله سبحانه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وأمثالِ ذلك، فالذين في قلوبهم شكٌّ ومرضٌ، يتعلقون بالمتشابه، ويتركون المحكم طلباً للفتنة بما يوافق الهوى.

كما فعل النصارى، حيث زعموا أن عيسى (ابنُ اللَّه) احتجاجاً بالآية ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] فَسَّرُوا الروحَ بالابن، فجعلوا عيسى جزءاً من اللَّه، واعتقدوا بنوَّته، أخذوا بالمتشابه، وتركوا المحكم، الذي بيَّن اللَّهُ فيه حقيقة أمر عيسى، وهو قولُه سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف ٥٩].

ولهذا حذَّر الرسولُ من أمر هؤلاء الزائغين الضالين جميعاً، فقال: (فإذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمَّى اللَّهُ فاحذورهم) أي احذروا فتنتهم، وضلالَهم معشرَ المسلمين.

قال الحافظُ ابنُ حجر: والمراد التحذيرُ من الإصغاء إلى الذين يتَّبعون المتشابهَ من القرآن، وأوَّلُ ما ظهر ذلك من اليهود، في تأويلهم الحروفَ المقطَّعة، وأنَّ عددَها بحروف الجُمَّل، مقدار مدة هذه الأمة، ثم مجيء القيامة، وأول ما ظهر في الإسلام من (الخوارج) كما قال ابنُ عباس، حتى فسَّر بهم الآية، وقصةُ عمر في إنكاره على (صَبيغ) لمَّا بَلَغهُ أنه يتَّبع المتشابه، فضربَه على رأسه ـ لِيُخْرِج منه الشيطانَ، حتى أدماه. اهـ. فتح الباري ٨/ ٢١١.

وقال البدرُ العيني: قال ابن عباس: هم الخوارجُ، فإنَّ أوَّلَ بدعةٍ وقعت في الإسلام (بدعةُ الخوارج)، وكان ظهورُهم في أيام (عليِّ بن أبي طالب) رضي اللَّه عنه، ثم تشعَّبتْ منهم شعوبٌ وقبائلُ، وآراءٌ وأهواء، ونِحَلٌ كثيرة منتشرة، ثم نبعت (القَدَريَّة)، ثم (المعتزلة)، ثم (الجَهْميَّة)، وغيرهم من أهل البِدع التي أخبر عنها الصَّادق المصدوق في قوله ﷺ: (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلَّا واحدة)، قالوا: ومن هم يا رسول اللَّه؟ قال: **(ما أنا عليه وأصحابي)** أخرجه الحاكم. اهـ عمدة القاري ١٨/ ١٣٩.

٤٥٤٨ ـ [طرفه في: ٣٢٨٦]، تقدّم شرحُه.

٤٥٤٩ ـ [طرفه في: ٢٣٥٦]، تقدّم شرحُه.

٤٥٥٠ ـ [طرفه في: ٢٣٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٥١ ـ [طرفه في: ٢٠٨٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧])

٤٥٥٢ ـ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: (أَنَّ ٱمْرَأَتَيْنِ كانَتا تَخْرزانِ فِي بَيْتٍ ـ أَوْ فِي الحُجْرَةِ ـ فَخَرَجَتْ إِحْداهُمَا، وقَدْ أُنْفِذَ بإِشْفى فِي كَفِّهَا، فَٱدَّعَتْ عَلَى الأُخْرَى، فَرُفِعَ إِلَى ٱبْنِ عَبَّاسٍ، فقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: **(لوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَذَهَبَ دِماءُ قَوْمٍ وأَمْوَالُهُمْ)**!! ذَكِّرُوها بِٱللَّهِ، وٱقْرَؤُوا عَلَيْها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾. فَذَكَّرُوهَا فَٱعْتَرَفَتْ، فقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(الْيَمِينُ عَلى المُدَّعَى عَلَيْهِ)**.

[طرفه في: ٢٥١٤].

شرح الألفاظ

(أُنْفِذَ بإِشْفَى) أي غُرزَ في يدها بمسلَّة، والإشْفَى: مسلَّةُ الإسكافيِّ التي يَغْرِزُ بها النَّعل.

شرح الحديث

كانت امرأتان في بيتٍ من البيوت، تشتغلان بغزل البُسُط والسجاجيد، وبيد إحداهما مِغْرزٌ ـ أي مسَلَّة ـ فاعتدتْ على رفيقتها، بثقب كفِّها بالمسلَّة، حتى أدمْتها، فَرُفع أمرُها إلى ابن عباس، ولمَّا لم تكن عند المعتدَى عليها بيِّنة، فالحكمُ أنَّ اليمينَ على من أنكر، وخشي ابن عباس أن تُقْدِم المعتدية على الحلف باللّه، وتكون كاذبة، فقال لأهلها: ذكِّروها وخوِّفوها من عذاب اللَّه، واقرؤوا عليها قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ...﴾ الآية [آل عمران: ٧٧] أي لا حظَّ ولا نصيب لهم من رحمة اللَّه، فلمَّا خوَّفوها وعيدَ اللَّه وعذابه لمن حلف باللَّه كاذباً، اعترفت

بجنايتها، فقال ابن عباس: (لو يُعطى الناسُ بدعواهم لادَّعى رجالٌ أموالَ أقوام ودماءَهم، ولكن البيِّنةُ على المُدِّعي، واليمينُ على من أنكر) ثم ذكر لهم قولَ النبي ﷺ: **(اليمينُ على المدَّعَى عليه)**.

وغرضُ الحديث

أنَّ المدَّعى عليه، إذا نَكَل عن اليمين، لزم عليه ما ادَّعاه المدَّعي، ولا يصحُّ له أن يُحيل اليمينَ على المدَّعي، ويقول: هو يحلفُ، وأنا ألتزم بما يطالبني به، كما نبَّه عليه الفقهاء، فاليمينُ وظيفةُ المدَّعَى عليه.

ما يُستفاد من الحديث

فيه أنَّ الذي تتوجه عليه اليمينُ، ينبغي أن يُوعظ ويُذكَّر بمثل هذه الآية الكريمة، حتى يرتدع عن الإقدام على الحلف باللَّه كاذباً.

وفي الحديث إشارة إلى العمل، بما دلَّ عليه عمومُ الآية، لا خصوصُ سبب نزولها، فإنَّ سبب النزول غير هذه الحادثة، وانظر سبب النزول في تفسير ابن كثير ١/ ٢٩٣ فقد ذكر فيها عدة أحاديث، واللَّه أعلم.

٤٥٥٣ ـ [طرفه في: ٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٥٤ ـ [طرفه في: ١٤٦١]، تقدّم شرحُه.

٤٥٥٥ ـ [طرفه في: ١٤٦١]، تقدّم شرحُه.

٤٥٥٦ ـ [طرفه في: ١٣٢٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٥٧ ـ [طرفه في: ٣٠١٠]، تقدّم شرحُه.

٤٥٥٨ ـ [طرفه في: ٤٠٥١]، تقدّم شرحُه.

٤٥٥٩ ـ [طرفه في: ٤٠٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٦٠ ـ [طرفه في: ٧٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٦١ ـ [طرفه في: ٣٠٣٩]، تقدّم شرحُه.

٤٥٦٢ ـ [طرفه في: ٤٠٦٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣])

٤٥٦٣ ـ عَنْ عبد اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما أنَّه قَالَ: (﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وقالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾).

[طرفه في: ٤٥٦٤].

شرح الحديث

يريد ابن عباس رضي اللَّه عنه أن يقول: إنَّ هذه اللفظة (حسبُنا اللَّه ونعم الوكيل) قالها أبو الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام، حينما أرادوا إلقاءه في النار، فانقلبت النارُ عليه برداً وسلاماً، وقالها خاتَمُ الأنبياء محمد ﷺ، حين قيل له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ...﴾ فألقى اللَّه في قلوب المشركين الرعب، وردَّ كيدهم في نحورهم.

يشير ابنُ عباس إلى قصة (حمراءَ الأسد): وقصةُ هذه الغزوة، أنَّ الرسول لمَّا رجع إلى المدينة المنورة، بعد الهزيمة التي مُني بها المسلمون في غزوةِ أُحُد، بسبب عصيانهم ومخالفتهم أمرَ الرسول ﷺ، تلاومَ المشركون وقالوا: لم تصنعوا شيئاً!! أصبتُم شوكةَ المسلمين، ثم تركتموهم ولم تستأصلوهم؟ فعزموا على العودة إلى المدينة، للإجهاز على المسلمين، ونَزَلَ الوحيُ على رسول اللَّه ﷺ يخبره بما عزم عليه المشركون، فأمر الرسولُ ﷺ أصحابَه أن يتجهَّزوا لحرب المشركين، فسارعوا للطاعة، وهم مثقلون بالجراحة، وألقى اللَّه في قلوب المشركين الرُّعب، وفي هذه الحادثة، أنزل اللَّه هذه الآية الكريمة ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] قالها الرسول ﷺ وقالها أصحابه، أي ما زادهم هذا التخويفُ إلَّا إيماناً باللَّهِ، وثقةً بنصره تعالى، وقالوا:

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي كافينا اللّهُ ربُّ العالمين، ونعمَ الملجأ والنصير. اهـ انظر قصة (غزوة حمراء الأسد) في التفسير الواضح الميسَّر ص ١٦١ لكاتب هذه السطور.

٤٥٦٤ ـ [طرفه في: ٤٥٦٣]، تقدّم شرحُه.

٤٥٦٥ ـ [طرفه في: ١٤٠٣]، تقدّم شرحُه.

باب (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وَجلَّ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية [آل عمران: ١٨٦])

٤٥٦٦ ـ عَنْ أُسامَةَ بْنِ زَيْد رَضِيَ اللَّه عَنْهما (أَنَّ رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ رَكِبَ على حِمارٍ، على قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وأَرْدَفَ أُسامَةَ بْنَ زَيْدٍ وراءَهُ، يعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبادَةَ فِي بَني الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، قَبلَ وقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّه بْنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ ـ وذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عبْدُ ٱللَّهِ بْنُ أُبَيّ ـ فإذا فِي المَجْلِسِ أَخْلاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ والمُشْرِكِينَ عبدَةِ الأَوْثانِ والْيَهُودِ والمُسْلِمِينَ، وفِي المَجْلِس (عبدُ ٱللَّهِ بْنُ رَواحَةَ)، فلَمَّا غشِيَتِ المَجْلِسَ عَجاجَةُ الدَّابَةِ، خَمَّرَ (عبْدُ ٱللَّهِ بْنُ أُبيّ) أَنْفَهُ بِردائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لا تُغَبِّرُوا علَيْنا.

فَسَلَّمَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عليهِمْ ثُمَّ وقَفَ، فنَزَلَ فدعاهُمْ إلَى ٱللَّهِ، وقَرأَ علَيْهِمُ القُرْآنَ، فقَالَ عبدُ ٱللَّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّها المَرْءُ، إنَّهُ لا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إنْ كانَ حَقًّا، فَلا تُؤْذِينا بهِ فِي مَجْلِسِنا، ٱرْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جاءَكَ فاْقْصُصْ علَيْهِ، فقَالَ (عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ رَواحَةَ): بَلى يا رَسُولَ اللَّه، فاْغْشَنا بهِ فِي مَجالِسِنَا، فإنّا نُحِبُّ ذٰلِكَ.

فاْسْتَبَّ المُسْلِمُونَ والمُشْرِكُونَ واليَهُودُ حتَّى كَادُوا يَتَثاوَرُونَ، فلَمْ يَزَلِ النَّبيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حتَّى سكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دابَّتَهُ فَسارَ حَتَّى دَخَلَ على (سَعْدِ بْنِ عُبادَةَ)، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يا سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ ما قَالَ أَبُو حُبابٍ ـ

يُرِيدُ عبدَ ٱللَّهِ بْنَ أُبَيّ ـ قالَ: كَذا وكَذا»!! قالَ سعْدُ بْنُ عُبادَةَ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ، ٱعْفُ عَنْهُ، وٱصْفَحْ عَنْهُ، فوالَّذِي أَنْزَلَ علَيْكَ الكتابَ، لَقَدْ جاءَ ٱللَّهُ بالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، ولَقَدِ ٱصْطَلَحَ أَهْلُ هٰذِهِ البُحَيْرَةِ، عَلى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بالْعِصابَةِ، فلَمَّا أَبَى ٱللَّهُ ذلِكَ بالحَقِّ الَّذِي أَعْطاكَ اللَّهُ، شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ ما رَأَيْتَ.

فَعَفَا عَنْهُ رسُولُ اللَّه ﷺ، وكانَ النَّبِيُّ ﷺ وأَصْحابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ وأَهْلِ الْكِتابِ كما أَمَرَهُمُ اللَّه، ويَصْبِرُونَ عَلى الأَذَى.

قَالَ ٱللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآيَةَ.

وقَالَ ٱللَّهُ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾. إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وكانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ ما أَمَرَهُ ٱللَّهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ ٱللَّهُ فِيهِمْ.

فَلَمَّا غزَا رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بدْراً، فَقَتَلَ ٱللَّهُ بِهِ صَنادِيدَ كفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ٱبْنُ أُبَيّ ابْنِ سَلُول ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ وعَبَدَةِ الأَوْثانِ: هٰذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلى الإِسْلامِ، فأَسْلَمُوا).

[طرفه في: ٢٩٨٧].

شرح الألفاظ

(قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ) كساءٌ غليظ، يُنسب إلى فَدَك، يوضع على ظهر الدابة، أو يُبسط في الأرض.

(أَرْدَفَ أُسَامَةَ) أي أركبه على الدابة خلف ظهره.

(في المَجْلسِ أَخْلاطٌ) أي فيه أعداد مختلطة من الناس، من أنواع شتى، من اليهود، والمشركين، والمسلمين.

(غَشِيَتْ عَجَاجَةُ الدَّابَةِ) أي ارتفع غُبار دابةِ الرسول ﷺ التي كان يركبها.

(خَمَّرَ أَنْفَهُ) أي غطّى أنفه بردائه، وقال المنافق ابنُ سلول: لا تؤذونا بغبار دابتكم!! يريد بذلك الرسولَ ﷺ.

(أَبُو حُبَابٍ) هي كنيةُ المنافق «عبد اللّه بن أُبيٍّ بن سلول» ناداه بكنيته لمصلحة التألف.

(يَتَثَاوَرُونَ) أي أوشك الحاضرون أن يتقاتلوا، ويثِبَ بعضُهم على بعض.

(اصْطَلَحَ أَهْلُ البُحَيْرَةِ) أي وافق أهلُ المدينة على أن يتوّجوه، فيجعلوه ملِكاً عليهم.

(شَرِقَ بِذَلِكَ) أي غصَّ به، كنَّى به عن الحَسَد! أي حسدك يا رسولَ اللّه، على هذا الفضل، الذي أعطاك اللّه إيَّاه، يُقال: شَرِق بالماء: إذا لم يبتلعه، ومنعه من إساغته في الحلق، فكنَّى به عن الحسد.

(أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ) أي ظهر وجهُه وَبَانَ، والمراد أنَّ الإسلام ظَهَر، وانتشر أمرُه، فدخل ابنُ سلول في الإسلام نفاقاً.

(صَنَادِيدُ الكُفْرِ) جمع صِنْديد، وأصلُه: السيِّدُ الكبيرُ في قومه، ثم صار عَلَماً على الطاغية، المغرق في الضلال والكفر.

شرح الحديث

مرض «سعدُ بنُ عُبادة» رضي اللّه عنه، وهو من سادة وعظماءِ الخزرج، وأراد الرسولُ ﷺ أن يزوره، فركب على حمار، وأركبَ خلفه «أسامةَ بنَ زيد» ومرَّ في طريقه على «عبدِ اللّهِ بن سلول» ـ قبل إسلامه ـ وهو في جمعٍ كبير من المشركين، واليهود، والمسلمين، وكان في المجلس «عبدُ اللّه بنُ رواحة» رضي اللّه عنه، فلمَّا اقتربت دابة الرسول من الجمع، ستر المنافقُ ابنُ سلول أنفه، وقال مخاطباً الرسولَ ﷺ بكل جفاءٍ وغلظة: لا تُؤذونا بغبار دابتكم!! فنزل رسولُ اللّه ﷺ عن دابته، ودعاهم إلى اللّه والإسلام، فقال عدوُّ اللّه: يا أيها الرجلُ، ارجعْ إلى محلَّتك، فمن جاءك منَّا فأخبِرْه بدعوتك، ولا تُحمِّل نفسك العناءَ، فتأتي إلى مجالسنا، لتدعونا إلى دينك الجديد!!

فردَّ عليه ابنُ رَوَاحة فقال: يا رسول اللّه! ائتنا إلى مجالسنا، فإنَّا نحبُّ أن نسمع منك، ووقع خصامٌ وجدال، بين المسلمين، واليهود، والمشركين، وسبَّ بعضهم بعضاً، حتى كادوا يقتتلون، فهدَّأهم رسولُ اللّه ﷺ حتى سكتت الأصوات، وطُفئت الفتنة.

ثم انصرف رسول اللّه ﷺ عنهم، ودخل على (سعدِ بنِ عبادة) وأخبره بقصة ابن سلول، فقال له سعد يا رسولَ اللّهِ! اُعفُ عنه، فإنه كاد يموت قهراً من هجرتك إلينا، حيث كنَّا قبل مجيئك نريد أن نجعله ملِكاً علينا، وقد زال عنه هذا العزُّ والفخار، فلذلك حَسَدك، وحمل الحقدَ والضَّغينةَ عليك، وعلى دينك، وفعَلَ ما رأيت!!

وفي هذه الحادثة نزل قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا...﴾ الآية [آل عمران: ١٨٦].

ولـمَّا انتشر الإسلام، وظهر أمره في المدينة، خشي ابنُ سلول على نفسه، فدخل في الإسلام هو وجماعتُه نفاقاً، ليكيدوا لهذا الدين الجديد، وبقي مستمراً على نفاقه، حتى أهلكه اللّه تعالى، ومات على النفاق والكفر ونزلت فيه الآيةُ الكريمة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ سبَبِ نزولِ هذه الآية: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] والمراد بأهل الكتاب: اليهود.

الثاني: وفيه أنَّ المسلمين كانوا مأمورين بالصفح، والعفو عن المشركين، وأهلِ الكتاب، في بدء الدعوة الإسلامية، حتى نزلت آياتُ الجهاد.

الثالث: وفيه جوازُ السلام على المشركين، وأهلِ الكتاب، إذا كان بينهم مسلمون، وينوي بسلامه المسلمين منهم خاصة.

قال العيني: إذا كان في مجلسٍ مسلمون وكفار، يجوز السلام عليهم، وينوي به المسلمين. اهـ عمدةُ القاري ١٨/١٥٦.

الرابع: وفيه جوازُ بقاء الراكب على الدابة، والتحدثُ مع الجالسين، فإن كانت المدةُ طويلة، ينزل كما فعلَ ﷺ.

الخامس: وفيه أنَّ عداوة المشركين واليهود للإسلام، متأصِّلة فيهم، وعداوةُ اليهود أشدُّ من المشركين قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

السادس: وفيه أنَّ النِّفاق ظهر في المدينة، حينما أصبح للمسلمين دولةٌ وكيان، ولم يظهر النفاق في مكة ـ كما يقول الحافظ ابن كثير ـ، وكان سبب نفاق «عبد اللّه بن سلول» زوالُ أمر تمليكه على أهل المدينة، بعد أن عزموا أن يقلِّدوه المُلْك، ويجعلوه مِلكاً متوَّجاً عليهم.

تنبيه لطيف

قال ابن كثير: إنما نزلت صفاتُ المنافقين في المدينة وفي السور المدنيَّة، لأن

مكة لم يكن فيها نفاقٌ، لقوَّة المشركين، وقلَّةِ المسلمين، فلم يكن هناك حاجة إلى التزلُّف للمسلمين، بإظهار أمر الإسلام، بل كان خلافُه، والنفاقُ هو: إظهار الإسلام، وإبطانُ الكفر، وإظهارُ الخير، وإسرارُ الشرِّ، وهو نَوْعان: اعتقادي، وعملي. اهـ تفسير ابن كثير ١/ ٣٠.

باب (قولِ اللَّه عزَّ وَجلَّ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨])

٤٥٦٧ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: (إنَّ رِجالاً مِنَ المُنافِقِينَ على عَهْدِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى الغَزْوِ تَخلَّفوا عَنْهُ، وفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِم خِلَافَ رسُولِ اللَّه ﷺ، فإِذَا قَدِمَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وحَلَفُوا، وأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾. الآيَة).

شرحُ الحديث

كان جماعةٌ من المنافقين، يتخلَّفون عن الخروج إلى الغزو، مع رسول اللَّه ﷺ، خوفاً على أنفسهم من القتل، فإذا رجع رسولُ اللَّه ﷺ وأصحابُه سالمين إلى وطنهم، جاء المنافقون يعتذرون إلى رسول اللَّه ﷺ بأعذار كاذبة، ويحلفون له باللَّه، أنهم لم يتركوا الخروج معه، إلَّا بسبب تلك الأعذار، التي اضطرتهم إلى عدم الخروج، كما قال سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ...﴾ الآية [التوبة: ٩٤] يطلبون بتلك المعاذير، أن يعفوَ الرسولُ عنهم، ويقبل منهم ما قالوه، ويثني على إيمانهم!! فنزلت الآية توضِّح أنهم لن ينجوا من العذاب، بهذه الأعذار الكاذبة، حتى ولو قَبِلَ منهم رسولُ اللَّه هذه الأعذار، لأنهم يسعون لإرضاء المخلوق، حتى ولو أغضبوا الخالق، لقوة نفاقهم، وضعف يقينهم، فهذا سبب نزول الآية الكريمة.

سببٌ آخرُ لنزول الآية الكريمة

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ٧٧]

٤٥٦٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّه بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّه قيل له: (لَئِنْ كَانَ كلُّ ٱمْرِئٍ فَرِحَ بِما أُوتِيَ، وأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِما لَمْ يفْعل، مُعذَّباً، لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ!! **فقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ**: وما لَكُمْ ولِهَذِهِ؟ إنَّما دَعا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ، فَسأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ ٱسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سأَلَهُمْ، وفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمانِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ ٱبْنُ عبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كَذالِكَ حَتَّى قَوْلِهِ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾.

شرح الحديث

أصلُ هذا الحديث كما رواه البخاري، أنَّ الخليفةَ «مروانَ بن الحَكَم» أرسَلَ بوَّابه إلى (عبد اللَّهِ بنِ عباس)، وقال له: سلْه، إذا كان كلُّ امرئ فرِحَ بما أُوتي، وأحبَّ أن يُحْمَد بما لم يعمل، سيعذَّبُ يوم القيامة، فسوف نعذَّب جميعاً، ولن ينجو أحدٌ من العذاب!؟

فلمَّا جاءه وسأله عن الأمر، **قال له ابن عباس منكراً**: ما شأنكم مع هذه الآية؟ هذه لم تنزل في المسلمين، وإنما نزلت في اليهود، دعاهم رسولُ اللَّه ﷺ إليه، وسألهم عمَّا يجدونه من صفته عندهم في التوراة، فكتموه بيان الحقِّ وأخبروه بغير ما عندهم، وظنُّوا أنهم أرْضَوا رسولَ اللَّه بما قالوه، وفرحوا بكتمهم إيَّاه حقيقةَ صفته عندهم، ففيهم نزلت الآية، ثم تلا ابنُ عباس قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟...﴾ الآيــة [آل عــمــران: ١٨٧، ١٨٨] فبيَّن ابنُ عباس أنها إنما نزلت في أهل الكتاب، من اليهود، وليست في المسلمين!

فائدة

قال البدر العيني: واللفظُ يتناول كلَّ من أتى بحسنةٍ، ففرح بها فَرَح إعجاب،

وأحبَّ أن يحمده الناسُ، ويُثنوا عليه بما ليس فيه. اهـ عمدة القاري ١٨/ ١٥٧.

٤٥٦٩ ـ [طرفه في: ١١٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٧٠ ـ [طرفه في: ١١٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٧١ ـ [طرفه في: ١١٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٧٢ ـ [طرفه في: ١١٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٧٣ ـ [طرفه في: ٢٤٩٤]، تقدّم شرحُه.

(سورة النساء)

بابُ (قولِ اللَّهِ عزَّ وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٦])

٤٥٧٤ ـ عَنْ عائشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنها (أنَّ عُرْوةَ بنَ الزُّبَيْرِ سألها عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾. فَقالَتْ: يا ابْنَ أُخْتِي، هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تكونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّها، تُشْرِكُهُ فِي مالِهِ، ويُعْجِبُهُ مالُها وجَمالُها، فيُرِيدُ وليُّها أَنْ يَتَزَوَّجها بغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِها، فيُعْطِيهَا مِثْلَ ما يُعْطِيها غيْرُهُ، فنُهُوا عَنْ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ، إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ، ويَبْلُغُوا لَهُنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ فِي الصَّدَاقِ، فأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا ما طابَ لَهُمْ مِنَ النِّساءِ سِواهُنَّ.

قالَ عُرْوَةُ: قالَتْ عائِشَةُ: وإنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ بعْدَ هٰذِهِ الآيَةِ، فأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾. قالَتْ عائِشَةُ: وقَوْلُ اللَّه تَعالى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ عَنْ يَتِيمَتِهِ، حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ المَالِ والجَمالِ.

قالَتْ: فنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا عَمَّنْ رَغِبُوا فِي مالِهِ وجَمالِهِ فِي يَتامَى النِّساءِ إِلَّا بالْقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ، إِذا كُنَّ قَلِيلاتِ المَالِ والجَمالِ.

[طرفه في ٢٤٩٤].

شرح الحديث

سأل «عُروةُ بنُ الزبير» خالتَه السيدة (عائشة) رضي اللّه عنها، عن آيةٍ أشكلَ عليه فهمُها، فقال لها: يا خالةُ ما علاقةُ اليتامىٰ في أمر تعدُّد الزوجات؟ فإنَّ اللَّه تعالى يقول: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣] فقالت له: يا ابنَ أختي: هذه اليتيمةُ تكون في حَجْرِ وليِّها، يعجبُه جمالُها ومالُها، فيريد أن يتزوجها، دون أن يعدل معها في المهر، فقال اللَّه لهم: إذا لم تعدلوا مع هؤلاء اليتيمات، فاتركوا الزواج منهنَّ، وتزوَّجوا ما طاب لكم من النساء سواهنَّ!

وإذا كانت اليتيمةُ قليلةَ المال والجمال، لا يرغب فيها، فأمر اللَّه عزَّ وجل أن يعدلوا مع اليتيمات، إذا كان لهم رغبةٌ في الزواج منها، بعد أن يدفع لها كاملَ المهر، الذي يُدفع لمثيلاتها.

وحاصل المعنى

أنَّ اليتيمة إذا كانت فقيرة وذميمة، يُعرضون عن نكاحها، فنهُوا عن المرغوب فيها، لمالها وجمالها، لأجل زهدهم عنها، إذا كانت قليلة المال والجمال، فينبغي أن يكون نكاحُ الغنيَّة الجميلة، ونكاحُ الفقيرة الدميمة، على السَّواء، في العدل والإنصاف.

قال العيني: كان الرجلُ في الجاهلية، تكون عنده اليتيمة، فيُلقي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك، لم يقدر أحدٌ أن يتزوَّجها أبداً، فإذا كانت جميلة وأحبَّها، تزوَّجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة، مَنَعها الرجالَ حتى تموت، فإذا ماتت ورثها، فحرَّم اللَّهُ ذلك، ونهى عنه. اهـ عمدة القاري للعيني ١٨/ ١٦٤.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث اعتبارُ مهر المِثْل، في اليتيمات، وأنَّ غيرهنَّ يجوز نكاحهنَّ، ولو كان المهر قليلاً.

الثاني: وفيه أنَّ لوليِّ اليتيمةِ على مالها، أن يتزوَّج من هي تحتَ حَجْره، لكنْ يكون العاقدُ غيرُه، بشرط العدل في المهر.

الثالث: وفيه جوازُ تزويج اليتامىٰ قبل البلوغ، ذكوراً وإناثاً، لأنهن بعد البلوغ،

لا يقال لهن يتيمات، لحديث: (**لا يُتْمَ بَعْدَ البلوغ**) واللَّه تعالى أعلم.

٤٥٧٥ ـ [طرفه في: ٢٢١٢]، تقدّم شرحُه.

٤٥٧٦ ـ [طرفه في: ٢٧٥٩]، تقدّم شرحُه.

باب (قولِ اللَّه عزَّ وَجلَّ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١])

٤٥٧٧ ـ عَنْ جابرِ بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّه قَالَ: (عَادَنِي النَّبيُّ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ فِي بَني سلمَةَ ماشِيَيْنِ، فَوَجَدَنِي النَّبيُّ ﷺ لَا أَعْقِلُ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ فأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: مَا تأمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يا رسُولَ اللَّه!؟ فَنَزَلَتْ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾).

[طرفه في: ١٩٤].

شرح الحديث

مرضَ جابرُ بنُ عبد اللَّه، فزاره الرسولُ ﷺ ومعه أبو بكر، فرآه في حالة إغماء، فتوضأ ﷺ، ورشَّ من وضوئه على جابر، فصحا رضي اللَّه عنه من إغمائه، وخشي أن يموت من مرضه، فقال: يا رسول اللَّه ما تأمرني أن أصنع بمالي؟ فعندي مال كثير، فنزلت آيةُ المواريث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ الآية [النساء: ١١].

وهناك سبب آخر لنزول الآية، وهو ما رواه الترمذي (أنَّ امرأةَ «سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ» جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت: يا رسولَ اللَّه، هاتان ابنتا سعد، قُتل أبوهما معك يوم أُحد شهيداً، وإنَّ عمَّهما أخذ مالهما، فلم يدَعْ لهما مالاً، ولا تُنكحان إلَّا ولهما مال!!

فقال لها ﷺ: (يقضي اللَّه في ذلك)، فنزلت آية المواريث. فبعث رسول اللَّه ﷺ إلى عمِّهما، فقال له: (أَعْطِ ابنتَيْ سَعْد الثلثين، وأَعْطِ أمَّهما الثُّمن، وما بقي فهو لك).

هذا هو الصحيح في سبب نزول الآية، وأمَّا قصة جابر فقد نزلت فيه آخر سورة

النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ...﴾ [النساء: ١٧٦] وهي المعروفة بآية الكَلالة، التي ليس فيها والدٌ ولا ولد، وجابر لم يكن عنده أولاد، كما نبَّه عليه العيني، في عمدة القاري ١٨/ ١٧٦ والحافظ ابنُ حجر في فتح الباري ٨/ ٢٤٤.

٤٥٧٨ ـ [طرفه في: ٢٧٤٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٧٩ ـ [طرفه في: ٦٩٤٨] انظر شرحه من خلال النص.

٤٥٨٠ ـ [طرفه في: ٢٢٩٢]، تقدّم شرحُه.

باب (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠])

٤٥٨١ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (أتى نَاسٌ النَّبِيَّ ﷺ فقالُوا: يا رسولَ ٱللَّهِ، هَلْ نَرَى ربَّنا يَوْمَ الْقيامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ، هَلْ تُضارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالظَّهِيرَةِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهِ سَحابٌ؟». قَالُوا: لَا، قَالَ: «وهَلْ تُضارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيه سَحابٌ؟». قالُوا: لا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ما تُضارُّونَ فِي رُؤْيَةِ ٱللَّهِ عَزَّ وجَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِما!!

إِذَا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: تَتْبَعُ كلُّ أُمَّةٍ ما كانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّه مِنَ الأَصْنامِ والأَنْصابِ، إِلَّا يَتَساقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كانَ يَعْبُدُ ٱللَّهَ، بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتابِ.

فَيُدْعَى اليَهُودُ، فَيُقالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ٱبْنَ اللَّه، فَيُقالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، ما ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِنْ صاحِبَةٍ ولَا ولَدٍ، فَماذا تَبْغُونَ؟ فقالُوا: عَطِشْنا ربَّنا فاَسْقِنا، فَيُشَارُ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ، كأَنَّها سَرابٌ يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً، فَيَتَساقَطُونَ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يُدْعَى النَّصارَى فيُقالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ٱبْنَ اللَّه، فَيُقالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، ما ٱتَّخَذَ اللَّه مِنْ صاحِبَةٍ ولا ولَدٍ، فَيُقالُ لَهُمْ: ماذا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ!!

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كانَ يَعْبُدُ ٱللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فاجِرٍ، أَتاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رأَوْهُ فِيها، فَيُقالُ: ماذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كلُّ أُمَّةٍ مَا كانَتْ تَعْبُدُ، قالُوا: فارَقْنا النَّاسَ فِي ٱلدُّنْيا عَلى أَفْقَرِ ما كُنّا إِلَيْهِمْ ولَم نُصاحِبْهُم، ونَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنا الَّذِي كُنّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لَا نُشْرِكُ بِٱللَّهِ شَيْئاً. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً).

[طرفه في: ٢٢].

شرح الألفاظ

(أَذَنَ مؤذِّنٌ) أي نادى منادٍ من الملائكة، لِتتْبَعْ كلُّ أمةٍ من الأمم، من كانت تعبده في الدنيا.

(غُبَرَاتِ أَهْلِ الكِتَابِ) أي بقايا من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى.

(كَأَنَهَا سَرَابٌ) السَّرابُ: هو الذي يُرى منتصف النهار، كأنه ماء، وليس بماء، قال تعالى: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩].

(يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً) الحَطْمُ: الكسرُ، ومنه سميت النار بالحُطَمة، والمعنى: تُرى النارُ من شدة لهبها، كأنَّ بعضها يُحرق بعضاً.

(أَدْنَى صُورَةٍ) أي أقرب صورةٍ لما يعرفها المؤمنون، من عظمة اللَّه وجلاله.

(أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ) أي على أحوجِ ما كنا إليهم، يريدون أننَّا لم نتَّبعهم في الدنيا، مع حاجتنا إليهم، فاليوم لا نتبعهم بالطريق الأولى.

شرح الحديث

سأل بعضُ الصحابة رسولَ اللَّه ﷺ، فقالوا: يا رسول اللَّه، هل نرى ربَّنا يومَ القيامة؟ فقال لهم ﷺ: (إذا كانت الشمس ساطعةً وسط النهار، أو كان القمرُ بدراً منيراً، وليس في السماء سحابٌ، ولا ضبابٌ، فهل يضرُّكم رُؤيةُ الشمس أو القمر؟) قالوا: لا يا رسول اللَّه!

فقال لهم ﷺ: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون الشمس والقمر، لا تشكُّون في رؤيتهما)!!

ثم أخبرهم عن موقف الحشر في الآخرة، فقال: (ينادي يوم القيامة منادٍ، فيقول: لينصرفْ كلُّ إنسانٍ إلى ما كان يعبده في الدنيا، فينصرف عُبَّاد الأصنام والأوثان، وكلُّ من عَبَد غيرَ اللَّه، من شجر، ووثن، وبقر، فيقذفون في نار جهنم، وهي تستعر بلهبها، وبالبشر الذين يُقذفون فيها، ويَحْطِم بعضُها بعضاً).

ثم يُدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون في الدنيا؟ فيقولون: عزيراً ابنَ اللَّه، فيقال لهم: كذبتم، ليس للَّه ولد! وماذا تريدون؟ فيقولون: أهلكَنا العطشُ فاسقنا يا ربَّنا، فيشار لهم إلى جهنم، اذهبوا فاشربوا منها، وتُمثَّل لهم النارُ، كأنها سرابٌ فيه ماء، فتخطفهم نارُ جهنم، ثم يفعل بالنصارى مثل ذلك)!

ويبقى المسلمون فيقال لهم: ماذا تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فإذا جاءنا عرفناه بجلال صفاته، فيقول لهم: أنا ربُّكم، فيرونه ويسجدون له، ويقولون: نعم أنتَ ربُّنا، لا نشرك باللَّه شيئاً).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الناس يُحْشرون جميعاً في موقف الحساب، ثم يتبع كل فريق ما كان يعبده في الدنيا، من بشر، أو حَجَر، أو شجر.

الثاني: وفيه إثباتُ رؤيةِ المؤمنين للَّهِ عزَّ وجل، كما يرى الإنسانُ الشمسَ والقمر، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] خلافاً لمن أنكر رؤيةِ اللَّه في الآخرة، كالمعتزلة، والخوارج.

الثالث: وفيه أنَّ من نَسَب إلى اللَّه الولد، فإنه كافر كاذبٌ، ولهذا يقال لليهود والنصارى: كذبتم، ما اتخذ اللَّه من صاحبة، ولا ولد، ثم يُؤْمر بهم إلى نار الجحيم.

الرابع: وفيه أنَّ اللَّه تعالى، يُثبِّت المؤمنين يوم القيامة، على كلمة الإيمان والتوحيد، فلا تزيغ قلوبُهم، ولا تضطرب نفوسُهم عند السؤال، كما قال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

تنبيه لطيفٌ هام

قال البدر العيني: هذه الرؤيةُ في المحشر، غيرُ الرؤية التي هي لأهل الكرامة من أهل الجنة، فإن هذه الرؤيةَ، للتمييز بين منْ عَبَد اللَّهَ، ومن عَبَد غيره، وفي

الحديث ردٌّ على أهل البِدع من الخوارج والمعتزلة في قولهم: إن اللَّه لا يراه أحدٌ من خلقه، وإن رؤيتَه مستحيلة عقلاً!! وهذا الذي قالوه خطأٌ صريح، وجهلٌ قبيح، وقد تظاهرت أدلةُ الكتاب والسنة، وإجماعُ الصحابة فمَنْ بعدَهم من سلف الأمة، على إثبات رؤية اللَّه تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحوٌ من عشرين صحابياً عن رسول اللَّه ﷺ. اهـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٨/ ١٧٢.

باب (قولِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١])

٤٥٨٢ ـ عَنْ عبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ: «اقْرأ عَليَّ القرآن»! قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «فإنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْري»! فَقَرَأْتُ عليْهِ سُورَةَ النِّساءِ، حتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾! قَالَ: «أَمْسِكْ»، فإِذَا عَيْناهُ تَذْرِفانِ).

[أطرافه في: ٥٠٤٩، ٥٠٥٠، ٥٠٥٥، ٥٠٥٦].

شرح الحديث

دخل الصحابيُّ الجليلُ (عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُود) رضي اللَّه عنه، على رسول اللَّه ﷺ، وهو جالسٌ في المسجد مع بعض أصحابه، فسلَّم ثم جلس بين يديْ رسول اللَّه ﷺ، فقال له الرسولُ الكريم: **(اقرأ عليَّ القرآنَ يا عبدَ اللَّه!!)** فقال له ابنُ مسعود: عليك يا رسول اللَّه أقرأُ، وعليك نزل هذا القرآنُ؟ فقال له المصطفى ﷺ: **(إني أحبُّ أن أسمع القرآن من غيري!!)** فامتثل ابن مسعود الأمر، وقرأ على الرسول ﷺ أولَ سورة النساء، حتى وصل إلى هذه الآية الكريمة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤١، ٤٢] فأشار إليه النبيُّ ﷺ: أَنْ حسبُك الآن!! أي يكفي ما قرأته عليَّ!

فنظر ابنُ مسعود، فإذا بالرسول ﷺ تنهمر الدموع من عينيه، وإنما بكى ﷺ شفقةً على

الناس الذين لم يؤمنوا، وعلى العصاة من أمته، الذين لم يتوبوا، وهذا من شدة خوفه ﷺ على الناس، ورحمته بهم قال تعالى. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

تنبيه هام

الآية الكريمة تتحدث عن هول يوم القيامة، وشدة كربه، والمعنى: كيف يكون حال الأشقياء الفجار، إذا جئنا يوم القيامة، بكل أمةٍ من الأمم، ومعها نبيُّها ليشهد عليها، وجئنا بك يا خاتم النبيِّين، لتشهد على أمتك؟ كيف يكون موقف العُصاة والأشرار في ذلك اليوم الرهيب؟ الذي يتمنى فيه الكافرُ، والعاصي الفاجر، لو يُدفن تحت التراب، أو تنشقُّ به الأرض فتبتلعه، لما يرى من شدائد وأهوال ذلك اليوم العصيب.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ أهوالِ وشدائدِ يوم القيامة، وما يلقاه الناس من الكرب والهول.

الثاني: وفيه أنَّ القارئَ للقرآنِ، والسامعَ له، ينبغي أن يتأثر بكلام اللَّه، ويخشع له قلبُه، وتدمع عينه ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ﴾؟ [النجم: ٥٩، ٦٠].

٤٥٨٣ ـ [طرفه في: ٣٣٤]، تقدّم شرحُه.

٤٥٨٤ ـ انظر شرحه في الحديث ٢٩٥٧.

٤٥٨٥ ـ [طرفه في: ٢٣٦٠]، تقدّم شرحُه.

٤٥٨٦ ـ [طرفه في: ٤٤٣٥]، تقدّم شرحُه.

٤٥٨٧ ـ [طرفه في: ١٣٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٨٨ ـ [طرفه في: ١٣٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٨٩ ـ [طرفه في: ١٨٨٤]، تقدّم شرحُه.

٤٥٩٠ ـ [طرفه في: ٣٨٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٥٩١ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٥٩٢ ـ [طرفه في: ٢٨٣٢]، تقدّم شرحُه.

٤٥٩٣ ـ [طرفه في: ٢٨٣١]، تقدّم شرحُه.

٤٥٩٤ ـ [طرفه في: ٢٨٣١]، تقدّم شرحُه.

٤٥٩٥ ـ [طرفه في: ٣٩٥٤]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧])

٤٥٩٦ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (إِنَّ نـاساً مِنَ المُسْلِمِينَ كانُوا مَعَ المُشْرِكِينَ، يُكَثِّرُونَ سَوَادَ المُشْرِكِينَ عَلى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، يَأْتِي السَّهمُ فَيُرْمَى بِهِ، فيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فيقْتُلُهُ، أَوْ يُضْرَبُ فيُقْتَلُ، فأَنْزَلَ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾. الآيَةَ [النساء: ٩٧]).

[طرفه في: ٧٠٨٥].

شرح الحديث

لمَّا كان الجهاد في سبيل اللَّه، يستلزم من المسلم الهجرةَ من دار الكفر إلى دار الإيمان، لأن الهجرة فرع من فروع الجهاد في سبيل اللَّه، لذلك ذكر تعالى عقوبةَ من رَكَنَ إلى نعيم الحياة، ولم يهاجر من بلد الكفر، لأنَّ الهجرة كانت فريضةً على المسلمين، ولمَّا هاجر الرسولُ ﷺ وأصحابُه إلى المدينة، بقي أناسٌ من المسلمين في مكة، يُخْفون إسلامَهم، فإذا خرج المشركون لحرب المسلمين، خرجوا معهم، ليكثِّروا سوَادَهم، فربَّما قُتل برميةِ سهمٍ من أحد المسلمين، ظناً منه أنه مشرك، أو مات في المعركة بطريقةٍ من الطرق، فيخسرُ نفسه، وحياتَه، وسعادته، ففيهم نزلت الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] أي ظلموا أنفسهم بتركهم الهجرة، وبقائهم في ديار الكفر.

وروي في سبب نزولها ما أخرجه الطبري: (كان قوم من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا يُخفون الإسلامَ، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأُصيب بعضُهم، فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا، فاستغفِروا لهم) فنزلت الآية.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الهجرةَ واجبة على المسلم، من دار الكفر إلى دار الإسلام.

الثاني: وفيه أنَّ من كثَّر سواد قومٍ فإنه منهم.

الثالث: وفيه عِظَمُ جريمةِ من مات من غير جهادٍ ولا هجرة، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

٤٥٩٧ ـ [طرفه في: ١٣٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٩٨ ـ [طرفه في: ٧٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤٥٩٩ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٦٠٠ ـ [طرفه في: ٢٤٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٠١ ـ [طرفه في: ٢٤٥٠]، تقدّم شرحُه.

٤٦٠٢ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٦٠٣ ـ [طرفه في: ٣٤١٢]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجل: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩])

٤٦٠٤ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **(مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ متَّى، فَقَدْ كَذَبَ).**

[طرفه في: ٣٤١٥].

شرح الحديث

وردت روايتان في هذا الحديث الشريف، هذه الرواية، والأخرى بلفظ **(مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)**!

قال الحافظ ابن حجر: قولُه: (أن يَقُولَ أَنَا خيرٌ من يُونُس) يحتمل أن يكون هو

القائِلُ نفسه، لأن لا أحد أفضل من الأنبياء، مهما بلغ درجة التقوى والصلاح.

ويحتمل أن يكون المراد بقوله (أنا) رسولُ اللَّهِ ﷺ، ويصبح المعنى: من قال: **(أنا خيرٌ من يونس بنِ متَّى)** أي محمد ﷺ خير من يونس، فيكون ﷺ قد قاله تواضعاً، وهضماً للنفس، ولو أراد النبيُّ نفسَه، لكان نهيُه قبل أن يعرف ﷺ أنه خير البشر. اهـ فتح الباري ٨/ ٢٦٧. وانظر أيضاً العيني ١٨/ ١٩٤.

٤٦٠٥ - [طرفه في: ٤٣٦٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٠٦ - [طرفه في: ٤٥]، تقدّم شرحُه.

٤٦٠٧ - [طرفه في: ٣٣٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٠٨ - [طرفه في: ٣٣٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٠٩ - [طرفه في: ٣٩٥٢]، تقدّم شرحُه.

٤٦١٠ - [طرفه في: ٢٣٣]، تقدّم شرحُه.

٤٦١١ - [طرفه في: ٢٧٠٣]، تقدّم شرحُه.

سورة المائدة

بابُ (قول اللَّه عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧])

٤٦١٢ - عَنْ عائِشَةَ أمِّ المؤمنينَ رضيَ اللَّه عَنْهَا أنها قالَتْ: (منْ حَدَّثَكَ أنَّ مُحَمَّداً ﷺ كتَمَ شَيْئاً مِمّا أُنْزِلَ عليْهِ، فقَدْ كَذَبَ، واللَّهُ تعالى يقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآيَة).

[طرفه في: ٥٥٧٩].

شرح الحديث

السيِّدةُ عائشةُ رضي اللَّه عنها، تردُّ على بعض الضالِّين الرافضة، الذين زعموا

أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، أخفى أمر الخلافة، وأوصى بها لعليّ، وخصَّ (عليَّ بنَ أبي طالب) بأحاديثَ وأخبار، هي عند آل بيت النبيِّ ﷺ، لم يطَّلع عليها أحد من المسلمين، غيرُ آل البيت، ويقولون: هناكَ مصحفٌ خاصٌّ بآل البيت، محفوظٌ عند فاطمة الزهراء، وهذا محض الكذب والافتراء على اللَّه ورسوله، إذْ كيف يُخفي رسولُ اللَّه شيئاً ممَّا أنزله اللَّهُ؟ وبيَّنه لرسوله ﷺ؟ واللَّه تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] أي إن أخفيتَ شيئاً مما أوحاه اللَّهُ إليك، فما أدَّيْتَ الأمانةَ!؟

وتقول رضي اللَّه عنها أيضاً: لو كَتَم محمد ﷺ شيئاً ممَّا أوحي إليه من كتاب اللَّه تعالى، لكَتَم هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أخرجه ابن جرير، وذلك في أمرِ زواجه ﷺ بزينب، بعد أن طلَّقها زوجها، فأمره اللَّه بالزواج منها، ليُبطل حكم التبنِّي ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ . .﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٤٦١٣ ـ [طرفه في: ٦٦٦٣]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٦١٤ ـ [طرفه في: ٦٦٢١]، انظر شرحه من خلال النص.

باب (قولِ اللَّهِ عزَّ وَجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧])

٤٦١٥ ـ عَنْ عبدِ ٱللَّهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (كُنّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ولَيْسَ مَعَنَا نِساءٌ، فَقُلْنا: أَلَا نَخْتَصِي؟ فَنَهانا عَنْ ذٰلِكَ، فَرَخَّصَ لَنا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَتَزَوَّجَ المَرْأَةَ بالثَّوْبِ، ثُمَّ قَرأَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية).

[أطرافه في: ٥٠٧١، ٥٠٧٥].

شرح الألفاظ

(أَلَا نَخْتَصِي) الاختصاءُ: نزعُ خِصْية الحيوان، واختصى الرجلُ: قطعَ خصيتَه لئلا يشتهي النساءَ، مأخوذٌ من قولهم: خَصَاه إذا نَزَع خِصْيَته.

شرح الحديث

يحكي ابنُ مسعود رضي اللَّه عنه، أنهم كانوا مع رسول اللَّه ﷺ في بعض مغازيه، وطالت بهم المدَّةُ، فقال بعضُهم لبعض: ما رأيكم نقطع العِرْقَ الذي يصل إلى الخِصْية، أو نقطعُ الخِصْيةَ، لئلا تتحرك شهوتنا للنساء!؟

وبلغ الخبرُ إلى رسول اللَّه ﷺ، فنهاهم عن ذلك أشدَّ النَّهْي، ثم أباح لهم نكاحَ المرأة، بطريق المتعة، حتى يرجعوا إلى وطنهم، وقرأ ابنُ مسعود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] وكان هذا في الأسفار، قبل تحريم نكاح المتعة، التحريمَ المؤبَّد.

قال النووي: إنما كان نكاحُ المتعة في أسفارهم، وفي الغزو، ولم يكن وهم في أوطانهم، وكان رخصةً في أول الإسلام، كالميتة إن اضطروا إليها، ثم ثبت بالأحاديث الصحيحة، أنَّ نكاح المتعة نُسخ، وانعقد الإجماع على تحريمه، ولم يخالف في هذا، إلَّا طائفةٌ من الشيعة المبتدعة، وتعلَّقوا بالأحاديث المنسوخة، ولا دلالة لهم فيها، كما تعلَّقوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ . . .﴾ [النساء: ٢٤] والمراد بها التمتعُ والتلذذ بالنساء، بطريق النكاح الشرعي، لا نكاح المتعة، لأن الآية قبلها تحدثت عن المحرمات من النساء، ثم ذكر تعالى وجوب دفع المهر كاملاً، لمن تزوَّج بامرأةٍ زواجاً شرعياً، ولو كان يراد بها نكاح المتعة لقال: فما نكحتموهن لمتعة فآتوهن أجورهن. اهـ عمدة القاري ١٨/ ٢٠٨ وانظر كتابنا (موقف الشريعة الغراء من نكاح المتعة)، ففيه توضيح وتفصيل لحكم تحريم المتعة.

٤٦١٦ ـ [طرفه في: ٥٥٧٩]، انظر شرح الحديث التالي رقم ٤٦١٧.

باب (قولِ اللَّه عزَّ وجل:

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]

٤٦١٧ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: (ما كَانَ لَنا خَمْرٌ غَيْرُ فَضِيخِكُمْ هَذَا الَّذِي تُسَمُّونَهُ الْفَضِيخَ، فإِنِّي لَقائِمٌ أَسْقِي أَبا طَلْحَةَ، وفُلَاناً وفُلَاناً،

إذْ جاءَ رجُلٌ فقَالَ: وهَلْ بلَغَكُمُ الخَبَرُ؟ فَقَالُوا: وما ذَاك؟ قَالَ: حُرِّمَتِ الخَمْرُ، قالُوا: أَهْرِقْ هَذِهِ القِلَالَ يا أَنَسُ، قَالَ: فَما سأَلُوا عَنْها، ولا رَاجَعُوها بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ).

[طرفه في: ٢٤٦٤].

شرح الألفاظ

(الفَضِيخُ) شرابٌ يُتَّخذ من البُسْر ـ يعني التمر ـ يُنقع بالماء، ويبقى أياماً فيتخمَّر، ثم يُشرب، فهذا هو (الفَضِيخُ)، والخمرُ: من عصير العنب، والعسل، والحنطةِ والشعير، وغيرها.

(أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ) (أبو طلحة) زوجُ أمِّ (أنس بن مالك) راوي الحديث، واسمه «سهلُ بنُ زيد الأنصاري».

(أَهْرِيقُوا القِلَالَ) أي أريقوا هذه الجُرَر التي فيها الخمرُ، فأراقوها، ولم يشربوا شيئاً منها بعد ذلك.

شرح الحديث

كان أنسٌ خادمُ رسولِ اللَّه ﷺ، يسقي زوجَ أمه «أبا طلحة»، ورجالاً معه من خمر التمر، فجاء رجل من الصحابة، والقومُ جالسون، فأخبرهم أن اللَّه تعالى أنزل على رسوله ﷺ تحريمَ الخمر، فما تردَّدوا، ولا استفسروا عن أمر التحريم، بل سارعوا إلى صبِّ ما عندهم من الخَمْر، في شوارع المدينة، من سُرعة طاعتهم، واستجابتهم لأمر اللَّه تعالى، الذي أخبر أنها رجسٌ من عمل الشيطان، وهذا دليلُ إيمانهم المتين.

قال أنس: فجرتْ في سِكَك المدينة، لأنَّ جميع المسلمين أراقوها، لم يتخلَّفْ منهم أحد.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث جوازُ العمل بخبَرِ الواحد، لأنَّ الذي أخبرهم عن تحريم الخمر، صحابيٌّ واحد.

الثاني: وفيه أنَّ الخمر كانت مباحةً قبل التحريم، لأن الصحابة كانوا يشربونها، كما في حديث أنس.

الثالث: وفيه أنَّ الخمر ليست خاصة بعصير العنب، فقد كان العنب قليلاً عندهم، وكانوا يتخذونها من عصير التمر، وقد خطب عمر رضي اللَّه عنه فقال: أيها الناس إنه نزلَ تحريمُ الخمر، وهي من خمسةٍ (من العنبِ، والتمرِ، والعسلِ، والحنطةِ، والشعيرِ) والخمرُ: ما خامَرَ العقلَ أي غطَّى على العقل، رواه البخاري.

الرابع: وفيه سرعة استجابة الصحابة لأمر اللَّه تعالى، فإنهم لمَّا سمعوا تحريمها، أراقوها، ولم يشربوها بعد ذلك أبداً.

الخامس: وفيه عدمُ جوازِ تخليل الخمر - أي جعلها خلّاً يُنتفع به - لأنه لو جاز ذلك لَمَا أراقوها.

٤٦١٨ - [طرفه في: ٢٨١٥]، تقدّم شرحُه.

٤٦١٩ - [أطرافه في: ٥٥٨١، ٥٥٨٨، ٥٥٨٩، ٧٣٣٧] انظر شرح الحديث السابق رقم ٤٦١٧.

٤٦٢٠ - [طرفه في: ٢٤٦٤]، تقدّم شرحُه.

باب (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١])

٤٦٢١ - عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قَالَ: (خَطَبَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَها قطُّ، قَالَ: «لوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ولَبَكَيْتُمْ كثِيراً»!! قَالَ: فَغَطَّى أَصْحابُ رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ، فقَالَ رجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: (فُلانٌ). فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾).

[طرفه في: ٩٣].

شرح الألفاظ

(لَهُمْ خَنِينٌ) الخنينُ: الصَّوتُ الذي يرتفع من الأنف بالبكاء، أي صوتٌ فيه غُنَّةٌ، كصوت الحَزِين المكروب.

(مَنْ أَبِي)؟ هذا السائلُ هو «قيسُ بن حُذَافَةَ» كان الناسُ يشكُّون في أبيه، فأجابه ﷺ باسم أبيه الحقيقي، قال له: «حُذافة» لإزالة الشكِّ عن نفوس الناس، وبسبب سؤاله نزلت الآية الكريمة، لِنَهْي المؤمنين عن الإلحاح على رسولِ اللَّه ﷺ في الأسئلة.

شرح الحديث

صَعِدَ رسولُ اللَّه ﷺ ذاتَ يوم المنبر، فخطب في أصحابه خطبةً بليغةً مؤثِّرة، حتى بكى الصحابةُ، وأصبح لهم صوتٌ مرتفع بالبكاء، مع الخنين، وهو صوت المحزونِ المكروب، يقول أنسٌ: ما سمعتُ مثلَهَا في مواعِظِهِ ﷺ، وقد جاء في هذه الموعظة أنه قال لهم: إنكم في غفلةٍ وبُعد عن حقيقة ما أمامكم في الآخرة من أهوال. **(ولو تعلمون ما أعلمه، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولمَا تَلَذَّذتم بالنِّساء على فُرُشكم)**!! فما بقي أحدٌ سمعَ ذلك من رسولِ اللَّه ﷺ، إلَّا غطَّى وجهه، وانكفأ يبكي، من شدة التأثر بتلك الموعظة، فقام أحدُ الناس فسأله: من أبي يا رسول اللَّه؟ ـ وكان الناسُ ينسبونه إلى غير أبيه ـ فقال له ﷺ: **(أبوك حُذافة)**، فنزلت الآية الكريمة: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث التحذيرُ عن الغفلة عن الآخرة، وضرورةُ التذكير للبشر، بما يرقِّق القلوب، كما فعله ﷺ.

الثاني: وفيه النهيُ عن الإكثار من الأسئلة، عمَّا كان، وعمَّا لم يكن، لئلا ينزل ما يكرهه الناس، كسؤال الأعرابي الرسولَ ﷺ عن الحجِّ، حين قال: أكلَّ عامٍ يا رسول اللَّه؟ فقال له ﷺ: **(لو قلتُ نعم، لوجَبَ ولما استطعتم)**.

الثالث: وفيه إيثارُ الستر على المسلمين، وكراهة التشديد عليهم، والتنقيب عمَّا لم يحدث، لقوله سبحانه: ﴿ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ كسؤال الرجل: من أبي يا رسول؟ فلو لم يكن نسبُه صحيحاً، لافْتَضَحَ أمرُه بين المسلمين. ويؤيده الحديث الآتي ذكره:

بابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الأَسْئِلَةِ

٤٦٢٢ ـ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أنه قَالَ: (كانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ ٱسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟ ويَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ ناقَتُهُ: أَيْنَ ناقتي؟ فأَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠] حتَّى فَرَغَ منَ الآيَةِ كلِّها.

شرح الحديث

الحديث الذي رواه ابن عباس، أنَّ بعض الناس كانوا يسألون رسول اللَّه ﷺ استهزاءً، إنما هو في الذين في قلوبهم مرض من المنافقين، وذلك بُغية إحراج الرسولِ ﷺ، لعلَّه يذكر لهم شيئاً ينكرونه، فيجعلونه سبباً للطعن في رسالته، كسؤال أحد الأعراب: أين ناقتي؟ وسؤالِ بعضهم: مَنْ أبي؟

وأمَّا المؤمنون فمنهم من كان يسأل، للاستفسار عن الأحكام التشريعية، ومنهم من كان يسأل عن أمور غيبية، تحدث في الكون، فنُهي المسلمون عن ذلك، لقطع الطريق على المنافقين، ويحكى أن ابنَ عبَّاس سأله بعضهم، عن أكل الشاة الضالَّة، والانتفاع بها؟ فقال له: من أكل الضالَّة فهو ضالٌّ.

ومثالٌ آخر ما رُوي في الصحيح، عن أنسٍ رضي اللَّه عنه أنه قال: (سألوا رسول اللَّه ﷺ حتى أحْفَوْه في السؤال ـ أي أكثروا عليه في المسائل ـ فصعد المنبرَ فقال: لا تسألوني عن شيء إلَّا أنبأتكم به!! فجعلت ألتفتُ عن يمين وشمال، فإذا كلُّ رجل لافٌّ ثوبه برأسه يبكي!!

قال الحافظُ ابنُ حجَر: والحاصلُ أنها نزلت بسبب كثرة المسائل، إمَّا على سبيل الاستهزاء، أو الامتحان، وإمَّا على وجه التعنُّتِ، عن الشيء الذي لو لم يُسألْ عنه، لكان على الإباحة، كما ورد في حديث مسلم: (أعظمُ المسلمين جُرماً، من سأل عن شيء لم يُحرَّمْ، فحُرِّمَ من أجل مسألته) اهـ. فتح الباري ٨/ ٢٨١.

٤٦٢٣ ـ [طرفه في: ٣٥٢١]، تقدّم شرحُه.

٤٦٢٤ - [طرفه في: ١٠٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٢٥ - [طرفه في: ٣٣٤٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٢٦ - [طرفه في: ٣٣٤٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٢٧ - [طرفه في: ١٠٣٩]، تقدّم شرحُه.

سورة الأنعام

بابُ (قولِ اللّه عزَّ وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥])

٤٦٢٨ - عَنْ جابرِ بنِ عَبْدِ اللّه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيـةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]. قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»!! قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾. قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «هٰذا أَهْوَنُ. أَوْ: هٰذَا أَيْسَرُ»).

[طرفاه في: ٧٣١٣، ٧٤٠٦].

شرحُ الحديث

نزل الوحيُ على رسول اللّه ﷺ، وعنده بعضُ أصحابه، منهم «جابر بنُ عبد اللّه رضي اللّه عنه»، وسمعَ جابرٌ رسولَ اللّه ﷺ يتلو قول اللّه تعالى: ﴿أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] فاستجار رسولُ اللّه بربه، وقال: **(أعوذ بوجهك)**، أي ألجأ وأستجير بعظمتك وجلالك يا ربِّ، من هذا العذاب المدمِّر؛ ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] فاستجار بربه، **(أعوذ بوجهك)** أي أستجير بوجهك الكريم من هذا العذاب المدمِّر أيضاً، فلمَّا تلا قولَه تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال ﷺ: **(يا ربُّ هذا أهونُ، أو أيسرُ)**.

ومعنى الآية الكريمة

قل يا أيها الرسولُ لهؤلاء الكفرة، المحاربين لدين اللَّه، المعادين لأنبيائه ورسله: إنَّ اللَّه تعالى قادر أن يهلككم بعذاب، يرسله عليكم من السماء، بالصواعق المدمرة، أو بالحصباء كما أُهلكت قومُ لوط بالحجارة، أو بالأعاصير والرياح المهلكة، كما أُهلكت قومُ عاد بالريح الصَّرْصَر العاتية، أو يهلككم من الأرض بالخسف، والزلازل، والرجفة، والطوفان، كما أُهلكت قوم نوح، أو يجعلكم فِرَقاً وأحزاباً متفرقة، يقاتل بعضكم بعضاً، ويأسِرُ بعضكم بعضاً، كحالة الناس اليوم، حيث ظهر القتالُ بينهم وانتشر، وكاد البشرُ يُهلك بعضُهم بعضاً.

قال ابن عباس: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] يعني يُسلِّط بعضَكم على بعض، بالعذاب، والقتل، وإراقة الدماء.

وقولُه ﷺ: (هذا أهونُ) أي هذا البلاءُ الأخيرُ، وهو تسليطُ بعضهم على بعض، أيسرُ وأهونُ من عذاب اللَّه الشديد، من السماء، أو الأرض، لأنه يكون عذاب هلاك واستئصال، لأن الفِتَنَ من المخلوقين، أهونُ من عذاب ربِّ العالمين!! قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث: تحذيرٌ شديد، ووعيد أكيد، من ربِّ العزَّة والجلال، لأهل الكفر والضلال، إن لم يكفُّوا عن كفرهم وفجورهم.

الثاني: وفيه استعاذةُ الرسول ﷺ واستجارتُه بربه، أن لا يُهلك هذه الأمة، بعذاب الاستئصال، كما حَدَث للأمم السابقة.

الثالث: وفيه أنَّ ما يحدث بين البشر من سفك للدماء، وقتل للأبرياء، وعدوانِ بعضِهم على بعض، أيسرُ وأخفُّ من عذاب اللَّه الشديد.

٤٦٢٩ ـ [طرفه في: ٣٢]، تقدّم شرحُه.

٤٦٣٠ ـ [طرفه في: ٣٣٩٥]، تقدّم شرحه.

٤٦٣١ ـ [طرفه في: ٣٤١٥]، تقدّم شرحه.

❁ ❁ ❁

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠])

٤٦٣٢ ـ عَنْ عبدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه سُئِلَ: أَفِي ﴿ص﴾ سَجْدَةٌ؟ فقَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٨٦ ـ ٩٠]. ثُمَّ قَالَ: هُوَ مِنْهُمْ.

[طرفه في: ٣٤٢١].

شرح الحديث

سُئل سيدنا عبدُ اللَّه بن عباس: هل في سورة صَ سجدة؟ فقال: نعم، فيها سجدة، يشير إلى قوله سبحانه: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [صَ: ٢٤] أي خرَّ داود ساجداً للَّه تعالى، ولمَّا كان داود من جملة الأنبياء، الذين أُمِرَ ﷺ بالاقتداء بهم، في قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقد سجَد داود عليه السلام، فيجب السجود عند تلاوة آية (صَ) وهو استنباطٌ بديعٌ، من حَبْر الأمة، وترجمان القرآن «ابن عباس» رضي اللَّه عنه، وبه أخذ الإمام أبو حنيفة، فأوجب سجود التلاوة عند تلاوتها.

٤٦٣٣ ـ [طرفه في: ٢٢٣٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قولِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ:

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ [الأنعام: ١٥١])

٤٦٣٤ ـ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بن مَسْعُود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ وَرَفَعَه ـ أَنَّ رسولَ اللَّه

ﷺ قال: (لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ ٱللَّهِ، ولِذٰلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهرَ مِنْها وما بَطَنَ، ولَا شَيءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ ٱللَّهِ، ولِذٰلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ).

قال أبو وائل: قلتُ: (سمعتَه من عبد اللَّه؟ قال: نعم، قلتُ: ورَفَعَه؟ قال: نعم).

[أطرافه في: ٤٦٣٧، ٥٢٢٠، ٧٤٠٣].

شرح الحديث

الحديث من رواية ابن مسعود، عن رسول اللَّه ﷺ، مرفوعاً، فهو من الأحاديث التي سمعها من رسول اللَّه ﷺ، وفيه يخبرُ الرسولُ ﷺ، أنَّ غيرةَ اللَّهِ أشدُّ وأعظم من غيرة كلِّ إنسانٍ، على أهلِه وحريمه، وقد فسَّرها ﷺ بقوله: **(وغيرةُ اللَّه أن تُنتهك محارمُه)** أي يفعل الناسُ ما حرَّم اللَّه عليهم، من الموبقات والمنكرات، ولذلك حرَّم اللَّه الفواحشَ، ما ظهر منها وما بَطَن.

وإذا كان البشر يحبُّون أن يمدحهم الناس، لينتفعوا بهذا المديح والثناء، ويعلو قدرُهم، فإنَّ اللَّه سبحانه يحبُّ أن يمدحه الناسُ، لا لينتفع من مديحهم، بل ليكرمهم، ويزيدهم من فضله وإحسانه، فلذلك أمرَ عباده أن يعترفوا بفضله، ويقولوا: (الحمد للَّه الذي هدانا لهذا) وعلَّمهم كيف يحمدون ربهم على إنعامه، فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١، ٢].

والمعنى: قولوا يا عبادي إذا أردتم شكري والثناءَ عليَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي الثناء كلُّه للَّهِ، والشكرُ له وحده، دون ما يعبدون من دونه، من أوثان وأصنام، وبشر وحجر، فلا يستحقُّ الشكر، والحمدَ، والثناء، إلَّا اللَّهُ ربُّ العالمين، الذي أفاض على الخلق فنونَ نعمائه وفضله، فهو الخالق الرازق، احمدوني على فضلي وإنعامي عليكم بجزيل النِّعم.

٤٦٣٥ ـ [طرفه في: ٨٥]، تقدّم شرحُه.

٤٦٣٦ ـ [طرفه في: ٨٥]، تقدّم شرحُه.

٤٦٣٧ ـ [طرفه في: ٤٦٣٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٣٨ ـ [طرفه في: ٢٤١٢]، تقدّم شرحُه.

٤٦٣٩ ـ [طرفه في: ٤٤٧٨]، تقدّم شرحُه.

٤٦٤٠ ـ [طرفه في: ٣٦٦١]، تقدّم شرحُه.

٤٦٤١ ـ [طرفه في: ٣٤٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٦٤٢ ـ [طرفه في: ٧٢٨٦]، سيأتي شرحه في الحديث التالي رقم ٤٦٤٤.

٤٦٤٣ ـ [طرفه في: ٤٦٤٤]، سيأتي شرحه في الحديث التالي رقم ٤٦٤٤.

سورة الأعراف

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩])

٤٦٤٤ ـ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (أَمَرَ ٱللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يأْخُذَ العَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النّاسِ) أَوْ كما قَالَ.

وفي روايةٍ أخرى عنه: (ما أنزل اللّهُ الآيةَ إلّا في أخلاق الناس).

[طرفه في: ٤٦٤٣].

شرح الحديث

هذه أخلاق النبوة، التي تحلّى بها رسول اللّه ﷺ، بالأدب الذي أدّبه اللّه به **(أدّبني ربِّي فأحسن تأديبي)** وقد أمره اللّه تعالى بثلاثة أشياء: (الأخذِ بالعفو، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين).

قال الإمامُ جعفرُ الصادقُ: ليس في القرآنِ آيةٌ أجمعُ لمكارم الأخلاق منها، فقد جمعت كلَّ الفضائل، وحذّرت من جميع الرذائل. اهـ عمدة القاري ١٨/ ٢٤٣.

تفسير الآية الكريمة: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي اترك يا أيها الرسولُ الغلظةَ والفظاظةَ مع الناس، ولا تقابل السفهاءَ بمثلِ سفههم، وقبيح أعمالهم، بل عاملهم بالحِلْم، والعفو، والصفح، وأمُرهم بكل معروف، وبكل جميل مستحسن، من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، واجتنب مخالطة الجاهلين.

فهذه الآية الكريمة ـ على وجَازَتها ـ جمعت الفضائلَ الإنسانية، والاجتماعيةَ، والأخلاقيَّة، التي دعا إليها الإسلامُ، وحذَّرت من مساوئ الأخلاق، فَنَهتْ عن كل رذيلة، ودعت إلى كل فضيلة، وشادت بُنيان مكارم الأخلاق.

ولمَّا نزلت هذه الآية الكريمة، نزل جبريل على رسول اللَّه ﷺ، وقال له: (إنَّ اللَّهَ يأمرك، أن تصل من قَطَعك، وتُعطي من حَرَمك، وتعفو عمن ظَلَمك) وهو توجيه للرسول ﷺ، وتأديبٌ لأمته، ولجميع الخلق.

٤٦٤٥ ـ [طرفه في: ٤٠٢٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٤٦ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٦٤٧ ـ [طرفه في: ٤٤٧٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٤٨ ـ [طرفه في: ٤٦٤٩]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٦٤٩ ـ [طرفه في: ٤٦٤٨]، تقدّم شرحُه.

٤٦٥٠ ـ [طرفه في: ٣١٣٠]، تقدّم شرحُه.

سورة الأنفال

باب (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩])

٤٦٥١ ـ عَنْ عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنَّه قيل له: كَيْفَ تَرَى فِي قِتالِ الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ: وهَلْ تَدْرِي ما الْفِتْنَةُ؟ كانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يُقاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وكانَ الدُّخُولُ عليْهِمْ فِتْنَةً، ولَيْسَ كَقِتالِكُمْ عَلى المُلْكِ).

[طرفه في: ٣١٣٠].

شرح الحديث

يروي هذا الحديث (سعيدُ بن جُبير) رضيَ اللَّه عنه فيقول: (خرج علينا ابنُ عمر

رضي اللَّه عنه، فقال له رجل من الخوارج، يا عبد اللَّه بنَ عمر: ما يمنعك أن لا تقاتل؟ ـ وذلك في الفتنة التي وقعت بين عليٍّ ومعاوية ـ واللَّهُ تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فردَّ عليه ابنُ عمر قائلاً: هل تعرف ما هي الفتنة التي حذَّر اللَّه من وقوعها؟ كان المسلمُ يُفتن في دينه من المشركين، فَيُعذَّب، أو يُقتل، ليترك دينه، ويرجع لعبادة الأوثان والأصنام، فأمر اللَّه بقتال المشركين، لتنتهي فتنةُ الطُّغاة الفُجَّار للمؤمنين، وأنتم اليوم تقاتلون من أجل المُلْك؟ فاللَّهُ عزَّ وجل أمر بقتالهم ليُقْضَى على الفتنة، وأنتم تريدون أن تقاتلوا لإثارة الفتنة!!

ما يُستفاد من الحديث

أولاً: فيه بيانُ الخطأ الذي يقع فيه بعضُ الناس، في فهم كتاب اللَّه الجليل، فما عَرَضه ذلك الرجلُ، الذي يريد أن يستنزل معه ابنَ عمر للقتال، واستدلالُه بالآية، فيه جهلٌ فاضحٌ، وتخبُّطٌ جسيم، بمعاني القرآن الكريم، وقد بيَّن له ابنُ عمر معنى الآية على الوجه الصحيح.

ثانياً: **وفي رواية أخرى جاءت مفصَّلةً في البخاري**: أنَّ السائل جاء إلى ابنِ عمر، فقال له: ما يمنعك ألَّا تقاتلَ كما أمر اللَّهُ في كتابه؟ ـ أي تقاتل لتقضي على الفتنة ـ فقال له ابنُ عمر: لأن أتركَ القتال، وأتأوَّل هذه الآية، أحبُّ إليَّ من قتال المسلمين، فأدخل في قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] وقد قاتلنا مع رسولِ اللَّه ﷺ حتى قضينا على الفتنة، وأنتم اليوم تريدون أن نقاتل حتى تحصل الفتنةُ؟

فقال له: ما قولك في عليٍّ، وعثمان! فقال له ابنُ عمر: أمَّا (عثمانُ) فقد عفا اللَّه عنه، وكرهتم أن يعفو اللَّه عنه، وأمَّا (عليٌّ) فهو ابنُ عمِّ رسولِ اللَّه ﷺ، وعنده ابنتُه، وهذا بيتُه، فاذهب بها الآن!!

٤٦٥٢ ـ [طرفه في: ٤٦٥٣]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٦٥٣ ـ [طرفه في: ٤٦٥٢]، تقدّم شرحُه.

٤٦٥٤ ـ [طرفه في: ٤٣٦٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٥٥ ـ [طرفه في: ٣٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٥٦ ـ [طرفه في: ٣٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٥٧ ـ [طرفه في: ٣٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٥٨ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٦٥٩ ـ [طرفه في: ١٤٠٣]، تقدّم شرحُه.

٤٦٦٠ ـ [طرفه في: ١٤٠٦]، تقدم شرحه.

٤٦٦١ ـ [طرفه في: ١٤٠٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٦٢ ـ [طرفه في: ٦٧]، تقدّم شرحُه.

٤٦٦٣ ـ [طرفه في: ٣٦٥٣]، تقدّم شرحُه.

٤٦٦٤ ـ [طرفاه في: ٤٦٦٥، ٤٦٦٦]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٦٦٥ ـ [طرفه في: ٤٦٦٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٦٦ ـ [طرفه في: ٤٦٦٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٦٧ ـ [طرفه في: ٣٣٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٦٨ ـ [طرفه في: ١٤١٥]، تقدّم شرحُه.

٤٦٦٩ ـ [طرفه في: ١٤١٥]، تقدّم شرحُه.

٤٦٧٠ ـ [طرفه في: ١٢٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٧١ ـ [طرفه في: ١٣٦٦]، تقدّم شرحُه.

٤٦٧٢ ـ [طرفه في: ١٢٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٧٣ ـ [طرفه في: ٢٧٥٧]، تقدّم شرحُه.

سورة التوبة

بابُ (قولِ اللَّه عزَّ وَجلَّ:

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢])

٤٦٧٤ ـ عَنْ سَمُرَةُ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: (قَالَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ لَنا: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيانِ، فَٱبْتَعَثاني، فَٱنْتَهَيا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، ولَبِنِ فِضَّةٍ، فَتَلَقَّانا رِجالٌ: شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ، كأَحْسَنِ ما أَنْتَ راءٍ، وشَطْرٌ كأَقْبَحِ ما

أَنْتَ رَاءٍ، قالا لَهُمْ: ٱذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَٰلِكَ النَّهرِ، فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنا، قَدْ ذَهَبَ ذَٰلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قالَا لِي: هَٰذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وهَاذَاكَ مَنْزِلُكَ!! قالَا: أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً، تَجاوَزَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»).

[طرفه في: ٨٤٥].

شرح الحديث

هذه رؤيا منامية، رآها رسول اللَّه ﷺ في منامه، وأخبر عنها، أنه بينما كان نائماً، جاءه مَلَكان فأيقظاه، وذهبا به إلى بلدة عظيمة، رائعةِ الجمال، بناؤها من الذهب والفضَّة، لم ير أحدٌ مثلَها جمالاً، فاستقبله فيها رجالٌ، غريبةٌ أشكالهم، نصفُ الواحد منهم في غاية الحُسْنِ والجمال، كأبدع ما خَلَق اللَّهُ وأجملِهِ، والنصفُ الآخر في غاية القُبح، كأقبح شكلٍ وأبشعِه، فاستغربَ ﷺ من هذا الشكل الغريب، ثم أُمروا أن يرموا بأنفسهم في نهرٍ جارٍ، فألقَوْا أنفسهم في ذلك النهر، فإذا بهم في أجمل منظر، وأبدع حُسْنٍ وجمال، وقد زال عنهم ذلك المنظر القبيح، الذي كانوا عليه.

فسأل ﷺ عن شأن هؤلاء، وأمْرِهم العجيبِ الغريب، فقيل له: إن هؤلاء قوم مسلمون، خلطوا بين العمل الصالح، والأمر المنكر القبيح، ولكنَّ اللَّه عزَّ وجل، تجاوَزَ عن سيئاتهم، وغفر لهم، وبدَّل سيئاتهم حسنات، فالنصفُ الذي كان في غاية الحُسن، هو عملُهم الصالح، والنصفُ الذي في غاية القبح، هو عملُهم المنكر القبيح، وكأنَّ هذه الرؤيا تفسيرٌ لقولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

ثم نظر ﷺ فرأى جنَّة عالية، فيها ما يأخذ بالعقول والألباب، فسأل عنها، فقالا له: هذه جنَّةُ عدنٍ، التي قال اللَّه عنها: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [صَ: ٥٠] وهذا القصرُ المنيفُ منزِلُك فيها يا محمد!! بعد أن تستكملَ تمام حياتك في الدنيا! وهي بشارة عظيمة لرسول اللَّه ﷺ.

ما يُستفاد من الحديث

أولاً: أنَّ هذه الرؤيا حقٌّ، رأىٰ فيها الرسولُ ﷺ الجنَّةَ على حقيقتها، فإنَّ بناء

الجنة، لَبِنةٌ من فضة، ولَبِنةٌ من ذهب، كما وردت بذلك الأحاديثُ الصريحةُ الصحيحة.

ثانياً: وفيه أنَّ قصرَه ﷺ في الفردوس الأعلى فيها، في جنة عدن.

ثالثاً: وفي هذه الرؤيا تفسيرٌ للآية الكريمة: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

رابعاً: وجاء في هذه الرؤيا التمثيلُ (للعمل الصالح، والعملِ السيء) بما رآه الرسول ﷺ مجتمعاً في هؤلاء الرجال، من أجملِ صورة، وأقبح صورة، اجتمعا في إنسانٍ واحد.

خامساً: وفيها عظةٌ وعبرة للعقلاء ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

٤٦٧٥ ـ [طرفه في: ١٣٦٠]، تقدّم شرحُه.

٤٦٧٦ ـ [طرفه في: ٢٧٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٦٧٧ ـ [طرفه في: ٢٧٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٦٧٨ ـ [طرفه في: ٢٧٥٧]، تقدّم شرحُه.

٤٦٧٩ ـ [طرفه في: ٢٨٠٧]، تقدّم شرحُه.

٤٦٨٠ ـ [طرفه في: ٢٠٠٤]، تقدّم شرحُه.

٤٦٨١ ـ [طرفاه في: ٤٦٨٢، ٤٦٨٣]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٦٨٢ ـ [طرفه في: ٤٦٨١]، تقدّم شرحُه.

٤٦٨٣ ـ [طرفه في: ٤٦٨١]، تقدّم شرحُه.

سورة هود

باب (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧])

٤٦٨٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ: (قَالَ ٱللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وقَالَ: يَدُ ٱللَّهِ مَلأى، لَا تَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ

والنَّهارَ، وقَالَ: أَرَأَيْتُمْ ما أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّماءَ والأَرْضَ؟ فإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ ما فِي يَدِهِ، وكانَ عَرْشُهُ عَلى الماءِ، وبِيَدِهِ المِيزَانُ، يَخْفِضُ ويَرْفَعُ).

[أطرافه في: ٥٣٥٢، ٧٤١١، ٧٤١٩، ٧٤٩٦].

شرح الألفاظ

(أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ) الخطاب هنا لابن آدم، أي أنفِقْ يا ابنَ آدم وابْذُلْ العطاءَ من مالك، أُنفِقْ عليك وأوسِّع عليك الرزق.

قال العيني: وفي الحديث مشاكلة ـ أي مشابهة في اللفظ مع اختلاف المعنى ـ لأن إنفاقَ اللَّهِ، لا يُنْقِصُ من خزائنه شيئاً. عمدة القاري ١٨/ ٩٣.

(يَدُ اللَّهِ ملأَىٰ): هذا اللفظُ كنايةٌ عن خزائنه تعالىٰ، التي لا تَنْفَدُ بالعطاء.

(لا يغيضُها نَفَقَةٌ) أي لا يُنْقِصها نفقةٌ، يُقال: غاضَ الماءُ: إذا غار، قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤].

(سَحَاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ) أي دائمةُ الصَّبِّ والجَرَيان، في الليلِ والنهارِ، لا ينقطع معينها، والليلُ والنهارُ منصوبان على الظرفية، وهو تمثيلٌ لجودِ اللَّه وكرمه.

(بِيَدِهِ المِيزَانُ) الميزانُ كنايةٌ عن العدل، **قال الخطابيُّ**: الميزانُ هنا مَثَلٌ ضربه اللَّهُ للعدل، أي قسمتُه بالعدل بين الخلق.

(يَخْفِضُ ويَرْفَعُ): أي يوسِّع الرزقَ، ويضيِّقه على من يشاء، كما يعزُّ من يشاء، ويذلُّ من يشاء، وهو العليم الحكيم، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

فائدة

هذا الحديثُ يُسمَّى (بالحديث القدسي) أو (الربَّاني) لأنَّ معناه من اللَّه عزَّ وجل، ولفظُه من الرسول ﷺ.

والفرقُ بينه وبين القرآن، أنَّ القرآنَ العظيمَ لا يُقبل إلَّا بوحيٍ جليٍّ من اللَّه تعالى في اليقظة، والحديثُ القدسيُّ: يمكن أن يأتي بوحيٍ جليٍّ أو خفيٍّ، في اليقظة، أو في المنام، كما في هذا الحديث الذي رواه البخاري، فإنه حديث قدسيٌّ، لم يكن في اليقظة!.

شرحُ الحديث

أنفِقْ يا ابنَ آدمَ، ولا تبخلْ على عباد اللّه، ممَّا أعطاك اللّه، فإنْ بذلتَ وأحسنتَ إلى عباد اللّه، وسَّع اللّه عليك الرزقَ، فخزائنُ اللّه عزَّ وجلَّ ملأىٰ، لا يُنقِصُها إنفاقٌ في الليل والنهار، فأَنفِقْ في وجوه الخير، ولا تَخَفِ الإقلالَ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] كما ورد في الحديث: (اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وأَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً) رواه البخاري ومسلم.

أخي المؤمن: تفكَّرْ معي في هذا الأمر: لو أنَّ كلَّ إنسانٍ، سأل اللّهَ ما يخطر على باله، وكلُّ واحدٍ طلب ما يشتهيه، وأعطاه اللّه إيَّاهُ، لَمَا نَقَص من خزائن جوده وعطائه، إلَّا كما تُنقِصُ الإبرة إذا غَمَسَها الإنسانُ في البحر، ماذا تُنقص من مائه؟ وهذا التمثيلُ للتقريب من الذِّهن، وإلَّا فمِلْكُ اللّه لا يُنقصه شيءٌ.

وضرب ﷺ مثلاً، كيفَ يرزقُ اللّهُ جميعَ الخلائق، منذُ أن خلقهم إلى قيام الساعة؟ دون أن ينقص من خزائنه شيء.

ما يستفاد من الحديث

أولاً: فيه أنَّ اللّه سبحانه يعطي المنفقَ خلفاً، ويعطي الممسك تَلَفاً، وأنَّ خزائنَ رزقه جلَّ وعلا لا تنفد ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

ثانياً: وأنه سبحانه يُعزُّ ويذلُّ، ويُغْني ويُفقر، وبيده الخيرُ، وهو على كل شيء قدير.

ثالثاً: وفيه أنَّ العرشَ مخلوقٌ، خَلَقه اللّه قبل خلق السموات والأرض، لبيان عظمة مُلكه وسلطانه.

٤٦٨٥ ـ [طرفه في: ٢٤٤١]، تقدّم شرحُه.

❁ ❁ ❁

باب (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢])

٤٦٨٦ - عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسُولِ ٱللَّهِ ﷺ أنّه قال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

شرح الألفاظ

(لَيُمْلِي لِلظَّالِم) أي يُمْهِله اللَّه، ويؤخِّر له العقوبةَ، ولا يُعجِّلها له، ثم يأخذه أخذَ عزيز مقتدر.

(لَمْ يُفْلِتْهُ) أي حتى إذا عاقبه، لم يُمهله ولم يتركه، والمراد بالأخذ: العقابُ والعذابُ الذي سينالُ الظالمَ، المنتهكَ لحرمات اللَّه.

شرح الحديث

من سُنَنِ اللَّه الكونيَّة، أنَّ اللَّه سبحانه لا يعجِّل العقوبة للظالم، بل يتركه يتمادى في ظلمه وجبروته، حتى يظنَّ الظالمُ أن لا عقوبةَ عليه، وأنه آمنٌ من بطش اللَّه، فيستمرُّ على سيرته من العدوان، والظُّلْم لعباد اللَّه، كما نرى في حال الطغاة الجبابرة، حينئذٍ ينتقم اللَّهُ منه أشدَّ أنواع الانتقَام، ويأخذه أخذ القاهر القادر، ثم تلا ﷺ هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] أي أخذُ اللَّه وَجِيعٌ، شديد، مُؤلم، لكل ظالم وفاجر.

ومعنى الآية الكريمة

إنَّ اللَّه يأخذ أهل القرى الظالمة، بالعذاب الشديد، فيدمِّرهم ويهلكهم، كما أهلكَ الأمم السابقة، التي جاوزت الحدَّ بالظلم والطغيان، أخذهم اللَّه بأنواع

العقوبات الصارمة، فهو سبحانه يُمهل ولا يُهمل، فلْيعتبر الظالمون، ولْيعلموا أنَّ بطش اللّه شديد، كما قال سبحانه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠] وفيه تحذيرٌ شديد من وَخَامة الذنب، لأهل كلِّ أمةٍ ظالمة، كثُر فيها الظلمُ والفجورُ.

٤٦٨٧ ـ [طرفه في: ٥٢٦]، تقدّم شرحُه.

٤٦٨٨ ـ [طرفه في: ٣٣٨٢]، تقدّم شرحُه.

٤٦٨٩ ـ [طرفه في: ٣٣٥٣]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩٠ ـ [طرفه في: ٢٥٩٣]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩١ ـ [طرفه في: ٣٣٨٨]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩٢ ـ عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه: «قالت (هَيتَ لَكَ)، قال: وإنما يقرؤها كما عُلِمْناها». إشارة إلى أنه تلقاها من النبي ﷺ وهكذا.

٤٦٩٣ ـ [طرفه في: ١٠٠٧]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩٤ ـ [طرفه في: ٣٣٧٢]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩٥ ـ [طرفه في: ٣٣٨٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩٦ ـ [طرفه في: ٣٣٨٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩٧ ـ [طرفه في: ١٠٣٩]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩٨ ـ [طرفه في: ٦١]، تقدّم شرحُه.

٤٦٩٩ ـ [طرفه في: ١٣٦٩]، تقدّم شرحُه.

٤٧٠٠ ـ [طرفه في: ٣٩٧٧]، تقدّم شرحُه.

سورة الحِجْر

بابُ (قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ:
﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨])

٤٧٠١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قَالَ: (إِذَا قَضَى اللّهُ الأمْرَ فِي السَّماءِ، ضَربتِ المَلائِكَةُ بأَجْنحَتِها، خُضْعاناً لِقَوْلِهِ، كالسِّلْسِلَةِ على

صَفْوَانٍ، قَالَ عَلِيٌّ: وقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذٰلِكَ، فإذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: ماذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: ٱلْحَقَّ، وهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. فَيَسْمَعُها مُسْتَرِقو السَّمْعِ، ومُسْتَرِقو السَّمْعِ هٰكَذَا، واحِدٌ فَوْقَ آخَرَ، ووَصَفَ سُفْيانُ بِيَدِهِ وفَرَّجَ بَيْنَ أَصابِعِ يَدِهِ اليُمْنَى، نَصَبَها بَعْضَها فوْقَ بَعْضٍ، فرُبَّما أَدْرَكَ الشِّهابُ المُسْتَمِعَ قبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِها إِلَى صاحِبِهِ فَيُحْرِقُهُ، ورُبَّما لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِها إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الذي هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ، حتَّى يُلْقُوها إِلَى الأرْضِ ـ ورُبَّما قَالَ سُفْيانُ: حتَّى تنْتَهِيَ إِلَى الأرْضِ ـ فتُلْقَى عَلى فَمِ السَّاحِرِ، فيَكْذِبُ مَعَها مِائَةَ كَذْبَةٍ، فيَصْدُقُ فيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنا يَوْمَ كَذَا وكَذَا، يَكُونُ كَذَا وكَذَا، فَوَجَدْناهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ).

[طرفاه في: ٤٨٠٠، ٧٤٨١].

شرح الألفاظ

(قَضَى الأمرَ) أي إذا حكَمَ اللّٰهُ بأمرٍ من الأمور.

(خُضْعاناً) أي طاعةً وانقياداً لأمر اللّٰه عزَّ وجل.

(كالسِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ) الصَّفوانُ: الحجرُ الأملسُ، أي كصوت الحديد إذا تحرَّك على الحجر الأملس.

(فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) أي أُزِيلَ الخوفُ عن قلوب الملائكة، فإنَّ عند صدور الأمر، يعتريهم الخوفُ والفزعُ، ويُصْعَقُون، فلا يزالون كذلك، حتى يأتيهم (جبريلُ)، ينبئهم بالأمر الإلٰهي.

(قَالُوا الحَقَّ) أي قالت الملائكة بعضُهم لبعض: لقد أمر اللّٰه وقضى، بالأمر الحقِّ، الذي لا يمكن أَنْ يتخلَّف.

(مُسْتَرِقُو السَّمْعِ) أي يسمع الأمرَ الإلٰهيَّ من صَعِدَ من الجنِّ إلى السماء الدنيا، ليخبر به الكهنةَ والمنجِّمين.

(شِهَابٌ ثَاقِبٌ) أي إلَّا إذا أدركتْهُ شُعلةٌ من النَّار، من أحد الشُّهب التي تُرمى بها الشياطينُ، فأحرقته.

(فتُلْقِي عَلَى فَمِ السَّاحِرِ) أي يُلقي المسترقُ هذه الكلمةَ على قلب الكاهن، أو

الساحر، فيكذب معها مائةَ كذبة، فيخبر بالأمر الإلٰهي، المملوء بالكذب، لبعضِ النَّاس، فيصدِّقونه، ويزعمون أنَّ الكاهن يعلم الغيب.

شرح الحديث

حين يريد المولى جلَّ شأنُه، أن يُصْدِر أمره الإلٰهيَّ للملائكة، بما سيقع في الأرض، تسمع الملائكة صوتاً مُفْزعاً، يرْتَعدون منه، يشبه صوت السلسلة الحديدية إذا سُحبت على الرُّخام الأملس، فلا يبقى أحدٌ من الملائكة، إلَّا صعِق، وأصابه الفزعُ، فخرَّ خاضعاً لأمر اللَّه تعالى، خوفاً من أن تكون الساعةُ قد قامت، فيكون أولَ من يتلقَّى الخبرَ (جبريلُ) عليه السلام، المكلَّفُ بتبليغ الوحي، فإذا أُزيل الخوفُ عن قلوب الملائكة، سألوا جبريل: ماذا قضى اللَّهُ وأمر؟ فيخبرهم بتِلك الأوامرِ الإلٰهية، فيطمئنُّون ويزول عنهم الفزع!!

وأخبر ﷺ أنَّ بعض الشياطين يركب بعضُهم فوق بعض، حتى يصل إلى السماء الدنيا، فيسترق الشيطانُ بعض أخبار الوحي، فإن أدركه شهاب قبل أن يصل إلى الأرض أحرقه، وإن وصل إلى الأرض قبل أن يصله الشهاب، ألقى على الكاهن والساحر، هذه المعلومات التي استرقها من الوحي، فيزيد عليها الكاهن مائة كذبة، فيتحدث الناس أنه صدق في بعض الأمور، التي أخبرنا عنها الكاهن، ويكون قد روَّج عليهم تلك الكذبات الكثيرة، التي أدخلها في أخباره، فيعتقدون بمعرفته للغيب، ويقولون: لقد صَدَق فيما أخبرنا عنه.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الملائكة يتلَقَّوْن الوحي من اللَّه عزَّ وجل، بطريق رئيس الملائكة «جبريل» عليه السلام.

الثاني: وفيه أنَّه عند صدور الأوامر الإلٰهية، تفزع الملائكةُ خشية أن تكون الساعة قد حانت.

الثالث: وفيه أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب، إلَّا ما يسترقه بعضُ الجنِّ، فيبلِّغونه للسَّحَرة والكَهَنة، فيزيد هؤلاء على الأمر الذي وصلهم، مائةَ كذبة، يحدِّثون بها الناس.

الرابع: وفيه أنَّ الشياطين إذا أرادوا استراق السمع، يُرْجَمُون بالشهب الثاقبة، كما قال سبحانه: ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۞ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾

[الحِجْر: ١٧، ١٨] وقد حُفظت السماء بعد بعثة خاتم الأنبياء، بهذه الشُّهب المُحْرِقة، حفاظاً على الوحي السماوي.

الخامس: وفيه أنَّ ما يعرفه الكهنة من بعض الأمور الغيبية، إنما هو من مسترقة السمع من الجنِّ، ولكنْ ما يدخلُه من الكذب، أضعافُ أضعافِ ما يُلقى إليهم من الأخبار الغيبيَّةِ، ولهذا يقول السامعون: ألم يخبرنا الساحر يوم كذا، كذا وكذا؟ فهذه ادعاءاتُ السحرة، والكهنة، أنهم يعلمون الغيب، لأجل الكلمة التي سُمعت من السماء، جعلوا كلَّ أخبار الكاهن حقاً، وهذا غايةُ الضلال.

تنبيهٌ هام

تصديقاً لهذا الخبر، الذي حدَّث به رسولُ اللَّه ﷺ، وأنَّ الملائكة يفزعون عند صدور الوحي بالأوامرِ الإلٰهية، وأنهم يخرُّون فزعين، إجلالاً لعظمة اللَّه وجلاله، يقول الحقُّ سبحانه في سورة سبأ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

لطيفة

دلَّ الحديث الشريفُ، على أنَّ اللَّه تعالى يأذن يوم القيامة، بالشفاعة للملائكة والرسل، لقوله سبحانه ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] وأنَّ الملائكةَ تكون على غاية الفَزَع من اللَّه عزَّ وجل، فإذا سُرِّي عنهم، قالت الملائكةُ لمن فوقهم: ماذا قال ربكم؟ أي بماذا أمر اللَّهُ؟ وماذا جاءنا به من الوحي؟ فأجابوهم: قال الحقّ وهو العليُّ الكبير.

٤٧٠٢ ـ [طرفه في: ٤٣٣]، تقدّم شرحُه.

٤٧٠٣ ـ [طرفه في: ٤٤٧٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٠٤ ـ تقدّم شرحُه في الحديث رقم ٤٤٧٤.

٤٧٠٥ ـ [طرفه في: ٣٩٤٥]، تقدّم شرحُه.

٤٧٠٦ ـ [طرفه في: ٣٩٤٥]، تقدّم شرحُه.

❁ ❁ ❁

سورة النحل

باب (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠])

٤٧٠٧ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ كان يَدْعُو فيقول: (أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ والكَسَلِ، وأَرْذَلِ العُمُرِ، وعَذابِ القَبْرِ، وفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وفِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ).

[طرفه في: ٢٨٢٣].

شرح الحديث

كان صلوات اللّه وسلامُه عليه، يستعيذ في دعائه، من أرْذَلِ العُمُر، والمراد بأرذل العمر: الهرمُ والشيخوخةُ، وما يرافقها من ضعف القوة، وسوء الحفظ، والنسيان، وقلة الفهم، والبلاهة، حتى يصبح الإنسان كالطفل الصغير، في نقصان القوة والعقل، فكان ﷺ يستعيذ من خمسة أمور: من (البخل والكسل، وأرذلِ العُمُر، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الدَّجَّال، ومن فتنة المَحْيا والممات)، وهي دعوة جامعة لصرف كل مكروه عن المسلم، والحديثُ يشير إلى قول الحقّ جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠].

قال الحافظ ابنُ كثير: يخبر تبارك وتعالى عن تصرفه في عباده، وأنه هو الذي أنشأهم من العدم، ثم بعد ذلك يتوفاهم، ومنهم من يتركه حتى يدركه الهَرَمُ، وهو خمس وسبعون سنة، وهو أرذلُ العمر، وفي هذا السِّنِّ يحصل للإنسان ضعفُ القوى، والخَرَفُ، وسوءُ الحفظ، وقلَّةُ العلم، ولهذا قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٠] أي بعدما كان عالماً، أصبح لا يدري شيئاً من الفَنَد والخَرَف، ولهذا كان ﷺ يُستعيذ باللّهِ من أرذل العمر. اهـ مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٣٣٤.

٤٧٠٨ ـ [طرفاه في: ٤٧٣٩، ٤٩٩٤]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٧٠٩ ـ [طرفه في: ٣٣٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧١٠ ـ [طرفه في: ٣٨٨٦]، تقدّم شرحُه.

٤٧١١ ـ انظر شرحه من خلال النص.

سورة الإسراء

باب (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣])

٤٧١٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ:

(أُتِيَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ ـ وكانَتْ تُعْجِبُهُ ـ فنَهَسَ مِنْها نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ: (أَنا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ)، وهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟

يُجمَعُ النّاسُ ـ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ ـ فِي صَعِيدٍ واحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ، فيَبْلُغُ النّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ، ما لَا يُطيقُونَ ولا يحْتَمِلُونَ، فيَقُولُ النّاسُ: أَلا تَرَوْنَ ما قَدْ بلَغَكُمْ؟ أَلا تنظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟

فيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: علَيْكُمْ بآدَمَ، فَيأتُونَ آدَمَ علَيْهِ السّلامُ فيَقُولُونَ لهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ ٱللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، ٱشْفَعْ لنا إِلَى ربِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيه؟ أَلا تَرَى إِلَى ما قَدْ بلَغنا؟ فيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنَّهُ نَهاني عَنِ الشَّجَرَةِ فعَصَيْتُهُ، نفْسِي، نفْسِي، نَفْسِي، ٱذْهَبُوا إِلَى غيْرِي، ٱذْهَبُوا إِلَى (نوح) عليه السلام.

فَيأتُونَ نُوحاً فيَقُولونَ: يا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وقَدْ سَمّاكَ ٱللَّهُ عبْداً شَكُوراً، ٱشْفَعْ لَنا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وجَلَّ قدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنَّهُ قَدْ كانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُها علَى قَوْمِي، نَفْسِي نفْسِي نفْسِي، ٱذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، ٱذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيأْتُونَ إبرَاهِيمَ، فيَقُولونَ: يا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ ٱللَّهِ وخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، ٱشْفَعْ لَنا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ

غَضِبَ اليَوْمَ غَضباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنِّي قدْ كنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذباتٍ ـ فذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ ـ نَفْسي، نفْسِي، نفْسِي، ٱذْهَبُوا إِلَى غيْرِي، ٱذْهَبُوا إِلَى مُوسَى عليه السلامُ.

فَيأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولونَ: يا مُوسَى، أَنْتَ رسولُ ٱللَّهِ، فَضَّلَكَ ٱللَّهُ بِرِسالَتِهِ وبِكَلامِهِ عَلى النَّاسِ. ٱشْفَعْ لَنا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غضباً، لَمْ يغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنِّي قَدْ قتَلْتُ نفْساً، لَمْ أُؤمَرْ بِقَتْلِها، نَفْسِي، نَفْسي، نفْسِي، ٱذْهَبُوا إِلَى غيْرِي، ٱذْهَبُوا إِلَى عِيسَى عليه السلام.

فَيأْتُونَ عِيسَى فيَقُولونَ: يا عِيسَى، أَنْتَ رسولُ ٱللَّهِ، وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً، ٱشْفَعْ لَنا، أَلا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً، لَمْ يغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، ولَنْ يغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ـ ولَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً ـ نَفْسي، نفْسِي، نَفْسي، ٱذْهَبُوا إِلَى غيرِي، ٱذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَيأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ فيَقُولُونَ: يا مُحَمَّدُ أَنْتَ رسولُ ٱللَّهِ، وخاتَمُ الأَنْبِياءِ، وقَدْ غفرَ ٱللَّهُ لَكَ، ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأَخَّرَ، ٱشْفَعْ لَنا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فأَنْطَلِقُ فآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فأَقَعُ ساجِداً لِرَبِّي عَزَّ وجَلَّ.

ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّه عَلَيَّ مِنْ مَحامِدِهِ، وحُسْنِ الثَّناءِ عليْهِ، شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ على أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحَمَّدُ ٱرْفَعْ رَأسَك، سَلْ تُعْطَهُ، وٱشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأَرْفَعُ رَأْسِي فأَقُولُ: أُمَّتِي يا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ!!

فَيُقالُ: يا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُركاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذٰلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ ما بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصارِيعِ الجَنَّةِ، كَما بَيْنَ مَكَّةَ وحِمْيَرَ، أَوْ: كَما بَيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى»).

[طرفه في: ٣٣٤٠].

شرح الألفاظ

(نَهَسَ نَهْسَةً) من النَّهْسِ بالسين: وهو أخذُ اللحم بأطراف الأسنان، والنَّهشُ: أخذُ اللحم بجميع الأسنان.

(فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ) أي في أرض واحدة مستوية، هي **(أرضُ المحشر)** لا يخفى على الإنسان شيءٌ ممَّا يراه، لاستواء الأرض أمامه.

(فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ) أي يرى كلُّ واحدٍ، جميعَ أهلِ المحشر، ويحيط بهم بصرُ الناظر من جميع الأطراف.

(يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي) أي يُسمعهم الداعي صوتَه، الذي يدعوهم فيه للحساب والجزاء.

(مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ) أي تأخذهم أهوالُ وشدائدُ يوم القيامة، فيبحثون عمَّن يشفع لهم، من الرُّسُل الكرام.

(نَفْسِي نَفْسِي) أي يقول كلُّ واحد من الأنبياء، حين يُطلب منه أن يشفع لهم: نفسي، نفسي، أي أُريد نجاة نفسي، ولستُ صاحبَ الشفاعة، اذهبوا إلى غيري، حتى يأتون خاتم الأنبياء والمرسلين، فيقول: أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا! أي أنا لهذه الشفاعة إن شاء اللَّه.

(قَتَلْتُ نَفْساً) يريد موسى عليه السلام بالنَّفْسِ: قتلَه للقبطيِّ، ولم يَقْتُله عمداً، إنما أراد دفعه، فكانت القاضية.

(كَلِمَتُه أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) أي يقولون لعيسى عليه السلام: أنت الذي خلقك اللَّهُ بكلمةٍ منه، وهي قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

(ورُوحٌ مِنْهُ) أي بأثر نفخ الروح، المبتدأة من اللَّه تعالى في (عيسى) بدون أب، عن طريق جبريل، ونُسبت الروحُ إلى اللَّه، لأنها كانت معجزة ساطعة، تدلُّ على قدرة اللَّه في خلق مولودٍ من غير والد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أي وروح مبتدأة من اللَّه تعالى، من أثر نفخة جبريل، حيث حملتْ مريم بعيسى عليه السلامُ بتلك النفخة القُدسيَّة.

شرح الحديث

يوم القيامة يومٌ عصيبٌ رهيب، فيه تجتمع الخلائق للحساب والجزاء، ويأخذ

النَّاسَ من الأهوال والشدائد، ما لا يتصوره الخيال، فيفزع الناس إلى الأنبياء الكرام، ليشفعوا لهم حتى يفصل اللَّه بينهم، بحكمه العادل، يتمنى أهلُ المحشر أن لو يُذْهَب بهم، ولو إلى النار، من شدة ما يلقون من الشدائد والبلاء.

يأتون إلى (أولي العزم) من الرسل (آدم، ثم نوح، ثم موسى، ثم عيسى) وكلُّهم يعتذر، ويقول: إنَّ ربي غضبَ اليوم غضباً شديداً، لم يغضب قبله، ولن يغضبَ بعده، مثلَه أبداً إذهبوا إلى غيري، حتى يأتون سيِّد الأنبياء والمرسلين، محمداًﷺ خاتم النبيِّين، يطلبون منه الشفاعة، فيقوم ويقول: أَنَا لها، أَنَا لها!!

فيذهب ويسجد تحت العرش، ويُلْهِمه اللَّه دعاءً، يقول الرسولُ ﷺ: لا أعرفه الآنَ، ثم يأتيه النداء، من خالق الأرض والسماء: يا محمدُ، ارفعْ رأسَك، وسلْ تُعْطَ ما تطلبه، واشفَعْ تُشَفَّع ـ أي لا تردُّ شفاعَتُك!.

فيرفع الرسولُﷺ رأسه، ويقول: (يا ربّ أُمَّتي، أُمَّتي) أي أرجوك يا ربِّ أن تُشفِّعني في أمتي! فيقبلُ اللَّهُ شفاعته، ويقول له: أدخلْ من أمتك من الباب الأيمن من الجنة، من لا حساب عليه ولا جزاء، ممن مات على الإيمان، ثم يفصل اللَّه بين سائر العباد، فينال كلُّ إنسانٍ جزاءه بالعدل الإلٰهي، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

هذا القَدْرُ الرفيعُ لسيد الرسلﷺ، هو مقامُ (الشفاعة العظمى) لخاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] أي لعلَّ اللَّهَ يقيمك في المحشر، مقاماً محموداً، يحمدك عليه الأولون والآخرون، سُمِّي (المقامَ المحمود) لأنَّ جميع أهل المحشر يحمدونه على هذا الموقف، المؤمنون والكفار، لأنه يكون سبباً في تفريج الكربة عنهم، في يوم كان مقداره خمسين آلف سنة، حيث يفصل اللَّه بين العباد، ويقضي بينهم، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

قال ابن عباس: المقامُ المحمودُ: مقامُ (الشفاعة العظمى) لسيد الخلقﷺ، و«عسى» من اللَّه واجبة، ـ يريد أنها ليست للترجي، بل هي للتحقيق ـ أي سيبعثك اللَّه مقاماً محموداً، يحمدك عليه أهلُ السماء، وأهلُ الأرض، المؤمنون والكفار، وملائكة العرش الأبرار.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ يوم القيامة يوم شديد عصيبٌ، يهرع فيه الناسُ إلى الأنبياء صلواتُ اللَّه عليهم، طلباً للشفاعة، والنجاة من الهول.

الثاني: وفيه أنَّ جميع الخلائق، يُحشرون في أرضٍ واحدة، يسمعهم السامع، ويبصرهم الناظر، بحيث لا يمتنع رؤية أيِّ مخلوق عليهم، كما نرى في زماننا الرَّائي ـ التلفاز ـ حيث يرى أطراف الكرة الأرضيَّة ومن عليها.

الثالث: وفيه أنَّ الشفاعةَ العظمى، تكون لسيِّد الرسل ﷺ، لا يتقدم أحد عليه فيها، وهذه من خصائصه ﷺ.

الرابع: وفيه جواز إطلاق لفظ «السيد» على غير اللّه عزَّ وجل، لقوله ﷺ: **(أنا سيِّدُ الناسِ يوم القيامة)**.

الخامس: وفيه أنَّ كلَّ رسول يُقصد للشفاعة، يُحيلها على غيره، بدءاً من «آدم، إلى نوح، إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى ابن مريم»، إلى أن يأتوا خاتَمَ المرسلين ﷺ، فيقوم ويسجد تحت العرش، وهو (المقامُ المحمود) الذي وُعد به ﷺ.

السادس: وفيه أنَّ اللّه عزَّ وجل يوم القيامة، يتجلَّى على عباده باسم (المنتقم الجبَّار)، لا باسم (الرحيم الرحمٰن) كما دلَّ عليه قولُ كلِّ نبيٍّ: (إنَّ ربي غضب اليومَ غضباً، لم يغضَبْ قبله، ولا بعده، غضباً مثله)!!

السابع: وفيه أنَّ أولَ من يدخل الجنة «أمةُ محمد» ﷺ، فهم آخرُ الأمم وجوداً، وأوَّلُ الأمم دخولاً جنة الخلود، تكريماً لمقام نبيِّها ﷺ عند ربه عزَّ وجل، كما دلَّ عليه الحديث: (أدخلْ من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن).

الثامن: وفيه بيانُ سعة أبواب الجنة، وأنَّ كلَّ بابٍ من الأبواب، كما ما بين (مكة) و(بُصْرى)، وهي بالشام.

تنبيه لطيفٌ هام

لا يظنَنَّ أحد بسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أنه وقع منه الكذبُ حقيقة، وأنه كَذَب ثلاث كذبات، ثم يخطئ الفهم الصحيح من مراده!! فقولُ أبي الأنبياء (إبراهيم) عليه السلام يوم القيامة، (إني كنتُ قد كذبتُ ثَلَاثَ كَذِبات) لا يُراد بها (الكذبُ الحقيقيُّ) المحرَّم، إنما هي في صورة الكذبات، قالها بطريق (التورية) وهي أن يقصد القائل شيئاً غير ما يفهمه السامع، وكلُّها كانت لنصرة دين اللّه!!

فقولُه: **(إنِّي سَقِيمٌ)** حين دَعَوْه للخروج معهم إلى العيد، أراد به سقيم النفس، من عبادتهم للأصنام، لا أنه سقيم الجسد.

وقولُه لـمَّا سألوه من حطَّم هذه الأصنام؟ هل أنت الذي فعل ذلك؟ فأجابهم

متهكِّماً ساخراً: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٣] وغرضُه توبيخُهم على الاستمرار في ضلالهم، في عبادة ما لا يعقل، ولا يبصر، ولا يتكلم، فلذلك أقامَ الحُجَّةَ عليهم، بهذا الأسلوب الرائع من البيان، حتى أقرُّوا وقالوا لأنفسهم: ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٤].

أمَّا الثالثة فإنه لَمَّا قدم أرض الجبار «مصر» كانت معه زوجته «سارة» وكانت من أجمل النساء، فقال لها: (إنَّ هذا الجبَّار، إنْ يعلم أنكِ امرأتي، يَغْلِبُنِي عليك ـ أي يغتصبك مني قهراً ـ فإنْ سألكِ فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فلا أعلمُ في الأرض مسلماً غيري وغيرك...) الحديث، فهو ليس بكذب، لأنه أراد (أخوَّة الإسلام)، لا أخوَّة النسب. وانظر قصته في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق.

٤٧١٣ ـ [طرفه في: ٢٠٧٣]، تقدّم شرحُه.

٤٧١٤ ـ [طرفه في: ٤٧١٥]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٧١٥ ـ [طرفه في: ٤٧١٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧١٦ ـ [طرفه في: ٣٨٨٨]، تقدّم شرحُه.

٤٧١٧ ـ [طرفه في: ١٧٦]، تقدّم شرحُه.

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩])

٤٧١٨ ـ عَنْ عبدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنه قال: (إنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ جُثاً، كُلُّ أُمَّةٍ تَتبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يا فُلانُ اشْفَعْ، يَا فُلانُ اشْفَعْ، حتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفاعَةُ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَذٰلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّه المَقَامَ المَحْمُودَ).

[طرفه في: ١٤٧٥]

شرح الألفاظ

(جُثاً) أي جماعات، جماعات، جمعُ جُثْوة، كَخُطْوة وخُطىً، وقيل إنه جمعُ

جاثٍ، وهو الذي يجلس على ركبتيه، قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨].

شرح الحديث

يجتمع النَّاسُ يوم القيامة في صعيدٍ واحد، ويصبحون جالسين على ركبهم، جماعات جماعات، كلُّ أمةٍ تتبع نبيَّها، وتطلب أن يشفع لها، فلا يتقدَّم أحدٌ من الأنبياء إلى الشفاعة، وكلٌّ منهم يعتذر بأنَّ هذا الموطنَ والمقامَ ليس مقامَهُ، حتى يأتون رسولَ اللَّه ﷺ، فيطلبون منه الشَّفَاعَةَ، فيستجيب لها، ويخرُّ ساجداً للَّه عزَّ وجل، ويلهمه اللَّه دعواتٍ يدعو بها، فيقال له: يا محمَّدُ، ارفع رأسك، وسلْ تُعط، واشفَعْ تُشَفَّع، فذلك هو (المقام المحمود) الذي جاء ذكره في القرآن الكريم: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

سَبَق ذكرُ الحديث في (الشفاعة العظمى) لسيِّد الخلق ﷺ، وهذا الحديث يخصُّ ذكرَ (المقام المَحْمودِ) الذي أشارت إليه الآية الكريمة، وسُمِّي بالمقام المحمود، لأن جميع الخلائِقِ والأمم، تحمده ﷺ على شفاعته ومقامه الرفيع عند اللَّه تعالى.

قال الحافظُ ابنُ كثير:

وقيل: إنَّ (المقامَ المحمود) الذي ذَكَره اللَّهُ تعالى، هو أنَّ النبيَّ ﷺ يكون بين الجبَّار جلَّ وعلا، وبين جبريل عليه السلام، فيغبطُه لمقامه ذلك، أهلُ المحشر جميعهم.

وقيل: إنه اليوم الذي يُدعى فيه الرسولُ ﷺ فيستلمُ فيه (لواءَ الحمدِ) من ربِّ العزة والجلال. اهـ فتح الباري ٨/ ٤٠٠.

أقول: يشهد لهذا القول، ما رواه الترمذي في سننه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **(أنا سَيِّدُ ولد آدمَ يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخر، وما من نبيٍّ آدمُ فمن سواه، إلَّا تحت لوائي يوم القيامة)**.

ومعنى قوله: (ولا فَخْر) أي لا أقول ذلك تكبراً وافتخاراً، وإنما أقوله تحدُّثاً بنعمة اللَّهِ عليَّ.

٤٧١٩ ـ [طرفه في: ٦١٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٢٠ ـ [طرفه في: ٢٤٧٨]، تقدّم شرحُه.

٤٧٢١ ـ [طرفه في: ١٢٥]، تقدّم شرحُه.

باب (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠])

٤٧٢٢ ـ عَنْ عبد اللَّه بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّه قَالَ: (نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ورَسُولُ اللَّه ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كانَ إِذَا صَلَّى بأَصْحَابِهِ، رَفَعَ صَوْتَهُ بالْقُرْآنِ، فإذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ، ومَنْ أَنْزَلَهُ ومنْ جاءَ بِهِ، فقَالَ اللَّه تَعَالَى لِنَبيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أيْ بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَع الْمُشْرِكُونَ، فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي طريقاً وسَطاً).

[أطرافه في: ٧٤٩٠، ٧٥٢٥، ٧٥٤٧].

شرح الحديث

كان رسول اللَّهِ ﷺ في أوَّلِ أمر الإسلام، يصلِّي مختفياً بمكة، خشيةً من أذى المشركين له، وكان إذا صلَّى مع جماعةٍ من أصحابه، يرفع صوته بالقرآن ليسمعوا قراءته، فإذا سمعه المشركون، سبُّوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به من الملائكة، فنزلت هذه الآية تأمره بعدم رفعِهِ للصوت عند تلاوة القرآن، يقول له اللَّهُ تعالى: لا تجهرْ يا محمدُ بالقراءة في صلاتك، فيسبُّ المشركون القرآنَ ومن أنزله، ولا تقرأ سرًّا بحيث لا يسمعُك أصحابُك، وتوسَّطْ في قراءتِكَ في الصلاة، بين الجهر والمخافتة.

فالآيةُ على رأي ابن عباس نزلت في الصلاة، وأنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي لا تجهر بقراءة القرآن في الصلاة ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ أي لا تقرأ سراً عن أصحابك، فلا تُسمعهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي طريقاً وسطاً، بين الجهر والسرِّ.

وذهبت أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضي اللَّه عنها، إلى أنَّ المراد بالآية: الدعاءُ، أي لا ترفع صوتك بالدعاء، لقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[الأعراف: ٥٥] أي ادعوا ربكم بالخشوع والتذلُّل، وبالإسرار في الدعاء، دون الصياح والصُّراخ، واستدلت على ذلك بأن أوَّلَ الآية يشير إلى الدعاء، لا إلى الصلاة ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] وذكرتُ أنَّ سببَ نزول الآية: أنَّ المشركين سمعوا النبيَّ ﷺ يدعو ربه فيقول: **(يا أللّه، يا رحمٰنُ)** فقالوا: عجباً لأمر محمد، يأمرنا بعبادة إلٰهٍ واحد، وهو يدعو إلٰهين: (اللّه) و(الرحمٰن) فنزلت الآية لبيانِ أنَّ هذه (صفاتٌ) جليلةٌ، لإلٰهٍ واحد، فهو (اللّهُ)، وهو (الرحمٰن، والرحيم، والسميع، والبصير، والمجيب...) إلخ فهو إلٰهٌ واحد، بأسماءٍ وأوصافٍ عديدة جليلة، ولهذا ختم تعالى الآية بقوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

ورجَّح الطبري والنووي قولَ ابن عباس، وهو قولُ أكثرِ المفسرين، لأن ابنَ عباس أعلمُ بكتاب اللّه من (عائشة) رضي اللّه عنها.

قال الحافظ ابنُ حجر: يحتمل الجمعُ بين قولِ (ابنِ عباس)، وقولِ (عائشة)، بأنها نزلت في الدعاءِ، داخلَ الصلاة، لما رُوي عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنه قال: (كان رسولُ اللّه ﷺ إذا صلَّى عند البيت، رفع صوته بالدعاء) فنزلت الآية. اهـ فتح الباري ٨/ ٤٠٦.

٤٧٢٣ - [طرفاه في: ٦٣٢٧، ٧٥٢٦]، انظر شرح الحديث السابق رقم ٤٧٢٢.

٤٧٢٤ - [طرفه في: ١١٢٧]، تقدّم شرحُه.

٤٧٢٥ - [طرفه في: ٧٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٢٦ - [طرفه في: ٧٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٢٧ - [طرفه في: ٧٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٢٨ - انظر الأحاديث (٦٩٣١، ٦٩٣٢) والشرح في الحديث (٣٦١١).

سورة الكهف

باب (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥])

٤٧٢٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ أنَّه قَالَ: (إِنَّهُ

لَيأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ، السَّمِينُ يَوْمَ القِيامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ ٱللَّهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ. وقَالَ: ٱقْرَؤُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾).

شرح الحديث

مكانةُ الناس عند اللَّه يوم القيامة: بأعمالهم، لا بأجسامهم، فقد يكون الإنسان ضعيفاً هزيلاً، لكنه عند اللَّه أثقلُ من الجبال، وقد يكون الإنسانُ عظيمَ الجسم، ثقيلَ الوزن، لكنه لَا يزِنُ عند اللَّه شيئاً، كما بيَّن ذلك هذا الحديثُ الشريف، فقد وضَّح ﷺ أنه يُؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم السمين، فيوضع في الميزان، فلا يزن عند اللَّه جناح بعوضة، وقال ﷺ: **(اقرؤوا إن شئتم** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]).

وفي هذا الحديث إشارة إلى أنَّ قدر الإنسان، وقيمتَه عند اللَّه تعالى، بالإيمان، والعمل الصالح، لا بضخامة الجسم، وكثرة المال، كما جاء في حديث آخر: **(إن اللَّه لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).**

وقد جاء في بعض روايات حديث الباب قوله ﷺ: (يُؤتى بالرجلِ، الطويلِ العظيم، الأكولِ الشروب، فلا يزن عند اللَّه جناح بعوضة) وقد دلَّ الحديث على أن أكثر أهل الجنة، الفقراءُ الضعفاءُ، وأنَّ أكثرَ أهل النار، الأغنياءُ، المترفون، المتكبِّرون، كما وردت بذلك النصوص العديدة، كحديث: **(ألَا أُخبركم بأهلِ الجنة؟ كلُّ ضعيفٍ متضعِّف ـ أي يستضعفه الناسُ ـ لو أقْسَمَ على اللَّهِ لأبرَّه، ألَا أُخبركم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ ـ أي غليظ القلب ـ مستكبر)** رواه الشيخان.

سورة مريم

باب (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩])

٤٧٣٠ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قَالَ: قَالَ رسولُ ٱللَّهِ

ﷺ: (يُؤْتَى بالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَح، فَيُنادِي مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَنةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا؟ فَيَقُولُون: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ!! ثُمَّ يُنادِي: يا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ، فيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هٰذَا المَوْتُ، وكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ. ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩].

ـ وهَؤلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيا ـ ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾).

شرح الألفاظ

(كَبْشٌ أَمْلَحُ) أي فيه بياضٌ وسواد، والحكمةُ في كون الكبش ـ أي الخروف ـ فيه بياضٌ وسواد: الإشارةُ إلى أنَّ أهل الجنة بيضٌ وجوههم، وأهلُ النار سودُ الوجوه.

(فَيَشْرَئِبُّونَ) أي يمدُّون أعناقهم وينظرون، يُقال: اشرأَبَّ: إذا مدَّ بصره ونظر إلى الشيء.

(يَوْمَ الحَسْرَةِ) يوم القيامة، لأنه اليوم الذي تعظُم فيه الحسرة على الكفار الفجار، ويتمنون أن لو كانوا مسلمين.

(وهُمْ فِي غَفْلَةٍ) أي أهلُ الدنيا في غفلةٍ، عن هذا اليوم العصيب، وذلك المصير المشؤوم، حين يُذبح الموتُ، فلا أمَلَ لهم ولا رَجاء، ولذلك أشار ﷺ إلى أهلِ الدنيا، كما قال القائل:

النَّاسُ في غَفَلاتِهِمْ ... وَرَحَى المَنِيَّةِ تَطْحَنُ

شرح الحديث

(يومُ المَحْشَر)، هو يومُ الجَمْعِ الأكبر، فبعد أن ينتهي حسابُ الخلائق، ويدخل فريقٌ الجنةَ، وفريقٌ الجحيم، يُؤتى بالموت في صورة كبشٍ من الأغنام، فخم ضخم، فيه بياضٌ كثير، وسواد شديد، وهو الذي يُسمَّى بالأملح، لاختلاط بياضه بسواده، وينادي منادٍ من الملائكة: يا أهل الجنة، هل تعرفون ما هذا الكبش؟ ومن حين

رؤيتهم له، يتذكرون الموتَ، ويقولون: نعم هذا هو الموتُ، عرفوا أنه الموتُ، لأنهم عاينوا مَلَك الموتِ بهذه الصورة عند قبض أرواحهم.

ثم يُنادي المَلَكُ: يا أهلَ النَّار، فيمدُّون أعناقهم، دون أن يخرجوا من النار، فيقال لهم: هل تعرفون ما هذا الكبشُ؟ فيقولون: نعم، هذا هو الموتُ، وقد عرفوا صورته من قبل.

فيذبح الموتُ على مرأى ومشهد من أهل الجنة، وأهل النار، ثم ينادي المَلَكُ: يا أهل الجنة هنيئاً لكم، لا موتَ بعد اليوم، فأنتم مخلَّدون في الجنة، على وجه الدوام والاستمرار ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وينادي أهلَ النار، فيقول لهم: يا حسرتكم خلودٌ فلا موت، فأنتم مخلَّدون في نار الجحيم، لا موتَ بعد اليوم، فقد ذُبح الموت: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢] ذلك اليوم يُسمَّى «يومَ الحسرة» ثم قرأ ﷺ قولَ اللَّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار ﷺ بيده إلى الدنيا، أي هم الآن في غفلةٍ في الدنيا، عن هذا اليوم العصيب.

تفسير الآية الكريمة

أي أنذرْ يا أيها الرسولُ الخلائقَ، وخوِّفهم يوم الحسرة، يوم يتحسَّرُ المسيءُ، إذْ لم يُحسنْ، والمجرمُ إذْ لم يرتدع، وذلك بعد فراغ العباد من الحساب، وينقضي فيهم حكمُ اللَّهِ العليِّ الكبير ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] وهم الآن في الدنيا، لا يؤمنون ولا يصدِّقون، لأنهم غافلون عن ذلك اليوم الرهيب، وهذا هو مصيرُ الكفار الفجار. وانظر التفسير الواضح الميسَّر ص (٧٤٨).

تنبيه لطيفٌ هام

قال البدرُ العيني: والآيةُ والحديثُ دلَّا على خلودِ أهل الجنة، وخلودِ أهل النار، لا إلى أَمَدٍ وغاية، ومن قال: إنهم يُخرجون من النار، وتبقى النارُ خاليةً، لأنها تفنى وتزول، فقد خرج عن مقتضى العقول، وخَالفَ ما جاء به الرسولُ، وما أجمع عليه أهلُ السُّنّة العدول، فإنَّ اللَّه تعالى يقول: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]. اهـ عمدة القاري ١٩/ ٥٢.

٤٧٣١ ـ [طرفه في: ٣٢١٨]، تقدّم شرحُه.

٤٧٣٢ ـ [طرفه في: ٢٠٩١]، تقدّم شرحُه.

٤٧٣٣ ـ [طرفه في: ٢٠٩١]، تقدّم شرحُه.

٤٧٣٤ ـ [طرفه في: ٢٠٩١]، تقدّم شرحُه.

٤٧٣٥ ـ [طرفه في: ٢٠٩١]، تقدّم شرحُه.

٤٧٣٦ ـ [طرفه في: ٣٤٠٩]، تقدّم شرحُه.

٤٧٣٧ ـ [طرفه في: ٢٠٠٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٣٨ ـ [طرفه في: ٣٤٠٩]، تقدّم شرحُه.

٤٧٣٩ ـ [طرفه في: ٤٧٠٨]، تقدّم شرحُه.

٤٧٤٠ ـ [طرفه في: ٣٣٤٩]، تقدّم شرحُه.

٤٧٤١ ـ [طرفه في: ٣٣٤٨]، تقدّم شرحُه.

٤٧٤٢ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٧٤٣ ـ [طرفه في: ٣٩٦٦]، تقدّم شرحُه.

٤٧٤٤ ـ [طرفه في: ٣٩٦٥]، تقدّم شرحُه.

سورة النور

باب (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦])

٤٧٤٥ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ عُوَيْمِراً، أَتَى «عاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ»، وكانَ سَيِّدَ بَني عَجْلَانَ، فقالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ، وجَدَ مَعَ ٱمْرَأَتِهِ رجُلاً، أَيَقْتُلُهُ فتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ سَلْ لي رسولَ ٱللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ!؟ **فأَتى عاصِمٌ النَّبيَّ ﷺ فقَالَ**: يا رسولَ ٱللَّهِ ـ فَكَرِهَ رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ المَسائِلَ، فَسأَلَهُ عُوَيْمِرٌ فقَالَ: إنَّ رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ كَرِهَ المَسائِلَ وعابَها، **قَالَ عُوَيْمِرٌ**: واللَّهِ لا أَنْتَهِي حتَّى أَسأَلَ رسُولَ ٱللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَجاءَ عُوَيْمِرٌ فقَالَ: يا رسُولَ ٱللَّهِ، رَجُلٌ وجَدَ مَعَ ٱمْرَأَتِهِ رجُلاً، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فقالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: (قَدْ

أَنْزَلَ اللَّه الْقُرْآنَ فِيكَ وفِي صاحِبَتِكَ)!!

فأَمَرَهُما رسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بالمُلاعَنَةِ، بِما سَمَّى اللَّه فِي كِتابِهِ، فَلاعَنَها، ثُمَّ قَالَ: يا رسولَ ٱللَّهِ، إِنْ حَبَسْتُها فقَدْ ظلَمْتُها، فَطَلَّقَها، فَكانَتْ سُنَّةً لِمَنْ كانَ بَعْدَهُما فِي المُتَلَاعِنَيْنِ!!

ثُمَّ قَالَ رسولُ ٱللَّهِ ﷺ: (أَنْظُرُوا، فإِنْ جاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ، أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ، عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَلا أَحْسِبُ عُوَيْمِراً إِلَّا قدْ صَدَقَ عَلَيْها!! وإِنْ جاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ، كأَنَّهُ وحَرَةٌ، فَلَا أَحْسِبُ عُوَيْمِراً إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْها)!!

فَجاءَتْ بِهِ عَلى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ بِهِ رسولُ ٱللَّهِ ﷺ مِنْ تَصْدِيقِ عُوَيْمِرٍ، فكانَ بَعْدُ يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ).

[طرفه في: ٤٢٣].

شرح الألفاظ

(أرأيت رجلا) أي أخبرني عن حُكْمِ رجلٍ، رأى مع امرأته رجلاً على فراشه، أيقتُلُ الرجلَ؟

(كره المسائِلَ وعابها) أي كَرهَ رسولُ اللَّه ﷺ مثلَ هذا السؤال، وأنكر على السائل، لأنها قضيةٌ افتراضية، لم تقع بعد.

(لا أَنْتَهِي حتَّى أَسْأَل رَسُولَ اللَهِ) أي قال «عُويمر»: واللَّهِ لا أترك سؤال رسولِ اللَّه ﷺ عن هذا الأمر، حتى أسأله بنفسي.

(أَنْزَلَ فِيكَ وفِي صَاحِبَتِكَ) أي أنزل قرآناً في شأنك، وفي شأن زوجتك.

(فَأمَرَهُما بالمُلَاعَنَةِ) أي أمَرَ ﷺ الرجلَ بملاعنةِ امرأته، وأمَرَ المرأةَ بملاعنةِ زوجها، سميت «ملاعنةً»، لأن كلّاً من الزَّوجين، يكذِّب الآخرَ، ويلعنُه بقوله: لعنةُ اللَّه عليه إن كان كاذباً في هذا الاتهام، ومعنى اللعنِ: الطردُ والإبعادُ من رحمة اللَّه تعالى.

(فَكَانَتْ سُنَّةً) أي كان اللِّعانُ تشريعاً دائماً، لكلِّ من رمى زوجَته بفاحشة الزنى، نفَّذه الرسولُ ﷺ في حياته.

(أسْحَم أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ) أي إن ولدتْ مولودَها، وجاء أسودَ البَشَرة، أسودَ العينين.

(عَظِيمَ الأَلْيَتَيْن) كبير الأليتَيْن، والألية: مقعدُ الإنسان، أي كبيرَ الرِّدفين.

(خَدَلَّج السَّاقَيْن) أي ممتلئ لحم الساقين، ومراده ﷺ بهذه الألفاظ، أن يقول: إنْ ولدتْهُ على هذه الصورة، أسودَ البشرة، أسودَ العينين، كبير الرِّدفَيْن، ممتلئ الساقين، فهو صادق في دعواه، لأنها صفةُ والده الزاني، وإنْ جاءت به ضعيفاً هزيلاً، فقد كَذَب عليها.

(أُحَيْمرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ) أي وإن جاءت به أحمر اللَّوْنِ، كأنه يشبه الدودة الحمراءَ، التي تَلْصَق بالأرض.

(جَاءَتْ بِهِ عَلَى النَّعْتِ) أي على الصفة، التي أخبر عنها رسولُ اللَّه ﷺ، هيئة الرجلِ الذي زنى بها.

شرح الحديث

حادثةٌ وقعت في عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ، كتشريع إلهيّ، لبيان حكم من قَذَفَ زوجته بالزنى، وقد حدث أنَّ (عُوَيْمر العَجْلاني) رأى مع زوجته رجلاً، في حالةٍ مُريبة، فجاء إلى (عاصِمِ بْنِ عَدِي) وطلب منه أن يسأل رسولَ اللَّه ﷺ، عن حكم من رأى مع زوجته رجلاً: هل يقتله؟ أم ماذا يفعل؟

فذهب عاصم وسأل الرسول ﷺ عن ذلك، فكره رسولُ اللَّه ﷺ هذا السؤالَ، وعاب السائلَ، على أساس أنه يسأل عن قضيةٍ لم تقع بعدُ، ولا يحتاج الشخصُ أن يسأل عن حكمها، لما فيها من إشاعة السُّوء بين المسلمين والمسلمات، فخرج (عَاصِمٌ) حزيناً، فلمَّا جاءه (عويمر) يسأله عن جواب الرسول ﷺ له، قال له عاصم: لم تأتني بخَيْر، لقد كره رسولُ اللَّه هذا السؤال، وعابني عليه.

فقال عُويمر: واللَّه لأذهبنَّ بنفسي إلى رسول اللَّه ﷺ، وأسأله هذا السُّؤالَ، فلمَّا دخل على رسول اللَّه ﷺ وسأله عن ذلك، قال له ﷺ: **(لقد أنزل اللَّه في شأنك، وشأنِ زوجتك وحياً)!!** فأمرهما ﷺ بالملاعنة، وهي:

أن يقول الزوج أربع مرات: (أشهد باللَّهِ إني لصادق فيما رميتها به من الزنى)، ثم يختم في المرة الخامسة بقوله: (لعنةُ اللَّه عليه إنْ كان من الكاذبين، فيما رماها به من الزنى).

ثم تأتي الزوجة فتقول أربعَ مرات: (أشهد باللَّه إنه لمن الكاذبين، فيما رماني به من الزنى)، وتختم في المرة الخامسة فتقول: (غَضَبُ اللَّهِ عليها إن كان من الصادقين، فيما رماني به من الزنى) ثم يُفَرَّق بين الزوجين، فرقةً مؤبدة، لا تحلُّ له بأيِّ وجه من الوجوه، بعد هذه الملاعنة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ حكم الملاعنة خاصٌ بالزوجين، ولا يصحُ لكل قاذف لامرأة أن يُلاعِنَ، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ . . .﴾ [النور: ٦].

الثاني: وفيه كراهةُ السؤال عن أمرٍ لم يَحْدُث بعدُ، لا سيما عن هتك سترِ مسلم أو مسلمة، لذلك عابَ الرسولُ ﷺ سؤالَه.

الثالث: وفيه أنَّ اللِّعَان يكون أربع مرات، بلفظ: (أشهد باللّه) لقوله تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ [النور: ٦] لتقوم كلُّ جملة مكان الشاهد.

وفي المرَّة الخامسة يقول الزوجُ: (لعنةُ اللّه عليه) وتقول الزوجة: (غَضَبُ اللّه عليها) كما وضَّحناه في (صورة الملاعنة)، لأن اللعان شهادةٌ مؤكَّدة بالأيمان المغلَّظَة.

الرابع: وفيه أنَّ اللعان يكون بحضرة الإمام ـ الخليفة ـ أو القاضي الذي يعيِّنه السلطانُ، وبمجمع من الناس.

قال الإمامُ النوويُّ: يُغلَّظُ اللعانُ بالزمانِ، والمكانِ، والمَجْمع من الناس، فالزمانُ بعد العصر، والمكانُ في أشرف موضع، ويحضره الناسُ.

الخامس: وفيه أنَّه بمجرَّد اللِّعان، تحرم الزوجةُ على زوجها، حُرْمةً مؤبَّدةً، لا يلتقيان بعدها أبداً، لدلالة الحديث: (فَرَّقَ بينهما، فكانت سُنَّة) أي تشريعاً خالداً، دائماً إلى يوم القيامة، لأنه حُكْمُ القرآن.

السادس: وفيه اعتبارُ الشَّبَه، لأنه ﷺ اعتبر الشَّبه فقال: (انظروا فإنْ جاءت به أَسْحَم أدعَجَ العينين، فقد صدق عُوَيمر).

السابع: أنه إذا تحقَّق الزنى، فإنَّ الوَلَدَ يُنسب إلى أمه، كما ورد في الحديث: **(فكان بعدُ يُنْسَبُ إلى أمه)** ويؤكِّد حديثَ عُوَيْمر، الحديث الآتي ذكْرُهُ، ورقمُه (٤٧٤٧)، وهو في (قصة «هلال بنِ أمية») الذي قذف زوجته، وما نزل فيه في (حكم اللِّعان).

٤٧٤٦ ـ [طرفه في: ٤٢٣]، تقدّم شرحُه.

❁ ❁ ❁

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ:

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِاللَّهِ﴾ [النور: ٨])

٤٧٤٧ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ بْنِ سَحْماءَ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (البيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ)!!. فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إذَا رَأَى أَحَدُنا على امْرَأَتِهِ رَجُلاً، يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَة، فَجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: (البيِّنَةُ وإلّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ)!!

فقَالَ هِلَالٌ: (والّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ، إنِّي لَصادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّه ما يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الحَدِّ.

فنزَلَ جِبْرِيلُ وأَنْزَلَ اللَّهُ عليْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ ـ فقَرَأَ حتّى بلَغَ ـ ﴿إِن كَانَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ﴾. فانْصَرَفَ النَّبيُّ ﷺ فأَرْسَلَ إليْها، فَجاءَ هِلالٌ فَشَهِدَ، والنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: (إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُما كاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُما تائِبٌ)؟

ثُمَّ قامَتْ فشَهِدَتْ، فلَمّا كانَتْ عِنْدَ الخامِسَةِ وقَّفُوها، وقالُوا: إنَّها مُوجِبَةٌ!؟ ـ أي موجبة لغضب اللَّه ـ.

قَالَ ابْنُ عبّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ ونَكَصَتْ، حتّى ظَنَنّا أَنَّها ترْجِعُ، ثُمَّ قالَتْ: لا أَفْضَحُ قوْمِي سائِرَ اليَوْمِ، فمَضَتْ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصِرُوها، فإِنْ جاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ بْنِ سَحْماءَ»، فَجاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: (لوْلَا ما مَضَى مِنْ كِتابِ اللَّهِ، لَكانَ لِي ولَها شَأْنٌ)!!.

[طرفه في: ٢٦٧١].

شرح الألفاظ

(قذَفَ امْرأَتَهُ بشَرِيكٍ) أي اتَّهمها بالزنى، مع رجلٍ اسمُه (شَرِيكُ بْنُ سَحْمَاءَ) لأنه رآه معها في حالةٍ مُريبة.

(البيَنةُ أو حدٌ في ظهرك) أي إمَّا أن تأتي بالبيِّنة، بأنها (زَنَتْ)، أو نقيم عليك حدَّ القذف، وهو ثمانون جلدة.

(إنَها مُوجِبَةٌ) أي موجبةٌ لغضب اللَّه تعالى، والعذابِ الأليم، إن كان زوجُها صادقاً في لِعَانِه.

(فتَلَكَّأَتْ ونَكصَتْ) أي فتأخَّرت وأبطأت عن الشهادة الخامسة، وأرادت أن تُحْجِمَ عن إتمام اللِّعان.

(لَا أَفْضَحُ قَوْمي) أي أَكْمَلَتْ لِعَانها، بعد أن كادت ترجع، وتعترفُ بأنها ارتكبت الفاحشة، خشية فضيحة أسرتها، فمضتْ في اللعان.

(لَكَانَ لِي وَلَها شَأْنٌ) أي قال النبيُّ ﷺ - بعد أن رأى شَبَه الوَلَد بالمتَّهم - لولا حكمُ اللَّه عزَّ وجل باللِّعان، لأقمتُ عليها (حدَّ الزنى)، لشَبَه الولد الواضح بالزاني، وهو (شريك بن سَحْماءَ).

شرحُ الحديث

مع بيان الحكمةِ التشريعية في اللعان

عالجَ القرآنُ بهذا التشريع الدقيق، ناحيةً من أخطر النواحي الاجتماعية، التي يمكن أن يواجِهَهَا الإنسان في حياته العائلية، حين يبصر بعينيه «جريمة الزنى» تُرتكب في أهل بيته، فلا يستطيع أن يتكَلَّم، ولا أن يجهر بالأمر، لعدم وجود البيِّنة عنده، وهي (أربعةُ رجال)، يشهدون بأنهم رأوها تزني مع رجل، ويبقى الإنسان حائراً، مشتَّتَ الفكر، ماذا يصنع؟ أيترك عِرْضَه يُنتهك، وشرفَه يُلوَّث، وفراشَه يُدنَّس، ثم يُغمِضُ عينيه، خشية الفضيحة، أو خوف العار؟ أم يُقدم على الانتقام من زوجه الخائنة، وذلك اللِّص الماكر، شريكها في الخيانة والإجرام، فيكون سبيله القصاصُ والعقاب؟

وتشاء الحكمةُ الإلٰهية، أَنْ تقعَ مثلُ هذه الجرائم، في أفضل العصور (عصر النبوة) وبين أفضلِ وأطهر الأقوام، (الصحابةِ الكرام)، والقرآنُ يتنزَّل، والوحيُ يُتلى، ليكون درساً تربوياً عملياً، يتلقاه المسلمون، بكل يقين وإيمان، لأنه حكمُ اللَّه العليِّ الحكيم!!

هذا (هلالُ بنُ أُمية) يأتي بيتَه، فيرى بعينيه، ويسمع بأذنيه، صوتَ الخيانة جلياً، فيكبح جِمَاحَ نفسه، ويُغالب غضَبه وثورته، ويأتي رسولَ اللَّه ﷺ يخبره الخبرَ، وهو واثقٌ من أمره، وأنه صادق، لأنها رؤيةُ العين، ويطلب منه الرسولُ ﷺ البيِّنة،

ولكنْ من أينَ يأتي بها؟ وكيف له أن يأتي بأربعة رجال يشهدون معه لإثبات دعواه! والرسولُ الكريمُ ﷺ يكرِّر عليه قولَه: **(إمَّا أن تأتيني بالبيِّنة، أو أقيمُ عليك حدَّ القذف!!)**.

فيقول هلال: يا رسولَ اللَّه! إذا رأى أحدٌ على امرأته رجلاً، ينطلق ليأتي بالبيِّنة؟ ويسمع «سعدُ بنُ عُبادة» وهو سيِّدُ الأنصار ذلك، فيقول: يا رسولَ اللَّه، إذا رأى أحدُنَا مع زوجته رجلاً يزني بها، لم يكن له أن يُحرِّكه، حتى يأتيَ بأربعة شهداء!! واللَّهِ لو رأيتُه لأضربنَّه بالسيف حتى يموت!!

ويلتفت الرسولُ ﷺ على أصحابه فيقول لهم: (أَتَعْجَبُون من غَيْرَةِ سعد؟ واللَّهِ لأنَا أغيرُ منه، واللَّهُ أغيرُ منِّي!!) وهنا يتنزَّل جبريلُ بالوحي على رسول اللَّه ﷺ، وقد ضاقت على «هِلال» السُّبُلُ، ويقول: والذي بعثك بالحقِّ إني لصادق، ولم أتَّهمها كذباً!! فينزل الفَرَجُ من السماء، بهذه الآيات، التي تَفِيضُ حكمةً وعدلاً، وتُنفِّس كربة كلِّ مكروب، بهذا التشريع الخالد، ويقول الرسولُ الكريم لهلال: **(أبشرْ يا هلالُ، فقد جعل اللَّه لك فَرَجاً ومَخْرجاً)** ويتلو عليه الآيات الكريمة ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الآيات.

وبذلك صان الإسلام الأعراضَ، وقَبَرَ الجريمةَ في مَهْدها، فهو بهذا التشريع الخالد، يرفع الحدَّ عن الزوج القاذف، ويترك الأمرَ معلَّقاً، لا يستطيع أحدٌ أن يجزم بوقوع الجريمة، أو بخيانةِ الزوجة، ولا يقطع بكذب الزوج، إذ يحتمل أن يكون صادقاً!! ثم يُفرِّق الإسلامُ بين الزوجين (فرقةً مؤبَّدة)، تُخلِّص الإنسانَ من الكرب والشقاء، وتقطع ألسنةَ السُّوء، وتصون كرامةَ الأسرة. ولولا هذا التشريع الحكيم، لَأُريقت الدماءُ، وأُزْهقت الأرواحُ، في سبيل الدفاع عن العِرْضِ والشَّرف، ولو سُمح للزوج أن ينتقم بنفسه، فيقتل زوجته بدعوى الخيانة، لكان هناك ضحايا بريئات، يذهَبْنَ ضحية الخُبث والمكر، إذْ ليسَ كلُّ زوج يرمي زوجتَه يكون صادقاً فيما رماها به من الزنى، ولو أُقيم عليه (حدُّ القذف) لكان على الزوج أبلغُ الألم والضَّرر، إذ قد يكون صادقاً في دعواه، فيجتمع عليه «عقوبةُ الجلد» و«تَدْنِيسُ الفراش»، فللَّه ما أسمى هذا التشريع العادل!! فاللِّعانُ سترٌ على الزوجين، ورفعٌ للحدِّ عنهما، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ [النور: ٨] أي يدفع عنها عقوبة حدِّ الزنى شهادتُها أربعَ شهادات، أنها بريئة ممَّا رماها به من الزنى، والحمد للَّه الساتر على عباده الرحيمِ بكلِّ مظلومٍ ومكلوم.

٤٧٤٨ ـ [أطرافه في: ٥٣٠٦، ٥٣١٣، ٥٣١٤، ٥٣١٥، ٦٧٤٨]، انظر شرح الحديث السابق رقم ٤٧٤٧.

٤٧٤٩ ـ [طرفه في: ٢٥٩٣]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥٠ ـ [طرفه في: ٢٥٩٣]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥١ ـ [طرفه في: ٣٣٨٨]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥٢ ـ [طرفه في: ٤١٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥٣ ـ [طرفه في: ٣٧٧١]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥٤ ـ [طرفه في: ٣٧٧١]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥٥ ـ [طرفه في: ٤١٤٦]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥٦ ـ [طرفه في: ٤١٤٦]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥٧ ـ [طرفه في: ٢٥٩٣]، تقدّم شرحُه.

٤٧٥٨ ـ [طرفه في: ٤٧٥٩]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٧٥٩ ـ [طرفه في: ٤٧٥٨]، تقدّم شرحُه.

سورة الفرقان

بابُ (قَوْلِ اللَّه عزَّ وَجلَّ:
﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤])

٤٧٦٠ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يا نَبيَّ ٱللَّهِ، يُحْشَرُ الْكافِرُ عَلى وجْهِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ؟

قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشاهُ عَلى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيا، قادِراً عَلى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلى وجْهِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ»؟ قَالَ قَتادَةُ: بَلى وعِزَّةِ رَبِّنا!!

[طرفه في: ٦٥٢٣].

شرح الحديث

استغرب بعضُ الصحابة قولَ اللَّه عزَّ وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ [الفرقان: ٣٤] أي يُساقون إلى جهنم مشياً على وجوههم، فقال: يا رسول اللَّه كيف يمشي الكافرُ على وجهه يوم القيامة؟ فإنَّ الإنسان يمشي على رجلين، فكيف يُتصوَّر مشيُه على وجهه؟

أجابه الرسولُ ﷺ بهذا الجواب المختصَر المُقْنِع، قائلاً: (أليس الإلٰهُ الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، بقادرٍ على أن يمشيه على وجهه في الآخرة؟ فاللَّهُ تعالى لا يُعجزه شيء)، ولنأخذ مثلاً على القدرة الباهرة، فإنَّ الأفاعيَ والزواحفَ، تمشي على بطنها، والبهائمُ تمشي على أربع، والإنسان يمشي على رجْلين، وقد نوَّع تعالى الأصناف، في أكلها ومشيها، ليشير إلى عظيم قدرته، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور: ٤٥].

قدَّم تعالى في هذه الآية، ما هو في القدرة أظهرُ وأعجبُ، وهو الماشي على بطنه كالحيَّة، من غير أرجلٍ، ولا قوائم، ثم بالماشي على رجليه، كالإنسانِ والطَّيْر، ثم بالماشي على أربع، كالأنعام وسائرِ الدواب، وختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠] أي قادرٌ على كلِّ شيء، ليبرهن على كمال القدرة، في الخلق والإبداع، لذلك كان جوابُ الرسولِ ﷺ للرجل السائل، بليغاً وحكيماً، **(أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجليه، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)؟**

قال قتادة: راوي الحديثِ عن أنس ـ (بَلَى وعزَّةِ رَبِّنَا)!!

أي أقسمُ بعزة اللَّه وجلاله، إنَّ اللَّه قادرٌ أن يمشيه على وجهه في الآخرة، آمنَّا باللَّه وصدَّقنا!!

٤٧٦١ ـ [طرفه في: ٤٤٧٧]، تقدّم شرحُه.

٤٧٦٢ ـ [طرفه في: ٣٨٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٧٦٣ ـ [طرفه في: ٣٨٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٧٦٤ ـ [طرفه في: ٣٨٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٧٦٥ ـ [طرفه في: ٣٨٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٧٦٦ ـ [طرفه في: ٣٨٥٥]، تقدّم شرحُه.

٤٧٦٧ ـ [طرفه في: ١٠٠٧]، تقدّم شرحُه.

٤٧٦٨ ـ [طرفه في: ٣٣٥٠]، تقدّم شرحُه.

٤٧٦٩ ـ [طرفه في: ٣٣٥٠]، تقدّم شرحُه.

٤٧٧٠ ـ [طرفه في: ١٣٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٧١ ـ [طرفه في: ٢٧٥٣]، تقدّم شرحُه.

٤٧٧٢ ـ [طرفه في: ١٣٦٠]، تقدّم شرحُه.

٤٧٧٣ ـ تقدَّم شرحه وانظر شرحه من خلال النص.

سورة الروم

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَ وجَلَّ: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١ ـ ٣])

٤٧٧٤ ـ عَنْ عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنَّه بلغه أنَّ رجلاً يُحَدِّثُ فِي (كِنْدَةَ) فكان يقول: يَجِيءُ دُخانٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَيأْخُذُ بأَسْماعِ الـمُنافِقِينَ وأَبْصارِهِمْ، يأْخُذُ المُؤْمِنَ كَهيْئَةِ الزُّكامِ، فَفزِعْنا!!

قالَ مَسْرُوقٌ: فأَتَيتُ ٱبْنَ مَسْعُودٍ، وكانَ مُتَّكِئاً، فَغَضِبَ، فَجلَسَ فقَالَ: (مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، ومَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ: (اللَّهُ أَعْلَمُ)، فإنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لا تعْلَمُ: لا أَعْلَمُ، فإنَّ ٱللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

ثم قال له: إنَّ قُرَيْشاً أَبْطأُوا عَنِ الإِسْلَامِ، فَدَعا علَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ، بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ»! فأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ، حَتَّى هَلَكُوا فِيها، وأَكَلُوا المَيْتَةَ والعِظامَ، ويَرَى الرَّجُلُ ما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، كَهيْئَةِ الدُّخانِ!

فَجاءَهُ أَبو سُفْيانَ فقَالَ: يا مُحَمَّدُ، جِئْتَ تأْمُرُنا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وإنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَٱدْعُ ٱللَّهَ. فَقرَأَ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ ﴿عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١٥].

أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الآخِرَةِ إِذَا جاءَ؟ ثُمَّ عادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ.

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦]. يَوْمَ بَدْرٍ، وَ﴿لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧] يَوْمَ بَدْرٍ.

﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ - إِلَى - ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١، ٢]!! والرُّومُ قَدْ مَضَى).

[طرفه في: ١٠٠٧]

شرح الألفاظ

(يُحدِّث فِي كِنْدَةَ) كِنْدةُ: ناحيةٌ في الكوفة، من العراق، كان الواعظُ يحدِّث النَّاسَ في ذلك المكان، المسمَّى (كِنْدة).

(يأْخذُ بِأَسْمَاعِ المُنَافِقِينَ) أي يستولي الدخانُ على أسماع المنافقين وأبصارهم، حتى يكادُ يُفْقِدهم حواسَّهم ويموتوا.

(كَهيْئَةِ الزُّكَامِ) أي ويأتي هذا الدخانُ على المؤمنين، شِبْهَ الزُّكام الذي يعتري الأنوف.

(فَفَزِعْنَا) أي تخوَّفنا أشدَّ الخوف من حديثه، قال (مَسْروقُ بنُ الأَجْدَع) - وهو راوي الحديث - فأتيتُ ابنَ مسعودٍ فأخبرتُه بخبر الرجل الواعظ، وبكلامه الذي تحدَّث به، وكان متكئاً، فغضبَ من ذلك الكلام الذي سَمِعه فجلس.

(مَنْ عَلِم فَليَقُلْ) أي من كان عنده علمٌ وفقهٌ، فلْيتحدث إلى الناس، ومن لم يكن عنده عِلْمٌ، فلْيقلْ: اللَّهُ أعلم!! فإنَّ ردَّ العلم إلى اللَّه، خيرٌ من التحدث بالجهل، من غير معرفة، وهو افتراءٌ على اللَّه ورسوله، يُعاقب عليه الإنسانُ.

(أَبْطَأُوا عن الإِسْلام): أي إنَّ النَّاسَ لَمَّا تأخروا عن الدخول في الإسلام، وآذوا المسلمين، دَعَا عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ! أن يأخذهم اللَّهُ بالجوع، والقحط.

(كَسَبْعِ يُوسُفَ) أي دعا عليهم بسنينَ عَصِيبةٍ كسنيِّ يوسف، **فأصابهم قحط** وجدب، حتى أكلوا العظامَ والميتة.

شرح الحديث

[سمِعَ (مَسْروقُ بنُ الأَجْدَعِ) واعظاً يُحدِّثُ النَّاسَ بحديثٍ غريب، في مسجدٍ من

مساجد الكوفة، فجاء إلى ابن مسعود رضي اللَّه عنه وأخبره بأن الواعظ يقول: إنَّ يوم القيامة، يأتي دخان من السماء، يأخذ بالأنفاس والأسماع، لذلك غضب ابن مسعود، من هذه الجرأة، على تفسير كتاب اللَّه بغير علم، وبيَّن أنَّ قريشاً لمَّا لم يؤمنوا، دعا عليهم رسولُ اللَّه ﷺ بأن يبتليهم اللَّهُ بالقحط والجوع، فقُحِطُوا، حتى كادوا أن يهلكوا، فجاء إليه «أبو سفيان» فقال: يا محمد، إنَّ قومك قد هَلَكوا، فادعُ اللَّهَ أن يصرف عنهم هذا البلاء!! فأخبره اللَّه عزَّ وجلَّ، أنهم إنْ كُشِف عنهم البلاءُ، سيرجعون إلى الكفر والضلال، وأنزلَ عليه: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥].

يقول ابن مسعود: فهل يُكشف عنهم العذابُ يوم القيامة؟ فالدخانُ حَصَلَ في زمن الرسولِ ﷺ، ولن يكون يومَ القيامة، فقد قُحط المشركون حتى أكلوا الميتةَ والعظامَ، وأصبح الرجل ينظر ما بين السماء والأرض، فيرى كهيئة الدُخان، ثم كشف اللَّه عنهم الغُمَّة بدعاء النبيِّ ﷺ، فعادوا إلى كفرهم وضلالهم.

فقال اللَّهُ تعالى لرسوله: انتظرهم، واصبرْ على تكذيبهم، وأذاهم، إلى يوم الانتقام منهم ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] فالبطشةُ الكبرى، كانت (يوم بدر)، وليست يوم القيامة، كما زعم الرجلُ الواعظ.

واستدلَّ **أيضاً ابنُ مسعود بقوله تعالى:** ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧] أي سوف يكون عقابُكم لازماً، لا محالة، وهذا العقابُ اللَّازم كان يومَ بدرٍ أيضاً، وليس يومَ القيامة، كما زعم هذا المجترئُ على كتاب اللَّه بغير علم، ولا فهم!! وكأنه يقول لمسروق: هذا الواعظُ رجلٌ غبيٌّ جاهل، لا يفهم كلامَ اللَّه، ويفسِّر القرآن برأيه وهواه!

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في الحديث، أنَّ العلم يؤخذ عن أهله، من أهلِ التخصُّص، ولا يُؤخذ عمن هبَّ ودبَّ.

الثاني: وفيه أنَّه لا يجوزُ للمسلم أن يخوضَ فيما لا يعلم، بل يردُّ العِلْمَ إلى اللَّه تعالى.

الثالث: وفيه أنَّ القولَ فيما لا يعلمُه الإنسانُ، فيه بغيٌ وعُدوان، وفيه نوعٌ من التكلف المنهي عنه، لقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

الرابع: وفيه أنَّ البَطْشَةَ، واللِّزامَ، وقعا (يوم بدر)، ولن يكونا يوم القيامة!!

الخامس: وفيه حرمةُ القول في كتاب اللَّه بغير علم، لقوله ﷺ: (مَنْ قالَ في القرآنِ برأيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه من النَّارِ) رواه الترمذي، أي ليحجزْ له مكاناً في نار جهنم.

٤٧٧٥ ـ [طرفه في: ١٣٥٨]، تقدّم شرحُه.

٤٧٧٦ ـ [طرفه في: ٣٢]، تقدّم شرحُه.

٤٧٧٧ ـ [طرفه في: ٥٠]، تقدّم شرحُه.

٤٧٧٨ ـ [طرفه في: ١٠٣٩]، تقدّم شرحُه.

سورة السجدة

باب (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧])

٤٧٧٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قَالَ: (قَالَ اللَّه تَبارَكَ وتعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادي الصَّالِحينَ: ما لا عَيْنٌ رأَتْ، ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ)!!. قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾).

وجاء في رواية للبخاري بزيادة: (بَلْهَ ما أُطْلِعْتُم عليه) ثم قرأ ﷺ: (فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرةِ أعين)!!

[طرفه في: ٣٢٤٤].

شرح الألفاظ

(ذُخراً) أي شيئاً عظيماً ادَّخرتُه لهم عندي، لأجازيهم به يوم القيامة.

(بَلْه ما أُطْلِعْتم عَلَيْهِ) أي دَعُوا ما أطلعكم اللَّه عليه، من الأجر العاجل، والنعيم العظيم، كالقصور، والحور، والفواكه، والثمار، والبساتين، والأنهار!!

قال الإمام الخطَّابيُ: كأنه يقول: اتركوا ما اطَّلعتم عليه جانباً، فإنه سهلٌ يسير، في جنب ما ادخرتُه لهم في الجنة، ثم قرأ ﷺ قولَه تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

قال المفسرون: ومعنى الآية: لا يعلمُ أحدٌ من الخَلْقِ ما أعدَّ اللَّه لأهل الجنةِ، من النعيم، من أنواع العطاء والتكريم، ممَّا لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، جزاءً لهم على إيمانهم، وطاعتهم للَّه ورسوله.

و(**قُرَّة الأعين**): ما تقرُّ به العيونُ، وتبتهج به الصُّدُورُ، من أنواع البهجة والتكريم.

وروى مسلم في صحيحه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: (من يدخل الجَنَّة يَنْعمُ، ولا يَبْأس، لا تبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابُه، في الجنة ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بشر).

وهذا الحديث الذي رواه البخاري، من الأحاديث القدسية، التي رواها رسولُ اللَّه ﷺ عن ربه، وهو دون مرتبة القرآن، وأعلى من مرتبة الأحاديث النبوية، لأنه حكايةٌ عن كلام ربِّ العزة والجلال، فتنبَّه لهذا واللَّهُ يرعاك!!.

٤٧٨٠ ـ [طرفه في: ٣٢٤٤]، تقدّم شرحُه.

٤٧٨١ ـ [طرفه في: ٢٢٩٨]، تقدّم شرحُه في الحديث (٢٣٩٩).

٤٧٨٢ ـ انظر شرحه في الحديث ٥٠٨٨.

٤٧٨٣ ـ [طرفه في: ٢٨٠٥]، تقدّم شرحُه.

٤٧٨٤ ـ [طرفه في: ٢٨٠٧]، تقدّم شرحُه.

بابُ (أَمْرِ اللَّهِ رسولَه بِتَخْيير نِسَائِه)

٤٧٨٥ ـ عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي اللّه عنها: (أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ جاءَها حِينَ أَمَرَ ٱللهُ أَنْ يُخيِّرَ أَزْوَاجَهُ، فَبَدأَ بي رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ فقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْراً، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ تَسْتَعْجِلِي حتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ». وقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ٱللَّهَ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾»:

إِلَى تَمامِ الآيَتَيْنِ، فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هٰذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ ٱللَّهَ ورَسُولَهُ وٱلدَّارَ الآخِرَةَ.

[طرفه: ٤٧٨٦]

شرح الألفاظ

(يُخَيِّر أزْوَاجَه) أي يترك لزوجاته الطاهرات، اختيار البقاء معه، أو إعطاءهن حقوقهن وتطليقه لهن.

(تَسْتَأْمِري أَبَوَيْك) أي تأخذي رأيَ أبويك في هذا الأمر.

(بَلْ أريدُ اللَّهَ ورسُولَه) أي أختار البقاء من عصمتك يا رسول اللَّه.

شرح الحديث

كان النبيُّ ﷺ يعيش مع أزواجه عِيشةَ الكفاف، وكانت تأتيه الأموال والغنائم، فيقسمها بين المسلمين، ولا يأخذ لنفسه وأهله منها، إلَّا الشيء القليل، الذي يسدُّ بها الحاجة، لزهده في الدنيا، فلمَّا نصر اللَّه نبيَّه في (غزوة الأحزاب) وفتح عليه (خَيْبر) وملَّكه ديارهم وأموالهم، طمع أزواجُه بنفائس اليهود، فقعدن ذات مرَّة حوله، وقلن له يا رسول اللَّه: بناتُ كسرى وقيصر في الحُليِّ والحُلَل، ونحن على ما تراه من الفاقة والضِّيق!! وسِّع علينا كما وسَّع اللَّه عليك الرزق.!

آلَمْنَ بهذا الكلام قلبه الشريف، بمطالبته بالتوسعة عليهن، حتى احتجب عن أصحابه فلم يخرج إليهم، فنزل القرآن الكريم بآية التخيير، وهي قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، وشاع الخبر بين المسلمين أن الرسول ﷺ طلَّق أزواجه.

رُوي عن جابر بنِ عبد اللَّه أنه قال: (أقبل أبو بكر يستأذن على رسول اللَّه ﷺ، فلم يُؤذن له، والناسُ ببابه جلوس، والنبي ﷺ جالس، فلم يؤذن له!

ثم جاء عمر يستأذن فلم يُؤذن له، ثم أَذِن لأبي بكر، وعمر فدخلا، والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: **لأكلمنَّ النبيَّ ﷺ بكلام لعلَّه يضحك!!** فقال عمر يا رسول اللَّه: لو رأيتَ ابنةَ زيد ـ يعني زوجتَه ـ سألتني النَّفقَة آنفاً فوجأتُ

عُنُقها ـ أي نحرتها في عُنقها بيدي ـ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: **«هؤلاء هنَّ حولي يسألْنَني النفقةَ!!»**.

فقام أبو بكر إلى (عائشة) ليضربها، وقام عمر إلى (حفصة) ليضربها، كلاهما يقول: (تسألانِ النبي ﷺ ما ليس عنده!! فنهاهما رسول اللّه ﷺ عن ذلك، فقلن: واللّهِ لا نسأل رسولَ اللّه ﷺ بعد هذا اليوم! ثم اعتزلهنَّ النبي ﷺ شهراً، حتى نزلت آيةُ التخيير!!

فبدأ الرسول ﷺ بعائشة، فقال لها: إني ذاكرٌ لك أمراً، ما أحبُّ أن تعجلي فيه، حتى تستأمري أبويك ـ أي تأخذي رأيهما ـ قالت: وما هو؟ فتلا عليها الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، فقالت عائشة: أفيك أستأمر أبويَّ؟ بل أختار اللّه ورسولَه والدار الآخرة!، وعرض على جميع نسائه التخيير، فاخترن جميعاً اللّه ورسولَه والدار الآخرة) رواه مسلم في صحيحه.

وهذه قصة التخيير، وما نزل فيها من الآيات الكريمة، وما حدث منهنَّ رضوان اللّه عليهن، من إيثار الرضى بما كُنَّ عليه بعيشة الكَفَاف، وعدم مطالبته ﷺ بشيء من التوسعة.

وجاء في بعض الروايات في الصحيح: أنَّ عائشة رضي اللّه عنها، لمَّا خيَّرها رسول اللّه ﷺ، واختارت اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، قالت يا رسول اللّه: لا تُخبر نساءكَ أني اخترتك! فقال لها ﷺ: **«لا تسألني امرأة منهنَّ إلّا أخبرتُها، إن اللّهَ لم يبعثني متعنِّتاً ـ أي متشدِّداً متعسِّراً ـ وإنما بعثني معلِّماً ميسِّراً!!»**.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ ما كان عليه رسول اللّه ﷺ، من شدَّة الفقر والضِّيق، هو وأزواجه الطاهرات.

الثاني: وفيه ملاطفةُ النبي ﷺ لأزواجه، وحلمُه عليهن، مع ما كان يصدر منهن من الغَيْرة.

الثالث: وفيه أنَّ تخييره ﷺ لهن، لم يكن طلاقاً، لقول الراوي: (فلم يكن ذلك طلاقاً حين قال لهنَّ، فاخترنه).

الرابع: وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ، لمَّا كان أسوةً للمؤمنين، وكان أكثر أتباعه من الفقراء، كان يُضيِّق على نفسه وأزواجه.

الخامس: وفيه مَنْقبة عظيمة للسيدة عائشة، في كمال عقلها، وصحةِ رأيها مع صغر سِنِّها رضي اللَّه عنها، حيث اختارت الدار الآخرة.

تنبيه

قال العلماءُ: إنما أَمَر الرسولُ ﷺ عائشةَ، أن تستشير والدَيْها، قبل أن تُبْرِم أمرها في التخيير، خشيةَ أن يحملها، صِغَرُ سِنِّها، على الاندفاع لاختيار المفارقة، طمعاً في نعيم الدنيا، ولكنَّها رضي اللَّه عنها، قالت متعجِّبة: أفيكَ يا رسولَ اللَّه أستشير أبويَّ؟ بل أختارُ اللَّهَ ورسولَه، وهذا دليلُ كمالِ عقلها ورشدها، ولهذا قالت: (وقد عَلِم رسولُ اللَّه ﷺ، أنهما لم يكونا يأمرانِّي بِفراقه)!! وأمَّا قولُها: (ولا تُخبرْ أحداً من أزواجك بما اخترْتُ) فإنما هو من دافع الغَيْرةِ التي تغلبُ على النساء، وهي طبيعةٌ جُبلن عليها!! وانظر فتح الباري لابن حجر ٨/ ٥٢٢.

٤٧٨٦ ـ [طرفه في: ٤٧٨٥]، وانظر شرح الحديث القادم.

٤٧٨٧ ـ [طرفه في: ٧٤٢٠]، انظر شرحه من خلال النص.

سورة الأحزاب

بابُ (قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥١])

٤٧٨٨ ـ عَنْ عائِشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّه عَنْهَا، أنَّها قالَتْ: (كُنْتُ أَغَارُ عَلى الَّلاتِي وهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسولِ ٱللَّهِ ﷺ، وأَقُولُ: أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَها؟ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّه تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾. قُلْتُ: ما أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسارِعُ فِي هَوَاكَ).

[طرفه في: ٥١١٣].

شرح الحديث

الغيرةُ عند النساء غريزة، لا تكاد تخلو امرأة منها، لأنها مغروسةٌ في قلوب النساء، سواءُ في هذا نساء النبيِّ ﷺ، أو سائر النساء، لذلك تقولُ السيدةُ عائشةُ رضي اللَّه عنها: لقد كانت تدخلني الغَيرَةُ، من بعض النساء اللواتي يَهَبْن أنفسهن لرسول اللَّه ﷺ، وتقول: أَمَا تستحي المرأة من هذا؟ أن تهبَ نفسَها للرسول ﷺ؟ كيف تعرض نفسَهَا على الرسول، إن كان له رغبةٌ فيها؟ فلمَّا قرأتْ قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] أي أبحنا لك الواهبةَ نفسها أن تتزوج بها، وهذه خصوصية لك يا خاتمَ النبيِّين.

كما قرأتْ قوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ . . .﴾ الآية [الأحزاب: ٥١] قالت رضي اللَّه عنها لرسول اللَّه ﷺ: (ما أرى ربَّك إلَّا يُسارع في هَوَاك) أي يُعطيك يا رسول اللَّه ما تحبُّه وتشتهيه.

ولقد كانت بعضُ النساء تهب نفسها لرسول اللَّه ﷺ فتقول له: وهبتُك نفسي، إن كان لك رغبةٌ فيَّ، طمعاً منها في نيل شَرَف الانتساب له ﷺ، لتقوم بخدمته، وتصبحَ أمًّا للمؤمنين في «بيت النبوَّة» وهو شرفٌ لا يضاهيه شرف!! كما ترغب بعضُ النساء، في أن تكون زوجةً لبعض الملوك والعظماء، فكيف الأمرُ إذا كانت زوجةً لسيد الرسل والأنبياء؟ فكانت السيدة عائشة تغار منهن، وتَعيبُهنَّ على هذا الأمر، فلمَّا نزلت الآيات الكريمةُ، تبيح له ذلك، وتجعَلُها من خصائِصِهِ ﷺ، عرفتْ أنها حقٌّ مشروع له ﷺ من اللَّه عزَّ وجل، ليس فيه ما يُعاب، فرضيتْ بحكمِ اللَّهِ، وقالت: إني أرى ربَّك يسارع لك يا رسول اللَّه، فيما تشتهيه نفسك، ويُعطيك ما تهواه.

ما يستفادُ من الحديث

الأول: فيه أنَّ الغَيْرَةَ، ليست مذمومةً، لأنها جِبِلَّةٌ وفطرةٌ في النساء، ولهذا كان ﷺ يصبر على ما يرى من نسائه من الغَيْرة.

الثاني: وفيه أنَّ هِبَةَ المرأةِ نفسَها للرجل لا تصحُّ، لأن هذا الحكم خاصٌّ بالرسولِ ﷺ لقوله سبحانه: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

الثالث: وفيه أنَّ القسمةَ بين النساء، لم تكن واجبةً على الرسول ﷺ، وإن كان ﷺ يقسم بينهن، تحقيقاً للأفضل والأكمل، من سيرته العطرة.

وإنما لم تكن القسمة واجبةً عليه، لقوله تعالى: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب: ٥١].

ومعنى الآية: لك الخيارُ يا أيها النبيُّ، في أن تؤخِّر من تشاء، وتضمَّ إليك من تشاء، وتَقْسِمَ لمن تشاء في المبيت والمضاجعة، وتترك من تشاء مضاجعَتَها، ولا إثمَ ولا عتاب عليك في ذلك، وهذه خصوصيةٌ لسيدنا رسولِ اللّه ﷺ، ومع أن اللّهَ أباحَ له ذلك، فقد كان ﷺ يعدل بين نسائه، ويقول: (اللّهمَّ هذا قَسْمي فيما أملكُ، فلا تؤاخذني فيما تملكُ ولا أملكُ) يريد ميلَ القلب إلى السيدة (عائشة) رضي اللّه عنها.

الرابع: وفيه أنَّ المؤمنين فُرضَ عليهم، أن لا نكاحَ إلَّا بوليٍّ وشاهِدَيْ عدل، إلا الرسول ﷺ فقد أبيح له أن يتزوج بمن وهبتْ نفسَها له ﷺ، كَمَا زوَّجه اللّه تعالى بالسيدة (زينب) من فوق سبع سمواته، من غير عقد، ولا شهود، وهذه أيضاً من خصوصياته ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ومع أنَّ اللّه تعالى أباح له الواهبةَ نفسها، فإنه لم يكن عنده ﷺ امرأةٌ وهبتْ نفسها له، لأنه حُكْمٌ راجعٌ إلى إرادته ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾ [الأحزاب: ٥٠] وهذا ما قاله ابنُ عباس، أنه لم يكن عنده واحدة منهن.

تنبيه لطيفٌ هام

قال المفسرون: كانت القسمةُ بين نساء النبي ﷺ واجباً عليه، كما هي واجبة على المؤمنين، لتحقيق العدل بين النساء، في جميع الأحكام الشرعية، فلمَّا غارَ بعضُهنَّ على النبيِّ ﷺ، ووقع التنافسُ بينهنَّ على الحَظْوَةِ برسول اللّه ﷺ، أسقطَ اللّهُ عنه الوجوبَ، وصار الاختيار إليه ﷺ في أمر النساء، يفعل ما يشاء، دون تقييدٍ بقسمةٍ، ولا مبيت، وكان ذلك من خصائصه ﷺ، ولهذا قال تعالى بعد آية التخيير: ﴿ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥١].

والمعنى: ذلك التخيير لك يا أيها النَّبيُّ في أمر أزواجك، أقربُ لقُرَّة أعينهن، ورضاهنَّ بصنيعك، فإنْ عدلتَ بينهن، وجدْنَ ذلك تفضلاً وكرماً منك عليهنَّ، وإن رجَّحت بعضَهُنَّ على بعض، علمْنَ أنه بحكم اللّه تعالى، فتطمئنُّ نفوسهنَّ بذلك، ولا يشعرن بالحزن والألم، وإنما خيَّرناك فيهن، تيسيراً عليك فيما أردتَ، ولهذا قالت عائشة، لمَّا نزلت هذه الآية الكريمة: (ما أرى ربك إلَّا يُسارع في هواك)!!

ولمَّا سألتْها معاذةُ: ماذا كنت تقولين بعد نزولِ آيةِ التخيير؟ ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي

﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] قالت لها: (كنتُ أقولُ له: إن كان ذلك الأمرُ إليَّ، فإني لا أريدُ أن أُوثر عليك أحداً يا رسُولَ اللّه)!! رواه البخاري كما في الحديث الآتي ذكره:

بابُ قولِ السيدة عائشة: (لا أريدُ أنْ أُوْثِرَ أَحَداً)

٤٧٨٩ ـ عن مُعاذَةَ عن عائشة رضي اللّه عنها: (أنَّ رسول اللّه ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منَّا، بعد أن أُنزلت هذه الآية: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ . . .﴾ [الأحزاب: ٥١] الآية، قالت مُعاذة: ماذا كنتِ تقولين؟ قالت عائشة: كنت أقول له: إن كان ذاكَ إليَّ، فإني لا أريد يا رسول اللّه أن أوثر عليك أحداً) أي لا أريد أن أفضِّلَ بيومي أحداً عليك يا رسول اللّه، من النساء!!

٤٧٩٠ ـ [طرفه في: ٤٠٢]، تقدّم شرحُه.

٤٧٩١ ـ [أطرافه في: ٤٧٩٢، ٤٧٩٣، ٤٧٩٤، ٥١٥٤، ٥١٦٣، ٥١٦٦، ٥١٦٨، ٥١٧٠، ٥١٧١، ٥٤٦٦، ٦٢٣٨، ٦٢٣٩، ٦٢٧١، ٧٤٢١]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٥١٦٨.

٤٧٩٢ ـ [طرفه في: ٤٧٩١]، تقدّم شرحُه.

٤٧٩٣ ـ [طرفه في: ٤٧٩١]، تقدّم شرحُه.

٤٧٩٤ ـ [طرفه في: ٤٧٩١]، تقدّم شرحُه.

بابُ قَوْلِ اللّه عَزَّ وجَلَّ:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

٤٧٩٥ ـ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهَا أنها قالَتْ: (خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَما

ضُربَ ٱلحِجَابُ لِحاجَتِها، وكانَتِ ٱمْرَأَةً جَسِيمَةً، لا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُها، فَرَآها عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فقَالَ: يا سَوْدَةُ، أَما وٱللَّهِ ما تَخْفَيْنَ، فٱنْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ!؟ قالَتْ: فٱنْكَفَأَتْ رَاجِعَةً، ورَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي، وإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وفِي يَدِهِ عَرْقٌ، فَدَخلَتْ، فقالَتْ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حاجَتِي، فقَالَ لي عُمَرُ: كَذَا وكَذَا، قالَتْ: فأَوْحَى اللَّه إِلَيْهِ، ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ، وإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ ما وَضَعَهُ، فقالَ: (إِنَّهُ قدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحاجَتِكُنَّ).

[طرفه في: ١٤٦].

شرح الألفاظ

(ضُربَ الحِجَابُ) أي نزلت آيةُ (فريضة الحجاب) على النساء، وأُمرن بالحجاب.

(جَسِيمَةً) أي كانت السيدةُ «سودة» أمُّ المؤمنين، طويلةَ القامة، عظيمة البَدَن، تُعرف بين الناس من طولها.

(فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً) أي عادت إلى منزلها دون أن تقضيَ حاجتَها.

(وفِي يَدِهِ عَرْقٌ) أي وفي يد النبيِّ ﷺ عظمٌ عليه بعضُ اللحم، كان يأكل ﷺ منه.

قال في المعجم: العَرْق: العَظْمُ الذي أُخذ منه أكثرُ اللحم، وبقيت عليه بعضُ اللحوم الرقيقة.

(أُذِنَ لَكُنَّ) أي قد أذن اللَّه لكنَّ يا معْشَرَ النساء، أن تخرجن لقضاء حوائجكنَّ.

شرح الحديث

كان الحجابُ قد فُرض على نساء النبي ﷺ، بقول اللَّه عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وخرجت (سَوْدةُ) أمُّ المؤمنين ذات يوم، وهي متحجِّبةٌ من الرجال، وكانت جسيمة، ظاهرةَ الطول، فارعةَ البدن، فرآها عمر رضي اللَّه عنه، فقال لها: يا سودةُ إنكِ واللَّهِ ما تخفَيْن علينا، فانظري في الأمر!!

فانقلبت راجعة إلى منزلها، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يتعشَّى في بيت السيدة عائشة، فدخلت عليه وقالت: يا رسول اللَّه خرجتُ لحاجتي إلى السوق، فرآني عمرُ بنُ الخطاب فقال لي: انظري كيف تخرجين، فإنك واللَّهِ ما تخفَيْن علينا!! وإذا بالوحي يتنزَّل على رسول اللَّه ﷺ، وبيده شيءٌ من اللَّحْم يأكله، فَنَزل الإذنُ لهن بالخروج لقضاء حوائجهن، فهذا هو سبب نزول الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الحجاب ليس خاصاً بنساء النبيِّ ﷺ، بل هو عامٌّ لجميع النساء، لذلك قالت: (بعدما فُرض الحجابُ)، ويدلُّ عليه الآية الواضحة الصريحة، الشاملةُ لجميع النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

الثاني: وفيه أنَّ اللَّه عزَّ وجل قد أباح للنساء الخروج إلى الأسواق، لقضاء حوائجهن، والبيع والشراء، لقوله ﷺ: **(قد أُذِنَ لكنَّ أن تخرجْنَ لحاجتِكُنَّ)** بشرط أن تكون المسلمة متحجِّبة، غير متسكِّعة في الأسواق، تَظْهر بهَرْجها وزينتها للرجال.

تنبيه هام

قال الإمام العيني: إنَّ عُمَرَ رضي اللَّه عنه، وقع في قلبه نُفرة من اطِّلاع الأجانب على الحريم النبويِّ، أمهاتِ المؤمنين الطاهرت، حتى طلب من رسول اللَّه ﷺ أن يحجب نساءه، فقال له: يا رسول اللَّه! إنَّ نساءَك يَدْخُلُ عليهن البَرُّ والفاجر، فلو أمرتَ أمَّهاتِ المؤمنين أن يحتجبن!! فنزلت آيةُ الحجاب.

ثم قَصَد عمرُ بعد ذلك، أن لا يُبدين أشخاصهنَّ أصلاً، ولو كنَّ مُتستّراتٍ، فبالغ في ذلك، حتى قال لسودة: واللَّهِ ما تَخْفَيْنَ علينا، فانظري كيف تخرجين؟ ـ أراد بذلك أن لا تخرج بنفسها لقضاء حاجتها ـ فَمُنع من ذلك، وأذنَ اللَّه لهن في الخروج لحاجتهن، دفعاً للمشقة، ورفعاً للحرج. اهـ عمدة القاري ١٩/ ١٢٤.

❁ ❁ ❁

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٥]

٤٧٩٦ - عَنْ أم المؤمنينَ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أنها قالَت: (ٱسْتأْذَنَ عَلَيَّ (أَفْلَحُ)، أَخُو أَبِي القُعَيْسِ، بَعْدَما أُنْزِلَ ٱلحِجابُ، فَقُلْتُ: لا آذَنُ لَهُ حتَّى أَسْتَأْذِنَ فِيهِ النَّبيَّ ﷺ، فإنَّ أَخاهُ (أَبا الْقُعَيْسِ) لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَني، ولَكِنْ أَرْضَعَتْني ٱمْرَأَةُ أَبِي القُعَيْسِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبيُّ ﷺ فَقُلْتُ لهُ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ، إنَّ أَفْلَحَ أَخا أَبي القُعَيْسِ ٱسْتَأْذَنَ، فأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ حتَّى أَسْتَأْذِنَكَ!! فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «وما مَنَعَكِ أَنْ تأذَنِينَ؟ عَمُّكِ»!!

قُلْتُ: **يا رسُولَ ٱللَّهِ!** إنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، ولَكِنْ أَرْضَعَتْنِي ٱمْرَأَةُ أَبِي القُعَيْسِ، فقَالَ: «ٱئْذَنِي لهُ فإنَّهُ عَمُّكِ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ».

قَالَ عُرْوَةُ: فَلِذَلِكَ كانَتْ عائِشَةُ تَقُولُ: (حَرِّمُوا مِنَ الرَّضاعَةِ، ما تُحَرِّمُونَ مِنَ النَّسَبِ).

[طرفه في: ٢٦٤٤].

شرح الألفاظ

(أَبو القُعَيْس) عمُّ السيدة عائشة من الرَّضاع، واسمُه «وائلُ بنُ أَفْلَح» رضي اللَّه عنه.

(تربتْ يمينُكِ) أصلُ الكلمة أنَّ معناها: التصقتْ بالتراب، أي افتقرت، ولا يراد بها حقيقةُ الدعاء بالفقر، وإنما هي جملةٌ تُستعمل للتحذير من الفهم الخاطئ، والتنبيهِ على أنَّ الأمر على خلاف ما ذهب إليه الإنسانُ، مثل قوله ﷺ: **(فاظفر بذات الدِّينِ تربتْ يداك)** أي إن لم تفعل ذلك، فأنت فقير خاسر.

شرح الحديث

بعد فرض الحجاب على نساء النبيِّ والمؤمنات، أراد عمُّ السيدة عائشة من

الرضاع، أن يدخل عليها، فلمَّا استأذنها لم تسمح له بالدخول، لأنه ليس عمَّها من النسب، إنما هو عمُّها من الرضاع، فلمَّا دخل عليها رسولُ اللَّه ﷺ، أخبرته بأنَّ «أفلح» استأذن عليها، فلم تأذنْ له بالدخول، على أساس أنَّ المرأةَ التي أرضعتها، هي زوجةُ «أبي القُعَيس» وليست زوجةَ (أفلَحَ)، فقال لها ﷺ: **(إنه عمُّك من الرِّضاع، ويَحْرُم من الرَّضاع ما يحرم من النسب، فأذني له هداكِ اللَّه، أَمَا تعلمينَ أنَّ العَمَّ صِنْوُ الأب؟)**.

قال الإمام الخطابي: وفي هذا الحديث من الفقه، إثباتُ اللَّبَنِ للفحل، وأنَّ زوجَ المرضعة بمنزلة الوالد، وأخوه بمنزلة العمِّ. اهـ عمدة القاري ١٩/ ١٢٥ ولهذا قالت عائشة: (حرِّموا من الرضاع، ما تحرِّمون من النسب) كما في تتمة الحديث.

باب قولِ اللَّه عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

٤٧٩٧ ـ عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: (قِيلَ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عليكَ فَقَدْ عَرَفْناهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ عَلى آلِ إبْراهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ، وعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَما بارَكْتَ عَلى آلِ إبْراهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»).

[طرفه في: ٣٣٧٠].

شرح الحديث

كان المسلمون يعرفون كيفيَّةَ السلام على رسول اللَّه ﷺ، فيقولون: السلام عليكَ يا رسولَ اللَّه، فلمَّا أُمِرُوا بالصلاة على النبيِّ ﷺ، جاؤوا إليه، فقالوا: يا رسول اللَّه: أُمِرْنا بالصلاةِ عليك، فكيف نُصَلِّي عليك؟ فقال لهم ﷺ: **(قولوا اللهمَّ صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. . .)** إلخ.

ومعنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

هو كما رَوَىٰ البخاري عن أبي العالية: (صلاةُ اللَّه: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاةُ الملائكة، الدعاءُ له بعلوِّ الشأن).

يا له من فضل عظيم، وشرفٍ رفيع، لا يضاهيه شَرَفٌ! أن يصلِّي اللَّهُ على رسوله، ويُثْنيَ على خاتم الأنبياء، في حَضْرةِ القُدْس، عند الملائكة الأطهار الأبرار!!

أين صلاةُ جميع البشر من صَلَاةِ ربِّ العزة والجلال، على خاتم الأنبياء والمرسلين، صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه!؟ إنَّ صلاتنا لا تساوي ذرَّةً، أمامَ صلاة اللَّه عليه، وأُمرنا بالصَّلاة على الرسول، ليس لرفع قدره فقط، وإنما هو تشريفٌ لنا، ورفعٌ لدرجاتنا، فما أَنْ نصلِّيَ على الرسول مرَّةً واحدة، إلَّا كافأنا اللَّه علينا بها عشراً، لحديث مسلم: (من صلَّى عليَّ واحدةً، صلَّى اللَّهُ عليه بها عشراً)!!

وروى الإمام أحمد في المسند، (أنَّ جبريلَ جاء إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا محمد، أَمَا يُرضيك أنَّ ربَّك عزَّ وجل يقول لك: إنه لا يصلِّي عليك أحد من أمتك، إلَّا صلَّيتُ عليه عشراً!! ولا يُسلِّم عليكَ أحدٌ إلَّا سلَّمتُ عليه عشراً!! قلت: بَلَى رضيتُ).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الصلاة على رسول اللَّه ﷺ، فرضٌ على المسلمين، لقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] والصلاةُ واجبة عند الجمهور، كلَّما ذُكر اسمُه الشريف، مرَّةً واحدة.

وقيل: تجب في المجلس مرة واحدة، وتستحب عند كل ذكرٍ لاسمه الشريف.

الثاني: وفيه أنَّ الصيغة المشروعة في الصلاة عليه، أن نقول: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، إلى آخرها كما علَّمَنَا إيَّاها ﷺ.

الثالث: وفيه أنَّ الصلاة على الرسول خاصةٌ به ﷺ وبالأنبياء الكرام، ولا يُصلَّى على غير الرُّسُلِ، فمن قال: اللهمَّ صلِّ على الحسن، أو الحسين، أو صلِّ على (عليٍّ)، فهو من أهل الأهواء، ولا تكون الصلاة على آل البيت إلَّا تَبَعاً، كقولنا: اللهم صلِّ على محمد، وآله، وصحبه، والتابعين، ولا يُقال: اللهم صلِّ على الصحابة.

قال الحافظ ابنُ حَجَر: ويُمنع الصلاةُ على غير النبيِّ، لأنه صار شعاراً للنبي ﷺ، فلا يشاركه فيه غيره، ويجوز إذا كان تَبَعاً، كقولنا: صلى اللَّه على النبيِّ وخليفته أبي بكر، كما يجوز أن نقول: اللهم صلِّ على محمد، وآله وأصحابه والتابعين، ويدلُّ عليه الحديثُ الآتي ذكرُه.

٤٧٩٨ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه قَالَ: قُلْنا: يا رَسُولَ ٱللَّهِ، هٰذَا التَّسْلِيمُ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: (قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحمَّد عَبْدِكَ ورسُولِكَ، كَما صَلَّيْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وبَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَما بارَكْتَ عَلى إِبْرَاهِيمَ، وآلِ إبراهيمَ).

[طرفه في: ٦٣٥٨].

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]

٤٧٩٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كانَ رَجُلاً حَيِيًّا، وذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾».

[طرفه في: ٢٧٨].

شرح الحديث

هذا طرفٌ من حديث، جاء مطوَّلاً في أحاديثِ الأنبياءِ، في قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل.

وخلاصةُ القصة

(أن موسى عليه السلام كان حييًّا أي كثيرَ الحياء، وكان لا يغتسل إلَّا في الخَلْوة، ولا يغتسل مع بني إسرائيل، لأنهم كانوا يغتسلون عُراةً، فقالوا: إنه لا يغتسل مَعَنا، إلَّا لأنه «آدَرُ» ـ أي به انتفاخُ الخِصْيَتَيْن ـ فاتهموه بالعيب في جَسَده، فذهب مرةً ليغتسل، فخلع ثوبَه ووضعَه على حَجَر، ولمَّا أراد الخروج أخَذَ الحجَرُ ثوبَه،

ومضى به متدحرجاً، فخرج يتبع الحجَرَ عُرْياناً، وهو يقول: ثوبي حَجَرُ، ثوبي حَجَر، فرآه بعضُ بني إسرائيل، كأكمل ما خَلَقَ اللّٰهُ، سليماً لا عيب فيه، فهذه تبرئةُ اللّٰه له من أذاهم، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]) أي ذا مكانة رفيعة، وجاه عند اللّٰه عظيم.

٤٨٠٠ - [طرفه في: ٤٧٠١]، تقدّم شرحُه.

سورة سبأ

بابُ قول اللّٰه عزَّ وجل:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]

٤٨٠١ - عَنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُما أنّه قَالَ: (صعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفا ذَاتَ يَوْم، فقَالَ: «يا صَباحاهُ»! فَٱجْتَمَعَتْ إليْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: ما لَكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَما كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي»!؟ قَالُوا: بَلى، قَالَ: فإِنِّي نَذِيرٌ لكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ». فقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهٰذا جَمَعْتَنا؟ فأَنْزَلَ اللّٰه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

[طرفه في: ١٣٩٤].

شرح الألفاظ

(صَعِدَ الصَّفَا) أي صعد جبَلَ (الصَّفا) الذي يقابلُه جبلُ (المَرْوة) اللَّذيْنِ يسعى الحجيجُ بينهما ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

(نَادَى يَا صَبَاحَاهُ) هذه الجملة «شِعَارُ الغارة» على القوم، إذْ كان الغالبُ منها أنها تكون في الصباح.

(تبّاً لَكَ) أي هلاكاً لك، دعاءٌ عليه بالهلاك والدمار، وهذه الكلمةُ الفاجرة، من قولِ عمِّ النبي (أبي لهب) ردَّ اللّٰه عليه بها، انتصاراً لرسوله ﷺ، في قوله سبحانه ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

شرحُ الحديث

لمَّا نزل قولُه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِد النبيُّ ﷺ على (جَبَل الصَّفا) فجعل ينادي القبائلَ والعشائر: يا بني فِهر، يا بني عديٍّ، لقبائل قريش، حتى اجتمعوا عنده، فقال لهم ﷺ: **(أخبروني لو أنني قلتُ لكم: إنَّ عدواً وراء هذا الوادي، يريد أن يُغير عليكم، هل تصدِّقوني!)** قالوا: نعم يا محمد، ما جرَّبنا عليكَ كذباً قطُّ!! فأنت عندنا الصادق الأمين.

فقال لهم ﷺ: (إني لكم نذيرٌ بين يديْ عذابٍ شديد، فآمنوا بي واتَّبعوني)، فسكتوا إلَّا (أبا لهب) عمَّ النبيِّ ﷺ، قال للرسول ﷺ: تبًّا لكَ يا محمد ـ أي هلاكاً لك ـ ألهذا جمعتنا؟ فأنزل اللَّه ردًّا عليه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢].

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الرسولَ ﷺ، نفَّذ أمر اللَّه، بتبليغ الرسالة لقبائل قريش، الأقارب منهم والأباعد، ولم يترك أحداً إلَّا بلَّغه الدعوةَ، وأنذره من عذاب اللَّه.

الثاني: وفيه أنَّ قريشاً يعرفون صدق النبيِّ ﷺ، لذلك كان جوابُهم: أنت الصادق المصدوق فينا، ولكنْ منعهم من الإيمان به وتصديقِهِ: حبُّ الزعامة، والكِبْرُ.

الثالث: وفيه أنَّ أشدَّ الناس سَفَهاً وجهلاً (أبو لهب) عمُّ النبيِّ ﷺ، فهو الوحيد القائل للرسول ﷺ: تباً لك يا محمد، وفيه نزلت هذه السورة الكريمة، التي فيها دفاع عن الرسول ﷺ، وإدانةٌ لهذا السفيه الفاجر، حيث بقيت وصمةَ عار على جبينه، إلى يوم البعث والنشور.

٤٨٠٢ ـ [طرفه في: ٣١٩٩]، تقدّم شرحُه.

٤٨٠٣ ـ [طرفه في: ٣١٩٩]، تقدّم شرحُه.

٤٨٠٤ ـ [طرفه في: ٣٤١٢]، تقدّم شرحُه.

٤٨٠٥ ـ [طرفه في: ٣٤١٥]، تقدّم شرحُه.

٤٨٠٦ ـ [طرفه في: ٣٤٢١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٠٧ ـ [طرفه في: ٣٤٢١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٠٨ ـ [طرفه في: ٤٦١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٠٩ ـ [طرفه في: ١٠٠٧]، تقدّم شرحُه.

سورة الزمر

بابُ قول اللَّه عزَّ وجَلَّ:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]

٤٨١٠ ـ عَنْ عَبْد اللَّه بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قَالَ: (إنَّ ناساً مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحمَّداً ﷺ فَقَالُوا: إنَّ الَّذِي تَقُولُ، وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً!! فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]. وَنَزَلَ قولُه سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

شرح الحديث

توضيحٌ بديع من حَبْرِ الأمة ترجمان القرآن (عَبْدِ اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ) رضي اللَّه عنه، لمعنى الآية الكريمة، فقد وضَّح أنَّ سبب نزولها هو: أنَّ جماعة من المشركين، جاؤوا إلى رسول اللَّه ﷺ، فقالوا: إنَّ ما تدعونا إليه أمرٌ حسن بديع، ولكنَّا قد أسرفنا في الجاهلية على أنفسنا، بالمعاصي والذنوب، فلو عرفنا أنَّ لنا كفارةً لهذه الجرائم لآمنَّا، فنزلت الآية الكريمة ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

والمعنى: قل يا أيها الرسول، لهؤلاء الذين ارتكبوا أنواعَ المنكرات والموبقات، والذين أفرطوا في الجناية على أنفسهم، بالمعاصي والآثام: لا تيأسوا من رحمة اللَّه، فإنَّ اللَّه تعالى غفارُ الذنوب، مهما كثُرت وعَظُمت، إذا تاب منها الإنسانُ، فهو سبحانه واسعُ الرحمة، عظيم المغفرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الذنوب كلَّها تُغفر بالتوبة، إذا تاب منها الإنسان، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

الثاني: وفيه النهيُ عن اليأس من رحمة اللَّه، فإنَّ اللَّه تعالى لا يتعاظمه ذنبٌ، مهما كان عظيماً ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

الثالث: وفيه أنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله: من أنواع الكفر والمعاصي، كما قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]

٤٨١١ - عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: (جاءَ حَبْرٌ مِنَ الأحْبارِ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فقَالَ: يَا مُحمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ ٱللَّهَ يَجْعَلُ السَّمٰواتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ والثَّرَى عَلى إِصْبَعٍ، وسائِرَ الْخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

[أطرافه في: ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣].

شرح الحديث

رجلٌ من أكبر علماء اليهود، جاء إلى رسول اللَّه ﷺ، يُحدِّثه بما يجده في التوراة، من أمور تدلُّ على عظمة جلال اللَّه، وقدرته في هذا الكون، فقال: يا محمد إنَّا لنجد عندنا في التوراة، أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ، يجعل السموات يوم القيامة على أُصْبع، والأرضَ على أُصْبع، وسائر المخلوقات على أصبع، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أنا

الملكُ، أين ملوك الأرض؟ فضحك ﷺ تصديقاً لقوله، ثم تلا ﷺ قولَه تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

تفسيرُ الآية: إنَّ البشر لم يعرفوا ربَّهم حقَّ المعرفة، ولم يعظّموه حقَّ التعظيم، وهو العظيم الجليل، حيث عبدوا غيره، وهو جلَّ وعلا، المتصف بالقدرة الباهرة، فالأرض جميعها في قبضته، والسموات على سعتها وعظمتها بيمينه، يطويها كما تُطوى الصُّحُفُ، فأين هذا الإله العظيم الجليلُ، مما يعبده هؤلاء الجاهلون من آلهةٍ لا تضرُّ ولا تنفع ولا تقدر على فعل أيِّ شيء!؟

قال ابن عباس: (ما السمواتُ السبعُ، وما الأرضون السبعُ، في يد اللَّه عزَّ وجل، إلَّا كَخَرْدلة في يد أحدكم).

وفي حديث عبد اللَّه بن عمر، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قرأ هذه الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] وهو على المنبر، يقول بيده ـ أي يحرِّكها ﷺ ـ يُمجِّد اللَّهُ نفسَه، يقول: «أنا الجبَّارُ، أنا المتكبِّرُ، أنا المَلِكُ، أنا العزيزُ، أنا الكريمُ» فَرَجَفَ برسول اللَّه ﷺ المنبرُ، حتى قلنا ليخرَّنَّ به) رواه مسلم.

ويؤيده الحديث الآتي ذِكْرُه:

٤٨١٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه أنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ ٱللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**يَقْبِضُ ٱللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمٰوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**).

[أطرافه في: ٦٥١٩، ٧٣٨٢، ٧٤١٣].

تنبيه هامٌّ لطيف

هذه الأحاديث وأشباهُها، التي فيها ذكرُ (اليد، والأصبع، والقبض، والطيُّ، والإمساك للسموات والأرض، والضحك)، وغير ذلك، تُحمَلُ بطريق التمثيل، على عظمة اللَّه وجلاله، وبديع سلطانه، وبعضُ المحدِّثين يحملها على ظاهرها، مع عدم مشابهة الخالق جلَّ وعلا، لأحدٍ من مخلوقاته، وبعضُهم يأوِّلها بما تحتمله اللغةُ العربية من ضروب التصوير والتمثيل، لتقريب المعنى إلى مفاهيم البشر:

قال النووي رحمه اللّه: وظاهرُ هذه الأحاديث، يدلُّ على أن الرسول ﷺ ضحك تصديقاً لكلام الحَبْر، بدليل قراءته ﷺ الآية الكريمة ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٦٩]، والأولى في هذه الأمور، الكفُّ عن التأويل، مع اعتقاد التنزيه للّه عزَّ وجل، فإنَّ كل ما يستلزم النقصَ من ظاهرها غيرُ مراد. اهـ فتح الباري ٨/ ٥٥١.

٤٨١٣ ـ [طرفه في: ٢٤١١]، تقدّم شرحُه.

باب قولِ اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]

٤٨١٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قَالُوا: يَا أَبَا هرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْماً؟ قَالَ: أَبَيتُ، قَالَ: أَرْبَعُون سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيتُ، أَرْبَعُونَ شَهْراً؟ قَالَ: أَبيتُ!! «وَيَبْلَى كُلُّ شَيءٍ مِنَ الإنْسَانِ، إلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ».

[طرفه في: ٤٩٣٥].

شرح الألفاظ

(أَبَيْتُ) أي أمتنعُ عن القول بأنها أربعون يوماً، أو أربعون سنة، لأني لم أسمع ذلك مفصَّلاً من رسول اللّه ﷺ، ويُروى عن ابن عباس أنه قال: (ما بين النفخة والنفخة، أربعون سنة) واللّه أعلم بالحقيقة.

(عَجْبُ الذَّنَب) عَظْمٌ لطيفٌ مثلُ حبَّةِ الخردل، يوجد في أصلِ الصُّلْب، وهو المسمَّى برأسِ العُصْعُص، منه خُلِق الإنسانُ، ومنه يُركَّب عند النشأةِ الأُخرى.

شرح الحديث

حدَّث الصحابيُّ الجليل «أبو هريرة» رضي اللّهُ عنه، أنه سمع من رسول اللّه ﷺ

حديثَ النفخ في الصور، وأن المَلَك «إسرافيل» عليه السلام، ينفخ في الصور نفختين: **النفخة الأولى**: «نفخةُ الصعق» أي الإماتة، **والنفخة الثانية**: «نفخةُ الإحياء» كما قال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقد سمع أبو هريرة من رسول اللَّه ﷺ ـ حين حدَّث عن النفختين لفظَ الأربعين ـ ولمَّا سُئل رضي اللَّه عنه هلْ هي أربعون سنة؟ أم أربعون شهراً؟ أم أربعون يوماً؟ امتنع عن الإجابة، وقال: «أبيتُ» أي إني لا أقول إلَّا ما سمعتُه من رسول اللَّه ﷺ، وكأنه لم يسمعها إلَّا مجملةً، ولكنْ ورد عن ابن عباس ـ من وجهٍ ضعيف ـ أنه قال: **(ما بين النفخة والنفخة: أربعون سنة)** كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر، وهو الأظهرُ، واللَّه أعلم.

واعلمْ أنَّ كلَّ شيءٍ في الإنسان يبلى ويفنىٰ، إلَّا ذلك العظم اللطيفُ، الدقيقُ «عَجْبُ الذَّنَب» الذي يتركَّبُ منه الخلقُ يوم القيامة، لحديث: **(كلُّ ابنِ آدَمَ يأكله الترابُ، إلَّا عَجْبُ الذَّنَب، منه خُلق ومنه يُركَّب)**.

وللَّهِ عزَّ وجلَّ في هذا سرٌّ لا يعلمه إلَّا اللَّهُ، فهذا العظم اللطيف، الذي هو مِثْلُ حبَّةِ الخردل، يبقى في الإنسان، ولا يبلى، ليكون ذلك علامةً للملائكة، على أنَّ اللَّه تعالى سيعيد روحَ كلِّ إنسانٍ، إلى جسده بعينه، ويُحيي كلَّ إنسانٍ بجوهره، دون أن يكون هناك التباس، ولا يحصلُ العلمُ للملائكة بذلك، إلَّا بإبقاء عظم كلِّ شخص بذاته فيه.

تنبيه لطيف

قولُه ﷺ: **(كلُّ ابنِ آدمَ يأكله التراب)** هذا من العامِّ، الذي يراد منه الخصوصُ، لأن الأرضَ لا تأكل أجساد الأنبياء، كما جاء في الصحيح: **(إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء)** فهذه خصوصية للأنبياء الكرام، وألحقَ ابنُ عبد البرِّ الشهداء بهم، تكريماً لمقامهم الرفيع عند اللَّه تعالى، انظر عُمدة القاري ١٩/ ١٤٦.

٤٨١٥ ـ [طرفه في: ٣٦٧٨]، تقدّم شرحُه.

٤٨١٦ ـ [طرفاه في: ٤٨١٧، ٧٥٢١]، انظر شرحه من خلال النص.

٤٨١٧ ـ [طرفه في: ٤٨١٦]، تقدّم شرحُه.

سورة الشورى

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجَلَّ:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]

٤٨١٨ ـ عَنْ عَبْد اللَّه بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: «إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ».

[طرفه في: ٣٤٩٧].

شرح الحديث

هذا طرف من رواية البخاري، وأصلُ الحديث: (أنَّ ابنَ عباس رضي اللَّه عنه، سئل عن قول اللَّه عزَّ وجل ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، فقال سعيدُ بنُ جُبير: المرادُ بالقربى: قُربى آل محمد، ـ أي قرابة الرسول عصوبتُه وأرحامُه ـ فقال له ابنُ عباس: عجلتَ في التفسير، إنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن بطنٌ من قريش إلَّا كان له فيهم قرابة، **والمعنى**: إلَّا أن تَصِلُوا ما بيني وبينكم من القرابة).

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: وكأنه ﷺ يقول لهم: احفظوني للقرابة، إن لم تحفظوني للنبوَّة، والخطابُ لقريش خاصة. اهـ فتح الباري ٨/ ١٦٤.

شرحُ الآية الكريمة: قل لهم يا أيها الرسول: أنا لا أسألكم على تبليغ الدعوة والرسالة، شيئاً من المال والأجر، إلَّا أن تحفظوا ما بيني وبينكم من حقِّ القربى، وتودُّوني لقرابتي منكم، ولا تؤذوني بسبب ما بيني وبينكم من القرابة وهذا كما تقول لقائلٍ أحسنتَ إليه: أنا لا أطلب شيئاً لإحساني إليك، إلَّا أن تكفَّ شرَّك عني!! اهـ من التفسير الواضح الميسر ص ١٢١٩.

٤٨١٩ ـ [طرفه في: ٣٢٣٠]، تقدّم شرحه.

٤٨٢٠ ـ [طرفه في: ١٠٠٧]، تقدّم شرحه.

٤٨٢١ ـ [طرفه في: ١٠٠٧]، تقدّم شرحه.

سورة الدخان

بابُ قول اللَّه عزَّ وجَلَّ:

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢]

٤٨٢٢ ـ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه، أنه قال إنَّ من العلم أن نقول لما لا تعلم: اللَّه أعلم، إن اللَّه قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] (إنَّ قريشاً لما غَلَبُوا النبيَّ ﷺ واستَعْصَوا عليه، قال: **(اللهمَّ أعنِّي عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسف)**، فأخذتهم سَنَةٌ أكلوا فيها العِظامَ، والميتةَ من الجَهْد، حتى جعل أحدُهم يرى ما بينه وبين السماء، كهيئة الدخان من الجوع، قالوا: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فقيل له: إنْ كشفنا عنهم عادوا، فدعا رسولُ اللَّه ﷺ ربَّه فكشف عنهم، فعادوا، فانتقم اللَّه منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ . . .﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١٦].

[طرفه في: ١٠٠٧].

تنبيه لطيفٌ هام

تقدَّم شرح هذا الحديث، وتوضيحُ معناه في سورة الروم، وغرضُ ابنِ مسعود هنا: الردُّ على من فسَّر كتاب اللَّه بغير علم، فإنَّ تفسير الدخان بأنه سيأتي يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، كما كان يقوله المتحدِّث في الكوفة فإنه غير صحيح، كما بيَّنه ابن مسعود، ولهذا اشتدَّ غضبُ ابنِ مسعود، وقال: إنَّ من العلم أن تقول لما لا تعلمُ: (اللَّهُ أعلمُ) وارجعْ إلى الحديث في سورة الروم.

٤٨٢٣ ـ [طرفه في: ١٠٠٧]، تقدّم شرحُه.

٤٨٢٤ ـ [طرفه في: ١٠٠٧]، تقدّم شرحُه.

٤٨٢٥ ـ [طرفه في: ١٠٠٧]، تقدّم شرحُه.

سورة الجاثية

بابُ قولِ اللّه عزَّ وجَلَّ:

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤]

٤٨٢٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، عَنْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ أنّه قال: (قَالَ اللّه عَزَّ وجَلَّ: يُؤْذِيني ٱبْنُ آدَمَ، يَسُبُّ ٱلدَّهْرَ، وَأَنَا ٱلدَّهْرُ، بِيَدِي الأمْرُ، أُقَلِّبُ ٱللَّيْلَ وَالنَّهارَ).

[طرفاه في: ٦١٨١، ٧٤٩١].

شرح الحديث

هذا الحديث من الأحاديث القدسية، التي رواها رسول اللّه ﷺ عن ربه، أوحى اللّه إليه بالمعنى، لا باللفظ نفسه، والمراد من قوله (يؤذيني ابنُ آدم) **قال الطيبيُّ**: الإيذاءُ: إيصالُ المكروه إلى الغير، قولاً وفعلاً، وإيذاءُ اللّهِ عبارة عن فعل ما يكرهه اللّه، ولا يرضى به، واللّهُ منزَّهُ عن أن يصل إليه الأذى من أحد، فإنه الغنيُّ عن العالمين، لا تنفعه طاعةٌ، ولا تضرُّه معصيةٌ.

كان من عادة العرب، أنه إذا أصابهم مكروهٌ، أضافوه إلى الدهر، فقالوا: بؤساً للدهر، وتبًا للدهر، يرونه الفاعلَ لهذه الأشياء، فيسبُّون الدهر، ويقولون عند ذكر موتاهم: أبَادَهُم الدَّهْرُ، ينسبون ذلك إليه، ولا يرون الأشياءَ من قضاء اللّه وقَدَره، فأخبر تعالى أنَّ الدهر لا يفعل شيئاً، إنما الفاعل الحقيقي هو اللّهُ ربُّ العالمين، فلا ينبغي لأحدٍ أن يسبَّ الدهر، لأن اللّه تعالى هو المتصرف في الزمان والمكان، فإذا سبَّ الإنسانُ الدهر، فكأنه سبَّ اللّهَ عز وجل، ولهذا ورد في الصحيح: **(لا تقولوا يا خيبة الدهر، فإن اللّه هو الدهرُ)** رواه مسلم.

ومعنى قوله: (أنا الدهرُ) أي أنا خالقُ الدَّهْر، ففيه مجازٌ بالحذف، كقوله سبحانه: ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهلَ القرية.

قال العيني: كان العرب إذا أصابتهم مصيبة، يسبُّون الدهر، وينسبون الأحداث إليه،

فيقولون: أبادهم الدَّهرُ، ويقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] فيرون الفاعل لهذه الأشياء، هو الدَّهر نفسُه، فبيَّن تعالى أنه جلَّ وعلا هو مدبِّر الأمور، والمتصرف فيها كيف شاء، على وفق علمه وإرادته، وليس للدهر شيء من الملك والتصرف.

وفي قوله: (أنا الدَّهرُ أقلِّب الليلَ والنهارَ) قرينةٌ قويةٌ دالة على أن المضاف في قوله: «أنا الدهرُ» محذوفٌ، وأنَّ أصلَ الكلام: أنا خالقُ الدهر، لأن الدهرَ يرادُ به الزمانُ مطلقاً، والليلُ والنهار زمان، لا يفعلان شيئاً، فنُسب إلى اللَّه على أنه مقلِّبُ الليل والنهار، فمن سبَّ الدهرَ، فكأنَّما سبَّ الخالقَ المتصرِّفَ في الكون والزمان. اهـ عمدة القاري ١٩/ ١٦٧.

تفسير الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] أي قال المشركون المنكرون للبعث والنشور: لا حياة بعد هذه الحياة الدنيا، يموت بعضُنا، ويحيا بعضُنا، ولا حسابَ، ولا جزاء، ولا آخرة، وما يُفنينا إلَّا تعاقبُ الأعوامِ والدهور، وليس بعد هذه الحياة شيءٌ ممَّا يقوله الرسلُ، أو جاءت به الأديان.

وهذه عقيدة الملاحدة الذين ينكرون وجود اللَّه، وينكرون الآخرة، وينسبون الخلق والإحياء، والإماتة والإفناء، إلى «الطبيعة» فيقولون: الطبيعةُ أوجدتنا، والطبيعةُ تطوينا، وما يهلكنا إلَّا الدهر!! وما هي إلَّا ظنونٌ منهم وأوهام، ظنُّوها حقائقَ علمية، واعتمدوا عليها في إنكار يوم الحساب، ولهذا ردَّ اللَّه عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وانظر كتابنا «التفسير الواضح الميسر» ص ١٢٦٠.

٤٨٢٧ ـ انظر شرحه من خلال النص.

سورة الأحقاف

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجَلَّ:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٦]

٤٨٢٨ ـ [طرفه في: ٦٠٩٢] تقدَّم شرحه.

٤٨٢٩ ـ عَنْ عَائِشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أنها قالت: (مَا رَأَيْتُ

رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَواتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ!!

وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْماً أَوْ رِيحاً عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤَمِّنُنِي أَن يَكُونَ فِيهِ عَذابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا»!!.

[طرفه في: ٣٢٠٦].

شرح الألفاظ

(لَهَواتِهِ) جمعُ لَهَاةٍ، وهي اللَّحْمَةُ المتعلِّقةُ في أعلى الحَنك، ويُجمع أيضاً على «لَهىً».

(غَيْماً أَوْ رِيحاً) أي إذا رأى الغيم في السماء، أو اشتدَّ عصفُ الريحِ.

(عُرِفَت الكَرَاهِيَةُ في وَجْهِهِ) الكراهيةُ من أفعال القلوب التي لا تُرى، ولكنَّ القلبَ إذا فرح، تبلَّج الجبينُ، فإذا حزِن تَربد الوجهُ وتغيَّر، فعبَّرتْ عن الشيء الظاهر في الوجه بالكراهية، لأنه ثمرتُها.

(ما يُؤَمِّنُني) أي ما الذي يجعلني آمناً، وقد أُهلك قومٌ بالريح الصَّرْصَر العاتية؟

شرح الحديث

تقدَّم الحديثُ وشرحُه في كتاب «بدء الخلق» والغرضُ منه هنا: بيانُ أنَّ النبيَّ ﷺ كان ضحكُه التبسُّمُ، ولم يكن يضحك بملء فمه، إنما كان يتبسم، وكان ﷺ يقول لأصحابه: **(لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً)** وذلك لشدة خوفه من اللّهِ ومعرفته باللّه عزَّ وجلَّ، والقلبُ العامرُ بالإيمان، وبجلال وعظمة الرحمٰن، لا يستملكه الضحكُ، كيف وهو ﷺ القائل: (ولا تُكْثِر الضحكَ، فإنَّ كثرة الضَّحكِ تُميتُ القلب)!؟ رواه الترمذي.

والحديثُ يشير إلى ما حلَّ بقوم عاد من العذاب، فإنهم لمَّا رأوا السحاب استبشروا، وقالوا: هذا سحابٌ مبارك، يأتينا بالمطر المدرار، فكان العذاب المدمِّر لهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥].

سورة محمد

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]

٤٨٣٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّه الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ، قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَت بِحَقْوِ الرَّحْمٰنِ، فَقَالَ لَهَا: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فذَاكِ»!! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]).

[طرفه في: ٤٨٣١، ٤٨٣٢، ٥٩٨٧، ٧٥٠٢].

شرح الألفاظ

(فَرَغَ مِنْهُ) أي فلمَّا قضى اللَّهُ خلْقَ الخلْقِ، وأتمَّه على وجهِ الإبداع والكمال.

(أَخذَتْ بِحقْوِ الرَّحْمٰنِ) الحَقْوُ: معقدُ الإزار، وهو الموضعُ الذي يُمْسِكُ به المستجير، عند طلب الإغاثة، وهو من باب «الاستعارة التمثيلية» استُعير للاستعاذة باللَّه من القطيعة، شبَّه الرَّحِمَ بإنسانٍ أمسك بإزارِ رجلٍ عظيم، مستجيراً به، كعادة العرب، حين يلجأون إلى عظيم القوم، ويستجيرون به.

(مَهْ) اسمُ فعلِ أمرٍ بمعنى اكْفُف، تستعمل لقصد الترك والزجر.

(مَقَامُ العَائِذِ) أي قيامي هذا هو قيامُ المستغيث بك من القطيعة.

شرح الحديث

قرابةُ النَّسَب، وصِلَةُ الرحم، أمرُها عظيمٌ وكبير عند اللَّه تعالى، فقد قال

سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١] أي احذروا عذاب اللّه أن تقطعوا الأرحام، وقد أخبر ﷺ أنَّ اللّه تعالى لمَّا خَلَق آدمَ وذريته، قامت الرحمُ فاستجارت باللّه، وقالت: هذا مقام الملتجئ إليك يا رب من قطيعة الرحم، فقال اللّه لها: ألَا ترضَيْنَ أن أُكرم وأُحسِنَ إلى من وصَلَك، وأُبْعِد وأعذِّب من قَطَعكِ!؟ قالت: بلى يا رب رضيتُ!!

ثم قال أبو هريرة: (اقرؤوا إن شئتم قول اللّه عزَّ وجل: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]).

ومعنى الآية الكريمة: لعلَّكم إنْ أعرضتم عن الإسلام، أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، من سفك الدماء، وتقطيع الأرحام، في سبيل جمع الحُطام، أولئك الأشقياء هم الذينَ طرَدَهم اللّه من رحمته، وأصمَّهم عن سماع الحقِّ، وأعمى أبصارهم، فلا يهتدون إلى سبيل الرشاد!!

صوَّرهم تعالى بهذا التصوير الشنيع، صورة (البهيمة) التي لا تعقل، لأنهم عطَّلوا حواسَّهم، فاستحقوا هذا الوصف الذميم، **قال قتادة:** كيف رأيتم القومَ حين تولَّوا عن كتاب اللّه، أَلَمْ يسفكوا الدَّمَ الحرام، ويقطعوا الأرحام، ويعصوا الرحمٰن!؟

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه تحريمُ قطيعة الرحم، وأنها من الكبائر عند اللّه تعالى، وفي قطيعتها تهديمُ بنيان المجتمع الإنساني، الذي قال اللّه عنه: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

الثاني: وفيه التمثيلُ للأمر الخطير، بمن يستغيثُ بالملكِ أو الأمير، لدفع الظلم والعُدوان عنه، وهو من باب (الاستعارة التمثيلية). وانظر عُمدة القاري ١٩/ ١٧٣.

٤٨٣١ ـ [طرفه في: ٤٨٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٨٣٢ ـ [طرفه في: ٤٨٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٨٣٣ ـ [طرفه في: ٤١٧٧]، تقدّم شرحُه.

٤٨٣٤ ـ [طرفه في: ٤١٧٢]، تقدّم شرحُه.

٤٨٣٥ ـ [طرفه في: ٤٢٨١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٣٦ ـ [طرفه في: ١١٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٨٣٧ ـ [طرفه في: ١١١٨]، تقدّم شرحُه.

٤٨٣٨ ـ [طرفه في: ٢١٢٥]، تقدّم شرحُه.

٤٨٣٩ ـ [طرفه في: ٣٦١٤]، تقدّم شرحُه.

٤٨٤٠ ـ [طرفه في: ٣٥٧٦]، تقدّم شرحُه.

٤٨٤١ ـ [طرفاه في: ٥٤٧٩، ٦٢٢٠]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٥٤٧٩.

٤٨٤٢ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٨٤٣ ـ [طرفه في: ١٣٦٣]، تقدّم شرحُه.

٤٨٤٤ ـ [طرفه في: ٣١٨١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٤٥ ـ [طرفه في: ٤٣٦٧]، تقدّم شرحُه.

٤٨٤٦ ـ [طرفه في: ٤٦١٣]، تقدّم شرحُه.

٤٨٤٧ ـ [طرفه في: ٤٣٦٧]، تقدّم شرحُه.

٤٨٤٨ ـ [طرفاه في: ٦٦٦١، ٧٣٨٤]، سيأتي شرحه في الحديث التالي رقم ٤٨٥٠.

٤٨٤٩ ـ [طرفاه في: ٤٨٥٠، ٧٤٤٩]، سيأتي شرحه في الحديث التالي رقم ٤٨٥٠.

«سورة قٓ والقرآن المجيد»

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجَلَّ:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]

٤٨٥٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: (تحاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالمتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفاءُ النَّاسِ وَسَقطُهُم!؟

قَالَ ٱللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْت رَحْمَتي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشاءُ مِنْ عِبادِي.

وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا!!

فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَداً.

وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقاً).

[طرفه في: ٤٨٤٩].

شرح الألفاظ

(تحاجَت) أي تخاصمت الجنةُ والنَّارُ، عند ربِّ العزة والجلال، وكلُّ واحدةٍ ذكرت شكواها.

(أُوثِرْتُ بالمُتَكَبِّرِينَ) أي قالت النَّارُ: اختصصتُ وفُضِّلتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين، فهؤلاء نصيبي وحظِّي من البشر.

(سَقَطُهُمْ) أي وقالت الجنة: لماذا لا يدخلني إلَّا ضعفاءُ النَّاسِ، والبُلْهُ، والمساكينُ، والفقراءُ من البشر، الذين لا قدر لهم عند أحد؟

(أنتِ رَحْمَتِي) أي قال اللَّهُ للجنة: أنتِ مكانُ رحمتي وكرامتي، أُدخِلُ إليك المقرَّبين عندي، وهم الذين أطاعوني وعبدوني، وأكرمهم بجواري.

(أنتِ عَذَابي) أي وقال اللَّه للنار: أنتِ مكانُ سَخَطي وعذابي، أُعذِّبُ بكِ من كفَرَ بي، وجَحَدني، وأطاعَ الشيطانَ وعصاني.

(وَلِكُلِّ مِلْؤُهَا) أي ولكلِّ واحدةٍ منكما حقٌّ عليَّ أَنْ أملأَها، كما قال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]

(قَطْ قَطْ) أي حَسْبي حَسْبي، يكفيني نصيبي من البشر.

(يُزْوَى بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ) أي يُضَمُّ بعضُها إلى بعض، فتلتحم على من فيها، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

شرح الحديث

هذا الحديثُ من أحاديث الصفات المشهورة، ففيه ذكرُ القَدَم، والرِّجْلِ، للَّهِ عزَّ

وجلَّ، وفيه كلامُ الجنة والنار، ومحاجتهما عند ربِّ العزة والجلال، ولأئمة علماء الحديث والتفسير، في أحاديث الصفات، وآياتِ الصفات، مذهبان شهيران هما:

الأول: **مذهبُ السَّلَف**، وهو مذهب المتقدِّمين من علماء الأمة، من الصحابة والتابعين وأتباعهم، قالوا: الواجبُ إمرارُها كما وردتْ، والإيمانُ بأنها حقٌّ، على ما أراد اللَّهُ تعالى، دون الخوض في معناها، وأنَّ لها معنى يليق به سبحانه، وظاهرها غير مراد، ويسمى هذا المذهب (مذهب المفوِّضة) أي يفوِّضون أمرها إلى اللَّه عزَّ وجل، على ما أراده المولى سبحانه.

الثاني: **مذهبُ المتكلِّمين من الخَلَف** ـ أي المتأخرين من علماء الأمة ـ فإنهم جنحوا إلى حملها على ما تقتضيه اللغةُ العربيةُ، من معانٍ استعمَلَها العربُ في أساليبهم، فيها استعارة، أو مجاز، أو ضربٌ من التمثيل، والتشبيه، كقولهم: أُسْقِطَ في يده، ورَغِمَ أنفه، وتَرِبتْ يمينُه، وأمثالُ ذلك، وهو مذهب أهل التأويل.

قال الحافظ ابن حجر: اختُلف في المراد بالقَدَم، في قولهﷺ: **(حتى يضع الجبَّار قَدَمه فتقول قَطْ، قَطْ)** أي حَسْبي، حسبي، فطريقُ السَّلفِ في هذا وغيرهِ مشهورةٌ، وهي أن تُمَرَّ كما جاءتْ، ولا يُتعرَّضُ لتأويلها، مع اعتقادهم استحالة ما يوهمُ النَّقصَ على اللَّه تعالى.

قال: وخاضَ أهلُ العلم من الخَلَف في تأويل ذلك، وأرجحُ ما قالوه، أنَّ المراد بقوله: (يضع قَدَمه) إذلالُ جهنم ـ بعد أن تستعرَ وتتأجَّج، وترمي بشرر كالقصر ـ فإنها إذا بالغَتْ في الطغيان، وطلَبِ المزيد من البشر، أذلَّها اللَّهُ، فوضعها تحت القدم، وليس المراد حقيقة القَدَمِ، فإنَّ العرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال، ولا تُريد أعيانَها، كقولهم: رَغِمَ أنفُه ـ أي ذلَّ وهان، وسُقِطَ في يده ـ أي ندم على ما فعل ـ فهو كنايةٌ عن شدة الندم، ولهذا يقال لكل خائب في عمله: سُقط في يده ـ ولا يريدون حقيقة أعيانها. اهـ فتح الباري ٨/ ٥٩٦.

أقول: أساليبُ العرب في التعبير، بديعةٌ وعجيبة، وكثيرٌ من كلامهم جاء بطريق التمثيل، فقد قالوا عن المتردِّد في أمره: (يُقدِّم رِجْلاً، ويؤخِّر أخرى)، وقالوا عن البخيل: (يدُه مقبوضة)، وقالوا عن العفيف: (طَاهِرُ الثوب)، وعن المرأة الفاجرة الزانية: (لا تَردُّ يدَ لامِسٍ)، ومنه قولُ بعضهم بطريق التمثيل، لا الحقيقة: (قال الحائطُ للمسمار: لِمَ تشقُّني؟ قال: سَلْ من يُدقُّني)، وليس هنا كلامٌ من المِسْمَار أو الحائط، وهذا شيء كثيرٌ مستفيضٌ في أساليب العرب، وارجع إلى كتابنا **«الإبداعُ البياني في القرآن العظيم» ففيه روائعُ وبدائعُ، من الأساليب العربية، التي استعملها بلغاءُ العرب.**

قال الإمام النوويُّ رحمه اللَّه: هذا الحديث **(لا يزال جهنم يُلقى فيها وتقول هل من مزيد)**: يمكن حملُه على ظاهره، وأنَّ اللَّهَ يخلقُ في الجنة والنار تمييزاً، يُدْركان به، ويَقْدِران على المراجعة والاحتجاج، ويحتمل أن يكون بلسان الحال ـ أي على سبيل التمثيل وضربِ المَثَل ـ لبيان سَعَة جهنم، بحيث تستوعب جميعَ الكفرة والعصاة، وأنه مهما أُلقي فيها من خلائق، فإنها تَسعُهم، وإنما تقول: هل من مَزِيد؟ تغيظاً على الكفرة والعُصاة، كما قال سبحانه: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] أي تكاد جهنَّمُ تَتَقَطَّع من شدة غضبها على أعداء اللَّه، وهو تصوير فنيٌّ بديع.

وحديثُ الباب يؤكِّده الحديث التالي، الذي أورده البخاري في صحيحه، وفيه لفظُ (القَدَم)، ونصُّه:

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(يُلقى في النار وتقول: هل من مزيد، حتى يضَعَ قدمَه، فتقول: قَطْ، قَطْ)** أي حَسْبِي، حَسْبِي، وقد ورد ذكرُ القَدَم صراحةً في رواية أخرى، ذكرها البخاري من رواية أبي هريرة، ولفظُها: **(يقال لجهنَّمَ هل امتلأت؟ وتقول هل من مزيد؟ فيضعُ الربُّ تبارك وتعالى قَدَمه عليها، فتقول: قَطْ، قَطْ)** ومثلُ هذه الروايات تحتاج إلى توضيح، فنقول: إن اللَّه تعالى يتجلَّى عليها باسم العزيز الجبار، فتهدأ النارُ وينكمش بعضُها على بعض، وتكتفي بمن يُلقى فيها.

«قصةٌ طريفةٌ وعَجيبة»

ذُكر أنَّ أحد المستشرقين البريطانيِّين، زار مصر، والتقى بأديب العربية الأستاذ «محمد صادق الرافعي» وسأله: هل أنت ممن يؤمن (بالإعجاز القرآني) كما هو أمر عامة المسلمين ودهمائهم؟ أم لك نظرة أخرى تختلف عما يقولون؟

فقال له الرافعي: إذا أردتَ أن تعرف كلاماً بديعاً جميلاً، يصوِّر لك المناظرةَ والجَدَل، فلا بدَّ أن تبذل محاولةً جادَّة، لِمُحَاكاة الأديب في أسلوبه، لتعرف حقيقة ما ينطوي عليه من قدرةٍ أو عجز، ثم دفع إليه ورقةً وقَلَماً، وقال له: ائتني بلفظٍ بيانيٍّ، عربيّ فصيح، يعبِّر عن ضخامة جهنم، وكِبَرِ حجمها، وتناول هو ورقةً وقلماً، كأنه يريد أن يعبِّر بأسلوبه البديع، عن ذلك المطلوب.

أخذ المستشرق يصوغ عباراتٍ عربيَّة، تشير إلى ضخامة نار الجحيم، فكتب: جهنمُ واسعة جداً . . !

إنَّ جهنم لأوسعُ مما تظنون!

إنَّ جهنم لا يتصورها خيالُ إنسان...) إلخ العبارات التي دبَّجها، ثم عَرَضها على أديب البيان، وسأله: هل جاء القرآنُ بلفظٍ أبدعَ من هذا الذي كتبتُه؟ فضحك الرافعي ضحكة طويلة، وهزَّ رأسه، وخاطب المستشرق قائلاً له: لقد كنَّا أطفالاً وأقزاماً، أمام الإبداع البياني، في سحر القرآن وإعجازه!! قال له المستشرق: وماذا جاء في تعبير القرآن؟ قال: اسمع ماذا قال القرآن عن ضخامة جهنم ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟ [ق: ٣٠] فقد جاء بصورة مناظرة، ومحاورة بين شخصين، فيه سؤالٌ وجواب، وتحاورٌ وخطاب، بطريق (التمثيل الإبداعي) الذي يسلب الألباب، بأسلوبه الممتع، وبيانه المعجز، فما كان من المستشرق إلَّا أنْ ألقى السلاحَ، وأقرَّ واعترفَ بالإعجاز القرآني! فما جاء في الآية الكريمة إذاً، هو من (باب التمثيل) والتصوير لسعة نار جهنم، أجارنا اللَّه منها.

أقول: ما أجملَ ما قاله بعضُ الأدباء، عن (فقر العلماء)، الذين لم يُذلُّوا أنفسهم بطلب الدنيا، وصوَّرَ لهم بهذا التمثيل البديع:

قُلْتُ لِلْفَقْرِ: أَيْنَ أَنْتَ مُقِيمٌ؟ قَالَ لِي: فِي عَمَائِمِ العُلَمَاءِ
إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لإخَاءً وَعَزِيزٌ عَلَيَّ تَرْكُ الإخَاءِ

هذا في العلماءِ الرَّبَّانيِّين، أمَّا علماءُ الزمان ـ إلَّا من رحمَ اللَّهُ ـ فقد طلَّقوا الفقرَ، رغبةً في ما عند السلطان، فلم يعد لهم هيبةٌ عند الحكام.

٤٨٥١ ـ [طرفه في: ٥٥٤]، تقدّم شرحُه.

٤٨٥٢ ـ انظر شرحه من خلال النص.

٤٨٥٣ ـ [طرفه في: ٤٦٤]، تقدّم شرحُه.

سورة الطُّور

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجلَّ:

﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١ ـ ٣]

٤٨٥٤ ـ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّه قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ

فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بلَغَ هذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [٣٥ ـ ٣٧]. كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِير)!!.

[طرفه في: ٧٦٥].

شرح الحديث

لهذا الحديث الشريف قصة بديعة، وهي أن «جُبَيْرَ بنَ مُطْعم» ـ قبل إسلامه ـ سافر إلى المدينة المنوَّرة، ليسأل الرسولَ ﷺ في أسارى بدر، ويعرض عليه موضوع الفداء، فأدركه في صلاة المغرب، وهو يقرأ بسورة الطُّور، يقول: فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً أو قراءةً منه، فوقف يستمع لقراءته، فلمَّا قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ * مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨] قال: فأسلمتُ خشيةَ أن ينزل بي العذابُ، وبقي ﷺ يقرأ، فلَمَّا انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦] يقول جُبير: شَعَرتُ أن قلبي قد طار من جنبي!! فأسلم رضي اللَّه عنه لسماع هذه الآيات.

وما ذلك إلَّا من تأثير القرآن العظيم، بعد أن فهم مغزاه ومعناه، حتى كاد قلبه يتصدَّعُ من روعة بيانه، وقوة برهانه، وما فيه من قوة الحجة والبيان.

تفسيرُ الآيات البيِّنات:

لقد وضعهم القرآنُ الكريم أمامَ ثلاثِ افتراضات:

الأول: أن يكون وجودُهم من غير خالق، وهذا أمرٌ ظاهرُ البطلان، لأن المخلوق لا بدَّ له من خالق.

الثاني: أن يكونوا هم الذين خَلَقوا أنْفُسَهم، وهذا أشدُّ من سابقه في البطلان، لأن من لا وجودَ له، كيف يَخْلُق؟

الثالث: أن يكونوا هم الذين خلقوا هذا الكون، في سماواته وأرضِهِ، وهذا أشدُّ بطلاناً من السابق، فإذا بطلت هذه الافتراضات ـ بمنطق الفطرة والعقل ـ ثبت وجودُ الخالق المبدع الحكيم، وهذه من حجج القرآن الباهرة، في إفحام الخصم، وإقامة الحجة عليه، ولهذا قال جُبير حين سمع تلك الآيات: كاد قلبي أن يطير.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ جمال صوت النبيِّ ﷺ بتلاوة القرآن، ولهذا قال: فما سمعت أحداً أحسن صوتاً، وقراءةً منه.

الثاني: وفيه التأثير البالغ على قلب الإنسان، حين يتدبَّرُ آياته البينات، وصدق اللّه العظيم حيث يقول: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١] فإذا كان هذا حال الجبالِ، فكيف يكون حالُ الرجال؟

٤٨٥٥ ـ [طرفه في: ٣٢٣٤]، تقدّم شرحُه.

٤٨٥٦ ـ [طرفه في: ٣٢٣٢]، تقدّم شرحُه.

٤٨٥٧ ـ [طرفه في: ٣٢٣٢]، تقدّم شرحُه.

٤٨٥٨ ـ [طرفه في: ٣٢٣٣]، تقدّم شرحُه.

٤٨٥٩ ـ وانظر شرح الحديث القادم.

سُورَةُ النَّجْم

بابُ قول اللّه عزَّ وجَلَّ:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]

٤٨٦٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ أنه قال: (مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّه!! وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ).

[أطرافه في: ٦١٠٧، ٦٣٠١، ٦٦٥٠].

شرح الألفاظ

(اللَّاتِ والعُزَّىٰ) صنمان من أصنام قريش، كان المشركون يعظِّمونهما

ويعبدونهما من دون اللَّه، سمَّوا أصنامهم بأسماء اللَّه تعالى، فاللّات مأخوذٌ من لفظ «اللَّه» أرادوا أن يسمُّوا إلههم الباطلَ باسم «اللَّهِ» فصرفهم اللَّه تعالى إلى «اللَّات» صوناً لاسمه الكريم، وحفظاً لحرمته، وأمَّا «العُزَّى» فهي شجرةٌ لِغَطَفان كانوا يعبدونها، وهي التي بَعَثَ رسولُ اللَّه ﷺ إليها «خالدَ بن الوليد» فَقَطَعَها، وله قصةٌ مشهورة معها.

(فلْيقُلْ لَا إلٰه إلَّا اللَّهَ) أي ليجدِّدْ إيمانَه بقوله: «لا إلٰه إلا اللَّه» فإنَّ الحلف بغير اللَّه تعالى شركٌ.

(أُقامِرْك) من المقامرة، وهي اللعبُ بالقمار المحرَّم، ويسمى في الشريعة: (المَيْسِر)، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المائدة: ٩٠].

شرح الحديث

أمر الرسولُ ﷺ من حَلَف باللّات والعُزّى، أن يقول: (لا إلٰه إلا اللَّه) لأنَّ القَسَم واليمينَ إنما يكون بالمعبود الحقِّ، الذي يُعظَّم، فمن حلف باللات والعُزَّى فقد شَابَه المشركين في ضلالهم وكفرهم، فأمر ﷺ أن يتداركه بكلمة التوحيد، ليجدِّد إيمانَهُ، كما أوصى من قال لغيره: تعال نلعبُ بالقمار، فلْيتصدَّق بشيء من المال، كفارةً لخطيئته، التي تلفَّظ بها.

قال الخطابي: يتصدَّق بمقدار ما كان يريد أن يُقَامِرَ به.

وقال النووي: الصوابُ أَنْ يتصدق بما تيسَّر، ممَّا يُطلق عليه اسم الصدقة. اهـ عمدة القاري ١٩/ ٢٠٢.

تفسير الآية الكريمة: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۞ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢١] أي أخبروني يا معشر الكفار، عن هذه الآلهة المزعومة، التي تعبدونها من دون اللَّه، (اللات، والعزى، ومناة)، هل لها قدرة توصف بها؟ وهل أوحتْ إليكم بشيء، كما أوحى اللَّه إلى محمد ﷺ؟ أم هي جمادات لا تعقل، ولا تسمع، ولا تُبصر، ولا تنفع داعيها شيئاً من النفع؟

أقول: لقد عَبَدَ المشركُونَ الأصنام والأوثان، واشتقوا لها من أسماء اللَّه الحُسنى، فاللّات عندهم من اسم الجلالة (اللَّه) و(العُزَّى) من اسم اللَّه العزيز، و(مَنَاة) من اسم اللَّه المنَّان، وهذه أشهرُ أصنام العرب، وأعظمها قداسةً، ومن عجيب أمرهم، أنهم جعلوا الآلهة إناثاً، وقالوا عن الملائكة إنهم «بناتُ اللَّه»، ولهذا جاء التوبيخ لهم، بأسلوب السُّخْرية والتَّهَكُّم، فقال سبحانه: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾

[النجم: ٢١]؟ أي عَجَباً لكم، تجعلون لأنفسكم النوع المحبوب من الأولاد، وهم «الذكور» وتجعلون لربكم النوعَ المذمومَ، وهو «الإناث» وهو أسلوبٌ في منتهى الذمِّ والتقبيح، ولهذا قال بعده: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢] أي هذه قسمة جائرة ظالمة، غيرُ عادلة، حيث جعلتم لربكم ما تكرهون. اهـ. وانظر التفسير الواضح الميسَّر للصابوني ص ١٣٣٤.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه تحريمُ الحلف باللات والعُزَّى، لأن فيه مشاركةَ المشركين في عبادتهم للأصنام، والحلفُ لا يجوز إلَّا باللَّه، أو بصفةٍ من صفاته الحسنى.

الثاني: وفيه أنَّ من حلف بهذه الأسماء الباطلة، التي كان يعبدها المشركون، فعليه أن يجدِّد إيمانَه، وينطق بكلمة التوحيد.

الثالث: وفيه تحريمُ اللعب بالميسر (القمار) وأنَّ من دعا غيره إليه، فعليه أن يتصدَّق بشيء من المال، لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

٤٨٦١ ـ [طرفه في: ١٦٤٣]، تقدّم شرحه.

٤٨٦٢ ـ [طرفه في: ١٠٧١]، تقدّم شرحه.

٤٨٦٣ ـ [طرفه في: ١٠٦٧]، تقدّم شرحه.

٤٨٦٤ ـ [طرفه في: ٣٦٣٦]، تقدّم شرحه.

٤٨٦٥ ـ [طرفه في: ٣٦٣٦]، تقدّم شرحه.

٤٨٦٦ ـ [طرفه في: ٣٦٣٨]، تقدّم شرحه.

٤٨٦٧ ـ [طرفه في: ٣٦٣٧]، تقدّم شرحه.

٤٨٦٨ ـ [طرفه في: ٣٦٣٧]، تقدّم شرحه.

٤٨٦٩ ـ [طرفه في: ٣٣٤١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٧٠ ـ [طرفه في: ٣٣٤١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٧١ ـ [طرفه في: ٣٣٤١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٧٢ ـ [طرفه في: ٣٣٤١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٧٣ ـ [طرفه في: ٣٣٤١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٧٤ ـ [طرفه في: ٣٣٤١]، تقدّم شرحُه.

٤٨٧٥ ـ [طرفه في: ٢٩١٥]، تقدّم شرحُه.

سورة القمر

باب قول الله عزَّ وجلَّ:
﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦]

٤٨٧٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أنها قَالَتْ: (لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّة، وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾).

[طرفه في: ٤٩٩٣].

شرح الحديث

تحكي لنا أمُّ المؤمنين السيدةُ (عائشةُ) رضي اللَّه عنها، أنَّ قولَه تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦] نزلت على رسول اللَّه ﷺ بمكة، وهي طفلةٌ صغيرة السِّنِّ، تلعب مع الأطفال.

ولهذا الحديث قصةٌ، ذكرها البخاري في كتاب (فضائل القرآن) وهي أنَّ عراقياً جاء إليها فقال لها: يا أمَّ المؤمنين: أيُّ الكَفَن خير؟ فقالت له: ويحك وما يضرُّك؟ ـ تعني أيُّ شيءٍ يضرُّك بعد موتك، أن يكون الكفنُ ناعماً أو خَشِناً ـ فقال لها: أريني مصحفكِ، لعلّي أتَّخذ مصحفاً مرتَّباً على طريقة مصحفك!! فقالت له: وماذا يضرُّك، أيَّةَ آيةٍ قرأتَ قبل؟ إنما نزلَ أوّلُ ما نزل من القرآن، سُوَرٌ من المفصَّل ـ يعني قصار السور ـ فيها ذكرُ الجنة والنار، حتى إذا ثاب ـ أي رجع ـ الناسُ إلى الإسلام، نزل الحلالُ والحرام، ولو نزلَ أوّلَ شيء: «لا تشربوا الخمر» لقالوا: لا نَدَع الخمر أبداً، ولو نَزَلَت: «لا تَزْنُوا» لقالوا: لا نَدَعُ الزِّنا أبداً!!

ثم ذكرت بقية حديث الباب وهو قولُها: (لقد نزل بمكة على محمد رسولِ اللَّه ﷺ وإني لجاريةٌ ألعبُ ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦]).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ حكمة اللَّه عزَّ وجل في تشريعه الخالد، حيث كان أول نزول

الآيات، في الترغيب والترهيب، وذكر الجنة والنار، ولم تنزل الأحكام التشريعية إلَّا بعد أن تمكَّن الإيمانُ من قلوب الناس.

الثاني: وفيه فقهُ السيدة عائشة رضي اللَّه عنها، حيث بيَّنت للسائل الحكمة الإلٰهية في ترتيب التنزيل، وذكرت له أنَّ نزول آية ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦] وهي من السور المكية، ليس فيها شيء من الأحكام، إنما فيها الدعاءُ إلى التوحيد، وإنذارُ المشركين المعاندين لدين اللَّه، وأنَّ القرآن الكريم ليس مرتَّباً على حسب النزول، وإنما هو مرتَّب بأمر اللَّه عزَّ وجل، على حسب الحكمة الإلٰهية.

تنبيه لطيف

عن ابن عباس رضي اللَّه عنه أنه قال: (إن النبي ﷺ قال يوم بدر: **(اللهم إني أنشدك عهدكَ، ووعدك، اللهمَّ إن شئتَ لم تُعْبَد بعد اليوم أبداً)**، فأخذ أبو بكر بيده وقال: يا رسول اللَّه حسبُك، فقد أكثرتَ من الدعاء على ربك، وسينجز لك ما وعدك به، فخرج من القُبَّة وهو يَثِبُ في الدرع ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦] والمعنى: سيهزم جمعُ المشركين، ويولون الأدبار منهزمين، أمام جند الرحمٰن، وليس هذا تمام عقوبة المشركين، بل القيامة موعدُ عذابهم، والقيامةُ أعظم عقوبة، وأشدُّ مرارة.

٤٨٧٧ ـ [طرفه في: ٢٩١٥] تقدم شرحه.

سورة الرحمٰن

بابُ قول اللَّه عزَّ وجلَّ:

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٢، ٦٣]

٤٨٧٨ ـ عَنْ أبي موسى الأشعري «عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ قَيْسٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أنه قال: سمعت رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يقول: (**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا،**

وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ، وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ).

[طرفاه في: ٤٨٨٠، ٧٤٤٤].

شرح الحديث

أعدَّ اللَّه لعباده المؤمنين جنات النعيم، والجنَّةُ في اللغة: البستان الذي فيه من كل الفواكه والثمار، ما تشتهيه النفس والأنظارُ، كما قال سبحانه: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] وهذه الجنات ليست من حجارة وطين، إنما هي من ذهبٍ، وفضة، كما في حديث الباب **(جنتان من فضة آنيتُهما وما فيهما)** أي لأهل اليمين جنتان من فضة، كلُّ ما فيهما من فضة، من الأواني، والكؤوس، والقصور، والمباني.

(وجنتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما) وهاتان الجنتان كلُّ ما فيهما من الذهب، من الصحاف والقداح، والمباني، والقصور، وهما أعلى رتبةً من الجنتين السابقتين، لأن الذهب أرفعُ وأعلى من الفضة، وقد أعدَّهما اللَّه للمقرَّبين، قال تعالى في وصفهما: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١] فالمقرَّبون قصورهم وما فيها من الذهب، وعامةُ المؤمنين قصورهم وما فيها من فضة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢].

قال الحافظ ابن كثير: هاتان الجنتان دون اللَّتَيْن قبلهما، في المرتبة، والفضيلة، والمنزلة، بالنَّص الصريح، فجنَّتان من ذهبٍ للمقرَّبين، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين، وهذه الآية عامة في الإنس والجن، وهي من أوضح الأدلة على أن الجنَّ يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتنَّ اللَّه على الثقلين بهذا الجزاء فقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦، ٤٧] والخطاب هنا للإنس والجن. اهـ تفسير ابن كثير ٣/ ٤١٨.

«ما هو أعظمُ نعيمِ الجنة؟»

أمَّا أعظمُ نعيم الجنة، فهو النظر إلى وجه ربِّ العزة والجلال كما قال تقدست أسماؤه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] أي وجوه أهل الجنة مشرقةٌ مضيئة، حسنةٌ بهيَّةٌ، من بشاشةِ السرور، وأثرِ النعيم، تنظر إلى جلال ربها، وتستمتع

برؤية وجه ربها الكريم، دون حجاب ولا حاجز، كما قال ﷺ: (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم، إلَّا رداءُ الكِبر على وجهه، في جنة عدن) أي وما بين أهل الجنة، وبين النظر إلى (وجهه الكريم)، إلَّا رداءُ الكبر، وهو كنايةٌ عن عظمة المولى جلَّ جلاله، إذ إنَّ البشر لا يستطيعون رؤية اللَّه بجلاله وجماله، حتى يمنحهم اللَّه القدرةَ، ويأذن لهم برؤيته في جنة الخلد والنعيم.

عبَّر عن هذا بالرِّداء، بطريق (الكناية) وهذا الحديث من المتشابهات، إذ لا رداءَ على ما هو المتبادر إلى الذهن، فقد ورد في الصحيح **(العظمةُ إزاري، والكبرياءُ ردائي، فمن نازعني فيهما قصمتُه ولا أبالي)** عبَّر عن عظمة اللَّه وكبريائه (بالإزار والرِّداء) للتقريب لأذهان الناس، ومخاطبتِهم بما يفهمون، وهو من بديع أنواع الاستعارة كما يقول العلماء.

وفي صحيح مسلم: (فيُكشفُ الحجابُ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى وجه ربهم جلَّ وعلا) وهي الزيادةُ، ثم تلا ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ لكل مؤمنٍ يوم القيامة جنتان، جنَّةٌ لسكنه، وجنة أخرى لزوجاته وخَدَمه، كما هو حالُ ملوك الدنيا.

الثاني: وفيه أنَّ الجنَّة ليست من حجارة ولا طين، وإنما هي من الذهب، أو الفضة، هي وكلُّ ما فيها، من الأواني، والكؤوس، والصحون.

الثالث: وفيه أنَّ المؤمنين يرون ربهم في الجنة (رؤيةً حقيقية)، وهي الزيادةُ التي وعد اللَّه بها عباده المتقين ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقد فسَّر النبيُّ ﷺ الزيادة: بالنظر إلى وجه اللَّه الكريم، ولا عطرَ بعد عروس.

باب قولِ اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٢]

٤٨٧٩ ـ [طرفه في: ٣٢٤٣] تقدم شرحه.

٤٨٨٠ ـ عَنْ أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قالَ:

(إنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِم المُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ، إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ).

[طرفه في: ٤٨٧٨].

شرح الألفاظ

(لُؤْلُؤَةٌ مُجَوَّفَةٌ) أي ذات جَوْف واسع، فهي لؤلؤةٌ ودُرَّةٌ، في صورة خيمة، ولكنها كبيرة، بحيث لا يتصوَّر واحدٌ عظمتَها، وضخامتها.

(فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ) أي في كل طرفٍ من هذه الخيمة الفسيحة، أهلٌ للمؤمن، لا يرى بعضُهم بعضاً، من سعتها وكِبَرها.

شرح الحديث

يستعمل الناسُ الخيامَ في الدنيا، ومن إكرام اللَّه لعباده المؤمنين، من أهل الجنة، أن يُعْطى الواحدُ منهم، لؤلؤةً ودُرةً تشبه الخيمة، لا يَرَى من في أولها، من هو في آخرها، وهي لؤلؤة جميلة واسعة، له فيها زوجات، يسكنَّ في هذه اللؤلؤة.

هؤلاء النسوة من الحور العين، المصونات المحجوبات في خيام اللؤلؤ، لا يظهرن لغير أزواجهن، كما قال تعالى في وصفهنَّ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي لا تمتدُّ أبصارهنَّ لغير أزواجهن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي لم يقربهنَّ، ويمسهنَّ قبل أزواجهن أحدٌ، لا من الإنس، ولا من الجن، ومعنى الطَّمْثِ: الجماعُ.

ولا ينبغي أن يستبعد أحدٌ هذا الجزاء، فإنَّ نعيم الجنة أوسع وأكبر ممَّا يتصوَّره الخيال، فإذا كان أقلُّ أهل الجنة منزلةً يوم القيامة، من له قدرُ الدنيا وعشرة أمثالها، فإنَّ فضلَ اللَّهِ وعطاءَه ليس له حدود!!

٤٨٨١ - [طرفه في: ٣٢٥٢]، تقدّم شرحُه.

٤٨٨٢ - [طرفه في: ٤٠٢٩]، تقدّم شرحُه.

٤٨٨٣ ـ [طرفه في: ٤٠٢٩]، تقدّم شرحُه.

٤٨٨٤ ـ [طرفه في: ٢٣٢٦]، تقدّم شرحُه.

٤٨٨٥ ـ [طرفه في: ٢٩٠٤]، تقدّم شرحُه.

٤٨٨٦ ـ [أطرافه في: ٤٨٨٧، ٥٩٣١، ٥٩٣٩، ٥٩٤٣، ٥٩٤٨]، انظر شرح الحديث رقم ٢٠٨٦.

٤٨٨٧ ـ [طرفه في: ٤٨٨٦]، تقدّم شرحُه في الحديث (٢٠٨٦).

٤٨٨٨ ـ [طرفه في: ١٣٩٢]، تقدّم شرحُه.

٤٨٨٩ ـ [طرفه في: ٣٧٩٨]، تقدّم شرحُه.

سورة الممتحنة

بابُ قول اللّه عزَّ وجَلَّ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١]

٤٨٩٠ ـ عَنْ عَلِي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (بَعَثَنِي رسولُ ٱللَّهِ ﷺ أنا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تأتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتابٌ، فَخُذُوهُ مِنهَا»!! فَذَهَبْنَا تَعادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا!

فَأَتَينَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُناسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ما هٰذَا يا حاطِبُ؟». قَالَ: لا تَعْجلْ عَليَّ يا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِها أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَداً يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْراً، وَلَا ارْتِدَاداً عَنْ دِينِي!!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»! فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ ٱللَّهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ له: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ٱطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: ٱعمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»!؟

قَالَ عَمْرٌو: وَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]. قَالَ: لَا أَدْرِي الآيَةَ فِي الحَدِيثِ، أَوْ قَوْلُ عَمْرٍو.

[طرفه في: ٣٠٠٧].

شرح القصة

نزلت هذه الآياتُ من سورة الممتحنة، في قصة (حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَة) رضي اللَّه عنه، كان (حاطب) من المهاجرين، وممن شهد غزوة بدر، ولمَّا نقض المشركون عهدهم مع رسول اللَّه ﷺ، أراد الرسول أن يغزوهم، وتجهَّز لفتح مكة، وأراد أن يباغتهم قبل أن يتجهزوا لقتاله، فأرسل «حاطب» رسالةً مع امرأةٍ مسافرة، يخبرهم أنَّ الرسول ﷺ تجهَّز لقتالهم، ونزل جبريل عليه السلام، يُخبره بالأمر، فبعث الرسول ﷺ (علياً، والزبير، والمقداد) وقال لهم: **(انطلقوا إلى روضة خاخ ـ بستان قريب من المدينة ـ فإنَّ بها امرأةً معها كتابٌ فأتوني به)**!!.

فانطلقوا مسرعين حتى وصلوا المكان، ورأوا المرأة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب! فأنكرت وقالت: ما معي كتاب، فقال لها عليٌّ: لَتُخرجِنَّ الكتاب، أو لننزعنَّ عنك الثياب!؟ فأخرجته من ضفائر شعرها، فأتوا به النبيَّ ﷺ.

فإذا به هذا الخبر: (مِنْ حَاطِبٍ إلى ناسٍ من المشركين من أهل مكة، يخبرهم باستعداد النبي ﷺ لغزوهم).

فقال له الرسول الكريم: (ما هذا يا حاطب؟) فقال: يا رسولَ اللَّه، لا تعجلْ عليَّ، فواللَّهِ ما خنتُ اللَّه ورسولَه، وإنما أردتُ بذلك أن يَحْمُوا لي قرابتي وعشيرتي، حيث لم أجد بمكة من يحميهم، وما فعلتُه كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، وقد أخطأتُ يا رسولَ اللَّه، فاعفُ عني.

فقال رسول اللَّه ﷺ: (إنه قد صَدَقكم في قوله)!

فقال عمر: دعْني يا رسولَ اللَّه أضرب عُنُق هذا المنافق!!

فقال له الرسولُ الكريم: يا عمَرُ، إنه قد شهد بدراً، وما يدريك يا عمر،

أنَّ اللَّه اطَّلع على صدق إيمان أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم!؟ فأنزل اللَّه في حقِّ حاطب هذه الآيات: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ. . .﴾ الآيات [الممتحنة: ١ ـ ٦].

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه التحذيرُ من موالاة أعداء اللَّه الكفار، عن طريق التعاون معهم، أو إفشاء الأسرار إليهم.

الثاني: وفيه بيانُ صدق النبوة، فقد أوحى اللَّه إلى رسوله، بخبر حاطب من السماء، وما بعث به إلى أهل مكة.

الثالث: وفيه تداركُ الرسولِ ﷺ للأمر، بإرسال ثلاثة من أصحابه، إلى المكان الذي أخبره به (جبريل) عليه السلام، فأتَوْا للرسول ﷺ بالرسالة.

الرابع: وفيه يقينُ الصحابة بأنَّ خبرَ الرسول حقٌّ، ولذلك قال عليٌّ للمرأة: لتخرجنَّ الكتاب، أو لننزعنَّ عنك الثياب.

الخامس: وفيه صدقُ إيمانِ (حاطب)، حيث أخبر الرسولَ بالحقيقة، وأنه أراد بفعله، أن يكون له يدٌ عند أهل مكة، لحماية أقربائه، وصدَّقه الرسولُ بكلامه.

السادس: وفيه بيانُ ما اختصَّ به عمر، من القوة في الدين، وبُغض أهل النفاق، ولذلك قال: دعني أضربْ عُنُقَ هذا المنافق!

السابع: وفيه منعُ النبي ﷺ لعمر من قتله، وبيان مكانة (أهل بدر) عند اللَّه تعالى، ولذلك قال لعمر: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك أنَّ اللَّه غفر لهم جميع ما حصل وما يحصل منهم!؟ وقال لهم: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم.

الثامن: وفيه أنَّ سبب النزول، قد يكون خاصاً، ولكنَّ الحكم يكون لعموم اللفظ، فحكم تحريم موالاةِ أعداء اللَّه، عامةٌ لجميع المسلمين.

٤٨٩١ ـ [طرفه في: ٢٧١٣]، تقدّم شرحُه وانظر شرح الأحاديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

❁ ❁ ❁

بابُ قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ الآية [الممتحنة: ١٢]

٤٨٩٢ ـ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ـ نُسَيبة بنتِ الحارث ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قَالَتْ: بَايَعْنَا رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْنَا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾. وَنَهَانَا عَنِ النِّيَاحَةِ، فَقَبَضَتِ ٱمْرَأَةٌ يَدَهَا، فَقَالَتْ: أَسْعَدَتْنِي فُلَانَةُ، أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا، فَمَا قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ شَيْئاً فَٱنْطَلَقَتْ وَرَجَعَتْ، فَبَايَعَهَا).

[طرفه في: ١٣٠٦].

شرح الألفاظ

(نَهَانَا عن النِّيَاحَةِ) المراد بها النَّوْح على الميِّت، وهو رفعُ الصوت بالبكاء مع العويل، يقال: ناح الحَمَامُ نَوْحاً.

(أَسْعَدَتْنِي فُلَانَةُ) أي ساعدتني في النياحة، حين مات لي ميِّت، فلا بدَّ لي أن أُسعدها، ثم أجيئُكَ فأبايعك.

قال الخطَّابي: يُقال: أسعدت المرأةُ صاحبتَها: إذا قامت في النياحة معها، والإسعادُ خاصٌّ بهذا المعنى، بخلافِ المساعدة فإنها عامة. اهـ عمدة القاري ١٩/ ٢٣٢.

(فَمَا قَالَ لَهَا شَيْئاً) أي سكت ﷺ ولم يردَّ عليها بشيء، فذهبت ثم رجعتْ، فبايعها.

شرح الحديث

لمَّا فتح رسولُ اللَّه ﷺ مكة، جاءه النساءُ يبايِعْنَه على الإسلام، كما بايَعَه الرجالُ، فشرع ﷺ في مبايعتهنَّ، فكان يبايعهن على ترك الإشراك باللَّه، وألَّا يرتكبن جريمة السرقة، ولا جريمة الزنى، ولا يُلحقن بأزواجهنَّ غير أولادهم، ولا يعصين

أمر الرسول ﷺ، أمرهنَّ ﷺ أن لا يَنُحْن على ميِّت، كما كان نساءُ أهلِ الجاهلية يفعلن.

وكانت «أمُّ عطيَّةَ» قد حضرت البيعةَ، في ذلك اليوم، فقالت: يا رسول اللَّه إلَّا فلانة، إنها ناحت على ميِّتي، فأريدُ أن أذهبَ فأنوحَ معها، لأجازِيَهَا على صنيعها، ثم أجيءُ إليك فأبايعك، فذهبتْ فناحَتْ، ثم رجعتْ إلى رسول اللَّه ﷺ فبايعها الرسولُ الكريم.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ البيعة كانت عامةً للرجال والنساء، على الإسلام، وعلى شروطٍ خاصة بالنساء.

الثاني: وفيه أنَّ النياحةَ على الميِّت برفع الصوت حرامٌ، لا يجوز لهنَّ النياحة على الميت، وأمَّا البكاءُ فلا إثم فيه، ولا حرج.

الثالث: وفيه أنَّ سكوتَ النبيِّ ﷺ على «أمِّ عطية» لم يكن إقراراً لها على النوح، ولذلك لم يبايِعْها حتى رجعَتْ.

الرابع: وفيه أنَّ مبايعته ﷺ للنساء، لم تكن بوضع يده في أيديهن، كما كان يفعل ﷺ مع الرجال، وإنما بايعهن كلاماً، لقول عائشة: كان يقول للمرأة: قد بايعتُكِ كلاماً، واللَّهِ ما مسَّتْ يدُ رسول اللَّه ﷺ يدَ امرأةٍ قطُّ منهن، إلَّا امرأةً يَمْلكها!! كما في البخاري.

تنبيه هامٌّ

قال الحافظُ ابنُ حجر: وما ذُكر عن بعضهم: أنَّ النياحةَ ليست بحرام، لأن (أمَّ عطيَّة) ذهبتْ فناحت، وإنما المحرَّمُ ما كان معه شيء من أفعال الجاهلية، من شقِّ الجيوب، وخَدْش الوجوه، وغير ذلك، فهذا غير صحيح، والصوابُ أنَّ النياحةَ حرامٌ مطلقاً. اهـ فتح الباري ٨/ ٦٣٩.

٤٨٩٣ ـ انظر شرح الحديث السابق رقم ٤٨٩٢.

٤٨٩٤ ـ [طرفه في: ١٨]، تقدّم شرحُه.

٤٨٩٥ ـ [طرفه في: ٩٨]، تقدّم شرحُه.

٤٨٩٦ ـ [طرفه في: ٣٥٣٢]، تقدّم شرحُه.

سُورَةُ الجُمُعَة

باب قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣]

٤٨٩٧ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾.

قالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يا رَسولَ ٱللَّهِ؟ فَلَمْ يُراجِعْهُ، حَتَّى سَأَلَ ثَلاثاً، وَفِينَا (سَلْمَانُ الْفارِسِيُّ)، وَضَعَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: («لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ، أَوْ رَجُلٌ، مِنْ هٰؤُلَاءِ»).

[طرفه في: ٤٨٩٨].

شرح الحديث

نزلت (سورةُ الجُمُعة) على رسول اللَّه ﷺ، وفيها الثناءُ العاطرُ على أصحاب الرسول، الذين حملوا راية الإسلام، وجاهدوا لنصرة دين اللَّه، وأصبحوا مشاعل نور وضياء، بعد أن كانوا في الجاهلية أسفهَ الجهلاء، يعبدون الأصنام والأوثان، وفيهم أنزل اللَّه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ﴾ [الجمعة: ٢] والمعنى: كانوا قبل بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين، في ضلال واضح، ما بعده ضلال، فامتنَّ اللَّه عليهم بهذه البعثة النبوية، التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور، فأصبحوا خير أمة أُخرجت للناس.

ثمَّ عطف اللَّه على الصحابة الكرام، قولَه: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] أي وبعَثَ خاتمَ المرسلين إلى قوم آخرين، لم يكونوا في زمانهم، وسيجيئون بعدهم، فسأله بعضُ أصحابه: من هم يا رسولَ اللَّه، هؤلاء الذين يأتون من بعدنا؟ وكان «سلمانُ الفارسي» جالساً بجوار النبيِّ ﷺ، فوضع ﷺ يده على «سلمان» وقال: **(لو كان الإيمانُ بالثُّريَّا لنالَه رجالٌ من هؤلاء).**

أي لو كان الإيمانُ في أبعد مكان، كنجم الثريَّا الذي لا يصل إليه أحد، لسعى

لتحصيله أقوامٌ من أمثال هؤلاء الأكابر، من غير العرب، من أمثال (سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي) فالإسلامُ ليس ديناً كهنوتيًّا قاصراً على العرب، بل هو دينُ جميع من يأتي من الأمم، من «فرس، وروم، وحَبَش، وتُرك» وغيرهم.

وقد حقَّق اللَّهُ ذلك، فمعظمُ المحدِّثين، وحملةِ الشريعة، من غير العرب، (كالبخاري، ومسلم، وابن ماجه، وغيرهم) كثير وكثير، والذين دخلوا الإسلامَ، وحملوا رايته، من غير العرب، فإنهم لا يُحصون عدداً، وقد حَدَث وتحقَّق ما نبَّأ عنه القرآن الكريم.

ما يُستفاد من الحديث

فيه بيانُ فضل الصحابة، وفضلِ الصحابيِّ (سلمان الفارسي) الذي خصَّه الرسول ﷺ بالثناء العاطر، وأمثاله من ضعفاء المسلمين، السابقين إلى الدخول في الإسلام، وفضلُ اللَّهِ يَسَعُ جميعَ من آمن باللَّه من سائر الأمم، ويكفي أنَّ سلاطين (بني عثمان) من الترك، حملوا راية هذا الدين، قروناً عديدة، عزَّ فيها دين الإسلام، فليس في الإسلام «عصبية عمياء» كالَّتي ينادي بها دُعاة القوميَّات، والحمد للَّه على فضله وإنعامه، على جميع المسلمين، من أمة محمد عليه الصلاةُ والسَّلام.

٤٨٩٨ ـ [طرفه في: ٤٨٩٧]، تقدّم شرحُه.

٤٨٩٩ ـ [طرفه في: ٩٣٦]، تقدّم شرحُه.

سورة المنافقون

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجَلَّ:

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]

٤٩٠٠ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أنه قَالَ: (كُنْتُ فِي غَزَاةٍ، فَسَمِعْتُ (عَبْدَ ٱللَّهِ بْنَ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ) يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ حتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رجَعْنا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ!!

فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنبيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إِلَى (عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ) وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا ما قالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١].

فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَها عليَّ فَقَالَ: «إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يا زَيْدُ».

[أطرافه في: ٤٩٠١، ٤٩٠٢، ٤٩٠٣، ٤٩٠٤].

شرحُ الحديث:

خرج رسولُ اللَّه ﷺ في غزوة تبوك، وخرج معه بعضُ المنافقين، ومعهم رأسُ المنافقين (عبدُ اللَّه بنُ أُبيٍّ بنِ سلول) وحدث شجار بين رجلٍ من أتباع ابن سلول، مع رجلٍ من المهاجرين، فقال عدوُّ اللَّه ابنُ سلول: ما مَثَلُنا مع هؤلاء، إلَّا كمثل القائل: «جوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ» لقد آوينا هؤلاء المبعدين، وواسيناهم بأموالنا، ثم تطاولوا علينا!! لا تُنفقوا عليهم حتى يتركوا محمداً.!

وقال الخبيثُ أيضاً: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] يقصد بالأعزِّ: نفسَه وجماعتَه، وبالأذلِّ: محمداً ﷺ وأصحابَه، وقال أيضاً: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٧] من حوله.

سمع هذا الكلامَ (زيدُ بنُ أَرْقَمَ) رضي اللَّه عنه، فأخبر بذلك عمَّه، فأخبر النبيَّ ﷺ بما قاله ذلك المنافقُ الفاجر، فأرسل الرسول ﷺ إلى «أبيِّ بنِ سلول» وأصحابه، فحلفوا باللَّه ما قالوا، فصدَّقهم رسول اللَّه ﷺ، وعاتبَ الصحابةُ (زيدَ بنَ أرقم) وقالوا له: كذبتَ على الرجل، فقد صدَّق الرسولُ كلامه، وكذَّبك!!

يقول زيد رضي اللَّه عنه: فأصابني همٌّ لم يُصبْني مثلُه قطُّ، وجلستُ في البيت حزيناً، فلم ألبثْ أن دعاني رسولُ اللَّه ﷺ، فذهبتُ إليه فقال لي: **(أبشرْ يا زيد فإنَّ اللَّه صدَّقك فيما ذكرتَ، وأنزل اللَّه هذه السورة)** ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٧، ٨].

ولمَّا نزلت هذه السورةُ، وفيها ما قاله رأسُ المنافقين (عبدُ اللَّهِ بنُ سَلُول) في

حقِّ الرسول وأصحابه، قال عمر: يا رسول اللَّه دعني أضرب عُنُق هذا المنافق!! فقال له الرسولُ ﷺ: **(لا يا عمر، دَعْه، فإني لا أحبُّ أن يتحدَّثَ الناسُ فيقولوا: إنَّ محمداً يقتل أصحابه)!!** فدعاهم الرسول ﷺ ليستغفر لهم فلَوَّوا رؤوسهم كما قال سبحانه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

تنبيهٌ هام لطيف

من عجيب قصة ابنِ سلول هذه، أنَّ القرآنَ لمَّا نزل يفضح المنافقين، ويذكر مَسَاوِئَهُم ومخازيهم، وما قاله رأسَ المنافقين «ابنُ سلول» ذاك الرجلُ الظالمُ الفاجر، في حقِّ الرسول وأصحابه، وانكشف أمرُه للدَّاني والقاصي، بَلَغَ ذلك الأمرُ إلى ولده، واسمُه (عبدُ اللَّهِ) ـ وكان مؤمناً صالحاً، صادقَ الإيمان ـ جاء إلى رسولِ اللَّه ﷺ فقال له: يا رسول اللَّه، بَلَغني أنك تريد قتلَ أبي، فيما قاله عنك وعن أصحابك!! فَمُرْني بما شئتَ، إنْ أردتَ قتله، فأنا آتي لك برأسه، فواللَّهِ لقد علمتِ الخزرجُ، أنه ما كان فيها رجلٌ، أبَرَّ بوالده منِّي، وإني أخشى أن تأمر رجلاً غيري بقتله، فلا تطاوعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي، فتأخذني الغَيْرةُ والحميَّةُ، فأقتلَ مسلماً بكافر!!

فقال له المصطفى ﷺ: (بل نترفَّقُ به، ونحسنُ صحبتَه، ما دام فينا)!

فانصرف ابنُه المؤمن، ووقف لأبيه في طريق عودته إلى المدينة، واستلَّ سيفه، وقال لأبيه: ارجعْ وراءك، فواللَّهِ لا تدخلُ المدينة، حتى تشهد على نفسك أمامَ الناس، أنك أنت الذليلُ المَهِينُ، وأنَّ محمداً هو العزيز الكريم، وحتى يأذن لك رسولُ اللَّه ﷺ بدخول المدينة!!

فوقف ابنُ سَلُول وشهد على نفسه أنه الذليل المَهِينُ، وأن محمداً هو الأعزُّ الأكرم، وبقي محبوساً عند أبواب المدينة المنوَّرة، حتى وصلَ الخبرُ إلى رسول اللَّه ﷺ، فأذن له في دخول المدينة. وانظر السيرة الحلبيَّة، وسيرة ابن إسحاق.

حقاً إنه موقف عظيم مشرِّف، من مواقف الإيمان الصادق، وصورة رائعة مشرقة، من صور المحبة الصادقة، لمن بعثه اللَّه رحمةً للعالمين، سيد البشر (محمَّدِ بْنِ عبْدِ اللَّه) صلوات اللَّه وسلامه عليه، تتجلَّى في قصة هذا الابن المؤمن الصادق، مع أبيه الشقي المنافق، وقد نزلت هذه السورة في شأنِ المنافقين، حتى سميت بسورة (المنافقون).

٤٩٠١ ـ [طرفه في: ٤٩٠٠]، تقدّم شرحُه.

٤٩٠٢ ـ [طرفه في: ٤٩٠٠]، تقدّم شرحُه.

٤٩٠٣ ـ [طرفه في: ٤٩٠٠]، تقدّم شرحُه.

٤٩٠٤ ـ [طرفه في: ٤٩٠٠]، تقدّم شرحُه.

٤٩٠٥ ـ [طرفه في: ٣٥١٨]، تقدّم شرحُه.

بابُ قولِ اللهِ عزَّ وجلّ:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧]

٤٩٠٦ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِلأَنْصارِ، وَلأَبْنَاءِ الأَنْصارِ»!!

وَشَكَّ ٱبنُ الفَضْلِ فِي: «أَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ». فَسَأَلَ أَنَساً بَعْضُ مَنْ كانَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: هُوَ الَّذِي يَقُولُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عنه: **(هَذَا الَّذِي أَوْفَى ٱللَّهُ لَهُ بِأُذُنِهِ)** أي بصدقِ خَبَرِه)!!

شرحُ الحديث

لهذا الحديث قصة وسببٌ، وهو ما جاء في صحيح البخاري عن (أنس بن مالك) أنه كان يقول: (حزنتُ على من أُصيبَ بالحرَّة ـ التي قُتل فيها جماعةٌ من الأنصار، في زمن (يَزيدَ بْنِ مُعَاوية)، وكان أنسٌ يومئذٍ بالبصرة، فحزن لمقتلهم ـ فكتَبَ إليه (زيدُ بنُ الأَرقم) يُسلّيه ويواسيه، وأخبره بما كان قد سَمِعه من رسولِ اللَّه ﷺ في دعائه بالمغفرة للأنصار، **(اللهمَّ اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار)**.

وتتمة الحديث: (أن أنساً رضي اللَّه عنه قيل له: مَنْ هذا الذي قال عنه رسولُ اللَّه ﷺ **(الّذي أوفى اللَّهُ بأذنه؟)** أي صدَّقه فيما قال!؟ فقال لهم: إنه (زيدُ بنُ أرقم) الذي نزل القرآنُ يخبر بصدقه، حين أخبَرَ الرسولَ بما قالوا، فنزلت ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧].

والفائدةُ من ذكرِ الحديث

تبشيرُ أنسٍ بدعاء النبيِّ للأنصار، ولأبناءِ الأنصار، وتسليتُه عن مصاب أَهْل الحرَّة.

٤٩٠٧ ـ [طرفه في: ٣٥١٨]، تقدّم شرحُه.

٤٩٠٨ ـ [أطرافه في: ٥٢٥١، ٥٢٥٢، ٥٢٥٣، ٥٢٥٨، ٥٢٦٤، ٥٣٣٢، ٥٣٣٣، ٧١٦٠]، سيأتي شرحه في الحديث رقم ٥٢٥١.

٤٩٠٩ ـ [طرفه في: ٥٣١٨]، انظر شرح الحديث من خلال النص.

٤٩١٠ ـ [طرفه في: ٤٥٣٢]، انظر شرح الحديث من خلال النص.

٤٩١١ ـ [طرفه في: ٥٢٦٦]، انظر شرح الحديث من خلال النص.

سورة التحريم

باب قولِ اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم: ١]

٤٩١٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنها قَالَتْ: (كانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلاً، عِنْدَ (زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ)، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى: أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا، فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: «لَا، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ (زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ)، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَداً)».

[أطرافه في: ٥٢١٦، ٥٢٦٧، ٥٢٦٨، ٥٤٣١، ٥٥٩٩، ٥٦١٤، ٥٦٨٢، ٦٦٩١، ٦٩٧٢].

شرح الألفاظ

(فَوَاطَأْتُ) أي اتفقتْ السيدةُ «عائشة» مع السيدة «حفصة» على أن تقول الواحدةُ

منهنَّ، إذا دخل عليها الرسولُ ﷺ: هل أكلتَ مغافيرَ؟

(مغافيرَ) طعامٌ حُلْوٌ كالنَّاطِف، وله رائحةٌ كريهةٌ، يَنْضحُه شجرٌ يُسمَّى «العُرْفط».

شرح الحديث

كان رسولُ اللّه ﷺ يطوف على أزواجه في النهار، يجلس عندهنَّ بعض الوقت، تأنيساً وتسليةً لهنَّ، ودخل على السيدة (زينب) رضي اللّه عنها، فقدَّمتْ له شيئاً من العسل، ممزوجاً بالماء، لمعرفتها أنَّ الرسول ﷺ يحبُّ العسل، فتآمرتْ عليه «عائشةُ» و«حفصةُ» أنَّ أوَّلَ ما يدخل على إحداهنَّ، أن تُسارع فتقول له: إني أشمُّ منك رائحةَ العُرْفُطِ؟

فلمَّا دخل على السيدة (حفصة)، بادرت القول له: هل أكلتَ يا رسول اللّه شيئاً؟ إني أجدُ منك ريحَ العُرْفط، فقال: **(لا، بل شربتُ عَسَلاً عند «زينب»)!!**

فقالت له: لقد رَعَتْ نحلُه العُرْفطَ ـ وهو نباتٌ لذيذُ الطعم، لكنَّه كريهُ الرائحة ـ فقال ﷺ لها: **(لن أعود لشرب العسل عندها)،** فنزلت الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]؟ هذا هو سبب نزول الآية، حسب هذه الرواية.

أقول: هناك سبب آخرُ ـ وهو الأظهرُ واللّه أعلمُ ـ: أنها نزلت بسبب تحريم «ماريةَ القِبْطِيَّةَ» على نفسه ﷺ، وتوضيحُ القصة ـ كما في رواية النسائي والدَّارقطني ـ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَقْسِم بين نسائه بالعدل، يوماً عند هذه، ويوماً عند أخرى، فلمَّا كان يوم «حفصة» استأذنتْ رسولَ اللّه ﷺ في زيارة أبويها، فأذن لها، فلمَّا خرجت دعا مملوكَتَه (مَاريةَ القِبْطِية) فعاشرها في بيت حفصة، ولمَّا رجعت حفصة ورأتها في بيتها، غارتْ غَيْرةً شديدة، وقالت: يا رسول اللّه أدخلْتَها بيتي، وعاشرتَها على فراشي؟ ما أراك فعلتَ ذلك إلَّا لِهَوَاني عليك، ولو كان هذا الأمرُ عند غيري من نسائك، لَمَا فعلتَ ذلك!؟

فقال ﷺ مسترضياً لها: (أليست مملوكتي أباحها اللّه لي؟ وإنِّي قد حرَّمتُها على نفسي، وإني أُبشِّركِ ببشارة لا تُخبري بها أحداً، إنَّ (أبا بكر) وأباكِ (عمر) سيكونان خليفتين من بعدي)، واستكتمها الأمرَ!!

ولمَّا خرج ﷺ من عندها، قرعت حفصةُ الجدار على صديقتها (عائشة) ـ وكانتا متصادِقَتَيْن ـ وقالت لها: أَلَا أُبشِّرك!؟ إنَّ رسولَ اللّه ﷺ، حرَّم مملوكتَه «مارية» وقد أراحنا اللّه منها، وإنَّ أباكِ وأبي «عمر» سيكونان خليفتين بعد رسولِ اللّه ﷺ، وطلبت منها أن تكتم الخبرَ، ونزل الوحيُ على رسول اللّه ﷺ، يخبره بما أفشته (حفصةُ)،

فغضب ﷺ من إفشاء سرِّه، وحدث بين نسائه شيء من التنافس والغَيْرة، مما أدّى إلى أن يعتزل ﷺ نساءه، ومكث لا يدخل عليهن شهراً، من شدَّة تأثره منهنَّ، ونزلت في هذه الحادثة هذه الآيات الكريمة ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٢ ـ ٥] أخرجه النسائي والدارقطني.

فهذا هو السبب لنزول الآيات الكريمة، فإنّ إفشاءَ سرِّه ﷺ، والغيرةَ التي وقعت بينهن، مما آذى قلبَ النبي ﷺ، حتى اعتزل نساءه شهراً، هو الأوضح في سبب النزول، لا شربَ العسل، الذي ذكره حديثُ (عائشة)، واللّهُ أعلمُ.

قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً. اهـ فتح الباري ٨/ ٦٥٧.

توضيحٌ وبيانٌ

تعرض هذه السورةُ الكريمة، لصفحةٍ من الحياة الكريمة، التي كان يعيشها ﷺ مع زوجاته الطاهرات، في بيت (النبوة) وتبدأ بعتاب شفيفٍ لطيف، للرسول الأعظم ﷺ، على حرمان نفسه، من شيء أباحه اللّه له، وهذا العتاب يكشف لنا مقدارَ كرامة النبيّ ﷺ عند ربه، ومكانته لديه.

ومعنى الآية الكريمة: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: ١] أي لماذا تمنع نفسك يا أيها النبيُّ، ممَّا أباحه اللّه لك من النساء؟ وتمتنع عن معاشرة مملوكتك «مارية» أمِّ ولدكَ «إبراهيم»؟ ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ﴾ تطلب بهذا الامتناع إرضاء زوجاتك، بتحريم ما أحلَّ اللّهُ لك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي واسع المغفرة، عظيم الرحمة، حيث سامحك فيما امتنعت عنه من الأمر المباح).

وكأنَّ الآية تقول للرسول ﷺ: إنَّ الواجب على أزواجك أن يَسْعَيْن في طلب مرضاتك، وأن يبذلن جُهْدهنَّ لإرضائك، لا أن تطلب إرضاءهنَّ، فإنما مكانتُهن وفضلُهنَّ عندي، بمكانتك عندي أنت يا أيها الرسولُ، فلا تُتعبْ نفسك في إرضائهن، فإنَّ واجبهنَّ أن يسعين في طلب رضاك.

ثم شرع تعالى في بيان القصة التي أغضبت الرسولَ ﷺ، حتى حلف أن لا يقربهن شهراً، وهي «إفشاءُ السرِّ» وما حدث بينهنَّ من الغيرة، فقال تقدست أسماؤه: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

قال ابن عباس: هو ما أسرَّه النبي ﷺ إلى «حفصة» من تحريم «ماريةَ القبطيَّة»

على نفسه، ومن أنَّ الخلافة ستكون بعده لأبي بكر، ثم لعمرَ رضي اللّه عنهما، وطلب منها أن لا تخبر بذلك أحداً. اهـ، وانظر كتابنا (التفسير الواضح الميسَّر) صفحة (١٤٣٤) ففيه بيان مستفيض عن تلك القصة الشهيرة، التي أشارت إليها الآية الكريمة.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ أنَّ تحريمَ بعض النساء، إذا حلف أن لا يقربها، يمينٌ يمكن التكفيرُ عنها بكفارة اليمين، وأنه ليس بظهار، لقوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] وأمَّا الظهارُ فهو أن يقول لها: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي، ولها حكمٌ آخرُ، غير حُكم اليمين.

الثاني: وفيه أنَّ سببَ نزول الآية هو: تحريمُ (مارية القبطية) على نفسه، لا قصة شرب العسل عند زينب.

الثالث: وفيه العتابُ الشديد، والتهديدُ الأكيد، لأزواج النبيِّ ﷺ، اللواتي آذينَ رسولَ اللّه ﷺ، لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ الآية [التحريم: ٥].

الرابع: وفيه درسٌ بليغ للمسلمين، لحفظ أسرار البيوت، فما يُسرُّه الرجلُ لزوجته، ينبغي أن يُحفظ ولا يُنشر، فإنَّ الأسرار البيتية، تبقى حبيسةَ البيت، رعايةً لكرامة الأسرة.

الخامس: وفيه أنَّ المرأتين، اللتين قال اللّه فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] هما «حفصة» و«عائشة».

لحديث ابن عباس (لم أزل حريصاً على أن أسأل (عمَرَ) عن المرأتين من أزواج النبيِّ ﷺ، اللتين نزلت فيهما الآية، حتى خَرَجَ حاجاً، فخرجتُ معه، فقلت: يا أمير المؤمنين من هما اللّتان تظاهرتا على النبيِّ ﷺ من أزواجه؟ فقال: واعجباً لك يا ابن عباس، هما: عائشة وحفصة) رواه البخاري.

تنبيه لطيف هام

قالَ البدرُ العينيُّ: فإن قلتَ: كيف جاز لعائشة، وحفصةَ الكذبُ، والمواطأةُ التي فيها إيذاءُ رسول اللّه ﷺ؟

فالجواب: أنَّ عائشة كانت صغيرةَ السنِّ، مع أنَّ المؤامرة وقعت منهنَّ، من غير قصد الإيذاء لرسول اللَّه ﷺ، بل هي على وجه (الكَيْد) للسيدة (زينب)، حتى لا يُطيلَ الرسولُ ﷺ الجلوسَ عندها، وهذا محمولٌ على ما هو من جِبِلَّة النساء، في الغَيْرة من بعضهنَّ، كما هو شأن الضرائر. اهـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٩/ ٢٤٩.

٤٩١٣ ـ [طرفه في: ٨٩]، تقدّم شرحُه.

٤٩١٤ ـ [طرفه في: ٨٩]، تقدّم شرحُه.

٤٩١٥ ـ [طرفه في: ٨٩]، تقدّم شرحُه.

٤٩١٦ ـ [طرفه في: ٤٠٢]، تقدّم شرحُه.

٤٩١٧ ـ انظر شرح الحديث التالي رقم ٤٩١٨.

سُورَةُ القَلَمِ

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجلَّ:

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم: ١٣، ١٤]

٤٩١٨ ـ عَنْ حارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ أنه قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى ٱللَّهِ لأَبَرَّهُ! أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ، مُسْتَكْبِرٍ).

[طرفاه في: ٦٠٧١، ٦٦٥٧].

شرح الألفاظ

(أَلا أُخبِرُكُم)؟ أَلَا: أداةُ تنبيه، أي انتبهوا أيها الناس، هل تريدون أن أخبركم عن أصحاب النار؟ وهذا الأسلوبُ لاستدعاء انتباهِ الصحابة رضوانُ اللَّه عليهم.

(عُتُلّ) أي يستضعفه الناسُ، ولا يقيمون له قدراً. جافٌ غليظ القلب، شديد البطش، لا يَرْحم، ولا يَلِينُ.

(جَوَّاظ) يجمع المالَ، ويمنع الإحسان، قال الهَرَوِيُّ: هو الجَمُوعُ المَنُوع، الأَكُولُ الشَّرُوبُ.

(مستكبر) أي يختال في مشيته، ويتكبَّر على الناس، لإظهار رِفْعته عليهم.

شرح الحديث

هذا الحديثُ الشريفُ، أورده الإمام البخاري، في تفسير قول اللَّه تعالى، عن الكافر الفاجر ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] لوجه الارتباط بين الآية الكريمة وبين الحديث الشريف، في أوصاف أهل النار، وأوصافِ أهل الجنة، فقد بيَّن ﷺ أنَّ الذين يدخلون الجنة، هم الفقراءُ الضعفاءُ، الذين لا يُؤبه لهم، ولا يُقام لهم وزنٌ، عند كثير من البشر، فأهلُ الجنة هم كلُّ مؤمن ضعيف، يقهره الناس، ويستضعفونه، ولا يبالون به، مع أنه لو أقسم على اللَّه، لأبرَّه اللَّهُ، وأجابَ دعاءه.

وأمَّا أهلُ النَّار: فهو كلُّ غليظ القلب، سيِّئ الخُلُقِ، لئيم الطبع، الذي لا يَلينُ ولا يرحم، وكلُّ جبَّار متكبِّر، يجمع المالَ ويمنعُ الإحسانَ، ويختال في مشيته، ويعيث في الأرض فساداً.

فهذا منه ﷺ وصفٌ جامع مانع لأوصاف الأبرار أهل الجنة، وأوصاف الأشرار أهل النار، فاللَّهُ عزَّ وجلَّ لا تخدعه المظاهر، ولا ينظر إلى ضخامة الأجسام، وقوة الأبدان، إنما ينظر إلى القلوب والأعمال.

«قصَّةُ الشقيِّ الوليدِ بنِ المُغيرة»

سببُ النزول:

أمَّا الآية الكريمة، فقد نزلت في حقِّ طاغية من طُغاة مكة، وشقيّ من كبار أشقياء قريش، هو (الوليدُ بن المغيرة) الذي قال عن القرآن: (إنه أساطيرُ الأولين، وإنه سحر مبين)، في سبيل بقاء الزعامة والرئاسة له، بين قريش، وقد وصفه تعالى في هذه السورة بعشر صفات، كلُّها قبيحة وشنيعة، تحققت فيه وعَرَفها من نفسه، إلَّا واحدةً وهي أنه (زنيم) أي ليس له نسبٌ صحيح من أبيه، بل هو ابنُ زنى!

ولمَّا نزلت فيه هذه الآيات، جاء إلى أمه مستلّاً سيفه، وقال لها: إنَّ محمداً وصفني بعشر صفات، كلُّها أعرفها إلَّا واحدة، وهي أنني دعيٌّ، وليس لي نسب صحيح من أبي، فإمَّا أن تصدقيني، وإلَّا ضربت عُنقك بالسيف!

فقالت له: بل أصدُقك، إنَّ أباكَ كان عِنِّيناً ـ أي لا يستطيع أن يقرب النساء ـ

وكان ذا ثروةٍ وغنى، فخشيتُ أن يذهب مالُه، فمكَّنْتُ راعياً من نفسي، فأنت ابنُ ذلك الراعي! فلم يَعْرف الشقيُّ أنه لصيقٌ، وابنُ زنى، حتى نزلت هذه الآية ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣].

قال ابن عباس: لا نعرف أحداً وصَفَه اللَّه تعالى بهذه العيوب غير هذا، فألحقَ به عاراً، لا يفارقه أبداً.

عظةٌ واعتبارٌ

أقول: سبحانَ اللَّه كيف يُخرِج اللَّهُ الحيَّ من الميِّت؟ والمؤمنَ من الكافر؟ والتقيَّ من الشقيِّ!؟

فهذا الشقيُّ الطاغيةُ الفاجرُ «الوليدُ بنُ المغيرة» أخرج اللَّهُ من صُلبه، سيفاً من سيوف الإسلام، هو الصحابي الجليل «خالدُ بنُ الوليد» الذي سمَّاه الرسولُ ﷺ (سيفَ اللَّهِ وسيفَ رسوله) الذي كافَحَ ونافح، لنشر دينِ اللَّه في الأرض، وبقي يجاهد ويُكافح بسيفه البتَّار، حتى ارتفعت رايةُ الإسلام خفَّاقةً، وعلتْ كلمةُ التوحيد (لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه) في جميع أصقاع الدنيا، وحضر معظمَ الغزوات، وكان في كل المشاهد ينتصر، بإيمانه الراسخ، وشجاعته الخارقة، وعنه قال ﷺ في غزوة مُؤْتة قبل مرجع الجيش: **(حملَ الرايةَ زيدٌ فأُصيب ـ أي استشهد ـ ثم حملها جعفر فأُصيب، ثم حَمَلَها ابنُ رواحة فأُصيب، ثم حملَها سيفٌ من سيوف اللَّه، ففتح اللَّه عليه)** كما ورد ذلك في الصحيحين.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ أوصافِ أهلِ الجنة، وهو كلُّ مؤمنٍ ضعيف مستضْعَف، لا يكترث به الناسُ.

الثاني: وفيه بيانُ أوصاف أهل النار، وهو كلُّ كافر فاجر، غليظِ القلب، لئيم لا يلين، ولا يرحم.

الثالث: وفيه ذكرُ سببِ نزول الآيات، وهي أنها نزلت في أمر الشقي الفاجر «الوليد بن المغيرة» وارتباطها مع الحديث النبوي الشريف، في أوصاف الأشقياء الفجارِ من أهل النار، للتناسب بينهما.

بابُ قولِ اللهِ عزَّ وجَلَّ:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]

٤٩١٩ ـ عَنْ أبي سَعِيدِ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنه أنّه قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنا عنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً وَاحِداً»).

[طرفه في: ٢٢].

شرح الحديث

هذا الحديث الشريفُ من المتشابهات، وهو مختصرٌ من أحاديث (الشفاعة) لسيد الرسل ﷺ، وللعلماء المحدِّثين فيه مذاهبُ:

قال البدرُ العيني: مذهب مُعْظم السَّلفِ أو كلِّهم، تفويضُ الأمر فيه إلى اللَّه تعالى، والإيمانُ به، واعتقادُ معنى يليق بجلال اللَّه عزَّ وجلَّ، دون البحث عن تأويله.

والقولُ الآخر: أنها تُتأوَّلُ على ما يليقُ به سبحانه، ولا يسوغ ذلك إلَّا لمن كان من أهله، بأن يكون عارفاً بلسان العرب، وقواعدِ الأصولِ والفروع، فعلى هذا قالوا: المرادُ بالسَّاق هنا: الشدَّةُ، أي يكشفُ اللَّهُ عن شدةٍ وأمرٍ مَهُول، هكذا فسَّره ابنُ عباس، حبرُ الأمة، وترجمانُ القرآن.

وقال قتادة: يكشف اللَّهُ عن أمرٍ فظيع، فيقع من كان في الدنيا مؤمناً، ساجداً للَّه ربِّ العالمين، وأمَّا أهلُ الكفر والنفاق، فينقلب ظهرُ أحدهم طبقاً واحداً، لا ينثني، ويخرُّ على قفاه، ويجعل اللَّه أصلابَ الكفار والمنافقين، مثل صياصي البقر. اهـ عمدة القاري ١٩/ ٢٥٧.

وقال الحافظُ ابنُ حَجَر: وقع في الرواية بالإضافة (يكشِفُ عن ساقه) من رواية زيد بنِ أسلم.

وروى **الإسماعيليُّ** من طريقِ (ابن ميسرة) عن زيد بلفظ (يُكْشَفُ عن ساق).

قال ابنُ حَجَر: قال: وهذه أصحُّ لموافقتها لفظ القرآن في الجملة، **ثم قال**: لا يظننَّ أحدٌ أنَّ اللَّه تعالى ذو أعضاء وجوارحَ، لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى اللَّهُ عن ذلك، فإنَّ اللَّه تعالى ليس كمثله شيء. اهـ فتح الباري على صحيح البخاري ٨/ ٦٦٤.

تفسير الآية الكريمة: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

اذكر يا أيها الرسولُ لقومك الفجرة، المكذِّبين بالآخرة، ذلك اليومَ العَصِيبَ الرهيبَ، الذي تنكشفُ عنه الآخرة، من الأهوال والشدائد، والبلايا والمصائب، ويُدعى المشركون والمنافقون فيه للسجود، فلا يستطيعون، لأن ظهورهم تصبح طَبَقاً واحداً، لا يستطيعون الانحناء، ولا الركوعَ، ولا السجود، وقد كانوا في الدنيا يُدعون إلى السجود للَّه، فيأبون ويتكبَّرون، وهم أصحَّاءُ البدن، ليس فيهم علةٌ ولا مرض.

وبه فسَّر حبرُ الأمة وترجمانُ القرآنِ ابنُ عباس: (الكشفَ عن الساق) فقال: هو يوم القيامة، يومُ كَرْبٍ وهولٍ وشدة، وهو الأمرُ الشديدُ الفظيعُ، البالغُ من الكرب والهول. اهـ التفسير الواضح الميسر ص ١٤٥٤، وانظر تفسير ابنِ كثير، حيث قال في تفسير الآية الكريمة: (يُخبر تبارك وتعالى، عن يوم القيامة، وما يكونُ فيه من الأهوال، والزلازلِ، والبلاءِ، والامتحان، والأمورِ العِظَام، **ثم قال**: **قال ابنُ عباس**: هي أشدُّ ساعةٍ تكون يوم القيامة، وهو الأمرُ الشديدُ الفظيعُ من الهول يوم القيامة) اهـ. تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣٥..

٤٩٢٠ - انظر شرحه من خلال النص.

٤٩٢١ - [طرفه في: ٧٧٣]، تقدّم شرحُه.

٤٩٢٢ - [طرفه في: ٢]، تقدّم شرحُه.

٤٩٢٣ - [طرفه في: ٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٢٤ - [طرفه في: ٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٢٥ - [طرفه في: ٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٢٦ - [طرفه في: ٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٢٧ - [طرفه في: ٥]، تقدّم شرحُه.

٤٩٢٨ - [طرفه في: ٥]، تقدّم شرحُه.

٤٩٢٩ - [طرفه في: ٥]، تقدّم شرحُه.

٤٩٣٠ - [طرفه في: ١٨٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٩٣١ - [طرفه في: ١٨٣٠]، تقدّم شرحُه.

٤٩٣٢ ـ [طرفه في: ٤٩٣٣]، انظر شرحه من خلال النص.
٤٩٣٣ ـ [طرفه في: ٤٩٣٢]، تقدّم شرحُه.
٤٩٣٤ ـ [طرفه في: ١٨٣٠]، تقدّم شرحُه.
٤٩٣٥ ـ [طرفه في: ٤٨١٤]، تقدّم شرحُه.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجَلَّ:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢]

٤٩٣٦ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِديّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، أنه قال: (رَأَيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ: «بُعِثْتُ والسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»).

[طرفاه في: ٥٣٠١، ٦٥٠٣].

شرح الحديث

أمرُ القيامةِ وخبرُ وقتِ مجيئها، أمرٌ لا يعلمه إلّا اللّه، لأنه من الغيوب التي استأثر اللّهُ عزَّ وجل بعلمها، وقد أخبر ﷺ أنه بُعث بين يدي الساعة ـ أي القيامة ـ وأنَّ المسافة قصيرة جداً، ما بين بعثته ﷺ، وما بين مجيئها، وشبَّه ذلك بالفارق، بين الأُصبع الوسطى، والسبَّابة من اليد، وهو تمثيلٌ لشدَّة القرب بينهما، وصدق اللّه حيث يقول: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] وهذا تمثيل لسرعة مجيء القيامة، كما بيَّنه ﷺ في الحديث الشريف.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ عَبَسَ وَتولَّى

بابُ قول اللَّه عزَّ وجل: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦]

٤٩٣٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حافِظٌ لَهُ، مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجْرَانِ).

شرح الحديث

أشار ﷺ إلى فضل تلاوة القرآن، وفضل حفظه، والترغيبِ في تعاهده، بتشبيهٍ بديع، هو أنَّ من قرأه بإتقان، يكون مع الملائكة الأبرار، الذين هم حملةُ الوحي، والتَّالون لكتابه، كما قال سبحانه: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣] ولمَّا كان مقامُهُم رفيعاً عند اللَّه تعالى، شبَّه ﷺ من يقرأ القرآن، وهو ماهرٌ به، وعاملٌ بمُقتضاه، شبَّهه بالملائكة الكرام، لاتِّصافه بصفاتهم، من حمل كتاب اللَّه، وتلاوة آي الذكر الحكيم، فهو بمنازلهم، ويكون رفيقاً لهم في جنات الفردوس والنعيم، وهذا الفضلُ للماهر بتلاوة القرآن، والمُجِيد لحفظه.

وأمَّا الذي يقرأ القرآن، ويتعثَّر في قراءته، ويصعُب عليه، لأنه عاميٌّ، أو ليس بعربي، فله أجران: أجرٌ لقراءته، وأجرٌ للمشقة، وشتَّانَ شتَّان بين الماهر بالقرآن، وبين من يقرأه بصعوبةٍ ومشقة، وله أجران!!

❁ ❁ ❁

سُورَة المُطَفِّفين

باب قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]

٤٩٣٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قَالَ: (﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾!! حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ في رَشْحِهِ، إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ).

[طرفه في: ٦٥٣١].

شرح الحديث

يومُ الحساب يومٌ عصيب رهيب، فيه تدنو الشمس من رؤوس الناس، حتى تكون على قَدْرِ ميل، ويأخذ الناسَ من الهول والشدة، ما لا يتصوره أحد من البشر، ولا ينجو من هذا الهول، إلّا المؤمنون الصادقون.

وقد دلَّ حديثُ الباب، على أنَّ العَرَق يُلجم أحدَهم إلى أنصاف أذنيه، والآيةُ الكريمة نزلت، في قوم يطفِّفون في الميزان، إذا باعوا غيرهم أنقصوا في الكيلِ والوزن.

قال ابن عباس: (لمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينةَ، كانوا من أخبث النَّاسِ كيلاً، فلمَّا نزلت السورة، كانوا من أحسن الناس كيلاً بعد ذلك) رواه النسائي، فإذا كان هذا الوعيدُ الشديدُ، الذي ترتعد له الفرائصُ، لمن أنقصَ في الكيلِ والوزْنِ، فكيف بمن ظلَمَ الناسَ، وأكل أموالَهم بالباطل؟

وكذلك جاء الوعيد في هذه الآية حاسماً صارماً ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٣ ـ ٦] أي ألَا يعلمُ هؤلاء الظلمةُ، المطفِّفون للمكيال والميزان، أنهم سيبعثون ليوم رهيب عصيب، شديد الهول والكرب؟ إنه اليوم الذي يقفون فيه بين يدي الجبَّار جلَّ وعلا، ليحاسبهم على ظلمهم وعدوانهم، ويأخذُهم العَرَقْ حتى يسبَحَ الإنسانُ في رشحه ـ أي عرقه ـ إلى أنصاف أذنيه، ووصفُ الله ذاتَه سبحانه، بأنه (ربُّ العالمين) لبيان عظم الذنب، وتفاقم الذنب والجُرم، فالمجازي والمحاسبُ ليس من البشر، إنما هو ربُّ العزة والجلال.

روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: (تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكونُ الناسُ على قدر أعمالهم في العَرَق، فمنهم من يكون إلى كَعْبَيه، ومنهم من يكون إلى حِقْويه - منتصف بدنه - ومنهم من يُلجِمُهُ العَرَقُ إلجاماً).

اللهمَّ نجِّنا من هول ذلك اليوم العصيب، برحمتك يا أرحم الراحمين.

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

بابُ قول اللَّه عزَّ وجَلَّ:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]

٤٩٣٩ - عَنْ عائِشَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّها قالَتْ: قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: **(لَيسَ أَحَدٌ يُحاسبُ إلَّا هَلَكَ)!!**

قالَتْ: قُلْتُ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ، جعَلَنِي ٱللَّه فِداءَكَ: أَلَيْسَ يَقُولُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾. قالَ: (ذَاكِ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ).

[طرفه في: ١٠٣].

شرح الحديث

سمعت أمُّ المؤمنين عَائِشَةُ رضي اللَّه عنها، الرسولَ ﷺ يقول: (من حوسب عُذِّب، أو هَلَك) فأشكلَ ذلك عليها، مع قول اللَّهِ عزَّ وجل ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٨] فقالت: يا رسول اللَّه: فداك أبي وأمِّي!! إنَّ اللَّهَ تعالى يقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] وأنت تقول: **(ليس أحد يُحاسب إلَّا هلك)** فكيف يكون ذلك؟

فأخبرها ﷺ بأن المراد بالحساب في الآيةِ العَرْضُ، تُعرض على المؤمن ذنوبه،

فيقرُّ بها ويعترف، فيقول اللَّه له: سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، اذهبْ فادخل الجنة، فهذا هو المراد بالحساب اليسير، أمَّا من فُتح عليه ديوانُ الحساب، فهو هالكٌ لا محالة، لأنه سيُسأل عن الكبير والصغير، والفتيل والقطمير.

ويدلُّ على هذا المعنى ما ورد في الحديث الصحيح: (إنَّ اللَّهَ يُدني العَبْدَ يوم القيامة، حتى يضعَ كَنَفه ـ أي سِتْره ـ عليه، فيقول له: فعلتَ كذا وكذا، يومَ كَذَا وكذا، ثم يقول اللَّهُ له: سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم) فهذا هو معنى العَرْض: أن يُعرَّف المؤمنُ بذنوبه، ثم يُتجاوز عنه.

بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]

٤٩٤٠ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾. أي حالاً بَعْدَ حالٍ، قالَ هٰذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ).

شرحُ الحديث

الطبقُ في الآية: كنايةٌ عن الشدائد والأهوال، التي يلقاها النَّاسُ في الآخرة، ومعنى الآية الكريمة: واللَّهِ لتلاقُنَّ يا معشر البشر، أهوالاً وشدائدَ في الآخرة، هي طبقاتٌ في الشدَّة والفظاعة، بعضُها أشدُّ من بعض، وأنتم اليوم غافلون، عمَّا وراءكم من الأهوال.

قال الحافظ ابن حجر: وأصلُ الطَّبقِ: الشدَّةُ والهولُ، والمراد بها هنا: ما يقع من الشدائد يوم القيامة، **ومعنى قوله**: **(حالاً بعد حالٍ)**، أي حَالاً مطابقة لما قبلها في الشدة والهول. اهـ فتح الباري ٨/ ٦٩٨.

وقوله: (قالَ هَذَا نبيُّكم) أي سمعتُ هذا من نبيكم ﷺ.

وقيل: الخطابُ للنبيِّ ﷺ، وهذا على قراءة الفتح (لَترْكَبَن) والقولُ الأول أظهر وأوضح، واللَّهُ أعلم.

٤٩٤١ ـ [طرفه في: ٣٩٢٤]، تقدّم شرحُه.

سُورَةُ الشَّمْسِ

بابُ قول اللَّه عزَّ وجلَّ:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ * إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١١، ١٢]

٤٩٤٢ ـ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عقَرَها، فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢]: ٱنْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ، عَزِيزٌ عارِمٌ، مَنِيعٌ في رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ).

وَذَكَرَ النِّسَاءَ فَقَالَ: («يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ يَجْلِدُ ٱمْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ»!! ثُمَّ وَعَظَهُمْ في ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقالَ: «لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ»).

[طرفه في: ٣٣٧٧].

شرح الألفاظ

(انْبَعَثَ لَهَا) أي تعرَّض لقتل الناقة وقام يريد عقرها أشقى القوم.

(رَجُلٌ عَزِيزٌ) أي صعبٌ جبَّار، كثيرُ الشرِّ والإفساد، اسمُه (قُدَارُ بنُ سَالِف).

(عَارِمٌ مَنِيعٌ) أي مفسدٌ في الأرض، خبيثٌ شَرِسٌ، (منيعٌ) أي ذو مَنَعة في قومه، له رهطٌ يدفعون عنه، وينصرونه.

(مثْلُ أبي زَمعة) «أبو زَمْعَةَ»: هو الأسودُ «جدُّ عبدِ اللَّهِ بنِ زمعة» أحدُ الكفرة المستهزئين بالإسلام، مات على كفره بمكة، وقُتل ابنُه زمعة يوم بدر كافراً أيضاً، شبَّه عاقرَ الناقة بهذا الشقيِّ الفاجر أبي زمعة.

(وَذَكَرَ النِّسَاءَ) أي ذكر ﷺ النساءَ في خطبته، استطراداً لما يقع من أزواجهنَّ معهنَّ، للتحذير من الظلم والطغيان، يضرب زوجتَه ضرباً شديداً، ثم يضاجعها آخرَ النهار.

شرح الحديث

خطب سيدنا رسولُ اللَّه ﷺ في أصحابه، ذات يوم، ناصحاً ومذكراً لهم بأخبار الأشقياء المفسدين في الأرض، لئلا يسلكوا طريقهم، وذَكَر في خطبته خَبَر عاقر الناقة، من قوم ثمود، الذي قال اللَّه عنه: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢] وهو «قُدَارُ بنُ سَالف» كان رجلاً جباراً، كثيرَ الشرِّ والإفساد، كان له حمايةٌ ومنعةٌ في قومه، ينصرونه ويدفعون عنه، وهو الذي أقدم على قتل الناقة، وسبَّب لقومه الهلاكَ والدمار، وشبَّهه ﷺ بالشقيِّ في هذه الأمة (أبي زمعة) أحدِ طواغيت الكفر بمكة، لإبعادهم عن سلوك هذا الطريق، الذي سلكه (أبو زمعة) حيث مات هو وابنُه «زمعة» على الكفر، وراوي الحديث هنا هو الصحابيُّ (عبدُ اللَّهِ بنُ زَمْعَة) أبوه «زَمْعَةُ» شقيٌّ كافر، وهو صحابيٌّ مؤمن.

وجاء في هذه الرواية أنَّ النبيَّ ﷺ، حذَّرهم من العدوان على النساء، وقال لهم في موعظته: أَمَا يستحي أحدُكم من نفسه، أن يضربَ زوجته، كما يضرب السيِّد عبده، ثم في الليل يجامعها!! كيف يصلح أن يقع مثلُ هذا منكم؟

كما نبَّههم ﷺ **إلى ترك الضحك**، إذا خرج من أحدهم شيءٌ من الصَّوْت، دون قصد ـ يريد به الضُّراط ـ فإنَّ هذا يحدث من كل إنسان، فلماذا يضحك الإنسانُ ممَّا يقع منه؟ وكأنه ﷺ يأمرهم بالستر، والتغاضي عمَّا يحصل من غير قصد، حفاظاً على كرامة المؤمن، أن تُنتهك حرمتُه، وهذه دِعوةٌ إلى مكارم الأخلاق.

تنبيه هامٌّ لطيف

قال الإمام العينيُّ: جاء في هذا الباب، ثلاثةُ أحاديثَ مجموعة في هذا الحديث:

الأول: قصَّةُ الشقيِّ الفاجر، عاقر الناقة (قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ) الذي قتل الناقة، التي كانت معجزة لنبيِّ اللَّه صالح عليه السلام.

والثاني: حديث الوصية بالنساء، والتحذير من ضربهنَّ، ثم مضاجعتهنَّ في آخر النهار، وهو منتهى اللؤم والبشاعة.

والثالث: حديثُ موعظةِ الرجال، بترك الضَّحِكِ من سماع الصوت ـ الضرطة ـ إذا حصلت من أحدهم بدون قصد، وهذا من أفعال الجاهلية، فقد كانوا في الجاهلية، إذا وقع من أحدهم ضرطة في المجلس، جلسوا يضحكون، فنهى الشارعُ عن ذلك،

وأمَرَ بالتغافل عن ذلك، والاشتغال بما كانوا فيه، وكان هذا من أفعال (قوم لوط)، فإنهم كانوا يتضارطون في المجلس ويتضاحكون، وهو من الأعمال القبيحة. اهـ عمدة القاري ١٩/ ٢٩٤.

ما يُستفاد من الحديث

الأول: فيه البُعدُ عن قبيح الأعمال، ممَّا كان عليه أهلُ الجاهلية، كقوم (لوط) وغيرهم من الأمم.

الثاني: وفيه الوصيةُ بالنساء، والإحجامُ عن ضربهنَّ، كما فيه لفتُ النظر إلى قبيح ما يفعله أحدهم، من أنه يجلد زوجتَه، ثم يطؤها بعد ذلك.

الثالث: وفيه الأمرُ بالإغماض، والتجاهل لِمَا يحدث من بعضهم، من خروج الصوت، ستراً على الإنسان، فإنَّ الضحك مما يقع من أحدهم بدون قصدٍ، أمرٌ عاديٌّ، لا ينبغي أن يصبح داعياً إلى الضَّحِكِ، بحيث يوقع صاحبه في الحَرَج، وشدة الخجل، وهو أمر ينافي المروءة.

٤٩٤٣ ـ [طرفه في: ٣٢٨٧]، تقدّم شرحُه.

٤٩٤٤ ـ [طرفه في: ٣٢٨٧]، تقدّم شرحُه.

٤٩٤٥ ـ [طرفه في: ١٣٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٩٤٦ ـ [طرفه في: ١٣٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٩٤٧ ـ [طرفه في: ١٣٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٩٤٨ ـ [طرفه في: ١٣٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٩٤٩ ـ [طرفه في: ١٣٦٢]، تقدّم شرحُه.

٤٩٥٠ ـ [طرفه في: ١١٢٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٥١ ـ [طرفه في: ١١٢٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٥٢ ـ [طرفه في: ٧٦٧]، تقدّم شرحُه.

٤٩٥٣ ـ [طرفه في: ٣]، تقدّم شرحُه.

٤٩٥٤ ـ [طرفه في: ٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٥٥ ـ [طرفه في: ٣]، تقدّم شرحُه.

٤٩٥٦ ـ [طرفه في: ٣]، تقدّم شرحُه.

٤٩٥٧ ـ [طرفه في: ٣]، تقدّم شرحُه.

سُورَةُ العَلَقِ

بابُ قولِ اللّه عزَّ وجَلَّ:

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥، ١٦]

٤٩٥٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّه بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (قالَ أَبُو جَهْـلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّداً يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ، لأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَهُ لأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ»).

شرحُ الحديث

نزلت هذه الآيات من سورة العَلق، في شأن عدوِّ اللّه «أبي جهل» فقد قال يوماً لِطُغاة قريش: هل يُعفِّر محمدٌ وجهَه في التراب؟ ـ أي هل يضع وجهه على الأرض أمامكم يتحدَّاكم ـ؟ قالوا: نعم.

فقال لهم: واللّاتِ والعُزَّى لئن رأيته يفعل ذلك، لأطأنَّ على عنقه، ولأعفرَنَّ وجهه بالتراب فأقبل ذات يوم، ورسولُ اللّه ﷺ يصلِّي، ليفعل به ما أقسَمَ عليه، فلمَّا اقترب قليلاً منه، ألقى الحجرَ الذي كان يحمله، ورجع يهرول، وهو يتَّقي وجهَه بيديه.

فقالوا له: ما لَكَ يا أبا الحَكَم؟ فقال لهم: لقد رأيتُ بيني وبين محمد خندقاً من نار، ورأيتُ أجنحةً، وهَوْلاً، تكاد تختطفني!

فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: (لو دنا منِّي لاختطفته الملائكةُ عُضواً، عُضْواً)، ففيه نزلت هذه الآيات ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۞ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾ [العلق: ٩ ـ ١٩].

قال الحافظ ابن حجر: وإنما شُدِّد الوعيدُ في حقِّ (أبي جهل)، ولم يقع مثلُ ذلك (لعُقْبةَ بنِ أبي مُعَيْط) وهو الذي طرح سلا الجزور ـ أي كرش الجمل ـ على ظهره ﷺ وهو يصلِّي لأنهما وإن اشتركا في أذيَّة النبيِّ ﷺ حال صلاته، لكنَّ الخبيث

(أبا جهل) زاد بالتهديد لرسولِ اللّه ﷺ، بدعوى أهل ناديه، وبإرادةِ وطء العُنُق الشريف، فلذلك اقتضى المبالغةَ في زجره، على عمله القبيح، وتعجيلِ العقوبة له، لو فعَلَ ذلك. اهـ فتح الباري ٨/ ٧٢٤.

٤٩٥٩ ـ [طرفه في: ٣٨٠٩]، تقدّم شرحُه.

٤٩٦٠ ـ [طرفه في: ٣٨٠٩]، تقدّم شرحُه.

٤٩٦١ ـ [طرفه في: ٣٨٠٩]، تقدّم شرحُه ٢٣٧١].

٤٩٦٢ ـ [طرفه في: ٢٣٧١] تقدم شرحه.

٤٩٦٣ ـ [طرفه في: ٢٣٧١]، تقدّم شرحُه.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

بابُ قولِ اللّه عزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢]

٤٩٦٤ ـ عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: (لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، مُجَوَّفاً، فَقُلْتُ: ما هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هٰذَا الْكَوْثَرُ)!

[طرفه في: ٣٥٧٠].

شرح الحديث

أورد الإمام البخاري في قصة الكوثر ثلاثةَ أحاديثَ:

الأول: حديث أنس (لمَّا عُرج برسول اللّه ﷺ إلى السماء، رأى نهراً عظيماً يجري، على حافَّتَي النَّهرِ وأطرافه، دُرٌّ مجوَّف، وفيه من الكؤوس والأبارِيق عدد النجوم، بمعنى أنه لا يُحصى عددُه، فلمَّا سأل جبريل عن هذا النهر؟ قال له: هذا الكوثرُ الذي أعدَّه اللّه لك، تشرب منه أنتَ وأُمَّتَكَ).

الثاني: وذكر حديثَ (عائشَة) رضي اللَّه عنها، ولفظُه كما في الصحيح:

٤٩٦٥ ـ عن أبي عُبيدةَ «عامرِ بنِ عبدِ اللَّه بنِ مسعود» أنه قال: (سألتُ عائشة رضي اللَّه عنها، عن قولِ اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ فقالت: هو نهرٌ أُعطيه نبيُّكم ﷺ، شاطئاه درٌّ مجوَّف، آنيتُه كعدد النجوم) رواه البخاري.

وهذا الحديثُ يؤيِّد قولَ أنس: (إنَّ الكَوْثَرَ نهرٌ في الجنة).

خصَّ اللَّه به خاتمَ الأنبياء والمرسلين ﷺ، أُعطيه الرسولُ كرامةً له ولأمته، من شَرِبَ منه شربة، لم يظمأ بعدها أبداً، وذلك فضلُ اللَّه يؤتيه من يشاء.

أمَّا الحديث الثالث فهو ما رواه «سعيدُ بنُ جبير» عن (عبدِ اللَّهِ بن عباس)، ولفظه هو الآتي:

٤٩٦٦ ـ (عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، أنه قال (في الكوثر): هو الخيرُ الذي أعطاه اللَّهُ إيَّاه، **قال أبو بشر**: قلتُ لسعيد بنِ جبير: فإنَّ الناس يزعمون أنه نهرٌ في الجنة؟

فقال سعيد: النهرُ الذي في الجنة، من الخير الذي أعطاه اللَّه إياه).

[طرفه في: ٦٥٧٨].

فقد اتفقت هذه الأحاديث، على أنَّ الكوثرَ نهرٌ في الجنة، أُعطيه خاتمُ النبيِّين ﷺ، وابنُ عباس يرى أنَّ (الكَوْثَرَ) لفظٌ أشملُ وأعمُّ من ذلك، وأنَّ المراد بالكوثر: الخيرُ الكثيرُ الذي أعطاه اللَّه لرسوله، وأنَّ النهر جزءٌ يسير من هذا الخير الكثير، فيدخل على قولِ ابنِ عباس، (المقامُ المحمود، والحوضُ الموروِدُ، ومقامُ الشفاعة العظمى) لخاتم المرسلين ﷺ، كما قال سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

قال الحافظُ ابنُ حَجَر رحمه اللَّه: وحاصلُ ما قاله سعيدُ بنُ جبير، أنَّ قولَ ابنِ عباس: إنه الخيرُ الكثير، لا يخالفُ قولَ من قال: إنه نهرٌ في الجنة، لأنَّ النهرَ فردٌ من أفراد ذلك الخيرِ الكثير، والفضلِ العميم، وهذا القولُ أولى لعمومه. اهـ فتح الباري ٨/ ٧٣٢.

أقول: وقد ورد في وصف الكوثر، الذي هو من جُمْلةِ ما خصَّ اللّه به هذا النبيَّ الكريم، من أنواع الكرامات، ما رواه مسلم في صحيحه عن أنسٍ رضي اللّه عنه أنه قال: (بينما نحنُ عند النبيِّ ﷺ، إذْ غَفَا إغفاءةً، ثم رفعَ رأسَه متبسِّماً!

فقلنا: ما أضحكَكَ يا رسولَ اللّه!؟ فقال: **(لقد نزلتْ عليَّ سورةٌ، فقرأ ﷺ: (بسم اللّه الرحمٰن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾)**.

ثم قال ﷺ: **(أتدرون ما الكوثر؟)** قلنا: اللّهُ ورسولُه أعلم)!!

فقال ﷺ: **(إنه نهرٌ وعدنيه ربِّي، عليه خيرٌ كثير، وهو حوضٌ تردُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيتُه عددَ النجوم، فَيَخْتَلِج العبدُ ـ أي يُدفع ويُنتزع عن الحوض ـ فأقول: إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدث بعدك)** رواه مسلم والترمذي.

والخلاصة: فإنَّ ما ذهب إليه ابنُ عباس، من أنه الخيرُ الكثير، جامعٌ لأقوال المفسرين، والمحدِّثين، فقد أُعْطِي الرسولُ ﷺ، الفضائلَ الكثيرةَ العميمة، (أُعطي النبوَّة، وختمَ النبوَّةِ، والكتابَ، والحكمةَ، والعلمَ، والشفاعةَ، والحوضَ المورود، والمقامَ المحمود، وكثرةَ الأنصار والأتباع)، **فأمة محمد ﷺ أكثرُ الأمم دخولاً الجنة**، ثلثا أهل الجنة من أمة محمد ﷺ، وجميعُ الأمم هم الثُلُث الباقي، كما جاء في الحديث الصحيح: **(أهلُ الجنة مائةٌ وعشرون صفاً، ثمانون منهم أمة محمد ﷺ)**، إلى غير ما هنالك من الفضائل والخيرات، التي أعطيها الرسولُ الكريم، سيِّدُ الخلقِ، خاتمُ الأنبياء والمرسلين، صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين.

٤٩٦٧ ـ [طرفه في: ٧٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٦٨ ـ [طرفه في: ٧٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٦٩ ـ [طرفه في: ٣٦٢٧]، تقدّم شرحُه.

٤٩٧٠ ـ [طرفه في: ٣٦٢٧]، تقدّم شرحُه.

٤٩٧١ ـ [طرفه في: ١٣٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٧٢ ـ [طرفه في: ١٣٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٧٣ ـ [طرفه في: ١٣٩٤]، تقدّم شرحُه.

٤٩٧٤ ـ [طرفه في: ٣١٩٣]، تقدّم شرحُه.

٤٩٧٥ ـ [طرفه في: ٣١٩٣]، تقدّم شرحُه.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الفَلَق والناس

بابُ قولِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ:
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢])

٤٩٧٦ ـ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ رضي اللَّه عنه، أنه قالَ: (سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ، فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ»)!

فَنَحْنُ نَقُولُ كما قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ).

[طرفه في: ٤٩٧٧].

شرح الحديث

(سورة الفَلَق) إحدى المعوِّذتين، والثانيةُ هي (سورةُ الناس).

سببُ النزول: وسببُ نزولهما: أنَّ اليهود الخبثاء، سَحَرُوا النبيَّ ﷺ، فأنزل اللَّه هاتين السورتين الكريمتين، وقرأهما جبريلُ عليه السلام على رسولِ اللَّه ﷺ يعوِّذه بهما، فكان كلَّما قرأ عليه آيةً، انحلَّتْ عُقْدةٌ، حتى برِئَ ﷺ من السِّحر.

ورَقَاه أيضاً بدعوات مباركات (باسم اللَّه أَرْقيك، من كلِّ شيء يؤذيك، من كلِّ عينٍ وحاسدٍ، اللَّهُ يشفيك).

ومرادُ أُبيِّ بن كعب، من ذكر هذا الحديث، الردُّ على من ظنَّ أنَّ المعوِّذتين خاصَّتان برسول اللَّه ﷺ، لأنهما نزلتا لرقيته ﷺ، ممَّا أصاب جَسَدَه الشريفَ، من آثار السحر، فأراد أن يبيِّن أنهما كُتبتا في المصحف بأمره ﷺ، فَهُمَا من القرآن، وهما تعويذةٌ لكل مؤمنٍ ومؤمنة.

ولهذا قال أُبيُّ بن كعب: سألتُ رسولَ اللَّه ﷺ عن هاتين السورتين، فقال لي: أقرأني بهما جبريلُ، فقال لي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقلت كما أقرأني!!

قال أبيُّ بنُ كعب: فنحنُ نقول، كما أقرأنا رسولُ اللَّه ﷺ.

٤٩٧٧ ـ [طرفه في: ٤٩٧٦]، تقدّم شرحُه.

فهرس المحتويات

كتابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ

بابُ خَلْقِ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ ٧
بابُ إسْلَام عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامِ ٩
بابُ فَسَادِ اللُّحُوم ونَتْنِهَا ١٣
بابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً ١٤
بابُ أَوَّلِ مَنْ سَنَّ القَتْلَ ١٥
بابُ قول النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة» ١٨
بابُ هَلَاكِ العَرَبِ بالفِسْقِ والفُجُورِ ٢٠
بابُ نِدَاءِ اللَّهِ لآدَمَ يَوْمَ القِيَامَة ٢٢
باب كَيْفَ يُحشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ٢٤
بابُ ما يَلْقَى بِهِ إبْراهِيمُ أباه آزَرَ ... ٢٦
بابُ خِيَارِ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَعالَى ... ٢٨
بابُ رُؤْيَةِ الرَّسُولِ ﷺ لإبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٩
بابُ أَشْبَهُ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ٣٠
بابُ قِصَّة اخْتِتَانِ إِبْرَاهِيمَ عليهِ السَّلَامُ ٣١
بابُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ والكَذِبَاتُ الثَّلَاثُ ٣٢
بابُ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَتْلِ الوَزَغِ ٣٥
بابُ قِصَّةِ مَاءِ زَمْزَمَ وَهَاجَرَ أَمِّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِما السَّلَامُ ٣٦
بابُ أَوَّلِ المَسَاجِدِ الَّتِي بُنِيَتْ فِي الأَرْضِ ٤١
بابُ كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤٣
بابُ تَعْوِيذِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَسَنِ وَالحُسَيْنِ ٤٥
بابُ تَبْرِئَةِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ مِنَ الشَّكِّ ٤٦
بابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الرَّمْيِ ٤٨
بابُ نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ مَاءِ ثَمُودَ ٥٠
بابُ ثَنَاءِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ بنِ يَعْقُوبَ ٥١
بابُ حَدِيثِ الخَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٥٤
سببُ ذكر قصة موسى مع الخضر ٥٤
بابُ رَعْيِ الأَنْبِيَاءِ لِلْغَنَم ٥٥
بابُ وَفَاةِ مُوسَى عليهِ السَّلَامُ ٥٦
بابُ فَضْلِ عَائِشَة أمِّ المُؤْمِنِينَ ٥٨

باب قَوْلِ اللَّه تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] ٦٠
باب قولِهِ تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] ٦١
بابٌ فِي قَضَاءِ دَاودَ وَوَلَدِهِ سُلَيْمَانَ عليهِمَا السَّلَام ٦٢
باب خَيْرِ نِسَاءِ الدُّنْيَا وَخَيْرِ نِسَاءِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة ٦٥
بابُ نُسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ مِنْ رَكِبَ الإِبِلَ ٦٦
بابُ المُؤْمِنُ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ عِيسَى رَسُولُ اللَّهِ .. ٦٧
بابُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ ٦٨
بابُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ لِعِيسَى، ومُوسَى، وإِبْرَاهِيمَ ٧٢
بابُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ لِلمَسِيحِ ابنِ مَرْيَمَ والمَسِيحِ الدَّجَّالِ ٧٣
بابُ أَحَقُّ النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ٧٥
بابُ مَنْ حَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَسْرِق، وَصَدَّقَهُ مَنْ رَآه ٧٦
بابُ النَّهْيِ عَنِ الإِطْرَاءِ فِي المَدِيحِ والثَّنَاءِ ٧٧
بابُ نُزُولِ عِيسَى ابن مَرْيَمَ آخِرَ الزَّمَان ٧٩
بابُ حَدِيثُ الدَّجَّالِ وَمَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٨١
بابُ قِصَّةِ الَّذِي أَوْصَى أَوْلَادَهُ بِإِحْرَاقِهِ ٨٢
بابُ الوَفَاءِ بالبَيْعَةِ للأَوَّلِ فَالأَوَّلِ .. ٨٤
بابُ اتِّبَاعِ طَرَائِقِ اليَهُودِ والنَّصَارَى ٨٥
بابُ إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مُتَعَمِّداً ٨٦
بابُ صَبْغِ الشَّيْبِ بِغَيْرِ السَّوَادِ ٨٨
بابُ تَحْرِيمِ الجَنَّةِ عَلَى قَاتِلِ نَفْسِهِ ٨٨
بابُ قِصَّةِ الأَقْرَعِ، والأَعْمَى، والأَبْرَص ٩٠
بابُ التَّحْذِيرِ مِنْ تَرْكِ إِنْكَارِ المُنْكَرِ ٩٤
بابُ الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ شَخْصاً ٩٥
بابُ الرَّجُلِ الَّذِي اشْتَرَى عَقَاراً وَوَجَدَ فِيهِ الذَّهَبَ ٩٧
بابُ الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ٩٩
بابٌ الطَّاعُونُ عَذَابٌ لِلْكَافِرِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِ ١٠٠
بابُ مَا نَالَ الأَنْبِيَاءَ مِنْ أَذَى الكُفَّارِ ١٠١
بابُ قصة الذي أوصى بإحراقه بعد موته ليتخلَّص من العذاب . ١٠٣
بابُ تَحْرِيمِ جَرِّ الإِزَارِ مُفَاخَرَةً ١٠٥

كِتَابُ المَنَاقِب

بابٌ النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الأَرْضِ ١٠٩
بابُ مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ ١١١

بابٌ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ١١٣
بـابٌ أَنْـصَارُ الرَّسُولِ ﷺ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ ١١٥
بابُ حُرْمَةِ الانْتِفَاءِ مِنَ النَّسَبِ ١١٦
بابُ التَّحْذِيرِ مِنَ الكَذِبِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ ١١٧
بابُ ثَنَاءِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى غِفَارٍ، وأَسْلَمَ، ومُزَيْنَة ١١٩
بابُ ذِكْرِ أَسْلَمَ وَغِفَارٍ، وجُهَيْنَةَ بالخَيْرِيَّة ١٢٠
بابُ ذِكْرِ مَلِكٍ مِنْ قَحْطَانَ ١٢١
بابُ النهْيِ عَنْ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ ١٢٢
بابُ قِصَّةِ خُزَاعَةَ، وَمَنْ هو عَمْرُو بْنُ لُحَيّ؟ ١٢٤
بابُ قِصَّةِ عَمْرِو بْنِ خُزَاعَةَ ١٢٥
بابُ قصَّةِ إِسْلَام أَبِي ذَرٍّ رضيَ اللَّهُ عنْهُ ١٢٦
بابُ نِدَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَشِيرَتِه ١٣٠
بابُ مَنْ أَحَبَّ أن لا يُسَبَّ نَسَبُه ... ١٣١
بابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ .. ١٣٣
بـابُ صَـرْفِ الـمَـسَـبَّـةِ عَـنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ١٣٤
بابُ خَاتَمِ النَّبِيِّين مَعَ الأَنْبِيَاءِ ١٣٥
بابُ ذِكْرِ عُمُرِ النَّبِيِّ ﷺ ١٣٦
بـابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِلسَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ١٣٧
بابُ شَبَهِ الحَسَنِ بِالنَّبِيِّ ﷺ ١٣٨
بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ ١٣٩
بـابُ هَـلْ بَـلَـغَ الـنَّـبِـيُّ ﷺ سِـنَّ الشَّيْخُوخَةِ؟ ١٤٠
بـابُ وَصْـفِ الـنَـبِـيِّ ﷺ بِـصُـورَتِـهِ البَشَرِيَّةِ ١٤١
بابُ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ ١٤٣
بابُ طِيبِ النَّبِيِّ ﷺ ١٤٤
بـابُ بِـعْـثَـةِ الـنَّـبِـيِّ ﷺ فِـي خَـيْـرِ القُرُونِ ١٤٥
بابُ سَدْلِ النَّبِيِّ ﷺ شَعَرَهُ ثُمَّ فَرْقُه ١٤٦
باب خُلُقِ النَّبِيِّ الكَرِيم ﷺ ١٤٧
بابُ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِه ١٤٨
بابُ صِفَةِ طِيبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلِينِ يَدِه ١٥٠
بابُ صِفَةِ حَيَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ١٥١
بابُ لَمْ يَكُنْ ﷺ يَعِيُ طَعَاماً ١٥٢
بابُ تَأَنِّي النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِهِ ١٥٣
بابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ١٥٤
بـابُ مُعْجِزَةِ نَبْعِ الـمَـاءِ مِنْ بَيْـنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ ١٥٦
بابُ نَبْعِ المَاءِ وتَسْبِيحِ الطَّعَامِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ١٥٧
بابُ قِتَالِ قَوْمٍ مِنَ التُّرْكِ وَالعَجَم .. ١٥٩
بابُ هَلَاكِ النَّاسِ عَلَى يَدِ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ ١٦١
بابُ هَلَاكِ الأُمَّةِ عَلَى يَدِ غِلْمَة ١٦٢
بابُ السُّؤَالِ عنِ الخَيْرِ والشَّرِّ ١٦٢

بابُ خُرُوجِ حُدَثَاءِ الأسْنَانِ سُفَهَاءِ الأَحْلَام ١٦٥
بابُ مِحْنَةِ المُؤْمِنينَ وَمَا نَالَهُمْ مِنَ الشَّدائد ١٦٧
بابُ النَّهْيِ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي مَجْلِس النَّبِيِّ ﷺ ١٦٩
بابُ نُزُولِ السَّكِينَةِ لِقِرَاءَةِ القُرْآنِ .. ١٧١
بابُ زِيارَةِ المَرِيضِ والقَوْلِ له: لَا بَأْسَ طَهُورٌ ١٧٢
بابُ قِصَّةِ نَصْرَانِيٍّ أَسْلَمَ ثمَّ ارْتَدَّ ١٧٤
بابُ الإِخْبَارِ عَنْ بَعْضِ المُغَيَّبَاتِ .. ١٧٦
بابُ الإِخْبَارِ عَنْ مَقْتَلِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَف ١٧٧
بابُ مَجِيءِ جِبْرِيلَ بِصُورَةِ دِحْيَة الكَلْبِيِّ ١٧٩
بابُ قولِهِ تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] ... ١٨٠
بابُ مُعْجِزَةِ انْشِقَاقِ القَمَر ١٨٣
بابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِعُرْوَة بِالبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ ١٨٥

كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ

تعريف الصحابي ١٨٩
بابُ إنْ لَمْ تَجِدي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَارْجِعِي إِلَى أَبِي بَكْرٍ ١٨٩
بابُ مَنْ سَبَقَ إِلى الدُّخُولِ في الإِسْلَام ١٩٠
بابُ مَا حَصَلَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنَ الخِصَام ١٩١
بابُ أَحَبُّ النَّاسِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ ١٩٤
بابُ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُر اللَّهُ إِلَيْهِ ١٩٥
بابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ ١٩٧
بابُ فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ وعمرَ، وعثمان، وتبشيرهم بالجنة ١٩٨
بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أُثْبُتْ أُحُدُ، أُثْبُتْ أُحُد ٢٠١
بابُ ثَنَاءِ عَلِيٍّ عَلَى عُمَرَ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٢٠٢
بابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٠٣
بابُ يُحْشَرُ المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ٢٠٦
بابُ المُلْهَمُون مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ . ٢٠٧
بابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٠٩
بابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ٢١٢
بابُ مَنَاقِبِ قَرَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ ٢١٤
بابُ مَنَاقِبِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رضيَ اللَّه عنه ٢١٦
بابُ مَنَاقِبِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضيَ اللَّه عنه ٢١٧
«قصةُ سَعْد مع أمِّه المشركة» .. ٢١٨

بابُ ذِكْرِ أَصْهَارِ النَّبيِّ ﷺ مِنْهُم أَبُو العَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ ٢١٨
بابُ مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضِيَ اللَّهُ عنه ٢٢١
بابُ سُرُورِ النَّبِيِّ ﷺ بِالقَائِفِ الَّذِي يَعْرِفُ النَّاسَ بِالآثَارِ ٢٢٣
بابُ ذِكْرِ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رضي اللَّه عنه ٢٢٥
بابُ مَحبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ لِلْحَسَنِ، وَأُسَامَةَ رضي اللَّه عنهما ٢٢٧
بابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنه ٢٢٧
بابُ مَنَاقِبِ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعَمَّارِ بنِ يَاسِر ٢٢٨
بابُ مَنَاقِبِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رضي اللَّه عنهما ٢٣١
بابُ مَنَاقِبِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنه ٢٣٣
بابُ مَنَاقِبِ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ رضي اللَّه عنه ٢٣٤
بابُ مَنَاقِب سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ رضي اللَّه عنه ٢٣٦
بابُ فَضْلِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ رضي اللَّه عنها ٢٣٨
كلامُ الحافِظِ ابن حَجَر ٢٤٠
بابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ رضوانُ اللَّه عليهم ٢٤٠
بابُ لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ ٢٤٢
بابُ حُبِّ الأَنْصَارِ مِنَ الإِيمَانِ ٢٤٣
السَّبَبُ في محبَّة الأنصار ٢٤٤
بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلأَنْصَارِ: أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ٢٤٤
بابُ فَضْلِ دُورِ الأَنْصَارِ ٢٤٦
بابُ أَفْضَلُ بُيوتِ الأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ ٢٤٧
باب قَوْلِ النَّبِيِّ لَلأَنْصَارِ: اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوني عَلَى الحَوْضِ ٢٤٨
بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ٢٤٩
ذكرُ القصَّةِ العجيبة ٢٥٠
بابُ قَوْلِ النبيِّ ﷺ: قْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِم، وتَجَاوزُوا عَنْ مُسيئِهِمْ ٢٥١
بابُ فَضْلِ الأَنْصَارِ ٢٥٣
بابُ مَنَاقِبِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه ٢٥٤
بابُ مَنَاقِبِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّه عنه ٢٥٥
بابُ مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي اللَّه عنه ٢٥٧
بابُ مَنَاقِبِ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ رضي اللَّه عنه ٢٥٨
بابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ ٢٦٠
قِصَّةُ إِسْلَامِ ابْنِ سَلَام ٢٦١

بابُ رُؤْيَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ وَقَصِّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٢٦٢
بابُ تَزَوُّجِ النَّبِيِّ ﷺ بِخَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا رضي اللَّه عنها ٢٦٤
بابُ بِشَارَةِ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ ٢٦٦
بابُ ذِكْرِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ رضي اللَّه عنها ٢٦٩
باب حَدِيث زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْل ٢٧١
بابُ أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَن الحَلِفِ بِالآبَاءِ ٢٧٣
بابُ أَفْضَلُ بَيْتٍ قَالَهُ الشُّعَرَاءُ ٢٧٤
نَسَبُ النَّبِيِّ ﷺ ٢٧٦
بابُ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ٢٧٧
بابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُه بِمَكَّة مِنَ المُشْرِكِينَ ٢٧٧
بابُ ذِكْرِ خَبَرِ الجِنِّ ٢٨٠
بابُ وَفْدِ جِنِّ نَصِيبِيْنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٢٨١
بابُ فَضْلِ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ .. ٢٨٣
بابُ قِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ ٢٨٥
بابُ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ ٢٨٧
بابُ قِصَّةِ المِعْرَاجِ بالنَّبِيِّ ﷺ ٢٨٩
لطائفُ الحديث الشريف ٢٩٣
بابُ ذِكْرِ الشَّجَرَةِ المَلْعُونَةِ في القُرْآن ٢٩٥
بابُ تَزَوُّجِ النَّبِيِّ ﷺ عَائِشَةَ وَقُدُومِهَا المَدِينَةَ ٢٩٦
بابُ رُؤْيَا الرَّسُولِ لِعَائِشَةَ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْنِ ٢٩٨
بابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحابِهِ إِلَى المَدِينَةِ ٣٠٠
بابُ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ ابنُ الزُّبَيْرِ ٣٠٧
بابُ حَدِيثِ الغَارِ وَقَوْلِ الصِدِّيقِ: لَوْ طَأْطَأَ أَحَدُهُمْ رَأْسَهُ لَرَآنَا ٣٠٩
بابُ مَقْدَمِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ ٣١٠
بابُ إِقَامَةِ المُهَاجِرِ بِمَكَّةَ بَعْدَ قَضَاءِ نُسُكه ٣١٢
بابُ إِتْيَانِ اليَهُودِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ المَدِينَةَ ٣١٤

كتاب المغازي

بابُ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وأوَّلُهَا غَزْوَةُ العُشَيْرَةِ ٣١٧
بابُ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] ٣١٨
بابُ عِدَّةِ أَصْحَابِ بَدْرٍ ٣٢٠
بابُ مَقْتَلِ أبي جَهْلٍ فِرْعَونَ هَذِهِ الأُمَّةِ ٣٢١
قِصَّةُ مقتلِ أبي جهل اللَّعين ٣٢٢
بابُ مَقْتَلِ صَنَادِيدِ الكُفْرِ وَرَمْيِهِمْ فِي القَلِيبِ ٣٢٣
بابُ شُهُودِ المَلَائِكَةِ غَزْوَةَ بَدْرٍ ٣٢٧

بَابُ شُهُودِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِغَزْوَةِ بَدْرٍ ٣٢٨
بابُ بُطولَةِ الزُّبَيْرِ بن العَوَّامِ يَوْمَ بَدْرٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٢٩
بابُ ضَرْبِ الدُّفِّ فِي العُرْس ٣٣٠
بابُ لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ ولا صُورَةٌ ٣٣١
بابُ عَرْضِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ابْنَتَهُ عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ ٣٣٢
بابُ فَضْلِ تَلَاوَةِ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ البَقَرَةِ ٣٣٤
بابُ الكَفِّ عَنْ قَتْلِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٣٣٦
بابُ قِصَّةِ المُطْعِمِ بنِ عَدِيّ وَدُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ فِي جِوارِه ٣٣٧
بابُ حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ وَغَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٣٣٨
بابُ تَحْرِيقِ نَخِيلِ بَنِي النَّضِيرِ ٣٤١
بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صدقة» ٣٤٣
بابُ قتلِ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ ٣٤٤
بابُ قَتْلِ الشَّقِيِّ أَبِي رَافِعٍ ٣٤٧
بابُ مَنْ اسْتُشْهِدَ فِي الحَرْبِ ٣٥١
بابُ قِتَالِ جِبْرِيلَ وميكائيلَ يَوْمَ أُحُد ٣٥٢
بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِسَعْدٍ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ٣٥٣
باب قَوْلِ اللَّه تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ٣٥٤
بابُ لَعْنِ الْمُشْرِكِينَ فِي الصَّلَاةِ ٣٥٥
بابُ مَقْتَلِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ رضيَ اللَّه عنه ٣٥٧
بابُ مَا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الجِرَاحِ يَوْمَ أُحُدٍ ٣٦١
بابُ قولِهِ تَعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] ٣٦٢
بابُ ذِكْرِ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَمَا حَدَثَ لِلْمُسْلِمِينَ عِنْدَ الحَفْرِ ٣٦٤
بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا» ٣٦٧
بابُ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ ٣٦٩
بابُ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةَ الخَوْفِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ ٣٧٠
بابُ قِصَّةِ الأَعْرَابِيِّ الَّذِي أَرادَ قَتْلَ الرَّسُولِ ﷺ ٣٧٢
بابُ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ وَهِيَ غَزْوَةُ المُرَيْسِيع ٣٧٤
بَابُ غَزْوَةِ أَنْمَار ٣٧٦
بابُ بَيْعَةِ الصَّحَابَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي الحُدَيْبِيَّةِ ٣٧٧
بابُ عَدَدِ المُسْلِمِينَ فِي بَيْعَةِ الحُدَيْبِيةِ ٣٨٠

بـابُ مَـاذَا قُـدِّمَ لِـلـرَّسُـولِ يَـوْمَ الحُدَيْبِيَةِ؟ ٣٨٢
بـابُ نُـزُولِ سـورة الـفـتـح عـلـى الرسولِ ﷺ مرجعَه من الحديبية ٣٨٢
بابُ اسْتِشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأصْحَابِهِ عَامَ الحُدَيْبِيَّةِ ٣٨٥
بـابُ الـبَـيْـعَـةِ لِـلـرَّسُـولِ ﷺ فِـي الحُدَيْبِيَّةِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ ٣٨٧
بابُ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ لأدَاءِ عُمْرَةِ القَضَاءِ ٣٨٩
بابُ غَزْوَةِ ذَاتِ القَرَدِ ٣٩٠
بابُ خُرُوجِ الرَّسُولِ والصَّحَابَةِ لِغَزْوِ خَيْبَرَ ٣٩٢
بابُ غَزْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَهُودَ خَيْبَرَ لَيْلاً ٣٩٥
بـابُ إنَّ الـلَّـهَ لَـيُـؤَيِّـدُ هَـذَا الـدِّيـنَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ ٣٩٦
بابُ الرِّفْقِ بِالمُجَاهِدِينَ وَالنَّهْيِ عن رفع الصوت في الغزو ٣٩٩
بـابُ مَا أَصَابَ سَلَمَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ ونَفَثَ النَّبِيُّ لَهُ فَبَرَأَ ٤٠١
بـابُ بِنَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِصَفِيَّةَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ خَيْبَرَ ٤٠٢
بابُ تَحْرِيمِ نِكَاحِ المُتْعَةِ ٤٠٤
بابُ قِسْمَةِ الغَنِيمَةِ لِلرَّاجِلِ سَهْمٌ ولِلْفَرَسِ سَهْمَانِ ٤٠٦
بـابُ أَصْـحَـابِ الـهِـجْـرَتَـيْـنِ: إلَـى الحَبَشَةِ، ثُمَّ المَدِينَةِ ٤٠٧
بابُ ثناءِ النبيِّ ﷺ على الأشعريِّين بتلاوتهم للقرآن في الليل ٤٠٩
بـابُ الـقِـسْـمَـةِ مِـنَ الـغَـنِـيـمَـةِ لِلْمُجَاهِدِينَ ٤١٠
بـابُ الـتَّـحـذيـر مـن الـغُـلُـولِ مـن الغَنِيمَةِ قَبْلَ القِسْمة ٤١١
بابُ عُمْرَةِ القَضَاءِ ٤١٤
بابُ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّام ... ٤١٤
بابُ بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ إِلَى جُهَيْنَةَ ٤١٧
بابُ غَزَوَاتِ سَلَمَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ... ٤١٨
بابُ غَزْوَةِ فَتْحِ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ ... ٤١٩
بـابُ قِـصَّـةِ فَـتْـحِ مَـكَّـةَ وأَيْـنَ وَضَـعَ الرسُولُ ﷺ رَايَةَ الجِهَادِ يَوْمَ الفَتْحِ ٤٢١
بـابُ دُخُـولِ رَسُـولِ الـلَّـهِ ﷺ مَـكَّـةَ مُتَوَاضِعاً يَقْرَأُ سُورَةَ النَّصْر ٤٢٤
تفسير سورة النصر ٤٢٥
بابُ تَحْطِيمِ الأَوْثَانِ المَنْصُوبَةِ عِنْدَ الكَعْبَةِ ٤٢٥
بـابُ مُـبَـادَرَةِ الـنَّـاسِ إِلَـى إِعْـلَانِ الإِسلَامِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ٤٢٧
بابُ مَا أَصَابَ ابنَ أَبِي أَوْفَى يَوْمَ حُنَيْنٍ ٤٣٠
باب ذكر غزوة أوطاس ٤٣١
بابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ في شَوَّالَ سَنَةَ ثَمَانٍ ٤٣٤
بـابُ مُـحَـاصَـرَةِ الـنَّـبِـيِّ ﷺ لأَهْـلِ الطَّائِفِ ٤٣٦

بـابُ مَـنِ انْـتَـسَـبَ إِلَـى غَـيْـرِ أَبِـيـهِ فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ ٤٣٧

بـابُ قَـوْلِ الـنَّـبِيِّ ﷺ لِبِلَالٍ وأَبِي مُوسَى: اقْبَلَا البُشْرَىٰ ٤٣٨

بابُ قِسْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ .. ٤٤٠

بابُ بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى «بَنِي جَذِيمَةَ» ٤٤٢

بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ دَخَلُوا النَّارَ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْهَا» ٤٤٣

بابُ بَعثِ أَبِي مُوسَى ومُعَاذٍ إِلَى اليَمَنِ ٤٤٥

بابُ كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ٤٤٨

بابُ بَعْث عَلِيٍّ وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ إِلَى اليَمَنِ ٤٤٩

بابُ بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيًّا لِيَقْسِمَ الخُمُسَ ٤٥٠

بابُ قِصَّةِ ذِي الخُوَيْصِرَة التَّمِيمِيِّ . ٤٥١

بابُ غَزْوَةِ ذِي الخَلَصَةِ ٤٥٤

بـابُ ذَهَـابِ جَـرِيـرٍ إِلَـى الـيَـمَـنِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ٤٥٧

بابُ غَزْوَةِ سَيْفِ البَحْرِ ٤٥٨

كتابُ الوُفُود

بابُ وفْدِ بَنِي تَميم ٤٦٥

بـابُ وَفْـدِ بَـنِـي حَـنِـيـفَـةَ وَقِـصَّـةُ ثُمَامَةَ ٤٦٧

من بدائع الأخبار ٤٦٧

بابُ قصة ثُمامَةَ بنِ أُثَال ٤٦٩

بابُ قِصَّةِ الرَّسُولِ ﷺ مَع مُسَيلِمَةَ الكَذَّاب ٤٧٠

قصة مسيلمةَ الكذَّاب ٤٧١

بابُ قِصَّة نَصَارَى نَجْرَانَ ٤٧٣

بابُ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاح ٤٧٦

بـابُ قُـدُومِ الأَشْـعَـرِيِّـيـنَ مِـنْ أَهْـلِ اليَمَنِ ٤٧٧

بـابُ ثَـنَـاءِ الـرَّسُـولِ ﷺ عَـلَـى أَهْـلِ اليَمَنِ فِي زَمَانِهِ ٤٧٩

بابُ عَدَدِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وعَدَدِ حَجَّاتِهِ ٤٨١

بـابُ خِـطْـبَـةِ الـنَّـبِيِّ ﷺ فِي حَـجَّـةِ الوَدَاعِ ٤٨٢

بـابُ حَـلْـقِ الـرَّأْسِ فِـي الـحَـجِّ وتَقْصِيرِهِ ٤٨٤

بـابُ غَـزْوَةِ تَـبُوك وتُـسَـمَّـى غَـزْوَةَ العُسْرَةِ ٤٨٥

بـابُ خُـرُوجِ الـنَّـبِـيِّ ﷺ لِـتَـبُـوكَ وَاسْتِخْلَافِ عَلِيٍّ ٤٨٨

بـابُ حَـدِيـثِ «كَـعْـبِ بـنِ مَـالِـكٍ» وتَخَلُّفِهِ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ٤٨٩

بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ ولَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَة ٤٩٧

بابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ ٤٩٩

بابُ مَرضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاته ٥٠٠

بابُ لا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَى يُخَيَّرَ ٥٠١

بابُ تَخْيِيرِ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَ المَوْتِ ٥٠٢

بابُ نَفْثِ النَّبيِّ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَتَيْنِ ٥٠٣
بابُ قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْني، وألْحِقْني بالرَّفيقِ الأعْلَى ٥٠٤
بابُ قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ: اللهمَّ أعِنِّي على سَكَراتِ المَوْتِ ٥٠٥
بابُ قَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عنه: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئاً ٥٠٥
بابُ مَرَضِ النَّبيِّ ﷺ ووَفَاتِهِ ٥٠٧
بابُ نَهْيِ النَّبي ﷺ عَن اللَّدُودِ ٥٠٩
بابٌ لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكَ بَعْدَ اليَوْمِ ٥١١
بابُ مَتَى تُوُفِّيَ النَّبيُّ ﷺ وَكَمْ كَانَ عُمُرُهُ ٥١٣

كتاب التفسير

سورة الفاتحة ٥١٧
بابُ أَعْظَمِ سورةٍ في القُرْآن ٥١٧
سورة البقرة ٥١٩
بابُ قَولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] بابٌ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ الشِّرْكُ ٥١٩
بابُ الكَمأَةُ مِنَ المَنِّ وقولُ اللَّه عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧] ٥٢١
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٤] ٥٢٢
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] ٥٢٣
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] ... ٥٢٤
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] ٥٢٦
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] ٥٢٨
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣] ٥٣٠
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] ٥٣٢
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] ٥٣٣
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] ٥٣٤
سورة آل عمران ٥٣٦
بابُ قَولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] ٥٣٦

بابُ قولِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] ٥٣٨
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ٥٤٠
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٦] ٥٤١
بابُ قولِ اللَّه عزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٨] ٥٤٥
سببٌ آخرُ لنزول الآية الكريمة ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ [آل عمران: ٧٧] ٥٤٦
(سورة النساء ٥٤٧
بابُ قولِ اللَّهِ عزَّ وجل: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء: ٦] ٥٤٧
بابُ قولِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١] ٥٤٩
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: ٤٠] ٥٥٠
بابُ قولِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾ [النساء: ٤١] ٥٥٣
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [النساء: ٩٧] ٥٥٥
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجل: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] .. ٥٥٦
سورة المائدة ٥٥٧
بابُ قول اللَّه عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧] ٥٥٧
بابُ قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٧] ٥٥٨
بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠] ٥٥٩
بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١] ٥٦١
بابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الأَسْئِلَةِ ٥٦٣
سورة الأنعام ٥٦٤
بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥] ٥٦٤

باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ٥٦٦

بابُ قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] ٥٦٦

سورة الأعراف ٥٦٨

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ٥٦٨

سورة الأنفال ٥٦٩

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] ٥٦٩

سورة التوبة ٥٧١

بابُ قولِ اللَّهِ عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] ٥٧١

سورة هود ٥٧٣

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] ٥٧٣

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ٥٧٦

سورة الحِجْر ٥٧٧

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحِجْر: ١٨] ٥٧٧

سورة النحل ٥٨١

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠] ٥٨١

سورة الإسراء ٥٨٢

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] ٥٨٢

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ٥٨٧

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] ٥٨٩

سورة الكهف ٥٩٠

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ٥٩٠

سورة مريم ٥٩١

بابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] ٥٩١

سورة النور ٥٩٤

باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦] ٥٩٤

باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ [النور: ٨] ٥٩٨

سورة الفرقان ٦٠١

باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤] ٦٠١

سورة الروم ٦٠٣

باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١ ـ ٣] ٦٠٣

سورة السجدة ٦٠٦

باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ٦٠٦

باب أَمْرِ اللَّهِ رسولَه بِتَخْيير نِسَائِه . ٦٠٧

سورة الأحزاب ٦١٠

باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١] ٦١٠

باب قول السيدة عائشة: لا أريدُ أنْ أُؤْثِرَ أحداً ٦١٣

باب قَوْلِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ٦١٣

باب قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٥] ٦١٦

باب قول اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ٦١٧

باب قول اللَّه عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] ٦١٩

سورة سبأ ٦٢٠

باب قول اللَّه عزَّ وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] ٦٢٠

سورة الزمر ٦٢٢

باب قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] ٦٢٢

باب قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] . ٦٢٣

باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] ٦٢٥
سورة الشورى ٦٢٧
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] ٦٢٧
سورة الدخان ٦٢٨
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] ٦٢٨
سورة الجاثية ٦٢٩
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] ٦٢٩
سورة الأحقاف ٦٣٠
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٦] .. ٦٣٠
سورة محمد ٦٣٢
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] .. ٦٣٢
«سورة قٓ والقرآن المجيد» ٦٣٤
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: ٣٠] ٦٣٤
«قصةٌ طريفةٌ وعَجيبة» ٦٣٧
سورة الطُّور ٦٣٨
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١ ـ ٣] ٦٣٨
سُورَةُ النَّجْم ٦٤٠
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ٦٤٠
سورة القمر ٦٤٣
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] ٦٤٣
سورة الرحمٰن ٦٤٤
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٢، ٦٣] .. ٦٤٤
«ما هو أعظمُ نعيم الجنة؟» ٦٤٥
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٢] ٦٤٦
سورة الممتحنة ٦٤٨
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] ٦٤٨
باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية [الممتحنة: ١٢] ٦٥١

سُورَةُ الجُمُعَة ٦٥٣
بـابُ قـولِ الـلَّـهِ عـزَّ وجـلَّ: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة: ٣] ٦٥٣
سورة المنافقون ٦٥٤
بـابُ قـولِ الـلَّـه عـزَّ وجَـلَّ: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ١] ٦٥٤
بـابُ قـولِ الـلَّـه عـزَّ وجَـلَّ: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٧] ٦٥٧
سورة التحريم ٦٥٨
بـابُ قـولِ الـلَّـه عـزَّ وجَـلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم: ١] ٦٥٨
سُورَةُ القَلَم ٦٦٢
بـابُ قـولِ الـلَّـه عـزَّ وجَـلَّ: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [القلم: ١٣، ١٤] ٦٦٢
«قصَّةُ الشقيِّ الوليدِ بنِ المُغيرة» ٦٦٣
بـابُ قـولِ الـلَّـهِ عـزَّ وجَـلَّ: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: ٤٢] ٦٦٥
سُورَةُ النَّازِعَات ٦٦٧
بابُ قولِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٢] ٦٦٧
سُورَةُ عَبَسَ وَتولَّى ٦٦٨
بابُ قول اللَّه عزَّ وجل: ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦] ... ٦٦٨
سُورَة المُطَفِّفين ٦٦٩
بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجَلَّ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦] ٦٦٩
سُورَةُ الانْشِقَاقِ ٦٧٠
بابُ قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] ٦٧٠
بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجَلَّ: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩] ... ٦٧١
سُورَةُ الشَّمْس ٦٧٢
بابُ قول اللَّه عزَّ وجَلَّ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ * إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ [الشمس: ١١، ١٢] ٦٧٢
سُورَةُ العَلَق ٦٧٥
بابُ قولِ اللَّه عزَّ وجَلَّ: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ [العلق: ١٥، ١٦] ٦٧٥
سُورَةُ الكَوْثَر ٦٧٦
بـابُ قـولِ الـلَّـه عـزَّ وَجَـلَّ: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ١، ٢] ٦٧٦
سُورَةُ الفَلَق والناس ٦٧٩
بـابُ قـولِ الـلَّـهِ عـزَّ وجَـلَّ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: ١، ٢] ٦٧٩